الجمهورية العربية المتحدة
الثقافة والإرشاد القومى



التربية والتعليم
فى مصر القديمة

تأليف
الدكتور عبد العزيز صالح
الأستاذ المساعد للآثار والحضارة القديمة
بكلية الآداب ــ جامعة القاهرة

الناشر الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة
١٣٨٦ ــ ١٩٦٦

التربية والتعليم

في مصر القديمة

المكتبة العربية

تصدرها

الثقافة والإرشاد القومي

بترعيها
المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر
"الدار القومية للطباعة والنشر — الدار المصرية للتأليف والترجمة"

إهـــــداء ٢٠٠٧
الأستاذ الدكتور / قدري محمود حفني
جمهورية مصر العربية

الجمهورية العربية المتحدة
الثقافة والإرشاد القومي



التربية والتعليم
في مصر القديمة

تأليف

الدكتور عبد العزيز صالح
الأستاذ المساعد للآثار والحضارة القديمة
بكلية الآداب - جامعة القاهرة

الناشر الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة
١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

كانت فكرة هذا الكتاب موضوعاً لرسالة جامعية حصلت بها على دكتوراة الآداب من جامعة القاهرة فى عام ١٩٥٦ ، وحفزنى إلى اختيار موضوعها حينذاك عاملان : عامل الرغبة فى دراسة وإظهار جانب حىّ من شئون الناس فى مصرنا القديمة يختلف بعض الشىء عما جرت عليه أغلب موضوعات التخصص فى دراسات الإجيبتولوجى من العناية أساساً بعوالم الفراعنة والموتى وصور الخط ومترادفات الحروف ، وإن يكن ذلك دون ما إجحاف فى الوقت نفسه ببعض النتائج الجدية المترتبة على كل فرع من هذه الفروع .

وعامل آخر تملكنى حين أتممت منهاجاً فى دراسة التربية قبيل البدء فى الرسالة وأدهشنى أن جلّ ما يعرف عن التاريخ القديم للتربية والتعليم كان يعتمد فى جوهره على تراث الإغريق والرومان ، وقد ينحرف حيناً ناحية تراث الصين ، ولكنه لا يقرب مصر القديمة ، وإذا مسّها استرشد مضطراً باقتباسات وترجمات متفرقة يفتقر أغلبها إلى مزيد من التحليل والتحقيق والتصويب بما يتلاءم مع الروح المصرية الحقة وواقع الأمر فيها ، وذلك على الرغم من الجهود العلمية المشكورة التى قدمها عنها عدة من علماء الإجيبتولوجى وفى مقدمتهم الأساتذة الكبار : أدولف إرمان ، وج . ماسپرو ، وألن جاردنر ، ثم الأستاذ المرحوم الدكتور سليم حسن فى تقديمه بعض إنتاج هؤلاء العلماء باسم الأدب المصرى القديم .

واكتملت الرسالة لتخصص أساسا فى علم الآثار والحضارة المصرية القديمة إلى جانب هدفنا التربوى منها ، وتطلب ذلك ضرورة الرجوع فى أغلب جزيئاتها إلى المصادر المصرية القديمة الأصيلة حيثما توفرت ، وانتقاء مفرداتها المتفرقة وبنائها من جديد ، مع تحليل مشكلاتها العلمية ومحاولة التحديد فى كل خطوة من خطواتها أو على الأقل محاولة التحقق من كل نتيجة من نتائجها ؛ فى نطاق جهد الطاقة ودون ادعاء العصمة فى شىء ، ومع تقدير أن ترجمة النصوص المصرية القديمة إلى اللغة العربية ترجمة علمية مباشرة ،

مهمة وعرة لا تزال فى بدايتها على الرغم من ضرورتها ، وتزيد مشقتها ومشكلاتها مرات عن مجرد نقل ترجماتها الأجنبية الشائعة وحشرها بصورها الأوروبية فى سياق بحث أثرى مصرى ينشر بلغة أجنبية .

وعندما عاودت إعداد الرسالة للنشر مؤخراً فى هذا الكتاب بعد عشر سنوات من إتمامها ، آثرت أن أستبقى لها أغلب طابعها العلمى ، مع إدراكى لبعض وجوه الصعوبة فيه ، حتى تكون أساساً لمن يود الإضافة إليها فى تخصصه ، مع إجراء تعديلات تتفق مع نتائج دراساتى التالية لها وتتناسب مع الإمكانيات المتاحة فعلا فى نشر الكتب العلمية المتخصصة . ومؤدى ذلك هو أن القارئ سوف يصادف فى كتابنا هذا عدداً من التفاصيل الأثرية والتاريخية وطائفة من المناقشات العلمية مع ما يستدعيه سياق بحثها عادة من استخدام أساليب الأخذ والرد والتزام عبارات الشك والاحتمال أحيانا وإلحاقها بعلامات الاستفهام . . . ، وذلك أمر لن تبدو فيه غرابة بالنسبة للقارئ المتخصص فى الدراسات القديمة ، أما غير المتخصص فيها ، فله أن يتجاوز عن تفاصيل هذه المناقشات والمفردات الخاصة إن شاء ، ليكتفى بما ترتب عليها من نتائج حضارية ، تربوية وتعليمية ، نرجو أن تكون وفيرة .

ويشرفنى أن أسدى عميق تقديرى وشكرى لأستاذىّ الجليلين الدكتور محمد أنور شكرى والدكتور عبد المنعم أبو بكر على ما لمسته منهما من علم مكين وروح نبيلة وترحيب بالمناقشة الصريحة خلال إعداد هذه الرسالة بإشرافهما متتابعين فيما بين عام ١٩٥٢ وعام ١٩٥٦ .

وبعد أن ناقش هذه الرسالة وأجازها لجنة من الأساتذة الخمسة الأفاضل الدكتور عبد المنعم أبو بكر والدكتور جرجس متى والدكتور سليم حسن والدكتور سامى جبرة والدكتور نجيب ميخائيل ، فى الثانى من يوليو ١٩٥٦ ، ظلت الأولى فى موضوعها ، ثم أصدر بعدها الأستاذ هلموت برونر مؤلفاً باللغة الألمانية فى عام ١٩٥٧ عن التربية المصرية القديمة ، وقلقت يومئذ من هذا التواتر الغريب بيننا ، إلى أن اطلعت على كتابه الجديد وتبينت أن كلا منا كان له منهاجه المختلف ووجهة بحثه الخاصة .

وكان للسادة الأساتذة أعضاء لجنة التربية والتعليم فى المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية فضل الإشادة الكريمة والتوصية الملحة بنشر هذه الرسالة ، بعد أن تعرضت نسخها المخطوطة للاقتباس منها من أكثر من ناحية وبغير علمى للأسف أحياناً ، ثم كان للسادة المشرفين على مشروع المكتبة العربية بالمجلس نفسه وبوزارة الثقافة والارشاد القومى الفضل فى إصدارها أخيراً فى هذا الحيز المطبوع الذى حفزنى إلى الشروع فى إعداد ترجمة أوروبية لها سوف تلحق بها قريبا إن شاء الله .

ومع ذلك فقد ألزمتنا إمكانيات الطباعة بالتجاوز عن أمور ما كنا نود التضحية بها فى هذا الكتاب ومنها نقل النصوص الهيروغليفية من صلب صفحاته إلى ملحق خاص بها فى نهايته ، مع التخفف من عدد كبير مفيد منها ،حتى تتناسب بقيتها مع الإمكانيات المتاحة فى حروف الطباعة الموجودة فعلا ، ثم التجاوز عن حروف معينة فى تسجيل بعض المسميات المصرية القديمة مثل حرف الباء المثلثة وحرف الجيم المعطشة لعدم توافر نظائرهما فى حروف المونوتيب ، والتصرف فيما يعبر عن حرف العين وحرف الألف فى الألفاظ المصرية المنقولة بحروف لاتينية لعدم توافر نظائرهما فى حروف اللينوتيب ، وصعوبة التعبير الحرفى عن تصويبات المعلمين المصريين لأخطاء تلاميذهم بالمداد الأحمر إلا بالكاد . . . ، ولوأن ذلك كله لن يحول إطلاقاً دون إسداء الشكر للسادة الفنيين الذين تعاونوا فى نشر هذا الكتاب وملاحقه الهيروغليفية ، على ما بذلوه فيه جهد كبير ملموس .

والله ولى التوفيق ؟

عبد العزيز صالح

مقدمة

تعرّف عملية التربية عادة بأنها عملية تنصرف فى جوهرها إلى إعداد الناشئ إعداداً يساعده على أن يصبح فرداً قادراً صالحاً نافعاً لنفسه وذويه، متجاوباً مع مجتمعه منتجاً فيه. واتضحت للتربية بمفهومها الواسع ثلاثة جوانب متصلة فى حياة المجتمعات المتحضرة ، فكان منها ما يبتغى تنمية البدن تنمية سليمة ، وكان منها ما يتعلق بتهذيب النفس وترقية المشاعر والوجدان ، وكان منها مايتجه إلى تثقيف الفكر وتحصيل المعارف ، دون ما ضرورة بطبيعة الحال إلى أن تتجه العناية بهذه الجوانب الثلاثة فى المجتمعات المتحضرة على سواء فيما بينها ، وإنما قد يؤثر مجتمع منها تغليب جانب من جوانب التربية بما لايؤثره مجتمع آخر ، ويكون الفيصل فى ذلك عادة لبيئة كل مجتمع وتراثه وظروفه الحضارية وتطوراته من عصر إلى آخر .

وثمة عبارة جامعة أوجز بها الحكيم المصرى القديم عنخ شاشنقى مطالب التربية العملية فى مجتمعه وقال فيها : « اعمل على تعليم ولدك أن يكتب وأن يحرث وأن يصيد وأن يستخدم الشص ، على مدار العام » (١) .

وعلى نحو ما تعددت جوانب التربية فى المجتمعات المتحضرة تعدد كذلك المسئولون عنها . فالأسرة والمعلم وذات المجتمع كل كان له ولا يزال كفل فيها وأثر ، وإن يكن ذلك على تباين فيما بينهم أيضاً .

وعلى هدى من هذا المفهوم المتعدد الجوانب للتربية والقائمين بها يعالج هذا البحث جوانب التربية المصرية فى عصورنا القديمة بحيث تندرج موضوعاته فى ثلاث مجموعات كبيرة : مجموعة تستهدف دراسة ماكانت الأسرة المصرية القديمة تسهم به فى تربية طفلها ، فى نطاق محيطها المحدود من ناحية ، أى من حيث مدى رعايتها له صحياً وعاطفياً ، وماكان يتوفر له فيها من عوامل النشاط المناسب لبيئتها ، ثم باعتبارها جزءاً من مجتمع كبير كان ينبغى عليها أن تعمل على تهيئة صبيها وفقاً لأخلاقياته واتجاهاته العامة ، من ناحية أخرى . وتتناول المجموعة الثانية جوانب الحياة التعليمية المصرية القديمة ، من حيث مصادرها ودورها ومعلميها ، على حين تتناول المجموعة الثالثة مواد الدراسة فيها ووسائل تدريسها ، وعلاقة المعلم فيها بتلميذه ، وذلك فضلا عن محاولة تقصى موارد الثقافات الخاصة التى كان يمكن تحصيلها خارج نطاق المدارس.

(١) Brit. Mus. Pap. 10508, XVII 23. *(See* S.R.K. GLANVILLE, The Instructions of Onchsheshonqy, London, 1955).

والواقع أن تخصيص مجموعة الموضوعات الأولى من هذا البحث لتربية الطفل المصرى فى أسرته القديمة تربية بدنية وعاطفية وخلقية مع ما سوف يقتضيه ذلك من بحث خصائص الأسرة المصرية نفسها ، وإن كان لا يخلو من وجه شبه قريب مع ما ينصرف إليه المفهوم الحديث للتربية ويؤثرة عادة من ضرورة البدء بدراسة أثر الأسرة فى الطفل منذ أعوامه المرنة الأولى ، إلا أنه تخصيص اعتمد أولا وقبل كل شىء على ومضات نيرة من المتون المصرية نفسها نمت عن تقدير أهلها لما يمكن أن تخلفه اتجاهات الأبوين ويخلفه طابع الأسرة من أثر فى تكوين شخصية الناشىء وكفاياته ومستقبله . وقد طمأنتنى هذه الومضات فى بداية البحث على إمكان معالجته على نطاق واسع ومن جوانب عدة ، ولهذا نرى التقديم ببعضها فى إيجاز .

كان مما ربط المصريون به فيما بين الابن وبين أبيه قولهم إن « نهج الابن نهج من أنجبه » (١) ووصفهم الابن إذا سلك مسلك أبيه بأنه من أنجبته « كا » أبيه ، أى نفسه (٢) ، وأنه مولود لأبيه (٣) وقولهم « جرى المثل على أن المرء يتتبع خطا أبيه » (٤) و « إن الأم تلد ولكنه الشبيه ينتج الشبيه » (٥) ، ثم اتجاه مجتمعهم إلى ألا يتمثل فى سلوك الناشىء شخصيته وحدها ، وإنما يتمثل فيه شخصية أبيه وأثره كذلك ، حتى ليقول من يرونهما « مثل ذاك (هو مثال) هذا » ومن يسمعهما أكد ذلك وقال بمثله (٦) . وهذا إلى جانب تقدير الأب منهم بدوره لمسئوليته إزاء المجتمع فى تربية أولاده ، وذلك بحيث كان إذا ابتغى دعاء الناس من أجله قال : أيها الناس ادعوا لفلان « الذى كون داره (أى عائلته) وربى أولاده وفعل خيرا على الأرض » (٧) . ولا يخلو من دلالة مع ذلك أن أغلب التعاليم المصرية المكتوبة قد صيغت على أنها تعاليم آباء ومربين وليست على أنها تعاليم فلاسفة ورجال دين . (راجع ص ٧٩) .

---

(١) يعنون بذلك أنه يأخذ عنه اتجاهاته ويمثله فيما يندب اليه من أعماله (انظر ملحق النصوص) .
H. GAUTHIER, « *La Grande Inscription dédicatoire d'Abydos* », in AeZ, XLVIII 59 ; *See*, Wb. III, 238, 12 ; and A.M. BLACKMAN, in J.E.A. III, 243 f.

(٢) Pap. Prisse, 204.

(٣) Pyr. 179 a.

(٤) P. NEWBERRY, Beni Hasan, I, pl. XXVI, 171-173.

(٥) حرفياً : « إن الأم هى التى تلد ولكن الوسيلة هى التى تعطى شبيهها » .
Brit. Mus. Pap. 10508, XII, 8.

(٦) Pap. Prisse, 600-1, 602-3 (انظر ملحق النصوص) .

(٧) Cairo 20303 (H.O. LANGE und H. SCHAEFER, Garb und Denksteine des mittleren Reiches I, S. 316).

وقد تقرأ هذه العبارة بقراءة أخرى على النحو التالى : « الذى كون داره (أى عائلته) وربى أولاده وقضى على الأرض (أجلا) صالحاً » . — (انظر ملحق النصوص) .

ذلك إذن بعض ما ربطت المتون المصرية به بين الابن وبين أبيه . أما الزوجة الأم فقد دلت المتون نفسها على أن وضعها فى الأسرة قد هيأ لها من وراء الأب ما تؤثر به فى أولادها إلى حد مقبول . فكان من التعاليم المصرية ما يعقب حين ينصح الناشئ بأن يكون أسرته فيتخذ له زوجة وهو شاب لتنجب له طفلا (ص ١٢) ، بأن يوصيه بأن « يعلمها لتصبح إنسانة » (١) وذلك على الأرجح لنفع زوجها من ناحية ثم لما قدر لها من أثر فى طابع الأسرة وحياة الطفل المرتجى منها من ناحية أخرى. وكان من التعاليم كذلك ما يفصح عن تقدير الاب لجهد زوجته بأكثر مما يقدر لجهده بالذات فى تربية ولده ، فقال والد لولده « ... إنها طالما تحملت عبئك (؟) ولم تلقه على » (٢) . وهذا التقدير ونحوه لأثر الزوجة الأم التى كانت تعتبر ست البيت (نبت بر) ، ما من شك فى أنه كان يوحى بواجبات وحقوق فيما بينها وبين أولادها إبان طفولتهم الأولى وفيما بعدها ، وما من شك كذلك فى أنه يفسر مثل قول الحكيم المصرى القديم عنخ شاشنقى .لولده « إن نعمة الممتلكات زوجة حكيمة » ، وقوله له : « احذر أن تتخير لنفسك امرأة سيئة الطبع زوجة ، حتى لا تورث أبناءك تربية فاسقة » (٣) .

ويتم عن تقدير المصريين القدماء لطابع الأسرة فى مجملها وما يترتب عليه من سمعتها فى خارجها قولهم « إن مقدمة (أو داخلية) الدار تبعث الرهبة فيما وراء الدار » (٤) .

هذه هى بعض الاتجاهات المصرية القديمة التى انبنى عليها تخصيص مجموعة الموضوعات الأولى من بحثنا للطفل فى أسرته . أما فيما يتعلق بمعالجة موضوعاته بالذات ، فإن ما نرى التقديم به عنها هو أن ضرورة تتبع الفكرة الأثرية والتاريخية فى بعض هذه الموضوعات قد استلزمت التعرض لنواح منها تتعدى إلى حد ما مدلول التربية بمعنى تأثر الطفل والتأثير فيه ، فثمة موضوع منها يتقصى فى بعض صفحاته شئون المراضع فى العصور المتتابعة ، وآخر يتقصى مدى انتشار التمائم للصغار والكبار معاً ومدى الاعتقاد فيها فى الحياة الدنيا ، غير أن ما ترتب من نتائج أثرية على مثل هذه الموضوعات قد برر بحثها إلى حد كبير .

وفى موضوعات المجموعة الثانية من بحثنا وهى التى تعالج الحياة التعليمية القديمة سيكون للأسرة المصرية بعض الذكر أيضاً ، وذلك لتبين مدى ارتباط الابناء بالاتجاه المهنى الذى آثرته أسرهم أو ورثته ،

---

(١) Pap. Ch. Beatty V, vs. 2.6 (انظر ملحق النصوص)

(٢) Pap. Boulaq IV, 7, 19.

(٣) Brit. Mus. Pap. 10508, VIII, 22 ; XXV, 17.

(٤) واستعار الفرعون خيتى هذا المثل السائر فى وصيته لولده مريكارع ليقنعه بأنه ما من سبيل إلى صلاح رجاله على الأرض إلا إذا أدركوا القدوة من صلاحيته فى قصره (انظر ملحق النصوص) .
Pap. Petersburg 1116, A rt. 46, (See A.H. GARDINER, in J.E.A., I, p. 26, n. 5)

إزاء الإقبال على التعلم . ولو أن ذلك لن يشغل من البحث غير أقله ، وتتركز فصوله فى المراحل التعليمية ودورها والقائمين بها ، ثم يلى ذلك بحث موضوعاتها وأهدافها ونماذج دروسها ، وما وراءها من سبل الثقافة الأخرى .

وسوف يدور البحث فى الموضوعات التعليمية حول الثقافة الكتابية أساساً ، وبمعنى آخر حول التعليم الذى ارتضته مقاييس الثقافة العامة فى المجتمع المصرى القديم وكان ينبغى لمن أراده أن يحصله على يد معلم كتابى . وبذلك لن يعالج البحث تعليم التخصص فى مثل الكهنوت أو الطب إلا من نواحيه العامة وحيثما تقتضيه المقارنات الضرورية .

وأخذاً بهذا المنهاج آثرنا فى ترتيب فصول التعليم أن تكون فصول التعليم العام المؤهلة لثقافة الكاتب متميزة عن فصول الثقافات الخاصة ؛ وذلك بحيث تتبعنا شئون المعلمين ودور التعلم فى المرحلتين الأولية والمتقدمة معاً ثم طرق التعليم وموضوعاته فيهما معاً . وذلك على تميز من الدور التربوى التثقيفى الذى آثرته قصور الفراعنة لفريق من أبناء الخاصة والمتصلين بها (فضلا عن أبنائها بالذات) ، وعلى تميز كذلك من الدور التثقيفى لدور الحياة التى أشبهت أن تكون معاهد راقية تخدم جوانب متعددة من الثقافات والعلوم ، على حين جعلنا التصوير العام للمراكز الثقافية الكبرى والمكتبات فى نهاية البحث .

وثانية فيما يتعلق بالدروس التى سنقدمها كنماذج أو مواد للبحث ، نرى التقديم بأن عدداً منها ، وتلك التى سطرت على البرديات خاصة ، وإن كانت قد عولجت من قبل من بعض جوانبها ، إلا أن أقل جوانبها نصيباً من البحث كان هو تقصى الاتجاهات التعليمية فيها ، وذلك من حيث هى دروس تعليمية قبل أن تكون موضوعات علمية أو أدبية أو قصصية ، ومن حيث مبلغ توافقها مع إمكانيات الطالب ، وجهد المعلم فيها ، ثم معالجتها جنباً إلى جنب فى وحدة متصلة . وهذه الجوانب هى ما استهدفنا التجديد فى بحثها . كما أن ما كشف عنه فى الأعوام الأخيرة من الكسر واللخاف التعليمية الصغيرة قد هيأ بدوره لبحثنا مجالا أضاف به جديداً إلى ما سبق أن بحث وقورن من الموضوعات التعليمية .

وقد أسلفنا فى بداية هذه المقدمة أن لبيئة كل مجتمع وظروفه الحضارية أثراً فى تشكيل اتجاهاته التربوية والتعليمية وتميز بعضها على بعض أحياناً ، وستتعاقب صور هذا التأثير متفرقة فى فصول المجموعات الثلاث ، أما تصويره ككل فستتكفل بعرضه خاتمة الكتاب .

الكتاب الأول

التربية الأسرية والتعاليم التربوية في مصر القديمة

الفصل الأول

المواليد في الأسرة المصرية القديمة

أثر عن المصريين منذ عصورهم القديمة شدة الحرص على إنجاب الأبناء وتمنى الكثرة منهم ولو على رقة الحال ، ولايزال ذلك هوشأن غالبيتهم حتى الآن لم يتبدل فى شيء كثير * . وقد كان من الأدب المصرى القديم ما يجعل نكبة الفرد فى فقد أبنائه هى الجلى التى تهون إزاءها نكبته فى أمهم ذاتها وفى كل ما يمتلك (١) ، وكان من الحكماء المصريين من يوثق الصلة بين ما يتعرض له المجتمع من وهن وبين قلة النسل فيه لسبب أو لآخر (٢). وترتب على أمثال هذه التصورات ونحوها أن أضحى ثراء الدنيا لدى المصرى القديم قليل الغناء لصاحبه اذا أعوزته نعمة الولد ، ولم يعرف سبيل لسعادة من حرم هذه النعمة غير التبنى يستفيد المتبنى منه لنفسه ويفيد به مجتمعه . وعبر قائلهم عن ذلك فى رسالة قال فيها

---

* تتراوح نسبة المواليد فى مصر حتى الآن بين ٤٠ – ٤٤ فى الألف ، وهى من أعلى نسب المواليد فى العالم .

(١) هو حوار دار بين روح وبين صاحبها الذى يئس من إصلاح أحواله وصلاح أخلاق الناس فى عصره ، فتمنى الموت لنفسه ، فحاولت روحه أن تصرفه عن تشاؤمه وأن تهون عليه بلواه بأن تروى له من مصائب الناس ما تهون إزاءها مصائبه . فقصت عليه قصة مزارع جهد طوال عام كامل فى فلاحة أرضه حتى آتت ثمارها ثم جمع حصادها فى قاربه وأركب أهله فيه وتهيأ للرحيل فرحاً « وهو يحسب أن عيده قد اقترب » على حد قولها ، ولكن عاصفة طوفت بليل فأغرقت القارب بما احتمله . وقدرت النجاة للرجل دون زوجته وأطفالها ، فلما آب وعيه إليه طفق يبكى بحرقة ، كما روت القصة ، ليس على مجهود عامه فى الحرث والحصاد ، وليس على ماأصاب زوجته ، ولكنه أخذ ينعى صغارها الذين قضوا « وهم لا يزالون فى البيضة » ، وشهدوا طلعة التماسيح فى الماء قبل أن يتمتعوا بحياتهم أو يتمتعوا بها .

A. SCHARFF, Der Bericht uber das Streitgesprâch eines Lebensmüden mit seiner Seele, Munchen 1937, 34; R.U. FAULKNER, in J.E.A., 1956, 21 f.

(٢) حينما استبد الضعف والوهن بالبلاد فى أواخر الدولة القديمة ، أخذ الحكيم المصرى إبوور يبصر أولى الأمر بما أنكره من أمرها ، وكان مما ساقه من صور الوهن قلة المواليد فقال : « حقاً لقد غدت النساء مقلات وما من واحدة تحمل وما عاد (الإله) خنوم يبنى (أطفالا)... Admonitions, 2,4.

(وراجع ملحق النصوص) .

A. ERMAN, Die Literatur der Aegypter, Leipzig, 1923, 111. *See also* B. GUNN, Studies in Egyptian Syntax, Paris, 1924, 116: « Why, women are lacking, no one conceives, Chnum does not build(?) ».

ويقارن هذا التحسر من الحكيم المصرى على قلة النسل بما أتى به الأدب الإغريقى فى عصر ضعف مماثل من اعتبار النسل لعنة تزيد من وطأة البؤس والمصائب .

See, W.H.S. JONES, Children as a curse, in Hasting's Encyclopedia of Religion and Ethics, III, 539.

لثرى عقيم « أما بعد ، فما هذه الحال السيئة التى أنت فيها ؟ ... إنك لست رجلا ، فأنت لم تعمل على تعشير زوجتك شأن عشيرتك ، وأقول كذلك إنك موفور الثراء للغاية ولكنك لاتعمل على أن تهب شيئاً لأحد . وأولى بمن لم يكن له أولاد أن يتخذ لنفسه بديلا من اليتامى يربيه ، (حتى إذا نما) صب الماء على يده وأصبح كأنه الولد البكر من صلبه» (١). وقد عرفنا من أمثلة التبنى مثلا من الدولة القديمة سمى فيه الولد بالنسبة الى أمير رباه « ولده رضيعه » أو « ولده ربيبه» (٢) ، كما عرف له مثل من الدولة الحديثة تبنت فيه سيدة عقيم أبناء سرية زوجها (٣) (ص ٦٤) . ولا بد أن كان مثلهما فى شتى العصور كثير .

وشارك فراعنة البلاد أهلها فى تمنى كثرة الولد لأنفسهم وللبلاد جميعها ، وانعكس صدى هذه الرغبة منهم على ما سجله بعضهم من نصوص تدور حول ما وعده به الآلهة من وفرة الذرية وامتلاء بلده بنسلها . وذلك على نحو ما ادعت حاتشبسوت أن أربابها قالوا لها «سيعمر الصعيد والدلتا بالذرارى» ولسوف يزكو نسلك الوفير بتعداد ثمراتك (الخيرة) التى غرستها فى قلوب رعاياك » (٤) .

وبدافع الرغبة العامة فى النسل ، كان الزواج المبكر وتكوين الأسرة من أهم ما يوعظ به الناشىء إذا تهيأ له أن يتكسب معاشه ، وفى ذلك يقول بتاح حوتب لولده « إذا أصبحت كفئاً أسس دارك (أى عائلتك) ، وأحبب زوجتك فى حدود العرف أوعاملها بما تستحق » (٥) ، ثم يخصص له الهدف الرئيسى من اتخاذ الزوجة بقوله « فإنها حقل مثمر (أو صالح) لولى أمرها » (٦) وبعد نيف وألف عام ترددت النصيحة ذاتها فى تعاليم « آنى » حكيم الدولة الحديثة حين قال لولده «تخير لنفسك زوجة وأنت صبى»، وحين صور له الهدف الاسمى من هذا الزواج وصور السعادة التى تتأتى عن طريقه فقال : «لتنجب لك طفلك ، فإنها إذا أنجبته لك وأنت شاب استطعت أن تثقفه (؟) حتى يصير إنسانا . وطوبى للرجل إذا أصبح كثير الأهل وأصبح يرتجى من أجل أبنائه » (٧) .

وقال عنخ شاشنقى حكيم العصور المتاخرة فى المعنى ذاته « اتخذ لنفسك زوجة حين تشارف العشرين عاماً حتى يتأتى لك الخلف وأنت شاب » (٨) .

وفى المناظر المصرية التى جمعت بين الآباء وأبنائهم ما يسمح بتصور السعادة التى ابتغاها « آنى » لولده ، والتى كان يحس بها « كثير الأهل » كما قال . ففى مناظر الدولة القديمة ما يصور أحدهم وقد اصطف تجاهه سبعة عشر ولداً وابنة (٩) ، بلغ من اعتزازه بهم أن جعل الفنان يكتب أمامهم بحروف

---

(١) A. ERMAN, *Aus dem Volksleben des neuen Reiches*, in AeZ, XLII, 100 f. (انظر ملحق النصوص) .

(٢) Ost. Dier el Medineh,. 1206. (انظر ملحق النصوص)

(٣) A.H. GARDINER, « *Adoption extraordinary* », in J.E.A. 1940, 23 f.

(٤) E. NAVILLE, The Temple of Dier el Bahari, Vol. III, pl. LVII, 14-15, *see also*, Pap. Petersburg 1116, A rt. 48-49. (وانظر ملحق النصوص)

(٥) Pap. Prisse, 325-26. (وانظر ملحق النصوص)

واستشهد أدولف إرمان بعدة أمثلة من الدولة الحديثة استعملت فيها كلمة الدار (بر) لتدل على العائلة بمعناها الواسع أى بأفرادها وأتباعها (AeZ, XXXI, 125).

(٦) Pap. Prisse, 330.

(٧) Pap. Boulaq IV, 3, 1-3. (وانظر ملحق النصوص)

(٨) Brit. Mus. Pap. 10508, XI, 7.

(٩) H. JUNKER, Giza III, Abb. 28 (Njswtnfr).

عريضة أنهم « أبناؤه من صلبه » . وحيال هذا المنظر ونحوه ، يتضح تقدير فائدة الزواج المبكر الذى هيأ لمثل صاحب هذا المنظر أن يربى أبناءه ، حتى يراهم رجالا ً وينعم بتوقير الناس له من أجلهم ، على حد قول « آنى » ، وقد أصبح كل صبى منهم صاحب وظيفة ولقب (١) ، وفى مناظر العصر نفسه ما يسمح بتخيل رثاء المصريين لشقاء الثرى الذى لا ولد له « يصب الماء على يده » حين يبدو أحدهم مصوراً فى مناظر مقبرته من عصر الأسرة الخامسة ، ومن حوله ثلاثة عشر ولدا وبنتاً من صلبه ، وقد حصل أحد عشر منهم من المعارف الدينية ما جعلهم كهنة لأبيهم يخولونه بطقوسهم حياة الأبد ويخلدون ذكره ، وذلك فضلا عما كان من انتفاعه بهم وبثقافتهم الدينية فى حياته ، إذ تهيأ له أن يوظفهم معه جميعا كهنة لأميرة ثرية من أهل عصره (٢) .

وفى مناظر نصب عصور الدولتين الوسطى والحديثة كثيرا ما كان يصور حول المتوفى ما بين الثلاثين والأربعين فرداً يضمون أبناءه وأحفاده وإخوته وأولادهم ، أى يضمون عزوته التى كان يركن إليها فى دنياه وأصبح يستحب صحبتها فى أخراه .

وأخيراً فليس أبلغ دلالة على عظم السعادة التى كان يتخيلها الناس فى كثرة الأبناء — ولو من قبل انجابهم على الأقل — من أن يصف أحدهم حاله وقد نجح مع رجاله فى اداء عمل جليل ، بأنها أشبه بحال رجل ابن ستين له « سبعون ولداً ولدوا من امرأة واحدة » (٣) .

بيد أنه على الرغم من كل ذلك التقدير للزواج بغية تكوين الأسرة ، فما من شك فى أنه كان من المصريين من لم يأخذوا بالتصورات الغالية عنه ، فانصرفوا عنه وعن تكوين الاسرة . غير أن هؤلاء فيما يبدو كانوا قلة ، وكانوا يواجهون الإنكار من المجتمع ، وربما وجدوا من المنكرين الغلاة من يقول عنهم « إنهم من أتباع ست » وإن « الإله الذى فى (كل منهم) هو ست » ويتوقع لكل منهم « ألا يزيد عمره عن الستين عاما » (٤) ، وذلك لأنه لم يكن يبرر حياة العزوبة فى رأيهم غير العوز (٥) . وإذا كان الزواج المبكر هو وسيلة عامة الناس لكفالة الذرية وكثرتها ، وإتاحة الفرص لتربية الأبناء والانتفاع بهم ، فقد كان للأغنياء فى بعض الحالات ، وللفراعنة خاصة ، من إباحة تعدد الزوجات والتسرى بما ملكت اليمين ، ما أشبع رغبتهم فى وفرة النسل وفى ضمان إنجاب الورثة الذكور ، وإن ظل هذا التعدد أظهر منه لدى الملوك منه لدى أفراد الشعب (٦) .

وفضلا عن غرائز الأبوة والأمومة ورغبات التكاثر الطبيعية التى اشترك البشر فيها يمكن القول بأن الشغف الواضح من مختلف طبقات المصريين بإنجاب الأبناء كان أثراً لثلاثة عوامل رئيسية وهى :

---

(١) JUNKER, op. cit. S. 177.

(٢) Ibid., II, Abb 51, S. 219 ; III, Abb. 16, S. 123.

(٣) COUYAT-MONTET, Hammamat, No. 1.

(٤) Pap. Ch. Beatty, III, 11, 2-3.

(٥) Admonitions 7, 14-8, 1 ; H. KEES, Kulturgeschichte des alten Orients, Erster Abschnitt, Aegypten, München, 1933, S. 76.

(٦) وعن صوره بين فراعنة الأسرة الرابعة — يراجع :
G.A. REISNER, Mycerinus..., Cambridge, 1931, p. 240-242.
ولقلة من الأفراد : PETRIE, Athribis, pl. VII. ; Cairo 20455 ; 20750 ; P. NEWBERRY, Beni Hassan, pl. 29, 35.

التكوين الاجتماعي والحرفي الغالب في مجتمعهم ، والشعور بالطمأنينة إلى المستقبل المعيشي (أو الاقتصادي) الذي كفلته بيئة البلاد من ناحية وروح التدين الغالبة من ناحية أخرى ، ثم ارتباط سعادة الآخرة لدى المصري القديم بالولد الذي يكفل استمرار أداء الطقوس الدينية باسمه بعد وفاته .

فقد نشأ المجتمع المصري مجتمعاً زراعياً في جوهره ، والكيان الاقتصادي للمجتمعات الزراعية ، والقديمة منها بخاصة ، يتأثر بوفرة الأيدي العاملة على الأرض أو قلتها . وما يصدق من ذلك على اقتصاديات المجتمع الزراعي في جملته يصدق كذلك على دخل كل أسرة زراعية فيه ، سواء أكانت تعمل في أرضها أم استؤجرت في أرض غيرها . فكلما تكاثر أفرادها تهيأت الفرص لزيادة دخلها . (وشأن المجتمع الزراعي والأسرة الزراعية في ذلك يختلف إلى حد ما عما كانت عليه حال المجتمعات الرعوية القديمة مثل المجتمع الإغريقي أو المجتمع البدوي) . وفي المناظر المصرية القديمة ما يصور مدى الاستفادة من الأولاد في أعمال الحقول منذ سنيهم المبكرة ، حين يساعدون في بذر الحب (١) ، ويجمعون سنابل الغلال حين الحصاد أو يلتقطون ما يتساقط منها (٢) ، ويساعدون في نقلها (٣) ، ويذودون الطيور عن كروم العنب ويخيفونها بالعصي الصغيرة (وبالمقاليع) (٤) . ولم يكن يستفاد من البنين وحدهم في أعمال الحقول وإنما كان يشترك فيها البنات أيضا (٥). وثمة تصوير لطيف في منظرين رسما على جانبي نموذج لصومعة من عصر الأسرة الحادية عشرة ، لمدى استفادة صاحب الأرض من تعاون أسرته(٦) . فلقد صورت عائلة من أب وأم وولدين وثلاث بنات وأربعة اخوة (لصاحب الأرض) ، وانفرد أحد الولدين بتسجيل كميات ما ينقل من الغلال إلى داخل الصومعة ، بينما أخذ الولد الآخر وإخوته الثلاثة وأعمامه الأربعة يقومون بعملية نقل الغلال ويساعدهم في ذلك عاملان فحسب من خارج الأسرة . أما الأب صاحب الأرض فقد جلس على غير مبعدة منهم ، ناعم البال يلعب النرد مع صديق له ، وأما الأم فقد لزمت جانب زوجها تروح له وتقدم له شرابه ! وقد يكون الغرض من التأليف بين هذه المجموعة غرضاً أخروياً يستهدف سعادة رب الأسرة وتنعمه في حياته الثانية ، ولكن ما من شك في أن مصور المنظر أو الموحي به كان قد استمد عناصره من الحياة المعتادة للعائلات الزراعية المتوسطة . أما كبار الزراع وأصحاب الضياع ، فقد كان من صور انتفاعهم بأولادهم ، إشراكهم في الإشراف على مكاتب ضياعهم (٧). وما من حاجة إلى تنويه بأن الاهتمام هنا بتصوير حاجة الزراع إلى مجهودات أبنائهم هو على أساس أنهم كانوا الكثرة الغالبة من المصريين ، وأنه من الطبيعي أن أهل الطوائف الأخرى كانوا يبتغون من أبنائهم

---

(١) N. de G. DAVIES, The Tomb of Nakht, New York, 1917, pl. VI.

(٢) N.M. de G. DAVIES, Ancient Egyptian Paintings, Chicago, 1936, pl. LI.

(٣) N. de G. DAVIES, The Tombs of Sheikh-Said, London 1901, pl. XVI.

(٤) J.G. WILKINSON, A popular Account of the Ancient Egyptians, London 1854, Vol. I, Fig. 49.

(٥) N.M. de G. DAVIES, op. cit., pl. L, LI ; W. WRESZINSKI, Atlas, 233.

(٦) A.M. BLACKMAN, *A painted pottery model of a granary*, in J.E.A., VI, p. 207 f.

(٧) L.D. II,9 ; A. ERMAN u. H. RANKE, Aegypten und aegyptisches Leben in Altertum, Tübingen 1923, 125

مثلما ابتغى الزراع من عون أبنائهم ، وذلك سواء أكانوا ينتمون إلى الطبقات الفقيرة كالصيادين وجامعي البردى والصناع (١) ، أم كانوا من الموظفين الذين تشير دعواتهم الأخروية إلى حرصهم على أن يخلفهم أبناؤهم فى مناصبهم (٢) .

وتوفر للمصريين من ظروف بيئتهم الطبيعية ما كفل لهم استقرار الحياة ووضوح المستقبل المعيشى فيها أكثر ممن عداهم من الشعوب القديمة ، ولهذا لم يخشوا مغبة التناسل والتكاثر فى عهد ما . وكان لهم من جانب آخر من ظروف هذه البيئة ما عاونهم على قلة النفقة فى تربية الأطفال وذلك إلى حد جعل فقراءهم لايحسون إحساساً شديداً باحتمال الإملاق أو العجز التام عن القيام بأود عيالهم . ومن أوضح العوامل الطبيعية التى كفلت الاستقرار ووضوح المستقبل لدى المصريين ، ثبات موارد الرى ويسر الانتفاع بها ويسر تصريفها يسراً نسبياً ، ثم الخصب المتجدد الذى كفل للأرض قدرتها الدائمة على الإنتاج مع بذل المجهود فيها . أما عن قلة النفقة فى تربية الأطفال ، فثمة صورة طريفة وإن تكن مسرفة بعض الشىء ، صورها المؤرخ ديودر الصقلى (فى ق ١ ق.م) إذيقول(٣): «ويربى المصريون أبناءهم فى يسر واقتصاد كبيرين ، فيغذونهم بالثريد الذى يطبخونه من مواد رخيصة متوفرة ، وبسيقان البردى التى تشوى على النار وتؤكل ، وبجذور النباتات المائية التى يستساغ طعمها نيئة ومطبوخة ومشواة (٤) . ولما كان معظم الاولاد يمضون عهد صباهم لحسن مناخ البلاد حفاة عراة ، فإن جميع ما يتحمله الأب من نفقات إلى أن يبلغ الابن أشده لايتجاوز العشرين دراخمة (ثمانين قرشا ؟)». وقد تصدق بعض رواية ديودور على حياة بعض أطفال الطوائف الفقيرة دونهم كلهم ، ودون أبناء الطبقات الوسطى والثرية بطبيعة الحال (٥) ، غير أن الطريف أن ديودورعقب على ذلك بقوله « وهذه هى الأسباب الرئيسية التى أصبحت مصر بفضلها بلاداً تتميز بوفرة سكانها » . على أنه يمكن أن يضاف إلى أثر سخاء البيئة فى انتفاء الخوف الملح من المستقبل من خيال المصرى صاحب العائلة ، عامل التدين القديم الذى كان يطمئنه إلى آلهة رحيمة تتكفل بالعيال تكفلها بأفراخ الطير وديدان الأرض والهوام والجرذان (٦) ، ويجعله يرضى بكل من يهبهم ربه له من بنين وبنات .

وسبح المصريون ربهم الخالق فقالوا فى هذا المعنى :

« خلقت العشب لتحيى به البهم ، وخلقت شجر الحياة للبشر
« وهبت الحياة أسماك الماء والطير فى كبد السماء
« أرسلت الأنفاس للفرخ فى الدحية وأحييت الدودة فى التربة
« قدرت ما يحيى النمل والزواحف والهوام
« ورزقت الجرذان فى الجحور ، ورعيت الطير على الشجر».

---

(١) R. PAGET and A. PIRIE, The Tomb of Ptah-hetep, London 1898, pl. 32

(٢) Brit. Mus. 101; Beni Hasan I, pl. 25; AeZ, LX, 75 1.41; Anc. Records, II 767.

(٣) Diodorus, 80.

(٤) ولم يكن هذا بطبيعة الحال هو شأن طعام أبناء القادرين . انظر لذلك مثلا متناً من متون الدولة القديمة يذكر نوعاً خاصاً من فطائر الأطفال . (Admonitions, 5,1).

(٥) تراجع ص ٤٢ .

(٦) Pap. Boulaq, 17, 6, 3, f.; Pap. Berlin 6910 وتراجع ص ١٨ .

وجعلت عقائد المصريين الدينية سعادة المرء فى أخراه مرتبطة إلى حد بعيد بما يؤديه له ولده من شعائر دينية وبما يقدمه باسمه من قرابين ثم مايقوم به لإحياء اسمه (أى ذكراه) فى أفواه الناس . وكان مما يوعظ به الإبن أن « قدم الماء لأبيك وأمك الراقدين فى البرية ... ولا تبطل ذلك عسى أن يقدم لك ابنك مثله »(١) . وجاء فى متون الأهرام ما يتحدث عن لسان الابن فى قيامه بهذه الواجبات فيقول « انهض (أبى) حتى ترى هذا ، قم حتى تسمع هذا الذى يفعله ولدك من أجلك » (٢) ويقول « أى أبى ، قم وتقبل ماءك هذا » (٣) . ويتحدث أحد أبناء الدولة الوسطى عن إحيائه لذكرى أبيه فيقول « لقد جعلت اسم أبى ينمو ويعظم » (٤). والى جانب هذه المتون التى تحدثت على ألسنة الأبناء تحدثت متون أخرى على ألسنة الآباء حين يستبشرون بما سوف يقدمه لهم أبناؤهم بعد انتقالهم إلى عالم الآخرة ، فتحدث ورد من متون التوابيت على لسان والد نعم بسعادة الدارين بفضل ولده البار ، فقال « إن مقعدى فى حوزتى ، وليس أبى هو الذى وهبه لى ، وليست أمى هى التى وهبته لى ، وإنما هو وريثى هذا الذى أعطانى اياه » (٥). وقال أب آخر « إن ولدى هو من أحيا اسمى على هذا النصب »(٦) ولا يخلو من دلالة أن أقدم ما وجد من تماثيل الابناء فى معابد الشعائر الأخروية إنما يمثلهم كهنة يتلون الطقوس لأبيهم (٧) ، وأن أغلب صور الأبناء فى المقابر ، وبخاصة فى الدولة القديمة ، تمثلهم يقومون بما كان يعتقد أنه يفيد آباءهم فى الحياة الثانية من المساعدة فى صيد البر والماء وفى جمع الزهور وتقديمها قربانا لهم (٨) .

رجا المصريون الأولاد إذن لدنياهم وأخراهم ، وساعدتهم طبيعة أرضهم وأوضاعها الاجتماعية والاقتصادية والدينية على أن يستزيدوا من الأبناء دون ان يقدروا عنتا كبيراً أو إملاقا . ومما يجدر بالذكر أنه مع احتمال إيثار المصريين للولد على البنت(٩) شأنهم فى ذلك شأن بقية الشعوب ، إلا أنه يبدو أن هذا الإيثار لم يكن واضحا لديهم وضوحه لدى غيرهم . فكما كان يقدم لاسم الابن إذا صور أو مثل مع أبيه بعبارة « ابنه حبيبه » كذلك كان يقدم لاسم البنت اذا صورت أو مثلت معه بعبارة « بنته حبيبته » ، وإذا صورت مع أمها قيل إنها « بنتها وحبيبتها » وعلى نحو ما كان الأب يحرص على أن يشرك ولده معه فى متعة صيد الماء ، كذلك كان يحرص على أن تصحبه بنته أو بناته(١٠) . ومن شواهد مبلغ رضى

---

(١) A. ERMAN, Die Literatur, 296

(٢) Pyr. 1007 a-b

(٣) Pyr. 1877 c-d

(٤) P.E. NEWBERRY, Beni Hassan, I, pl. 25.

(٥) P. LACAU, Textes religieux 47, 34-6 – انظر ملحق النصوص

(٦) Leyden, V, 88

(٧) M.A. SHOUKRY, Die Privatgrabstatue im Alten Reich, Kairo 1951, 140

(٨) F. PETRIE, Medum, pls. X, XVIII, XXII, XXIV.

(٩) من أمثلة إيثار الولد دعاء وجهه شاب إلى أبيه المتوفى يقول فيه « ... وأرجو طفلاً ذكراً ثانياً سليماً لابنتك (أى زوجة الإبن) » .

A.H. GARDINER, *A New letter to the dead,* in J.E.A., Vol. XVI, p. 20; *see* also, Pap. Harris, vs. 4, 1.

(١٠) N.M. de G. DAVIES, op. cit., XLVII; WRESZ., Atlas, II.

وتظهر مناظر العمارنة شدة حدب أخناتون على بناته وإشراكهن معه فيما اعتاد الملوك أن يشركوا فيه =

الآباء والأمهات بالبنت إلى جانب رضاهم بالولد ، تلك الأسماء الطريفة التى خصوا بها بناتهم وعبروا بها عن الرضا بمن رزقوا منهن . فذلك الرجل الذى تقدم أنه رزق سبعة عشر إبناً وإبنة ويدعى « نيسو نفر » ، كان له من بينهم تسع بنات تخير لهن أسماء « حنوت سن » بمعنى ستهم ، « ومريت إيتس » بمعنى حبيبة أبيها ، و « بونفر » بمعنى الجمال ، و « مسحة » بمعنى التماساحة و « نوب كا » بمعنى ، ذهبية النفس ، و « سات مريت » بمعنى الإبنة الحبيبة ، وهلم جرا (١) . وأخيرا ، فلا يبعد إطلاقا أن فيما يحتفظ به مجتمعنا إلى اليوم من أغانى الهدهدة التى ترحب بالبنت ترحيبها بالولد ما يعبر عن روح القناعة والرضا التى اتصف بها الخلق المصرى القديم ثم أورثنا إياها .

وليس من الغريب بعد ماتقدم ذكره من حرص الأزواج المصريين على إنجاب الأطفال أن يكون إزاءه حرص مضاعف من زوجاتهم على الحمل ونجاحه ، وذلك إشباعا منهن لغريزة الأمومة من ناحية ، وإشباعا لرغبة أزواجهن الملحة فى النسل من ناحية أخرى . وفى المخطوطات المصرية كثير مما ينم عن إلحاح المصريات فى توقى العقم ، عن طريق الالتجاء إلى أهل الطب (٢) وإلى أهل السحر حينا (٣) ، ثم إلى فيض الآلهة (٤) ومن يتوسمن فيه إرادة الخير من الموتى حيناً آخر (٥) . على أنه يبدو مع ذلك أن

= أبناءهم الذكور . فيشتركن معه فى زيارة المعبودلدى تقديم الهدايا وحين إعلان النصر وعند استقبال السفراء وفى الولائم الرسمية .

N.M. de G. DAVIES
Amarna I, pl. 22, III, pl. 8 ; IV, pl. 5 ; VI, pl. 3
Ibid., II, pls. 10, 33 ; III, pls. 16, 17, VI, pls. 2, 7
Ibid., III, pls. 4, 6
Ibid., I, pl. 38
Ibid., II, 37.

(١) H. JUNKER, Giza III, 177.

(٢) تضمنت بردية مخصصة لأمراض النساء أربع طرق على الأقل يتبين بها الطبيب المخصبة من العقيم F.L. GRIFFITH, Kahun Papyri, pl. VI, Nos. 28, 29, 31 وتضمنت بردية أخرى (بردية برلين الطبية) أربع طرق أخرى . Berlin Med. Pap., vs. 1, 3-4 ; 5-6 ; 1, 7-8 ; 2-5)

(٣) عثر على صحن نقش باطنه كله وما حول حافته بصور الضفادع ، وكانت الضفدع « حقت » من أهم رموز الإخصاب والكثرة . ولا يبعد أنه كان فى حوزة راق أو ساحر يستخدمه فى علاج العواقر بطريقة ما .
W.F. PETRIE, Amulets, London 1914, p. 12 ; F. PETRIE, Hyksos and Israelite cities, pls. XXXII, XXXIV B.
ومن التمائم التى يرجح لبسها رغبة فى الحمل أو نجاحه ماكان يشكل بهيئة الآلهة « تاورت » ربة الحبالى W.F. PETRIE, Amulets, pls. 99, 102. وبهيئة الضفدعة « حقت » . Ibid., pl. 18 a-p

(٤) Pap. Harris 500, vs. 4, 1 وكان من نعوت « خنسو » أنه « من يجعل النساء مثمرات .... ويجعل البذرة تنمو فى رحم الأم » . Budge, The Gods of the Egypt., I, 448. ووصف إيمحوتب بعد تأليهه بأنه من يهب الأولاد لمن لا أولاد له BRUGSCH, Thesaurus, 783 وفى نص أخروى « ... إن حتحور سوف تجعل زوجاتكم يحملن ذكوراً وإناثاً إذا تلوتم « حوتب دى نيسو » (G. FOUCART, *Egyptian* *Children*, in Hasting's Encycl., III, p. 538) ونسب إلى الحتحورات السبع أنهن يهبن الأولاد . (AeZ, LXI, 83)

(٥) تراجع حاشية ٩ ص ١٦ ومثله ثلاثة تماثيل كتبت عليها دعوات بطلب الأطفال من الموتى .
Berlin 14517 ; 12764 ; Louvre E. 8000 (*see*, S. SCHOTT, in J.E.A., XVI, pl. X ; Ch. D. NOBLECOURT, in Bull. de l'Inst. Franç. d'Arch. 1953, p. 39).

الإلحاح فى طلب الولد لم يبلغ بأصحابه وصويحباته حد الشطط ، إذ أنه لم يكن هناك ما يمنع الأم من توقى الحمل إذا ضعفت عنه أو تخوفت معه العجز عن تربية صغارها اذا تعاقب الواحد منهم إثر الآخر . ويدل على ذلك اهتمام الطب المصرى بإيجاد طرائق لمنع الحمل عاماً أو عامين أو ثلاثة أعوام (١) .

ومن متون المصريين ما ينم عن أنهم قد قدروا ما يحتاجه الجنين فى فترة الحمل من تغذية وتنفس ، وما يكون فيه إذ ذاك من حياة . فتحدث أحدها عن فضل الإله الذى يحفظ الجنين فى بطن أمه ويهدئ من حاله فلا يبكى ، والذى يمد الفرخ فى بيضته بالهواء ليبقيه حياً ، ويهبه القوة ليثقب بيضته ثم يخرج منها قادراً على أن يصوى بكل قواه ويمشى على رجليه (٢) . على أنه إذا كان مثل هذا المتن الدينى قد جعل مرد الاهتمام بالجنين الى الإله ، فان هذا لا يحول دون القول بأن المصريين قد قدروا للأمر مسبباته وفطنوا إلى أن وسيلة إيصال الغذاء والهواء إلى الطفل إنما هى الأم ذاتها (٣) ، وأنهم تبعاً لذلك كانوا يحيطون الأم الحامل بنصيب من العناية والرعاية يتناسب مع إمكانيات الأسرة وظروفها المعيشية . والواقع أنه ليس من متن صريح يشرح أطوار العناية بالحامل ، على انه يمكن تبين صور من هذه العناية فى قيام إلهة خاصة من آلهة المصريين بحماية الحبالى وهى «تاورت» (٤) ، وفيما احتفظت به الكتب الطبية والسحرية من الوسائل المختلفة لمعرفة ما إذا كان الجنين ذكراً أو انثى ، ما يوحى بالاعتقاد بأن الحامل كانت موضع اهتمام خاص إبان حملها (٥) . وربما كان اهتمام العامة الى اليوم بتحقيق ماتشتهيه الحامل وما تفكر فيه خشية أن يتأثر بحرمانها تكوين الطفل وصحته ، أثراً من آثار التفكير القديم .

فإذا حان خروج الطفل إلى نور الدنيا كان من أمر ولادته مالا يختلف فى كثير عما كان يجرى فى مجتمعنا الشعبى حتى عهد قريب ، فكان أهل الحامل يستعينون بالقابلة (الداية) تصحبها مساعدة أو أكثر ويصحبها من يحمل لها كرسى الوضع (٦) . وإذا تعذر الوضع أو خيف أن يتعذر استعانت الحامل

---

(١) Pap. Ebers, 93, 6-8 (انظر ملحق النصوص) – وعن طرق أخرى :
A.H. GARDINER, in Hasting's Encycl VIII, 264; G.E. SMITH, The Ancient Egyptians, p. 57.

(٢) A. ERMAN, Die Literatur, 359; A.M. BLACKMAN, in J.E.A. X, 194.

(٣) انظر لذلك أيضاً ما يذكره ديودور الصقلى عن المصريين «إنهم يعتبرون الأب وحده مسئولا عن إنجاب الأطفال ، أما الأم فتزود الجنين بالغذاء والجنة» Diodorus 80

(٤) ويحتمل أن تماثيلها الصغيرة التى وجدت ببعض المعابد ، كانت لها بصفتها ربة الوضع والرضاع (L. BORCHARDT, Sahure, I, 130) وكان من هذه التماثيل ماهو مجوف مما يدفع إلى الظن بأنه كان يوضع فيها قطع من ملابس المرأة الحبلى أو أنها كانت تملأ بلبن الأم كنذر أوقربان حتى لا يجف لبن ثدييها .
(G. MOELLER, AeZ LIV, 138 f.)

(٥) كان من هذه الوسائل أن ينقع فى بول الحامل قليل من الحنطة وقليل من الشعير ، كل فى كيس على حدة ، فإذا نبت الشعير كان الجنين ذكراً ، وإذا نبتت الحنطة كان الجنين أنثى (Berlin Med. Pap., vs. 2, 2-5) ويعلل F. LEXA ذلك بأن المصريين ظنوا أن البول يتصل بالجنين وأنه يؤثر فيه أو يتأثر به ، وعلى هذا فقدرة البول على إنماء الشعير المذكر تدل على أن مافى بطن الحامل ذكراً ، وقدرته على إنماء الحنطة المؤنثة تدل على أن مافى بطنها أنثى . (La Magie dans l'Egypte Antique, Paris 1925, Vol. I, p. 71)

(٦) Pap. Westcar, 10, 7 f.; see, A.M. BLACKMAN, in J.E.A. 1936, 42-3; FAULK-NER, J.E.A. 1951, 114; also, G. MASPERO, Les Contes Populaires de l'Egypte ancienne, 4 éd., Paris, 1911, p. 39; and Cairo 36353.

وأهلها بالوسائل الطبية . وذكرت بردية إيبرس أحد عشر دواء قيل عنها انهالتيسير «استخلاص الوليد من بطن السيدة» (١) ، او استعانت برقى رجال الدين أو رقى السحر ، فثمة رقية اشترطت أن يتلوها الكاهن المرتل بنفسه على قالبي الولادة ويوجهها إلى «نوت» ربة السماء باسمها «مسخنت» (٢) ، ورقية أخرى سحرية اعتبرت عسر الولادة تآمراً من أرواح شريرة ينبغي معه الاستعانة بالإله رع وتاسوع عين شمس وتاسوع خم ضدها (٣) . فإذا تم الوضع قطع الحبل السرى للمولود وغسل بالماء وأرقد على مهد مناسب صورته قصة رودجدة التى ردت أحداثها إلى بيت متوسط الحال من الدولة القديمة، على هيئة قوالب من اللبن تغطى بقطع كتانى بسيط (٤) . وهذه الخطوات التى كان الطفل يعامل بها حين الولادة يغلب أن كانت صلتها بإيثار النظافة الباطنية والظاهرية له ، شأنها فى ذلك شأن ما اعتاده المصريون من تخفيف شعور الأطفال وختنهم مما سيرد تفصيله فى فصل تال . وفى قصص ومناظر ولادة الملوك ، وهى المصادر الوحيدة الباقية عن ظروف الوضع (٥) ، كثير مما لا يتسع المجال لبحثه عن العقائد والملابسات التى كانت تحوط الوضع ، وأخصها الاعتقاد فى إشراف آلهة وآلهات معينة عليه مثل : خنوم وحقت وحتحور ومسخنت وتاورت فضلا عن الربتين الأثيرتين إيسة ونبت حت (أى إيزيس ونفتيس) ، ثم استقبال المولود بمظاهر الفرح والحبور وإسباغ الأمانى الغالية عليه (٦) . ومهما يكن من إسراف هذه القصص والمناظر فيما صورته عن مواليدها المملكين ، فمما لايقبل الشك أن تدين المصريين القدماء عامة كان يدعوهم إلى أن يذكروا آلهتهم فى ظروف الوضع وحين نجاحه ، وقد قالوا عن ربهم أمون إنه من تلد الحامل حين تنطق باسمه (٧) .

(١) Ebers, 94, 14 f. — انظر ملحق النصوص .

(٢) A. ERMAN, Zaubersprüche für Mutter und Kind, 4, 5, 8 f.

(٣) Pap. Mag. de Leide 1348, vs. X, 12, 8.

(٤) انظر ملحق النصوص .

Westcar, 10, 11; see, J. MORGOULIEFF, Etude critique sur les monuments antiques repérsentant des scènes d'accouchement, Paris, 1893, p. 10; A.H. GARDINER, in AeZ, 1930, 71 M. PILLET, *Les Scènes de Naissance...*, in Ann. Serv. 1954, 77 f.

(٥) A. ERMAN, Die Marchen des Papyrus Westcar, 10 7 f.; NAVILLE, Dier el Bahari, II, pls. XIV f.; GAYET, Louxor pl. LXIV f. M. PILLET, op. cit.; E. CHASSINAT, Le Mammisi (Mem. de l'Inst. Franç. XVI).

(٦) وكان من ذلك أن وصفت قصة رودجدة أوائل ملوك الأسرة الخامسة حين ولادتهم فقالت إن كل طفل منهم كان يبلغ الذراع طولا ، وكان متين العظام نقشت ألقاب الملكية على جسده بماء الذهب وتوج رأسه إكليل من اللازورد الحر . وقيل عن حاتشبسوت حين ولادتها إن الأرباب وهبوها الفطنة وهى لا تزال فى البيضة ، ووصف أمنحوتب الثانى فى طفولته بأنه طفل من نضار أبيض . وقال الإله بتاح إنه شكل بدن رمسيس الثانى من الذهب وشكل عظامه من النحاس .

والغريب أن كبار الأفراد بل وأواسط الناس لم يكونوا أقل إسرافاً من الملوك فى إسباغ الأمانى الغالية على أطفالهم ، فقد قيل عن بعض حكام الأقاليم فى عصور الدولة الوسطى إن كلا منهم تهيأ لحكم إقليمه وهو لا يزال بطول الذراع ، وتمنت متون التوابيت أن يولد أصحابها من جديد فى عالمهم الثانى وفقار ظهر كل منهم من اللازورد وجسده من النضار الأبيض ورقبته من الذهب . وتمنت إحدى الرقى لطفلها أن تكون له طلعة الإله رع وجبهة الإله ست ووجنة الربة نيت وحاجبا الربة حتحور وعينا رب البشرية وأنف الإله تحوتى وقلب الإله مونتو وعقل الإله أتوم!

(٧) CHASSINAT, Mammisi d'Edfu, 25.

ومن المعروف أن لتسمية الطفل أهميتها لدى أبويه ولها أثرها فى الطفل ذاته أحياناً ، كما أنها لاتخلو من دلالات بالنسبة لدراسة المجتمعات القديمة .

وقد تشابهت أسماء المواليد فى مصر القديمة مع أسمائهم فى مصر الحديثة فى عدة نواح اخصها، غلبة الطابع الدينى فيها بربطها بأسماء الأرباب ، وتسمية الطفل فيها باسم أحد جديه أو والديه ،أو باسم الحاكم أو ولى عهده إذا ولد معه ، أو باسم أحد الحكام القدماء المشهورين ،وتسميته باسم يعتز به ، أو باسم يبعد الحسد وعين الشر عنه ، وتسميته بصفة جسمية تميزه ، وتسميته بما يعبر عن وضعه بين إخوته ويميزه عنهم كأن يكون ذكراً وحيداً بين إناث أو أنثى وحيدة بين ذكور ، أو يكون أول من أنجبه أبواه بعد عقم طويل ، واشتقاق اسمه من ظروف ولادته أو من عبارة نطقت أمه بها حين ولادته ، وتسميته بيوم مولده أو باسم مناسبة دينية أو وطنية ولد خلالها ، ثم نسبته إلى بلدته أو مكان ولادته .

فعلى نحو ما نقول الآن إن خير الأسماء ما عبّد وحمّد مدفوعين بدافع التدين ، شاعت بين أسماء المواليد المصريين أسماء عبرت عن روح التدين فى أسرهم أصدق تعبير ، وكان من هذه الأسماء ما يربط بين المولود وبين معبود قومه برباط التبعية ، أو يربط بينهما برباط القرب والمحبة ، أو رباط الشكر ، أو رباط التعبد والإيمان ، أو رباط التوكل ، وهلم جرا .

وتأثرت أمثال هذه الأسماء ذات الصبغة الدينية باختلاف الأحاسيس والتطورات الدينية التى ميزت بين كل عصر وعصر آخر من عصور مصر القديمة .

فشاعت فى عصور الدولة الوسطى على سبيل المثال ، أسماء تجعل الطفل ابناً للإله أو أخاً له ، وأسماء تسمى الطفل باسم إلهى خالص أو باسمين إلهين ، وكان الوالدان حين يبغيان اختصار أمثال هذه الأسماء لايأبيان أن يناديا الطفل باسم المعبود نفسه ، وكان ذلك فى بعض أمره أثراً من آثار الثورة الطبقية التى انتهت بها عصور الدولة القديمة وأطاحت بكثير من الفوارق الاجتماعية والسياسية والدينية التى كانت تفصل بين الناس وبين حكامهم وقربت بالتالى بينهم وبين أربابهم(١) .

وعلى نحو ما يجرى فى أغلب المجتمعات القديمة والحديثة ، يلاحظ أنه على الرغم من أن أغلب الأسماء تفقد مدلولها الحرفى بعد شيوعها وبعد أن يستعملها الناس بحكم العادة ويتوارثوها دون تفكير فى أصولها ، إلا أنه كثيراً ما تثبت إزاءها مجموعة أخرى من الأسماء والكنيات ذات المدلول الواضح التى يطلقها الأبوان على الحدث فى صغره ثم تغدو بعد ذلك ألصق به من اسمه فى صغره وكبره ، ويكون لها من وضوح المدلول ما يمكن أن تؤثر به فى شخصيته وفى معاملة الناس له عن قصد وعن غير قصد ، تأثيراً ينفعه أحياناً ويضره أحياناً أخرى .

فمن الأسماء المصرية التى تتصف بالمدلول الواضح ويحتمل تأثيرها الطيب فى شخصيات أصحابها أسماء « باماى » أى السبع ، و « وسرحات » أى الجسور ، و « سنزم إب » أى مسعد القلب ، و « إوف نى بسش » أى هو لى شريك ، و « إوف نى رسن » أى سيكون لى أخاً .

---

(١) Compare, H. RANKE, Die aegyptischen Personennamen, I-II, Glückstadt, 1935 ; « *Les noms propres égyptiens* », in Chronique d'Egypte, 1936, 293 f.

وما من شك فى أن أمثال هذه الأسماء يختلف تأثيرها عن أسماء أخرى أرادت الأمهات أن يدفعن الحسد وعين الشر بها عن أطفالهن مثل « جار » أى عقرب ، و « نرخيسو » أى « ما أعرفهوش » ، و « بورخف » أى العبيط ، فما من شك فى أن أمثال هذه الأسماء كانت تعمل عملها فى التهوين من شأن أصحابها فى أنفسهم وفى نفوس من يتعاملون معهم دون ذنب جنوه ، وإن كانت فى أغلب الظن أكثر شيوعاً فى الأوساط الدنيا منها فى الأوساط المثقفة .

ومن الراجح أن نسب المولود كان يرد إلى أبيه منذ الدولة القديمة (وذلك على خلاف الرأى الذى قال به باحثو الجيل الماضى عن تواتر النسب فى مصر القديمة عن الأم والاهتمام بذكرها ثم الوراثة عنها أو بوساطتها) (١) وممن ساهموا فى هذا الترجيح J. Pirenne (٢) إذ أثبت من دراسته لنحو ٩٢ سلسلة نسب من الدولة القديمة أن ٤٤ منها ذكرت الأب والأم معاً ، وأن ٣٧ منها اكتفت بالأب وحده ، وأن ١١ منها فحسب اقتصرت على الأم وحدها . وتبين بيرن فى هذه الأنساب أنه كثيراً ما كان يذكر الجد الأول والثانى من ناحية الأب فى حين أنه قليلا ما ذكر الجد للأم . وعلل اهتمام الحالات القليلة بذكر الأم وحدها بأن تكون هذه الأم من الأسرة المالكة فأورثت ابنها لقباً نبيلا ، أو أن تكون ثرية فورثته شيئاً ذا قيمة ، أو أن يكون الولد غير شرعى فلا ينسب لأب .

بيد أننا نلاحظ أن نسبة الشخص إلى أمه واضحة فعلا فى الدولة الوسطى وإن لم تكن دائمة الاتباع ، ولايزال أمرها باقياً دون تعليل مرض . فكثير من نصب ذلك العصر تذكر اسم الأم للمتوفى ولأولاده وللمذكورين أو للمصورين معه من خدمه وموظفيه ومرضعته وأقاربه وأصدقائه (٣) . وقد يتيسر تعليل ذكر الأم بالنسبة للأولاد نظراً لوضوح نسبتهم إلى أبيهم صاحب النصب الذى صورهم معه ، أو فى حالات الجمع بين الزوجتين (٤) ، كما يحتمل تعليله بالنسبة لبعض الخدم بافتراض أن بعضهم كانوا إماء ومن رقيق الحرب الصغار وما أشبه ذلك . أما ذكر أمهات الأقارب وأصدقاء المتوفى فتعليله غير يسير .

أما فى الدولة الحديثة فالغالب ذكر الأب والأم معاً أو ذكر الأب وحده ، وإذا ذكرت الأم يكون من عوامل ذكرها ما قدمناه عن ظروف ذكر الأم فى الدولة القديمة ..

وجدير بالذكر مع ما تقدم ، أنه ما من وثيقة حكومية أو قضائية فى عصر من عصور مصر القديمة ذكرت اسم الموظف منسوباً إلى أمه (٥) ، ويمكن أن يضاف إلى ذلك أنه ما من قصة أدبية ذكرت اسما وردته إلى أمه ، بل النسب فى كل ذلك إلى الأب دائماً .

---

(١) عن آراء كل من : A. MORET ; J.H. BREASTED ; A. ERMAN and H. HALL
يراجع المصدر التالى .

(٢) J. PIRENNE, Histoire des Institutions et du Droit privé de l'Ancienne Egypte, Bruxelles 1935, t. III, p. 382 f.

(٣) MARIETTE, Cat. d'Abydos, 387, 594, 614, 618, 625, 635, 649, etc.
ولو أنه يوجد من النصب مايذكر الأب مثل : Ibid., 388, 574, 634, 659, 677, 710, 730

(٤) Cairo 20750

(٥) J. PIRENNE, op. cit., p. 395.

وليس من نص صريح معروف حتى الآن يثبت قيد المواليد فى سجلات الحكومة فى العصور الفرعونية ، غير أن هناك عدة احتمالات قد تنم عليه . فقد حرصت قوائم إحصاء السكان فى عصور الدولة الوسطى على تسجيل أسماء أطفال كل أسرة وأعمارهم ، وجاء فيها مايذكر وليدا يدعى سنفرو ، وطفلا فطيما تحمله أمه ، وطفلا عمره سنة وثلاثة شهور.. إلى آخره (١). وظهر فى مناظر ولادة حاتشبسوت بالدير البحرى وولادة أمنحوتب الثالث بمعبد الأقصر ، اثنان يمثلان المعبودين تحوتى وسشات راعيى الكتابة والحساب يسجلان اسم المولود بينهما (٢) . وذكرت قصة خعمواس ، وهى قصة من العصور المتأخرة ، عن أمير ردته إلى أيام الدولة القديمة أنه عندما ولد له ولد « سجل فى كتاب (؟) دار الحياة » (إن لم يكن سجل بكتابة (؟) دار الحياة أى بالكتابة الهيروغليفية) (٣) .

ويمكن أن يضاف من جهة أخرى أن فى النصوص المصرية ما يحتمل معه أن الأبوين كانا يحرصان على تسجيل المواريث والوصايا بأسماء أبنائهما وبناتهما فى سجلات الدولة أحياناً (٤).

وليس من المستبعد أن حرصهم على هذا التسجيل كان يقابله تسجيل لأسماء مواليدهم (الذين كانوا يتمنون أن يرثوهم ليس فى ممتلكاتهم وحدها وإنما فى مناصبهم أيضاً) فى سجلات الحكومة منذ مولدهم سواء برغبتهم أو بناء على توجيه حكوماتهم . ولو أنه ليس من بأس فى أن نضيف أنه إذا وجد توجيه من الحكومات القديمة لتسجيل المواليد حقاً ، فالأرجح ألا يكون أساسه أنهم سيرثون آباءهم فى وقت ما ، وإنما لحاجتها إلى تجنيدهم وتجميعهم لخدمة مشاريعها الخاصة والعامة ، وباعتباره إجراء ضرورياً مكملا لأنظمتهما الإدارية والإحصائية التى ظهر منها من فترة إلى أخرى تعداد السكان كما أسلفنا أعلاه ، وتعداد الطوائف (٥) ، وإحصاء الماشية (٦) ثم إحصاء مساحات الأراضى ومنتجات مناجم الذهب (٧) .

---

(١) F.Ll. GRIFFITH, Hieratic Papyri from Kahun, pl. IX, p. 19 f., 28 ; see also J.H. BREASTED, Anc. Rec., I, 106.

(٢) E. NAVILLE, op. cit., pl. 55 ; L.D. III, 75 ;and see G.A. WAINWRIGHT, in J.E.A., XXVI, p. 32.

(٣) F.Ll GRIFFITH, The Stories of the High Priests of Memphis, pl. 19.

(٤) For example : Urk. I, 2, 14-16 ; A. MORET, in Rec. Tr. 24, 57 f. ; Rev. Eg. 1933, 89 ; Pap. Turin 2021, 4, 2-3. *BUT COMPARE PIRENNE* and *STRACMANS*, Le testament dans l'Ancien Empire Egyptien

(٥) Urk. IV, 1006

(٦) BREASTED, op. cit., 145

(٧) Ibid., 137

الفصل الثانى

الطفولة المبكرة

(أ) فترة الرضاعة :

كان من قول الاديب المصرى نب ماعت رع بخت الذى عاش فى القرن الثانى عشر ق . م :

« ... إن الأم الولود وإن لم يبق هم لقلبها (بعد الولادة) تظل تدأب على إرضاع ولدها وعلى أن يظل ثديها فى فمه باستمرار »

وما من شك فى أن النمو (١) الجسدى للرضيع يتأثر بداءة بمبلغ عناية أمه بإرضاعه ، كما يتأثر بمقدار وقايتها له من نوازل الطفولة ثم بطريقة علاجه من هذه النوازل إذا ألمت به .

وليس بين المصادر المصرية ما يشير إلى فترة الرضاعة للطفل أو للطفلة غير متن أدبى واحد من الدولة الحديثة ، وهو تعاليم « آنى » لولده « خنسوحوتب » . فى فقرة منها يدعو الأب آنى ولده إلى أن يضاعف من برّه بأمه ويبصره لهذا بما أسلفت له من رعاية فى طفولته العاجزة ، فيقول « وإذ ولدت بعد أشهرك تكفلت(؟) بأن تسلم ثدييها لفمك خلال ثلاثة أعوام ، متحملة أذى قاذوراتك دون أنفة قلب قائلة : ما الذى أفعله ! » (٢) . وقبل الباحثون هذه الثلاثة الأعوام التى يذكرها « آنى » لرضاعة ابنه على علاتها ، ولكن يبدو أن قبولها على أنها الفترة المعتادة للرضاعة فى مصر القديمة يحتمل بعض الشك . وهذا الشك يبرره أن الأم المصرية ، والقروية خاصة ، ماكان يتيسر لها مع تكفلها بأعباء البيت كاملة ومعاونتها لزوجها فى كثير مما يتصل بعمله ، أن تظل مرتبطة برضيعها طوال هذه المدة . ومع ما أثر عن شغف الآباء والأمهات بكثرة النسل يمكن أن يستبعد أيضاً انتظار أم ثلاث سنوات دون حمل ، وذلك فضلا عن أن رضاعة الطفل لثلاث سنوات هى فى حد ذاتها أمر غير طبيعى ولا تستدعيه فى العادة غير حالة مرضية لديه أو رغبة شديدة من الأم فى تدليله . وعلى هذا فما من بأس فى الاعتقاد بأن « آنى » قد آثر إطالة مدة الرضاعة عن عمد فى حديثه مع ولده ليعظّم له جليل فضل أمه عليه . ولو أن هذا لا يحول دون الإشارة إلى أن من الباحثين من أيد ما جاء فى متن « آنى » بما يقال من أن فترة الثلاث السنوات هى المدة المعتادة للرضاعة فى بعض القبائل الإفريقية البدائية (٣) . كما أن من باحثى الحضارة البابلية من أشار إلى وثيقة تذكر مثل هذه المدة لرضاعة وليد (٤) . وإن كنا نذكر من جهة أخرى أن القرآن الكريم قد أجمل فترة الحمل والرضاعة حتى الفطام جميعا فى ثلاثين شهرا (سورة الأحقاف . الآية ١٤)

---

(١) أنظر ملحق النصوص, Pap. Lansing, 3, 2; see A.M. BLACKMAN and T.E. PEET, in J.E.A., XI, p. 287.

(٢) A. ERMAN, Die Literatur, 299 — انظر ملحق النصوص .

(٣) G. FOUCART, (Egyptian) Children, in Hasting's Encycl., III, p. 533

(٤) T.G. PINCHES, (Babylonian) Children, in Hasting's Encycl., III, p. 527

ومن المناظر والتماثيل ما يمثل عدداً من الأوضاع التي كانت الأمهات يتخذنها حين الرضاعة . فمن كن يجلسن على الأرض أو يفترشن الحصير كان أكثر أوضاعهن شيوعاً هو أن تفترش الأم ساقيها تحتها وتضع رضيعها فوق فخذها (١) ، وأقل أوضاعهن شيوعاً هو أن تقيم الأم ساقاً وتثني الأخرى ثم تسند رضيعها على ساقها المنتصبة (٢) . أما ذوات النعمة من الأمهات فصورتهن مناظرهن وتماثيلهن يتبوأن المقاعد ذات المساند وغير ذات المساند ويضعن أطفالهن على حجورهن في استرخاء مريح وينعمن مع الإرضاع بأطايب الغذاء ورعاية الإماء والخدم . (لوحتا ٣—٤) (٣) وقد ترضع المرضع طفلها وهي واقفة تحمله بين يديها وتضمه إلى صدرها . ومن المناظر كذلك ما يصور الآلهات يرضعن الملوك الأطفال وهن واقفات (٤) ، على أنه يغلب أن هذا الوضع الأخير لم يكن يعبر عن الواقع لاسيما وأن الملوك المصورين في هذه الحالة يبدون غالباً في سن متأخرة عن سن الرضاعة الحقيقية . والسائد أن يصور الطفل أو يمثل على حجر أمه قائماً أو جالساً بميل خفيف إلى الخلف دون وضع الرقود ، ولعل مرجع ذلك هو ما كان يتوخاه الفنان المصري من إظهار أكبر جزء ممكن من جسم ما يمثله ، وتحاشي إخفاء وجهه قدر الاستطاعة . واتبع الفنان الأمر نفسه حتى حين إخراجه للصور الثانوية التي لم يكن يبتغي منها إظهار طفل بذاته (٥) .

كانت المصرية تتخذ إزاء عملية الرضاعة ما تتخذه غيرها من الأمهات ، فهي كما تنم البرديات والآثار الصغيرة كانت إذا استشعرت جفاف لبنها استعانت بوسائل التطبيب التي يعرفها عصرها أو تعوذت بالتمائم والرقى ، وذلك بطبيعة الحال إلى جانب ما كانت تتواضع عليه النساء من وسائل أخرى لم تكتب ولم تتبق منها بقايا مادية . وتضمنت بردية إيبرس الطبية وسيلتين «لإدرار لبن مرضعة تربي طفلا» (٦) أوصت إحداهما بأن تحرق المرضعة فقار سمك في الزيت وتسحقها ثم تدلك بها سلسلة ظهرها . وأشارت الثانية بأن تستعين المرضعة بعفن الخبز فتحرق رغيفاً عفناً وتخلطه بنبات معين اسمه خساو ، ثم تأكل من هذا الخليط وهي جالسة تفترش ساقيها تحتها . وتضمنت نفس البردية وسائل أخرى لعلاج ثدي المرضعة وأرفقتها برقية تكفل

---

(١) B. BRUYERE, Rapport sur les fouilles de Deir el Medineh, 1952, p. 33, No. 1.
وأغلب ما يمثل الربة إيسة ترضع طفلها من تمائم بين عصر الأسرة السادسة حتى عصر السادسة والعشرين يمثلها بهذا الوضع (PETRIE, Amulets, pl. 148) انظر أيضاً ما تشترطه الوصفة الطبية للمرضعة أدناه . حاشية ٦ .

(٢) J.D. COONEY, Egyptian Art in the Brooklyn Mus. Collection, 1952, Fig. 28, No. 43157 ; W.C. HAYES, The Sceptre of Egypt, New York 1953, Fig. 138 a

(٣) B. BRUYERE, op. cit., Fig. 14, 1 ; p. 62 ; also Rapport 1924-25, Fig. 57
J. COONEY, op. cit., 4874 وأغلب تمائم الربة إيسة ترضع طفلها فيما بعد عصر الأسرة السادسة والعشرين تمثلها هكذا . (PETRIE, op. cit., pl. 148)

(٤) A. MARIETTE, Abydos, I, pl. 25 وقد تجلس الإلهة على المقعد ويقف الملك بجانبها يرضع منها J. CAPART, Temple de Seti, I, p. 14 وصور وضع غريب في العمارنة وضعت فيه المرضع طفلة على كفها وأعطتها ثديها . (Mem. de l'Inst. Franç., VIII, pl. IV)

(٥) N.M. DAVIES, Ancient Eg. Paintings p. L على أنه في مجموعات التماثيل القابعة اضطر المثال إلى التجاوز عن إظهار جسم الطفل والاكتفاء باظهار وجهه . Cairo, 42114 42115 ; 42171 ; Berlin 2296 ; An. Serv. XX, p. 143)

(٦) Ebers, 97, 10-12 (انظر ملحق النصوص).

شفاءه» كما شفي ثدي الربة إيسة (؟) حين آلمها في أوسيم بعد أن وضعت شو وتفنوت » (١) . وتضمنت بردية برلين الطبية ست وسائل أخرى لعلاج ثدي المرضعة (٢) .

أما النساء اللآئي كن يعتقدن في نفع التمائم ، فيتم عنهن أنواع من التمائم منها ما شكل على هيئة الثدي ويحتمل وضعه على الثدي ذاته (٣) ، ومنها ما صنع من صفائح رقيقة صغيرة من الخزف والمعدن على هيئة الربة إيسة وهي ترضع طفلها (٤) ، وما هو على هيئة الربة تاورت ذات الثديين الممتلئين (٥) ، وما يمثل الربة حتحور في هيئة البقرة الواقفة أو الباركة ، وما يمثلها في هيئة إنسانية بوجه البقرة ، وما يكتفي منها بالوجه وحده في هيئة إنسانية أو حيوانية (٦) . وكن يعلقن هذه التمائم على الصدر والثدي .

وتوفر للرقى السحرية دورها في إدرار اللبن ، وكانت منها رقية تسخر الآلهة الكبرى لغايتها ، فتقول « يامن في الماء عجل وقل لهذا المقيم في مقره القدسي ولمسخنت التي تتبعه ... ووازة ربة دب أن اجروا لها فيضاً من ابن غزير » (٧) . وتعويذة أخرى جعلت جفاف اللبن من عمل روح شريرة ونوعاً من إيذاء الموتى ، ونصحت لهذا بكتابة رقية معينة تعلق في عنق الطفل نفسه (؟) .

(ب) استخدام المراضع — في الدولة القديمة :

عرفت قصور الفراعنة وبيوت الأثرياء استخدام المراضع منذ الدولة القديمة على أقل تقدير . فقد اتخذ من يدعى « كابو بتاح » لقب « مدير مقر (أو دار) الرضاعة » (٨) وضم إليه مهمة الإشراف على المربين وتعليم أبناء الملك . وأن يعين رئيس لمقر الرضاعة (الذي سمي بعـــد ذلك في الدولة الوسطى باسم بيت المرضعات) ، لمما ينم عن أهمية خاصة كانت تولى له ولمرضعاته . ومن أثرياء عصر الأسرة السادسة صور من يدعى « كاوحمو » عدداً من أبنائه وصور خلفهم « المرضعة ذات الوقار التي ربتهم » (٩) . ويوجد غير هذين الدليلين على استخدام المراضع في الدولة القديمة

---

(١) Ebers, 95, 7-14

(٢) Berlin Med. Pap. II, 1-5

(٣) W.F. PETRIE, Amulets, London 1914, pl. 8 a-b ; p. 10

(٤) حاشية ١ ، ٣ ص ٢٤ — وبعض هذه التمائم له ثقب لتعليقه . (Ibid., pl. 148 a-m)

(٥) Ibid., pl. 235-6

(٦) Ibid., 170-1, 208-10, p. 37-38 على أنه يلاحظ أنه لما كانت صنوف التمائم السابقة قد وجدت بالمقابر ، فإنه لا يتيسر معرفة ما كان يخصص منها للاستعمال الدنيوي وما يخصص للاستعمال الأخروي — انظر ص ٤٨ .

(٧) A. ERMAN, Zaubersprüche für Mutter und Kind, Berlin 1901, L. 7, 6 f. ; O 9, 7, rt. 2, 2

انظر ملحق النصوص .

(٨) W. HELCK, Untersuchungen zu den Beamtentiteln den ägyptischen Alten Reiches, 109, Anm. 15.

وذكر هلك لصاحب هذا اللقب تمثالا محفوظاً بمخزن المتحف المصري بالقاهرة — ولم أتمكن للأسف من التعرف عليه ، وحال ذلك دون التعقيب هنا بشيء عن مكانته وتعيين عهده . — (انظر ملحق النصوص)

(٩) L.D., Text II, S. 61 — انظر ملحق النصوص .

دليل آخر دونهما وضوحاً وإن كان فى بعض صوره أسبق عهداً منهما . وهو إطلاق لفظ المرضعة «منعت» فضلا عن الحاضنة «خنمت» والمربية «شدت» على عدد من القرى والضياع التى ذكرها الملوك والأثرياء ضمن أملاكهم منذ بداية عصر الأسرة الرابعة على أقل تقدير .

فقد سميت ضيعة باسم مرضعة سنفرو (١) ، وارتبطت ضيعتان أخريان باسم خوفو : فسميت إحداهما مرضعة خوفو (٢) وسميت الثانية حاضنة خوفو (٣) . وأطلق على إحدى ضياع الأمير «نفرماعت» اسم المرضعة (٤) ، وكان من ضياع الوزير بتاح حوتب فى عصر الأسرة الخامسة ضيعة سميت «المرضعة» أيضاً (٥) ، ومن ضياع أميرة تدعى «يابتت» ضيعة سميت المربية (٦) ولموظف كبير يدعى «كام نفرة» ضيعة سميت «حاضنته» (٧) . وفى عصر الأسرة السادسة كانت «لمرروكا» ضيعتان أضيفتا إلى اسم التدليل له، فسميت إحداهما مرضعة سشسشت ، وسميت الثانية حاضنة سشسشت (٨) . وإطلاق هذه الأسماء على القرى والضياع يحتمل أكثر من فرض واحد :

فقد تعنى هـــذه التسميات أن موارد ضياعها وهبت بادئ ذى بدء لمن قمن بالإرضاع أو الحضانة أو التربية لأصحابها الأثرياء ، بمعنى أن تكون ضيعة مرضعة خوفو قد خصصت مواردها منذ طفولة صاحبها وعن طريق أبويه للقيام بنفقات من قامت بإرضاعه ، وأن يكون هذا هو أمر ضيعة حاضنته أيضاً (٩) . فلما انقضت طفولته أو انقطعت صلته بمرضعته وحاضنته أصبحت الضيعة تخدم جانباً من مطالبه الخاصة وإن ظلت تحتفظ باسمها القديم . ويزكى هذا الفرض أنه فى وثيقة من بلاط أحد ملوك الأسرة الثالثة عشرة مايذكر «أهل بيت المرضعات» (١٠) ثم يفرد لهن مقاديرهن الخاصة من الطعام والشراب باعتبارهن جماعة لها كيانها الخاص الذى يميزها عن غيرها من ساكنى القصر (١١) . ويزكيه كذلك أمر يتصل بخوفو ذاته وبضيعة مرضعته ، فارتباط اسمه الكامل وهو «خنوم خوف وى» بالإله خنوم يدعو إلى الظن بأنه ولد فى أحد مراكز عبادة خنوم أو قربها ، وقريب من «منعت خوفو» يقع بالفعل أهم مراكز عبادة خنوم فى مصر الوسطى وهو «حرور» (١٢) . وعلى هذا فارتباط هذه الضيعة أو القرية

---

(١) F. PETRIE, Medum, pl. XIX

(٢) P. NEWBERRY, Beni Hasan I, 44 ; H. GAUTHIER, Dict. des noms géog. III, p. 36.

(٣) H. JUNKER, Giza II, Abb. 28 انظر هامش ٨ و WB. III,293-4

(٤) F. PETRIE, op. cit., XIX, 1

(٥) MAR., Mast. D 62

(٦) H. JUNKER, Giza II, Abb. 51, S. 225 Anm. 4

(٧) S. HASSAN, Excavations at Giza II, Fig. 137

(٨) Mereruka B3 ; JUNKER, Giza III, 82, 83 ; and compare : Pap. Anast. IV, 10, 3.

(وراجع ملحق النصوص عن الحواشى ١، ٢، ٣، ٦، ٧، ٨) .

(٩) فى قصة الأخوين مايميز بين المرضعة وبين الحاضنة – تراجع ص ٣٣ .

(١٠) Pap. Boulaq XVIII,, (vars. pls. XVIII-XIX,XXIII, XXXI ; AeZ 28, 65 f. ; 29. 100 f. ; Rec. Trav. XXVI, (81) (انظر ملحق النصوص) .

(١١) Ibid., pl. XXXI أنظر ملحق النصوص

(١٢) E. NAVILLE, Deir el Bahari, II, pl. XLVIII, p. 14

« منعت خوفو » بطفولته الدنيوية يمكن أن يرجح ، ولا يبعد معه أن المرضعة قد اختيرت من نفس القرية أو مما يقربها فأقطعت لها طالما كانت تقوم بوظيفتها ثم انتقلت بعد ذلك إلى أملاك الملك (١) .

فإذا صح هذا الفرض ، أمكن أن يطبق مثله على بقية ما تقدم ذكره من ضياع المرضعات والحاضنات والمربيات التى نسبت إلى ملوك وأفراد أثرياء . وأمكن أيضاً أن نرى فى تخصيص موارد ضيعة ما لنفقات المرضعة أو الحاضنة أو المربية ما يدل على أنه كان لهن شيء من المكانة وأنهن كن يرتفعن عن مستوى الأتباع .

على أنه يمكن احتمال فرض آخر فقد تعنى تسمية الضيعة بالمرضعة أنه قد خصصت مواردها للإنفاق على طقوس تتعلق بمطالب إرضاع المتوفى فى آخرته ، فى حين تعنى تسمية الضيعة بالحاضنة تخصيصها للإنفاق على طقوس عداها تتعلق بمطالب حضانته فى آخرته كذلك .

ويبرر هذا الفرض بالنسبة إلى الملوك أن من متون الأهرام ما يصف الملك المتوفى كما لو كان طفلا ولد جديد أو بدأ حياته من جديد وأنه لهذا كان ينبغى أن يتم له كل مايتم للمولود الجديد . فقال أحد هذه المتون (٩١١ - ٩١٢) : « يا أم بيبى اعط ثديك لبيبى حتى يرضع منه ، وأنت ياولدها تناول الثدى وارضع منه بعد أن حييت (من جديد) وعدت صغيراً (من جديد) » وقال آخر « يا إبى يا أم الملك اعطه ثديك حتى يتحسسه بفمه ويرضع لبنك الأبيض الحلو الرقراق » (٣٨١) ، وقال متن ثالث : « ياموا ليد المساء (أى يا نجوم المساء) اهرعوا فقد ولد الملك ، ويا أيتها السيدتان يامن حملتماه نهاراً كونا صبورتين واحملاه وهو فى البيضة ، وما دمتما قد ولدتماه فارعياه » (٧١٤ - ٧١٥) (٢) .

وفى متون الأهرام كذلك ما يعد الفرعون بأن تقوم على إرضاعه الربات إيسة أو نبت حت أوسرقت أو إبت أو نخبة أوسخات حور أو سماورت وماشاكل هذه وتلك من الربات ذوات الصلة بأدوار الأمومة (٣) . وفى ضوء هذا الذى تذكره متون الأهرام قد لايكون من المستبعد أنه كانت تؤدى طقوس معينة لتحقيق رضاعة الملك المتوفى أو حضانته فى طفولته الثانية ، يراق اللبن فيها ، وتخصص لها قرابين تقدم باسم إلهة أو أكثر من الإلهات المرضعات اللائى يتمناهن الملك لإرضاعه وكفالته فى حياته الثانية مثل سماورت التى تتكرر مناظرها فى معبد ساحورع (٤) ، أو إلهة أخرى تكررت صورها فى معبد « نى وسر رع » (٥) .

---

(١) فيما عرف عن وقف موارد معينة على المراضع وأتباع القصر حتى عهود الخديويين فى مصر الحديثة ما يجعل هذا الفرض محتملا .

(٢) see also, J. LECLANT, *Le Role du lait et de l'allaitement d'après les Textes des Pyramides*, in J.N.E.S. X, p. 123 f. and RANKE, in IX, 228 f. وصور منظر للولادة فى العالم الآخر فى كتاب الموتى (Ch. 168) وبدت فيه امرأة تضع وبجانبها المعبود انبو يشجعها . (W. BUDGE, From Fetish to God in Ancient Egypt, London, 1934, p. 28)

(٣) See Pyr. 32 b; 707 a; 734 b; 1873 b; 2089 a — also: 371 c; 623 a; 707 a, 1345 a; 1375 a — 381 a-d, 910 b; 1109 b; 2204 a-b — 1427 c-d — 729 a; 2003.

(٤) L. BORCHARDT, Das Grabdenkmal des Koenigs Sahure; Leipzig 1910, I Abb. 15; II Abb. 18.

(٥) BORCHARDT, Ne-user-re', Abb, 21, 23 ولكن هل تعنى كثرة ماوجد من تماثيل حتحور مع الفرعون منكاورع معنى كفالة ربته الأثيرة حتحور له حتى سن شبابه ؟

أما عن الأفراد فمما يتصل بهذا الفرض بالنسبة إليهم أنه صور فى مسطبة « آخت حوتب » بالجيزة رجل اتخذ لقب « كاهن بيت الرضاعة(؟) » (١) ووضع على كفه وعاء (؟) وصحبه كاهنان آخران ، ولو أن تأكيد نسبة بيت الرضاعة الذى يخدمه هذا الكاهن ، إلى صاحب المصطبة بالذات (٢) أو لأحد الملوك المتوفين بمعنى أن يكون كاهنه صديقاً فحسب لصاحب المصطبة الذى كان بدوره رئيساً لكهنة الملكة الوالدة ، كلاهما غير متيسر .

وعلى أية حال فقد يكون لاحتمال إرضاع الأفراد فى الآخرة صلة بالجرار التى شكلت ببعض المقابر على هيئة أنثى تقدم ثدييها بيديها والتى يحتمل أنها كانت تملأ باللبن وتوضع الى جانب المتوفى (٣) .

هذه هى دواعى هذا الفرض فيما يتعلق بتسميتى ضياع المرضعات وبيت الرضاعة وما يحتمل أن يفهم منهما ، وما جاء عن ذلك يمكن تطبيقه على ضياع الحاضنات كذلك . على أن هذا الفرض بدواعيه لا يستطيع أن يبرر ظاهرتين وهما : انتقال مثل ضيعة « مرضعة سنفرو » مع أهميتها لصاحبها إلى الوقف الأخروى لولده « نفرماعت » (٤) ، وانتقال « ضيعة حاضنة خوفو » لأمير يدعى « سشات حوتب » عاش فى أواخر عصر الأسرة الرابعة أو أوائل عصر الأسرة الخامسة(٥) ، أى أن الأمد بينه وبين عهد خوفو لم يكن من البعد بحيث يحتمل معه إهمال طقوس الملك وتفرق أوقافها .

على أنه مهما يكن من أمر الفرضين السابقين جميعهما وما ترتب عليهما(٦) ، فإن مجرد استخدام ألفاظ المرضعة « منعت » والحاضنة « خنمت » والمربية « شدت » فى ذلك العصر يوحى بأن مدلولاتها أو مسمياتها لم تكن غريبة عن المصريين منذ عصر الأسرة الرابعة على أقل تقدير . وذلك فضلا عما تقدم عن ترجيح وجود المرضعات فى عصر الأسرة الخامسة (؟) وعصر الأسرة السادسة (٧).

مراضع الأطفال فى الدولة الوسطى :

تعددت القرائن الصريحة عن استخدام المراضع فى عهود الدولة الوسطى ، وامتازت بأمرين ، وهما :

١ ـ أنها تدل على أن اتخاذ المرضع لم يغد وقفاً على طبقة معينة من الناس ، فكما وجدت المرضع

---

(١) (انظر ملحق النصوص) .

(٢) S. HASSAN, Excavations at Giza, I, Oxford, 1932, Fig. 139, p. 73.

(٣) L. BORCHARDT, Sahure', I. Abb. 177 ; F. PETRIE, Koptos, p. 14, pl. XIV ; F. PETRIE, Sedment II, pl. XLVIII, 25 ; G.D. HORNBLOWER, in J.E.A. XV, p.44 f.

وقد يكون تخصيص ضيعة تقدم اللبن لقرابين المقبرة أو طقوسها ذا صلة كذلك بتسمية بعض الضياع « نبق تى Tii, pl. 3 » و « جميزة تى Ibid., pl. 115 » ونخلة خنو Mar., Mast D6 أى بما يحتمل معه أسهام كل منها بما تخصصت فى إنتاجه لطقوس المقبرة وقرابينها . (see H. JUNKER, Giza III, 82

(٤) PETRIE, Medum, XIX (٥) JUNKER, Giza II, S. 29

(٦) وثمة فرض ثالث قد يكون أضعف من سابقيه ولكنه لا يعدم هو الآخر ما يبرره ، وهو أن تكون المرضعة قد أسهمت بإحدى ضياعها الخاصة للمشاركة فى أداء طقوس رضيعها المتوفى . فقد ظهر فى مناظر ونقوش مقابر الخاصة مايدل على أن أصدقاء المتوفى كانوا يسهمون بنصيب فيما يقدم إليه من الهدايا والقرابين ، فإذا كان هذا هو واجب الأصدقاء نحو صديقهم ، فلا يبعد أنه كان أوجب على المرضعة إذا كانت على شيء من اليسر ، إزاء رضيعها الذى ينزل منها منزلة الابن . (انظر نصباً أقامه صديق لصديقه — Florence 2500

(٧) راجع عن مترادفات أخرى لألفاظ المرضعة والحاضنة والمربية مثل إتت وخنمتت . . إلخ : Wb. I, 149 ; II, 77, 436 ; III, 294

فى قصر الملك (١) ، وجدت فى قصر حاكم الإقليم (٢) وفى بيت كبير للكهنة (٣) ، وفى بيت مدير ضيعة (٤) ، وفى بيت كاتب الخزانة (٥) ، ثم فى بيت الكاهن العادى (٦) . ومن الشواهد الطريفة أن موظفاً كبيراً يدعى « سا أمون » اتخذ لأبنائه الثلاثة ثلاث مراضع على التعاقب (٧) . وكل ذلك مما يعنى أن اتخاذ المراضع كاد يكون فى ذلك العصر تقليداً متبعاً لكل طفل من عائلة تتمع بشىء من بسطة العيش .

٢ — أنه يمكن الاعتماد على هذه القرائن فى التعرف على ما كان للمرضع من منزلة فى أسرة رضيعها ، وذلك اعتماداً على الوضع الذى صورت به بالنسبة لبقية أفراد أسرته . ففى الأمثلة التى تقدم ذكرها نجد أن المرضع قد صورت مع أخوات صاحب النصب (٨) ، أو مع أمه (٩) ، أو من خلف نسائه (١٠) ، أو مع زوجات أولاده (١١) ، أو جالسة مع زوجته على مائدة واحدة (١٢) . وكل هذه الحالات تشهد دون شك بأن طبيعة عمل المرضع قد هيأت لها مكانة خاصة ترتفع بها عن مستوى الأتباع وتجعلها فى وضع متقارب مع بقية أفراد الأسرة .

على أنه مع وضوح هاتين الميزتين فى قرائن استخدام المراضع ومكانتهن فى أسرة الرضيع فى الدولة الوسطى ، فإن الكثرة من نقوش النصب لا تنسب المرضع صراحة إلى رضيع معين ، وإنما تكتفى بأن تضيف إلى اسمها لقب المرضعة فحسب (١٣) . ومن هنا يتأتى الشك أحياناً فيما إذا كانت هذه المرضعة أو تلك مرضعا لصاحب النصب نفسه أو لأبنائه . على أن هذا الشك لا يتجاوز لحسن الحظ الرضيع إلى مكانة المرضع ، إذ كنا يمكن أن نرى فى تصوير صاحب النصب لمرضعته بالذات وفاء محموداً لذكراها بعد بعد أن بلغ مبلغ الرجال ورغبة منه فى استمرار رعايتها له فى دنياه الثانية ، يمكن أن نرى كذلك فى تصويره لمرضعة ابنه أو أبنائه اعترافاً ضمنياً بأنها فرد متمم لأسرته وعضو ضرورى لسعادة أبنائه . ومن أمتع مظاهر التقدير والوفاء التى ادخرتها نصب الدولة الوسطى للمراضع ، ما أقدم عليه من يدعى « رن إقر » — وله لقب تابع الحاكم — من ذكر « مرضع صديقه انتف » (١٤) على نصبه ، وكأنه رأى فى تكريمه إياها تكريماً لصديقه نفسه ، وذلك على أساس قربها منه .

(١) ص ٢٦ — حاشية ١٠

(٢) NEWBERRY, Beni Hassan, I. pl. 35

(٣) Cairo 20057

(٤) Cairo 20580 c

(٥) W.F. PETRIE, Tombs of Courtiers, London 1925, pl. XXVIII

(٦) Ibid., pl. XXII

(٧) Cairo 20426

(٨) PETRIE, op. cit., pl. XXII

(٩) Cairo 20436 ; Brit. Mus. Hier. Texts II, pl. 44 also, pl. 6

(١٠) NEWBERRY, op. cit.

(١١) Cairo 20581 b.

(١٢) PETRIE, op. cit., XXVIII

(١٣) Cairo 20540 f. ; 20581 b ; 20436, 20289

(١٤) Cairo 20323 — (وانظر ملحق النصوص)

ومما أتت به نصب الدولة الوسطى عن المراضع ما يحتمل أكثر مما تقدم من تأويل ، فمنها نصب صور عليه صاحبه والمرضعة وعدد من الأولاد دون تصوير الزوجة ودون أن تتخذ المرضعة لقب الزوجة (١) . وآخر لم يصور عايه غير المرضعة وابنها على جانبي مائدة القربان ثم ذكر فوقهما اسم شخص ثالث لم يصور ولم تبين صلته بهما (٢) . ونصب تضمن كل منها أفراداً كثيرين منهم المرضع وابنتها (ست البيت) (٣) ، أو المرضعة وولدين لها (٤) . وأمثال هذه الحالات تحتمل أحد أمرين : فإما أن تكون المرضع قد اندمجت فى أسرة رضيعها وبقيت فيها بأولادها مدى الحياة ، وهذا تؤيده مظاهر الوفاء التى لمسناها فيما تقدم من أمثلة وتزكيه كذلك رسالة من نفس العصر يؤكد فيها صاحبها على الأمين على بيته أن « أرسل إلى عن كل أحوال صحة وحياة المرضعة تيا » (٥) مما يعنى أنها ظلت تعيش فى داره بعد أن بلغ مبلغ الشباب أو الرجولة . وإما أن تكون المرضع مصورة فى عائلتها هى واحتفظت بلقب المرضعة على اعتبار أنها اتخذت الرضاعة مهنة تتكسب بها فى بيوت الموسرين (٦) .

(وتخلفت من العصور المتأخرة عقود كتبها بعض الأثرياء مع مرضعات أبنائهم ، ومنها عقد من القرن الثالث ق . م . تعاقدت فيه مرضع مع شخص ثرى على أن ترضع طفله إذا سمحت صحتها بذلك ، وأن تفطمه ثم تربيه وترعاه لفترة ثلاث سنوات فى مقابل إقامتها وإطعامها وصرف راتب سنوى لها من الزيت والفضة . واشترطت على نفسها أنها إن قل لبنها ردت جزءاً مما تسلمته من الأجر) .

ثم هناك أخيراً الطبقة أو الطبقات التى كانت تختار منها المراضع فى الدولة الوسطى ، وليس فيما بقى من المصادر ما ينم بشىء واضح عنها ، حيث لم تتخذ إحدى المراضع لقباً آخر يميزها ولم يكن فيمن ذكروهن من أبنائهن من يحمل لقباً مميزاً كذلك .

والطريف أن التمثال الوحيد الذى وجد لمرضع مصرية من ذلك العصر ، وجد بشمال سوريا فى أدنة ، لمرضع تدعى سات سنفرو ، كانت فيما يبدو فى معية رب أسرة ولى عملا ما فى أدنة ، وقدرت وفاتها فى غربتها ، فاستصحبت معها تمثالها ليكون ضمن متاعها الأخروى إن حان حينها . والتمثال فى حد ذاته دقيق الصنع ، نحت من الديوريت ، ويشهد بأن صاحبته كانت على شىء من بسطة العيش (٧) .

---

(١) K. DYROFF und B. PORTNER, Aeg. Grabsteine und Denksteine aus süddentschen Sammlungen, 1904, Nr. 8, S. 13.

(٢) Cairo 20352

(٣) Cairo 20018

(٤) Cairo 20724 c.

(٥) B. GRDSELOFF, *A new Middle Kingdom letter from El-Lahun*, in J.E.A. XV, 61 f. (وراجع ملحق النصوص) .

(٦) عرفت المراضع بهذا الوضع فى بابل وآشور وكان منهن من تكتب عقداً مع أبوى الطفل بتزويدها بمقادير معينة من الطعام والزيت والملابس طالما قامت بتأدية واجبها وذلك على اعتبار أن العناية بالمرضع تؤدى إلى العناية بالرضيع ذاته . UNGNAD in Hammurabi's Gesetz, III, Leipzig 1909, S. 13. f.

T.G. PINCHES, (Babylonian) Children, in *Hasting's* Encycl., III, 527.

(٧) يمثلها هذا التمثال تفترش ساقيها تحتها وتضع يسراها على صدرها وتبسط يمناها على فخذها ، وترتدى رداء مطرز الحافة يكشف عن أعلى صدرها وكتفها وذراعها اليمنى .

In the Metropolitan Museum ; see W.C. HAYES, The Scepter of Egypt, I. Fig. 132, p. 215.

مراضع الأطفال فى الدولة الحديثة :

يختلف ما عرف عن مراضع الدولة الحديثة عما تقدم من أخبار مراضع الدولة الوسطى فى أمرين، وهما :

(١) أن جله عن مراضع للملوك وأمراء أكثر مما هو عن مراضع الأفراد ، وأنه عن مراضع ملوك وأمراء الأسرة الثامنة عشرة أكثر مما هو عن مراضع الأسرات التالية لها .

(٢) أن أغلبه مستمد مما ذكرته المراضع أنفسهن وليس مما ذكره من استخدموهن .

فقد احتفظت آثار الأسرة الثامنة عشرة بأسماء المراضع لكل من الملكة احمس نفرتارى (١) ، والملكة حاتشبسوت (٢) واحدى بنتيها ، والملك تحوتمس الثالث (٣) وبعض أبنائه مثل أمنحوتب (٤) وميريت أمون (٥) وثنى (٦) ، وسات أمون ابنة أمنحوتب الثالث (٧) ، ثم نفرتيتى (٨) وبناتها (٩) .

ومن نقوش مراضع هذا العصر وآثارهن ما يضيف نواحى جديدة عن علاقة المرضع برضيعها وعن الوضع الاجتماعى لها فى أسرة رضيعها وفى خارجها . ومن ذلك أنه وجدت للمرضع «سات رع المسماة «ين» مرضع حاتشبسوت بقايا تمثال فى ذات معبد الملكة بالدير البحرى (١٠) ، كان يمثلها ويمثل حاتشبسوت فى حجرها ، مما ينم من ناحية عن أنها كانت تتمتع بمركز ممتاز فى حاشية القصر ، وعن أن الملكة فى سماحها بإقامة التمثال فى معبدها كانت تحدوها نفس البواعث التى حدت بغيرها الى تخليد أسماء وصور مراضعهم فى المقابر وعلى النصب ، وهى بواعث الوفاء ، فضلا عن الرغبة فى أن تكون المرضع فى صحبة من أرضعته وفى خدمته فى حياته الثانية .

وقد كان من إكرام الملوك والأمراء لمرضعاتهم فى بعض الأحايين ما عمل على تضييق الفوارق القائمة بين كل منهم وبين مرضعته وما سمح للمرضع بألا ترى فى رضيعها أكثر من ولد لها ولو بلغ العرش . واغلب الظن أنه لولا شعور مماثل وتقارب بين أمنحوتب الثانى وبين مراضعه لما عملت إحداهن «مريت امون» على أن تصور رضيعها الملك فى مقبرتها ، وقد تعدى الطفولة ، جالساً فى حجرها بتاجه وصولجانه

---

(١) Urk. IV, 77

(٢) H. WINLOCK, Excavations at the temple of Deir el Bahari, 1932, p. 336 ; also N. de G. DAVIES, The tomb of Puyemre, vol. I. p. ; KEES, Das Priestertum im Aegyptischen Staat vom Neuen Reich bis zur Spatzeit, S. 10.

(٣) Urk. IV, 604

(٤) تراجع ص ٣٣

(٥) Cairo 42171 ; (Ann. Serv. XX, 143).

(٦) Brit. Mus. 35400 ; H.C. BECK, in Ancient Egypt 1934, Fig. 9 c, p. 72.

(٧) MARIETTE, Abydos II, pl. 49

(٨) L.D. III, 105 f.

(٩) Mem. de l'Inst. fr. VIII, pl. IX

(١٠) WINLOCK, op. cit.

ويلهو بما يحتمل أن يكون لعبة للأطفال فى ذات الوقت (١) . على أنه فضلا عن هذا التأويل وذاك ، فإن فيما عرف عن مجريات الأمور وسير كبار الشخصيات فى الدولة الحديثة مايسمح بالتعرف على ما كان يعود على المرضع الملكية وأسرتها من مركز وتقدير . فقد كان لأبنائها وبناتها أن يتخذوا بين الناس لقب الأخوة فى الرضاع لرضيعها الملك الحاكم ، وأن يعتبر زوجها أبا لرضاعة الملك(٢) . وفى أهمية المناصب التى تولاها أزواج المراضع وبنوهن مايستوجب التعليق . فمن الراجح أن مراضع الفراعنة كن يتتخبن من أسر راقية ولها اتصالها السابق بالقصر ، غير أنه مامن شك إلى جانب ذلك فى أن ما كان يجد لأزواجهن وبنيهن من روابط أبوة الرضاع وأخوة الرضاع للملك الحاكم كان يوثق صلاتهم بالقصر ويجعلهم أقرب إلى ثقة الملك ممن سواهم ويقفز بهم سريعاً إلى أرفع المناصب ، والأمثلة على ذلك عديدة وواضحة ، ومنها أن « حابوسنب » كبير الكهنة الأثير لدى حاتشبسوت كان إبنا لمرضعة ملكية(٣) ، وأن « من خبر رع سنب » كبير الكهنة الأثير لدى تحوتمس الثالث كانت أمه أختاً فى الرضاعة للملك ، وجدته مرضعة ملكية(٤) ، وأن كبير الكهنة « مرى » ذا السلطات الواسعة فى عهد أمنحوتب الثانى كان إبناً لمرضع ملكية (٥) .وأن « قن أمون » حاكم برو نفر والأثير لدى نفس الملك كان أخاً فى الرضاعة له وإبناً لمرضعته « مريت أمون » التى تقدم ذكرها(٦) ، وأن «سن نفر» محافظ المدينة الجنوبية فى عهد أمنحوتب الثانى أيضاً والذى كان له الإشراف على شئون أمون وماشيته والإشراف على معبد الدير البحرى ورئاسة كهنة أمون فى معبد أمنحوتب الاول وأحمس نفرتارى كان زوجاً لمرضع ملكية وأباً لإبنة تتمتع بلقب الأخت بالرضاعة للملك ، فضلا عن تمتعه هو بالذات بلقب « الأب الألهى المحبوب من الرب (أى الملك) (٧) . أما من بلغوا العرش من المتصلين بالمراضع الملكيات فمنهن «سات اعح » زوجة تحوتمس الثالث وابنة مرضعته « ابو » (٨) ، ثم « إى » زوج مرضعة الملكة نفرتيتى .

ومامن شك فى أن ما بلغه أولئك المتصلون بمرضعة الملك من سؤدد إنما يعنى فى حد ذاته إيثارها بالمكانة الأسمى وتمتعها بالجزاء الأوفى . ومن مكانتها أنها كانت تتلقب بألقاب « المرضع الكبرى التى

---

(١) ولا يغفل إلى جانب ذلك حرصها على تسجيل وظيفتها للاحتفاظ بها فى الآخرة .
N. de G. DAVIES, The Tomb of Ken Amun at Thebes, New York 1930, pl.IX, p. 20.

(٢) N. de G. DAVIES, op. cit ; Piot, XXV, 405-6 ; see H. KEES, op. cit. 56 ; W. HELCK, in J.N.E.S. 1955, p. 29 ; A. FAKHRI, in Ann. Serv. 34 p. 83 f. (انظر ملحق النصوص) .

(٣) H. KEES, op. cit., 10 ; G. LEFEBVRE, Histoire des grands prêtres, Paris 1929, 76.

(٤) وربما كان أخاً له فى الرضاع أيضاً(؟) Ibid., 84, 234 ; Urk. IV 926 ; W. HELCK, op. cit.

(٥) H. KEES, op. cit., 16 ; LEFEBVRE, op. cit., 76 n. 4 and 235.

(٦) G. DARESSY, in Ann. Serv. XIX, 275 ; N. de G. DAVIES, op. cit., pl. IX p. 19-20. وقد اتخذ أخوه «كام حر إب» نفس اللقب A. FAKHRI, op. cit. ; W. HELCK, Der Einfluss der Militarführer in der 18 agyptischen Dyn., Leipzig 1939, 68.

(٧) Rec. Trav. XX, 215 ; H. KEES, op. cit., 55 وعن أخ بالرضاع لخعمواس بن رمسيس الثانى: G. MASPERO, Les Contes Populaires de l'Egypte Ancienne, Paris 1911, p. 125.

(٨) Urk. IV 604

ربت الملك » أو« ربت الإله » و « التى احتضن ذراعاها الإله الطيب ولاصق جور صدرها» . (١) وما ينحو نحو ذلك من ألقاب كان مجرد اتخاذها أعز لدى أصحابها من تمتعهم بالعطاء المادى ، يفخرون بها فى دنياهم ويطمعون أن يبعثوا عليها فى أخراهم. ولعل هذا الاعتزاز المبالغ فيه بالألقاب قد دعا بعض سيدات الطبقة الراقية إلى أن ينتحلن لأنفسهن لقب المرضع الملكية لأوهى الأسباب سواء كن لم يقمن بالإرضاع إطلاقا وادعينه لقربهن من القصر(٢) أو قمن به تشرفاً لمرة أو مرات معدودات . ويدعو إلى هذا الفرض كثرة من ادعين إرضاع ملك واحد فى وقت واحد . فقد ادعى القيام بإرضاع أمنحوتب الثانى خمس نساء على الأقل هن : «مريت أمون» (٣) ، « وباكى » (٤) ، وزوجة «سن نفر » (٥) ، و« حوناى » ام الكاهن «مرى » (٦) ، و«نيت»(٧)زوجة بح سوخر ياور الملك . وأن تقوم أكثر من واحدة بالإرضاع فى القصر وفى وقت واحد أمر يدعو إلى الأخذ به تسمية « بيت المراضع » التى سبقت فى الدولة الوسطى ، ولقب « رئيسة المراضع » الذى اتخذته سيدة من الدولة الحديثة (٨) . ولكن ما يحتمل الشك هو أن تقوم خمس مراضع على الأقل بإرضاع طفل واحد . فإذا كانت من تكلفت بإرضاعه حقيقة واحدة أو اثنتان منهن مثل «مريت أمون» التى صورته فى حجرها وظل إبنها قن أمون فى خدمته الخاصة ، و «باكى» التى تكررت ألقابها وأعيدت مرات عدة فى مقبرة زوجها ، والتى حرصت حتى خادمتها « نارى » على أن تفتخر بأنها « خادمة مرضعة الملك » سيما وأن الأولى منهما قد ذكرت فضلا عن الإرضاع أنها ربت الإله كما ذكرت الثانية أنها « ربت من فى القصر »(٩) مما يرجح احتمال صلتهما الفعلية بالطفل ، فإن الباقيات ولا سبيل إلى تحديدهن بالذات يحتمل أن يكن قد أرضعنه لمرة أو مرات معدودات تشرفاً كما أسلفنا ثم تمسكن باللقب ، أو يكن وصيفات له أو حاضنات على اعتبار أن كثرة الوصيفات والحاضنات ألزم من كثرة المراضع ، وذلك على نحو ما تذكر قصة الأخوين فى عصر الرعامسة من أنه عندما ولد لباتا ولد « خصصت له مرضع وحاضنات » (١٠) ، ولكنهن آثرن اللقب الأول لأهميته ، أو يكن مربيات ، ولسن مراضع ولا حاضنات ، اشتركن فى رعايته أو تعاقبن عليها ، وذلك على أساس أن كلمة «منعت» تحتمل معنى المرضع والمربية معاً وتحل محل كلمة «شدت» بحيث كان المربى كثيراً ما يدعى «منعى» أيضا. (١١)

---

(١) Urk. IV 912, 920-21 ; VIREY, in Mem. Miss. V, 236, 255, 295, 304, etc. (انظر ملحق النصوص) .

(٢) G. MASPERO, Histoire II, 487 ; also in Proc. S.B.A. XIV, 311 ; N. de G. DAVIES, op. cit., p. 19, n. 1.

(٣) N. de G. DAVIES, The tomb of Ken Amun, pl. IX

(٤) Urk. IV, 912 f.

(٥) HELCK, op. cit., 68 ; see also A. WEIL, Die Vesiere, 79

(٦) G. LEFEBVRE, op. cit., p. 327

(٧) VIREY, op. cit., p. 295 f.

(٨) Bibl. Nat. Wb. Nr. 4

(٩) Mem. Miss. 279 — (انظر ملحق النصوص) .

(١٠) Pap. d'Orbiney, 18,8 — (انظر ملحق النصوص) .

(١١) Wb. II, 78 — انظر ملحق النصوص

ولم تؤثر كثرة المراضع عن الملوك وحدهم ، وإنما كانت كذلك لبعض رعاياهم أيضاً . فقد صورت فى مقبرة «باحرى» حاكم الكاب ومربى «وازمس» بن «تحوتمس» الأول ، ثلاث سيدات دعيت كل منهن بمرضعته (١) . وتعددهن هذا قد ينطبق عليه أحد الاحتمالات السابقة عن مراضع أمنحوتب الثانى ، ولوأنه يمكن كذلك قبول رأى «جريفث» بأن لقب المرضع كان يخلع أحياناً على معارف الأسرة تكريماً لهن (٢) . ونقبله على أساس من قول الريفيين الآن أبويا فلان ، اوخالة فلانة ، لكل مسن أومسنة من معارف الأسرة .

ونمت عن معرفة البيوت العادية للحاضنات أحياناً عبارة طريفة من عصر الرعامسة أشارت إلى « الصغار ... الذين فى أحضان حاضناتهم (٣) » .

اما عن مراضع العصور المتأخرة فلعل أمتع ما يذكر عنهن هو تلك اللمسة الإنسانية التى جاءت فى تعاليم عنخ شاشنقى فى قوله لولده «لا تعهد بولدك إلى مرضع بحيث تجعلها تتخلى عن ولدها » (٤) .

وأخيراً وإلى جانب ما تقدم من صور واقعية أوشبه واقعية لرضاعة الملوك والأفراد ، فاضت مناظر معابد الملوك ونقوشها بصور كثيرة كنت عما أحاط برضاعهم فى دنياهم وعما كانوا يرجون أن تكون عليها رضاعتهم فى أخراهم . ولما كانت العقائد والتقاليد قد دأبت على أن تضفى على الملوك ألقاب الربوبية وصفاتها ، فإنها عملت كذلك على أن تنسب رضاعهم وكفالتهم إلى المشهورات من ربات الأمومة والرضاع ، فصورتهم يرضعون منهن أو يلجأون إلى احضانهن . ومن أخصهن الآلهات حتحور ونبت حت ونوت ونيت وتاورت وعنقت وساتت وسرقت (٥) فضلا عن إيسة والربة المعنوية « رننت » التى جسدوا فيها عماية الرعاية والتربية (٦) . وكان من دوافع الرمز إلى هذا الإرضاع الربانى أن يتزود الطفل الملكى عن طريقه بالبركة والقبس الإلهى والقوة والنماء وما إلى ذلك مما ينم عنه عنونة مناظر إرضاع حاتشبسوت بعنوان « رضاع جلالتها وكاواتها جميعا بالحياة والسعادة كلها » (٧) ، وذلك فضلا عما كان يفترض لكل ربة من صفات معينة وروابط خاصة تربطها بالملوك مما لايتسع المجال لتفصيل فيه (٨) .

---

(١) T. TYLOR and F. L. GRIFFITH, The tomb of Paheri, London 1895, pl. VII.

(٢) Ibid., p. 25, n. 1

(٣) Anastasi IV, 10, 3

(٤) Brit. Mus. Pap. 10508, XIII, 5

(٥) K. SETHE bei BORCHARDT, Sahure, I, 35 ; L.D. III 15 ; 45 ; 177 f ; 177 g ; 218 c ; E. Naville, II, pls LI-LIII ; GAYET, Louxor, pl. LXVI ; see also, G. MASPERO, in p. S.B.A. XIV, 308 f. ; RANKE in J.NES, IX, 228 f.

(٦) see, A. HERMANN, Das Kind und seine Hüterin (Mitt. des deutschen Inst. für Alt. Aeg., Kairo 1939, Band 8, Heft II,S 171 f ; Abb 29.

(٧) see NAVILLE, op. cit., p. 18 – (انظر ملحق النصوص) .

(٨) تراجع أيضاً ص ١٩ ، ص ٢٧

(ج) عرى الأطفال فى الصور والتماثيل (ومدى تعبيره عن الواقع) :

يظهر الأطفال المصريون فى صورهم وتماثيلهم عراة فى أغلب الأحيان يتساوى فى ذلك أبناء الملوك منهم وأبناء العامة . ولا تلتزم الصور والتماثيل أو تذكر سناً محددة لعرى الطفولة هذا ، وإنما تبدأ المناظر المصورة بالرضيع فتصوره عارياً فى حجر أمه أو مع مرضعته (١) ، كما تجمع أحياناً بين الستة من الأخوة وفيهم البنين والبنات فتظهرهم عراة جميعا (٢) دون اعتبار لفارق السن الذى يفصل بين أولهم وبين آخرهم والذى لايقل بحال عن ست سنوات . وهكذا الحال فى مجموعات التماثيل التى تجمع إلى الأبوين أكثر من طفل لهما (٣) . وبهذا نكون إزاء أحد أمرين : إما الاعتقاد بعرى الطفولة منذ الولادة ولفترة طويلة لا تقل عن ست سنوات (٤) ، وذلك اعتماداً على ما اعتاده المثالون والرسامون فى عصورهم جميعها ، وإما أن نفترض أن تمثيل الأطفال عراة لم يكن يتفق وحقيقة الأمر وأنه كانت له أسبابه وأغراضه مثل التقيد بتقليد فنى قديم أو الرغبة فى التعبير عن فكرة الطفولة على وجه العموم أو ما سوى ذلك من تعليلات مما سنورد تفصيله .

ويأخذ الباحثون بعرى الطفولة على علاته ، عدا الأستاذ أدولف إرمان الذى عقب بأنه « فى الدولة القديمة كان الصبيان والبنات فى كثير من الأحيان يخرجون إبان طفولتهم الأولى متجردين تماما ، ثم تبدل هذا منذ الدولة الوسطى ، فلم يعد اطفال الأسر الراقية يصورون عراة بتاتا ، حيث كانت الآراء المتعلقة بمقتضيات اللياقة فى هذا الشأن قد تناولتها على التحقيق يد التغيير » . (٥) وهذا رأى فيه كثير من الصواب ولكن يجرحه أنه يوجد من صور الدولة الحديثة نفسها وليس من صور الدولة الوسطى وحدها ، ما استمر يحافظ على تصوير عرى البنين والبنات لأطفال من العائلات الراقية ولامراء البيت المالك أيضاً (٦)

ونرى الأخذ من جانبنا باعتبار عرى الطفولة فى الصور والتماثيل تقليدياً أو على الأقل لايلتزم الحقيقة فى كل أحواله وفى كل عصوره . ولا يدعو الى أخذنا بهذا الرأى مجرد منافاة العرى للحرص على سلامة الأبناء ، فقد يكون فى بعض مناظر الأطفال العراة ما يحتمل تبريره ، ومن ذلك تصويرهم عراة فى ألعابهم الرياضية أحيانا (٧) ، إذ يحتمل أن يكون تخففهم من اللباس حينذاك متعمداً ليكونوا أكثر

---

(١) FIRTH-GUNN, Teti-Pyramid cemetries pl. 59; W.S. SMITH, A. Hist. of Sculpture., Fig. 153-154; NAVILLE, Deir el Bahari, II, LIII; GAYET, Louxor, LXVI, 192; B. BRUYERE, Rapport sur les fouilles de Deir el Médineh 1924-25, Fig. 57, p. 87, 1952, Fig. 3, 2, p. 33; Fig. 14, 1, p. 62; WREZ., ATLAS, 1, 233.

(٢) H. JUNKER, Giza II, Abb. 51; Brit. Mus. Hier. Texts, II, pl. 42

(٣) Cairo 55; 68.

(٤) يعلق A. WEIGALL على تمثال لشاب عار من النصف الثانى لعصر الأسرة الرابعة بأن الصبية المصريين كانوا يظلون عرايا حتى سن العاشرة أو الثانية عشرة . Ancient Egyptian Works of Art, London 1924, p. 34, B.)

(٥) A. ERMAN, H. RANKE, Aegypten und aegyptisches Leben, S. 191.

(٦) W. WRESZINSKI, Atlas, Taf. II; N.M. DAVIES, Ancient. Egyptian Paintings, pl. XLVII; LV; L.D. III 8, b, 10, b.

ويضاف إلى ذلك تصوير الوليد عارياً فى مناظر الدير البحرى والأقصر (هامش ١ أعلاه) .

(٧) PAGET and PIRIE, Ptahhetep, pl. 33. تراجع ص ١١٥

تحرراً فى اللعب وأكثر استمتاعاً بالطبيعة (١) ، أو يكون لعبهم ذاك فى داخل البيوت وفى جو عائلى وحينئذ يخف الحرج نوعا ما . وإنما يدعو اليه :

أولا — التشكك فى اتفاق العرى الكامل للأطفال والناضجين منهم بخاصة ، مع ما درج عليه المصريون من توخى الحشمة وسبقهم فى ارتداء قراب العورة عن سائر شعوب العالم القديم (٢) .

ثانيا — وجود نصوص مصرية متفرقة من عصور مختلفة تحدثت عن لفائف الطفولة وملابس الأطفال صراحة حيناً وضمنياً حيناً آخر ، ثم وجود بضعة صور وتماثيل من عصور مختلفة أيضاً خالف الفنان فيها عادته وصور بعض الأطفال الرضع فى دثارهم ، وصور بعض الصبية الصغار بأرديتهم .

فثمة متن من متون أهرام الدولة القديمة تحدث عن طفولة فرعون « وهو فى البيضة » أى صغير ، فخصص الكاتب كلمة البيضة (سوحة) بما يصور نقبة صغيرة ، وذلك مما يعنى أن تعبير « وهو فى البيضة » ارتبط فى ذهنه بما يشبه قولنا الآن وهو فى اللفة أو « وهو فى اللباس القصير » حين نود التعبير عن صغر سن الطفل .

واحتفظت نصوص الدولة الوسطى بستة أسانيد على أقل تقدير : اثنين يتحدثان عن طفولة ملك ، وثالث يتحدث عن طفولة حاكم إقليم ، أما الثلاثة الباقية فتحدثت عن الطفولة بوجه عام . ففى النص الأول يقول سنوسرت الأول عن نفسه « اختارنى (الإله) سيداً للقطرين قبل أن أتخلص من قماطى (أولفائفى) » (٣). ويتحدث فى النص الثانى صاحب نصب عن ملك من الأسرة الثانية عشرة أيضاً « عندما كان فى طفولته وقد تحرر ؟ من قماطه » (٤) . وفى النص الثالث يقول خنوم حوتب عن نفسه « (إنى) من حكم مدينته وهو طفل قبل أن يحرر من القماط (٥) . ويتحدث النص الرابع عن كتاب طبى وصف حبوباً لتنظيم تبول الطفل ، وهذه الحبوب إذا كان (الطفل) طفلا كبيراً تناولها فى طعامه ، وإذا كان « لا يزال على اللفة » اذ يبت له فى لبن مرضعته (٦). والنص الخامس لايتحدث عن لفائف وإنما عن

---

(١) يمكن أن يقارن ذلك بما ذكرته بعض المتون الإغريقية من أنه إبان العصور الأثينية القديمة كان أطفال الحى يسيرون جمعاً إلى مدرس الموسيقى (العواد) عرايا ولو أمطرت ثلجاً فى حين أنه كان يجب عليهم تغطية أفخاذهم لدى معلم الجمنزيا The Clouds of Aristophanes, P. MONROE, op. cit., 82. ومايذكره بلوتارخ عن التربية الاسبرطية من أن الصبية كانوا يقومون بالألعاب التى تشرف عليها الدولة أثناء تربيتهم حفاة عراة فى أغلب الأحيان. The Life of Lycurgos by *Plutarch*, see P. MONROE, Source Book of the History of Education, New York, 1906, 16.

(٢) Fr. W. VON BISSING, Aegyptische Kunstgeschichte, Text, S. 13 Anm 9; also, J. CAPART, Débuts de l'art, p. 44; SCHAEFER, Kunst II, Taf. 3,3.

(٣) Berlin Leather Roll, 1.10; J.H. BREASTED, A new chapter in the life of Thutmose III (Untersuchungen zur Geschichte) Leipzig, 1900, p. 11.

(انظر ملحق النصوص) .

(٤) *See*, Die Belegstellen (Wb.) Heft V, 354, 21. (انظر ملحق النصوص)

(٥) P. NEWBERRY, Beni Hasan, I, pl. XXVI, 1. 184 f; J.H. BREASTED, op. cit., p. 11. (انظر ملحق النصوص) .

(٦) Ebers, 49, 22-50, 1. — (انظر ملحق النصوص)

ملابس ، وهو عبارة عن رقية سحرية تتحدث على لسان أم ترقى طفلها فتقول : حمى الأرباب جميعهم اسمك ، وكل ابن رضعته ، وكل ملابس ألبستها (أو دثرت فيها) » (١) ، وهكذا جرى النص السادس وهو جزء من شكاية للقروى الفصيح يستشير به نخوة الحاكم فيقول « أنت أبو اليتيم وزوج الأرمل وأخ لمن نبذت ومئزر لمن عدم أمه »(٢) ، ومن يحتاج إلى أمه أو لمن يعوضه عنها يكون فى الغالب طفلا ، وإن يكن على شىء من النضج بحيث يلبس المئزر . أما عن المناظر والتماثيل التى خرجت على المألوف فى تصوير عرى الأطفال ، فمنها وفقاً للتتابع الزمنى : منظر من الدولة القديمة (لوحة ٦) بدا فيه الطفل « مرى تى » بن مرروكا بصحبة أمه يستقل معها محفتها قاعياً أمامها وقد ظهرت له من علامات الطفولة جديلة شعر جزلة مسدلة (راجع عن أمثالها ص٤٠) واللعب بفرخ طائر صغير ، فى حين رسم الفنان ثوبه واضحاً وبخاصة حول خصره وعند قدميه (٣) . (ويقارن هذا التصوير بتصوير عدة أولاد عرايا خلال لعبهم مع بعضهم البعض فى بقية مناظر مقبرة مرروكا نفسها) (٤) .

وصورت لوحة من الدولة الوسطى صبيا على حجر أبيه بقميص قصير وذؤابة خلفية يلهو بعصفوره (لوحة٧)(٥) وصورت لوحة أخرى من العصر نفسه (لوحة ٨) مايحتمل أن يمثل صبياً (؟) يقف على فخذ أبيه ويرتدى نقبة تشبه نقب الكبار (؟) فضلا عن طفلة تحبو (٦) .

وظهر فى قارب من قوارب الدولة الوسطى اثنان صورا بحجم أصغر ممن عداهم من ركاب القارب ، وصورا بثوبين واضحين ، ويحتمل أن يكونا طفلين أو صبيين (٧) .

وصور أحد الفنانين فى الدولة الحديثة أماً ترضع طفلها وقد جلست على مقعد منخفض ومدت ساقيها أمامها وأحاطت طفلها بشال كبير يحيط بوسطها أيضاً . ثم أضاف الفنان إلى ذلك ، وهذا هو المهم ، أن جعل للطفل عدا الشال الذى يجمعه الى أمه دثاراً سميكاً يظهر منه جزوه الأعلى الذى يغطى رقبته ورأسه والذى يدل عليه بروز حافته فوق جبهته (لوحة ٣) (٨) ، وقد انسدلت منه جديلة خلفية وأخرى جانبية مما سنتعرض لمغزاه بعد قليل . وليس من شك فى أن هذا الدثار الذى خرج الفنان به على المألوف فى تصوير الأطفال متجردين تماماً ، لم يكن من وحى خياله تماما ، وإنما كان مما يراه فى دنيا الواقع . ومن الدولة الحديثة كذلك وجد تمثال صغير لأم تجلس طفلها على حجرها وقد ارتدى رداء ما (٩) .

وعلى أية حال فإن تماثيل مصرية صغيرة أخرى بدأت ببداية العصور التاريخية مثلت نساء يحملن أطفالهن

(١) A. ERMAN, Zaubersprüche fur Mutter und Kind, U. 4, 6-8. انظر ملحق النصوص

(٢) Klagen des Bauern 63-4. انظر ملحق النصوص .

(٣) Ibid., III, 22

(٤) Wresz., Atlas III, 11

(٥) Cairo 20596

(٦) Cairo, 20007 ; *compare also* 20440.

(٧) Beni Hasan, I, p. 29.

(٨) J.E. COONEY, Egyptian Art in the Brooklyn Museum Collection, 1952, No. 4874 ; *see also*, J. COONEY, in J.N.E.S., 1950, 193 f.

(٩) Cairo 1254 والتمثال صغير ارتفاعه ٨,٥ سم من عصر الأسرة ١٨ ويصف بورخارت رداء الطفل بأنه «Kinderkleid senkrecht gestreift» .

(L. BORCHARDT, Statuen und Statuetten von Koenigen und Privat leuten, III, 130).

داخل أرديتهن (أ) ، ويغلب على الظن أن حرصهن على تدفئتهم وحمايتهم داخل هذه الأردية كان يدعوهن بالتالى إلى إلباسهم ملابس خاصة ما دام ذلك فى مقدورهن .

وعادت نصوص العصور المتأخرة فتحدثت عن أقمطة الطفولة للملوك وأرباب ، على الرغم من استمرار فنانيها على تصوير الصغار عرايا ، فهذا ملك (٢) سيطر وهو لايزال على القماط وحكم وهو على الثديين (٣) ، وذاك حور سماتاوى بن حتحور الذى حكم الارض وهو فى القماط (٤) ، بل وحتحور نفسها «التى ورثت القطرين وهى فى قماطها» (٥) . وما إلى ذلك وهو كثير (٦) .

ويتضح من قرائن العصور السابقة أن تصوير الأطفال وتمثيلهم عرايا فى سن الرضاع وهو ما ساد فى العصور المصرية جميعها ، لم يكن يعبر عن الواقع تعبيراً صحيحاً ، كما أنه وإن تكن القرائن التى تناولت ملابس الأطفال الذين تعدوا طور الرضاع قليلة فيما تقدم من شواهد إلا أن الاحتمال كبير فى أن تصويرهم وتمثيلهم عراة لم يكن يعبر بدوره عن الواقع تعبيراً صحيحا .

وفى ضوء ما تقدم يمكن استعراض العوامل المحتملة التى كانت حرية بأن تصرف الفنان المصرى عن التزام الواقع فى تمثيل وتصوير الأطفال ، وهى :

(١) أن يكون قد تقيد بتقليد فنى قديم عز عليه أن يعدل عنه أو لم يستطع أن يعدل عنه إلى سواه . ويمكن تتبع هذا التقليد الفنى منذ عصر الأسرة الأولى على أقل تقدير . ففى معبد أبيدوس عثر فلندرز بترى على عدة تماثيل عاجية صغيرة لأطفال كان منهم من يجلس القرفصاء (٧) ، ومنهم الواقف (٨) ، وكلهم عراة تماماً ، ومن بقيت يداه منهم أرسل يسراه إلى جانبه ووضع سبابة يده اليمنى على فمه (٩) وظلت هذه الأوضاع والمظاهر هى نفس ما استمر الفنان على تقليدها طوال عصور مصر القديمة باستثناء أنه لم يتقيد دائماً بوضع سبابة اليد اليمنى على الفم فى المناظر المصورة وإنما كان له أن يبدلها بسبابة اليد اليسرى أحياناً وفق ما يقتضيه اتجاه الطفل (١٠) ، ومع إضافة شىء جديد وهو جديلة من الشعر غالباً ما تمثل مدلاة على الجانب الأيمن لرأس الطفل . ويحتمل الأخذ برأى إرمان عن ذلك العصر المبكر الذى صنعت

---

(١) PETRIE, Abydos II, pl. II and p. 23 ; CAPART, Primitive Art, Figs 132, 18, 2; 133,2 ; 168

(٢) Urk. II, 34.

(٣) CHASSINAT, Edfu I, 124 انظر ملحق النصوص .

(٤) MAR., Dend. III 83 g.

(٥) Ibid., III 63 a.

(٦) Edfu I, 311 ; 428 g ; Dend. I, 74 b ; Turin 3070.

(٧) F. PETRIE, Abydos, II, pl. II 8, pl. III, 18, 19.

(٨) Ibid., pl. II, 4,9 ; pl. III, 17 ; pl. V, 38, 39 ; pl. XI, 239.

(٩) Ibid., pl. 11,8 ; pl. III,18, p. 24 ; pl. V, 38, 39, p. 25 ; pl. XI, 239.

(١٠) وضع سبابة اليد اليسرى على الفم معتاد فى المناظر التى يتجه الطفل فيها يمنة غير أن هذا الوضع فى التماثيل قليل — انظر L.D. III,8 ; ERMAN, RANKE, Aeg., Abb. 156 ; W.C. HAYES, Scepter of Egypt, New York 1953, Fig. 193, p. 223).

فيه تماثيل أطفال أبيدوس العارية وهو أن الأطفال إذ ذاك كانوا يخرجون عراياً دون حرج . وحينئذ يمكن أن يقرن الثبات على تمثيل هذا العرى القديم (١) بما يلاحظ من علية تصوير وتمثيل الملوك والخاصة فى جميع العصور المصرية بالنقبة وحدها مع عرى بقية الجسم ، وذلك جرياً على تقليد ما كان الأمر عليه فى العصور الأولى سواء فى الحياة الواقعية أو فى الصور والتماثيل .

(٢) أن يكون الفنان قد حافظ فى عصوره المتعاقبة على عرى الأطفال عن عمد ، وليس عن مجرد التقيد بالتقليد القديم ، وذلك رغبة منه فى استخدامه للتعبير عن فكرة الطفولة بوجه عام وتأكيد حداثة السن . فمما يلاحظ أنه وإن كان من المتيسر التمييز بين تقاسيم وملامح الرجل والمرأة والشباب والشيوخ فى الصور والتماثيل المصرية إلا أن تميز ملامح وتقاسيم الطفولة غير متيسر فى أغلب من رسمهم الفنان المصرى أو مثلهم من الأطفال . فمن يتأمل تقاطيع وجه الطفل الذى صور مولوداً لتوه (٢) ، أو رضيعاً جالساً على حجر أمه (٣) ، أو قاعياً على الأرض ، أو حابياً على يديه ، يجدها أشبه بتقاطيع شخص بالغ (٤) ومن يتأمل انتصابة الحدث الصغير العارى إلى جانب أبيه يجدها انتصابة غلام مكتمل القوة متين العظام . وذلك باستثناء ليونة الخطوط الناجحة فى تصوير بنات أخناتون ، ونجاح بعض التماثيل الصغيرة المتأخرة للطفل حور فى تشكيل وجهه بما يعبر عن طفولته وهو يزحف على الأرض ويرفع رأسه وكأنه يتسمع نداء خفياً . وثمة تشكيل آخر لجرة على هيئة أم وطفل تتضح فيه سماء الطفولة الطبيعية (٥) . وهكذا يبدو أنه لما طرح الفنان من حسابه الاستعانة بتقاسيم الوجه وليونة الوقفة فيما كان يخرجه من صور الطفولة وتماثيلها كان عليه أن يجد وسائل أخرى وفوارق مميزة تخصص الطفولة وتدل عليها . فاستعان بفارق التجرد الكامل من الثياب وإظهار مالا يظهره الرجال والنساء من عوراتهم ، واستعان بأوضاع خاصة لليدين ، واستعان بإسدال جديلة جزلة من الشعر على جانب الرأس . فاليدان قد تمتد يمناهما أو يسراهما إلى الفم وتلمسه بسبابتها (٦) تمثيلا لما اعتاده الأطفال حين ابداء رغبتهم فى الرضاع ، أو لما أصبح من عادتهم فى أعقاب الرضاع ، وذلك على حين تنسدل اليد الأخرى إلى الجانب إذا كان الطفل واقفاً (٧) ، أو توضع على ركبته إذا اتخذ وضع القرفصاء (٨) ، أو تنسدل اليدان معا إلى الجانبين

---

(١) هناك حالات لم يصور الفنان للأطفال العراة عوراتهم فيها ومن ذلك تصوير ثلاثة أخوة عراة L.D. II 82 على أنه ليس فى الوسع القطع بما إذا كان ذلك منه عن سهو أو مراعاة للاحتشام أو رجوعاً إلى شيء من الواقع . انظر أيضاً L.D. II, 73, 112.

(٢) تراجع حاشية ١ ص ٣٥

(٣) تراجع حاشية ١ ، ٣ ص ٢٤

(٤) cf. S.R. GLANVILLE, *An unusual type of statuette*, in J.E.A. XVII, pl. XXII, p. 98-99; G. LOUKIANOFF, *Une petite figurine archaique*, in Anc. Eg. 1931, part II, p. 42-44; G. DARESSY, Statues de Divinités, No. 38155.

(٥) see, DAVIES, in J.E.A. VII, p. 1; DARESSY, op. cit., 38136; Louvre A.F. 1660; Rev. d'Egypte 1952, pl. 3

(٦) ص ٣٨ — حاشية ١٠

(٧) M.A. SHOUKRY, Die Privatgrabstatue in Alten Reich, Kairo 1951, S. 76.

(٨) S. GLANVILLE, op. cit. (Brit. Mus. 59853, 30467); G. DARESSY, op. cit., No. 38158; G. LOUKIANOFF, op. cit.

فى حالة التعبير عن تخطى طور الرضاع ، وتكون كفاهما مبسوطتين إشارة إلى دعة الحياة التى يحياها (١).

أما جديلة الشعر فتتطلب شيئاً من التفصيل ، فهى تنسدل عادة على الجانب الأيمن للرأس فى التماثيل (٢) ، وتكون كذلك فى المناظر المصورة إذا اتجه الطفل يمنة ، أما إذا اتجه يسرة فكان الناقش أو الرسام يجعلها له على جانب رأسه الأيسر ، فإذا كان للطفل مع هذا صورتان يتجه فى احداهما يمنة ويتجه فى الثانية يسرة صور جديلته على اليمين فى الأولى وعلى اليسار فى الثانية (٣) . ثم ظهر لجدائل الأطفال فى الدولة الوسطى مايميزها ، إذ اصبحت لاتلتزم هذين الوضعين وحدهما ، وإنما قد تبرز كذلك أعلى الرأس على هيئة الخصلة (٤) ، أو تبرز من خلف الرأس (٥) ولهذه الحالة الأخيرة أمثلة من الدولتين القديمة والحديثة ولكنها قليلة (٦) .

ومن المحتمل أن يكون لتمثيل جدائل الأطفال أصل من الواقع ، لاسيما وأن صورة الطفل فى الكتابة المصرية — وفى الدولة الوسطى بخاصة — كانت تزود بخصلة من الشعر أحياناً (٧) ، كما أن رسم الخصلة ذاتها أصبح يحل فى العصور المتأخرة محل كلمة طفل ، (٨) ، ويحتمل أنها كانت ترسل للطفل زينة له مع تقصير بقية شعره . ولكن مناسبات تصويرها أو تمثيلها ، وطريقة تصويرها أو تمثيلها كلاهما خضع لأغراض الفنان ولم يعد يلتزم بالواقع . فالفنان قد جعلها للطفل الذى ولد لتوه (٩) ، وللطفل الرضيع (١٠) ، وللصبية (١١) وللبالغين (١٢) . وغالباً مامثلها لكل منهم جزلة سميكة تتخذ أشكالا مختلفة ، فقد يبدأ منبتها من وسط الرأس (١٣) ، وقد يبدأ من فوق الأذن مباشرة (١٤) ، أو يبدأ من

---

(١) M.A. SHOUKRY, op. cit., 129

(٢) Ibid., S.86

(٣) E. CHASSINAT, Dendara, t. III, pl. CLXXVIII

(٤) Cairo 20193

(٥) Cairo 20331, 20346, 20394, 20679

(٦) S. HASSAN, Excavations at Giza I, Figs 133, H. JUNKER, Giza II, Ab. 28 ; L.D. II 23 ; 112 : PAGET, Ptahhe tep, pl. XXXIII ; W. WRESZ., Atlas, Taf. 27.

(٧) A. MAR., Cat. d'Abydos, 639, 702 ; F.L. GRIFFITH, Kahun Papayri, pl. IX 1.18. A FAKHRY, The bent pyramid of Dahshûr, Le Caire, 1954, Figs 4,5.

(٨) E. CHASSINAT, Dendara, t. III, pl. CCLXXXIV ; Wb. III, 397,1

(٩) GAYET, Le Temple de Louxor, pl. LXVI, 192 ; LXVII, 194

(١٠) E. NAVILLE, op. cit., pl. LIII ; B. BRUYERE, op. cit., 1924-25, Fig. 57 ويراجع شكل (٣٢٢) — ويضاف إلى ذلك تماثيل حرباخرد التى تمثله بالجديلة يرضع من ثدى أمه أو يجلس فى حجرها — تراجع ص ٢٤ هامش ١ ، ٣ .

(١١) الذين يدل عليهم تصويرهم بالنقبة النصفية (من الدولة القديمة) WRESZINISKI, Atlas, IV, XXIII

(١٢) تراجع حاشية ٥ — ص ٤١

(١٣) L.D. II 73 ; III, 10

(١٤) L.D. II, 11

خلفها (١) وقد تتدلى الجديلة إلى ما تحت الكتف(٢) أو تدور حول الأذن(٣) ، وقد ينساب شعرها طليقا أو يجدل على هيئة الضفيرة(٤) . وإذا عدونا هذه الأشكال المختلفة التى يحتمل أنها كانت مستمدة فى بعض حالاتها من الواقع ، فإنه يتبقى تمثيل الجديلة الجزلة للوليد وللرضيع وهو مالا يمكن أن ينطبق على الواقع بحال ما ، إذ يتضح من لوحة ٣ أن جديلة الرضيع تتدلى من غطاء رأسه السميك ، أى أنها صناعية وليست طبيعية كما اعتاد الفنان تصويرها فى أشكاله الأخرى العارية . وأصبحت هذه الجديلة منذ الدولة الحديثة تستبدل فى المناظر بما يشبه صورة الشريط العريض المشكل فى هيئات متمايزة (٥) .

وهكذا يبدو أن الفنان فى تمسكه فى الغالبية العظمى من صور الأطفال وتماثيلهم بوضع السبابة على الفم وانبساط إحدى الكفين ، أو كلتيهما فى بعض الحالات ، إلى جانب تمثيل الجديلة للوليد والرضيع على الأقل ، كان يستهدف تصوير فكرة قبل أن يستهدف تصوير الواقع ، ويبدو أن تمسكه بتصوير الأطفال وتمثيلهم عراة كان من قبيل ذلك أيضاً . وكان الفنان بعد أن يظهر فكرة الطفولة هذه ويعبر عنها بما شاء من وسائله يتجه إلى إكمال صورته بما يناسب الموقف الذى صورت من أجله . فقد يحمل الطفل مالا يتحمله بدنه الغض من القلائد والأساور وحلى الدمالج (٦) إشارة إلى ثراء أهله ، أو يحمله فى يديه طيوراً وأزهاراً (٧) مما يرجو أبواه أن يتقدم به إليهما قرباناً ، أو مما يطيب للأطفال أن يحملوه ويلعبوا به . بل وقد يحمله بفخذ ثور (؟) ليقدمه إلى أبيه (٨) ، أو يخلع عليه لقب الكاتب وما سواه من الألقاب الرفيعة (٩) .

وفيما بين العاملين السابقين ، عامل التقيد بتقليد فنى قديم ، وعامل الاستعانة الفنية بالعرى والجديلة ووضع السبابة على الفم للتعبير عن فكرة الطفولة ، تذكر صور وتماثيل الإله الطفل حرباخرد . فهذا الإله وإن صور أو مثل على هيئة الطفل الرضيع (١٠) ، أو الشاب اليافع (١١) ، أو الصياد الماهر (١٢) ،

---

(١) L.D. III, 122 b.

(٢) L.D. II, 73; Cairo 55; 100

(٣) L.D. II, 9; Cairo 38155

(٤) L.D. III 8; 10; 18

(٥) يظهر بهذه الجدائل « البديلة » أمراء الدولة الحديثة وبخاصة عصور الرعامسة ويظهر بعضهم بها فى ساحات الحروب. WRESZ., Atlas, Band II, 79, 109; L.D. III 168.

(٦) صورت (كاوات) حاتشبسوت العاريات بالقلائد والأساور وصورت أختها بنفس الوضع .
NAVILLE, op. cit., LIII; L.D. III, 8

(٧) PAGET, Ptahhetep, pl. I, XXXI; H. JUNKER, Giza III, Abb. 27, 28

(٨) L. KLEBS, Die Reliefs und Malerein des Mittleren Reiches, Abb 122.
Leiden-Mus. I, pl. XXX

(٩) بألقاب الكتاب ، Cairo 1398; JUNKER, Giza II, Abb. 28; III, Abb. 27, وبألقاب الكهان L.D. 112. b. وبلقب القاضى حاكم الإقليم PAGET, op. cit., pl. XXXII ولو أن إرمان يرى فى تعليل هذه الظاهرة أن الفنان كان يترك إلى جانب صورة الطفل جزءاً صغيراً خاليا حتى إذا كبر أثبت فيه ما وصل اليه من مناصب . (Aegypten, 359(see, A. MARIETTE, Cat. d'Abydos 702, 703)

(١٠) تماثيل حور يرضع من أمه أكثر من أن تحصى – تراجع ص ٢٤ ، حاشية ١ ، ٣ .

(١١) DARESSY, op. cit., 38133, 38172; 38181, 38128, 38229.

(١٢) F. PETRIE, Amulets, London 1914, pl. 143; pl. 144 a-c

أو الملك المتوج ، أو الكائن المؤله (١) ، فهو يصور عارياً وله جديلة الشعر على الدوام (٢) .

ومما له دلالته إلى جانب ذلك ، أنه كما اتخذ الفنان من وسائله السابقة ما عبر به عن حداثة من مثلهم وميزهم به عمن سواهم ، كذلك اتخذ الكتاب من صورة الطفل (العارى) الذى يتخذ وضع الجلوس على حجر أمه والذى يضع سبابة يده اليمنى أو اليسرى على فمه ، مخصصاً لكل الكلمات التى تعبر عن حداثة السن فى اللغة المصرية ، حين التعبير عن الرضيع وعن الطفل وعن الغلام وعن الشاب ، وبمعنى آخر حين التعبير عن كل المراحل التى يكون الشخص فيها أقل من رجل (٣) . واستعملوا هذا المخصص كذلك فى كثير مما أرادوا التعبير به عن الصغر النسبى ، وذلك فى مثل كتابتهم لتعبير «المجندين الشبان» أو فرق الشبان (٤) ، وما كانوا يعنون بذلك الطفولة بطبيعة الحال وإنما التمييز بين الصغر النسبي لهؤلاء المجندين وبين غيرهم من قدماء المجندين . وفى نص كتب بحجم كبير على تابوت بمتحف القاهرة صور مخصص الطفل فى تلقيب صاحبه بلقب « خردن كاب» (بمعنى طفل جناح التربية) ؛ بشعر مستعار مرجل ونقبة على هيئة الرجال تماما ، على الرغم من أنه صور يضع إصبعه على فمه وعلى هيئة الجالس على حجر أمه(٥) (وراجع ص ٢ من ملحق النصوص عن الكلمات المصرية التى خصصت بصورة الطفل وعبرت عن مراحل حداثة السن) .

ويتبقى مارواه ديودور الصقلى عن مصر من أن معظم الولدان فيها كانوا يمضون عهد صباهم لحسن مناخ البلاد حفاة عراة (تراجع ص ١٥) وليس ديودور من المؤرخين المتجنين على مصر وإنما يحتمل وصفه هذا أمرين وهما : أن يكون قد قصد به انعصور القديمة أى أنه بناه خطأ على تمثيل الأطفال وتصويرهم عراة فيما شاهده من الآثار والمناظر المصرية ، أو أن يكون قد قصد به مصر المعاصرة له وحينئذ يحتمل أنه رأى الأطفال كما وصفهم فى بيئة فقيرة فانطبع مرآهم فى ذهنه كما ينطبع كل أمر غريب فى ذهن رائيه . ويبرر هذا الاحتمال الأخير أنه قرن عريهم وحفاءهم بقوله إن أحدهم لم يكن يكلف أباه حتى يبلغ أشده أكثر من ٢٠ دراخمة أى حوالى الثمانين قرشاً ، وهذا لا ينطبق بالطبع على غير الفقراء ، ويبرره كذلك أن خروج الصغار عرايا حفاة فى البيئات الفقيرة القصية من الصعيد لم يكن نادراً حتى عهد قريب .

---

(١) DARESSY, op. cit., 38176, 38181, 38182, 38220, 38229

(٢) قد يكون الغرض من تمثيل مظاهر الطفولة له الإشارة إلى أنه الطفل فى ثالوث أوزير – إيسة – حور ، أو الإشارة إلى الريعان الخالد الذى يتمتع به (انظر S. MERCER, Horus, Royal God of Egypt, 1942, p. 115). وقد ذكر عن حرباخرد فى متون الأهرام أنه « الطفل الصغير الذى إصبعه فى فمه Pyr. 663-4 ووصف إله أونو فى قصة إنقاذ البشرية بأنه « الإله ذو الجديلة » (A. ERMAN, Die Literatur, 79 ; Sethe, in AZ, LVII, 18 f. وأشارت متون الأهرام إلى أبناء حور باسم الأصدقاء الأربعة أصحاب الجدائل ، والأرواح الأربعة أقدم أصحاب الجدائل Pyr., 339,360 .

(٣) كان من التعاليم ما ينصح الابن أن يتزوج وهو عزد حتى ينجب وهو رنو Pap. Ch. Beatty, V vs. 2, 6-7 على الرغم من أن الكلمتين تخصصان بصورة الطفل واستعملت كلمة حون بهذا المخصص بمعنى « طفل لا يدرك » (Turin Statue of Harmhab, 3) ولسن ١٨ عاما S. HASSAN, Sphinx, pl. 38, 1.11 ولسن ٢٦ عاما أيضاً (Berlin 1204, 7)

(٤) Wb. II 258,2 ; V 523, 6

(٥) تابوت ما يحر برى من عصر الأسرة ١٨ رقم ٤١٢٦ بالغرفة ١٧ بمتحف القاهرة .

(د) وقاية الطفل وعلاجه :

نعود بهذا الموضوع إلى الربط بين الطفل وبين أمه ، وقد تقدم أنه على نحو ما يعتمد النمو الجسمانى للطفل على مقدار ما يصيبه من لبن أمه أو من تخلفها فى رضاعه تتأثر كذلك سلامته البدنية بمدى وقايته من نوازل الطفولة وبنوع الوسائل التى يتبعها أهله لعلاجه مما يلم به منها . وقد اختلفت وسائل وقاية الأطفال فى مصر كما اختلفت وسائل وقاية الكبار ، وكما اختلفت فى أى مجتمع كبير آخر ،باختلاف معارف الأسرة وبيئتها ، فكانت هناك إلى جانب العقاقير الطبية ، وصفات شعبية وتمائم ورقى يباركها السحرة أو الكهنة ، وذلك فضلا عن الدعوات الدينية والتعاويذ المأثورة التى كانت تقرنها الأم بوصفتها المجربة ، ويقرنها الطبيب بعقاره ، ويقرنها صانع التمائم بتميمته ، ربما على اعتبار أنه وإن كان الدواء يلتمس من المخلوق فإن نجاحه يلتمس من المعبود .

فمن قرائن اهتمام المخطوطات الطبية بالأطفال وأمراضهم أنها لم تقتصر على أن تصف للأم وللمرضع كيف تزيد إدرار لبنها لصالح الطفل (ص ٢٤) ، وإنما عنيت كذلك بتحذيرها من اللبن الذى يحتمل أن يؤذى الطفل وهو الذى تشبه رائحته رائحة خياشيم سمك محيت (١) الذى يختلف عن « اللبن الجيدالذى تشبه رائحته رائحة مسحوقحبوب سبت »(٢) . وكان من رأى الطب فى الطفلالذى يولدسقيما أن تختبر قابليته للحياة أى للعلاج من قبل علاجه ، ويكون ذلك بأن تسحق الأم جزءاً صغيراً من مشيمته وتذيبها فى لبنها ثم تسقيه إياها ، فإن قاءها علمت أنه سيموت وإن استقرت فى جوفه كان لها أن تطمئن إلى أنه يمكن أن يعيش (٣) . وقد يؤدى الاختبار بالملاحظة السطحية فإن سمع الطفل يقول نى كان من المرجح أنه سيعيش ، أما إن سمعه الطبيب يداوم (؟) الأنين أو رآه يطأطئ رأسه (كثيراً)إلى الأرض أو سمعه يقول مبى استطاع أن يرجح قصر أجله . (٤)

وأغلب الظن أن الأمراض التى كان يتعرض لها أطفال مصر القديمة لا تفترق كثيراً عما لا نزال نعرفه لأغلب فقراء المجتمع الحاضر. وقدبقىرأى الطب فىبعضهذهالأمراضوبقيت تعاويذالرقاةلبعضها الآخر .

فأمراض البطن (إذا صحت هذه الترجمة لكلمة بعع) كانت من أكثر أمراض الطفولة ، وعزا بعض الباحثين انتشارها إلى جو مصر الحار الذى يؤدى إلى سرعة تخمر لبن الرضاع (٥) . وكان من رأى الطب فى علاجها أن تسحق للطفل أطراف ساق بردى مع حبوب « سبت » ثم تخلط هذه بلبن أم وضعت طفلا ذكراً ، فإذا أعطى الطفل المريض من هذا الخليط مقداراً معيناً (هن) قضى يومه وليله هادئاً (٦) . أما أهل الرقى فكانت رقيتهم تستعين بما سبق أن عولج به الطفل الإلهى حور فتقول « إن صوت رع ينادى الحية وبت (؟) أن بطن هذا الرضيع الذى وضعته إيسة تؤلمه فبماذا يرقى ؟ إنه

---

(١) Ebers 93, 17

(٢) Ibid., 94, 9-10

(٣) F. LEXA, La Magie dans l'Egypte antique, Paris 1925, I, p. 73

ويعلل لكسا استخدام المشيمة بأنهم قدروا لها أثرها فى حفظ الحياة للطفل قبل ولادته ، فإذا رفض المولود ابتلاعها ثانية فكأنه رفض أساس الحياة وأصبح قريباً من الموت .

(٤) Ebers 97, 13; 97, 14-15

(٥) F. Lexa, op. cit., I, 27.

(٦) A ERMAN, Zaubersprüche für Mutter und Kind, 7, 3-5, S. 29.

يرقى بالأتنو (؟) . وبها يسقط المرض (عنه) ويزول » (١) . ويشهد بتعدد أنواع الرمد قديماً للصغار والكبار وشدة العناية بعلاجها كثرة ما ذكرته لها الكتب الطبية من عقاقير لفصول السنة المختلفة ، فمنها ما يقتصر استعماله على الشهرين الأولين من الشتاء، وما يستعمل فى الشهرين الثالث والرابع منها، وما يستعمل فى فصول السنة جميعها (٢) .

ومن العقاقير التى أشارت كتب الطب بها لتنظيم تبول الطفل : أن تنقع قطعة من بردية قديمة (أى مكتوبة) فى الزيت ثم توضع ساخنة على بطن الطفل (٣) . أو تنقع زهرة نبات نبيت فى جعة حلوة ثم يسقى الطفل أو الطفلة من منقوعهما (٤) أوتكور بذور خنت على هيئة حبوب يتناولها الطفل فى طعامه إذا كان كبيراً ، أما إذا كان الطفل لا يزال فى قماطه فتذاب فى لبن مرضعته وتقذفها المرضع من فمها إلى فيه وينبغى عليها أن تكرر ذلك لأربعة أيام (٥) .

وكان من وسائل تهدئة صراخ الطفل أن يسقى خليطاً من الخشخاش وروث الذباب الذى يتكون على الجدار (٦) . ويبدو أن الأطباء قد استهدفوا بذلك علاج كثرة الصراخ وليس مجرد إراحة أهل الطفل من صراخه ، إذ حددوا فترة علاجه بهذا العقار بأيام أربعة ينتهى بعدها فى الحال .

وفى مرحلة التسنين وما يصحبها من آلام سماها المصريون سسمى (٧) كانت الفئران تستخدم على نطاق واسع . فتذكر وصفة اختلط الطب الفطرى فيها بتدجيل الرقاة ، أنه يمكن أن يطعم الطفل أو أمه (؟) فأراً مطبوخاً ، ولتمام الفائدة يحسن أن تنزع عظام الفأر قبل طبخه و توضع فى شريط يعقد سبع عقد ، وكلما عقدت عقدة منه تلت عليها رقية معينة حتى تتم العقد السبع ، ثم يعلق الشريط فى رقبة الطفل (٨) . ومما يذكر أن W.R. Dawson قد تبين استخدام لحم الفأر لنفس المرض ولأغراض أخرى فى مجتمعات قديمة وأخرى حديثة ومنها جانب من المجتمع الإنجليزى المعاصر بالذات (٩) . وكان لسعال الأطفال عقاقير خاصة (١٠) ، ذكرتها كتب الطب من بين ١٣ عقاراً لمختلف الأعمار ، وكان مما يستخدم فيها بذور الكراوية والعسل

---

(١) ERMAN, op. cit., Bl., 4,?

(٢) Ebers 61, 14 ; 61, 4 ; 61, 6. وعن التخصص فى علاجها :
H. KEES, Kulturgeschichte, 306 ; H. JUNKER, in AeZ LXIII, 63 f.

(٣) Ebers, 48, 22 f. ويرى C. BRYAN ان اشتراط قدم البردية يقصد به الاستفادة من منقوع الحبر الذى تشربته فضلا عن منقوع البردى نفسه (C.P. BRYAN, The Papyrus Ebers, Copenhagen, 1937, p. 80.

(٤) Ebers, 49,2 f.

(٥) Ibid., 49,22 f.

(٦) Ibid., 93, 3-5.

(٧) E. EBELL, *Die ägyptischen Krankheitsnamen*, in AeZ. LIX, 144.

(٨) A. ERMAN, op. cit., L. 7, 6-8, 3.

(٩) W.R. DAWSON, in J.E.A. X, 83 f.

(١٠) W. WRESZINSKI, Der Grosse Medizinische Papyrus des Berliner Museums, Leipzig 1909, III, 3, 5-6.

والقشدة (١) . وقبل التعليق على الآثار المحتملة لهذه الطرق العلاجية فى حياة الأطفال ونسبة وفياتهم ينبغى أن يضاف إليها ما كان يشاركها وقاية الطفل من الرقى والتمائم .

الرقى : لم تكن الأم العادية فى العصور القديمة ، فى مصر أو فى غيرها ترى طفلها فى حاجة إلى مجرد الوقاية من المرض ثم علاجه ، وإنما كانت ترى وجوب وقايته كذلك من الحسد ومما يحيط به من الأشباح والأرواح الشريرة . وكان أقرب ماتوهمه المصرية من الأشباح والأرواح طائفة من أرواح الموتى حرمها الناس نعيم الدنيا أوأهملوا تزويدها بمقومات الآخرة فهجرت قبورها هائمة ناقمة تصب جام غضبها على كل من تتمكن منه فى سواد الليل أو فى واضحة النهار (٢) . ولوقاية الأطفال منها صيغت على مر الأيام كثير من الرقى والتعاويذ تداولت بعضها أفواه النساء واحتفظ الرقاة والسحرة بأسرار بعضها الآخر . وقد اتخذ رجل من الدولة القديمة لقباً تحتمل قراءته حامى الأطفال (٣) ، واتخذ أحد سحرة الدولة الوسطى لقب « حكاى ن كاب » (٤) أى ساحر أوراقى « الكاب » وقد كان هذا « الكاب » جناحاً لتربية الأطفال فى البلاط الفرعونى (ويراجع عنه الفصل الثامن) ويبدو أنه كان من اختصاصات ساحره أن يرقى أطفاله .

واحتفظت كتب الرقى بعدد منها ، وتتحدث إحداها على لسان الأم لتقى طفلها شر أشباح الليل فتنذر الميت القادم ذكراً كان أم أنثى بخيبة الأمل فيما جاء يسعى إليه من تشمم الطفل « أو كتم أنفاسه » أو « إيذائه » أو « انتزاعه » ، وتخوفه بأنها قد استعدت له بتميمة فيها الأذى كل الأذى له إذا أراد الطفل بسوء ، حيث ضمنتها خليطاً من أعشاب تورث الهلاك ، وبصل معطس وعسل مستحب للأحياء مر للموتى ... (٥) . وتأخذ رقية أخرى فى مناشدة رع حين إشراقه أن يتولى « فلان بن فلانة » بحمايته إذا رأى الميتة تأتى إليه وهى تدمدم (؟) وتدبر الخطط . ويشترط واضع هذه الرقية أن تتلى فى الصباح الباكر على ختم يد ، أو كما يحتمل ماسبرو G. Maspero على خاتم تنقش عليه يد مبسوطة (٦) ، ثم يعمل للطفل (بالختم ؟) حجاب من سبع عقد تعقد عقدة منها فى الصباح وأخرى فى المساء حتى تكمل العقد السبع (٧) . ، ولهذه الرقية شبيهة بها تتلى فى المساء وعلى هذا توجه إلى الشمس الغاربة عوضاً عن الشمس المشرقة (٨) .

وإذا كانت الأم تعتقد فى نفع هذه الرقى وأمثالها ، فما من شك فى أنها كانت تبعث فى قلبها شيئاً من الطمأنينة على طفلها ، ولكن ما من شك كذلك فى الأثر السىء الذى يتعرض له وجدان الطفل النامى حينما تتلى هذه الرقى على مسمعه فتصف الميت الذى يتهدده بما وصفته به أولى الرقى السابقة تمشى مشية

---

(١) E. Ebell. op. cit. 146 f.

(٢) G. MASPERO, New Light on Ancient Egypt (translated by E. Lee) London, 1908, 196-7 ; A. ERMAN, Die Religion der Aegypter, 239, 241.

(٣) PETRIE, in Ancient Egypt 1926, No. 1917 ; Ann. Serv. XV, 215.

(٤) Lyden V 105 ; A.H. GARDINER, Professional Magicians in Ancient Egypt, in P.S.B.A. XXXIX, 32. (وانظر ملحق النصوص)

(٥) A. ERMAN, Zaubersprüche, Rs. 2, 3-6

(٦) G. MASPERO, op. cit.

(٧) ERMAN, op. cit., 3, 3 ; 3, 8-4, 2.

(٨) Ibid., Rs 3,3-7 ; also Rs. 4,2-6.

التلصص وله أنف أفطس وسحنة مقلوبة فيكون من أثر هذا أن ينشأ يخشى الظلام ويتهيب ذكر الموتى . ولعله لمثل هذا الأثر السيئ أن خصصت بعض الرقى « لدفع الخوف الذى يستولى على الإنسان ليلا أو نهاراً، ومن بين يديه أو من خلفه » (١) .

التمائم :

توفر لمصر القديمة من الشهرة بالتمائم والاعتقاد بجدواها ما أدى ببعض الباحثين إلى القول بإمكان الربط بين مدى انتشار التمائم المصرية فى الخارج وبين ما وصلت إليه تجارة المصريين وعقائدهم (٢) .

على أن استكناه أغراض التمائم المصرية وأنواعها ليس بالأمر اليسير ، فالرأى السابق ونحوه من آراء الباحثين يعنى التمائم المصرية عامة دون تفرقة بين تمائم الأحياء منها وتمائم الموتى أو بين تمائم الصغار وتمائم الكبار . وليس مما يحتمل الشك عظم الدور الذى لعبته التمائم فى عقائد الموتى (٣) ، ولكن مايتطلب البحث هو مبلغ استعانة الأحياء بالتمائم ومبلغ إيمانهم بها . وقد يدعونا بحث تمائم الأحياء هذه إلى الخروج عن دائرة الطفولة أحياناً ، غير أنه بحث لا ينبغى إغفاله على أية حال نظراً لأهمية الناحية التى يمسها من نواحى التفكير المصرى القديم .

فلقد تقدم أن من رقى الطفولة ماكان يتخذ شكل العقد ويعلق فى رقبة الطفل أى أنه كان يتخذ غرض التميمة . ولقد اعتاد المصريون عمل التماثيل لآلهتهم كبيرة وصغيرة من معادن ومواد متباينة فى أشكال حيوانية وإنسانية ، فليس من المستبعد أن كانت بعض الأمهات يدخرن لأبنائهن بعض هذه التماثيل التى جرت العادة بتسمية الصغار منها بالتمائم (٤) وبخاصة إذا كان لها ثقب صغير فى أعلاها لتعليقها ، ويلتمسن من وراء ذلك بعض الفوائد . ولا ينكر كذلك أنه فى المناظر المصورة والمنقوشة للعصور المصرية جميعاً توجد أمثلة لرجال وشبان وأطفال يتقلدون التمائم أو ما يشبه التمائم (٥) ولكن يلاحظ مع كل هذا :

١ — أن من يتخذون التمائم فى المناظر المصرية قلة بالنسبة إلى من لم يتخذوها .

٢ — أنه ندر من التماثيل ما نقشت أو صورت التمائم فيه ، ويلاحظ على سبيل المثال أنه مع كثرة ما يحتويه المتحف المصرى من تماثيل الدولة القديمة ، فليس غير ثلاثة منها فحسب تنتهى قلادة أحدها

---

(١) A.H. GARDINER, Magic (Egyptian) in Hasting's Encycl., VIII, p. 264

(٢) A. WIEDEMANN, Die Abmulette der alten Aegypter, 1910 ; ERMAN, RANKE, Aegypten, 358 ; also, WIEDEMANN, Religion of the Ancient Egyptians,

(٣) تضمنت نسخة متأخرة من كتب الموتى قائمة بخمس وسبعين تميمة سميت بأسمائها المختلفة (J. Capart, in AeZ. XIV, 14) على أنه يلاحظ مع ذلك تعليق أدولف إرمان بصعوبة الاهتداء إلى حقيقة ما كان ينسب إليها من كفاية أو إلى الأساس الذى كانت تعتمد عليه قدرتها فى التأثير . (Die Religion der Aegypter, 311)

(٤) جمع F. Petrie ٢٧٠ نوعاً من تمائم المصريين . (منها ماصور على هيئة الآلهة) وقد اعتبر من التمائم كل أثر لا يزيد طوله عن البوصتين . (W.F. PETRIE, Amulets, London, 1914, p. 5)

(٥) QUIBELL-GREEN. Hierakonpolis II, 28 ; PAGET-PIRIE, pl. Ptahhetep XXXII ; M. MURRAY, Saq. Mastabas, I pl. 9 ; 14 ; F.W.v. BISSING, Gemnikai, I pl. XV ; WRESZ., Atlas I, 49 ; Berlin, Inv. Nr. 2063 ; J.E.A. XI, pl. X ; L.D. III, 10 ; Cairo 1563 ; Giza 7530 ; TYLOR-GRIFFITH, the tomb of Paheri, pl. IV.

بما يشبه الخرزة وتنتهى قلادة آخر بهيئة القلب (١) . وذلك مع ملاحظة أن أغلب التماثيل الاخرى احتفظت برسوم قلادة «وسخ» عليها وذلك مما يحول دون الظن بأن التمائم كانت مرسومة على عدد آخر ثم حالت ألوانها (٢) .

٣ — أن ما صور أو مثل لأصحاب التمائم فى هذه القلة من المناظر والتماثيل يتخذ أغلبه صورة القلب (٣) ويحتمل أنه كان لذلك مغزى ما لدى المصريين ، ولكنه ليس المغزى الصريح للتميمة السحرية فيما يبدو . (٤) .

٤ — أنه قلما أشير إلى تمائم الأحياء وفائدتها فى آداب المصريين (٥) ، وذلك مما يعنى أن من بين الأوساط المستنيرة التى كانت تكتب الأدب وتقرؤه ، من كان لا يؤمن بسحر التمائم فى الحياة الدنيا .

٥ — أن أغلب ما عثر عليه من تمائم فى مصر يرد إلى عصور اضمحلالها السياسى ، فى حين يقل ما وجد منها فيما خلفته عصور الازدهار الحضارى والسياسى . وقد أثبت بترى ذلك بعد أن تبين كثرة التمائم فى أعقاب الدولة القديمة وبخاصة فى عصرى الأسرتين السابعة والثامنة حيث توالت وفود الآسيويين إلى مصر وكذلك فيما بين عصرى الأسرتين السادسة والعشرين والثلاثين فيما يختص بتمائم الموتى ، وفى العصر الرومانى فيما يختص بتمائم الأحياء ، وذلك على حين تبين قلة التمائم فى مثل عصور الدولة القديمة وعصر الأسرة الثامنة عشرة (٦) . ونوه G. Wainwright and T. Whittemore كذلك بندرة ما وجد من التمائم فى مناطق حضارات فجر التاريخ المصرية مع كثرة ما صنعه أهلها من الخرز (٧) واهتدى W. Spiegelberg بطريقة أخرى إلى ما يقارب هذه النتائج . ففى بحث له عن الأسماء التى تحمل معانى الاعتقاد فى أثر العين والحسد ومحاولة دفعهما ، تبين له أن أغلب هذه الأسماء نشأ من العصور المتأخرة التى تلت عصر الأسرة السادسة والعشرين دون ما قبل ذلك من عصور (٨) . وقد نرى فى تعليل هذه الحقائق ، وما تبينه بترى منها بخاصة ، أن الاضمحلال السياسى فى مصر غالباً ما كان يتبعه الاضمحلال الفكرى ، وان الأفكار التى كانت تغلب

---

(١) تمثالا «رع حوتب» من عصر الأسرة الرابعة و«كاحب» من عصر الأسرة الخامسة Cairo, 129 — ومن الأمثلة القليلة الأخرى فى تماثيل العصور التالية لها تماثيل : امنمحات الثالث ونقشت حول عنقه قلادة تنتهى بما يشبه البيضة (Cairo 385) ويماثله سنوسرت الثالث (Cairo, J. d'Ent. 6149) وملك آخر من الدولة الوسطى جسمت قلادته بارزة فى الجرانيت واتخذت الشكل السابق (Cairo 532) ولا أستطيع الإدلاء برأى فى ظاهرة انتشارها هكذا بين ملوك الدولة الوسطى .

(٢) تراجع لذلك مجموعات خزائن المتحف المصرى بأرقام R. 42 N2, N8, S2, S8, S9 بالمتحف المصرى .

(٣) H. JUNKER, Giza III Abb. 8a ; *Wresz.*, Atlas I,49a ; J.E.A. XI, pl. 10, Cairo 500 ; Berlin 4652 ; Inv. Nr. 2063.

(٤) عن فائدة تميمة القلب للموتى يرى WIEDEMANN أنهم اعتقدوا أن القلب يتخذ كياناً مستقلا بعد الوفاة وأنه يغيب عن صاحبه حتى يلقاه لدى المحاكمة الأوزيرية ، ولهذا يتعين أن يزود المتوفى بتميمة تمثل القلب المؤقت حتى يستطيع مواصلة الحياة إلى أن يلتقى بقلبه الطبيعى . (Religion of Ancient Egyptians, 286).

(٥) A.H. GARDINER, in Proc. S.B.A. XXXVIII, p. 130

(٦) W.F. PETRIE, in Descriptive Sociology, col. 143; see also, Illahun, p. 25.

(٧) G.A. WAINWRIGHT and T. WHITTEMORE, Balabish, London, 1920 p. 19

(٨) W. SPIEGELBERG, *Der bose Blick in altagypten Glauben*, in AeZ, LIX, 149 f. ; also in Rec. Trav. XVII, 93-4.

عليها الطمأنينة والثقة والانصراف إلى العمل فى عصور الاستقرار ، كانت تنقلب فريسة للقلق والتخوف والفراغ فى عصور الضعف والاضمحلال ، وأنها لذلك كانت تلتمس السند والحماية من أوهى الأسباب .

وإزاء القرائن والآراء السابقة من ناحية ، وكثرة ما وجد فعلا من تمائم للمصريين لا يتيسر الفصل بين الدنيوى منها وبين الأخروى ولا بين ما انفرد الأطفال به وما انفرد الكبار به ، ثم ما تقدم ذكره عن تخيلات الأمهات عن عناصر الشر التى كانت تهدد أبناءهن من ناحية أخرى ، فضلا عن بقاء الاعتقاد فى جدوى التمائم بنسب متفاوتة فى كل المجتمعات المعاصرة ، فإنه ما ينبغى أن يطبق حكم عام بانفراد المصريين باتجاه خاص فى استخدام التمائم ، وإنما هى حياة قديمة كانت لها ظروفها ومعتقداتها وفيها عديد من الآراء عملت جنباً إلى جنب ، ومراحل للفكر متعاقبة ، وطوائف لمجتمع واحد تمايزت فيما بينها برقى الفكر أو بداءته .

والواقع أن ثمة اعتبارات أخرى تحمل على الأخذ بهذه النظرة المتعددة الجوانب فى موضوع التمائم المصرية وتمائم الأطفال خاصة ، وأهمها شغف المصريين البالغ من الجنسين بصنوف الزينة واحتمال أن يكون من تمائمهم ماكانت تقصد به الزينة أولا ثم البركة ثانياً ، وذلك إلى جانب ما هو سحرى مقصود لذاته منها . فمنذ استطاع المصريون نظم الخرز فى فجر تاريخهم استخدموه بأشكاله المتنوعة ومن أحجاره ومعادنه المختلفة فى تحلية الصدور والمعاصم والدماليج للاناث والذكور معاً (١) . وكانوا كلما تقدمت بهم حضارتهم ورخاؤهم تنوعت أشكال حليهم ومعادنها . فإذا قدرنا لهذا الأمر اعتباره ، أفلا يكون اهتمام الأب والأم بزينة الطفل الصغير آثر لديهما من زينتهما وحينئذ يقترن أثر الذوق الشخصى بتفضيل الأمهات لبعض ما هو من الحلى أو من التمائم ، على بعض ، أكثر مما يقترن بذلك الإيمان اللازم بقيمة سحرية خاصة لكل ما يلبسه الطفل فى عنقه ؟ (٢) .ومما له دلالته فى ذلك أنه وجد تابوت صغير سليم لطفل من عصر الأسرة السابعة عشرة بالقرنة فلم توجد به تميمة ما ، وإنما قرطان ذهبيان وقلادة من ٢١٥ خرزة ذهبية دقيقة ، وسواران من العاج ، وما يشبه الخلخال من الخرز الدقيق الأزرق ، وحزام ضيق من خرز مماثل حول الخصر (٣) . ومما له دلالته كذلك أنه فى منظر جمع بين والد وولدين له ، تزين الوالد بقلادة عريضة (وسخ) وبأخرى طويلة ذات خرزات تتدلى على صدره وتنتهى بشكل ناقوس . أما ولداه فتزين أحدهما بقلادة عريضة (وسخ) ولم يتزين الآخر بشىء (٤) فإذا اعتبر ذلك الشكل الذى تنتهى به قلادة الأب تميمة وليس حلية أما كان الأولى أن يزود ولديه كذلك بالتمائم ؟ على أية حال فإنه إذا ماتبدى لحلية الطفل التى تتخذ شكل التميمة مدلول دينى وسحرى فلا بأس من أن يفترض لذلك أكثر من فرض واحد ، ومن أبسط

---

(١) G. BRUNTON— G. CATON— Thompson, Badarian civilization, p. 27 f., 38.

(٢) انظر لذلك تميمة (؟) يتقلدها ابن بتاح حوتب هى أقرب إلى أن تكون للزينة (PAGET— PIRIE, op. cit. XXXII) وكذا تميمة (؟) أبيه (pl. XXXI, XXXII) وثالثة تتدلى من عنق ابن مراكبى (pl. XXXII) وقريب من ذلك أربعة صبيان (؟) يتضاربون بالعصى فى المراكب وقلائدهم تنتهى كل منها بشكل الزهرة على أنواع مختلفة (Ibid) وكثيراً ما عمد الفنان المصرى إلى تحميل الطفل الحدث بقلادة وأساور فى المعصمين وأعلى الذراعين وإذا كانت بنتاً زادها عقداً وقرطاً وذلك كناية فى الغالب عن ثراء الأسرة (Bull. Metr. Mus., 18, Dec., Fig. 3 ; L.D. III, 8 ; Deir el (Bah. pl. LIII وأغلب الأطفال المصريين يبدون بالقلادة العريضة (وسخ) .

(٣) W.F. PETRIE, Qurneh, London 1909, p. 10, XXVI.

(٤) L.D. II, 46.

الفروض أن تختار الأم تميمة طفلها على هيئة إله معين أو رمز مقدس وترجو من هذا أن تلتمس منه البركة دون السحر . وإذا جاز عقد أوجه شبه بين موالد الأولياء والقديسين فى عصرنا وبين أعياد الآلهة فى مصر القديمة ، لكان من أوجه الشبه قريبة الاحتمال كثرة بائعى حلى وتمائم الأطفال فيها ، واستعداد الأبوين الزائرين لشراء كل ما يسعهم شراؤه منها لأطفالهم ثم قيام اختيارهم لما يشترونه منها على وحى الساعة أحياناً وليس عن قصد سابق دائماً . على أن الفروض أو المبررات المتقدمة لا تنطبق على فئات بعينها من الأمهات مثل الأم ذات الولد الواحد أو التى مات لها أولاد كثيرون وأصبحت حماية طفلها الوحيد هى شغلها الشاغل وهى التى توجهها فى كل ما تختاره له من زينة وملبس ورقى وتمائم .

وفى ضوء ما تقدم نستعرض فيما يلى طائفة من أقدم ما وجد للمصريين من التمائم وطائفة من أشهر ما عرفوه منها مع الإشارة إلى ما يحتمل أن يرتبط منها بالطفولة بسبب من الأسباب . فقد سميت التمائم لدى المصريين بما يدل على معانى الحماية والحفظ والوقاية مثل (وزاو — مكة — نهة — سا) . (١) ويرجع أقدم ما وجد منها إلى حضارة مرمدة بنى سلامة حيث وجدت بها أعلاق صنع بعضها من الحجر وصنع بعضها الآخر من سن الخنزير البرى (٢) . وفى حضارة نقادة الثانية شاعت الأعلاق من الصدف وحجر السماق والنحاس والعاج وكان أغلبها بيضى الشكل رقيقاً بطرفه الأعلى ثقب ، وذهب « بترى » إلى أنها كانت تعلق على الجبهة (٣) واحتمل « شارف » أنها كانت تسلك فى قلادة للعنق (٤) ، واستعمالها على أحد هذين الوجهين أقرب إلى أن يجعلها للنساء والأطفال (٥) ، وإذا قربناها إلى الأعلاق التى تعلق على جباه أطفال العامة حتى اليوم أمكن اعتبارها من وسائل دفع الحسد فضلا عما تحققه لطفلها من الزينة . وكان الحسد ولا يزال أشر ما تتخوفه الأم على طفلها (٦) . ومن تمائم المصريين الأخرى التى يحتمل أنها كانت تشارك الأعلاق غرض دفع الحسد ، الكف المبسوطة (٧) ، والعين التى أسماها المصريون وزاة (٨) أى العين السليمة ، بل لا يبعد أنهم كانوا يرون مثل غيرهم أن هذا الغرض يمكن أن تؤديه أى تميمة صنعت من مادة ثمينة براقة مثل الذهب أو العقيق أو اللازورد بحيث تستطيع أن تصرف عين الحاسد إلى تأملها دون تأمل الطفل ذاته . ومن أكثر التمائم شيوعاً تميمة « عنخ » (٩) وهى أقدم ما عرف من تمائم العصر التاريخى ،

---

(١) Wb. I, 401, 10, 11 Wb. III, 414 ; II, 282,2 ; II, 161,1

(٢) H. JUNKER, Merimde Benisalame, Bericht 1930, S. 31.

(٣) PETRIE-QUIBELL, Naqada, p. 47 ; PETRIE, Prehistoric Egypt, p. 41

(٤) A. SCHARFF, Die Altertuemer, 2 Teil, 113

(٥) فى مقبرة طفل من البلاص وجدت ثلاثة أعلاق عظم بخطوط سوداء محفورة .
J.E. QUIBELL and F. PETRIE, Ballas, 1896, p. 14.

(٦) ذكر فى مكتبة ادفو اسم كتاب يتضمن « رقى لدفع الحسد أو العين الشريرة » (AeZ, IX, 44) — see, SCHOTT, in AeZ, LXII

(٧) PETRIE, Amulets, 11a-g ; G. MASPERO, op. cit., p. 197.

(٨) كانت العين تحفر حفراً بارزاً أوغائراً على صفائح رقيقة من الحجر أو المعدن ويكون لبعضها ثقب لتعليقه ، كما أن من تمائمها ماتعددت فيه العيون . (F. PETRIE, op. cit., 138-9 ; p. 32-3)

(٩) Ibid., pl. 30 وتعددت الآراء فيما يمثله الشكل الذى تتخذه هذه التميمة . فرأى =

وذكر عنها أنها تعنى لحاملها « الحياة على الأرض » وحيوات (كثيرة ؟) على الأرض تحت قدميه » (١) وهذه أمنية وإن كان يتمناها كل إنسان إلا أنها كانت أكثر اتفاقاً مع ما يتمناه كل والد ووالدة لطفلهما. ثم تميمة « نفر » وتعنى الجمال أو الكمال (٢). وتمائم على شكل الساق والقدم ويحتمل أنها تعنى أمنية التبكير بالمشى والقدرة عليه (٣) ، وتمائم على هيئة الباقة المزدهرة من سيقان البردى وربما كانت تكنى عن تمنى الازدهار للطفل كما تزدهر الزروع الخضراء (٤). ومن التمائم ما صورت على هيئة آلهة معينة وكان أقربها ارتباطاً بتمائم الطفولة هو ما يمثل الربة إيسة ترضع طفلها وتحيطه بذراعها كناية عن الرعاية والحماية ، وكان مما وصفت به إيسة على نصب من دير المدنية أنها ربة الأطفال ذات الأشكال العديدة (٥) ، وقد انتشرت تمائمها منذ عصر الأسرة السادسة حتى العصر الرومانى ، وكان منها ما هو صغير له ثقب فى أعلاه لتعليقه (٦). ثم ما يمثل حور الطفل الربانى وحده (٧) ومن تمائمه فى عصر الأسرة السادسة ما له ثقب فيما بين الذراع والرقبة لتعليقه (٨).

نخلص إذن إلى أن كلا من الوسائل الطبية والتمائم والرقى قد استخدمت جميعها على تفاوت من حيث انتشارها بين الطبقات المختلفة ومن حيث انتشارها فى العصور المختلفة ، وذلك لغرض سلامة الطفل مما يتعرض له أو مما تتوهم أمه أنه قد يتعرض له. غير أن ما اتسمت به كثير من الوسائل الطبية من تداخل العقاقير الفطرية فيها واعتماد بعضها على الرقى ، وهذا قد أغفلنا منه الكثير ، فضلا عن احتمال تحميل بعض الأمهات للتميمة مالا نعلمه من قدرة على الوقاية والعلاج ، كل أولئك يوحى بأن التوفيق فى وقاية الأطفال وعلاجهم كان محدوداً وبخاصة فى أوساط العامة الفقراء ومحدودى الثقافة ، ولما كان هؤلاء هم الكثرة

= PETRIE, Medum, p. 331 أنها تمثل الحزام الضيق الذى يلبسه الصيادون ، أو أنها تمثل ربطة نقبة عادية (PETRIE, Amulets, 12 ورأى Budge أنها تمثل جزءاً من جسم الإنسان رأى المصريون فيه صلة بالتناسل وحفظ الحياة (W. BUDGE, Amulets, 133) ورأى V. LORET أنها عبارة عن رباط معقود (Sphinx, V. 138) ورأى A.H. GARDINER أنها تمثل ربطة الصندل (Grammar 1927, p. 494) ورأى MONTET أنها تمثل حلية بدائية كانت تلف حول الرقبة ثم تربط بما يشبه رباط الرقبة الحالى.

P. MONTET, *La croix ansée des anciens Eg.*, in Rev. Arch. 1925, p. 113-4

(١) P. LACAU, Sarcophages antérieurs au N.Emp., Le Caire, 1904, 113

(٢) PETRIE, op. cit., pl. 31a—d ; GRIFFITH, Paheri, p. 8, pl. 4 (and see for «nfr» ; W. VYCICHL, in J.E.A. 1953, 112

(٣) PETRIE, op. cit., pl. 15a—f ; p. 11

(٤) Ibid., pl. 20a—g, p. 12

(٥) Turin 296 (J.E.A. III, 87 ; Recueil II, 112)

(٦) PETRIE, op. cit., 148 a-m

(٧) Ibid., pl. 145, a-v.

(٨) PETRIE, Dashasheh, pl. XXVI, 32 وليس فيما اطلعت عليه من تقارير الحفائر ما يخصص تمائم من مقابر أطفال عدا ماذكر فى حاشية ٥ ص ٤٩ – وفيما وجد فى مقبرة الملك الشاب توت عنخ آمون تمائم بأشكال : سا ، زد ، واز ، فضلا عما شكل بأشكال الآلهة والآلهات تحوتى وحور ونخبة ووازة .. الخ .
H. CARTER, The Tomb of Tut Ankh Amen, vol. II, pl. LXXVIII, LXXIV.

الغالبة فى الشعب، فإنه يترتب على ذلك أن نسبة وفيات الأطفال فى مصر القديمة كانت عالية إلى حد كبير * .

وقد استشهد فوكار G. Foucart فى تأكيد ارتفاع نسبة وفيات الأطفال فى مصر القديمة بكثرة الوفيات بين أولياء العهود الذين لم يكن يصل منهم إلى العرش فى الدولة الحديثة مع ما تمتعت به من تقدم حضارى إلا الابن الثالث، أو الرابع على حد قوله (١) . وذلك فضلا عما بدا من وفرة جثث الأطفال فى التوابيت العائلية لكهنة أمون فى الدولة الحديثة أيضاً(٢) ، على الرغم من أن مستوى حياة الكهنة فى هذه الدولة بالذات كان يفضل مستوى عامة الناس بكثير .ومثل هذه الآراء عن ارتفاع نسبة الوفيات لاشك وأن لها نصيبها من الصحة (٣) .غير أنها ينبغى أن تقرن بما كانت عليه أحوال المجتمعات القديمة الأخرى وليس بأحوال المجتمعات الحديثة ، فالتطبيب الفطرى والاعتماد على الرقى والتمائم كان من شأن المجتمعات القديمة جميعها ، وقد تميزت مصر عنها ، ليس بما اعترف به أمثال هيرودوت من تفضيل أثر مناخها على غيرها وتميزه بقلة التقلب ، وطول أعمار أهلها نسبياً فحسب (٤) ، وإنما يلاحظ كذلك أن نظافة البدن ظاهره وباطنه كانت من الأمور المستحبة لدى المصريين واعتبرها الإغريق من العادات التى ينبغى أن تحتذى عنهم . ومن قرائن إيثار المجتمع المصرى القديم للنظافة نكتفى هنا بإيجاز ما يحتمل تأثيره على الأطفال منها مثل :

١ — التعود على غسل الأيدى حين الأكل وهو ما ينم عنه كثرة تصوير الطسوت والأباريق إلى جانب موائد الطعام وكثرة ما عثر عليه منها منذ أوائل العصور التاريخية (٥) . وهذه العادة إن لم يأخذ الطفل بها فى مرحلة طفولته الأولى فلا أقل من أنه كان يأخذ بها فى أعقابها .

٢ — إيثار التوسط فى الطعام والشراب وهو مما تنم عنه تعاليم الآباء لأبنائهم (راجع ص ٩٨) ويؤيده بلوتارخ فى قوله بحرص المصريين القدماء على توقى التخمة .

٣ — ما رواه ديودور الصقلى من تعود المصريين على الحقن والحمية والمقيئات على فترات متقاربة

---

* بلغت نسبة الوفيات العامة حتى عهد قريب ٢٧ فى الألف ثم تناقصت فى عهدنا الحاضر إلى نحو ١٣ فى الألف.

(١) G. FOUCART, (Egyptian) Children in Hasting's Encycl. III, 536

(٢) G. MASPERO, Histoire ancienne, I. 318.

(٣) عثر فى مناطق الحضارات الأولى مثل المعادى على بقايا هياكل عدة لأطفال لم يتم معظمهم أشهر الحمل ، وقد دفن بعضهم فى جرار صغيرة ، ودفن بعضهم الآخر فى حفر متواضعة فى أرضيات مساكن أهلهم (مصطفى عامر — بعض نتائج الحفر فى المواسم الخمسة الأولى بالمعادى ١٩٣٠ — ١٩٣٥) . وفى البلاص (من أواخر الدولة القديمة) كان الطفل يدفن فى حفرة صغيرة ويوضع معه كاسان أو ثلاثة من الكئوس الفخارية . ويحتمل أن منهم من كانوا يدفنون داخل البيوت (Quibell-Petrie, Ballas, p. 2. وفى بيوت الدولة الوسطى باللاهون كان الأطفال يدفنون داخل المساكن أيضاً(Ibid., 2) ولكن يضاف إلى ذلك أن أقدم ما عثر عليه من نماذج التوابيت المصرية كانت توابيت أطفال من قرية ديرتاسا ، وكانت توابيت صغيرة متواضعة من البوص ، ثم ما سبق ذكره ص ٤٨ عن تابوت خشبى لطفل من عصر الأسرة ١٧ من القرنة وقد دفن فى حفرة مستقلة ، وقد دثر الجسد فيه بحوالى ١٢ طية من القماش ثم غطى بطبقتين أخريين . (PETRIE, Qurneh, p. 10)

(٤) HERODOT II, 77 (ولو أن بلينى له رأى مخالف فى هذا . PLINY, XVII, 1)

(٥) RANKE, Amtl. Berlin, 1909, S. 222 ; C. HAYES, The Scepter of Egypt, 119.

تخليصاً للبدن من فضلاته وضماناً للصحة (١) ، ولا يبعد أن الأبوين كانا يأخذان أبناءهما بهذه الوسائل منذ الصغر حتى يتعودوا عليها إذا شبوا .

أما فيما يختص بإيثار النظافة للأطفال أنفسهم ، فقد تقدم منه عادة غسل الطفل عقب ولادته (٢) ، وأن تقدم الأم على ذلك عقب الولادة يرجع أنها لم تكن تخشى كثرة الاستحمام على طفلها فى بقية مراحل طفولته . وقد لا يكون فى ذلك شىء غريب من وجهة النظر الحالية ، ولكن تبدو أهميته إذا قورن بما ذكره بلوتارخ عن التربية الاسبرطية من أن الأولاد هناك كانوا يستحمون فى أيام معينة من السنة ، وأنهم كانوا لا يحفلون بارتداء ملابس داخلية فى صباهم (٣) .

ثم عادة تقصير شعور الأطفال . ومما له دلالته فى ذلك أنه ليس بين تماثيل الأطفال ما يمثل الطفل بشعر طويل فيما عدا الجديلة التقليدية على جانب رأسه ؛ وكذلك الأمر فى المناظر المنقوشة إلا فى النادر . وهناك تماثيل قليلة تحتمل فيها تغطية رأس الطفل بالقلنسوة (٤) ، وتلبس القلنسوة عادة على الشعر القصير . وقد عثر على كرات طينية مجوفة تحتوى على كميات من شعور أطفال ، منها اثنتان وجدتا فى قبر باللاهون واثنتان وجدتا فى العمارنة (٥) . ومن المحتمل أن يكون ذلك لذكرى قص شعورهم لأول مرة بما يعبر عنه الآن بقص شعر البطن . وهذا الذى تفصح عنه التماثيل والمناظر من تقصير شعور الأطفال أيده هيرودوت ، وإن كان قد رتب عليه نتيجة طريفة ، وهى رغبة اكتساب جلد الرأس صلابة بتعرضه للشمس عارياً .
ثم عادة الختان ، وهذه تعنينا من حيث اعتبارها ضرباً من ضروب العناية بالنظافة الخاصة للبدن على نحو ما ذكر هيرودوت (٦) ، ومن حيث اعتبارها عادة قديمة مميزة بدأ المصريون بها (٧) وارتضتها الأديان السماوية ، ثم من حيث اعتبارها فى الأوساط الشعبية حتى الآن من المناسبات الهامة التى تذكر فى حياة الطفل . فلقد عرف الختان منذ الدولة القديمة (٨) ، وكان عاماً ، إذ تبينه الباحثون فى المناظر العارية للخدم والصيادين والرعاة (٩) كما تبينوه فى التماثيل العارية للخاصة (١٠) والملوك (١١)

---

(١) DIODORUS, 82

(٢) H. GRAPOW, Urk. des aegypt. Altertums, V, 23, 13; 24, 13

(٣) The Life of Lycurgos by PLUTARCH, see, P. MONROE, Source book of the history of education, p. 16. ولو أنه يبدو أن الاثينيين كانوا أميل إلى نظافة أطفالهم . (Ibid. 85).

(٤) G. LOUKIANOFF, Une petite figurine archaique, in Anc. Egypt, 1931, p.42f.

(٥) W.M. CROMPTON, *two clay balls...*, in J.E.A. III, p. 128 ; W.S. BLACKMAN, The Fellahin of Upper Egypt, London, 1927, p. 290.

(٦) HERODOT, II, 36, 37; see, H. KEES, Kulturgeschichte, 87.

(٧) HERODOT II, 36, 104; DIODORUS III, 32; STRABO XVII, 824

(٨) J. CARPAT, Une rue de tombeaux à Saqqarah, pl. LXVI, p. 51-2; WRESZ., Atlas I, 26.

(٩) J. CAPART op. cit., pls. 39, 86

(١٠) BORCHARDT, Statuen I, 23; BISSING, Denkmäler ägypt. Sculptur, Taf. XIIa; PETRIE, Sedment, pl. 7,8.

(١١) BISSING, in Sphinx, XII, 29.

والجثث السليمة الباقية(١) . ومن أطرف صور الختان التي وجدت نص لرجل من عصر الأنتقال الأول ؛ استنتج Dunham منه أنه كان قد اختتن مع مائة وعشرين (طفلا) ولم يضار واحد منهم . غير أن قراءته لا تخلو من شك ولو صحت لأمكن تقريب هذه الرواية إلىما يتبع في موائد الأولياء بمصر حتى الآن حيث ينتهز بعض العامة فرصتها فيختنون أولادهم تبركاً بمناسبتها وتبركاً بأصحابها .

وضمن بلوتارخ ملاحظاته عن الحياة المصرية ملاحظة طريفة لايزالها صداها في الأمثال المصرية المعاصرة ، وهي اعتقادهم بأن في الأطفال روحا ربانيةوطهارة ملائكية دعتهمإلى استخلاص الفأل والطيرة من ألعابهم وتصرفاتهم العفوية ، وذلك مما يكن تقريبه إلى المثل الشعبيالحالي الذي يقول : خذوا فألكم من عيالكم ...

(هـ) لعب ودمى الطفولة :

يعتبر التربويون ألعاب الأطفال من أقرب وسائلهم إلى جمع المعارف وإثباتشخصياتهم . والمكان الطبيعي للعب الطفل هو داخل البيت ، وأدواته الباقية من مصر القديمة تتمثل في عدد من اللعب الصغيرة وجد أغلبها في مقابر الأطفال واتخذت طريقها بعد كشفها إلى متاحف العالم المختلفة . وقد صنعت هذه اللعب من مواد متباينة ، فصنعت من الخشب ، والعاج والطين ، والحجر الجيري ، والجلد . ثم إن منها ما هو متواضع خشن الصنع ومنها ما هو متقن الصنع معتنى به . ومن أمتع هذه اللعب اللعب المتحركة ، ووجد أكبرها في مقبرة باللشت لصبية تدعى «حابي» من عهد سنوسرتالأول وهي من العاج وتمثلأربعة أقزام يؤلفون فرقة راقصة (٣) . ويقف رئيس الفرقة على قاعدة عاجية خاصة به أما الثلاثة الباقون فهم وإن وقف كل منهم على قاعدة عاجية مماثلة إلا أن قواعدهم الثلاثة تجمعها قاعدة خشبية كبيرة . ويقف الرئيس يصفق بيديه كأنما يضبط لهم الإيقاع بينما يقف كل من الثلاثة رافعاً ذراعيه إلى أعلى ، وقد بدا على أحدهم كأنما يغني بينما أخرج الثاني لسانه ، وانهمك الثالث في الرقص . وتوجد في القاعدة الخشبية الكبيرة ثلاثة ثقوب يحتمل أنه كان ينفذ منها ثلاثة خيوط يتصل كل منها بقاعدة قزم لتديرها الطفلة حيث شاءت (لوحة ١١) .

وفي متحفي القاهرة (٤) وليدن(٥) لعبتان متماثلتان من الخشب تمثل كل منهما رجلا يمسك بين يديه

E. SMITH, in Ann. Serv. IV, 112; G. MASPERO, Momies royals, p. 550; (١) QUIBELL, Excav. at Saqquara II, 13.

ويرى أغلب الباحثين عمومية الختان في مصر القديمة باستثناء نافيل اعتمادا علىوجود حالات قليلة تبين فيهاعدم الاختتان .
E. NAVILLE, in Sphinx, XIII, 253 f. and see G. MASPERO, op. cit., p. 547;
G.E. SMITH, in Bull. de l'Inst. Eg., 1908, 225.

DUNHAM, Naga-ed-der- Stelae, 1937, pl. XXII, No. 84, p. 102 f. (٢)

LANSING, in Bul, of the Metrop. Mus., November, II, 30, 36, Fig. 33 (٣)

Cairo 68132. (٤)

G. WILKINSON, Manners and Customs of the Ancient Egyptians, London, (٥) 1854, Fig. 215a.

جسماً اسطوانياً قد يمثل مرحاة يطحن بها الحب ينزل به ويصعد على منحدر مائل أمامه . وقد ربط في جانبي جذع الرجل خيطان يشدهما الطفل فيوقفه ويرخيهما فيجعله يميل (لوحة ١٠ ب) .

وإلى جانب هذه اللعب الإنسانية المتحركة عثر على لعب أخرى حيوانية متحركة وأشهرها ما يمثل تمساحاً خشبياً ذا فك متحرك عن طريق خيط يشد به (١) ، وضفدع عاجية صغيرة ذات فك متحرك (٢) ، ولبؤة خشبية ذات فك متحرك مثلت وكأنها تسير في خطو وئيد (٣) ، وقطة خشبية ذات فك متحرك وعينين مطعمتين(٤) . وثمة لعبة متحركة تجمع بين إنسان وحيوان ، وهي لرجل ومن ورائه كلب على محور يمكن ان يدار ليهاجم الكلب فريسته (٥) .

أما الدمى غير المتحركة فهذه هي الأخرى كانت منها الإنسانية ومنها الحيوانية ومنها ما تجمع بين الإنسان والحيوان . غير أنها تفترق عن اللعب المتحركة بأن اعتبارها من اللعب يعتمد على الاحتمال أكثر مما يعتمد على اليقين . فمن الأشكال الإنسانية الصغيرة التي يحتمل أنها كانت من اللعب مجموعة صغيرة من الحجر الجيري الملون وجدت في منطقة اللشت ، ولا يعدو ارتفاعها البوصتين وربع البوصة ، وتمثل امرأة جالسة ترضع طفلها وقد أقامت إحدى ساقيها وثنت الاخرى بينما جلست من خلفها على قاعدة حجرية منخفضة خادم لها او صديقة تمشط لها شعرها(٦) . والطريف أنه وجدت في طيبة مجموعة صغيرة أخرى تمثل قردتين تمشط إحداهما شعر الأخرى في نفس الوضع السابق (٧) . ويضاف إلى هاتين المجموعتين مجموعة في متحف القاهرة لأم تمشط شعر ابنتها وهي من الحجر الجيري أيضاً وقد لونت جدائل شعر الأم وابنتها باللون الأسود (٨) . ومجموعة لولد وأخته انحنت البنت فيها وأدخلت رأسها بين ساقي أخيها الذي واجهها وأخذ يدق ظهرها بقبضة يده دقاً خفيفاً(٩) (لوحة ١٢) .

ومن الأشكال الإنسانية مجموعة كبيرة العدد لا زالت الآراء تتباين حول الغرض الحقيقي منها وهي أشكال النساء الصغيرة التي صنعت من الخشب و الطين و العاج والحجر والفخار الأحمر والقاشاني . وكان مما ذهبت إليه الآراء بشأنها أنها تمثل راقصات لإمتاع المتوفى في أخراه (١٠) ، وأنها تمثل حظيات لمتعته وإشباع رغبته في الأولاد(١١) أو تكون مثل ذلك لكاهه(١٢) ،وأن لها قيمة التمائم ، وأن ما ضخمت

---

(١) G. WILKINSON, op. cit., Fig. 215b; Berlin 6817. (لوحة ١٠ ا)

(٢) Cairo, Journ d'Entr. 27665, also 68192

(٣) Brit. Mus. 15671.

(٤) W. BUDGE, A Guide to the 3rd and 4th Egyptian rooms (1904) pl. V.

(٥) S.R. GLANVILLE, Daily life in Ancient Egypt, 1930, p. 16.

(٦) W.C. HAYES, The Scepter of Egypt, p. 222

(٧) Ibidem.

(٨) Cairo 5300.

(٩) S.W. SMITH, A. History of Eg. Sculpture., pl. 27.

(١٠) A. SCHARFF, Die Altertuemer, 2 Teil, 32.

(١١) H. KEES, Totenglauben und Jenseitsvorstellungen der alten Aegypter, 34.

(١٢) Ch. D. NOBLECOURT, «*Concubines du Mort*» *et mères des Familles au moyen Èmpire, à propos d'une supplique pour une naissance,* Bul. de l'Inst. Français d'Arch. 1953, 17 f.

فيها مظاهر الأنوثة تعتبر رموزاً للإخصاب أو الأمومة(١) ، وأن ما وجدت منها فى قبور نساء تمثل خادمات أو وصيفات (٢) . على أن من أشكال النساء هذه ما يمكن ترجيح اعتبارها من لعب الأطفال ، وهى ما صنعت من الخشب الرقيق (غير المجسم) وتشترك جميعها فى عدم تشكيل أرجلها وأكفها مع العناية بشعورها المستعارة وكثرة الزخارف الهندسية والحيوانية المرسومة على أجسادها (٣) ، على أن أهم ما يميزها كلعب هو أن أذرعها تتصل بأجسامها بوصلات خشبية ظاهرة مما يجعلها كالمنفصلة ويسمح للطفل بأن يحركها (؟) (لوحة ٩) .

وصنعت بعض الشعور المستعارة لهذه الدمى من الخيوط المجدولة ، وبعضها من حبات الطين المسلوكة فى خيوط على هيئة الخرز ، وبعضها من الصوف ، غير أن من رؤوسها ما هو حليق إلا من خصل صغيرة قد تشير إلى طفولة أصحابها (٤) ، كما أن منها ما حفرت فيها ثقوب صغيرة لتثبيت خصل من الشعر الطبيعى (٥) ورسم على بعض هذه الدمى عقد أو أكثر على حين احتفظ بعضها الآخر بعقد صغير مجسم حول العنق ، أما وجوهها فكثير منها مالا يزيد عن مستطيل صغير غير مشكل يعلو الكتفين ، وقد تلصق على مستطيل الوجه أحياناً قطعة طين سوداء تحفر فيها العينان وتملآن بمادة بيضاء (٦) .

وعدا هذه الأشكال الانسانية توجد مجموعة كبيرة أخرى من الحيوانات الواقفة والباركة مثل القطط والكلاب والقردة والخراف والجرابيع وأفراس النهر ، وأغلبها من القاشانى المزخرف وتتراوح أطوالها بين ثلاثة أرباع البوصة والثلاث بوصات (٧) . والواقع أن اعتبارها من اللعب قد لا يكون قاطعاً ، فصغر حجم بعضها قد يجعلها تمائم ، ووجود ما يؤكل منها قد يجعلها نماذج قرابين ، غير أن ما يسمح باعتبار بعضها احتمالا من دمى الأطفال هو أن من أفراس النهر ما يفتح فاه وينصب أماميته بينما لايزال نصفه الخلفى مرتكزاً على الأرض وكأنما أفزعه شىء جعله يصرخ ويهم بالنهوض (٨) وما نظن أن شيئاً كان يوضع لنفع الميت يتخذ مثل هذه الهيئة المفزعة . ثم إن كثيراً من

---

(١) HORNBLOWER, *Predynastic figures of women and their successors*, in J.E.A. XI, 40 f.

(٢) W.C. HAYES, op. cit., p. 221.

(٣) فى متحف القاهرة عدد كبير من هذه الأشكال الخشبية تتراوح أطوالها بين ١٥ – ٢٠ سم بالحجرة رقم ٣٤ . وفى عدم تشكيل القدمين وتمثيل الرجلين بنهايات ملفوفة مايحتمل الآراء التى دارت حول التماثيل الصغيرة للنساء التى وجدت من عصور فجر التاريخ والتى رأى «كيس» فيها أنها صنعت كذلك حتى لا تستطيع الهرب من الميت (op. cit., 43 f.) ورأى «شكرى» أنها مثلت كذلك رغبة فى عدم تعرض أطرافها للتلف السريع خاصة وأنها جميعها دقيقة الحجم ومن مواد لينة قابلة للكسر وذلك شأن عدم تمثيل اليدين (محمد أنور شكرى– تماثيل الإنسان فى فجر تاريخ مصر القديم – القاهرة ١٩٥١ – ص ٦) .

(٤) W.C. HAYES, op. cit., 220.

(٥) Ibid., 221.

(٦) Cairo 56274 and see WINLOCK, Excavations at Deir el Bahari, pl. 38

(٧) cf., HAYES, op. cit., Fig. 140 (وانظر لوحة ١٣)

(٨) Brit. Mus. 36346 (H. HALL, *Three Hyppopotamus-figures of the M.K.*, in = J.E.A. XIII, p. 57 f.)

هذه الأشكال أتقنت زخرفته بزخارف الزهور والخطوط المتعرجة والنقط الملونة (١) ، وهذه الزخارف تدعو إلى احتمال آخر غير احتمال الدمى وهو أن تكون من قطع الزينة ، وينطبق الاحتمالان على مجموعة من ثلاثة جرابيع من القاشانى المزخرف تقف مواجهة لبعضها على قاعدة واحدة ومنها اثنان يلصقان فميهما ببعضهما البعض (٢) .

وثمة قطع ومجموعات صغيرة أخرى أغلبها متأخرة العهد تجمع بين هيئة الإنسان وهيئة الحيوان ، ومن المحتمل أن تكون هى الأخرى من لعب الأطفال أو من قطع الزينة ولو أن الاحتمال الأول هو المأخوذ به فى غالب الأحيان . ومنها قرد يجر عربة (٣) وعربة يجرها قردان ، وقردان من العمارنة يقلدان هيئة أخناتون وزوجته فيركبان عربة يجرها قردان آخران ، وتنخس الزوجة كفلى القردين وهما يأبيان المسير .(٤) وطفل يلاعب جرواً (٥) ، ومجموعة خشبية لفارس أو سائس يمتطى مهرة ذات عرف قصير ويشد لجامها ، وقد بترت سيقان المهرة وساقا راكبها لأمر ما (٦) ، ثم قزم برأس قط (٧) ، وأسير برأس بطة (٨) ، ونمس ينقض على ثعبان (٩) ، ووحش يفتك بزنجى (١٠) وفيل من القاشانى يعلوه راكبه (١١) :

على أنه إلى جانب هذه الصنوف من اللعب ، وجدت لعب أخرى بسيطة لأطفال العامة كالشخاليل التى كان هيكلها الداخلى يصنع من أعواد نباتية رفيعة يلف القش حولها(١٢) ، والشخاليل الفخارية ، وربما الخذاريف الخشبية .(؟) أيضاً . (١٣)

= وقد لون داخل فمه باللون الأحمر وظهرت بفكيه تسعة ثقوب يحتمل أنه كانت بها أسنان . وأشبه به أسد صغير من القاشانى واقف يفتح فاه .

J. CONEY, Egyptian Art in the Collection of Albert Gallatin, New York 1953, pl. VIII B.

(١) L. KEIMER, in Rev. de l'Eg. Anc., t. II, 1930,p. 210 f.; CROMPTON in Anc. Egypt, 1931, 21-27.

(٢) W.C. HAYES, op. cit., Fig. 140.

(٣) W. BUDGE, op. cit., p. 181 (No. 21984)

(٤) PENDLEBURY, The City of Akhenaton, pl. XV, 19; FRANKFORT and PENDLEBURY, II, pl. XXXI, 4

(٥) BUDGE, op. cit., p. 223.

(٦) H.E. WINLOCK, The Rise and Fall of the Middle Kingdom, New York, 1947, Fig. 22, p. 154.

(٧) W. BUDGE, op. cit., No. 22883.

(٨) Ibid. No. 32201.

(٩) مجموعة خشبية فى متحف ليدن . HALL, in J.E.A. XIV, p.

(١٠) W. BUDGE, op. cit., pl. V, 1.

(١١) Ibid., pl. V, 9

(١٢) القاهرة ٥٤٥٧٣ ، ٦٩٧١١ أ – ب .

(١٣) See, A. ERMAN, H. RANKE, Aegypten 192.

(و) الطفل مع ذويه فى مجموعات التماثيل والمناظر المنقوشة :

يتجلى فى تمثيل الأطفال المصريين وتصويرهم مع أبويهم كثير مما يكشف عن الآداب التى كانت الأسرة تستحبها منهم أو التى كانت تستحب أن يظهروا عليها أمام المجتمع ، ويتجلى فيها كذلك ما يؤكد الترابط الأسرى والرغبة فى دوامه فى الحياة الثانية . ولم يكن تمثيل الابن مع الأب أو مع الأبوين فى المجموعات الكبيرة التى تنم عن هذه الآداب والروابط هو أقدم ما أخرجه الفنان المصرى فى هذا السبيل . وإنما سبقته فى ذلك التماثيل الصغيرة التى تجمع بين الأم وطفلها ، وقد وجدت امثلتها منذ حضارات فجر التاريخ . ولا يعنى سبق هذه التماثيل شيئا أكثر من أن السن التى كان يمثل طفلها فيها تستدعى صلته بأمه أكثر مما تستدعى صلته بأبيه . فالأم إما أن تظهر بطفلها ترضعه وكانت لهذا أوضاع سبق ذكرها(ص ٢٤)، وإما أن تظهر حاملة إياه ، ولهذا أوضاعه العديدة وأمثلة من عصور مختلفة . وأكثر هذه الأوضاع شيوعاً يمثل الأم تحمل طفلها على خاصرتها اليسرى محيطة إياه بيدها اليسرى وممسكة ساقه القريبة من بطنها بيدها اليمنى . وله أمثلته من عصر حضارة نقادة الأولى (١) ومن الدولتين القديمة والوسطى (٢) . ثم وضع تحمل الأم فيه طفلها على كتفيها من الخلف وتمسك بساقيه لتثبيته ، وله أمثلته من الدولة الوسطى (٣) ووضع آخر يمثلها تحمله على كتفها (أو من خلف كتفها) اليسرى ، وله امثلته من عصر نقادة الأولى (٤) ومن الدولة الوسطى (٥) وكان أقل الأوضاع شيوعاً هو أن تحمل الأم طفلها بين يديها من أمام وفى مستوى بطنها (٦) . وقد زادت المناظر عن أوضاع التماثيل هذه وضعاً شاذاً يحمل الطفل فيه على كف حامله ، وقد صورت به الملكة حاتشبسوت فى طفولتها على كف مرضعتها الإلهية حتحور (٧) ، وصورت (كاواتها) على أكف عدد من الآلهات الأخريات (٨) ، ثم صورت حاتشبسوت ثانية وكاهها على كفى الإاه حعبى رب النيل ورب النماء مستندتين على ساعديه (٩) . وفى مثل هذا الوضع يبدو الطفل الملكى أمنحوتب الثالث فى مناظر الأقصر (١٠) وقد يكون فى هذا الوضع ما يكنى عن أن الأرباب هم الذين وهبوا الطفل الملكى وقدموه على أيديهم ، وهذا الاحتمال يتفق كذلك مع تصوير كثير من الأطفال

---

(١) A. SCHARFF, op. cit., Taf. 16, 78; CAPART, Primitive Art. 168.

(٢) W.C. HAYES, op. cit., Fig. 137a; Louvre E. 8000 (Ch. D. NOBLECOURT, op. cit., pl. IV et V; Giza D 37 (S.W. SMITH, op. cit., 27 a-b).

(٣) W.C. HAYES, op. cit., p. 221 انظر أيضاً W. SPIEGELBERG, in Ann. Serv. XXIX, pl. Ia-d.

(٤) A. SCHARFF, op. cit., Taf. 16, 80

(٥) W.C. HAYES, op. cit., p. 221.

(٦) A. SCHARFF, op. cit., Taf. 16, 79.

(٧) E. NAVILLE, Deir el Bah., pl. LII

(٨) Ibid., pl. LIII

(٩) Ibid., pl. LIII, p. 17-18

(١٠) GAYET, Louxor, Fig. 194, pl. LXVII

الأجانب فى نفس الوضع على أكف آبائهم وأمهاتهم إشارة إلى تقديمهم إياهم هدايا للفرعون (١) ؛ ولكن الغريب أن إحدى بنات أخناتون قد صورت كذلك على كف مرضعتها . وتزيد المناظر كذلك صوراً للتابعات يحملن أطفالاً ، ومنها ما يمثل الواحدة منهن وقد جمع بينها وبين الطفل شال عريض مشدود الى كتفها . وغالباً ما يبدو هذا الشال محبوكاً بحيث يضم الطفل إلى جسدها ضماً محكماً ، غير أنه يبدو متسعاً أحياناً بحيث يسمح للطفل أن يكون من أمامها أو من خلفها أو على جنبها . وإن كان هذا من شأنه أن يعرضه للسقوط (٢) !

ومن الاوضاع المنزلية التى جمع المثال فيها بين الأم وبين أطفالها تلك المجموعة الصغيرة التى تقدم احتمال اعتبارها من دمى الأطفال وفيها تجلس الأم باسطة ساقيها من أمامها وقد أجلست عليها ابنتها واخذت تمشط لها جانب رأسها الأيسر . ثم مجموعة صغيرة أخرى اتخذت فيها الأم نفس الجلسة وضمت إليها طفلين جلسا على ساقيها وظهراهما إلى صدرها (٣) ومجموعة ثالثة صورت أماً جالسة ترفع ساقاً وتثنى الأخرى وتضع رضيعها على ساقها المنصوبة ، على حين يجثو طفلها الأكبر خلفها مستنداً على ظهرها ويمد يده يداعب ثديها ، ورابعة تشبهها ولكن يجثو طفلها الأكبر خلف أمه معتمدا على أسفل ظهرها (٤) .

وظهرت مجموعات فى الدولة الحديثة تمثل الأم وطفلها راقدين على سرير واحد(٥) . وهذا فضلاً عن أوضاع يجلس الطفل فيها على فخذى أمه على نحو بعض أوضاع الرضاعة ولكن دون أن يرضع وإنما يمثل عادة يضع يداً على صدر أمه واليد الأخرى على صدره أو على فخذه (٦) .

وفيما بين الأم وطفلها فى أعقاب طفولته الأولى كثيراً ما صور الفنان المصرى الأم الثرية على مقعدها تضع ولدها على ساقيها فى وضع التصوير ، أو يقف ولدها بجوار مقعدها ويريح يده على فخذها بينما تربت هى بيدها على ذراعه(٧) ،ويشير منظر من مقبرة «مرروكا» إلى طريقة خروج سيدات الأوساط

N.M. DAVIES, Ancient Egyptian Paintings, pl. XXI ; N. de G. DAVIES, (١) *Foreigners in the tomb of Amenemhab*, J.E.A. XX, pl. 25 ; G. WILKINSON op. cit., I, Fig. 253.

W. WRESZINSKI, Atlas, 56a, 210; A. ERMAN, H. RANKE, Aegypten, Abb. (٢) 163 ; J.H. BREASTED, Egyptian Servant Statues, 1948, p. 97.
وبالإضافة إلى هذه الأوضاع تنفرد الأجنبيات فى المناظر المصرية بحمل الأطفال فى سلال N.M. de G. DAVIES, op. cit., XXXIX ; WRESZ., Atlas 56a, 158, 266 ; Beni Hasan, I, pl. XLVII
وظهر فى نفس المنظر الأخير سيدتان ليبيتان تحملان طفليهما على الظهر مباشرة . وقد يكون فى السلة طفل واحد (Atlas, 158) أو طفلان (N.M. G. DAVIES, op. cit.) أو أربعة (MAX MILLER, Eg. Research I, p. 19) وقد صور أطفال كنعانيون فى سلال على ظهر حمار (Beni Hassan XXXI) وقد تحمل الأجنبية طفلاً على كتفها ورضيعاً أصغر منه فى شال خلف ظهرها . CAPART, Rec. de Mon. Egyptiens, I, pl. 35.

Brit. Mus. 58066 ; HORNBLOWER, op. cit., p. 40, pl. IX4. (٣)

CARNARVON Catalogue No. 1173 ; M.M.A. 26.7.1405 (٤)

HORNBLOWER, op. cit. p. 41. (٥)

Cairo 1252-1254. (٦)

Giza 1903 ; Brooklyn 39.119 ; L.D. 11,42 (٧)

العليا بأطفالهن ، ففيه لم تحمل الأم طفلها ، وإنما أركبته معها فى محفتها فجلس أمامها قاعيا يمسك بطائر صغير ويرفعه إلى مستوى وجهه كأنما يناغيه (١) ومن مناظر الدولة الحديثة ما يضيف صوراً أخرى من مرح الأمهات وأطفالهن الذين تخطوا طفولتهم الأولى ، ففى بيوت الأثرياء ، كانت فى الأفنية المتسعة والحدائق مغانى للنساء والأطفال من أهل البيت ومن الزائرين ،وثمة منظر تدخل أم وطفلاها (ولد وبنت) من بابه فيتلقاها من فيه بالدق على الطنابير وهز الصلاصل ، بينما يخطو الطفلان فى مرح خلف النسوة عاريين ، وقد أمسكت البنت فى يدها عنقوداً من العنب يتدلى حتى يكاد يبلغ الأرض ، فى حين أخذت تداعب رأس أخيها بيدها الأخرى . أما هذا الأخ فقد أمسكها من ذراعها بيد والتفت إلى خادم يقف خلفه يريد أن يخطف منه عصاً صغيرة يمسكها فى يده (لوحة ١٧)(٢) .

ونعود إلى ما يجمع بين الأبناء وبين أبويهم فى التماثيل والمناظر وما يتضمنه من تعبير ودلالة. ويحتمل أن تكون أقدم آثار مجموعات تماثيل الأبناء مع أبويهم هى (أقدام) التماثيل الاربعة التى وجدت فى المقصورة الغربية الاخيرة لمعبد عيد السد فى سقارة ، وذلك على فرض أنها كانت لزوسر وزوجته وبنتيه (٣) وفى أمثال هذه المجموعات يتخذ الأبناء أوضاعاً تكاد تكون ثابتة . فالولد يظهر واقفاً دائماً (٤) ، ويكون على يمين أبيه (٥) أو يسراه (٦) ، أو يكون فيما بين أبيه وأمه (٧) ، والابنة تظهر واقفة أو راكعة ، وذلك بجانب أبيها أو بجانب أمها (٨) ، أو تركع هى وأمها على جانبى الأب وتحيط كل منهما ساقه القريبة منها بذراعها . (٩) وفى تكوين هذه المجموعات ما ينطق عما كان يجمع بين افراد العائلة من أواصر ، وما يدل على حرص الزوج على أن يكون فى صحبة أفراد أسرته فى حياته الأخرى ، وما يشف عن صور من الآداب الساوكية التى كانت الأوساط الراقية على الأقل تستحب أن يلتزمها أفرادها أو يبدون عليها أمام المجتمع .

ولا يكاد الفنان يخرج برب العائلة عن أوضاعه الجادة التقليدية فى المناظر الكبيرة ونقوش النصب ليصوره فى مأدبة أو فى سمر حتى يجمع إليه زوجته وأبناءه وبناته(١٠) ، ويعبر عن تساندهم جميعاً وتماسكهم بأوضاع تستهدف ما كانت تستهدفه مجموعات التماثيل من تأكيد الأواصر العائلية . فإذا

---

(١) W. WREZ, Atlas, III, 11. (لوحة ٦)

(٢) CHAMPOLLION II, pl. 174 (L. KLEBS, Die Reliefs...; III, Abb. 18)

(٣) FIRTH-QUIBELL, The Step Pyramid, Vol. II, pl. 63.

(٤) M.A. SHOUKRY, Die Privatgrabstatue in Alten Reich, Kairo 1951, S. 75, 149.

(٥) Ibid., 151 ; Cairo 62.

(٦) M.A. SHOUKRY, op. cit., 150-1 ; Cairo 21, 55, Berlin 10123

(٧) SHOUKRY, op. cit., 150 ; Cairo 100, 151 ; Louvre A44 ; J.E. QUIBELL-A HAYTER, Teti Pyramid north side, pl. 28.

(٨) M.A. SHOUKRY, op. cit., 76, 149.

(٩) Ibid., 151 ; Cairo 44 ; 105.

(١٠) صورت أقدم المناظر العائلية فى مسطبتى « رع حوتب و«نفرماعت» F. PETRIE, Medum, pls. IX, X, XIII, XV, XVII-XX, XXVI-XXIII, etc.

ظهر الأبوان فى حفل فغالباً ما يجمعهما مقعد واحد عريض ، ثم يجتمع أبناؤها من بنين وبنات حولها جالسين على المقاعد المنخفضة (١) أو راكعين على الأرض المفروشة بالحصير (٢) . وتبدو العلاقات العائلية اكثر تعبيراً فى المناظر الطليقة ، فإذا خرج رب العائلة لمتعة الصيد فى النهر أو فى المناقع لا يستأثر بها وحده وإنما يكون معه ابنه يحمل له صيده أو يشاركه فيه أو يساعده عليه (٣) ، وتكون زوجه من خلفه تسنده بيديها أو تستند عليه (٤) ، وتركع ابنته بين ساقيه تقطف من أزهار المناقع أو تمسك بسيقان البردى واللوتس لتحفظ توازن القارب الذى يقلها وعائلتها (٥) .

وفضلاً عن هذه الأوضاع والمناظر العامة التى تشهد بترابط الأسرة المصرية وآدابها واشتراكها فى مسراتها ، لم يفت بعض الفنانين المصريين أن يسجلوا من حياة الأسرة الخاصة إلى جانب تعلق الأم بأطفالها ، صوراً من حياة العطف والتواد التى تكون بين الأب وأولاده ، والتى تدل على أن الأب المصرى لم يكن بالرجل الفظ الذى يتباعد عنه أطفاله ، على الرغم مما كان يلزمهم به أمام المجتمع من آداب وسلوك . فمن الدولة القديمة تمثال صغير يجلس فيه الأب على مقعد واضعا طفله على حجره محيطاً إياه بساعديه كما تفعل الأم الرؤوم(٦) ، ومن المناظر ما يصور الأب يضع يده فى يد ابنه (٧) ، أو يضع يده على رأس ابنه (٨) ، أو على رأس ابنته (٩) ، ومنها ما يصور البنت تستند بيديها على كتف أبيها(١٠) وما يصورها تمسك بكتفيه وهو يلعب النرد مع أمها(١١) وجاءت نصب الدولة الوسطى بماهو أوضح تعبيراً من ذلك ، فعلى أحدها سجل فنان جلسة عائلية لها روعتها وبساطتها فى ذات الوقت . وفيها لزمت الزوجة جانب زوجها على مقعد واحد عريض وأحاطته بإحدى يديها كالمعتاد فى مثل هذه الجلسة ، وتطامن الرجل وبسط يده لما يشبه أن يكون ولد له (؟) صعد إليه فوقف على فخذه واستند إلى ذراعه اليسرى المثناة إلى أعلى . وعلى الأرض ظهرت طفلة صغيرة تحبو على يديها ورجليها ، وتحت مقعد الأبوين انتصب جرو مطوق لا يبعد أنه كان صديق الطفلين . ومن الجانب الآخر للنصب يتقدم للأبوين ولدهما الأكبر مؤدياً صيغة القربان (حوتب دى نيسو) ، ولكن اتخاذه هذا الوضع التعبدى لم يصرف الفنان عن أن يجمع إليه زوجته وأن يجعلها تحيط كتفه بيمناها – كعادته فى تصوير الترابط العائلى ، بينما ترفع فى يسراها ساقاً من اللوتس ذات ثلاث شعب فى وضع قليل التصوير (لوحة ٨) (١٢) .

---

(١) N. de G. DAVIES El-Amarna III, pl. IV

(٢) A.H. GARDINER — N. de G. DAVIES, Tomb of Amenemhat, pl. 18; NEWBERRY, Rekhmara, pl. II.

(٣) W. WRESZ. Atlas, Taf. II; Mem. Miss. V, pl. 2; N. de G. DAVIES, Deir el Gebrawi, I, pl. III; N.M. de G. DAVIES, Anc. Egyptian Paintings, pl. 47

(٤) L. KLEBS, Reliefs, II, Abb. 57; W. WRESZ., Atlas, 294

(٥) Ibid., Taf. II

(٦) Cairo, Journ. d'Ent. 72142

(٧) N. de G. DAVIES, Deir el Bebrawi, II, pl. XVIII

(٨) W. WRESZ, Atlas, pl. 232

(٩) N.M. de G. DAVIES, Anc. Eg. Paintings, pl. XLVII.

(١٠) H. JUNKER, Giza II, Taf. 28.

(١١) W. WRESZ., op. cit., I, 49a.

(١٢) Cairo 2007.

وعلى نصب آخر من الدولة الوسطى(١) صور الفنان الأب جالساً إلى مائدة قربانه وقد أجلس ولده على حجره من أمام وأحاطه بذراعيه ، فى حين أمسك الولد فى يسراه بخيط فيه طائر وبزهرة يتشممها واحاط خصر أبيه بيمناه (لوحة٧) .

وما صوره فنانو العمارنة مما كان بين أخناتون وبناته من تعاطف وحب وبراءة ، أشهر من أن يذكر (لوحتا ١٤-١٦) و آثر N. de G. Davies اعتماداً علىهذه الصور ،تسمية أخناتون أول رجل يحب الأطفال أو أحب الناس إلى الأطفال ، عن أن يسميه بالتسمية المعتادة «أول فلاسفة التاريخ» (٢) .

وفى مقبرة حور محب بسقارة صور الفنان منظراً عائلياً طريفاً فى حياة صاحبها من قبل أن يلى العرش (٣) ، وقد جلست على حجره طفلة صغيرة تعبث بقلادته ، وجلست إلى جانبه أمه إيسة تعابث الطفلة بزهرة فى يدها ، وذلك على حين حضر مجلسهم خمسة من كبار رجال الجيش فى ذلك العصر . وكما يبدو أحياناً ظهرت تحت مقعد الأم عنزة صغيرة قيدت بحبل فى رجله ، وهذه قد يكون تصويرها حشواً من الفنان لملء الفراغ فى لوحته أو تكون من أصدقاء الطفلة فعلاً .

ولم يحل وقار المعابد دون أن يكون لازميل الفنان محاولات لتصوير مشاعر الأبوة فى الأرباب الذين حلوا من الطفل الملكى محل أبيه . ففى مناظر معبدى الدير البحرى والأقصر صور الفنان الأب الإلهى أمون يحتوى طفله بين يديه ويرفعه إلى أعلى ، ثم انتقل بالطفل إلى آلهة أخرى وصوره بين أيديهم بذات الوضع (٤) . أما فى معبد الكرنك فقد تصرف فنان عصر الرعامسة فى إظهار هذه المشاعر على نحو آخر فصعد بالطفل إلى حيث يجلس الإله وجعله يقف إلى جانبه على حافة المقعد ، الأمر الذى استدعى من الإله أن يتجه إلى الطفل ويحيطه بيديه (٥) .

وقلما ظهرت العلاقات بين الإخوة الصغار واضحة فى غير مناظر العمارنة التى سيرد تفصيل بعضها ، فهى فى غير مناظر ذلك العصر لا تعدو تصوير الأخوين(٦) ، أو الأخ والأخت (٧) يمسك أحدهما بيد الآخر . غير أنه فى جانب من مناظر ألعاب الأطفال فى مسطبة بتاح حوتب ما يحتمل أن يكون لإخوة ، فقد أقعى صبى على الأرض معتمداً على يديه ورجليه بينما اعتلاه طفلان صغيران لا يبعد أنهما أخوان ، وقد جلسا متقابلين على ظهره وأمسك كل منهما بساق الآخر المرفوعتين فوق كتفه (٨) . أما بنات أخناتون فمن مناظرهن العديدة ما يجمع بين ثلاث منهن ، «مريت أتون» ، و «مكت أتون» ، و«عنخس با أتون» ، وقد وقفت الأخت الكبرى مريت أتون فى الوسط واحاطت عنق اختيها بذراعيها

---

(١) Cairo 20596.

(٢) N. de G. DAVIES, *Mural Paintings in the City of Akhetaten*, in J.E.A., VII, p. 1 f.; see Berlin 14145; Bul. of the Metr. Mus. of Art, XVIII, Dec. 1923, p. 42, pl. IV.

(٣) U. BOURIANT, Tombeau de Haramhabi, Mem. Miss. V. 3me Fasc. pl. II, p. 426.

(٤) Deir el Bahari, pl. LII, LIV; Louxor, Fig. 201.

(٥) M. PILLET, op. cit. (Annal du Serv. LIV), p. 81, Fig. 7

(٦) L.D. II, 8; H. JUNKER, Giza II, Abb. 51.

(٧) R. PAGET and A. PIRIE, Ptahhetep, pl. XXXIII

ثم مالت إلى اليمنى تضمها فاستسلمت لها ، بينما وقفت اليسرى تستعد لمثل هذه الضمة بأن أحاطت حصر أختها الكبرى بذراعها(١). ومنظر آخر مجاور يجمع بين الأختين نفرنفرو أتون ونفرو رع وقد جلستا على وسادتين والتفتت الكبرى منهما إلى الصغرى تمد يدها ترفع بها ذقنها كأنما تقبلها فاستجابت لها الصغرى وأحاطت كتفها بيدها اليمنى (لوحة ١٤)(٢).

---

(١) N. de G. DAVIES, op. cit., pl. II

(٢) Ibid., pl. I.

وراجع من مناظر مداعبة الأطفال الأجانب لبعضهم ولأمهاتهم ; N.M. de G. DAVIES,op. cit., pl. XXXIX
WRESZ., Atlas, 261.

الفصل الثالث

طابع الأسرة المصرية القديمة وتأثيراته فى تكوين أبنائها

تؤدى نواحى التربية غير المباشرة عملها فى تكوين شخصية الناشئ جنباً إلى جنب مع عوامل التربية المقصودة ، وتكون عادة أعمق أثراً فى تكوينه إبان أعوامه المرنة الأولى وفى محيط أسرته . وقد تقدم من نواحى هذه التربية بالنسبة للطفل المصرى تأثر نموه الجسدى بالمستوى الاقتصادى لأسرته ومبلغ أخذ بيئته بالأسباب الصحية بوجه عام . على أن ثمة نواحى أخرى للتربية الأسرية غير المقصودة يراها التربويون ذات أثر فعال فى تكييف الاتجاهات النفسية والوجدانية للأبناء ، وتتمثل فيما يكون عليه حال الأسرة من حيث الاستقرار وما تقرره لها التقاليد من حيث علاقة أفرادها ببعضهم البعض وعلاقتهم بمن تحت أيديهم من الأتباع ، ثم ما تأخذ به من اتجاهات دينية واجتماعية . فى ضوء هذه الظروف جميعاً تتكيف اتجاهات الطفل وانفعالاته عن طريق المحاكاة والتطبع ، كما يتكيف مستواه الخلقى والسلوكى . وواضح أن بحث طابع الأسرة المصرية على هذا الأساس إنما يعنى ما ارتضاه المجتمع القديم من شئونها بوجه عام ، وذلك مما يربط بين هذا الفصل وبين ما تناولته مقدمة البحث من تقدير المصريين لأثر الوالدين وطابع الأسرة فى عملية التربية .

وللأسرة المصرية القديمة فى طابعها العام خصائص متميزة ، ، وهذه الخصائص وإن لم تكن مما يؤدى إلى اعتبارها أسرة مثالية لتربية الطفل تربية جسمية وعقلية كاملة ، إلا أنها كانت كفيلة بأن تنشئه نشأة نفسية ووجدانية هادئة مبسطة أميل إلى اليسر فى غالب أحوالها . ويتناول البحث التالى تفصيل هذه الخصائص.

فقد هيأ العرف القديم للأسرة المصرية من القواعد ما كفل لها نصيباً كبيراً من الاستقرار وما كان قميناً بأن يحول دون تبددها وأن يقلل من مشاكلها . وقد كان من تعبيرات الزواج فيها لفظ « منى »(١) ، وهو لفظ يعنى الاستقرار والرسو والثبات . وكان من أوضح أركان الاستقرار فيها ما تقدم عن تقدير الزوج لزوجته أو لأخته «سنتف» على حد التعبير القديم(٢) . ونم عن تمسك رب الأسرة المصرى باستقرارها تصوير ساذج فى كتاب لتفسير الأحلام من الدولة الوسطى يجعل من انفصال الزوجين وانعدام الاستقرار بينهما شراً مستطيراً . «فإذا رأى الإنسان فى رؤياه النار تلحق بسريره (فذاك) شر ، ويعنى طرد زوجته»(٣)

(١) Urk. IV, 30, 14 ; 311, 10 ; Wb. IV, 151. — (انظر ملحق النصوص) .

(٢) تراجع ص ٧ من المقدمة ويضاف إليها أن الزوجة كانت تستأثر وحدها فى أغلب الأحوال بمشاركة زوجها مقصورة قرابينه والجلوس معه على ذات مائدة قرابينه دون بقية أهله .

M.A. SHOUKRY, Die Privatgrabstatue, 138 f.

(٣) A.H. GARDINER, Hieratic Papyri., 3rd series, Chester Beatty, IIIrt. 7,25.
(انظر ملحق النصوص) .

و « إذا رأى وجهه فى مرآة (فذاك) شر ، و يعنى زوجة أخرى »(١) .أما « إذا رأى نفسه يشغل الحجر فى داره (فذاك) خير ويعنى استقرارالرجل فى داره »(٢) و «إذا رأى نفسه يقرأ فى مخطوط ، فذلك خير ويعنى استقرار الإنسان فى داره » (٣) . ومع شدة حرص المصرى على إنجاب الأولاد كان من قول عنخ شاشنقى لولده « لا تهجر امرأة فى دارك لأنها عقيم » (٤) . وما من شك فى أن ميل المصريين للحياة العائلية المستقرة هو الذى حدّ إلى حد كبير من الجمع بين الزوجتين بالرغم من إباحته فى شريعتهم .

على أنه فى حياة المصريين القدماء ماهو أبعد من ذلك دلالة على إيثارهم للاستقرار العائلى ، وهو أنه حتى فى حالات تعدد الزوجات ومع صعوبة الاستقرار فى بيت يجمع بين زوجتين ، فإن من بين الأمثلة المعروفة للتعدد ما يشهد بوفاق غريب بين الضرائر . فقد تسمى إحداهن بناتها بأسماء ضرتها (٥) ، وقد تكون الزوجة الأولى هى الموحية لزوجها باتخاذ ثانية (وكانت أشبه بجارية لها) ابتغاء الخلف ، ثم لا تلبث أن تعترف بأبنائها أبناء لها فتورثهم وتزوج بنتاً منهم لأخيها (٦) وقد لاتجد الزوجة الأولى بأساً من أن تتقبل القرابين من أبناء ضرائرها الخمس كما لو كانوا أبناءها وتشركهم فيما كانت تستمتع به مع زوجها من متع الحياة (٧) . ومهما يكن من عوامل هذا الوفاق الغريب ، فقد كان لصالح الأبناء دون شك .

فإذا كان للزوج أولاد من زوجته الأولى المتوفاة أو المطلقة فقد كان عليه بحكم العرف أو بحكم القانون أن يحتفظ لهم بحقهم فى ميراثه إن كانوا صغاراً أو أن يعهد به إليهم إن بلغوا سن النضج (٨) . ولعله لميزة من هذه الميزات فى الأسرة المصرية أن رتب ديودور الصقلى قوله « بأن الآباء المصريين ملزمون بتربية أبنائهم جميعاً ... وأنهم لا يعتبرون أى ولد ابناً غير شرعى ولو كان ابن أمة مشتراة » (٩) ، وأن أبدى سترابون إعجابه بحرص المصريين على تربية كل من ينجبونهم .

وينهض على التماسك العائلى بين الزوجين من ناحية وبينهما وبين أولادهما من ناحية أخرى أكثر من دليل . فهو يتضح فى الأوضاع والروابط التى التزم الفنان المصرى تمثيلها فى مجموعات التماثيل وفى مناظر الحياة اليومية للأسرة ، كما يتضح فى المتون الدينية التى استهدفت تحقيق الحياة العائلية فى العالم الثانى على ذات النحو الذى كانت عليه فى الحياة الأولى ، ثم يتضح أخيراً فى مناظر النصب التى كانت تجمع بين القريب والبعيد من أفراد الأسرة .

فقد حرص الفنان المصرى فيما أخرجه من مجموعات التماثيل على أن يجعل ممن يمثلهم من أفراد العائلة وحدة واحدة مؤتلفة تجتمع حول رئيسها وتعتمد عليه ، وكان يصدر فى هذا بطبيعة الحال عن تقاليد مرعية

---

(١) Chester Beatty Pap ; 7, 11.

(٢) Ibid., 6, 4.

(٣) Ibid., 5, 9. انظر ملحق النصوص

(٤) Brit. Mus. Pap. 10508, XIV, 16.

(٥) Cairo 20455.

(٦) A.H. GARDINER, *Adoption Extraordinary*, J.E.A., XXVI, 23 f.

(٧) W.F. PETRIE, Athribis, pl. VII.

(٨) J. CERNY and T.E. PEET, *A marriage settlement of the 20th dyn.*, J.E.A., 32-3 ; 38-9.

(٩) Diodorus, 80.

وعما كان يستحب بين أفراد الأسرة من أواصر . فإذا جلست الزوجة بجانب زوجها أو وقفت بجانبه عبرت عما يصلهما من روابط بحركات إحدى يديها أو بهما جميعاً ، فتطوقه باليمنى وتلمسه باليسرى (١) أو العكس (٢) ، وإذا ظهر الأبناء مع أبويهم وكثيراً ما يظهرون ، التصقوا بهما (٣). وهكذا كان الحال في المناظر المصورة ونقوش النصب بالنسبة للزوجة مع زوجها والأبناء معهما ، فكثيراً ما يظهر الابن ممسكاً بعصا أبيه (٤) ، أو محيطاً إياها بذراعه (٥) أو يعتمد على ساق أبيه بيده (٦) أو تتماسك يداهما معاً (٧) وحتى في مناظر الصيد والمرح كثيراً ما كانت العائلة تصور في وحدة واحدة (٨) (لوحات ١٥، ١٦، ١٨) .

وكان من المتون الدينية ما ألف ليحول دون أي ابطاء أو تردد أو عائق في جمع شمل رب الأسرة بأولاده (٩) . ومنها ما ألف ليؤكد له استمرار صحبته لهم ولزوجته على الدوام (١٠) . وقريب من هذا الاتجاه ما بدا من حرص الأبناء على اتخاذ مثواهم بالقرب من مثوى آبائهم أو في مقابرهم بالذات ، وذلك أقرب إلى أن يعني الرغبة الأكيدة من الآباء والأبناء معاً في أن يكونوا بعضهم بصحبة البعض باستمرار ، أو هو يعني كما ذكر أحدهم « رغبة الابن في أن يرى أباه كل يوم والرغبة في أن يكون معه في موضع واحد » (١١) . وإذا كانت مجموعات التماثيل قد جمعت أحياناً بين الشخص وأبويه وابنه وابنته (١٢) ، فإن النصب قد ذهبت بروح الألفة والاتصال العائلي إلى ما هو أوسع مدى من ذلك ، بحيث جمع النصب الواحد أحياناً بين الأربعين والخمسين من أفراد العائلة (١٣) يكون في مقدمتهم والدا المتوفى وأخوته وأخواته الذين يحرص على أن يشركهم معه في مشاهده الأخروية وفي حفلاته العائلية حرصه على إشراك زوجته وأولاده .

وما من شك في أنه إذا قرنت صور هذا الترابط بما دعت التعاليم الخلقية إليه من الحرص على تكوين

---

(١) Cairo 22, 94, 123, 158, etc.

(٢) Cairo, 55, 89, 105, 125, 376 وعن أوضاع أخرى تركع فيها الزوجة إلى جانب ساقه وتحيطها بيدها لإظهار إكبارها له أو لتزيد الوضوح لتمثاله باعتباره الشخصية الرئيسية في المجموعة التي تجمع بينهما . Cairo, 37, 146, 190, 196

(٣) تراجع ص ٥٩

(٤) الأمثلة على أوضاع الابن مع أبيه أكثر من أن تحصى ومنها على سبيل المثال : L.D. II, 11, 23, 73, etc.

(٥) L.D. II, 8 ; H. JUNKER, Giza, III, Abb. 15 ; 28 ; S. HASSAN. Excav., I, Fig. 139, etc.

(٦) W.F. PETRIE, M. MURRAY, Seven Memphite tomb chapels, London, 1952 pl. IX ; H. JUNKER, Giza III, Abb. 18 .

(٧) تراجع ص ٦٠ حاشية ٧

(٨) ص ٦٠ see also, J.H. BREASTED, The dawn of conscience, 1934, p. 120-121.

(٩) P. LACAU, Textes religieux égyptiens, II, 25. — (انظر ملحق النصوص) .

(١٠) See P. LACAU, in Rec. Trav. t. 26, I ; t. 31, LXXII.

(١١) Urk I, 147. — (وانظر ملحق النصوص) .

(١٢) S. HASSAN, Excavations at Giza, Vol. I, pl. 30, p. 27 f ; Belrin. 13677

(١٣) Brit. Mus., Hieroglyphic texts from Egyptian Stelae, II, pl. 41-43 ; see also pl. XV ; Cairo 20051 ; 20062 ; PETRIE, Abydos, III, pl. XIII. تراجع أيضاً ص ١١٠

العائلة والحرص على دوام أواصرها (١) فإنما يتضح ، على نحو ما عقب به جيمس هنرى برستد(٢)، أنه كان ترابطاً قام على أسس أخلاقية واجتماعية وطيدة كان من المفروض أن يلتزمها الصغير كما يلتزمها الكبير.

غير أننا لا نود من استعراض هذه النواحى الطيبة للحياة العائلية المصرية أن نفترض أمثالها لكل أسرة مصرية قديمة ، فما من شك فى أن الأسر المصرية القديمة قد تفاوتت حظوظها فى تآلفها وتنافرها وفى مسراتها وأتراحها ، شأنها فى ذلك شأن غيرها من الأسر فى كل مجتمع وزمان . بل وما من بأس فى أن نضيف استكمالا لصورة الحياة الفعلية القديمة أن بعض التعاليم المصرية تضمنت عدة أمثال سائرة هدفت إلى تحذير الأزواج من بدوات الزوجات فضلا عن النساء الغريبات ، فكان منهما ما يحذر الزوج من أن يسلم قياده لزوجته أو يجعلها تملى رأيها عليه ، وكان منها ما يحذره من ائتمانها على سره أو إطلاق يدها فى ماله ، وما يحذره من الزوجة الجميلة والزوجة الذليلة والزوجة المتغطرسة فضلاعن الزوجة الفاسقة ، وكان منها ما يسمح له باستخدام العصا مع زوجته بشرط ألا يشوهها بها . (٣)

وعلى أية حال فقد اعتبرت الأمثال المصرية الزوجة انعكاساً حياً لشخصية زوجها فى صلاحها وفى طلاحها ، فقالت فيما قالت « المرأة جسم من حجر لين تتخذ (طبع) أول من يشتغل فيها » وقالت « إذا عشقت الأنثى تمساحاً تطبعت بطبعه »، وقالت « تفجر المرأة برضى زوجها » ، وقالت « زوجة الأحمق يمكن أن تضرب أحمقها »(٤) .

إيثار الاتزان وغلبة السماحة فى المعاملات الأسرية :

يعنينا من صور الاتزان فى المعاملات الأسرية هنا كفالة حق الأبناء جميعهم فى ميراث أبويهم فى معظم الأحوال . فى أقدم وصايا التوريث التى سجلها أصحابها فى « السجلات الملكية » يتضح أنه لا الأم كانت تغلبها العاطفة فتعطى ولداً وتحرم الآخر(٥) ، ولا الأب كان يحرم البنت من بين إخوتها فى حقها من ميراثه (٦) . وقد يشذ آباء وأمهات عن هذا بما لا نعرفه ولكن حسبنا ما كان يرتضيه المجتمع على وجه العموم . وما من شك فى أن الاحتفاظ للأبناء جميعهم بحقهم فى الميراث يمكن أن ينتج أثراً فى حفظ شخصياتهم وفردياتهم جميعاً واضحة . و لجأت الأسرة المصرية فى بعض عصورها إلى تسليم أزمة أوقافها الأخروية إلى الابن الأكبر فيها ، ثم جعلت إليه بعد ذلك حق الإشراف على الإرث كله (٧) . ولكنها فى الحالتين لم تكن تسمح له بأن يتصرف فى هذه الأوقاف والأملاك لحسابه الخاص ولا أن يحتجزها لأبنائه ، واشترطت عليه أن يكون إشرافه عليها فيما يفيد أسرته فى الدنيا والآخرة (٨) ولشىء من هذا يتردد فى نقوش أواخر

---

(١) See, A. ERMAN, Die Literatur, 93, 295, 300

(٢) J.H. BREASTED, op. cit., 121.

(٣) See, Pap. Boulaq IV ; Brit. Mus. Pap. 10508, XII, 13 ; XIII, 16 ; XVIII, 15 ; XXIV, 6 ; XXV, 8, 9, 19, 20, 22 ; XXVII, 7.

(٤) Ibid., XXIV, 20 ; XXII, 8 ; XX, 19 ; XXVI, 23

(٥) Urk. I, 2.

(٦) Urk. I, 17. – بعكس مجتمعات أخرى قديمة مثل المجتمع البدوى القديم .

(٧) J. PIRENNE, Histoire dés Institutions..., t. III, 351

(٨) Ibid., 352, 357.

الدولة القديمة افتخار صاحب المقبرة بأنه قد جهزها ووقفها من ثروته الخاصة «ودون ممتلكات أبيه»(١) ، ويهدف من ذلك فى الغالب إلى التنويه بأنه لم يستغل حقوق إخوته فى إرث أبيهم (٢) وتردد كذلك قول من ولوا القضاء «إنى لم أحكم بين أخوين بحيث أحرم ابناً من ممتلكات أبيه »(٣) . والواقع أن حرص المصريين على تصوير الابن الأكبر وذكر لقبه فى كل ما يتعلق بالطقوس الأخروية كاد أن يوحى بفوارق كبيرة بين مركزه فى الأسرة المصرية القديمة وبين مركزه فى غيرها من الأسر ، لولا أنه عرف من الرسائل الأسرية ما ينم عن أن تمييز الابن الأكبر على غيره من الأبناء كاد يكون محصوراً فى نطاق التقاليد الأخروية فى أغلب الأحوال وإزاء وجوب قيامه بتربية إخوته بعد أبيه (ص ١٠٢) . ومن هذه الرسائل مجموعة لرجل من الدولة الوسطى يدعى « حقانخت » يبدو فيها التشديد منه وشدة الرقابة على ابنه الأكبر والتيسير والتدليل منه لابنه الأصغر (راجع ص ٩٩) .

ولا بأس هنا من الاعتراف بأوضاع شاذة أجازتها بعض العصور المصرية ، ونمت عن بعضها وثيقة من القرن الثالث ق . م ، ويحتمل منها حق الوالد فى الوصية لولده الأكبر بكل أملاكه وحق الولد الأكبر فى وراثة ضعفى نصيب أخيه الأصغر مضافاً إليه نصيب يتخيره بنفسه ثم حقه فى وراثة إخوته إذا توفوا قبله دون خلف (٤) . واحتفظت تعاليم عنخ شاشنق بعدة أمثال جارية عبر أصحابها بها عما يختلج فى نفوس الإخوة من عوامل التعاطف حيناً وعوامل الشر حيناً آخر . فقالوا فى ناحية : « إذا عظمت إنسانيتك وتوفر لك الثراء الواسع فارفع إخوتك إليك (ليصبحوا) مثلك » ، و« ليت الأخ البار بالعائلة يصبح هو الأخ الأكبر لها » ، و« لا تكره من يقول لك أنا أخوك » ، و« إذا اختصم أخوان لاتتدخل بينهما ، فمن تدخل بين أخوين حين يختلفان وقع بينهما حين يتصالحان»(٥)، ثم قالوا فى ناحية أخرى: لا تتجه إلى أخيك حين تبتئس واقصد زميلك » ، و« العزلة خير من أخ شرير »(٦) !

أما عن صور السماحة التى عملت التقاليد المصرية على أن تصطبغ المعاملات الأسرية بها فقد ذهبت إلى أبعد مما أظهرته مجموعات التماثيل والمناظر (ص ٦٠) من حيث سماحة أفراد الأسرة بعضهم مع بعض وما يترتب على ذلك من تهذيب حواشى النشء (٧) إذ استحبت نفس السماحة والرفق مع أتباع الأسرة وأرقائها ، ولم تتمسك بمثل الفواصل الحادة التى فرضتها الأسر الإغريقية والرومانية فيما بعد فيما بينها وبين

---

(١) Urk. I, 144 ; Flor. 1773.

(٢) PIRENNE, op. cit., 352.

(٣) Urk. I, 133.

(٤) G. MATTA, « Rights and Duties of the eldest son... », in Bull. of the Faculty of Arts, Cairo University 1950, 113 f. ; Essays and Studies to Stanley Arthur Cook, p. 65.

(٥) Brit. Mus. Pap. 10508, XV, 7 ; X, 15 ; XVI, 23 ; XIX, 71.

(٦) Ibid., X, 16 ; XVI, 4 ; XXI, 21

(٧) للتربوى W. Mc DOUGALL رأى مؤداه أنه على نحو ما يثير الحنان الأبوى فى الطفل عواطف الإيثار من كرم وحب وشفقة ، كذلك تولد المعاملة العائلية الجافة فى نفسه الحقد والغضب الأخلاق . ولهذا فلا مراء فى أن السماحة والقسوة ينبع كل منهما من الطبيعة العائلية أو الفطرة الأبوية .
(An Introduction to Social Psychology, Boston 1926, p. 74).

أتباعها . وذلك بحيث كان من الملاك المصريين من يسمح لرقيقه بالاشتغال لدى غيره لمدد معينة ثم يسمح لهم بأن يتسلموا أجورهم منه بأنفسهم ، أو يشترط لهم لدى المستأجر ألا يرغمهم على العمل فى يوم يشتد حره(١) . وبحيث كان من الناس من يعلن حق الإجراء أو أوليائهم الأقربين فى الاحتجاج على تكليفهم بغير ما استؤجروا له (٢) وليس أدل على حسن الأثر الذى تتركه مثل هذه السماحة مع الأتباع فى نفس الناشئ من أن يراسل ابن أباه فيؤكد عليه أن « أرجو أن ترسل إلى عن حالك وأحوال خدمك (أو عمالك) وكل ما هم فيه لأن قلبى مشتاق إليهم كثيراً جداً » (٣) . وما أتت به هذه الرسالة ونحوها يدعو إلى أن نتلمس فيما أتت به نقوش المقابر والنصب عن السماحة إزاء الاتباع شيئاً من الصدق (٤) .

وهنا نقتبس عن جيمس هنرى برستد ثانية قو بأن السماحة التى تتبدى فى مثل قول الحكيم المصرى بتاح حوتب لولده « كن طلق الوجه ما دمت حياً »(٥) لم يكن من شأنها أن تنحصر فى حدود الأسرة وإنما كان يمكن أن تصبغ حياة الابن كلها ، وتمتد إلى كل من يتعامل معهم فى مختلف شئون حياته (٦) .

وثمة ما يذكر كذلك عن رفق الأوساط المثقفة على الأقل بحيواناتهم الأليفة وأثره ، حيث تقاس بهذا الرفق أحياناً رقة الطباع فى الشعوب . وهو ما ينم عنه لدى المصريين تخصيص أحد مخطوطاتهم الطبية لعلاج عيون وأسنان العجول والكلاب ! (٧) . هذا وتكشف قصة الأمير الموعود وما جاء فيها من إصراره على الاحتفاظ بكلب له برغم علمه أن وفاته ستكون بسبب هذا الكلب بالذات (إن لم تكن بسبب تمساح أو ثعبان) . وقسمه بأنه « بحق رع لن أدع أحداً يقتل كلبى الذى ربيته منذ أن كان جرواً » (٨) عن مقدار تأثر الصغار بما يأخذ به مجتمعهم من رفق أو قسوة .

التدين الأسرى :

كان الأب المصرى صاحب التعاليم يدعو ولده إلى تحكيم ما يرضى به الإله وما لا يرضاه فى أمر نفسه وفى أمره مع الناس(٩) ويبصره بحساب الآخرة (١٠). على أن تعاليم الآباء هذه التى سيعقب بحثها فى تفصيل بعد قليل لم تكن هى العاملة وحدها على التبشير بعاطفة التدين لدى النشء . وإنما كان لما اتسم به اتجاه الأسرة المصرية والمجتمع فى مجمله من إيثار التدين والتطبع به ، أثر كبير فى ذلك أيضاً .

---

(١) See, A.H. GARDINER, in AeZ, XLIII, 27 f.

(٢) T.E. PEET, in J.E.A., XII, 72.

(٣) Pap. Anast., V, 21, 3-5

وتقرن هذه الرسالة بما تضمنته رسائل أخرى من حرص مرسليها على طمأنة من يراسلونهم على سلامة أتباعهم . (Pap. Bolog., 8, 4-5)

(٤) الأمثلة عن ذلك عديدة وجليلة وبخاصة : Urk. I, 47 ; 217 ; Brit. Mus. 197.

(٥) Pap. Prisse, 481. أنظر ملحق النصوص (وقد تكون حرفيتها : ليستبشر وجهك طالما بقيت)

(٦) J.H. BREASTED, op. cit., p. 135.

(٧) F.L. GRIFFITH, Kahun Pap. VIII ; p. 12 f.

(٨) Pap. Harris 500 vs. 7.

(٩) Pap. Prisse, 99-100 ; 545-6 ; Pap. Petersburg 1116 Art. 123-24 ; 139-40 ; Brit. Mus. Pap. 10474, 8, 14 ; 13, 16, etc. (See F.L. GRIFFITH, in J.E.A., 204, 210).

(١٠) Pap. Petersburg, 1116, Art. 43 f.

ويتضح بعض ذلك فى أنه ما من عائلة من عائلات مصر القديمة ذكرت أو صورت دون أن ينتسب فرد منها أو أكثر إلى خدمة إله أو إلهة . وذلك الحرص على التقرب إلى الآلهة وإن كان ينبنى على الادعاء فى بعض أحواله إلا أنه لا يخلو من دلالة على أن الأسرة المصرية كانت ترى مثلها العاطفية والسلوكية العليا فى التدين . والواقع أن أدلة التدين الأسرى ، والفردى تبعاً ، فى مصر القديمة ليست قليلة وليست مقصورة على نقوش معابد الملوك ودعوات القبور ، وإنما تنم عنها كذلك قرائن عديدة أخرى . فمن هذه القرائن ما تبيناه من غلبة الطابع الدينى على أسماء المواليد ، وما ينم عنه ذلك من الحرص على الارتباط بالآلهة والإقرار لها بالنعم ، والتوكل عليها ، وابتغاء حمايتها (ص ٢٠) . وتظهر دلائل التدين الفردى من ناحية أخرى فيما كان ينقش على جعلان الأفراد (منذ الدولة الوسطى) (١) ، ووجه الأهمية فى الاستشهاد بها هو أنها كانت عامة ومنتشرة (٢) لا يؤثرها مثقف دون جاهل ولا تتيسر للثرى وحده دون الفقير . فمع تباين العبارات التى نقشت عليها ، ومع تعددها بتعدد الأفكار والأذواق التى عاش عليها مختلف الناس ، تشترك جميعها فى وجهة واحدة ، وهى الثقة بالإله والرغبة فى إرضائه . فمن هذه العبارات ما يجعل كل شىء فى يد الإله ما كان وما لم يكن (٣) ، ومنها ما يدل على الإيمان بأن رضى الإله عن رب العائلة فيه حماية للعائلة كلها (٤) ، ومنها ما يفيد أن من كان الإله سنده فهو قمين ألا يخشى من أمره شيئاً (٥) . هذا وقد أثرت نفثات حارة ساذجة كان سكان قرية دير المدينة يوجهونها إلى معبوداتهم فيما كانوا يضطربون فيه من أمور الدنيا ، وظلت تعتبر من أكثر ما دلل به الباحثون على التدين الشعبى الفطرى فى مصر القديمة وعلى أن المصرى العادى لم يكن يجد من هو أقرب إليه من معبوده يهرع إليه فى الضراء ويذكره فى السراء . وحسبنا من هذه النفثات ما يتضح منه كيف كان تدين رب الأسرة يؤدى إلى اجتذاب وجدان أولاده فيقلدونه ويشاركونه اتجاهاته ومشاعره . فقد مرض ولد لرسام يدعى نبى أمون مرضاً شديداً فاتجه الوالد بقلبه ودعائه إلى أمون رع يسر إليه « لئن أنقذت لى ولدى لأقيمن لك تذكاراً باسمك وأخلدن لك عليه نشيداً مكتوباً » فلما استجيب دعاؤه وفى بعهده ، ولم يشأ أن يقدم التذكار باسمه وحده وإنما قدمه باسمه واسم ولده الأكبر خعى ، ثم شاركه فيه كذلك أبناؤه الأربعة الآخرون يصلون معه ويتوجهون بالثناء على من حبا أسرتهم بفضله ورعايته (٦) . وشاركت نساء مصر القديمة منذ أقدم العصور بنصيب كبير فى خدمة وعبادات الآلهة والآلهات إن ارتزاقاً وإن تطوعاً ، أو هكذا كن يتفاخرن على الأقل فى نقوش مقابرهن ونصبهن . وما من شك فى أن اتجاهات الأم المتدينة يكون لها من التأثير فى اتجاه الطفل ما يكون لتأثير تدين أبيه فيه . ويضاف إلى أثر تدين الأب والأم أنه إذا كان احتفاظ أطلال بيوت المتدينين فى العمارنة بهياكل عبادة منزلية (٧)

---

(١) E. DRIOTON, « *Scarabées à Maximes* », in Annals of the Faculty of Arts, Ibrahim Univ., 1951, p. 55 f.

(٢) Ibid., 58.

(٣) Ibid., 59.

(٤) Ibid., 61.

(٥) Ibid., 60-61.

(٦) Berlin 20377 (B. GUNN, *The religion of the poor in Ancient Egypt*, in J.E.A., III, 83f.).

(٧) L. BORCHARDT, in Mitteilungen der Deutschen Orient-Gesellschaft, LII, 26 f.

يعني أنها كانت عادة متبعة في بقية العصور الأخرى التي لم يتبق لبيوتها أثر يترسم ، فإنه يمكن القول بأن قرب الطفل من صورة الإله أو من تمثاله كان ينشئه على شيء من تقواه ومن رغبة التعرف على ما يرضيه وما يغضبه.

وللتدين المصري العام الذي كانت الأسرة تشارك فيه وينشأ عليه بنوها جوانب اتضح صداها في اتصاف أهله بنصيب كبير من السماحة والبساطة . فقد كان تديناً لا يلزم أهله بنسك أو رهبنة حيث لم يؤثر انعزال لمتعبد ، ولم يكن يؤدي بصاحبه إلى تزمت أو جمود ، فأعياد الآلهة التي كان المصري يرى من واجبه أن يحييها ، تعود أن يحي الكثير منها بالرقص والموسيقى (١) ، وكان المصري في تصوره عن إلهه يتصور فيه الرحمة قبل كل شيء ، وقليلا ما ظن به القسرة والعنف ، فكان يؤمن أن « الإله (إله طيبة) لا يمكن أن يقضي اليوم كله في غضب ، فغضبه ينجلي في هنيهة ولا يتبقى (منه) شيء » (٢) وكان يرى أن « العبد وإن انتوى الشر فالرب ميال إلى الصفح (٣) » . وكان يشركه فيما يقوم به من أعماله ويطمع أن يكون راعيه فيها وموجهه إلى خير سبلها (٤) . وكان بوسعه أن يتعبده عن إحساس بقربه منه . فيقول : ألا تقول الأرامل إنك زوجنا ! ويقول الأطفال (إنك) أبونا وأمنا ! (٥)

وبالجمع بين هذه الجوانب المتعددة للتدين المصري ونصيب الأسرة منه ، إزاء ما كانت عليه حال الديانات الوضعية القديمة الأخرى من حيث تفاهة تأثيرها في قواعد السلوك وبواطن النفوس ، يتضح الاحتمال المرجح فيما كان لتداخل الدين في حياة الأسرة المصرية وفي اتجاهاتها التربوية من قدرة على تهذيب نوازع النفوس وتنمية النشء على جانب من تقوى الإله والثقة به وعلى جانب من التوازن الوجداني والسلوكي لا يستبيح الفرد معه التجبر وتعدي مقاييس الأخلاق ، ولا يجد منه في الوقت نفسه ما يدعوه إلى التزمت أو الانصراف عن متع الحياة المشروعة ، ثم هو يضم إلى خشية القانون خشية المعبود .

الاتجاهات الاجتماعية للأسرة المصرية :

يكاد يكون طابع الأسرة المصرية فيما سلكت من اتجاهات اجتماعية هو ذات طابع التوسط الذي اتصفت به اتجاهاتها الدينية . فقد كانت من ناحية تؤثر الجدية والاحتشام على نحو ما هي عليه الآن في مجموعها : تستنكف تقاليدها من زائر البيت «سيدا كان (أو ابناً ؟) أو أخاً أو صديقاً » أن يختلط بنسائه أو يقترب منهن (٦) ولا تستحب زيارة البيت في غيبة صاحبه (٧) أو دخول البيت دون استئذان (٨). ولوحظ في

---

(١) BLACKMAN, Meir II, pl. XV ; DAVIES, Antefoker, pl. XV ; NAVILLE, Fest. Hall of Osarkon II, XIV, XXV ; A. ERMAN, Die Religion der Aegypter, Berlin 1934, S. 37, 410.

(٢) B. GUNN, op. cit., p. 85.

(٣) Ibid., 85.

(٤) وصف تحوتي بالكاتب والقاضي ، ووصف بتاح بالفنان ، ووصف منتو بالمحارب وكذا إنحرة ، واعتبرت سخمت راعية الأطباء .

(٥) Pap. Ch. Beatty IV, rt. 8, 1.

(٦) Pap. Prisse, 279. — (انظر ملحق النصوص) .

(٧) *See*, A. ERMAN, Die Literatur, 295.

(٨) Ibid., 300.

بردية تعداد سكان بلدة اللاهون فى الدولة الوسطى أن خدم البيوت كانوا دائماً من الإماء وأطفالهن الصغار دون أن يكون بينهم شاب بالغ (١) . وكان بعض الأغنياء أصحاب السرايا يجعلون عليهن من يحول بينهن وبين الاتصال بالخارج فيما يريب (٢) . وكان القانون أو العرف يجعل الزنا بالمرأة المتزوجة عقابه الموت (٣) .

ومع كل هذا فلم يكن حرص المصرى على زوجته ليدفعه إلى إلزامها الحجاب أو القعود حبيسة دارها . فقد كان لسيدات الطبقتين الوسطى والعليا نشاط كبير واشتراك فعلى فى شئون المعابد وفى خدمة الآلهة ، وكان لبعضهن نصيب من الإشراف على بعض ما يتبع الزوج من وظائف وأعمال (٤) فضلا عما تولينه هن بالذات من مناصب فى القصور الملكية . ولم يكن الرجل يرى بأساً من أن تخرج زوجته بطفلها لزيارة أو نحوها فى رعاية خدمه (٥) .

وإذا كانت المرأة المصرية قد وجدت هذه الثقة من زوجها ووجدت منه السماح بالاشتراك فى أوجه النشاط الاجتماعى وفى الحفلات العامة هى وبناتها (٦) ، فلا يبعد أن أبناءها كانوا يشجعون أيضاً على ما يماثل ذلك من النشاط الدينى والاجتماعى منذ حداثتهم وذلك بما يتفق مع ظروف البيئة التى ينتمون إليها . ولم يؤد تحفظ الأسرة المصرية إزاء الأغراب إلى أن تغلق أبوابها دون الأقرباء والأصدقاء وزوجاتهم ، ولم تكن أيام الأسر الثرية تخلو من حفلات كبيرة يجتمع فيها الرجال والنساء والأطفال ، فيجلس كل رجل مع زوجته على مقعد واحد عريض (٧) ، أو يكون للرجال مجلس يجمعهم وللنساء مجلس يجمعهن (٨) ثم يكون الأطفال بين هؤلاء وهؤلاء (٩) . ولم تكن مثل هذه الحفلات تخلو فى العادة من رقص وموسيقى وطرب . ومن الأدب القصصى ما يذكر أن من بنات الملوك من كن يدخلن على أبيهن الملك لتحيته بالترانيم الشعرية على أنغام الموسيقى الخفيفة ولو كان لديه ضيوفه (١٠) . وكانت البيوتات الراقية ترضى كذلك بمثل هذه الروح المرحة المهذبة لفتياتها .

طابع الأسرة المصرية الفقيرة والعوامل المؤثرة فيه :

يرجع أغلب ما تقدم من صور الحياة فى الأسرة المصرية وتقاليدها إلى ما أتت به النقوش والمناظر فى مقابر السراة وأهل الطبقة الوسطى ، وهو ما ينبغى أن يقدر بجانبه أثر انخفاض المستوى المعيشى والثقافى

---

(١) GRIFFITH, Kahun Papyri, p. 20

(٢) A. Erman, H. RANKE, Aegypten, 87.

(٣) Prisse, 288 ; A. ERMAN, Die Lit., 66-67 ; 296 ; J.H. BREASTED, op. cit., 135.

(٤) Beni Hassan, I, pl. 35, Annales of Archaeology and Anthropology, IV, 104.

(٥) W. WRESZ., Atlas III, 11.

(٦) H. BRUGSCH, Thesaures, V, 1190 f. – وتراجع حاشية ١٠ ص ١٦ – ١٧

(٧) W. WRESZ., Atlas, 7 ; 91.

(٨) N. de G. DAVIES, A.H. GARDINER, The tomb of Amenemhet, pl. XV, XVI ; TYLOR-GRIFFITH, Paheri, pl. VII ; Mem. Miss. V, Fig. 6 ; etc.

(٩) Mem. Miss. V., 3me Fac. pl. II.

(١٠) A. ERMAN, Die Literatur, 54.

فى أحوال وطباع وأبناء غير هاتين الطبقتين ، وهم الكثرة الغالبة من العائلات التى كانت تكدح فى الأرض بأبنائها فى سبيل الكفاف وتستغل قبل غيرها فى مشروعات الدولة وخدمة الحكام . ففى هذه العائلات لم يكن الطفل يتطبع أو يتأثر بطبيعة الحال بمعاملة أبويه لأتباعهما وإنما يتأثر بمعاملة الأسياد لهما . وفيها لم يكن الطفل يخرج لمصاحبة أبيه فى متعة الصيد أو نحوها ، وإنما كان يصحبه إلى العمل منذ حداثته (١) كما كانت تضطر أمه أيضاً . وفيها لم يكن من شأن الفقر أن يحرم الطفل من المتعة فحسب وإنما لابد وأنه كان يحرمه من الصحة أحياناً . كل هذا ينبغى أن يقدر . على أن ثمة قرائن أخرى عديدة يمكن أن تضيف إليه أن التكوين الوجدانى للأوساط الفقيرة وأبنائها ، لم يكن يفترق فى كثير عما تقدم تصويره من التكوين الوجدانى المعتدل لأهل الطبقات الأخرى . فالنفسية البسيطة الراضية والطبيعة الصبورة المتفائلة والتدين الفطرى الساذج والروح الفكهة المرحة ، كل أولئك كان يتمثل فى كثير من جماهير الفلاحين والعمال والرعاة على نحو ما كان يتمثل فيمن يسودونهم أو يستأجرونهم من أهل الطبقات الأخرى . وتوحى أغانى الكادحين على الأرض وهم يحرثونها (٢) أو يبذرون الحب فيها مع ماشيتهم (٣) ، أو ينقلون غلالها إلى الصوامع (٤) ، أو يستقبلون عليها تباشير الفيضان (٥) ، كما توحى أغانى الرعاة (٦) وحاملى المحفات (٧) ، بأنه كأنما قد عوضهم الله بالطبيعة المرحة الصبورة عن بعض ما حرموه من متاع الدنيا وضروراتها . ويمكن أن ترد الطبيعة الهادئة المرحة لهذه الجماعات إلى إيحاء من طبيعة بلادهم البسيطة الهادئة التى برئت من الصخب والتقلب ، كما يمكن أن ترد من ناحية أخرى إلى أثر وازع دينى أو عرف عام كان يحبب أهل الطبقات الأخرى فى معاملة أرقائهم وأجرائهم معاملة مقبولة تذهب عن نفوسهم مرارة الحقد وما تخلفه من التواء فى الطبع والوجدان . والواقع أن ما كان يصحب جباية الضرائب أحياناً من قسوة صورتها بعض المناظر المصرية لايستطيع أن يجب تماماً ما تقدم ذكره (ص ٦٨) من صور رحيمة كان يبديها أصحاب الأملاك وأصحاب السلطان لمن هم دونهم ولمن تحت أيديهم . وفيما يتعلق بالآباء والأبناء من أصحاب الأملاك لا أقل من الاستشهاد بقول بتاح حوتب لولده أن « هدىء العوام ؛ فلن تكمل النعم من دونهم » (٨) . ومثل قول الحكيم آنى لولده « لا تأكل طعاماً وغيرك واقف دون أن تحث الخطى إليه وتمد يدك بالطعام إليه ، ولسوف يعرف لك ذلك إلى أبد الآبدين » ، ثم قول الحكيم عنخ شاشنقى لولده ، ولو أنه قول لم يبرأ من إيثار النفع المتبادل « اعط الشغال رغيفاً تأخذ رغيفين من كتفيه » (٩) .

فإذا كان هذا هو شأن ما بين السادة والاتباع ، فمن الطبيعى أنه كان فيما بين بعض طبقات الكادحين وبعضهم من التراحم والتعاطف مالا يقل عن ذلك ، وأنه كان من شأن هذا التعاطف والتراحم أن يضفى عليهم شيئاً

---

(١) A. ERMAN, Reden u. Rufe..., S. 39 ; 49 ; M. MURRAY, Saqqara Mastabas, part I, pl. XVIII ; part II, p. 17.

(٢) J. TYLOR-F. L. GRIFFITH, op. cit., pl. III.

(٣) Ti, 111 ; Mereruka, A 13 ; L.D. III, 10d ; ERMAN, op. cit., 19-20.

(٤) A. ERMAN, H. Ranke, Aegypten, 451. (٥) Ibid., 458-59.

(٦) H. SCHAFER, Lieder, 61 f. (٧) A. ERMAN, Reden, 52.

(٨) Pap. Prisse, 606-7. أنظر ملحق النصوص (٩) Brit. Mus. Pap. 10508, XXII, 19.

يحتمل مع هذا أن كثرة ادعاءات الكبراء والحكام بتربية الصغار اليتامى كان فيها شىء من الصدق .
See, Bersheh II, p. 19, pl. XXII, Graffito 8, 1.6, Graf. 12, 1.12 ; Beni Hassan II, pl. XXIII, 8 ; Proc. S.B.A. XVIII, 96 f., 1.6 ; Cairo 20303 8-9 ; AeZ, XLII, 100.

من الهدوء النفسى وييسر عليهم تقبل مشقات الحياة والأخذ بأيسر أمورها ، وتنم مناظر العمل فى الحقول والقصور عن صور إنسانية رقيقة ساذجة بين الكادحين المصريين . ففى مناظر مقبرة الثرى « مننا » تبدو امرأة من اللائى ألجأهن الفقر إلى العمل قد هيأ لها زملاؤها أن تنتحى برضيعها إلى ظل شجرة لترضعه وتستريح على مقعد منخفض صغير (١) . وفى مناظر « مننا » كذلك يتناوب العمال الراحة فيما بينهم فيلجأ بعضهم إثر بعض إلى ظلال الشجر على حافة الحقل (٢) ، وعند « باحرى » ينادى رئيس العمل قائد البقر أن « اسرع فإن الأمير واقف يرانا » (٣) مما يحتمل معه أن أحدهما لم يكن يجهد نفسه بتحرى السرعة فى الأمر أو التنفيذ عندما لم يكن الأمير يراه . وعند « حورمحب » (فى سقارة) يقف جمع من خدم الدار حول فقير جلس بينهم على الأرض فيمسح أحدهم على رأسه ويناوله جرة يعب منها ويهبه آخر رأس كبش ربما ليأخذها إلى عياله (٤) . وثمة صور أخرى لحياة التواد والتآخى بين الكادحين يمثلها مادرجوا عليه من مخاطبة بعضهم البعض بألفاظ المودة والألفة ، كأن يقول أحدهم للآخر فى عرض حديثه « خذ إليك يا أخ » (٥) ، وهذه يقولها حتى الجزار لزميله ، ويقول النساج لزميلته « اسرعى إلى ؟ يا أختى (٦) وذلك فيما يبدو نوع من أخوة العمل وأخوة الكدح وأخوة الصداقة أو قل هى أخوة الإنسانية التى نادت المسيحية بها وأيدها الإسلام (٧) . ويقول أحدهم للآخر « يا زميلى ويا للى معايا (٨) وهذه يتخاطب بها الطفل وزميله الذى يلعب معه وكذا الجزار (٩) والراعى (١٠) والمزارع (١١) ، والصانع (١٢) وصائد السمك ، وصائد الطيور ورجل السفين (١٣) كل يتخاطب بها مع زميله الذى يعمل معه . ونفس هذه الروح الطيبة تعبر عنها كذلك الإجابة التقليدية التى يرد بها الزميل على زميله « إنى سوف أعمل ما يرضيك » ، ويعبر عنها تشجيع الزميل لزميله « إن هذا بديع جداً » (١٤) وما ينحو نحو ذلك من عبارات المجاملات الرقيقة .

يتضح إذن أن الآثار النفسية السيئة التى يخلفها الفقر عادة من حقد وتبرم وصغار كانت تنكمش إلى حد ما فى المجتمع المصرى إزاء ماجبلت عليه النفسية المصرية فى جملتها من البساطة والتدين والتفاؤل

---

(١) N.M. DAVIES, Ancient Egyptian Paintings Chicago 1936, pl. L.

(٢) W. WRESZ., Atlas, pl. 238.

(٣) TYLOR-GRIFFITH, Paheri, pl. III.

(٤) Mem. Miss. V. 3me Fasc., pl. II.

(٥) A. ERMAN, Reden, S. 7, Anm. 1. — انظر ملحق النصوص .

(٦) J. CAPART, Une rue de tombeaux à Saqqarah, pl. XXX. (ملحق النصوص) .

(٧) See, A. ERMAN, op. cit., 7.

(٨) Mereruka A13.

(٩) MONTET, Scènes de baucherie Bull. Inst. Fr., VII), p. 19.

(١٠) A. ERMAN, op. cit., 6.

(١١) Ibid., 22-23 ; Ti, 123.

(١٢) Mereruka, A3 west.

(١٣) A. ERMAN, op. cit., 35, 36, 37, 30.

(١٤) A. ERMAN, op. cit., 22, 45, 47-8. 7, 8 ; Mar., Mast. D62 ; Gemnikai, II, 26.

والمرح والجلد ، وإزاء ماحضت عليه التعاليم الاجتماعية والدينية السراة والرؤساء من وجوب مغالبة التكبر وإيثار السماحة والعدل . ويتضح كذلك أن روح التعاطف والتواد التى سرت بين أوساط الكادحين أنفسهم كان بوسعها أن ترد عليهم جانباً آخر مما يسلبه الفقر عادة من كرامة النفس واستقرار الحياة وأن تسمح لهم بأن يتعاونوا على بث شكاواهم مجتمعين إن لم يفعلوا منفردين ، فى مقطوعات الغناء حيناً (١) وفى مواجهة الحكام حيناً آخر (٢) . ولم يجد السادة والحكام فى ذلك أمراً إداً ولم يروا أن الذلة والاستكانة أمر مفروض فى كل عامل أو أجير (٣) . وهذه الأوضاع أوماهو قريب منها كان بوسعها أن تنشئ أبناء الكادحين على جانب من البساطة وروح السلام لاتثقل نفوسهم مرارة الحقد أو لاتدوم معهم ، ولا يسف بهم صغار . وما من شك فى أن حياة الكادحين مع أبنائهم وأسرهم كانت على ذات الحال من التعاطف والبساطة ، تخلو إلى حدما من العقد والتعقيد وإن لم تخل من كثير من الحرمان . فإذا اضطر الأبناء بعد ذلك إلى الخروج مع آبائهم إلى العمل منذ نعومة أظفارهم وجدوا من سماحة المجتمع وبساطة معاملاته مايعينهم على ما اضطرتهم الظروف إليه من كدح وشقاء (٤) .

---

(١) See, A. ERMAN, H. Ranke, Aegypten, 451, 521

(٢) A. ERMAN, Die Literatur, 157 f. (Die Klagen des Bauern).

(٣) يتغنى العمال فى مقبرة «باحرى» بموال فيه سخرية وتعريض بالرؤساء (انظر هامش ١ أعلاه) وتسجيل الفنان لمثل هذا الموال فى المقبرة وهو يؤمن بأن كل ما فيها سيتحول إلى حقائق ، لمايدل على أن الذلة أوالاستكانة لم تكن شيئاً مفروضاً فى الأتباع كما أسلفنا . ويلاحظ فى نقوش المقابر أن العمال كثيراً مايتحدثون عن سيدهم فى مطلق أحاديثهم باسمه الجميل ، أى اسم التدليل ، فيتحدث أتباع كايجمنى عنه باسم ممى ، ويتحدث أتباع نفرسشم بتاح عنه باسم سشى ، ويتحدث أتباع بتاح حوتب عنه باسم «إبى» وهكذا مما قد يعنى أن الشقة بين السادة والأتباع لم تكن واسعة كثيراً (A. ERMAN, Reden, 9 ; 15 ; L. D. II, 103 ; Gemnikai II, 26 ; Rue de tombeaux 55, 56, 101). ويضاف إلى ذلك أيضاً ما أتت به قصة القروى الفصيح حين يقول الفرعون لناظر خاصته عن القروى المتظلم أن «زود زوجته وأطفاله بمادة الحياة ، فمجيء أحد القرويين إلى العاصمة يتأتى عادة بسبب فقر داره ، ثم زود هذا القروى نفسه ، وعليك أن تأمر باعطائه الطعام دون أن يعلم أنك أنت معطيه» (A. ERMAN, Literatur 163). فكأنه كان يود أن يحفظ على الرجل كرامته ولا يشعره بمن عليه – وعقب أدولف إرمان على ذلك بأن طريقة هذا الفرعون فى العطاء المستتر كانت ميزة للطابع الإنسانى للمثقفين المصريين . (Ibid., Anm. 2).

(٤) على الرغم مما سلف من حقائق ، أوعز بعض الأجانب فى انجلترا إلى تلميذ مصرى بكتابة رسالة عما سماه الرق والعبودية فى مصر الفرعونية ، قال فيها بقيام الاقتصاد المصرى على العبودية للارض والسخرة الإجبارية وإنكار حرية الناس وحقوقهم واعتبارهم متاعا كالعقار والمواشى ليس لهم شيء من حقوق الإنسان ، واعتبر كل العمال والخدم (باكو وحمو) رقيقا ، ووصف المجتمع المصرى بأنه مجتمع بسيط ذو عقلية أولية وتشريعات بدائية لا ترقى فى زعمه إلى القانون الرومانى

(A. BAKIR, Slavery in Pharaonic Egypt, Cairo, 1952, pp. 4, 8, 81, 82, 124, etc.).

وتناسى هذا المؤلف أمثال الصور الطيبة التى أسلفناها والتى ينبغى أن تقارن بما عاصرها فى الشعوب القديمة وحدها ، ولم ير فى قومه المصريين غير درجات متفاوتة من العبودية ، وما درى أن الرومان الذين فضل قانونهم لم يعرف التاريخ شعبا أسوأ منهم فى معاملة أتباعهم ، وأن قانونهم لم يستكمل صورته التى سمع عنها إلا بعد ميلاد المسيح بقرون وبعد العصور الفرعونية بمئات السنين .

الفصل الرابع

فترة الصبا

أولا — مع الأبوين :

صورت المتون المصرية وآدابها جوانب مما يلحظ من التمايز بين معاملة الأب لأبنائه وبين معاملة الأم لهم بعد تجاوزهم لطفولتهم الأولى . فصورت متون الأهرام جانباً منها فى عبارتين يدعو الأبوان بهما ولدهما الأكبر حين مقدمه عليهما . فأما الأم فلا تزيد على أن تقول له « جميل » و« ما أجملك »(١) وأما الأب فيرى فيه النبت الذى يرجوه لغده ، فيناديه « وريث » « ووريثى »(٢) . ويصور جانباً آخر من هذا التمايز تباين لفظى فيما كان بعض الأبناء يعبر به عن صلاته بكل من أبيه وأمه ، كأن يقول « لقد كنت أخشى أبى ، مدلل (؟) أمى » (٣) وما ينحو نحو ذلك .

على أنه يتضح إلى جانب هذه الاتجاهات العامة فيما بين الصبى ووالديه ومضات أخرى من المتون المصرية تكشف من ناحية عن أن حزم الأب كان يتجه أحياناً إلى الحد من الملاينة المتبادلة بين الأم وولدها ، وتكشف من ناحية أخرى عن أن حنو الأمومة لم يكن يصرف المصرية عن إسهامها بنصيب واضح فى تنشئة ولدها التنشئة الطيبة التى تتيسر لها فى بيئتها . فى الأولى يحض والد من الدولة القديمة ولده على الجدية والحزم فيذهب بهما إلى قوله « طوبى له من كان جاداً إزاء أمه فهو جدير بأن يصبح جميع الناس له تبعا »(٤) وكأنما عنى الأب بهذا ما يترتب على الابن من ضعف الشخصية أو عنى أن التفريط فى البيت يعقبه تفريط خارجه وأن رجولة البيت تتبعها رجولة فى خارجه. وذلك فى حين يشهد للأمهات والد من الدولة الحديثة فيقول لولده « ... إنها (أمك) كثيرا ما تحملت عبئك (؟) ولم تتركه لى . . . ، وحينما ألحقت بالمدرسة وعلمت الكتابة فيها ظلت تواظب دونى (على الذهاب إليك ؟) يومياً بالخبز والجعة من دارها ، فإذا شببت واتخذت زوجة واستقررت فى دارك ضع نصب عينيك كيف ولدتك (أمك) وكيف كانت تربيتك كلها (؟) »(٥) فهذا الأب إذن لم ير فيما فعلته الأم مجرد رعاية وإنما هى تربية أسهمت فيها بما يذكر لها . ومن الدولة الحديثة كذلك يصف أحمس الأول أمه اعح حوتب بأنها العاقلة (رخت خت) (٦) وذلك

---

(١) Pyr. 820b, 1450a M. — (أنظر ملحق النصوص)

(٢) نفس الفقرتين (انظر ملحق النصوص)

(٣) Urk. I, 204,8 ; also 199,6 — انظر ملحق النصوص .

(٤) Pap. Prisse, I, 11-12, see, A.H. GARDINER, in J.E.A., XXXII, 73. — (ملحق النصوص) .

(٥) Pap. Boulaq IV, 7, 19, f. ; see A. ERMAN, Die Literatur, 299 —(ملحق النصوص).
وقد تقرأ العبارة الأخيرة : وجه نظرك إلى ما سوف يولد لك وإلى تربيتك كلها .

(٦) Urk. IV, 21,9

مما يؤكد حصافة توجيهاتها وعظيم أثرها فى حياته وحياة أخيه من قبله . وإذا جاز أن نرى فى القصص المصرى صوراً معبرة عن حياة المجتمع الذى نشأ فيه ، ففى قصة الصدق والضلال التى خلفها عصر الرعامسة عن حياة الطفل حور (١) ، قرينة أخرى على اتجاه بعض الأمهات إلى تنشئة أبنائهن التنشئة الطيبة . إذ تروى القصة أن والد طفلها حور كان قد لحقه الفقر والعجز إثر مكيدة دبرها له أخوه وذهبت ببصره ، فأخذت زوجته مكانه فى تربية الصبى وألحقته بالمدرسة، فتعلم الكتابة جيداً ومارس كل فنون النزال »(٢). وثمة عبارة فى تعاليم عنخ شاشنقى لوصحت القراءة التالية لها لكانت مما يحتم الاعتراف بكرامة الأم أمام أولادها ، وقد قال فيها « لاتضحك ولدك وتبكيه على أمه ، تريد أن يعرف (؟) أهمية أبيه ، فما ولد فحل من فحل (من غير أم) »(٣) .

على أنه مهما يكن من أثر الأم المصرية (أوغير المصرية) فى حياة صبيها ، فهو أثر لايقاس بحال بأثر الأب فى تكييف سلوكه وتوجيه مستقبله . فالأب بالذات هو من أنست التربية المصرية إلى خبرته واتجهت التعاليم إلى إبراز أثره التربوى ، وقالت : « أولاد الأحمق يذرعون الطريق ، وأولاد الحكيم يستقرون من ورائه (؟) » (٤) . ومن ثم كان للمجتمع أن يتطلع إلى أثره خلال سلوك ولده ، فمن رآهما قال إن شأن ذاك (هو شأن) هذا ، ومن سمعهما أكد ذلك وقال بمثله (٥) ، وترتبت على مسئولية الأب واجبات وحقوق ، فمن واجباته أن يلتمس لولده (المطيع) كل شأن فاضل(٦) وأن « ترى عيناه وكذلك تسمع أذناه ماينفع ولده »(٧). وأجمل بتاح حوتب ذلك فى قوله لولده « إذا نضجت وكونت داراً ، وأنجبت ولداً من نعمة الرب واستقام هذا الولد ونهج نهجك ، ووعى تعاليمك ، وصلحت أحواله فى دارك ، وحفظ ثروتك كما ينبغى ، فالتمس له الخير كله ، وتحر كل شأن فاضل من أجله ، فإنه ولدك وفلذة نفسك ، ولاتصرف عنه نفسك » . ثم أن يفيده بخبرته(٨) ، ويسعى إلى رفع مستواه وتعليمه ماتهيأ له ذلك (٩) وأن يحفظ كرامته عليه ، مما ينم عنه قولهم « لا تدع عمل الخادم لولدك إن استطعت أن تجعل (الخادم) يؤديه » ، و« إياك أن تتسبب فى أن يفقد ولدك دخله » . و« لاتقل (يا) ولد لمن نضج ، ولاتتجاهل من جانبك من كبر »(١٠) . على أن المجتمع قد تقبل فى حالات أخرى أن يتجاوز توجيه الأب

---

(١) يراجع رأى جاردنر فى صدق تعبير هذه القصة عن الحياة فى عصرها – ص ١٧٤ حاشية ٢ .

(٢) Pap. Ch. Beatty II, 4, 5 f. تراجع ص ١١٢ .

(٣) Brit. Mus. Pap. 10508, XI, 19-20.

(٤) Ibid., XVIII, 11.

(٥) تراجع ص ٦ فى المقدمة .

(٦) Pap. Prisse, 203. – (انظر ملحق النصوص) .

(٧) Ibid., 530-31. – (انظر ملحق النصوص) .

(٨) ص ٧٩ .

(٩) See, Pap. Sall II, 4, 1 f., 9, 4 ; Pap. Anast. V, 22, 6 f. ; Ost. Turin 9598 ; O.D.M., 1036.

وفى تعاليم بتاح حوتب عبارة قد تعنى « علم ابنك المستمع (أو المطيع) يفلح لدى النبلاء » او « علم المستمع (إليك) كأنه ولدك يفلح بين النبلاء » Pap. Prisse 566-7. (See, Wb. IV, 84 « sb; mit « m » (?) وأى المعنيين يدل على أن تعليم الابن كان أمراً واجباً . (انظر ملحق النصوص) .

(١٠) Brit. Mus. Pap. 10508, VII, 3 ; XIV, 19 ; VII, 21-22.

لولده سن النضج لهذا الابن . ومن ذلك أن يقول بتاح حوتب لولده « اعمل حتى يقول رئيسك ما أبدع تعليم أبيه ، لقد خرج منه ، من صلبه ، وما قاله له احتفظ به فى باطنه بأجمعه » (١)وكأنه يؤكد بذلك أن ما يقوم به ولده فى حياته العملية الناضجة إنما هو مردود إليه أولا وأخيراً . وإذا جاز الاستشهاد بجانب مما جاءت به التعاليم المصرية المتأخرة على اعتبار أنها لم تكن غير امتداد لتعاليم العصور الفرعونية التى لم يبلغنا غير أقلها (٢) ، فإن فيها مايؤكد ماتقدم عن مسئولية الأب إزاء ولده وإزاء المجتمع ، إذ تقول « إنه تمثال من حجر ذلك الابن الغرير الذى لم يربه (أو يعلمه ؟) أبوه »(٣) ، وتقول « إذا لم يرب (أو يعلم ؟) الابن عجب الناس جميعاً من ذلك »(٤) .

وفى مقابل هذه المسئولية الواسعة الملقاة على عاتق الأب ، افترض المجتمع له حقوقاً على ولده ، أولاها الطاعة والاحترام ، ثم لم يأب عليه أن يأخذه بالشدة إن ضل ولم يعمل بتعاليمه ،سواء بالضرب أو التأنيب أو التنكر له جملة ، وكان يستنكر أمره إن هو تهاون فى استخدام هذه الشدة عند الضرورة(٥)

هذا العرض الموجز لمسئولية الأب وحقوقه إزاء ولده سيفصله البحث التالى من ناحيتين : خلال التعاليم التربوية المكتوبة التى جعل المعلمون من بعضها جانباً رئيسياً من برامج التعليم ، ثم خلال التراجم والرسائل الشخصية الباقية التى تمس بموضوعاتها الأب والابن .

ثانياً — التعاليم التربوية :

للتعاليم التربوية المصرية خصائص تميزها من حيث الشكل والجوهر ، فمن ناحية الشكل تتميز بخاصيتين : وهما : أن أغلبها موجهة من والد إلى ولده وأنها اعتمدت فى مجموعها على حكمة السن وخبرات الحياة .

فالخاصية الأولى وهى توجيهها من أب إلى ابن ، يتصف بها من تعاليم الدولة القديمة :

١ — تعاليم حوردد ف (أوددف حور)(٦) لابنه آوت إب رع .

٢ — تعاليم بتاح حوتب لابنه بتاح حوتب الصغير .

٣ — التعاليم التى تلقاها كايجمنى وإخوته عن أبيهم كايرسو (؟) .

ويتصف بها من تعاليم عصر الانتقال والدولة الوسطى :

١ — تعاليم الفرعون خيتى لابنه مريكارع .

---

(١) Prisse, 628 f. — انظر ملحق النصوص .

(٢) See, A. de BUCK, L'idéal de Sagesse et de vie de la vieille Egypte (Rev. Chr. d'Eg. 1940, 182); F. LEXA, Papyrus Insinger, 1926.

(٣) Pap. Carlsberg II, 8, 22, see, J. CAPART, Une Sagesse Egyptienne, (Bul. de l'Acad. de Belgique, 1942), p. 67.

(٤) Ibid., 9, 12.

(٥) ص ١٠١ .

(٦) See, H. RANKE, in JAOS, LXX, 65 f.

٢ ــ تعاليم خيتى بن دواوف لابنه بيبى .

٣ ــ تعاليم الفرعون امنمحات الأول لإبنه سنوسرت .

٤ ــ تعاليم سحتب إب رع لأولاده (١) .

ويتصف بها من تعاليم الدولة الحديثة :

١ ــ تعاليم آنى لابنه خنسوحوتب .

٢ ــ تعاليم والد مجهول الاسم قلد تعاليم سحتب إب رع ووجهها لأولاده (٢) .

٣ ــ تعاليم الوزير أحمس لولده (٣) .

٤ ــ تعاليم الكاهن أمنمحات لأولاده .

٥ ــ تعاليم أمنموبى لابنه حورماع خرو .

٦ ــ تعاليم أخرى تذكرها برديات ولخاف متفرقة وتكتفى لها بعنوان « بداية التعاليم التى صاغها والد لولده »(٤) .

ثم يتصف بها من تعاليم العصور المتأخرة تعاليم عنخ شاشنقى لولده(٥) .

فإذا عدونا الخلاف بين الآراء التى ترجح صحة الأسماء التى نسب إليها تأليف هذه التعاليم التربوية الأبوية ، وبين الآراء التى تقول بعكس ذلك ، فإنه مامن شك فى أن نسبتها إلى والد كانت حرية بأن تطبعها فى نظر دارسها أوقارئها بطابع الإخلاص فى الغرض وتوخى النفع الخالص الذى لايرجوه أكثر من الوالد لولده . ولعله لهذا أن صدرت بعض التعاليم بأنها « التعاليم التى صاغها والد لولده » دون تخصيص اسم هذا الوالد أواسم ولده . ولقد تقدم كيف كان المصريون يرون من واجب الأب الحكيم أن يطلب المعرفة بنفسه بغية أن ينفع بها بنيه . وكان من الأبناء من يصف أباه بمثل هذه الصفة فيقول « لقد علمنى أبى مايعرفه وهذبنى مالا حصر له من المرات »(٦) أويشير إلى أبيه فيقول إنه أبوه « الذى رباه »(٧) ، وما أشبه ذلك ، وهو كثير .

---

(١) Cairo 20538.

(٢) C. KUENTZ, *Deux versions d'un panégrique royal,* (in Studies presented to Griffith), 1932, 97 f.

(٣) DAVIES, in Bull. Metr. Mus. 1924-1925, 44 ; HELCK, in Aegyptologische Studien, 109.

(٤) Brit. Mus., 10258 (Leather roll) ; Pap. Louvre 3171, 3 ;Thebian Ost., A2 (AeZ. IX, 117 ; J.E.A., 27, 56 ; C.R. de l'Acad. des Inscr. et Belles Lettres, 1931, 321 f.).

(٥) S.P.K. GLANVILLE, The Instructions of Onchsheshonqy, (Brit. Mus. Pap. 10508). See also, E. OTTO, Die biographischen Inschriften der aeg. Spatzeit (Problem der Aegyptologie Bd 2), Leiden 1954, 83 f.

وعن تعاليم أخرى لم تنسب إلى آباء :

See, G. POSENER, Les Richesses inconnues de la littérature Egyptienne, in Revue d'Egyptologie, 1951, 42 f. ; 1952, 119

(٦) تراجع ص ١٥٠ .

(٧) Cairo 20314.

أما الخاصية الثانية للتعاليم التربوية وهى صدورها عن حكمة السن وخبرات الحياة فتتضح من كل من :

١ — خاتمة التعاليم التى تلقاها كاجمنى وإخوته ، إذ تقول « وعندئذ استدعى الوزير أبناءه بعد أن عرك أحوال البشر (أى اكتسب معرفة كاملة بها) وتماثلت أمامه ، ثم قال لهم ... » (١) .

٢ — مقدمة تعاليم بتاح حوتب ، إذ يقول صاحبها للمليكه « بدت الشيخوخة وحل الكبر وتراخت الأعضاء ، وتجدد الضعف ، ووهن العظم من طول العمر فأذن لى مولاى بأن أهيئ عصا شيخوختى ، ونصب فتاى فى منصبى ، ولسوف أعلمه أقوال المتفقهين وآراء السابقين الذين أطاعوا الأرباب وأخلصوا للأسلاف الذين استمعوا إلى الآلهة » (٢) . ثم يأخذ فى نهاية تعاليمه ينصح كل ابن « إذ أسن وبلغ (سن) الوقار أن يتحدث كذلك لأولاده مجدداً تعليم أبيه » ويعلق على ذلك بأن « كل إنسان (ينبغى أن) يعلم على نحو ما فعل (فى حياته ؟) ويقصه على بنيه بغية أن يذكروه لأبنائهم » (٣) .

٣ — خاتمة تعاليم خيتى إلى مريكا رع إذ يقول صاحبها لولده « ولاحظ أنى قد تحدثت إليك بخلاصة آرائى (أو ببواطن فكرى) ، وإنى لأرجو أن تعمل (؟) وفق ما بسطته أمامك » (٤) .

٤ — خاتمة تعاليم أمنمحات الأول إذ يقول صاحبها لولده « ولاحظ أنى أصوغ لك أولا (أفضل؟) حكمتى من (بدايتها إلى) النهاية . وأنى أرسى لك ما فى نفسى (قلبى) » (٥) .

ومن المرجح أن أول الملكين السابقين قد وضع تعاليمه عندما شارف خواتيم أيامه ، وأن كلا منهما قد ابتغى أن يبين لوريثه نواحى الصواب فى سياسته حتى يترسمها ؛ ونواحى الخطأ فيها حتى يتجنب أمثالها .

٥ — بداية تعاليم الكاهن أمنمحات إذ يقول صاحبه لبنيه « إنى أقول حقاً وأسمعكم كل ما حدث لى منذ يومى الأول ، ومنذ أن خرجت من بين فخذى أمى ... » (٦) .

ولا يخلو من دلالة أن هذه التعاليم وتعاليم سحتب إب رع والأب الآخر الذى قلدها ، قد خلفها أصحابها جميعاً فى مقابرهم ، أى أنهم جعلوها أشبه بالوصايا التى يضمنها الناس إرشاداتهم الأخيرة لأبنائهم .

٦ — تعاليم عنخ شاشنقى ويفهم من مقدمتها أن صاحبها سجن فى خواتيم حياته وفقد أمله فى إطلاق سراحه ، فلما أحس بدنو أجله قال لتابع السجن « اصنع لى معروفاً وحضر لى لوحة كتابة وبردية فإن لى ولداً لم أستطع أن أثقفه ، فعسى أن أكتب (كتاب) تهذيب له ، وساه يؤخذ إلى أونو (عين شمس)

(١) Pap. Prisse, II, 3 f. ; see J.E.A., XXXII, 74.

(٢) Pap. Prisse, 8 ; 28-32 and variants ; ERMAN, op. cit., 87.

(٣) Pap. Prisse, 590-595 ; ERMAN, op. cit., 97.

(٤) Pap. Petersburg 1116, Art. 143-144 ; A.H. GARDINER, in J.E.A., I, p. 35.

(٥) Compare : O.D.M. 1093 together with 1204 (وانظر ملحق النصوص)
وهذه تخالف ترجمة أدولف إرمان (Literatur, 109).

(٦) A.H. GARDINER The tomb of Amenemhat, high priest of Amon. in AeZ 47, 92, pl. I, 1-3.

فيثقف به (فيها) (فلما صعب عليه الحصول على البردية) وتيقن أنه سيظل فى السجن ... كتب على اللخاف الأمور التى ود أن يؤدب ولده بها » (١).

ومع ما لكل من الخاصيتين السابقتين من دلالة ذاتية ، فإنه تترتب عليهما كذلك النتائج التالية :

١ ـ أن التربية والتوجيه وقول الحكمة ، كانت فى مصر على خلاف ماكانت عليه فى بعض الأمم القديمة الأخرى مثل العبرانيين ، إذ ظلت ترد إلى خبرة الإنسان وتجاربه أكثر مماترد إلى أوامر السماء(٢) ولشىء من هذا عنونت بعض تعاليم الآباء والمربين المصريين بعناوين دنيوية معبرة مثل : بداية تعاليم الحياة ، ودروس من الحياة ، وحكم الحياة ، وسبيل الحياة(٣). وذلك على الرغم من التجائها أحياناً إلى الوازع الدينى واعتبار سبيلها أحياناً « سبيل الرب » (٤).

٢ ـ أن التوجيه التربوى وقول الحكمة لم يكونا وقفاً على طائفة معينة من الناس ، فقد تصدى لهما فى الدولة القديمة أمير ووزيران ، وفى الدولة الوسطى رجل من الطبقة الوسطى وموظف ، فضلا عن الملكين خيتى وأمنمحات ، وفى الدولة الحديثة كاهن وكاتبان أو أكثر (٥) ، وفى العصور المتأخرة كاتب كاهن (أب مقدس) وهو عنخ شاشنقى . بل إن تصدى الأمراء والوزراء فى الدولة القديمة للتوجيه والحكمة لم يحل دون أن يعترف الوزير بتاح حوتب بأن « جيد الكلم (أو الكلمة الطيبة أو الموعظة الحسنة) وان يكن أشد استخفاء من الزبرجد الكريم فإنه قد يوجد مع الإماء (العاملات) على المراحى »(٦) .

٣ ـ أن اولئك الحكماء والمربين فى مجملهم كانوا يجمعون بين الأدب والتفلسف وبين الحياة العامة دون انقطاع لواحدة منها دون الأخرى ، وقد كان لهذا أثره فى صبغ تعاليمهم بالواقعية أو المادية فى بعض اتجاهاتها ، وتعرضها لأكثر شئون الحياة العملية فى العصور التى عاشوا فيها .

وللتعاليم التربوية فضلا عن ذلك خصائص أخرى نراها تميزها من حيث الجوهر . فهى حين تصدت لتنظيم علاقة الناشئ بأسرته ، وعمله ، ومجتمعه ، وبداخلية نفسه أحياناً ، على أساس ما تطلبه مجتمعها القديم وماخضع له من عرف ودين وقانون ، قد سلكت اتجاهين واضحين نكتفى ببحثهما فيما يلى ، وهما :

(ا) محاولتها إقناع من وجهت إليه بسداد ماتدعو إليه من خلق وسلوك ، وذلك دون الاقتصار منها على مجرد الأمر والنهى .

(ب) روح الاعتدال والتوسط التى آثرتها فيما دعت إليه .

---

(١) Brit. Mus. Pap. 10508, Col. IV, 9-10 ; V. 14.

(٢) See *also* H. FRANKFORT, Ancient Egyptian Religion, p. 60.

(٣) EDGERTON, Medinet Habu Graffiti (OIP 36), pl. X, No. 30 ; I.F.A.O. 2187, 2190 ; Berlin 9554, Bruxelles E. 6444 ; Brit. Mus. 4154 ; Brit. Mus. Pap. 10474, 7.

(٤) Louvre Tablette 693 vs. 1.

(٥) See H. BURNNER, Die Weisheitsliteratur (Hanbuch derOrientalistik Band I, Ab. II), 92.

(٦) Pap. Prisse, 58-59. انظر ملحق النصوص .

(ا) الإقناع :

اتخذت التعاليم المصرية سبيلها إلى الإقناع عن طرق شتى ، ومنها : التعقيب المنطقى والاستشهاد بالمثل السائر ، واستخلاص العبرة من أحداث وقعت ، ومحاولة ربط النتيجة بالسبب، والاستعانة بالوازع الدينى .

ففى تعاليم بتاح حوتب نجده إذ ينهى ولده عن التعالى بالمعرفة ويأمره بمشاورة الأمى والعالم ، يبرر نهيه وأمره بالتعقيبات التالية : لأن حدود الفن لاتبلغ ، بل ومامن فنان استكمل مقوماته (جميعاً) (١) ، ولأنه وإن كان جيد الكلم (أو الكلمة الطيبة) أشد استخفاء من الزبرجد الكريم فإنه قد يتوفر لدى الإماء العاملات على المراحى .

ونجده إذ ينهاه عن الجشع يبرر نهيه بالعوامل التالية : لأن الثقة به غير مكفولة ، ولأنه يعكر صفو الصديق ، ويقصى الثقة عن مولاه ، ويسىء الآباء والأمهات والأخوال ، ويطلق زوجة الرجل (٢) .
وإذ يأمره بالإشفاق على المتظلم والإنصات له ، يعقب على أمره بقوله « فإن المتظلم يود لو يؤمن (السامع على) قوله حتى ينهى ماجاء لأجله » (٣) .

وعندما يخفف من أوامره ونواهيه ويسمح لولده بإمتاع نفسه ،لايعدم إذ ذاك مثلا أومبرراً يسوقه فيقول « لاتبتر وقت المتعة ، فكريه للنفس إفساد وقتها (أى وقت متعتها) » (٤) بل إن أكثر توجيهات بتاح حوتب نفعية لاتخلو هى الأخرى من تبريرات ، فهو إذ يأمره بطاعة الرئيس ولوكان فقير الأصل يقول له « لاترفع إزاءه لما تعرفه عنه من قبل بل احترمه بما آل إليه (أمره) فالحظوظ لاتتأتى (من تلقاء) نفسها وإنما هو نظامهم (الأرباب) مع من أحبوه ، وكلما اتسعت خطا المرء حقت له الهيبة ، والرب (وحده) هو من يقدر الفلاح » . (٥) وأخيراً نجد أنه إذا كان بتاح حوتب قد تقصى لتعاليمه العلل والأسباب ، فإنه قد دعا ابنه كذلك إلى تقصى حقائق الأمور وعدم الأخذ برأى الناس وحده ، ويبدو ذلك فى مثل قوله « إذا ابتغيت أن تختبر حال صديق فلا تسل ، وإنما اقترب منه واقض معه حيناً على انفراد ...... ، ثم اختبر (؟) قلبه حين حديث ، فإن أفشى شيئاً رآه أو أتى أمراً تخجل منه ، فاحذر أن تكشف له عن كلمة أو تفتح له قلبك ... » (٦) .

وتتميز بالتعقيب المقنع كذلك التعاليم التى تأدب بها كاجمنى وإخوته ،حين يقول ابوهم « إذا جالست

---

(١) يبدو أن كلمة الفن أو الصناعة كانت تستعمل استعمالا واسعاً ومن ذلك فن الكاهن المرتل (Urk. I, 156, 5 ; 186, 15, etc.). وفن الحديث (Pap. Petersburg 1116 Art. 32), see, Pap. Prisse 52 f. انظر ملحق النصوص GARDINER, Grammar 1927, 455, 4 ; GUNN, Syntax, p. 100).

(٢) Pap. Prisse 302 f. ; ERMAN, Die Lit..., 39 (see, Peasant, B2, 109 f.).

(٣) Pap. Prisse, 268-9. — انظر ملحق النصوص وتراجع ص ٩٥

(٤) Pap. Prisse, 188-189. See, Metr. Mus. 1426, 5-6 (J. Polotsky, Inschriften der XI Dynastie, S. 32) انظر ملحق النصوص

(٥) Pap. Prisse, 178 f. ; and see, GUNN, Syntax, p. 62 ; 101. — انظر ملحق النصوص

(٦) Pap. Prisse 463 f. ; A. ERMAN, op. cit., 95.

قوماً فتعفف عن الطعام ولوكنت تشتهيه » ثم يعقب مباشرة بمايبسر على سامعه قبول أمره الحازم فيقول: « فإنها برهة قصيرة تقهر الرغبة (أو القلب) فيها » (١) .

وحين يحذر أبناءه الاندفاع يعقب على ذلك بقوله « فمقاطع (اللوم ؟) حادة ضد من يضل الطريق ، وما من تقدم إلا فى حينه »(٢) .

أما خيتى بن دواوف الذى ابتغى توجيه ولده إلى الدراسة ومستقبل الكاتب ، فلم يكتف بأن أكدله أنه بنى توجيهاته على مشاهداته الشخصية ، فى مثل قوله(٣) « لقد رأيت من يضرب ، (نعم) لقد رأيته ، فعلق قلبك بالكتب ،وشاهدت (أيضاً) من أعفى من السخرة ، فتأكد أنه ما من شىء يفوق الكتب »، وإنما سلك إلى إقناعه مسلكاً آخر طويلا ، فعدد له سبع عشرة حرفة موضحاً له عيوبها وما يلاقيه أهلها من عنت وذلك حتى يستبين تميز مهنة الكاتب عنها جميعها . كما دعاه فى بعض حديثه الى أن يرجع إلى كتاب قديم عينه له ليتأكد من صحة مايدعوه إليه (٤) .

ثم توجيهات الأبوين الملكين خيتى وأمنمحات ، ومعروف أنها توجيهات صاغها كل منهما لاليؤثر بها فى الحياة الخاصة لولده فحسب ، وإنما ليوجه بها كذلك عن طريقه سياسة البلاد بأسرها . وعلى هذا فلن يكون بحث هذه التوجيهات على أنها من صور التوجيه الخلقى والتربوى الخالص ، وإنما لنتبين منها قبل كل شىء صورة جديدة من صور الإقناع التى كان يستحسن أن يلتزمها الأب الحكيم فى توجيه ولده إلى ما يعنيه من أمور خاصة أوعامة . وتعاليم خيتى ملك أهناسيا لولده مريكارع أقل تعرضاً للشك من تعاليم أمنمحات من حيث صدورها من والد إلى ولده ، كما أنها أوضح فى توجيهاتها وفى أغراضها . وكان من وسائلها إلى الإقناع : الاستشهاد بالوقائع ، وبما ذكرته الكتب القديمة ، وبالأمثال الجارية ، ثم بما تأمر به العقائد الدينية وما يرتضيه المتدين لنفسه . فقد طلب خيتى من ولى عهده أن يصبح قدوة لنبلائه فى الحزم وتحرى الحق واستقامة الخلق ، فقال له : « قل الحق فى بيتك يخشك عظماء الأرض ، والأليق بالسيد أن يكون قويم السريرة » (٥) ثم يوضح غرضه ويؤيده بمثل سائر يقول « فإن مقدمة (أو داخلية) الدار تشيع الرهبة فيما وراء الدار » (٦) . ويبين له أثر اللباقة فى الأحاديث فيقول له « تفنن فى الحديث تسد » ثم يعقب على هذا بقوله : « فسلاح (المرء) اللسان ، وقد يكون الكلام (اللبق) أكثر فاعلية من أى عراك »(٧) .

وحينما يطلب إليه ألا يسىء إلى إقليم طينة (سوهاج) ومايليه من البلاد الجنوبية وأن يحسن معاملتها ، يأتيه من ناحية الأريحية مع تقدير الأمر الواقع ، فيقول له : « فليس لديه غلة يؤديها فترفق بضعفهم

---

(١) Pap. Prisse, I, 4 ; A.H. GARDINER, Instruction addressed to Kagemni and his brethren, J.E.A. XXXII, 73. وانظر ملحق النصوص .

(٢) Ibid. — وانظر ملحق النصوص .

(٣) Pap. Sall. II, 4, 2 f.

(٤) تراجع ص ١٦٣ .

(٥) Pap. Petersburg 1116 Art. 44 f. — انظر ملحق النصوص

(٦) Ibid., 45-46. وعن تغليب اعتباره مثلا سائراً A.H. GARDINER, in J.E.A., I, p. 26. وعن غرضه ERDAN, Die Lit., 111, Anm. 5. وتراجع ص ٧ من المقدمة .

(٧) Pap. Petersburg 1116, Art. 32. — انظر ملحق النصوص

إزاءك واقنع بزادك وشرابك » (١) ويذكر له مبررات منطقية أخرى متفرقة يمكن إجمالها فيما يلى :

١ – لأنك تعلم ما تنبأت به العاصمة عنها (٢) .

٢ – (وحتى) يأتيك رسلها بالهدايا (٣) .

٣ – (وحتى) يأتيك الجرانيت (عن طريقها) دون عوائق (٤) .

٤ – (وحتى) لايكون لك عدو داخل حدودك (٥) .

٥ – (ولأنه) اذا كانت حدودك الجنوبية فى ثورة فإن الأسيويين سوف يثيرون الحرب (؟)» (٦) وبمثل هذا التفصيل المقنع وصف له طبيعة الآسيويين وهون عليه أمرهم .

ولم يعدم خيتى المبررات حين دعا ولى عهده إلى استخدام العنف عند الضرورة ، واستشهد لهذا بتعاليم السلف وقال « لقد قرر الملك خيتى فى تعاليمه أن من يسكت عن متآمر يضر (بالبلاد ؟) ، فالإله يعاقب (؟) من يعادى معبده» (٧) واستشهد كذلك بما ذكرته قصة «هلاك البشرية» ، فقال بعد أن عدد مآثر الإله وحبه لمخلوقاته« (ولكنه) ذبح أعداءه ودمر أبناءه بما دبروه حين عدائهم (له) »(٨).بل إنه ليلتمس المبررات لهذه النقمة التى أبداها الإله على أبنائه فيقول « لقد ذبح خسيس القلب (من بينهم) كما يعاقب الرجل ابنه لأجل أخيه(٩) . وإنه ليعرف كل اسم » . ولكنه يعود بعد ذلك فيحذره سفك الدماء بغير مبرر قوى ويقول له «لاتقتل ولكن عاقب بالحبس فبذلك تعمر البلاد» ، ويقتبس لهذا جملة من كتاب دينى قديم تقول « ..... إن الروح تأتى إلى المكان الذى عرفته ، ولا تضل عن مسالكها بالأمس وما من سحر يبعدها » (١٠) .

أما تعاليم أمنمحات لولده فحسبنا من قرائن الإقناع فيها أنه لم يهدف من أن يعيد لابنه قصة المؤامرة التى حيكت ضده إلا ليقنعه بسداد ما يؤكده عليه فى تعاليمه من وجوب الأخذ بالأحوط فى كل الامور ومع كل الناس .

---

(١) – انظر ملحق النصوص (Pap. Petersburg, 1116 A rt., 76-7).

(٢) Ibid., 71. – ويحتمل أنه يشير إلى نبوءة قديمة شاعت فى العاصمة القديمة منف عما سيكون عليه أمر الصعيد وفيه المدينة العتيقة طينة وجبانتها المقدسة . See, A.H. GARDINER, op. cit., 28, n. 8.

(٣) Pap. Petersburg 1116 Art. 76.

(٤) Ibid., 77-78.

(٥) Ibid., 80-81.

(٦) Ibid., 106.

(٧) Ibid., 106.

(٨) Ibid., 133-4.

(٩) ولجاردنر ترجمته : « فكيف ذبح خسيس القلب ؟ كما يذبح الرجل ابنه من أجل أخيه .– (انظر ملحق النصوص) . فى حين يقول ارمان «كما يعاقب الرجل ابنه وأخاه» .

(١٠) يحتمل إرمان أن يكون فى هذا تخويف له من روح القتيل بغير حق خاصة وأن الاعتقاد فى انتقام أرواح الموتى ممن آذوها بصب الأمراض والأوجاع عليهم كان منتشراً . (op. cit., 112, Anm. 4).

وتزيد تعاليم الكاتب آنى (أوإنى) لولده خنسوحوتب التى ألفت فى بداية الدولة الحديثة (١)— فضلا عن أخذها بطريقة الإقناع — امرين :

أولا — إفصاحها عن إيمان النشء الذى يمثله الابن خنسوحوتب بضرورة الاقتناع الذاتى بسداد ما يدعى إليه قبل العمل به ، مع الإيمان بحقه فى إبداء الرأى ووجوب استماع الغير إليه .

ثانياً — دلالتها على اتجاهين متعارضين من الاتجاهات التربوية فى عصرها .

فلقد آثر آنى شأن من سبقه من الآباء الحكماء أن يسلك سبيل الإقناع فيما أراد أن يوجه ولده إليه . فإذا نصحه مثلا بأن يكون نفسه بنفسه فقال « لا تركن إلى مقتنيات (شخص) آخر ... ولا تقل إن (لى) داراً فى يد جدى لأمى » فإنه يبرر هذا بقوله « فالدار (دار) طوال الحديث عنها ، حتى إذا ذهبت فى قسمة (لها) إلى شركائك قد يكون نصيبك (منها) الكرار » (٢). وإذا دفعه إلى حياة العلم وصور له انفساح المستقبل أمام أهله ، ساق إليه مبرراً مشجعاً بقوله « فليس لرئيس الخزانة ولد (يعقبه بالضرورة) ، وليس لرئيس حامية وريث ، وعديدة المناصب التى لا خلفاء لها (يرثونها) .(٣)

على أن هذه المحاولات الإقناع وكثيراً نحوها لم تصرف الشاب عن عناد كان فيه وعن إيمان بحقه فى المناقشة واختيار الأمور بنفسه، فما فرغ أبوه من نصائحه حتى انبرى له يجادله فى حوار شيق لا يقلل من أهميته الآن غير صعوبة التأكد من مدلول كثير من عباراته ، فقال : (٤)

« ليت لى مثلما (أردت) ، وكنت عارفاً فى إهابك ، وإذن لنفذت توجيهاتك حتى يكون للابن أن يرقى إلى مركز أبيه (كما تود) ، بيد أن كل امرئ يشكل وفق سجيته(٥) . فإنما أنت امرؤ متريس ، سامية أفكاره ، متميزة كل أقواله ، أما الولد (بالنسبة إليك) فهو فى حد ذاته ذو إدراك ضعيف (يتفهم بصعوبة) وإن ردد الأمثال من الصحف . على أنه إذا كانت عباراتك مما يرضى الفؤاد ، مال (الفؤاد) إلى تقبلها واغتبط ، (فحسبك أبى) ولا تكثر من (آرائك) السامية حتى يتحمل الإنسان لك نظرياتك ، فما من ناشئ ينفذ تعاليم تربوية تظل صحائفها (؟) على طرف لسانه فقط(٦) » .

ويبدو أن آنى ما توقع هذا الاندفاع من ولده، فأجابه فى تعنيف (٧) « لا تملأ عقلك بهذه الترهات ،

---

(١) G. POSENER, *Les Richesses inconnues de la Littérature Egyptienne*, in Rev. de l'Egyptol., 1951, p. 52, No. 2.

(٢) A. ERMAN, Die Literatur..., 298.

(٣) Ibid., 298.

(٤) Pap. Boulaq, IV, 9, 13 f. — (انظر ملحق النصوص) .

(٥) *compare:* « Ein jeder wird nach seinen Naturlanlagen gezogen (?) erzogen ?) »
A. VOLTEN, Studien zum Weisheitsbuch des Anii, Kobenhaven, 1937, S. 137, 142, 144.

(٦) See, W. SPIEGELBERG, *Der agyptische Name der sogenannten Weisheits - lehren* », in AeZ, XXXV, 115.

(٧) Pap. Boulaq IV, 9, 17 f.

وأتق ما أنت فاعله بنفسك ، إن تعللاتك هذه (تبدو) معوجة فى رأيى ، ولسوف أقومك بشأنها . وما أسف (؟) حديثنا الذى ادعيت أنه ينبغى أن يستبعد بعضه » .

ثم بدأ آنى يضرب لولده الأمثال من عالم الإنسان والحيوان فى الطاعة وإمكان تحول الطباع بالتثقيف والتعود ، سواء فى ذلك الفحل القتال والسبع والجواد والكلب وما سوى هذا وذاك ، وسواء فى ذلك الزنوج والشوام وكل الأجانب حينما يتمصرون ويتكلمون بلغة (أهل) مصر ، واختتم تشبيهاته بقوله « قل إذن لسوف أنحو نحو كل حيوان أليف » أم لازلت تجهل (ما ينبغى) أن تفعله ؟

ولم تزد هذه المحاولات خنسوحوتب إلا إصراراً على التمسك بفرديته ، فقال (١) : « لا تتشدد (أبى فى) صلابتك ، فقد أجهدت من خطتك . أوليس من إنسان يترك شدته ليستمع إلى تعقيب يقابله ؟ وإذا كان الناس أقراناً للرب (كما يقال) فواجبهم أن ينصت الرجل (منهم) إلى رده (أى رد الغير عليه) . فليس العالم وحده هو صنو الإله وجمهرة الناس دهماء ، وليس العالم وحده هو تلميذه (أى تلميذ الإله) وهو بمفرده صاحب العقل المتميز (؟) وعامة الناس أغبياء . قد يكون كل ما ذكرته فاضلا فى أدائه ومتزناً فى عرف أهل الفضل ، ولكن ادع الرب الذى وهبك الكمال (٢) أن ضعهم (؟) على طريقك » .

وهنا أجاب آنى : (٣) « يجب أن تدع ظهرياً هذا اللغو الكثير الذى ينبو عن السمع ، فالفرع المعوج المهمل فى الخلاء والذى تداولته الشمس والظل قد يأتى به صانع فيقومه ويهيء منه عصياً (؟) للأشراف ، أما الفرع المستقيم فيهيء منه لوحاً (للكتابة ؟) . والآن (ياذا) القلب جهول الإدراك ، هل ترغب فى ان تدعنا نتكمل ، أم لازلت غريراً (على ضلال) ؟ .

وهنا رد الابن بعبارة غامضة ، قد تكون اعتذاراً واقتناعاً ، وقد تكون شيئاً آخر ، فقال :

« ياشبيهه (أى ياشبيه الإله) ، أيها العالم ، راسخ (؟) اليد ، إن الطفل فى حضن أمه ليتمنى ، وأمنيته هى أن يرضع » فعقب آنى عليه قائلا : حقاً ، وذلك حتى يجد فاه (مطاوعا له) فيقول « اتركوا لى خبزى » .

هذه التعاليم التى كانت تدرس فى مدارس الدولة الحديثة (٤) ، نرى خاتمتها تدل على أكثر من مجرد حوار عادى بين والد وولده ، ونرى أنها تنم قصداً عن اتجاهين مختلفين فى تربية النشء : اتجاه محافظ يصر على مذهب ما كان ينبغى أن تنقص (فيه) كلمة أو تزاد ، وما ينبغى أن توضع فيه كلمة مكان أخرى (٥) ، وفيه تقاس فضيلة الابن بمقدار إقباله على الاستماع والطاعة وذلك على نحو قول بتاح حوتب « إن من يحبه الإله هو (الابن) المستمع ، أما من لا يستمع فهو بغيض الإله » (٦) وفيه أيضاً كان يوضع ما لدى المربى من النضج والخبرة وإرادة الخير لربيبه فى المكان الأول وذلك على أساس « أن

---

(١) Boulaq IV, 10, 7 f. انظر ملحق النصوص .

(٢) see, A.H. GARDINER, in J.E.A., XXXII, 74 n. 1 : « Completion, gain full knowledge.»

(٣) Boulaq IV, 10, 11 f.

(٤) ص ٢٨٨

(٥) Pap. Pr_is se, 608-9 ; see Brit. Mus., 614, 8-9 ; Peas., Bl, 152. — انظر ملحق النصوص .

(٦) Pap. Prisse, 545-6. — انظر ملحق النصوص .

عيني الأب تريان وأذنيه كذلك تسمعان ما يفيد ولده » (١) وأنه « إذا تقبل ابن الرجل ما يقول أبوه فان يضل له أي مسعى » (٢) في حين « يضل مسعى من لا يستمع » (٣) ، وفيه كذلك كان يستحب اتخاذ الإقناع وسيلة من وسائل التربية ولكن على أن يكون ذلك من المربى ذاته وحيثما استطاع .

وفيه أخيراً كان يستحب التفكير وإعمال العقل من النشء ولكن على ألا يتعارض ذلك مع اتجاه المربى والقواعد المرعية وإنما يكون متجهاً معها مستهدفاً تفهم فوائدها وجليل أسرارها . وفي هذا يقول بتاح حوتب : إن العقل (حرفياً : القلب) هو ما يجعل صاحبه سميعاً أو غيرسميع ، وان حياة المرءوهناءته وسلامته عقله » . (٤)

وعبر آني بالذات عن هذا المذهب في مستهل تعاليمه فقال : « (اني محدثك) بهذه الأمور الصائبة التي (ينبغي أن) تحسب حسابها في فؤادك ، فإن حققتها أصبحت صالحاً وانتفى عنك كل عيب وسيقال عنك (إنه) على خلق طيب ، ولن يقال قد ضاع وإنه لبليد . (فتقبل كلماتي) وسينتفي عنك كل سوء » (٥)

وأشبه به قول أمنموبي لولده حورماع خرو « أسلم أذنيك واسمع ما يقال ، ووجه فؤادك الى تفسير (كلماتي) وانه من الخير أن تجعلها في قلبك ، والويل لمن يهملها . واذا امضيت حياتك وهي في قلبك فإنك ستلقى بها نجاحا »(٦)ثم قارن سفر الأمثال ٢٢ : ١٧ – ١٨ « أمل اذنيك واسمع كلام الحكماء ووجه قلبك الى علمي ، فإنه يلذ اذا حفظته في باطنك » و : أمل أذنيك واسمع (كلماتي) لأنه من الممتع ان تحفظها في باطنك » .

ثم اتجاه آخر مناهض لهذه الأوضاع مال إلى الخروج عليها وإلى الاعتراف للنشء بكفل من الحرية والفردية وحق في اختيار الطريق الذي يسلكونه ، معبراً في ذلك فيما يبدو عن جانب من التطورات التي شهدتها الدولة الحديثة وعن دور الشباب فيها (وقد اتت التعاليم في بداية هذه الدولة . وقد لا يكون من الإسراف اذا جمعنا بين هذه الاتجاهات التربوية المتحررة وبين الاتجاهات المتحررة الأخرى التي اتضحت في الدين والفن فيها) .

قرن المؤلف (الأب أو الأديب) هذين الاتجاهين معاً في ختام تعاليمه وعمل على أن ينهي الحوار فيهما برجحان كفة مذهبه ، وهو المذهب الذي ينتصر لحكمة السن وتجاربه ، والذي يكفل للمربى حق الإشراف والتوجيه والاحترام الكامل على ربيبه .

وإلى جانب هذا الذي جاءت به خاتمة تعاليم آني ، أتت كراسات التلاميذ من ذات عصر الدولة الحديثة بقرائن أخرى ترجح وجود نفس الاتجاهين ، وهي :

١ – صياغة الكتاب لبعض توجيهات آني بأساس مخالف لما أتت به في تعاليمه مع الاستعانة بأغلب ألفاظه.

٢ – التعبير عن ذات المشكلة التي قامت بين الحكيم وبين ولده عن إمكان تحول الطباع من عدمه ،

---

(١) Pap. Prisse, 530-31.

(٢) Ibid., 564-5. – انظر ملحق النصوص .

(٣) Ibid., 572.

(٤) Prisse 550-3 ; J.H. BRESTED, The Dawn of Conscience, p. 130.
وانظر ملحق النصوص .

(٥) A. Erman, op. cit., 295

(٦) D.C. SIMPSON, in J.E.A. XII, 236. Pap. Brit. Mus. 10474, 3,9 f. ; J.E.A. XII p. 190

وذلك فى فقرتين منفصلتين ، قالت إحداهما بمثل قول خنسوحوتب ، وحاولت الأخرى التوفيق بين الاتجاهين .

٣ — ما تكشف عنه رسائل المعلدين من عناد التلاميذ لهم ورغبتهم الملحة فى اختيار مستقبلهم بأنفسهم فى الجيش أو المهن الحرة دون مهنة الكتاب التى بالغ المعلمون فى الدعاية لها . (١) .

فمما جاء فى صلب تعاليم آنى وقام إزاءه رأىمعارض،فقرة قدرالأستاذ إرمان مرماها بأن « الثراء لايجلب السعادة » ، وفيها يقول آنى « يقيم الإنسان لنفسه داراً ! (هب أنه) خصصت لك قطعة أرض ، وأحطت نفسك بعشب مزدهر أمام أرضك المحروثة ، وغرست أشجار الجميز من داخل .... وملأت يدك بكل الأزهار التى تشاهدها عيناك ، ولكن بكل هذه قد تظل (؟) تعيساً ... » (٢) .

وذلك فى حين أتت كراسة تلميذ من عصر الرعامسة بما يعالج نفس موضوع هذه الفقرة على أساس مخالف فقالت : « تأمل ، إنى أرشدك إلى مسلك الرجل الذى يود أن ينشىء داراً . تخير لنفسك بستاناً ، وأحط نفسك بسياج أخضر من الثمار قرب ارضك المحروثة ، واملأ يدك بكل ما تراه عينك من أزهار فالإنسان قد يحرم منها جميعها على سواء (؟) ، والخير (له) الا يتركها » (٣)

وعلى نحو ما قامت معارضة خنسوحوتب لأبيه على أساس أن كل امرىء يشكل وفق طبعه ، كانت هذه العبارة محلا للاخذ والرد بين كتاب الدولة الحديثة ، فبينما قال أحدهم بمثل مذهب خنسوحوتب : « لا تحاول أن تقوم المعوج ، واعمل ما تستحب (؟) ، فكل إنسان قد شكل (؟) وفق طبعه (وهو فيه) كأنه عضو منه » (٤) .

قال آخر محاولا التوفيق بين هذا المذهب والمذهب الآخر الذى أخذ به آنى : « احذر أن تدعى أن كل إنسان وفق طبعه ، وأن الجاهل والعالم سواء ، وأن الحظ والفلاح (؟) قد نقشا مع الطبع فى صحائف الاله ذاته ، وأن كل إنسان سوف يقضى أجله فى ساعة . (كلا) فالتعلم خير ولا عناء فيه ، والابن يستطيع أن (؟) يجيب بأقوال أبيه . وهأنذا أعرفك بموضع الصواب فى قلبك ، ولتفعل بعد ذلك ما تراه قويماً فى نظرك » (٥) .

ومست تعاليم عنخ شاشنقى المشكلة نفسها ولكن مساخفيفاً ، وبعبارات أقرب إلى الأمثال الشعبية منها إلى التشبيهات الفصيحة ، فقالت إن ساير حمار حصانا قد يمشى مشيته ... (ولكن) تجدون الحصان يعدو خلف المكافأة ولن تجدوا حماراً يكمل شوطه (حرفيا : يعمل نهايته) » (٦) .

(١) راجع ص١٣١وما بعدها و ص١٣٩ وما بعدها .
(٢) Pap. Boulaq IV, 5, 1f.,; ARMAN op. cit., 297-8.
(٣) Pap. Ch. Beatty V vs.2, 9 f.
(٤) Ost. Petrie, 11rt. 4; see. A. Volten, op. cit., 143 — وانظر ملحق النصوص .
(٥) Pap. Ch. Beatty IV vs., 6, 5-9. وانظر ملحق النصوص
(٦) Brit. Mus. Pap. 10508, XXIV, 7, 9.

ذلك إذن بعض ما شهدته الدولة الحديثة من اتجاهات ومذاهب تربوية ، كان فى بعضها تحفظ وكان فى بعضها نزوع إلى تجديد وكان فى بعضها الآخر محاولات للتوسط . على أنه مما ينبغى تقديره إلى جانب ذلك أن اختلاف المذاهب التربوية لم يكن وقفاً على الدولة الحديثة وحدها ، وإنما تم عن مثله المقارنة بين تعاليم الآباء فى عصور الدولة القديمة ذاتها ، ونتخير منها تعاليم حورددف وتعاليم بتاح حوتب . فبينما نصح حكيم الأسرة الرابعة ولده بالتبنى آوت إب رع (١) أن ينصرف عن تكوين العائلة وتأسيس داره الدنيوية إلى الاهتمام ببناء دار الآخرة ، مبرراً ذلك بأن جهده فى الأولى سيكون لابنه إن لم يكن لغيره ، فى حين ان جهده فى الثانية سيكون للأبدية ولسعادة الآخرة (٢) . نجد بتاح حوتب فى نصائحه لولده يجعل تأسيس البيت وإنجاب الولد من أمارات الشاب الناجح ويجعل الاهتمام بالزوجة ومطالبها وكمالياتها من دعائم الحياة الخاصة الناجحة ، ويعتبر « الولد الصالح هدية الاله » (٣) ويجعل الاهتمام به واجباً لازماً على أبيه ، ثم يستنكر أن يبتر الإنسان وقتا يتجه فيه لدنياه ويمتع فيه نفسه . ولم يعدم المبررات المؤيدة لرأيه فى كل نصيحه من نصائحه .

ومن هذا الذى شهدته الدولة القديمة وذاك الذى شهدته الدولة الحديثة ومن اتجاهات فردية أخرى نمت عنها مثل تعاليم امنمحات الأول فى الدولة الوسطى (٤) ، نتبين أن مصر الفرعونية عرفت أكثر من اتجاه تربوى وكان كل اتجاه فيها يلتمس له من المبررات ووسائل الإقناع ما يؤيده .

ويتبقى من صور الإقناع فى التعاليم المصرية ماتميزت به تعاليم أمنموبى لولده حورماع خرو وتعاليم عنخ شاشنقى لولده . أما الأولى فقد ألفت فى نهاية عصور الدولة الحديثة ، فعبرت عن اتجاهات صبغت التفكير فى زمنها ، كما أنها وجهت إلى ابن هيىء لأعمال الكهانة أو على الأقل لأعمال ذات صلة وطيدة بمعابد الالهة (٥) ، ولهذا افترضت فيه أساساً من وعى دينى ، واتخذت سبلها إلى إقناعه عن طريق التخويف بالإله والثقة بعلمه وعدله والإيمان بقضائه وقدره .

حاول أمنموبى أن يصرف ولده عن التبرم بالحياة فقال : «لا تقل : إن اليوم اشبه بغد ، فإلام ينتهى هذا ؟ (كلا) فالغد آت واليوم منقض ، وقد تصبح اللجة الغائرة حافة للامواج » (٦) .

وحاول أن يصرفه عن تخوف المستقبل فقال « لا تقض الليل متخوفاً من الغد (قائلا) عندما يطلع النهار فكيف يكون الغد ! فما يعلم إنسان ما سيكون عليه الغد ، والاله دائما فى فلاح (تدبيره) والانسان دائما فى خيبة (ظنونه) » (٧) .

---

(١) انظر ملحق النصوص .

(٢) O.D.M. 1206. and *see:* — انظر ملحق النصوص .

BRUNNER-TRAUT, *Die Wiesheitslehre des Dd. f. Hr*, in AeZ., 76, 3 f. ;J. CAPART, in Chronique d'Eg. ; t. XVI, 85-6 ; G. POSENER, Le Début de l'enseignement de Hardjedef, in Rev. d'Eg. 1952, p. 109 f. JUNKER, in Studi in Memoria II 1955, 133 f.

(٣) Pap. Prisse, 633. وانظر ملحق النصوص .

(٤) أخصها الحذر ، وعدم الركون إلى صديق ، مع تقدير أن هذه التعاليم كانت تدرس للتلاميذ .

(٥) من ألقابه المشرف على أسرارمين فحل أمه ، صاحب سقاية الإله ونفر ، منصب حور على عرش والده ... ، مفتش الأبقار السود لمعبد مين ، الخ . Brit. Mus. Pap. 10474, 2, 15f. (J.E.A. XII, 198).

(٦) Ibid., 6,19-7, 1. (٧) Ibid., 19, 11-15.

ومن أقوال المصريين التى تدور حول هذه الفكرة فتؤيدها أو تعارضها ، قولهم « لا ترتب للغد من قبل أن يأتى (Peas. B1, 183) وقولهم « لا ينسى الرب من خلقه » . Urk. IV, 943, 17 (ربنا ماينساش حد) — وذلك إلى جانب قولهم « مامن يوم يخلومن واجباته » . Nu, 42, 23-4 — وانظر بعده .

وقال حكيم آخر فى المعنى ذاته : « إياك أن تشقى خلال اليوم من أجل غد لم يأت (بعد) . أليس أمر اليوم مثل الأمس بين يدى الرب ؟ » (١)

وأعاذ أمنموبى ولده أن يضيق بالفقر فيندفع إلى ثراء باطل وقال « لا تتبرم بالفقر ، فإن رامى السهام إذا اندفع إلى الأمام هجرته جنوده حين الخطر » (٢)

وأراد منه أن يظل متمكنا من نوازع نفسه مقدرا احتمال تأثرها بعوامل الاغراء فقال « ان أرض درس الشعير أعظم (إغراء) من القسم بالعرش العظيم » (٣) . وما إلى ذلك فى تعاليم أمنموبى كثير (٤).

وربط عنخ شاشنقى بين السبب وبين النتيجة فى نصائحه بروابط منطقية وعملية كثيرة ، فقال لولده وهو يعظه ألا يصبح كالمنبت وألا يجعل الدنيا كل همه : « لا تلف كثيرا حتى لا تتوقف » ، وقال له وهو يقنعه بحكمة عدم تأجيل عمل اليوم إلى الغد «لا تقل هو (الآن) صيف له شتاء ، فمن لم يجمع حطبا فى الصيف أعوزه الدفء فى الشتاء » ، وقال له وهو يفسر حكمة العدل بين الأبناء « لا تفضل أحد أبنائك على الآخر وأنت لا تعلم أيهم سيصبح عطوفاً بك » ، وقال له وهو يهديه إلى الحكمة العملية فى حسن معاملة الغير « لا تعامل إنسانا بما تكره فتشجع غيرك على معاملتك بالمثل » ، وقال له وهو يدعوه إلى الثقة بالقصاص الإلهى « لا تقل عاصى الرب يعيش يومه ، وتطلع إلى الغد ، وقل العقبى الطيبة فى نهاية العمر » . وقال له وهو ينصحه بألا يتسرع فى حكمه على الناس « لا تكره إنسانا (لمجرد) رؤيته ما دمت لا تعرف حقيقة خلقه » ، وقال له وهو ينصحه بالتوسط فى الطعام « لا تتخم نفسك صغيرا حتى لا تتراخى كبيرا » (٥)

(ب) خاصية الاعتدال والتوسط :

تتضح هذه الخاصية فى النواحى التالية من التعاليم التربوية :

١ ـ فى التوجيه إلى مراعاة التوسط فى اختيار مناسبات السكوت أو الصمت ومناسبات الكلام .

٢ ـ فيما ينبغى أن تكون عليه معاملة الفرد لرئيسه ولمرؤوسه .

٣ ـ فيما ينبغى ان تكون عليه معاملة النفس ومطالب البدن .

١ ـ بين دواعى الصمت ودواعى الكلام :

كان من أواخر من تناولوا هذا الجانب من التعاليم المصرية جون ولسن(٦) . ومن رأيه أن حرية الكلام وحرية الرد والاعتماد الكبير على فصاحة اللسان كانت جميعها من أهم ما دعت إليه التعاليم والمثل

(١) GARDINER, *A new moralizing text*, in WZKM, 1957, 43

(٢) Brit. Mus. Pap. 10474, 10, 7-9.

(٣) Ibid., 19, 8-9.

(٤) *see* Ibid., 9, 10-11 ; 10, 17-20.

(٥) Brit. Mus. Pap. 10508, XVII, 11 ; IX, 16-17 ; XIII, 11 ; XV, 23 ; XI, 21-22 ; VI, 20.

(٦) J.A. WILSON, The Burden of Egypt, Chicago, 1951, 301-4.

الأخلاقية فى الدولتين القديمة والوسطى . ثم انقلب الأمر إلى عكس ذلك تماما فى تعاليم الدولة الحديثة وأواخر عصر الامبراطورية على وجه الخصوص ، بحيث أصبحت حرية الكلام غير محمودة وأصبح الصمت – بمعنى الصبر والخضوع والطاعة والتسليم – هو أهم الفضائل التى أراد مثل الحكيم أمنموبى أن ينشئ ولده عليها ، على حد قوله .

على أن فى الاستطاعة أن نتبين ، على خلاف رأى ولسن ، أن الاتجاه المحمود الذى دأبت التعاليم المصرية فى عصورها الفرعونية جميعاً على أن تصرف النشء اليه ، إنما كان الاتزان فى الخطاب والجواب ، واختيار لكل مقام ما يناسبه من الحديث والعمل . بحيث دعت إلى إيثار الصمت بمعنى التسامح اذا كان صمتا عن إساءة ، وتفسيره بمعنى اتقاء الزلل إذا عجز صاحبه عن ذكر الخير وحل المشكلات ، وبمعنى الخشوع إذا كان صمتا إزاء المعبود (١) .

وتتضح هذه الاتجاهات فى جلاء فى تعاليم الدولة القديمة التى تمثلها تعاليم بتاح حوتب لولده ، والتعاليم التى تلقاها كاجمنى وإخوته عن أبيهم ، على نحو ما تتضح فى تعاليم أواخر الدولة الحديثة التى تمثلها تعاليم أمنموبى لولده حور ماع خرو ، وتعاليم عنخ شاشنقى لولده .

بين بتاح حوتب للصمت مناسباته وهى : الصمت من الانسان حين لا يعنيه حديث المجادل ، والصمت استعلاء على الخصم المساوى له ، والصمت تسامحا عن إساءة المسىء الضعيف ، والصمت تأدبا أمام الكبير ، والصمت بين الأتباع إيثارا للمهابة ، والصمت حين العجز عن قول الخير أو حل المعضلات .

وبين الحكيم أبو كاجمنى للصمت مناسباته وهى : حين ينبغى إيثار العمل على الكلام ، وقال لولده « دع سمعتك تزكو وفمك صامت تدع إلى عليا المراكز » ، ولكتمان الأسرار ، وقال له فى ذلك : « يسعد الحذر ويمدح المتزن وينكشف الستر للكتوم »

وبين أمنموبى للصمت مناسباته وهى : حين تضارب الأحاديث وإزاء الأحمق والغضوب ، وفى المعبد ، وأمام إهانة كبار السن .

فقد قدر بتاح حوتب ان ابنه سيلاقى من القوالين الصخابين(٢) ثلاثة : رجلا أقوى جنانا منه ، ورجلا يساويه(٣) ، ورجلا أقل منه(٤) . فأوصاه أن يتحاشى الاول ما دام لم يسئ اليه(٥) . حتى إذا قال (له كلمة) السوء (متعمدا) وجب عليه ألا يتوانى فى صده لتوه ، ونصحه أن يتعالى عن الثانى بالسكوت عن صخبه وإساءته . وحبب إليه الصفح عن الثالث تقديرا لبؤسه . وقال :

---

(١) تقارن لفرانكفورت آراء تقرب إلى حد ما من هذه الآراء مع بعض الاختلاف .
H. FRANKFORT, Ancient Egyptian Religion, New York, 1948, 65 f, 75.

(٢) Pap. Prisse, 60-1 ; for djaisw ; see : Wb. V. 521, «einer mit dem man zu verhandeln zu beraten» : A. ERMAN, Die Lit., 88 u. H. KEES, Kulturgeschiehte, 193 Render (?) ; B. GUNN, Syntax, 186 = a traducer (?), active (?).
– انظر ملحق النصوص .

(٣) Pap. Prisse, 68 f.

(٤) Ibid., 74 f.

(٥) Ibid., 62 f.

اذا وجدت صخاباً فى شرته يعتد بنفسه ويتفوق عليك ، فأرسل ذراعك ، وامل ظهرك ، ولا تحفظ قلبك عليه ؛ فهولن يستطيع ان يتساوى بك ، وقد يرضخ لك ...

فإن ذكر سوءاً متعمداً لاتتوان فى ان تصده فى توه . ولسوف يقر الناس بأنه جهول ، طالما حسمت أمرك سريعاً حياله ....(١)

واذا وجدت صخاباً فى شرته ، شبيهاً بك ، من نفس طبقتك ، فاثبت أنك افضل منه بالصمت حياله ؛ ولو قال سوءاً . فلسوف تعظم خطيئته لدى السامعين ؛ وتزكو سمعتك فى عرف الأكرمين ....(٢)

واذا وجدت صخاباً فى شرته . فقيراً لايساويك ، فلا تحفظن قلبك عليه ، وقدر بؤسه ، واهمله ، فلسوف يرتدع من تلقاء نفسه . لاتخاطبه ساخراً ، ولاتستخف بمن امامك ، فمن القسوة تحطيم (رجل) كسير القلب . فإن اصر بعد ذلك على أن ينفذ ماتدعوه اليه نفسه ، حق لك ان تعاقبه بعقاب الكبار (٣) » .

وبعد خمسة عشر قرنا أو تزيد ، قدر أمنموبى (٤) أن ولده سيلاقى من الخصوم ثلاثة ، رجلا يخشاه ، ورجلا يساويه ، ورجلا أقل منه . فقال له عن الأول « لا تبجل (خصمك) المنفعل مرغما نفسك ، ولا تهدر كرامتك (بنفسك) ، ولا تقل له مرحبا رياء والرعب يملأ جوفك» (٥) ، ونصحه بالتحوط من الثانى وتفادى إثارته (٦) . أما الثالث فقد قال له عنه « احذر أن تكون عنيفاً إزاء كليل الساعد »(٧) . ثم دعاه فى كافة هذه الأحوال إلى أن يكون « ثابتا أمام الغير إذ الإنسان فى مأمن فى يد الرب ، والرب يمقت من يزور فى الكلام ، وكبر مقتاً عنده النفاق». (٨)

وهدى عنخ شاشنقى ولده إلى معاملة ثلاثة أنماط من الناس قائلا له : « لا تزعق فى رجل بشدة ما دمت لن تستطيع أن تجعله يهن بها ... ، ولا ترتكب إثما فى حق إنسان فيرده إليك آخر ، . . . ولا تكن قاسى القلب مع من علمت ضعفه » (٩)

وعلى نحو ما وصف بتاح حوتب الصمت الذى دعا إليه بعبارة تقول « عظيم ما تكفله هيبة الرجل الصموت»(١٠) ولم يقصد بهذه الهيبة التخويف وإنما كفالة الاحترام مما يدل عليه مرادف لنفس الجملة . كذلك كان من وصف أمنموبى لقيمة الصمت الذى دعا إليه قوله « إن التمساح ولو ترك الصراخ يظل مخشى البأس عن يقين »(١١)

(١ — ٣) انظر ملحق النصوص عن مختارات من هذه النصائح .

(٤) Brit. Mus. Pap. 10474; F.L. GRIFFITH, *The Teaching of Amenophis the son of Kanakht*, in J.E.A. XII, 191 f.

(٥) Brit. Mus. Pap. 10474, 13, 11.

(٦) Ibid., 5,10 ; 22,20.

(٧) Ibid, 4,4. انظر ملحق لنصوص .

(٨) Ibid., 13;19 — 14,1. انظر ملحق النصوص .

(٩) Brit. Mus. Pap. 10508, XII, 22 ; XI, 6-7

(١٠) Pap. Prisse, 166 وانظر ملحق النصوص .

(١١) Brit. Mus. Pap. 10474, 22, 9 — 10.

وهكذا سارت التعاليم التربوية المصرية فى الدولة القديمة وفى الدولة الحديثة على وتيرة واحدة فى فهم الصمت إزاء الخصوم على أنه تسامح محمود وليس على أنه قرين ذلة . وفيما بين الدولتين أى فى عهود اللامركزية وعهود الدولة الوسطى وهى عهود الفردية وتقدير الكلام بالفم والعمل بالساعد ، يذكر من يدعى « انتف بن سنت » أنه « رجل صموت إزاء الغضوب والجهول رغبة منه فى وأد الفتنة ... وإن كان فى الوقت نفسه يرد بالعنف كلما وجب عليه أن يعنف ، مقدرا متى يصح أن يظهر غضبه(١) وقال آخر عن التوسط فى السلوك « انى من لم يتهمه أحد وما من دعوى اقيمت ضده ، ولكنه صد من هاجمه » (٢) . وكان من طريف ما وصف المصريون حكمة الصمت به قول فرعونهم رمسيس الرابع « اعتدت الصمت لأكتسب معرفة بالأمور وأستريد من المتعة » (٣) . ثم قال عنخ شاشنقى فى عبارة صريحة بليغة « قد يستر الصمت حمقا » ، وقال « قد يفضل البكم زلق اللسان » (٤) . وكل ذلك مما يعنى أن التوسط ظل دائما من المثل العليا طوال عصورنا الفرعونية القديمة .

ويتبقى للصمت مناسباته الأخرى وهى أن يكون لكتمان الأسرار (٥) وفى معابد الالهة (٦) وإزاء كبار السن (٧) . وقد أفاضت التعاليم المصرية فى هذه كلها ، غير أن تفصيلها هنا لا يعنينا فى شىء كثير .

وكما دعا اصحاب التعاليم أبناءهم إلى إيثار الصمت فى مناسباته وبشروطه ، عظموا لهم من جهة أخرى فاعلية البلاغة وفائدة النقاش واستحبوا منهم المبادرة بالرد والإفصاح ، ولكن مع تقييد ذلك بمناسبات وشروط هى أقرب إلى أن تستهدف التوسط أيضا فى جميع الأحوال .

فلقد كان أحد هدفى بتاح حوتب من تعاليمه : « إرشاد الجهلة إلى قواعد جيد الكلم (أوبيان الموعظة الحسنة) » (٨) ، ثم دعا ولده إلى ان يناقش الأمى كما يناقش العالم استكمالا لفن الكلام الذى لا حدود له والذى قد يكون جيده أشد استخفاء من الزبرجد الكريم(٩) — ودعاه إلى الجرأة فى ذكرما ينبغى عليه أن يذكره فقال « أبلغ مشروعاتك دون مواراة ، وابسط خطتك فى مجلس مولاك . . . فما من ضير على الرسول أن يبلغ ، ولكن بغير خاط ... ، وإلا فهل يصمت ثم يقول لقد قلت » ! (١٠)

---

(١) Brit. Mus. 197 = W. BUDGE, The Teaching of Amen-em-apt London 1924, p. 87 ; *see also* Hatnoub, p. 61 ; p. 25 ; Cairo 20288. Berscheh, II, 40.

(٢) Bersheh, II, 40

(٣) GARDINER, in J.E.A., XLI, 2, 9-10.

(٤) Brit. Mus. Pap. 10508, XXIII, 4 ; XV, 16.

(٥) عند بتاح حوتب (Pap. Prisse, 471) — وفى النصائح إلى كايجمنى (J.E.A.) XXXII, 73) وعند آنى (Erman, op. 295-6) وفى نصائح أمنموبى . (22,11 f.)

(٦) تتضح بصفة خاصة لدى أمنموبى 12 — 1 ,6) — ولدى آنى فى قوله « ان الصياح فى بيت الإله ممقوت ، فتعبد بقلب محب ولا تجهر بدعائك . A. Erman, op. cit. 296.

(٧) تراجع ص ١٠٠

(٨) — انظر ملحق النصوص . وقد قال له الملك عن ابنه « علمه الحديث بادئ ذى بدء » .

(٩) تراجع ص ٨٠

(١٠) Pap. Prisse 249 f. — انظر ملحق النصوص .

ودعاه أيضا إلى الجرأة فى ذكر الحقيقة ولو لم تكن مما يسر القلب (١) .

ولكنه قيد هذا التقدير منه لقيمة الكلم وحرية إبداء الرأى بمثل قوله «إذا أصبحت رجلا ذا مقام يحضر فى مجلس مولاه فركز ذهنك ناحية الخير (أو) فاصمت ، فذلك خير من ثمرات (اللغو) ، وتكلم حين تعرف كيف تشرح (؟) . . . فالمفن هو من يستطيع أن يتحدث فى مجلس ، وقد يصعب البيان عن كل الفنون ، غير أن من يفصله (؟) يحيله أداة (طيعة فى يده) » (٢) وبمثل قوله « كن عميق الفكر نزر الكلام ، .... وثبت جنانك (فؤادك) حين حديثك » (٣) وبمثل قوله « لا تصمت — ولكن تحفظ وترو قبل أن ترد فى حماس مفتعل ، ارفع وجهك وتمالك نفسك ، فإن حماس المنفعل لابد أن يخمد ، والحصيف كلما خطا خطوة اعد طريقه ومهده » (٤) . وبمثل قيود الحديث التى وضعها بتاح حوتب قال أبو كايجمنى « يسعد المتحفظ ، ويمدح المتزن » (٥) . وقال « لا تتكلم (كثيرا) فالمقاطع حادة ضد من يضل الطريق وما من تقدم إلا فى حينه » (٦) .

وهكذا يتجلى ان الاعتماد الكبير على فصاحة اللسان وتمجيد حرية الكلام وحرية الرد فى الدولة القديمة ، لم يكن جميعه دون شروط وقيود تلزمه الاعتدال وتباعد بينه وبين الإفراط . وكل هذا لا يفترق عن قول آنى فى الدولة الحديثة لولده « تجنب خطيئة غموض الحديث ، وإياك الا تقاوم الالتواء فى داخلية نفسك ... » ، وقوله « ان جوف الإنسان اوسع من شونتى الغلال الملكيتين ، يتسع لكل جواب ، فتخير خير الحديث وتكلم صوابا ، واحتفظ بسيئه فى جوفك » . ثم لا يفترق عما دعا إليه أمنموبى فى أواخر الدولة الحديثة إذ يقول « كن رصينا فى تفكيرك وثبت فؤادك ولا تتعود على أن تجدف بلسانك » (٧) ، ويقول « وثمة شىء آخر محبب إلى الرب وهو التروى قبل الكلام » (٨) ثم يقول « لاتفصلن فؤادك عن لسانك تصبح مشروعاتك كلها ناجحة » (٩) وهذه النصيحة الأخيرة كانت بذاتها صفة الحكيم لدى بتاح حوتب حين يصفه فيقول « هو من اتزن فكره مع لسانه واستقامت شفتاه إذا تحدث ، وهو من يفعل الصواب البرىء من البهتان » (١٠) أما عنخ شاشنقى فقد قال لولده : « إن آية الحكيم فمه (أى حديثه) » (١١) .

(١) A. Erman, op. cit., 90.

(٢) H. KEES, Kulturgeschichte..., 194. — وانظر ملحق النصوص .

(٣) Pap. Prisse, 618 ; 624, BREASTED, op. cit., 131-2. — انظر ملحق النصوص .

(٤) Prisse, 373 f.

(٥) انظر ملحق النصوص ، وعن معانى التوازن والتوسط والطريق الأوسط لكلمة « متى » انظر A.H. GARDINER, J.E.A. 32, p. 71 — وعنوان إرمان (الفقرة التبصر حين الكلام) .

(٦) يحتمل أن تكرار الواو فى كلمة « مدوو » يعنى الثرثرة — وعن التبرم من الثرثرة فى أوائل الدولة الوسطى انظر : G. POSENER, Catalogue des Ostraca Littérature..., 1951, pl. 16. وانظر ملحق النصوص.

(٧) Brit. Mus Pap. 10474, 20, 3-4 وانظر ملحق النصوص .

(٨) Ibid., 5,7-8.

(٩) Ibid., 13,17-18. انظر ملحق النصوص .

(١٠) Pap. Prisse, 528-29. — وانظر ملحق النصوص .

(١١) Brit. Mus. Pap. 10508, IX, 23.

٢ — النشء بين الرئيس والمرءوس :

دعت التعاليم المصرية أبناءها إلى نوعين من السماحة والتواضع ، سماحة وتواضع مع الرؤساء ، وسماحة وتواضع مع المرءوسين .والنوع الأول منهما هو ماعنى أغلب الباحثين بالاستشهاد به حين التدليل على عملية (أو نفعية) التعاليم المصرية — وتعاليم الدولة القديمة خاصة .وكان من ذلك وصف جون ولسن وغيره لها بأنها فى جملتها انتهازية مادية « opportunistic and materialistic » (١) ووصف أدولف إرمان لها وهو يصور الحياة المصرية فى قوله : « وكان الجاه والقوة لايمكن الوصول إليهما حقاً مهما كان الشخص مجداً إلا أن يكون رئيسه أو بحسب التعبير المصرى سيده راضيا عن منحها إياه . ولهذا كان على الكاتب قبل كل شىء أن تظل علاقته برئيسه حسنة فيسير مقتفياً أثر الحكمة التى جرى العرف على اتباعها فى جميع العصور ، فقد قال بتاح حوتب منذ القدم « احن ظهرك أمام رئيسك » . وقد اتبع الموظفون المصريون قوله بكل أمانة ، وظل الخضوع والمسكنة أمام الرؤساء طبيعة ثابتة فيهم » (٢) .

أما النوع الثانى من السماحة والتواضع فهوما قل الاستشهاد به ، فى حين أنه إذا قرن مع النوع الأول جنبا إلى جنب لا تضح فيما بينهما جميعا ما يهيء الوحدة والتوازن فى شخصية الفرد الذى تكفلت التعاليم المصرية بتكوينه .

فقد تقدم أنه فى جانب من تعاليم بتاح حوتب أمر الحكيم ولده إذا كان له رئيس يعرف بساطة نشأته « ألا يتعالى عليه لما عرفه من ماضيه ، وإنما يحترمه بما آل اليه أمره فما تتأتى الحظوظ من تلقاء نفسها وإنما هى عادة الأرباب مع من أحبوه ، وكلما اتسعت خطا المرء حقت له الهيبة ، والرب وحده هو من يقدر الفلاح » . (٣) ، غير أنه فى مقابل هذا التوجيه الذى لايبرأ من روح العملية المادية ، والخضوع للواقع ، نجد له توجيها آخر يقول فيه « إذا ارتقيت بعد بساطتك ، وحزت ثراء بعد عوز قديم (كنت فيه) فى البلدة التى تعرفها ، فلا تتنكر لما حدث لك من قبل ، ولاتتكل على ثرائك الذى تأتى لك من هبات الرب ، ولاتتخلف عن غيرك ممن أوتوا حظاً مما أوتيت » (٤). وعلى هذا فقد كانت دعوة بتاح حوتب إلى الخلق الرضى وإلى البعد عن العنجهية دعوة عامة يلتزمها الإنسان عندما يكون مرءوساً كما يلتزمها عندما يصبح رئيسا ، ويتعامل بها مع أقرانه .

ونسبت إحدى نسخ تعاليم بتاح حوتب إليه نصحه لولده إذا حضر ضيافة من هو أعظم منه أن يرخى طرفه حتى يخاطبه ، وأن يتكلم بعد أن يفرغ من حديثه إليه ، وأن يضحك بعد أن يضحك ، معللا ذلك بأن الإنسان لايعلم ما يثقل على غيره ، وأن التأدب مع العظيم يلائمه ويخبت شره ويرضى نفسيته ، ومعقبا بقوله « وستصبح أثيراً لديه كثيراً ويصبح ماتفعله حسن الوقع على القلب »(٥) . ولكنه يأمره بعد

(١) J.A. WILSON, H. FRANKFORT and Others, The Intellectual of AncientMan, 1948, 99.

(٢) A. ERMAN, Aegypten, 128-129.

(٣) Prisse, 175, *see* ERMAN, Die Lit. 91 ; H. KEES, Kulturgeschichte, 192.

(٤) Pap. Prisse, 428 ; ERMAN, op. cit., 94-95.

(٥) Pap. Prisse, 132-3.

ذلك بالتزام نفس الروح المتأدبة التى تراعى إرضاء الجليس ، وذلك مع من أتاه شاكيا يتظلم إليه فيقول : « ترفق حين تستمع إلى حديث الشاكى . ولا ترفضه حتى يفضى بوجيعة جوفه ويحكى ماجاء لأجله . فالمتظلم يحب أن يؤمن (السامع على) أقواله حتى ينتهى مما جاء من أجله . . . والمهموم يفضل أن يواسيه السامع عن ان يقضى له حاجته » ثم يعقب على ذلك بقوله : « وإن الإنصات الجميل يثلج الفؤاد » . (١)

ويبدو أن التخلق بهذه الخلة كان يجد له أنصاره – بحيث كان منهم من يقول « لم أكن رئيسا فظا ، وكنت أحب أن أطيب قلب (المواطن الضعيف) حتى يحكى متاعبه وحتى يفضى بما فى باطنه ، أنصت (إلى) حديثه وأمحو أساه » (٢) ويقول آخر : « كنت البلسم الشافى لمن أتى مهيضا » (٣) .

بيد أنه مع ماتشهد به الفقرات المتفرقة السابقة من قيام التوازن فى معاملة الفرد لرئيسه ولمرؤوسه على أساس التخلق الدائم منه بخلقى السماحة والتواضع ، فإنه ما من سبيل إلى التغاضى من جهة أخرى عن أن سعى التعاليم المصرية إلى ربط مصائر أبنائها بالوظائف الحكومية كان مسئولا إلى حد كبير عن صبغ بعض نصائحها بصبغة النفعية وإظهار فضيلة التواضع فيها كأنها سوأة الضعة . فلقد كان الرئيس الأعلى للحكومة وللبلاد ملكاً مقدسا من الناحية الشكلية على أقل تقدير ، ولم يكن من ضير فى إسنادالنفع والضر إليه ، ولاذلة فى العمل على القربى منه والتماس أفضاله . وكان الرؤساء فى الحكومة ممثلين له (٤) ، ولهذا لم يكن من بأس فى أن يعتبر الإنسان رضاهم من رضى من يمثلونه وفضلهم من فضله أيضاً . وسارت أوضح تعاليم بتاح حوتب نفعية على هذا الأساس ، فقال لولده « احن ظهرك لرؤسائك والمشرفين عليك من قصر الملك » (٥) .

على أنه ثانية ترجح خاصية التوازن ، فتعاليم بتاح حوتب هذه التى نصحت من وجهت إليه بالانحناء للرؤساء من قصر الملك ، لم تشأ أن تصرفه إلى التماس الخير والسعادة منهم وحدهم ، وإنما التمست له كذلك من جانب الدين ما يكفل له توازنه النفسانى والسلوكى فنبهته إلى إرادة عليا تقصر دونها إرادة البشر ، وقالت له : « الرجل من قال اكتسبت بعملى وليس الرجل من قال أتمنى لنفسى ، وقد يقول إنسان لسوف أشبع هنا وإذا هو فى غده محروم من خيرات الكبار ... ، ويقول لسوف أغنى هناك ثم ينتهى إلى أن يترك ثراءه لمن لايعلمه . ذلك أنه ما من تدبير للخلق تحقق ، وأن ماأراده الرب يتحقق ، فإذا عزمت أن تحيا بالقناعة أتاك ماقدره لك الأرباب بأكمله »(٦) . وقالت : « الرزق وفق إرادة الرب ، والجهول هو من يعترض على إرادته » .

---

(١) Pap. Brit. Mus. 10509, 4, 11-14 = Priese, 264 f. – أنظر ملحق النصوص .

(٢) F.L.L. GRIFFITH, in Proc. S.B.A., XVIII, 202-3. – وانظر ملحق النصوص .

(٣) Berscheh, II, pl. XXIII, 12. – انظر ملحق النصوص .

(٤) ولهذا اعتاد بعضهم على أن يصف نفسه بأنه اللسان المتكلم لمن فى القصر ، عينا الملك ، قلب رب القصر. Urk. IV 968, 7-9, see also: Cairo 1112, 24221.

(٥) Pap. Prisse 441 f. and variants.

وقارن سفر الأمثال ٢٢ : ٢٩ « أرأيت الذى يجد فى عمله ، إنه يقف أمام الملوك ولا يقف أمام الخاملين » – ويقابلها عند أمنموبى « أما عن الكاتب الخبير بعمله فسيجد نفسه أهلا ليكون من رجال البلاط » . Brit. Mus. Pap. 10474, 22, 16-17 = D.C. SIMPSON, in J.E.A. XII, 337, n. 2.

(٦) Pap. Prisse, 105-118. وانظر ملحق النصوص عن بعض هذه العبارات .

وحضت نفس التعاليم الناشئ على تحرى العدالة دائماً فى سياسته للناس وفى أحكامه لهم . وكان تحرى العدالة مما يرضى الملك وممثليه ولو من الناحية الشكلية ، ويهيئ القربى منهم (١) . ولكنها حرصت إلى جانب ذلك على أن تنبهه إلى أن العدالة التى تدعوه إليها إنما هى من وضع الإله وليست من وضع الخلق، وأن تطبيقها يرضى الإله من قبل أن يرضى الخلق ، فقالت(٢) : « العدالة خير (أوعظيمة) (٣) وأثرها باق . إنها لم تبدل منذ عهد بارئها (٤) ، ومن تعدى قوانينها جوزى . وإنما يعزب عن الحقود أنها طريق (سوى) حتى أمام الجاهل وأن الجور يبطش بالخيرات ، . . . وقوة العدالة هى الباقية ، وبوسع صاحبها أن يقول إنها تراث أبى » . وقالت : « إذا توافر الطابع الخير لرئيس فلسوف يظل ممتازا إلى الأبد ، (كما) وأن العالم تبجل روحه بثبات ما به من صلاح على الأرض ، ويدرك العالم تبعا لعلمه والنبيل تبعا لحاله الطيبة » (٥) .

وقريب من هذا النحو المتزن سارت تعاليم أمنموبى فى أواخر الدولة الحديثة ، فدعت إلى احترام الرئيس ، ولكنها نبهت إلى جانب ذلك إلى إله (آتون) يهب الإنسان حاجاته فى الحياة ويجعله آمنا من كل خوف إذا دعاه (٦) ، ويكون الإنسان فى يده فى مأمن (٧) وهو واهب العدالة (٨) ، وعلى هذا فمن لايتحراها يفسد تدبيره (٩) . وأكدت أنه « شتان بين الكلام الذى يقوله الناس وبين مايفعله الإله » (١٠) وحين نبهت (ولدها) الناشىء من جهة أخرى إلى عدم الوقوع فى الخطأ ، عقبت على ذلك بقولها « فحتى إذا برئت أمام رئيسك فستكون محقراً من مرءوسيك » (١١) . أى أنها لم تجعل خشية الرؤساء وحدها هى الموجهة إلى تحرى الصواب ، وإنما ضمت إليها كذلك اعتبار الإنسان لذاته وكرامته بين مرؤوسيه .

وقالت : لاتخصص عنايتك لمن اكتسى بثوب قشيب ، وتقبله فى الأسمال . ولا تتقبل رشوة من صاحب نفوذ ، أو تظلم قصير اليد من أجله ، فالعدل هبة غالية من الرب يهبها لمن يشاء (١٢) .

---

(١) see Pap. Prisse 643-44 and variants, and Davies, Antefoker, pl. VII

(٢) Pap. Prisse, 88 f. Brit. Mus., Pap. 10509, 2, 7 f.

(٣) وعن ترجيح تفسير كلمة آخ بمعنى خير أكثر منها نافع أى بإعطائها صبغة معنوية دون الصبغة المادية — يراجع : H. FRANKFORT, Anc. Eg. Religion, 1948, 62 f.

(٤) رع أو أوزير . see A. ERMAN, Die Literatur, 89 Anm. 2 ; BREASTED, The Dawn of Conscience, 137.

(٥) Pap. Prisse, 520 f. — انظر ملحق النصوص .

(٦) Brit. Mus. Pap. 10474, 10, 12 f.

(٧) Ibid., 14, 1.

(٨) Ibid., 21,5.

(٩) Brit. Mus. Pap. 10474, 21, 14.

(١٠) Ibid., 19, 16-7 ; see, K. SETHE, « *Der Mensch Denkt, Gott Lenkt* », bei den alten Aegyptien, in Gott. Nachrichten, 1925, 141-7 : Urk. III, 72 Inscriptions of Tenoutamon ; B. GUNN, in J.E.A., XII, 284, 12, (3). — انظر النصوص .

(١١) Brit. Mus. Pap. 10474, 15, 4.

(١٢) Ibid., 21, 1 f.

وقالت : « إن الإله يحب إسعاد الفقير ، أكثر مما يحب تعظيم النبيل » .

وقال عنخ شاشنقي لولده وهو يوصيه بأن يصبغ مسلكه بصبغة واحدة خدومة منسجمة : « لاتنس أن تعبد ربك ، ولاتنس أن تحترم رئيسك ، ولاتنس أن تخدم من يخدمك » ، وقال « اخدم إخوانك تتولد لك سمعة طيبة » وقال «إن العظيم الذى يتواضع سلوكه يزداد مدحه » وقال « تواضع تزداد سمعتك فى قلوب الناس جميعا » (١) . ثم قال له وهو يوصيه بأن يتحرى الحق ويأذن لغيره بأن يقوله «لاتعمل على أن يكون لك صوتان ، وقل الأمر الواقع لكل إنسان واجعله قسيم حديثك » « واسمح لمن عمل ما عهد به إليه بأن يرفع صوته » (٢)

٣ — فى معاملة النفس والبدن :

دعت التعاليم المصرية إلى توسط واضح فيما بين التزمت وبين الاستهتار . وفيما بين مغالبة الناشئ لنوازع نفسه وبين عمله لإرضائها ، وفيمابين إلزامه إياها بواجباتها وبين تجنيبها مالا تطيق . وأوضح قرائن هذا التوسط تبدو فى تعاليم بتاح حوتب . فتتضح من ناحية فى عبارات قصيرة يقول فيها (٣) :

« مهموم القلب طوال يومه لن يصيب برهة هنيئة ، والمهزار (مكشوف القلب) طوال يومه لن يشيد دارا (سعيدة) (بمعنى لن يعول عائلة) ، ومن أطاع هواه (انتهى) إلى التمنى (دون سواه) » .

ويتضح التوسط كذلك من بتاح حوتب فيما بين دعوته ولده فى مواضع متفرقة من تعاليمه إلى الحد من اتجاه نفسه إلى الكبر والتعالى (٤) ، والجشع والنهم (٥) والحقد ورغبة الانتقام ، إلى جانب تأكيده عليه بأن يحمل نفسه تأسيس بيته وأن يتكفل بكافة نفقاته وبضروريات الزوجية وكمالياتها (٦) ، وبين تخصيصه فقرة كاملة من تعاليمه يقول له فيها(٧) « ساير نفسك ماحييت ، ولكن لاتتجاوز مايقال (أى مايقول به العرف ؟) وإياك أن تبتر ساعة المتعة ، فالنفس تأبى أن يفسد وقت (متعتها) ، ولاتستنفد من شئون اليوم أكثر مما يعول دارك(٨) ، وعندما يواتى الثراء يجب أن يسعد القلب ، فلن يجدى الثراء إذا أهمل (القلب) » (٩) . ثم تخصيصه فقرة أخرى يدعوه فيها إلى أن يواجه ماينزل به من أمور الدنيا بنفس متفائلة

---

(١) Brit. Mus. Pap. 10508, VI, 14-16 ; 2,20; XVII, 26

(٢) Ibid., XIII, 14-15 ; XII, 23

(٣) Prisse, 380-3 ; 387 ; see GUNN, op. cit., 128 ; FRANKFORT, op. cit., 68 (after, A. de BUCK, in Nieuw theologisch Tydschrift, XXI, 347).

(وانظر ملحق النصوص)

(٤) Pap. Prisse, 52 f. ; 374.

(٥) راجع ص ٩٨

(٦) Ibid., 325 f

(٧) Ibid., 186 f.

(٨) See, J.H. BREASTED, Dawn of Conscience, p. 136.

(٩) B. GUNN, op. cit., p. 128.

سمحة ويقول فى بدايتها «كن سمح الوجه (اى متفائلا) طالما بقيت فإن ما يخرج من الشونة لن يعود فيدخلها » (١) .

وظل التوسط بين الجد واللهو محموداً من المصريين ،ووصف أحدهم نفسه به فقال «تعودت أن أخصص اليوم لما يستحقه ، لا أضيع صدر النهار ولا أفسد ساعة المتعة »(٢) .

وعلى نحو ماقدر الآباء الحكماء أن نوازع النفس تتطلب تهذيبا معقولا يلزمها التوسط رأوا كذلك أن مطالب البدن تتطلب تهذيبا مماثلا يلزمها القناعة . وقد سلف من البحث ماتوخوه من التوسط فى الطعام والشراب لصحة البدن ، ويعنينا هنا أنهم ربطوا بين هذا التوسط فى مطالب البدن وبين عزة النفس وترويضها على قوة العزيمة فضلا عن كرامة المرء بين أقرانه . فكان من قول بتاح حوتب : « إذا طعم بدنك والتفت وجهك إلى جيرانك (أى أكرمتهم) ، أطراك الناس من حيث لاتدرى ، أما اذا ضل الفؤاد وأطاع جسده ، فإنه يكون قد احل صغاره محل حبه ، وتعس عقل صاحبه وساء وجهه بما جرته عليه نفسه . ولقد عزت نفوس اتباع الرب ، فالقلب يشعر بالدفء من فضل الرب وحده ، ومن اطاع بدنه كان عدو نفسه » (٣) ثم كانت نصائح أبى كايجمنى أكثر إيضاحا فى ذلك ، فكانت له حكمته التى اقتبسناها من قبل صفحات : « إذا جالست قوما فتعفف عن الطعام ولو اشتهيته ، فإنها برهة قصيرة تقهر النفس فيها » وقال أيضاً « خسئ من شره لجوفه » (٤) وقال « إذا جالست نهما فكل عندما تنتهى شهيته ، وإذا شربت مع سكير فشاركه حين يبلغ كفايته »(٥) وقال « إذا برئ المرء من ملامة الطعام فلن يغلب (؟) من حديث (بمعنى لن تسوءه كلمة) » (٦) .

وقال : « إن قدحا من الماء يروى غلة الظامئ وملء الفم من حشائش الأرض يقيم أود القلب .

ورب حسنة تقوم مقام الخير كله ، ونزر يسير يغنى عن الكثير كله » .

وقال خيتى بن دواوف لولده : اذا طعمت بثلاث كعكات وشربت قدحين من الجعة ، ولم تقنع معدتك ، فقاومها ، مادام غيرك يكتفى بالمقدار نفسه » .

وقال آنى لولده « لاتجبر نفسك على ان تشرب زق جعة ، فإنك اذا شربته عجزت عن البيان وتكلمت لغوا لا تدرك معناه ... ، واذا التمسك رجل ليسائلك وجدك ملقى على الارض اشبه بطفل غرير » واراد ان يصرفه عن نهم الطعام الى لذة الإحسان فقال : لاتأكل طعاما وغيرك واقف دون ان تحث الخطى اليه وتمد يدك بالطعام اليه ، ولسوف يعرف لك ذلك الى ابد الآبدين » .

هكذا كانت التعاليم المصرية التى وجهت من آباء إلى أبناء فى اتجاهاتها العامة ، لاتقتصر على الأمر والنهى

---

(١) J.H. BREASTED, op. cit., p. 135 ; H. KEES, op. cit., 194 وانظر ص ٦٨

(٢) Metr. Mus. 14,2, 6-5-6 ; POLOTOSKY, Inschriften, 32

(٣) Pap. Prisse, 235 (var. KEES, op. cit., 193

(٤) انظر ملحق النصوص . وحرفيتها : خسئ ذلك الرجل الذى يشره لجوفه .

(٥) Pap. Prisse, I, 9

(٦) Ibid., I, 10-11.

ولاتجنح إلى إسراف . وإنما تتضمن جميعها محاولات للإقناع وتؤثر جميعها التوسط فى معاملة النفس وفى معاملة الغير وتؤثره حتى فى التدين . ولايترتب على ذلك بالضرورة افتراض مثالية التطبيق فى كل من وجهت إليهم ولا فى كل من كانوا يدرسونها ، وإنما هى تعنى باحثها قبل كل شىء من حيث هى مجموعة من الموازين الخلقية والسلوكية كان يرجع إليها الشعب الذى نشأت فيه وله ، ثم من حيث هى دليل كفايات فكرية استطاعت أن تسبق غيرها من الكفايات إلى عالم الوجود (١) . أما مدى تطبيقها ومبلغ الرضى بها أو التباعد عنها فذلك مما تكشف عن بعضه طائفة من الرسائل والتراجم الشخصية .

فثمة مجموعة من رسائل الدولة الوسطى كتبها والد يدعى « حقا نخت » إلى ولده الأكبر مرسو (٢) ظهر فيها ما يكشف عما تقدم من السلطة التى كان يراها الآباء لأنفسهم على أبنائهم ولو بلغوا سن العمل، وعن التباين الطبيعى فى معاملة الأب لأبنائه وفق أعمارهم ، ومايكشف عن أن ارتباط المصرى القديم بأسرته وبأبنائه لم يكن يقعده عن شد الرحال إلى حيث تدعوه دواعى الرزق . فقد ترك الرجل أولاده الخمسة أكثر من مرة فى طيبة وارتحل عنهم إلى نواحى منف ليباشر أعماله فيها وذلك لفترات طال بعضها عن العام . ومن هناك أرسل عدة رسائل يتبدى فيها تشدده فى معاملة ابنه الأكبر وتحميله المسئولية كاملة فكان يكتب إليه فى بعض أموره قائلا « إذا طغى الفيضان على أرضى فالويل لرجالى ولك ، ولن ألق المسئولية إلا عليك» أويقول « عليك أن تبذل الجهد فى أرضى . واجتهد بأقصى ماتستطيع . اعزق الأرض وتدخل فى كل عمل » . ولكنه تخلى عن هذه الشدة بالنسبة لإبنه الأصغر (سنفرو) ، فكتب عنه إلى أخيه قائلا « إذا لم يكن لسنفرو راتبه (الكافى) معك فى البيت فلا تتوان عن إخبارى فإنه قد نمى إلى أنه غير راض . اعتن به كثيراً واعطه مؤونته . وأبلغه سلامى ألف مرة بل مليون مرة . اعتن به وأرسله إلى بعد أن تحرث مباشرة » ثم يكتب عنه ثانية فيقول « إذا كان سنفرو يريد أن يعتنى بالثيران فدعه يفعل . (اذ يبدو) أنه لايريد أن يجرى معك هنا وهناك فى الحراثة ، كما أنه لايريد أن يأتى إلى هنا . وعليك أن تمتعه بكل مايريد» . وكان للرجل ابن ثالث صغير يدعى «ساحتحور » اشترك فى مشاكسة جارية أبيه مع خادمة المنزل « سنن » فلم يزد حقا نخت على أن يصب جام غضبه على الإبن الأكبر والخادمة معاً متغاضياً عن شقاوة الإبن الصغير . بل وقال لمرسو : اطرد الخادمة سنن من دارى على التو ، ولكن احرص على أن يتردد عليك ساحتحور يوميا ، وإذا بقيت سنن فى الدار يوما واحداً فأنت الملوم ، وإلا فما الذى تستطيع أن تفعله جاريتى إزاءكم وأنتم خمسة أولاد ؟ سلم لى على أمى إيبى ألف مرة ، بل مليون مرة . ثم كان لايفتأ يكرر على ابنه الأكبر قوله « إنك سعيد إذ أعولك » « ولماذا أعولك (؟) » « وإذا اجتهدت دعا الناس لك » و « إذا لزمت (؟) الهدوء فإنه نعم العمل » .

ويبدو أن نصيب رسائل « حقا نخت » فى تصوير مجريات الحياة الطبيعية بين الآباء والأبناء ، نصيب صادق . فبعد الأب عن أبنائه عن اختيار ورضى بين الحين والحين كان شيئاً مما تفرضه ظروف الحياة القديمة ، برغم غلبة طابع الاستقرار عليها ، ولم يكن يتأتى عن رغبة السعى وراء الرزق فحسب (٣) ،

---

(١) عن توجيهات خلقية أخرى قصيرة تضمنتها لخاف التلاميذ وكراساتهم – يراجع الفصل الحادى عشر .

(٢) B. GUNN, H.E. WINLOCK, in Bul. of Metr. Mus. XVII, Part II, 37 f. Excavations at Deir el Bahari, 1942, 58 f., pl. 33.

(٣) See, A. ERMAN, op. cit., 158; J.A. WILSON, in Journ. Samitic Language, 1941, 2251; B. GUNN, *A Middle Kingdom Stela from Edfu*, in Ann. Serv. 1929, 5 f.

بل كانت تقتضيه كذلك أحيانا رغبة تربية الأبناء . فمن شاء من أهل الريف أن يكفل لولده تعليما راقيا لم يكن له غير أن يوجهه إلى الحواضر حيث توجد المدارس . وثمة مثلان باقيان لهذا ، أحدهما من العصر الأهناسي وفيه أبحر الأب بابنه فى النيل إلى العاصمة ليلحقه بمدرستها ، والآخر من الدولة الحديثة ويذكر فيه من اغترب فى سبيل العلم أنه ازم المعبد فى مرحلة تعليمه حينما كان أبواه وإخوته فى الريف(١٧٢) . وإذا كان هذا هو شأن أفراد الشعب ، فقد كان بين الملوك وأبنائهم أحيانا مالا يكاد يفترق عنه فى شىء كثير . فقد نشأ تحوتمس الثالث ولده أمنحوتب تنشئة صارمة وارتضى له ولم يزل غلاما صغيراً أن يفارق قصره فى طيبة ليقيم مع مربيه « مين » فى قصر الحكم بطينة (قرب جرجا) (١) ثم شاء له حينما اشتد عوده أن يرتحل إلى منف ليشاطر الجنود معيشتهم ويتم هناك تربيته العسكرية . وإذا كان « حقا نخت » قد آثر لولده حياة العمل والكفاح فى أرضه وكان رضاه عنه عزيزاً ، فقد آثر تحوتمس لولده حياة لاتخلو من خشونة كان منها أن يربى خيوله (خيول الملك) ويقوم على تدريبها وعلفها ، ثم لم يكن رضاه عنه بعد ذلك إلا لأنه « وهو الفتى الغض الذى لم يبلغ الحلم ولم يبلغ سن القيام بأعمال مونتو ، قد أولى ظهره لشهوات الجسد وابتغى الجدية (لنفسه) »(٢)

أما عن مدى تقبل الأبناء لحقوق الأبوة ، فثمة نواح منها على الأقل يمكن ترجيح رضاهم بها مثل وجوب احترام الإبن لأبيه وقيامه عند التحدث إليه ومخاطبته على استحياء . فقد صورتها للأبناء قصص الدولة القديمة (٣) ، وصورها لهم المثالون فى تمثيلهم الإبن واقفاً دائماً حيث يجلس أبوه ، كما أكدتها تراجم الأبناء أنفسهم بحيث كان منهم من يقول « لقد كنت سند (أوعكاز) الشيخوخة فى يد أبى مابقى على وجه الأرض ، وكنت أروح وأغدو وفق أمره ، ولم أخالف (أبدا) ما قرره فمه ، ولم أتفرس (فيه) بالنظرات الكثيرة ، وكنت أطأطئ بوجهى إلى أسفل حين يحدثنى » (٤) . وكان منهم من يقول « كنت قويم الخلق وولدا نشأ تحت يد (تحت كنف) أبيه »(٥) وقال سيتى الأول إن أباه أهداه تجاربه فكانت وقاء له كما كانت تعاليمه أشبه بصرح معدنى لفؤاده ، ولهذا شب ولداً مخلصاً لمن أنجبه وعمل على إحياء سمعته وظل يحرك فمه ويتصرف بإيحائه . (٧)

وتضيف مناظر الحياة اليومية عادة أخرى يبدو أنها كانت نستحب من الأبناء إزاء الآباء وهى جلوسهم على الحصير أو على المقاعد المنخفضة إذا ماجلس الأبوان على المقاعد المرتفعة حين الطعام(٧) . ومما ينبغى أن يضاف إلى هذا هو أن وجوب توقير الإبن أباه قد تعداه إلى وجوب توقير كبار السن عموماً ، وقد حرصت التعاليم على أن تؤكده على النشء (٨) كما حرص المعلمون على القول به ، ومن ذلك أن يقول معلم

---

(١) Urk. IV, 976 ; N. de G. DAVIES, in Bul. of Metr. Mus. 1935, 52-3 ونسب قصر إلى ولده تحوتمس الرابع فى المنطقة نفسها . Anc. Records, II, 839.

(٢) S. HASSAN, The Great Sphinx and its Secrets, Cairo 1953, pl. XXXVIII,

(٣) See, A. ERMAN, Die Literatur, 65, 67, 69.

(٤) A.H. GARDINER, in AEZ, 47, 82 ; A. HERMAN, Stelen, 28 f.

(٥) PETRIE, Tombs of Courtiers, pl. 22, 3. (٦) Ann. Serv. 1951, 177

(٧) DAVIES, El Amarna, III, pl. 4.

(٨) Prisse, 124 f. ; ERMAN, op. cit., 298 ; Brit. Mus. Pap. 10474, 25, 16 f.

« كلا ، فمهما كانت براعتك فى الكتب ، وكنت متعمقاً فى التعاليم فلا تجلس فى حضرة من هو أكبر منك » (١).

وليس بخاف أن هذه الآداب لازال صداها باقياً إلى اليوم فى الريف مثلا فى العادات التى تستحسن من الصغار عدم حضور مجالس الكبار وعدم الجلوس وهم وقوف وعدم إبداء الرأى أمامهم أو بمعنى آخر عدم معارضتهم فيما يرتأون .

وعلى هذا فما من بأس إزاء ماذكرته تراجم الأبناء المصريين عن برهم بأبويهم ، وهو فى الحق كثير (٢) ، وإزاء تشبع المجتمع المصرى إلى الآن بروح توقير الكبار ، أن ننتهى إلى أن كفة الرضى بين الآباء والأبناء كانت راجحة وإلى أنها كانت تحقق إلى حد مقبول ماكان الآباء يعلقونه على كثرة النسل من إنجاب من يصبحون لهم « سند الشيخوخة » (٣) فى كبرهم والمحيين لأسمائهم بعد وفاتهم ، وتحقق مثلما قاله عنخ شاشنقى لولده أن « اتبع أباك وأمك تنطلق وتحرز الكمال » . (٤) .

على أن قصر سلوك النشء على هذه النواحى الطيبة من السلوك إزاء الآباء وكبار السن لايفى ولا يصور الواقع كله ، فما من شك فى أن الميل الطبيعى من الشباب إلى التحرر من كل سلطة تفرض عليه أياكانت قداستها ، كان له شأن ما إزاء التعاليم القديمة وسلطة الآباء . ولم تخل المتون المصرية نفسها مما يصور الاعتراف بهذه الحقيقة . ومن ذلك أن بصّر بتاح حوتب ولده بأنه « ... كم من والد فى عناء ، وأم ولود وجدت غيرها أهدأ بالا منها » (٥) — وبصّر خيتى ولده مريكارع بأن « النشء يحس بالسعادة فى اتباع رغبته (أو اتباع قلبه) » (٦) وأنه يكون قريب الاستجابة إلى دواعى الشغب إذا دعى إليها (٧) . وذلك فى حين صورت رسائل المعلمين اتجاه بعض الفتيان إلى اللهو ومعاقرة الخمر وإيثار مجالس الطرب والغناء (٨) ولم تغفل التعاليم المصرية التنبيه إلى أثر الصحبة فى توجيه أصحابها ، فقالت : « رفيق الغبى غبى ورفيق الحصيف حصيف ورفيق الأبله أبله » وقالت لمن نضج « لاتتخذ صبياً رفيقاً » وقالت فى أسلوب دارج « إن ساير حمار حصاناً مشى مشيته » (٩).

وعلى نحو ماذكرنا من قبل ، لم يأب المجتمع على الأب حق تقويم سلوك ابنه وكان يستنكر أمره إن هو تهاون فى ذلك . ويصور بتاح حوتب سلطة التقويم هذه فيقول (١٠) « وقد يميل الولد إلى الشغب ، فإن ضل وخالف نهجك ولم ينفذ تعاليمك ، فساءت تصرفاته داخل دارك وتحدى كل ماتقوله ، وتدنس (؟) فمه بأقوال خبيثة ، وتغاضى عما لا تملكه يداه ، فانبذه فإنه ليس ولدك ولم يولد لك ... انبذه فهو واحد ممن

---

(١) Pap. Ch. Beatty, IV, 4, 6 f.

(٢) See, Urk. I, 216,6-7 ; also 76, 16-16 ; 79, 4-5 ; 133,6 6-7 ; 222,6, etc

(٣) See, Pap. Prisse 28 ; Kahun Pap. XI, 18 ; XXII, 1-2 ; p. 30, 56 ; El Bersheh I, pl. XXXIII ; BRUGSCH, Thesaurus, 1296.

(٤) Brit. Mus. Pap. 10508, VI, 6.

(٥) Pap. Prisse, 171-2 ; See GARDINER, Grammar, 1927, 467

(٦) Pap. Petersburg, 1116 Art. 68 ; A. ERMAN, op. cit., 113.

(٧) See, Pap. Petersburg, 1116 Art. 25.

(٨) Pap. Lansing, 8,4 ; Pap. Anast. V, 20, 6

(٩) Brit. Mus. Pap. 10508, XIII, 6-7 ; XXIV, 7 ; XIII, 24.

(١٠) Brit. Mus. Pap. 10509, 3, 15 f., Pap. Prisse, 207 f.

أدانه الأرباب ، ولعن الرب خطاياه وهو فى بطن أمه ، ولن يجد سبيلا من حرموه العبور » (١) . وفى تعاليم العصور المصرية المتأخرة ما يدل على استمرار الدعوة إلى وجوب تقويم الأب لولده ، حين تعتبر من كان ليناً إزاءولده ليس بالرجل الرحيم (٢) وأنه ما من ابن هلك من تأديب أبيه (٣) ، كما تعتبر العصا والحياء مما يقى الابن الفساد(٤) ، وتؤكد أن تمثالا من حجر خير من ولد أحمق (٥) .

على أن ما ينبغى تقديره هو أن سلطة الأب المصرى على ولده تعتبر جد معقولة إذا قورنت بما أباحه الإسبرطيون على سبيل المثال للأب من حق الإحياء والإماتة على ولده فى طفولته وما أباحه أهل بلاد النهرين والرومان للأب من حق رهن ولده وبيعه (٦) .

ويتضح من القصص والنقوش المصرية أنه بعد وفاة الأب كان الأخ الأكبر ينزل لدى اخوته الصغا منزله أبيهم ويكون له عليهم نفس ولايته وسلطته (٧) . أما إذا لم يكن بين الأبناء من يصلح للولاية على إخوته فقد كان الأب يعهد أحياناً بأولاده إذا أحس بقرب أجله إلى مرب « شد(ى) نخن » (٨) يعينه بالذات أو إلى وصى ينقل إليه سلطته وواجباته ، فيربيهم « ويمتعهم ، ويعامل الكبير (منهم) وفق نضجه ، والصغير (منهم) تبعاً لصغره » على حد تعبير أحد النصوص (٩) .

وعبارة « شد(ى) نخن » فى تركيبها اللغوى أقرب إلى أن تعتبر اصطلاحا يدل على شخص متخصص تفرغ للتربية ويسمى مربى الطفل أومربى الأطفال ، ولو أنه لم يعرف لها إلى الآن غير مثل فريد يقول فيه صاحبه ما يحتمل أن يعنى : « أما الوكيل جبوفسوف يعمل مربيا لولدى » (١٠) ، مما لا يسمح للأسف بتزكية هذا المعنى العام لها .

وثمة لقب مصرى آخر ذكرته بعض نصوص الدولة الوسطى وهو لقب « أبو الطفل » (إيت ن خرد) (١١) وهو بدوره قد يعنى معنى المربى بوجه عام ، أويدل على معنى آخر سنعرض له فى موضعه فى صفحة ٢٠٥ .

---

(١) H. FRANKFORT, op. cit., 71 (after : de BUCK, op. cit., XXI, 342).

(٢) Pap. Carlsberg, II, 2, 16 (see, J. CAPART, op. cit.).

(٣) Ibid., 9, 9

(٤) Ibid., 9, 11

(٥) Brit. Mus. Pap. 10508, XXI, 20

(٦) See, Th. J. MEEK, The Middle Assyrian Laws (by J.B. PRITCHARD, Ancient Near Eastern Texts, 1955, pp. 183-184 ; The Life of Lycurgos by PLUTARCH ; Laws of the Twelve Tablets, table IV.

(٧) See, A. ERMAN, op. cit., 198., 199 ; Urk. I, 199, 7.

(٨) KAHUN Pap. XII, 15, p. 32 ; K. SETHE, Lesestücke, 91, 8. وانظر ملحق النصوص .

(٩) K. SETHE, Ein Prozessurteil aus dem alten Reich, AeZ, 61, 67 f. وانظر ملحق النصوص .

(١٠) Kahun Pap., op. cit. انظر ملحق النصوص ولقب إدنو أى النائب أو الوكيل للمربى لا يفسر شيئاً من أمره . وعن استخدام تعبير « ربيبة الطفل » فى نقوش المراة والحكام – تراجع ص ٧٢ حاشية ٩

(١١) Cairo 20352, 20520 – انظر ملحق النصوص .

ثم عبارة أهدى بها تلميذ من عصر الرعامسة قصيدة مديح إلى معلمه بقوله «إلى ذات ... باشدو صادق الصوت » .(١) وإذا لم يكن باشدو هذا اسم علم فهو أقرب إلى أن يعنى معنى المربى بوجه عام .

وعلى أية حال ، فإن هذه التلميحات الثلاثة مع أهمية مدلولاتها ، لا تسمح للأسف بأن نمضى معها بعيداً لنفترض وجود المربين فى المجتمع المصرى على نحو وجود البيداجوجيين فى المجتمع الإغريقى مثلا أو المجتمع الرومانى بعده .

غير أن نقص المعلومات عن شئون المربين فى المجتمع المصرى ، إن كانوا قد وجدوا حقا (وهم غير طائفة المدرسين) ، يمكن أن يعوضه إلى حد ما ما عرف عن المربين فى القصور الفرعونية ، وهو ما نستهدفه فيما يلى ، وإن كان شأنهم هم الآخرين لن يخلو من احتمالات وفروض أيضاً فى ضوء المصادر المعروفة .

ثالثا — المربون والمشرفون على شئون الأمراء (الصغار) فى قصور الفراعنة :

تكفل بأبناء الملوك ورعاية شئونهم عدد من ذوى الألقاب المتميزة .كان منهم المرضعات وربما الحاضنات والمربيات كذلك ، وقد سبق ذكرهن ، ومن اتخذوا ألقاب المربين ، فضلا عمن اتخذوا لقب الإشراف على دور أودوائر الأمراء ، ثم المعلمون . وتدعو المقارنة بين ألقاب من عرفوا من المربين فى كل عصر على حدة ، إلى احتمال أنهم كانوا فريقين : فريقاً يدعو تميز ألقابهم وشهرة شخصياتهم إلى ترجيح قيامهم بالتربية والتثقيف معاً ، وهؤلاء سيفرد لهم مع المعلمين فصل خاص (الفصل الثامن) وفريقاً دونهم ألقاباً وشهرة يحتمل أن تكفلهم بتربية الأمراء ورعاية شئونهم رعاية شخصية كان أوثق من صلتهم بتعليمهم أو تثقيفهم ، وهؤلاء هم من سيتناولهم البحث التالى :

فى الدولة القديمة : يحيط بشئون المربين فى هذه الدولة كثير من الغموض من حيث دلالة ألقابهم ومدى اختصاصهم ، غير أن هذا لا يحول دون استعراض الاحتمالات المتصلة بهم جميعا . فقد عرف من رجالات عصر الأسرة الخامسة ثلاثة على أقل تقدير وهم سانخن وعنخ وانبوحوتب(٢) اتخذوا لقب «آثو» وهو ما يرجح يونكر أنه يعنى «المربى»(٣) . ثم رابع اتخذ لقب مدير المربين وهو «كابوبتاح» وقد ضم اليه

---

(١) Ost. GARDINER, 28 — وراجع ص ٢٩٦ — وانظر ملحق النصوص .

(٢) H. JUNKER, Giza V, 152, 182; VIII 233; IX 159, 266 — also W. HELCK. Untersuchungen zu den Beamtentiteln den aegyptischen Alten Reiches, 1954, 109, Anm. 15.

(٣) راجع ملحق النصوص :

See Wb. I, 23, آث = ; *th* = ein Kind warten, ein Kind aufziehen, Seit Pyr.

آثيت = ; *tjt* = Amme, Seit M.R.

آثو = ; *thw* = Art Beamter, Seit M.R. (but see note 1 above).

آثى = ; *thty* = Urk I, 105, 17.

آ تى = ; *thj* = Giza IX, 159.

ويرى يونكر أن إضافة حرف الواو «w» إلى الأصل آث تجعل منه Partizip präs. act. وأن إضافة « ى » تؤدى نفس المعنى أيضاً . وترادفهما أشبه فى رأيه بترادف الكلمات : مآو = مآ ى ، سباو = سباى =

رئاسة مقر الرضاعة وتعليم أبناء الملك (١). ولم يذكر الثلاثة المربون الأول شيئا عمن تكفلوا بتربيتهم فى القصر أو فيما سواه، ولا يدعو إلى احتمال صلتهم بالقصر وقيامهم بالتربية فيه، غير ما يدل عليه لقب رابعهم كابوبتاح من وجود جماعة فى القصر اتخذوا لقب «آثو» كان يترأسهم.

اتخذ سانخن لقب «آثو» واتخذت زوجته لقب «رئيسة الدار» «اميترا بر» ومن المحتمل أن يكون لقبها هذا مما يعنى إشرافها على دار الأمير أو الأمراء الذين تكفل زوجها بتربيتهم، أو يعنى إشرافها على دار من دور الحريم(٢)، ويرجح الفرض الأول اتخاذ إحدى سيدات الدولة الحديثة لقب «رئيسة دار الأمراء» صراحة (٣).

ولم يذكر عنخ من ألقابه – أولم يتبق من ألقابه – غير لقب المربى «آثو» (٤).

أما انبوحوتب فقد كان له فضلا عن لقب المربى، ألقاب: المقرب إلى الملك، السكرتير، الكاهن المطهر للملك، وكان كاهنا فى أحد معابد الشمس وكاهنا فى معبدى ساحورع ونى وسر رع فضلاعن كهانته للاله انبو فى أطفيح التى يحتمل أنها كانت مسقط رأسه (٥).

واتخذ لقب المربى «آثو» و(آثتى) فى عصر الأسرة السادسة «ونى» (٦) وهو من كان كاتباً وقاضياً ورئيساً للجيش فى حملاته إلى فلسطين ثم حاكماً للجنوب، ومن المقربين إلى بيبى الأول. ولم يذكر «ونى» هذا اللقب لنفسه إلا فى بداية حكم الملك الصغير مرينرع، وقد رتب عليه ترقيته لمنصب حاكم الجنوب وذلك مما يدعو إلى الظن بأنه كان مربيا لنفس الملك الصغير فى أيام أبيه.

فهناك إذن ممن حملوا لقب آثو (بصوره المختلفة) فى الدولة القديمة خمسة، اثنان توحى بساطة ألقابهما

(Giza VII, 233, 236 ; Die Goetterlehre von Memphis, 27 f. =

ويود هرمان كيس أن يرجع اللقب إلى عصر الأسرة الأولى، ويرى أن لقب ثت الذى ورد على لوحة نعرمر هو اختصار للقب آثوتى بمعنى المربى.

H. KEES, in AeZ, LXXXII (1957), 58 f.

(١) HELCK, op. cit. وتراجع ص ٢٥، ٢١٢.

(٢) يتضح من مناقشة تالية (ص ١٠٧) أن لقب رئيس الدار يمكن أن يعنى قيام صاحبه بالإشراف على دار أو بمتلكاتها. وأن تتخذ زوجة سانخن هذا اللقب فتقوم بالعمل الذى اعتاد الرجال القيام به يصعب معه تصور قيامها بالإشراف على ممتلكات غيرها أو إدارتها وإنما الأقرب هو أن تكون مشرفة على دار بمعناها الضيق. ولكن أهى دار الزوجية أم قصر الملك أم دار الربيب الذى تكفل به زوجها؟ يستبعد أن تكون دار الزوجية وإلا لشاع لقبها كما شاع لقب نبت بر بمعنى ست البيت أو ربة البيت ويستبعد أيضاً أن تكون القصر الملكى لأن هذا يصعب تصوره وإنما الأقرب هو ما تقدم ذكره من إشرافها على دار الربيب الذى تكفل به زوجها أو على دار من دور الحريم بالقصر.

ولم يتبق من مسطبة سانخن وزوجته غير لوحة القربان، أى أنه يحتمل أنه كان فى جزء آخر منها ما يفسر اللقبين أو يزيد عنهما. وعلى أية حال فيلاحظ أن من توليهن المناصب من النساء كن على شىء من الأهمية وتراجع لذلك ص١٩٢ وتراجع ص ١٠٥ – حاشية ٧ عن ألقاب مماثلة من نفس العصر ترتبط بكلمة «الدار» أيضاً دون تحديد لمدلولها مثل سمير الدار وكبير الدار ... الخ.

(٣) Theb. Tomb No. 23 (or 26)

(٤) H. JUNKER, Giza V, 152.

(٥) Ibid., IX, 154 f., Abb 76.

(٦) Urk I, 105, 11, 17 ; see, J. WILSON, The Burden of Egypt., 1951, 89.

بأنهما لم يكونا أكثر من موظفين صغار بالبلاط ، أى أنه من المحتمل أن دورهما فى حياة من تكفلا بتربيتهم لم يعد حد الرعاية والعناية . ثم اثنان كان لهما نشاطهما فى البلاط وخارجه ، وكانت لكل منهما كفاياته الخاصة التى يمكن أن يؤثر بها على اتجاه من تكفل بتربيته ، وعلى هذا يكون من المحتمل أنهما لم يقوما بالتربية بمعناها الضيق ، وإنما بالتربية والتثقيف معا . أما الخامس الذى اتخذ لقب الرئاسة فى بقية ألقابه ما يدل على قيامه بالتربية والتثقيف معا ، مع ملاحظة أنه قد ميز بين لقبيه ، لقب المربى ولقب المعلم .

ورأى برنهارد جردسلوف B. Grdseloff فيمن حملوا لقب « ورع » أو « ورعى » من رجالات الدولة القديمة مربين لأمرائها الصغار (١) . ومع ما فى هذا الرأى من شك فلا بأس من استعراضه فى إيجاز .

اعتمد جردسلوف فى رأيه على تقسيم اللقب قسمين : ور بمعنى der Grosse (٢) ، ثم ع أو عى ، بمعنى أمير صغير (٣) . ويرى أن هذه الكلمة الأخيرة قد ظهرت فى العصور المبكرة ثم بطل استعمالها إلى أن ظهرت ثانية فى العصر البطلمى بمعنى « صبى » (٤) . وربط جردسلوف بين تطور هذه الكلمة وبين تطور كلمة أخرى من ذات الأصل كانت تكتب « حعا » (٥) ثم ظهرت فى العصر الصاوى بلفظ « حعو » وبمعنى صبى أيضاً (٦) . وعلى هذا يكون معنى لقب ورعو فى رأيه هو كبير الأمراء أو مربى الأمراء . وقد عرف ممن اتخذوا هذا اللقب فى الدولة القديمة ثلاثة كلهم من عصر الأسرة الخامسة ، وهم : القزم سنب وكان له لقب سمير الدار (؟) كما كان مراقبا للأقزام (المكلفين) بالملابس ، والمراقب الأعلى لقاعات التاج الأحمر ، ورئيسا لمنسج البلاط (٧) . ثم « عنخو » وقد خلف « سنب » فى رئاسة منسج البلاط إلى جانب اتخاذه نفس لقب « ورع » (٨) . ويدعى الشخص الثالث « من كاوكا كاى » وقد ورد اسمه على بردية حسابات من عهد إسيسى (٩) .

وكان يونكر قد اقترح لترجمة لقب « ورعى » ثلاث ترجمات وهى : من ينتمى إلى المحفة ، ومن

---

(١) B. GRDSELOFF, *Notes sur deux Monuments inédits de l'ancien Empire*, in _ Ann. Serv. 1942, 107 f.

(٢) See, K. SETHE, in AeZ, LV, 65 f.

(٣) _ GRDSELOFF, op. cit., 115-17.

(٤) CHASSINAT, Le Temple de Denderah, III, p. 208 1.11.

(٥) _ GARSTANG, Mahasna and Beit Khallaf, pl. 28, 2.

(٦) Pyr. 1105; Louvre C1, 10; See also SETHE LESEST., 82, 4; Urk V, 156,7 (M.K.); Urk. IV, 386, 6 (18 Dyn.).

(٧) JUNKER, Giza III, 211 ; V, 9, 12 f ويرى يونكر أن لقب smr prj غامض الدلالة وأن ثمة فارقا بينه وبين (سمر برعا) الذى يعنى سمير البلاط (V. 17) ويحتمل كيس أن يكون سمير الدار من الاتباع المخصوصين (Kulturgeschichte, 180) أم نفترض أن يكون من خواص العائلة « ؟ » (انظر أيضاً كبير الدار ، وابن الدار ، وأولاد الدار . JUNKER, Giza III 92, 97, 178, 180 Anm. 1 ; VI, 231 ; IX 144 ; Cairo 154 Amarna VI, pl. 33 right ; SEELE, in JNES, 1955, 178 No. 58

(٨) H. JUNKER, Giza V. 130.

(٩) BORCHARDT, Allerhand Kleinigkeiten, 1933, 43 f. (see GRDSELOFF, op. cit., 117, Fig. 21).

يصحب المحفة ، ومن له الحق فى أن يحمل فى المحفة (١) . ثم انتهى إلى تفضيل ترجمة « من يحمل فى المحفة » (٢) دون أن يشير إلى علاقة ما للقب بتربية أو أمراء ، وإنما ألمح إلى الصلة بين حامله وبين رئاسة منسج البلاط ، ورأى جردسلوف فى هذه الصلة مايزكى رأيه على اعتبار أن فيها مشابهة مع ما يلمح اليه فصل من فصول الموتى فى العصر الصاوى من اهتمام مربى الطفل الإلهى « حور » بخزانة ملابسه (٣) .

قد نجد مايزكى رأى جردسلوف عن قراءة هذا اللقب فى تماثل تركيبه مع مثل لقب « خرب شنديت نبت » الكهنوتى (٤) أى المشرف على كل نقبة بمعنى المشرف على كل من يرتدون النقبة ، وهو من الألقاب الرئيسية لكبير كهنة بتاح . فيكون معنى اللقب الذى يترجمه جردسلوف « مربى الأمراء » ه « كبير من (يركبون) المحفة » أى الأمراء كناية عن شرفهم . وعلى أية حال ومع ما يحتمله رأى جردسلوف من شك ، فإنه إذا فرض وكان صحيحاً ، وكان أولئك الثلاثة مربين للأمراء فعلا ، فإنه يكون من المرجح حينئذ أن دورهم فى التربية لم يكن يتعدى العناية بشئون الأمراء دون التدخل فى تنشئتهم علميا إذ أنه لايوجد فى ألقاب أحدهم ما يميزه بعلم خاص أو بمعرفة خاصة* .

وعلى ذات النحو حاول جردسلوف ثانية أن يثبت وجود نظام لتربية الأميرات منذ العصر الثنى يخضع لإشراف دقيق توجهه الملكة ويتكفل به من يتخذ لقب « ورحتس نبوى » بمعنى كبير أميرات (الصعيد بنات) الملك » (٥) ويقدم من حاملى هذا اللقب اثنين ، أحدهما مصور على رأس مقمعة الملك العقرب (٦) والآخر على بطاقة عاجية صغيرة من عهد الملك زر (٧). على أنه مع أن اشراف الأم (الملكة) على تربية بناتها أمر طبيعى ، كما أن توفيق ملوك العصر الثنى فى إرساء القواعد الصالحة لتنظيم شئون البلاد وإدارتها لا يبعد أنه كان مصحوبا بتوفيق مماثل فى تنظيم قصورهم الخاصة وتنشئة أولادهم وبناتهم على أسس مقررة ، إلا أن الأدلة التى يقدمها جردسلوف لقراءة اللقب وتفسيره أدلة غير مقنعة ولا يستقيم معها ظهور أحد حاملى هذا اللقب (على بطاقة زر) يلعب بحلق مستدير أمام الأميرات كأنه بهلوان .

(ب) وفى عصور الدولة الوسطى : عرف المربون فى القصور باسم جديد وهو « منعى » (٨) (فى مقابل الكلمة المؤنثة منعت) . وذكرت وثائق هذه العصور أربعة من حامليه كانوا مربين لأميرات من

---

(١) H. JUNKER, Giza III, 211. (٢) Ibid., Giza V, 13.

(٣) DARESSY, in Rec. de Trav. XVII, p. 19 1.29; Ann. du Serv. I, 180, 1.257; II 100 1.143).

(٤) Berlin I, 84, 317, 362; WEIL, op. cit., 19, 33 (A.R.)
Also, 7, 22, 25-28, 30, 31 b. 32.

*يعبر بعض أهل الجنوب العربى بكلمة « ورع » عن الصبى الذى لا يتجاوز عشر سنوات ، ولو أنه يصعب الربط بينها وبين لقب « ورع » المصرى موضوع المناقشة برباط صريح .

(٥) يعتمد جردسلوف فى هذا على قراءة زيته لرمز حتس hts (Sahure II, 116) ويرى أنها تعنى يكمل ، فى حين يقرأها غيره « إمات » See, Ann. Serv. XXIV I, S. 145; 198 f. ويرى جردسلوف أنها تخص أميرات الصعيد فى حين تدل على أميرات الدلتا كلمة ربوت rpw.t
(See SETHE, Kommentar zu den altaeg, Pyr. IV, 72) ويرى أن كلمة نبوى nbwy يقصد بها الملك .

(٦) QUIBELL, Hierakonpolis, I, pl. 26 c.

(٧) EMERY, The Tomb of Hemaka, pl. 18a, p. 35.

(٨) Wb. II 18, انظر ملحق النصوص .

ألبيت المالك . ويبدو انه كان لهم شيء من الأهمية فى القصر بحيث كان لهم ضلع فى أحداث ومؤامرات حدثت فيه . (١)

(ج) وفى عصور الدولة الحديثة : أضافت المصادر جديدا إلى شئون تربية الأمراء . فمن المربين الذين ذكرتهم من اتخذ لقب « مدير مربى ابن الملك (٢) ودل بهذا على اشتراك أكثر من مرب فى تربية الأمير الواحد . فى حين أن منهم من اتخذ لقب «مربى أبناء الملك» (٣) ودل بهذا على جواز قيام المربى بالإشراف على تربية أكثر من أمير واحد . وأشهر من بقيت أخبارهم من المربين اثنان ، وهما « حقارشو » و «حقار نحح» اللذان قاما بتربية أبناء تحوتمس الرابع (؟).

واتخذ الأول لقب «مربى أبناء الملك» (٤) وصوروعلى ركبتيه أربعة من أبناء تحوتمس الرابع؟ وهم كما يعتقد نيوبرى : أمنحوتب وأمنمحات وعاخبرورع وعاخبركا (؟) رع . واتخذ الثانى نفس لقب « مربى أبناء الملك» (٥) . وإن كان كل منهما قد أكد صلته بتربية «ابن الملك الاكبر» أكثر ممن سواه من إخوته . وقدنشأ هذان المربيان فى البلاط ذاته مما ينم عنه تلقب كل منهما بلقب طفل جناح التربية («خردن كاب » تراجع ص ٢٠١) . وكان أولهما متعلما مما يدل عليه اتخاذه لقب «الكاتب الملكى» ، على أن المهم أنه نعت بأنه « أبوالإله حبيب الإله ومن ربى الإله » وغالباً ما كان يطلق لقب أبوالإله (أى الملك) على غير الكهنة على كل من حمى الملك ومن بلغ لديه سنا تجعله فى منزلة الوالد له (٦) . ولهذا فما من بأس فى أن نتصور أنه أريد بإضفاء هذا اللقب على المربى حقارشو وصفه بكل ما يحمله اللقب من معانى الأبوة الموجهة ، وليس على أنه لقب تشريفى فحسب .

وبرغم هذه الاهمية التى اتضحت للمربى حقارشو ، لا يتيسر القطع له ولزميله حقارنحح بقيامهما بالتربية وحدها أو بالتربية والتثقيف معا ، إذ يدعو إلى شيء من التشكك فى تكفلهما بالتربية والتثقيف معا أنه قد قام بهما من قبل عهد تحوتمس الرابع شخصيات عظيمة توفر لأصحابها شأن كبير فى الحياة العامة فضلا عن شأنهم فى البلاط الفرعونى ، بحيث كان منهم الوزير وحاكم الاقليم والقائد والمهندس العظيم (٧) ، ولهذا نرى ترك أمرهما هنا بغير تحديد .

وارتبط بحياة الأمراء نفر آخر من ذوى الألقاب ومن غير المربين ، وكان منهم من اتخذوا ألقاباً تتعلق بإدارة دور الأمراء أو دوائرهم مثل مدير بيوت (أو دوائر) أبناء الملك «إميرا برومسونيسو» (٨)

(١) K. SETHE, Die Aechtung feindlicher Fürsten, Berlin 1926, 63, 64, 67

(٢) MAR., Cat. d'Abydos, 397. — انظر ملحق النصوص .

(٣) CHAMPOLLION-LE-JEUNE, Notices, 863 b. انظر ملحق النصوص .

(٤) Tomb 226 (Thebes), see, N. de G. DAVIES, in Bull. of the Metr. Mus. of Art, XVIII, Dec., 42. انظر ملحق النصوص .

(٥) P. NEWBERRY, *The Sons of Tuthmosis* IV, in J.E.A. XIV, 82 f., pl. XII

(٦) تراجع ص ١٩٧

(٧) تراجع ص ٢١٥-٢١٦

(٨) أنظر ملحق النصوص — وعن احتمالات مدلول لقب إميرا بر يراجع : A.H. GARDINER, Anc. Eg. Onomastica, Vol. I, p. 27, p. 46.

وقد عرف من حاملى هذا اللقب ستة على الأقل من عصر الأسرة الخامسة (١) ، ومثل لقب « مدير مخصصات أبناء الملك فى مناطق الصعيد » وصاحبه من عصر الأسرة الخامسة أيضاً (٢) . وانتسب إلى الأمراء كتبة « سشو مسونيسو » من الدولتين القديمة (٣) والحديثة (٤) ، وكهنة مطهرون من الدولة القديمة (٥) . وما يعنينا من هذه الألقاب الاخيرة جميعها هو دلالتها على أن الفراعنة كانوا يهيئون لابنائهم وضعا متميزا عن بقية أفراد العائلة وإن راعوا أن يكون هؤلاء الأبناء مشتركين فى هذا الوضع كمجموعة واحدة (٦) وذلك فى صغرهم على أقل تقدير (٧) .

وعلى أية حال ، فإنه ما من شك فى أن تميز الأمراء بوضعهم الخاص الذى أشرف عليه وارتبط به المربون والمشرفون على الدور والدوائر (فضلا عن المعلمين) ، لم يكن يعنى بعدهم عن إشراف أبويهم أويحول دون صلاتهم بهم . وإذا كان وقار الملكية قد قلل من تصوير الجانب الشخصى من هذه الصلات ، فإن فيما تبقى منها وفيما أتت به النقوش والقصص ما يدل على أن من الفراعنة من كان يتتبع كل صغيرة وكبيرة من شئون تربية ولده حتى وهو على البعد منه (٨) ، ومنهم من يسامر أبناءه الشبان فى جلساته العائلية ويستمع منهم (٩) ، ومنهم من يكون أولاده إلى جواره حين مثول كبار الشخصيات لديه (١٠) ، ومنهم من يصطحبهم معه لتفقد المنشآت (١١) وفى الحفلات الكبرى (١٢) وفى الصيد (١٣) ، ومنهم من يستدعى حفيده إلى ديوانه ويقدمه إلى رجاله (١٤) . وذلك فضلا عن ارتباط الأمراء فى غالب الأحيان بوظائف تشريفية تتصل بخدمة آبائهم الملوك .

---

(١) Urk. I, 55, 11. A ABU BAKR, Excavations at Giza, 1949-1950, Cairo, p. 31. pl. XX ; L.D.II, 53a ; MAR., Mast. D 27 ; D 28 ; H. JUNKER, Giza III Abb 14-16 ; 31 ; S. 175-6 ; see also W, HELCK, Untersuchungen zu den Beamtentiteln... 109 Anm. 15.

(٢) Cairo, 1563 انظر ملحق النصوص

وعن لقب آخر ترجح صلته بدوائر الأمراء . Cairo 1717 and Berlin 11664 أنظر النصوص

(٣) A. ABU BAKR, op. cit. ; PETRIE, in Anc. Egypt., 1926, No. 59

(٤) Cairo 1568. – انظر ملحق النصوص .

(٥) R. ENGELBACH, Suppl. to Topogr. Cat., Cairo 1924, No. 258 وانظر النصوص

(٦) تراجع كذلك ص ٢١٥ ، ص ١٠٢

(٧) وجد من الأسرة الرابعة من اتخذ لقب إميرا بر للأمير كاوعب بن خوفو مما يعنى انفراده بوضع خاص . L.D. II, 26 b.

See also, Leiden D 43 ; A. ERMAN, Die Lit..., 55, 56, 73 ; W. MAX MUELLER, Die Liebespoesie..., S. 5 ; AeZ XXXI, 125.

(٨) ص ١٠٠

(٩) A. ERMAN, op. cit., 65 f., 67 f., 69 f.

(١٠) H. KEES, op. cit., 184 ; A. ERMAN, op. cit., 54.

(١١) Urk. I, 41, 8.

(١٢) Ed. MEYER, Geschichte des Altertums, I Bd. 208 ; H. KEES, Der Opfertanz des aeg. Konigs, Kap. IV ; BRUGSCH, Thesaurus, 1190 f.

(١٣) A. ERMAN, H. RANKE, Aegypten, 273 ; Chronique d'Egypte, 1938, 236

(١٤) F.L. GRIFFITH, Stories of the high priests of Memphis, Oxford 1900, p. 147, 1.3.

الفصل الخامس

التربية البدنية

للرياضة بما فيها من عوامل الحركة والكفاح والمتعة أثر مزدوج فى تكوين الناشئ بدنياً وذهنياً . ولا تذكر الرياضة بهذا التحديد إلا ويذكر معها ما أضفته على التربية الإغريقية من حيوية بالغة حينما اتخذها الاغريق دعامة أساسية من دعائم برامجهم التربوية . وقد قدرت العقلية المصرية كثيراً من فروع الرياضة كما قدرت غيرها من صنوف الفنون من قبل أن يأخذ الاغريق بها بآماد بعيدة . لولا أن إثبات القصد التربوى فى تقدير المصريين للرياضة على نحو ما أصبح عليه أمره لدى الإغريق لازلنا نقيمه على الظن فى ضوء المصادر المصرية المعروفة ، ولو أن هذه المصادر فى الوقت ذاته لا تنفيه . وعقد هذه المقارنة القصيرة بين رياضة الإغريق ورياضة المصريين يستدعى التنويه بأن الإغريق أنفسهم لم ينكروا القصد التربوى فى رياضة المصريين وإنما أشادوا به ، ومن ذلك ما ذكره ديودور الصقلى عما تناهى إليه من أن الملك المصرى سيزوسيس (سنوسرت الثالث ؟) قد نشئ معه مواليد يومه من أبناء الشعب على حد متساو من حرية إعلان الرأى ، وأنهم كانوا يدربون برياضة ومشاق لا تنقطع ، بحيث لم يكن يسمح لأحدهم بتناول طعامه من قبل أن يكون قد قطع عدوا مائة وثمانين ستادا ! (١)

وما أتت به المصادر المصرية عن الألعاب الرياضية يتميز فيه ، مع شىء من التجوز فى التحديد ، ماكان يمارسه الصبية والتلاميذ ، وما كان يمارسه المحترفون والعسكريون .

وليس من شك فى أن الألعاب الجماعية تظل أكثر أثرا فى نفس الصبى أو الفتى وتكوينه من الألعاب الفردية ، غير أن نجاح هذه الالعاب الجماعية يتطلب شرطين أساسيين ، وهما : قبول رب الاسرة لاتجاه أبنائه إلى ممارستها واختلاطهم بغيرهم ، ثم توفر المكان المناسب لها ، وذلك فضلا عن شرط ثالث سنتعرض له فيما بعد وهو وجود قواعد لها تجرى بمقتضاها .

ويدل على تقبل رب الأسرة المصرى لاتجاه أبنائه إلى الرياضة الجماعية ، مالم يكن بحاجة إليهم فى كسب معاشه ، رضاه بتصويرهم يلعبون مع لدانهم فى مناظر مقبرته . فقد أتت بعض مساطب سقارة من الدولة القديمة بعدد من مناظر رياضية تضم مجموعات من الصبية (٢) ، كما أتت بعض مقابر بنى حسن من الدولة الوسطى بعدد آخر من مناظر رياضية تضم مجموعات من الفتية ومجموعات من الفتيات . (٣) ولم تأب التعاليم المكتوبة فى الوقت ذاته اختلاط الصبى بغيره ، وكان من ذلك أن قال

---

(١) Diodorus, 53.

(٢) تراجع ص ١١٢

(٣) ص ١١٣ - ١١٤

خيبى بن دواوف فى تعاليمه لولده أن « صادق شخصا من أبناء جيلك (أى من سنك) » (١) وإن كان قد دعاه فى الوقت نفسه إلى الابتعاد عن الدهماء (٢) .

وتمارس الألعاب الجماعية داخل الدور أوخارجها . وكانت أكثر دور السراة المصريين من السعة بحيث تتيح لأبنائها ممارسة نشاطهم وألعابهم فيها . ويبدو ذلك منذ عصور الدولة القديمة ، فقد بلغت مساحة قصر « متن » الذى عاصر أواخر عصر الاسرة الثالثة وأوائل الأسرة الرابعة « مائتى ذراع طولا ومائتى ذراع عرضا » أى نحو عشرة آلاف متر مربع . وكانت هذه المساحة تتضمن حديقة متسعة ذات « بحيرة عظيمة جدا » (٣) . وفى عصور الدولة الوسطى كان من بيوت نبلاء الريف ما يضم سبعين غرفة ودهليزا ، وينفصل فيه جناح الحريم عن جناح الرجال ، وتنفصل فيه مساكن الخدم عن بقية الأجنحة (٤) ، وذلك مما يعنى الاستمرار على إيثار السعة الكبيرة ، ثم زادت سعة بيوت الاثرياء فى الدولة الحديثة كما زادت سعة حدائقها وتناثرت فيها الجواسق والبحيرات (٥) .

وإلى جانب ما اتصفت به البيوت العائلية المصرية من السعة ، فقد كان فى المدن منها ما يتسامى إلى ثلاثة طوابق يعلوها سطح متسع ذو شرفات وأعمدة (٦) . ومعنى ذلك كله هو أن البيوت المصرية الثرية باتساع أفنيتها وحدائقها فضلا عن أسطحها كانت مهيأة لان تتيح لابنائها كثيراً من فرص المرح وممارسة صنوف الالعاب (٧) ، كما أن كثرة غرفها (٨) وتعدد الطوابق فى بعضها كلاهما يوحى بانها كانت بيوتا عائلية بالمعنى الواسع ، بحيث لا يضم البيت منها أبناءه الصغار وحدهم ، وإنما أبناءه المتزوجين بعائلاتهم أيضاً (٩) . (وربما كان فى ذلك بعض ما يفسر كيف جمعت مناظر المقابر والنصب بين الاب والجد والحفيد ، وبين الاولاد وزوجاتهم وأمهات زوجاتهم أحيانا) . وهذه الحياة العائلية الواسعة كانت مما يستطيع أن يكفل للطفل أو الصبى لدانا من سنه من بين أقربائه يزاملهم فى ألعابه ، ومجتمعا متنوعا يتعامل معه ويتعلم منه أكثر مما يستطيع صنوه فى الاسرة المحدودة من الاب والأم والولد . وقريب من هذا كان شأن الصبية اللاعبين الذين صورتهم مناظر مسطبة بتاح حوتب من الدولة القديمة ، إذ بلغ عددهم ستة على الاقل إن لم يكونوا اثنى عشر ، فى حين أنه لم يعرف لبتاح حوتب غير ولدين ذكر اسم احدهما

---

(١) Pap. Anast. VII, 7, 1 —Sall. II, 11, 1. — وانظر ملحق النصوص .

(٢) Pap. Sall. II, 10, 7.

(٣) Urk. I, 4.

(٤) See, ERMAN, RANKE, Aegypten, 199.

(٥) WRESZ, Atlas I, 92, 278; L. KLEBS, Die Reliefs..., III, 23 f.

(٦) N. de G. DAVIES, The townhouse in Ancient Egypt. (Metr. Mus. Studies 1929) Figs. 1, 6; C. DESORCHES, *Un modèle de maison citadine du Nouvel Empire,* in Rev. Eg., 1938, Fig., 3.

(٧) WRESZ, Atlas, I, 27; 172; A. ERMAN, Die Lit., 210.

(٨) فضلا عما سبقت الإشارة اليه عن قصور النبلاء أو السراة ، انظر عن منزل مدنى بطابقه الأول ٧ نوافذ وله طابق ثان وسطح . DAVIES, op. cit., Fig. 6.

(٩) See also, Kahun Pap., pl. IX, p. 19 f.; ERMAN, Aegypten, 199, Anm. 5.

ضمن اللاعبين . ويدعو إلى ترجيح قيام هؤلاء الصبية باللعب داخل الدار أنهم قد صوروا عراة جميعا وبالجدائل المميزة لحداثة السن فى غير حرج (١) .

وشتان بطبيعة الحال بين ما كفلته البيوت الثرية لابنائها فى هذا السبيل وبين ما كانت تستطيعه البيوت الفقيرة . فهذه الاخيرة تصورها الرسوم والآثار فى الدولة الوسطى وطيئة ضيقة ، يجمع طابقها الوحيد بين الفناء والحظيرة وبين الحجرة أو الحجرتين(٢) لصاحب الدار وعائلته التى كانت تتزايد باستمرار . وفى البيوت الاكثر رخاء من هذه طابق ثان توجد به غرفة أو عدة غرف تخصص إحداها للنوم (٣) . ويغلب على الظن أن بيوت الريفيين والعامة ظلت كذلك طوال عصور مصر القديمة . وتألفت أطلال مساكن العمال من الدولة الوسطى فى اللاهون من بيوت ضيقة متلاصقة يجتمع نحو المائتين إلى المائتين والخمسين بيتا منها فى مسطح لا يتجاوز ٢٤٠ × ١٠٥من الأمتار (٤) ،ولا تكاد بيوت العمال فى دير المدينة أيام الدولة الحديثة تختلف عنها فى شىء كثير. فهذه البيوت الضيقة المتلاصقة ونحوها للفلاحين والعمال وأمثالهم لم يكن من شأنها بطبيعة الحال أن تتيح لابنائها ممارسة نشاطهم فى اللعب الجماعى بها على النحو الواسع الذى كان يتاح لأبناء البيوت الثرية ، ولم يكن من سبيل أمام أبنائها فى الغالب غير اللعب فى الازقة كما يفعل أضرابهم حتى اليوم ، أو فى الحقول حيث يظهر منظر طريف لاربعة منهم عرايا يساعد بعضهم بعضا على تسلق النخيل (٥) ، أو يكون لعبهم بين الاطلال القديمة على نحو ما ذكر كاتب إغريقى أنه قرأ فى متون تجديد معبدالقوصية عبارة تقول «وحينذاك لعب الاولاد بين أطلال المعبد » (٦)

وتحتمل ممارسة الصبية المصريين لالعابهم الرياضية الجماعية خارج الدور بالنسبة إلى التلاميذ فى المدارس . فثمة ثلاثة متون مصرية يحتمل معها وجود ساحات للعب كان تلاميذ المدارس يختلفون إليها ، وإن كنا لا نبلغ بهذا الاحتمال حد اليقين . والمتن الاول عبارة عن رسالة وجهها معلم إلى تلميذه ودعاه فيها إلى التفرغ للكتابة والقراءة قائلا « لاتصرف ذهنك لساحة الملعب (؟)ودع الرمى ظهريا والقذف(؟) واقض يومك تكتب بأصابعك واقرأ بالليل » (٧) والمتن الثانى رسالة مماثلة يقول المعلم فيها « إن ما أعلمه لك ليس فى ذهنك ... ، وإنما (أنت) وساحة الملعب (؟) فى مواجهتك دائما كالفرخ من خلف أمه » (٨) فهل كانت ساحة الملعب هذه التى تذكرها الرسالتان ساحة منظمة تمارس فيها عدا لعبتى الرمى والقذف بقية أنواع الرياضة ، ولها صلة ما بمدرسة ، أم كانت مجرد أرض فضاء يستغلها التلاميذ

---

(١) PAGET, Ptahhotep, pl. XXXIII.

(٢) F. PETRIE, Gizeh and Rifeh, pl. XV ; PETRIE, Egyptian architecture, pl. XXIV, 123, 124, 126 ; Q. QUIBELL, El-Kab, pl. V., 4.

(٣) PETRIE, Gizeh..., pl. XV, 86 ; Eg. arch., pl. XXIV, 125 ; XXII, 116.

(٤) ERMAN, RANKE, Aegypten, 197.

(٥) PETRIE, Kahun, Gurub..., pl. XVIII, 35.

(٦) Speos Arthemidos, l. 16 ; See G. FOUCART, in Hasting's Encycl., III, p. 536.

(٧) Pap. LANSING, 2, 1 ; O.D.M., 1031, 1.4 ; A.M BLACKMAN and T.E. PEET, in J.E.A. XI, 285. – (وانظر ملحق النصوص) .

(٨) Pap. Lansing, 8, 4 ; Pap. Turin D 2, 6 f. ; BLACKMAN and PEET, op. cit., 291. وانظر ملحق النصوص) . وقد تكون اللعبتان لقذف البومرانج ورمي العصي مثلا – وانظر ص ١١٢

من تلقاء أنفسهم للعبهم الخاص بجوار مدرستهم ولهذا حاول المعلم أن يصرف تلميذه عنها ؟ فى المتن الثالث بعض الإجابة على هذا ، وهو عن قصة «الصدق والبهتان» وتحكى عن ولدها حور انه « ألحق بالمدرسة فتعلم أن يكتب جيدا جدا وكان يمارس كل فنون النزال وتفوق على أقرانه الكبار الذين كانوا بالمدرسة » (١) والاقرب إلى ترتيب عبارات هذا المتن أن فنون النزال ، التى ربما لم تكن أكثر من الرياضة بالنسبة للطالب الناشئ إلا إذا كانت مبارزة مثلا ، كانت تمارس فى المدرسة ذاتها وبصورة جماعية . ولو تأكد ذلك لكانت ساحة الملعب التى ذكرتها الرسالتان السابقتان ذات صلة بمدرسة كذلك .

أما عن ألعاب الصبية ذاتها فقد احتفظت مناظر بتاح حوتب ومرروكا بعدد مما كان معروفا منها فى الدولة القديمة ، وبعضها يمكن ان يقارن بما أتت به مناظر بنى حسن من الدولة الوسطى . فمن مناظر بتاح حوتب (٢) :

١ — مباراة بين اثنين لاقتلاع أداة أو أداتين مدببتين رشقتا فى كتلة خشبية مستطيلة ، وقذفها بعيدا بضربة سريعة ، وقد أمسك كلاهما بعصا فى كل يد وتهيآ للضرب فى آن واحد . ثم صورت نفس اللعبة فى بنى حسن (٣) بما يوحى بلعبها بطريقتين أخريين إذ رشقت أداة طليقة فى الكتلة الخشبية ورشق احد المتبارين عصاه المدببة بحيث تقاطعها وظل ممسكا بها فى يده بينما تهيأ زميله بعصويه ليضرب مما يعنى أنهما كانا يشتركان فى اللعب فى وقت واحد ، أولهما عليه أن ينزع عصاه من قبل أن يمسها زميله ، والثانى يحاول ان يضرب الاداة المرشوقة وعصا زميله معا فيلقيهما بعيدا يمنة أو يسرة باحدى عصويه . وفى المنظر الثالث يشترك ثلاثة ، يقف اثنان منهم متقابلين ويرشق كل منهما عصاته المدببة فى الكتلة الخشبية ويظل ممسكا بها ليتزعها سريعا من قبل أن يمسها اللاعب الثالث بعصاه . وقد سميت اللعبة فى مسطبة بتاح حوتب بإسم تصعب ترجمته .

٢ — اثنان يجلسان على الارض ويخلف كل منهما وضع احدى ساقيه عن الاخرى ويشدهما فى قوة .

٣ — لعبة للقفز البسيط سميت بما قد يعنى «نعجة اللى فى الارض» (٤) أو هى ما يسمى الآن لدى الصغار « خطى الأوزة » أو « خزالاوزة » (٥) يجلس فيها صبيان متقابلان وقد وضع كل منهما إحدى قدميه الممدودتين فوق الاخرى ووضع كفيه فوقهما فى وضع قائم ثم يتتابع اللاعبون للقفز . ومما يلاحظ فى مسطبة بتاح حوتب أن واحداً من المشتركين العراة فى هذه اللعبة قد وضع شريطا ضيقا على كتفه بحيث يعترض صدره ، فهل كان هذا الشريط مكافأة للفائز ؟ أم كان تصويره عن محض مصادفة غير مقصودة ؟

٤ — لعبة وقف فيها ثلاثة أولاد جنبا إلى جنب وصعد رابعهم ليتنقل على اكتافهم معتمداً على يديه وقدميه بما يشبه بعض تمارين الجمباز الحالية (لوحة ٢٢) . (٦)

---

(١) انظر ملحق النصوص .
Pap. Chester Beatty II, Art. 4, 7, f.

(٢) R.F.E. PAGET and A.A. PIRIE, The tomb of Ptah-hetep, pl. XXXIII.

(٣) P.E. NEWBERRY, Beni Hassan, Vol. II, pl. VII.

(٤) See GRFFITH by PAGET, PIRIE, op. cit., p. 27; A. ERMAN, Reden, Rufe, 59.

(٥) Z. SAAD, Khazza Lawizza, Ann. du Serv. XXXVII, 212 f.

(٦) See also WRESZ, Atlas I, 22.

٥ — لعبة اشترك فيها ستة ، وقف اثنان منهم فى محورها وأمسك كل واحد منهما بيدى زميلين له مائلين عنه على جانبيه ، ويعتمد هؤلاء اللاعبون جميعا على الأعقاب فقط ويدورون عليها فى شبه حلقة ، وقد كتب بجانبهم «دوروا ثلاث (؟) مرات» (١) .

٦ — سبعة يبدون وكأنهم قد أتوا من شوط طويل يسوقون واحدا منهم كأنما هو أسير قيدت يداه خلف ظهره بحبل يمسكونه ، وفوقه عبارة قد تعنى «أتى الداعى (؟) فاستمع إلى رغبته» (٢) ، أو «أتى الداعى ؟ المطيع لهواه» (٢) . ولدى مرروكا منظر شبيه به يزيد عن هذه الجملة عبارة « وسيرى الغير (مقدار) فزعه » (٣) وذلك مما يقربها إلى ما يسميه الصغار الآن « عسكر وحرامية » .

٧ — مباراة للمصارعة سيأتى تفصيلها فى صفحة ١١٥

وزادت مناظر مسطبة مرروكا عن هذه الألعاب مباراة يتجاذب فيها فريقان متقابلان ، يتألف كل فريق من ثلاثة يمسك كل منهم زميله من الخلف فى حين يجذب مقدمهم يدى مقدم الفريق الآخر (٤) .

ثم زاد عن هذه الألعاب فى مناظر بنى حسن من الدولة الوسطى :

١ — غلام يقف على رأسه رافعا ساقيه إلى أعلى فى استقامة كاملة وبغير أن يرتكز على يدية (لوحة ٢٥)

٢ — اثنان يؤدى كل منهما تمرينا للف الجذع الأعلى فى شدة وتتشابك يداه خلف رأسه (لوحة ٢٦)

٣ — اثنان متقابلان بينهما طوق ، وبيد كل منهما عصا نهايتها معقوفة يسلكها فى الطوق بحيث تتشابك مع عصا زميله ويقف مترقبا ، وقد يتم أداء هذه اللعبة التى سميت «محا ؟ » (٧) بأن يحاول كل منهما أن يخلص عصاه ويجذب بها الطوق قبل زميله ، مما قد يشبه لعبة البولو الإغريقية لولا أن الأخيرة كانت تلعب بالكرة .

٤ — اثنان يجلسان أرضا متظاهرين وقد بسط كل منهما ساقيه أمامه وأطبق قبضة وبسط الاخرى ، وهما بالنهوض ، مما قد يعنى أنه تسابق للوقوف دون الاعتماد على الأيدى ، أو ما ماثل ذلك (لوحة ٢٤) .

٥ — منظر يجمع بين خمسة صبية أو فتية يميزهم زى موحد يتمثل فى نقبة قصيرة مخططة محبوكة على الخصر وأشرطة عريضة على المعصمين ورسغى القدمين ، وذلك مما لا يكاد أن يفترق فى شىء عن الزى الرياضى الحالى (لوحة ٢٩) وأطرف أوضاعهم ذلك الانحناء الذى يتخذه أحدهم معتمدا بكفيه جميعهما على ساق واحدة دافعا الساق الأخرى إلى الخلف ، بينما يعتلى ظهره آخر ويقف عليه منتصبا فى زهو باسطا ذراعيه إلى الجانبين وكأنما هى إشارة النصر . وفى اعتماد المنحنى بكفيه على ركبة واحدة

---

(١) See also, Beni Hassan, II, pl. XIII.

(٢) PAGET, Pirie, op. cit., 29.

(٣) A. ERMAN, op. cit., 60 ; B. GUNN, Studies in Egyptian Syntax, p. 13 (No. 77).

(٤) Mereruka, A-13 ; see also, WRESZ, Atlas I, 23 ; 27 ; but compare GRIFFITH, op. cit.

(٥) Mereruka A 13.

(٦) Beni Hassan, II, pl. XVI.

(٧) Ibidem.

ما يخالف ما يتبعه لاعب اليوم حيث يعتمد على ركبتيه جميعا وتكون قدماه متجاورتين ، ويبدو أن الوضع المصرى كان أوفق إذ يتيح للشخص الواقف مساحة طويلة من ظهر زميله المنحنى . واتخذ كل من الثلاثة الآخرين وضعا معينا يبتغى به اكتساب الرشاقة أو إظهار الرشاقة فاتخذ أحدهم وضعا كلاسيكيا رشيقا اعتمد فيه على ساق واحدة ودفع ساقه الأخرى إلى الخلف ، وبسط يده اليمنى فى شدة إلى الامام وأرسل يده اليسرى فى شدة إلى الخلف ، وانثنى الرابع ببدنه إلى الخلف لينحنى فى نصف دائرة ووقف الخامس رافعا ذراعيه إلى أعلى كأنه الحكم أو كأنه تهيأ لوضع خاص ليكمله المصور. وحضر هذا العرض أربع فتيات أمسكت إحداهن بقلادة لتكون جائزة لاحسن اللاعبين . (١) . وحضور الفتيات قد يعنى أن العرض كان مما يجرى فى بيوت السراة بين أبنائهم وبناتهم وليس فى أماكن عامة .

٦ — عدة طرق للعب الفتيات بالكرة ، منها البسيط الذى تقف فيه خمس فتيات فى صف يتطلعن إلى سادسة تمسك كرة بيدها وكأنها تحاورهن من قبل أن تقذفها إلى إحداهن ، وطريقة أخرى تعتلى فيها بنتان ظهرى زميلتيهما ثم تتقاذف الراكبتان بثلاث كرات صغيرة فى حركات سريعة متلاحقة حتى إذا فشلت إحداهما فى تلقف إحدى الكرات نزلت عن ظهر صاحبتها لتعتليها هى . وطريقة ثالثة لأربع فتيات أيضا فى أوضاع أقل وضوحا مما سبقها إذ تلعب كل منهن على انفراد وبطريقة مخالفة لطريقة صويحباتها ، فتلعب الأولى بثلاث كرات تقذفها إلى أعلا وتتلقاها بكفيها مجتمعتين فى سرعة وتتابع ، وتلعب الثانية بثلاث كرات أيضا ولكن بيدين منفرجتين ، وتلعب الثالثة بكراتها الثلاثة وقد خالفت اتجاه يديها بحيث تتقاطعان على صدرها . أما الأخيرة فتلعب بكرة واحدة (لوحة ٢٨)(٢) .

ويوجد بالمتاحف أعداد كبيرة من كرات اللعب المصرية ، ويرى W.C. Hayes أن ماوجد منها فى مقابر الأسرة ١١ فى طيبة يشبه إلى حد كبير الكرات المصورة فى مناظر بنى حسن (٣) . وكانت هذه الكرات تتخذ من ألياف البردى أو ألياف النخيل أو من قش الشعير ثم تكور ويخاط عليها بقطعتين من الجلد تكون كل منهما بشكل نصف الدائرة ، أو بأربع قطع تكون كل منها بشكل ربع الدائرة ، أو بشرائح طولية تخاط مع بعضها بالطول . وقد يكون الجلد مدبوغا أو غير مدبوغ ، وقد يكتفى فيه بلون واحد ، أو تكون قطعة من ألوان زاهية مختلفة . ووجد من الكرات ما صنعت طبقته الخارجية من شرائح البردى المجدولة دون غطاء الجلد (٤) . ويبدو أن احتفاظ لعبة الكرة « الشراب » حتى الآن بألفاظ مصرية قديمة مثل سنو (بمعنى اللعبة الثانية) ، وخرى (بمعنى إلى أسفل) ، ودأو (بمعنى اللعبة الخامسة) يدل على أنها كانت تلعب بطريقة تشبه طريقة لعبها الآن . (٥)

---

(١) J.G. WILKINSON, A popular account of the Ancient Egyptians, London 1854, Vol. I, Fig. 203.

(٢) Beni Hassan, II, pl. IV. also pl. XIII.

(٣) W.C. HAYES, The Sceptre of Egypt, 195, p. 251.

(٤) يحتفظ المتحف المصرى فى الحجرة رقم ٣٤ بأمثلة من هذه الأنواع جميعها ، فضلا عن كرات أخرى من الخزف الملون .

(٥) G. SOBHY, *Miscellanea*, in J.E.A., XVI, p. 34.

وربما رجعت لعبة الحكشة المصرية الباقية فى الريف حتى الآن ، وتلعب بمضربين طويلين من جريد النخل وكرة من الليف المضغوط ، إلى العصور الفرعونية .

الرياضة العنيفة : صورت المناظر والمتون المصرية ألعابا رياضية يتطلب أداؤها الجهد والمرين والمهارة معاً . والقائمون بهذه الألعاب فى المناظر المصرية يحتمل أن كان منهم المحترفون ومنهم العسكريون ، على أن هذا لا يعنى قصرها عليهم دون سواهم ، فالصغار مقلدون للكبار بطبعهم وقد صوروا يؤدون بعضها بالفعل . وأهم أنواع هذه الرياضة حمل الأثقال والقفز الطويل والمصارعة والتحطيب والعدو والتجذيف وربما الملاكمة أيضا .

فمن أساليب حمل الأثقال التى عرفها رياضيو الدولة الوسطى محاولة رفع غرارة مملوءة بالرمل إلى نحو ثلاثة أرباعها بيد واحدة إلى أعلى والاحتفاظ بها فى وضع شبه رأسى (لوحة ٣٧) (١)

وصور منظر من عصر الدولة الوسطى قفزة طويلة رائعة يقفزها فتى على امتداد ظهر ثور واقف أى فيما بين مؤخرته وبين قرنيه فى حين أمسك بقرنى الثور وأرجله ومؤخرته خمسة من زملائه لإجبار الثور على وضع ثابت لا يؤذى اللاعب حين يقفز فوقه (لوحة ٣٦) . (٢)

وتصور رياضة المصارعة مناظر من الدولة القديمة والدولة الوسطى والدولة الحديثة ، ويؤديها فى الأولى صبية من الطبقة الراقية ، وفى الثانية فتية قد يكونون محترفين ، وفى الثالثة فتية مجندون ، وذلك مما يعنى أنها كانت رياضة أثيرة شائعة . وقد صور صبية الدولة القديمة فى مسطبة الوزير بتاح حوتب ومن بينهم ولده آخت حوتب وذلك فى ستة أوضاع متمايزة (٣) . وقد لا يتيسر تأكيد أن المشتركين بهذا كانوا اثنى عشر ، فقد يكون منهم أزواج كرروا فى أوضاع مختلفة ، وإنما يمكن أن نؤكد من ناحية أخرى أنهم ليسوا زوجا واحدا مكررا فى ستة أوضاع إذ تشير بقية مناظر المسطبة إلى اشتراك ستة منهم على الأقل فى ألعاب أخرى. وقد صور هؤلاء اللاعبون عراة كما تقدم وبجدائل الشعر مما ينم عن حداثتهم (لوحة ٣٠) ومع بساطة الاوضاع التى صور عليها هؤلاء الصبية ، فهى أوضاع رتيبة منظمة ، وذلك مما يعنى أن أصولها الخشنة بدأت فى عصر أقدم من عصرهم ثم تدرجت وتهذبت وسهلت إلى الحد الذى شجعهم عليها على الرغم من حداثة أعمارهم . وكان فى تصوير ابن الوزير فى هذه المجموعة من الصبية ما يعنى أن أهل الطبقات العليا لم يكونوا يأبون رياضة المصارعة لابنائهم سواء عن وعى تربوى أم عن حب الابناء لها رغم عنفها .

وثمة مناظر أخرى لمصارعة الغلمان فى أواخر الدولة القديمة ، ظهر فى أحدها أربعة غلمان عراة داخل جوسق رحب وقد ألقى أحدهم خصمه على الأرض فنادى وهو على وشك الانكفاء على وجهه «خلصنى منهم يا للى معايا » فأقبل عليه زميله قائلا « أنا جاى لإنقاذك » ، بينما وقف الآخران داخل الجوسق يرفع كل منهما يمناه ويرسل يسراه .ويحتمل هذا المنظر أكثر من تفسير واحد ، فهو قد يكون مباراة مصارعة يحكمها حكمان من الصبية ، وقد يكون مشهدا تمثيليا استعان الصبية بالمصارعة على أدائه . وظهر خارج الجوسق صبيان يتساران وقد وضع كل منهما يده على كتف الآخر فى مودة طريفة (٤) .

(١) Beni Hasan, vol. II, pl. VII. (٢) Ibid., pl. XXXI.

(٣) PAGET-PIRIE, op. cit., pl. XXXIII, p. 29; and *compare for other scenes :* Jr. BREASTED, Egyptian servant statues, 1948, 81; Chicago Or. Inst. 10639.

(٤) S.W. SMITH, A. History of Eg. Sculpture and Paintings, Fig. 211. see also Brit. Mus. Inscriptions, VI, pl. 17; WRESZ., Atlas, I, 27, 1052; MOHR, Jaarbericht, II, Nr. 7 (1940), 535 f, 559.

أما مصارعو الدولة الوسطى فقد صورتهم أربع لوحات على الأقل فى مقابر بنى حسن(١) مما يدل على اهتمام خاص برياضتهم . وبلغت أوضاع هذه الرياضة فى إحدى لوحات المقابر ٢١٩ وضعا لايتشابه وضع منها مع الآخر أوعلى الاقل قلمايتشابه وضع منها مع الآخر(٢) . وتعدد هذه الأوضاع وإن كان يشهد من ناحية بأصول وقواعد تفصيلية للمصارعة لابد وأنها كانت تعلم ، فإنه يشهد من ناحية أخرى للفنان الذى صورها بجلد وافر وشغف بالغ بها ، وربما كانلصاحب المقبرة نصيب من دراستها أو الشغف بها أيضا . وجدير بالذكر أن ثمةاختلافات بينة بين أوضاع اللعبة فى كل مقبرة وأخرى . ويبدو اللاعبون فى هذه المناظر فى سن الشباب يتمنطقون حول الحصر بمايشبه الحبل المجدول الذى قد يكون لشد الحصر(٣) (إن لم يكن لستر العورة ؟) وذلك مما يميزهم عن الصبية المصارعين لدى بتاح حوتب ، ويحمل على الظن بأنهم كانوا من المحترفين أو الأتباع المدربين (لوحة ٣١) (٤) .

أما ما يعرف من مناظر المصارعة فى الدولة الحديثة فقد صورفى مقبرة مرى رع (الثانى) بالعمارنة ، (٥) وفى المقبرة رقم ١٩ بطيبة (٦) ، وفى معبد الرمسيوم ، وتحت شرفة الملك فى معبد حابو (٧) وعلى لخاف جيرية صغيرة(٨) فضلاعن مجموعتين من التماثيل الصغيرة تمثل كل منهما متصارعين (٩) وتتميز المناظر الكثيرة السابقة بأنها كانت تجرى بحضور الفراعنة فى مناسبات النصر الحربى أو تلقى الجزى ، مما يدعو إلى الاعتقاد بأنه كان يقوم بها شبان عسكريون(١٠) . كانت المصارعة اذن فى عصور مصر الفرعونية جميعها رياضة أثيرة لها جديتها ولها قواعدها المقررة ، وتوضح مناظر الدولة الوسطى والدولة الحديثة هذه القواعد فى شىء من التفصيل ، وقد تعرض لبحثها J.A. Wilson بمعاونة أحد الرياضيين .

تبدأ المباراة بأن يشد كل لاعب على يد منافسه بيسراه ويجذب عنقه بيمناه ، وما زال هذا التقليد ساريا إلى اليوم ويهدف إلى أن يتبين كل من المتبارين قوة غريمة (١١) . وكان يشترط للفوز أن يجبر المغلوب على لمس الأرض بثلاث نقط مثل اليدين والركبة وذلك ما أخذت به المصارعة الاغريقية فيما بعد ، ويتساوى إن كان المغلوب قد انكفأ على بطنه أم ألقى على ظهره أو تمدد على جنبه (١٢) . (لوحات ٣٢ — ٣٥)

---

(١) Beni Hassan, vol. I, pls. XIV — XVI; vol. pl. V, XV, XXXII.

(٢) Beni Hasan, II, pl. V.

(٣) Ibidem

(٤) Ibid., pl. XXXII. *See* for statuets of wrestlers from The First Interm. Period: VON BISSING, Denkmaeler, Abb. 29; Munich Inst. Inv. 1960. L. KLEBS. Die Reliefs, II, 151 f; V. WILSDORF, Ringkampf im Alten Eegypten, 13 f.

(٥) N. de G. DAVIES, Amarna, II, pl. 37, 38, p. 40.

(٦) N. de G. Davies, in Metr. Mus. Bull., Dec. 1923, p. 51.

(٧) WRESZ., Atlas, 158, 158a.

(٨) Cairo 25132; 25139.

(٩) Brit. Mus. 24701 (Budge, Guide 1904, p. 81); J. COONEY, Egyptian Art in the collection of A. Gallatin, New York 1953, pl. IX a, 12; VON BISSING BRUCKMANN, Denkmaeler, 29.

(١٠) J.A. WILSON, *Ceremonial games of the New Kingdom*, in J.E.A.XVII, 211 f.; V, WILSDORF, Ringkampf im alten Aegypten, 13 f.

(١١) WILSON, op. cit., p. 217.

(١٢) Ibid., pl. XXXVII, 3, 4, 13, 19; 12, 17, 18, p. 219.

ولم تخل المباريات من عبارات التهديد والتهكم ، فكان مما يقوله الخصم لمنافسه وهويهاجمه (سحقا لك أيها الخصم الهمجى سحقالك يا من يتشدق بفمه) أو يقول « لاحظ أنى سأجعلك تسقط لاحراك فيك على مرأى من الفرعون » (١) . أو يقول له « احذر ، سأعصر قدميك وأرميك على جنبك فى حضرة الفرعون » (٢) ، وحين النصر يقف الفائز فى مواجهة الفرعون وضيوفه رافعا يدية إلى أعلى . على أنه يبدو أن مباريات بنى حسن لم تكن تستهدف مجرد إظهار الغلبة ، فى بدايتها يقف المتباريان فى مواجهة بعضهما فى سماحة بحيث ينتظر أحدهما أن يفرغ زميله من ربط حزامه على خصره(٣) ثم يأخذان فى مباراة مهذبة وإن تكن جادة مجهدة فى الوقت نفسه .

وتمثيل الملاكمة فى المناظر المصرية نادر ولا يتيسر تقرير ما إذا كانت لعبة منظمة أم لا . ويظهر فى منظر بمقبرة مرى رع بالعمارنة فى مباراة تجرى أمام الفرعون ، رجل يسدد لكمة إلى وجه آخر فيتقيها بيديه (٤) ، ولو صح أنها تدل على ملاكمة منظمة لعنى هذا أن مصر عرفت الملاكمة ، قبل الاغريق بقرون طويلة (لوحة ٣٨) .

وكانت المبارزة بالعصى من الألعاب الأثيرة ، ولم تكن قاصرة على أهل الريف شأن التحطيب الآن ، وإنما كان لها هواتها من أهل الحواضر . ومن مناظرها ما يدل على أن الفراعنة كان يلذ لهم أن يشهدوها وأن أبناءهم الأمراء كان يستخفهم الحماس أحيانا فينزلون إلى الحلبة ليكونوا على كثب من المتبارين وليزجوا اليهم عبارات التشجيع (٥) والواقع أنه ليس بين المناظر المصرية الخمسة (٦) التى تصور مباريات المبارزة بالعصى ما يضم صبية أو فتية ، على أنه لايبعد مع ذلك أن الصغار كانوا كما رأينا فى المصارعة يقلدون الكبار فيها ، وكانت للعبة قواعد فنية تتطلب مهارة وخفة وقوة ساعد ، وفيها يحاول كل من اللاعبين تقريب عصاه من وجه خصمه ما أمكن ، وإن كان يحتمل وجود عدة طرق لها (٧) . وكان اللاعب ينزل إلى المباراة بعصا يختلف تصويرها فى المناظر الخمسة بين قصيرة ومتوسطة ورفيعة وغليظة ، ولها مقبض جلدى فى نهايتها ، فيمسكها بيده اليمنى فى حين يحمى ساعده اليسرى بترس ضيق صغير يشده إلى ذراعه الايسر بشريط جلدى ليتقى به ضربات خصمه . ومن المباريات ما أمسك فيها اللاعب بعصوين عصا يضرب بها وأخرى يتقى بها ضربات خصمه (٨) . وتصور مناظر معبد حابو ختام مباراة من هذا القبيل ، وفيه اتجه أحد اللاعبين إلى ناحية الملك رافعا يديه إلى أعلى بينما توجه زميله إلى بقية الحضور يحييهم بالانحناء ورفع اليد إلى الجبهة(٩) ، مما كان يضفى على اللعبة ولاعبيها

(١) WILSON, op. cit., Fig. 7.

(٢) Ibid., Fig. 18

(٣) Beni Hasan, II, pl. 5

(٤) El Amarna II, pl. XXXVIII.

(٥) J.A. WILSON, op. cit., p. 213.

(٦) see, V. D'ABBADIE, *Deux nouveaux Ostraca Figurès*, in Ann. Serv. XL, Figs. 50-54, p. 467 f.

(٧) Ibidem.

(٨) Ibid., pl. 53.

(٩) J.A. WILSON, op. cit., p. 219.

روح الرياضة المهذبة . وقد يكون اللاعب الأول فى هذه الحالة هو الفائز أو تكون المباراة قد انتهت بالتعادل . (لوحة ٤٠)

أما رياضة العسكريين — أو المهيئين منهم لمناصب الضباط على الأرجح — فى صنوف الرياضة التى مارسها أمنحوتب الثانى إبان التحاقه باسطبلات أبيه فى منف ما يصور بعض الجوانب الرياضية التى كانت تكمل بها تربيتهم . فقد مارس الرمى والعدو والتجديف ، فضلا عن ترويض الخيول وركوب العربات الحربية . وبالتجاوز عن الرمى وركوب العربة وترويض الخيول على اعتبار أن ممارستها جميعها ضرورة حربية لكل فارس عربة ، يتبقى العدو والتجديف ، ويدعو سياق متن أمنحوتب الثانى عنهما إلى اعتبارهما من رياضة الجيش ، وذلك لاتسام ممارسته لهما بشىء من الجهد والعنف ولاشتراكه فيهما مع غيره . فقد جاء فى متنه أنه لم يكن يلحق فى العدو (١) وذلك مما يعنى أن آخرين كانوا يعدون معه . وجاءفيه كذلكأنه خرج معمائتىرجل يجذفون ويجذف هو فى قاربه « الصقر » ضد التيارفرجع رفاقه بعد نصف فرسخ مائى (ثلثى ميل) وتقطعت انفاسهم بينما لم يعد هو إلى الشاطىء إلا بعد أن قطع ثلاثة فراسخ مائية (نحو أربعة أميال) يجذف وحده بمجذاف طوله عشرون ذراعا ، دون أن يتوقف ، وكان النظارة يرمقونه باستبشار وفرح ، على حد قوله . (٢)

وثمة مناظر متماثلة احتفظت بها لوحات المعابد المصرية صورت رياضة مجهدة شاقة يغلب أنها كانت مما يمارسه صغار المجندين ،وتتمثل فى تسلق صوار أو اعواد طويلة مائلة ملساء من خشب الأرز أو من المعدن (؟) أو الخيرزان (؟) فى وضع رأسى ما أمكن ثم الانزلاق عليها فى وضع مائل . ويقام لها عمود مرتفع فى وضع رأسى كما يبدو من لوحة ٣٩ ،وتسلك فيه عدة صوار أو أعواد مختلفة الأطوال ذات عرى أوحلق فى أعلاها.وصورتهذه الرياضة فى معبد بيبى الثانى وفى معابد الاقصر والكرنك وادفو ودندرة(٣) ومنظر الاقصر كما يبدو من لوحة ٣٩ ذو أربعة عمد ينزلق عليها خمسة أو ستة عرايا يضع كل منهم ريشة فوق رأسه . (٤) ومنظر الكرنك ذو أربعة عمد كذلك يتسلقها أربعة فى وضع رأسى ، وهم بلباس قصير محبوك حول العورة (٥) . ومنظر دندرة ذو ستة عمد يتسلقها ثمانية ، منهم سبعة يضع كل منهم ريشة فوق رأسه فى حين يضع ثامنهم ريشتين . وهم جميعا باللباس القصير المحبوك (٦) . وقد صور منظر الأقصر بين صورتين للإله امون رع فى هيئة اله التناسل وأمنحوتب الثالث الذى وقف مشدود القامة

(١) S. HASSAN, The great Sphinx and its secrets, Cairo 1953, pl. XXXVIII, 1. 12.

(٢) Ibid., 1.13, p. 75

(٣) JEQUIER, in Ann. Serv. XXVII, 56, 57, pl. IV; J.E.A. XXI, 164, Fig. 3; GAYET, Louxor, pl. X ,Fig. 59, 100; MUELLER, Eg. Researches, I, pl. XLII ; CHAMPOLLION, Notes Descr, II, 49; L.D. IV, XLII b; MARIETTE, Denderah, pl. XXIII; ROCHEMONTEIX, Le temple d'Edfu, I, pl. XXXI b, p. 375; vol. II, pl. XI.

(٤) A. GAYET, Louxor, pl. X.

(٥) W. MAX MUELLER, Egyptological Researches, I, 35.

(٦) A. MARIETTE, Denderah I pl. 23. وعن ادفو DUEMICHEN, Gesehichte Aegyptens, S. 160.

ممسكاً عصا بيسراه وصولجاناً يرفعه فى وضع رأسى فى يمناه الممدودة نحو آمون رع . وصور منظر دندرة كذلك بين (مين) اله التناسل وبين ملك بطلمى اتخذ وقفة تبرزه فى غاية القوة وتبرز عضلاته ويمسك العصا بيسراه وصولجانا أومقمعة قتال فى وضع رأسى بيمناه الممدودة إلى المعبود مين . ويذكر W. Max Müller أن منظر الكرنك يشبهه فيما بين مين وبين رمسيس الثانى .

وتصوير هذه الرياضة فى معابد الآلهة يدعو إلى الاعتقاد بانها كانت مما يمارس فى واقع الحياة ومما يجرى فى أعياد الآلهة وربما فى حضور الملوك بالذات . أما ما يحتمل أكثر من فرض فيها فهو التعرف على القائمين بها . وكان Duemichen قد ربط بين هذه الرياضة وبين الإله مين إله إقليم قفط وبين ما ذكره هيرودوت عن حفلات أقيمت فى بانوبوليس (اخميم) تكريما لبرسيوس، وكانت الجوائز فيها ماشية واردية وجلود (١) . ورأى مويللر أن القائمين بها كانوا أجانب من بدو الصحراء الشرقية أساساً ومن أهل النوبة وبلاد بونت الذين كانوا يفدون على إقليم قفط للتجارة عن طريق الصحراء الشرقية ويتخذون مين راعياً لهم كما يتخذه أهلها ، وانهم كانوا يمارسون هذه الرياضة فى بلادهم ويسهمون بها فى أعياد الإله عندما يحضرونها مع أهل المدينة ، ومع توالى الزمن اكتسب أداؤها معنى دينيا ، هذا وإن لم يكن من السهل رد أصلها إلى فريق معين منهم ، خاصة وأن أقربهم إليها وهم الشماليون بدو الصحراء الشرقية لاتتوفر فى بلادهم الأخشاب الطويلة اللازمة لإقامة الأعمدة (٢) . وأيد مويللر نسبتها إلى أجانب بالريشة المميزة لهم وبلباسهم البسيط وبنص مع منظر دندرة يقول فيه الإله مين للملك «لقد أتيت إليك بعظماء النوبة والآسيويين وأهل بونت وأتاك بدو الصحراء الشرقية و ... خاضعين» . وأخذت Luise Klebs بملخص رأى مويللر هذا (٣) .

بنى Duemichen رأيه على منظر دندرة ومنظر ادفو، واخذ Max Mueller برأيه وأيده بمنظر الكرنك الذى اعتبره أقدم المناظر (المعروفة إذ ذاك) من نوعه . ومنظر الأقصر دون شك أقدم ، ويظهر فيه الإله آمون رع وليس مين ، وان كان قد اتخذ هيئة إله التناسل مثله . وليس فيما يتحدث به إلى أمنحوتب شىء عن بدو أونوبيين أوأهل بونت ، وإنما هو يعده بأن يهبه المنعة جميعاً والقوة جميعا فى ظله (٤) وليس الحفل ذا صلة بمين وإنما هوفيما يبدو بمناسبة تجديد الملك لبعض الآثار فى دار أبيه آمون (٥) والمشتركون فى الرياضة لايلبسون شيئا وإنما هم عراة تماما ، وكل ذلك يسمح باحتمال أن يكونوا من المصريين وليسوا من الأجانب ، وأن يكونوا أحداثا . وذلك مع تقدير أن الربط بين عظماء شمال النوبة والآسيويين وبدو الصحراء الشرقية وبين اللاعبين ، كما لاحظ Max Mueller ربط يحتمل كثيراًمن الشك ، وأن احتمال نشوء هذه الرياضة بين شعوبهم جميعاً دون مصر يحتمل أيضاً كثيراً من الشك ، وذلك فضلا عما استبعده ماكس مويللر نفسه من نشوئها بين بدو الصحراء الشماليين فى أرضهم الجدبة الخالية من الأشجار .

---

(١) HERODOT, II, 91

(٢) W. MAX MUELLER, op. cit., 34-35.

(٣) L. KLEBS, Die Reliefs und Malereien des neuen Reiches, I, 223.

(٤) انظر ملحق النصوص .

(٥) انظر ملحق النصوص .

فالأرجح إذن أن يكون اللاعبون من المصريين. على أنه تتبقى الريشة وهى ما تكفل بعض التأييد لرأى ماكس موبللر بحسبانها مما يميز الأجانب النوبين والآسيويين والليبيين، وإن لم يكن للآسيويين أو الليبيين شأن بقفط أو الهها . ولكن يلاحظ مع هذا أنها كانت مما يميز المحارب المصرى القديم بالذات (ويظهر بها المحاربون أو الصيادون على صلاية صيد الأسود ، ومنهم من يضع ريشة ، ومنهم من يضع ريشتين) وظلت مما يميز صورة الجندى فى الكتابة المصرية على هذا الأساس (١) . فى منظر الأقصر إذن يغلب أن اللاعبين كانوا من المجندين الصغار ، وقد لجأ الفنان إلى تصويرهم بالريشة رمزا إلى حقيقتهم بعد أن صورهم عرايا وليس من شىء آخر يميزهم . وتجنيد حديثى السن تؤيده متون حكام البرشة من الدولة الوسطى إذ كثيرا ما يقول قائلهم « وقد نهضت بمجندها (أى مجندى مدنه) الناشئين والصغار » (٢) ثم يشهد بتدريبهم نص آخر يقول فيه صاحبه (٣) «لقد دربت أجيالا من الصغار » ويشهد بنفس الأمرين كذلك رسائل ونصوص أخرى من الدولة الحديثة (٤) .

وتبدو الاعواد أو الصوارى المائلة مختلفة الأطوال، وقد رأى موبللر أن تصويرها كذلك لايعبر عن الواقع وأنما هو مجرد تنسيق من الفنان وأنها فى حقيقتها متساوية الأطوال . ولكن هذا الرأى يحتمل كثيراً من الشك بدوره ، فلو كانت متساوية لما أمكن أن تسلك جميعاً فى عمود واحد ، ولكفى عود واحد منها يتعاقب عليه اللاعبون أو المتبارون . ولهذا يغلب أن تمثيلها مختلفة الأطوال لايجانب الحقيقة ، وأنها كانت تمثل مراحل متوالية للتمرين أو لقدرات مختلفة لمجموعات من المتبارين .

حفلت حياة الناشئة المصريين إذن بما يناسب مراحل نموهم من أنواع الرياضة ، فكان منها ما يشبع الميول إلى النشاط والمتعة ، وما يستهدف رشاقة الجسم ، وما يبتغى القوة ويستدعى الجرأة كما أن منها مالم يعوزه القصد التربوى ، يزاولها بعضهم فى البيوت الرحبة أو فى الأرض الفضاء وفى المدارس، ويزاولها بعضهم الآخر أو يجبر عليها فى تمارين الجيش، ويكون مما يزاوله الكبار والمحترفون منها ما يستثير الصغار إلى تقليده . وليس من شك فى أن الألعاب المنظمة لم تكن مهيأة لغير قلة من الناشئين ، من أبناء السراة والمحترفين وفى تمارين الجيش . غير أن هذا لا يؤثر بشىء فى وصف المجتمع المصرى بالميل إلى الرياضة ما دام قد قبل مبدأها ولم ينكرها أهله إذا تهيأت لهم مزاولتها ولم يكونوا بحاجة إلى وقتهم كله فى كسب معاشهم . بل إن هذا لايكاد يخلو من وجه شبه مع ما كان عليه أمر الرياضة فى أكثر المجتمعات القديمة إيثاراً لها وهو المجتمع الإغريقى . فالتربية الرياضية الحقة التى جعلتها أثينا دعامة من دعائمها التربوية لم تكن تتوفر فى الغالب لغير ابناء الأحرار أو لم يكن يتوافر عليها غير ابناء الأحرار فيها وكانوا قلة بالنسبة إلى من سواهم ، وذلك على حين اعتبرت التربية الرياضية فى اسبرطة من صنوف الإعداد الحربى قبل كل شىء .

(١) انظر اعتبار L. KLEBS صورة الجندى فى الكتابة المصرية بالريشة ممثلة لجندى أوشرطى نوبى .
(Die Reliefs und Malerein des mittleren Reiches, S. 159).

(٢) NEWBERRY, el Bersheh, II, pl. XXII, Graf. 8, 1.7; pl. XXIII, Graf. 11, 1. 15-16, p. 49. انظر ملحق النصوص .

(٣) Ibid., pl. XXIII, Graf. 7, 1.4, p. 50. انظر ملحق النصوص

(٤) see, DAVIES, El-Amarna, IV, pl. 42; Pap. Anast. III, 5, 6; 6, 4, etc... وانظر ملحق النصوص

ومما لا يخلو من معنى فى مدى تقبل العقلية المصرية للرياضة ، أن المصريين جعلوها مما تم به أعيادهم الدينية وشعائرهم الأخروية ، فقد أتت مناظر متعددة بصور وأوضاع دقيقة رائعة لفتية وفتيات إذا اجتزئت من الوسط الذى مثلت فيه لا يمكن أن توصف الا بأنها من فنون الرياضة البدنية المنظمة ، غير أنها فى وسطها المصرى يقترن اداؤها بأعياد دينية وأخروية كما يقترن بالتنغيم اللفظى والإيقاع الحركى . ومن ذلك منظر يبدو فيه أربعة يتميزون عمن سواهم بارتداء النقبة القصيرة المحبوكة وحدها ، يقف أحدهم باسطاً ذراعيه بشدة إلى الجانبين فى مستوى كتفيه ، ويبسط آخر ذراعيه بشدة أمامه فى مستوى كتفيه أيضا فى حين يعتمد على ساق واحدة دافعا الأخرى ما وسعه ذلك إلى الأمام فى وضع أفقى . ويتخذ الآخران أوضاعا مماثلة ، (١) . وفى منظر آخر يظهر مثل هؤلاء الأربعة ويجمع أحدهم بين ما ظهر به الأولان فى المنظر السابق فيبسط ذراعيه إلى الجانبين فى مستوى كتفيه ويعتمد على ساق واحدة فى حين يبسط الأخرى إلى الأمام فى وضع أفقى (٢) . هذه الأوضاع هى أقرب إلى الرياضة من أى شيء آخر ، ولكن القائمين بها سمى كل منهم بالراقص ووقف من أمامهم أربعة آخرون يبسطون إليهم أيديهم ويردد أحدهم فى ترخيم « هه هه هه هه » ويردد آخر « اه اه اه اه » ويقول ثالث « هلموا إلى هذا الإله » (٣) والإله هنا هو تمثال المتوفى قد وضع فى ناووسه . فالمنظر إذن عقائدى.

وفى منظر من مناظر عيد المعبودة حتحور بمناسبة الحصاد اتخذ فتى وفتاة وضعا فى غاية البراعة يرتكز فيه أسفل البطن على الأرض وكذا الكفان فى حين يرتفع الصدر إلى أعلى وتمتد الساقان إلى أعلى الظهر حتى لتكادان تبلغان مؤخرة الرأس (لوحة ٤٢) (٤) ، وهو وضع يرده N. de G. Davies إلى مقدرة رياضية خالصة ويجعله جزءاً من حركة كاملة (٥) . هذا وان كان يصحبه فى الوقت ذاته تصفيق رتيب وإيقاع صوتى منظم من فتاتين (٦) . وفى اعياد الفراعنة كان يتم مثل هذا وأروع منه من فتية وفتيات (٧) ، وما من شك فى أن أداءه كان يستلزم تعليما ومراناً أياً كان القائمون به هواة أو محترفين أو مرتزقين . واحتفظت المناظر المصرية بعدة صور للتعليم الجماعى فى الرقص الإيقاعى والموسيقى والغناء ، فثمة منظر لمعهد (؟) للرقص الإيقاعى صورت فيه ست وعشرون فتاة على أقل تقدير يؤدين حركات إيقاعية ويتشابكن فى أوضاع منتظمة دون استخدام الموسيقى ، وظهر معهن رجلان يرقبانهن (لوحة ٦٠) (٨)

ومنظر آخر لمعلم موسيقى مع عشر فتيات يدربهن على طريقة استخدام آلة السستروم ، ثم يظهر معهن مرة أخرى يدربهن على الغناء المصحوب بالتصفيق (٩) .

(١) Beni Hasan, I, pl. VII.

(٢) Ibid., pl. XIII.

(٣) Ibidem.

(٤) N. de G. DAVIES, The tomb of Antefoker, London 1920, pl. XV (KLEBS, op. cit., M.R., 148= Gymnastische Spiele.

(٥) Davies, op. cit., p. 10

(٦) see also, Beni Hasan I, pl. XXIX.

(٧) S. SACHS, Die Musikinstrumente des alt. Aegyptens, Berlin 1921, Abb. 56a, NAVILLE, The festival hall of Osarkon, II, pl. XV, etc.

(٨) PETRIE, Qurneh, pl. I; L. KLEBS, Die Reliefs (N.R.) III, 219.

(٩) EDGAR, in Le Musée, III, 54 f

ولا يخلو من دلالة فى نهاية الأمر أن الفراعنة أنفسهم كانوا يقومون فى أعياد السد (اليوبيل الملكى) بحركات تتطلب الرشاقة واتزان الحركة وتجمع بين الرمز وبين الدلالة الدينية (١) .

فهل يمكن أن ينم كل ذلك عن اتجاهات قومية قديمة جعلت من مثل الرجولة نشاط الجسم ورشاقته وآثرت القوة وخفة الحركة ، ثم تهذب بعضها بمقتضيات الزمن وتقدم المجتمع حتى تمثل فى ألعاب رياضية منظمة فى حين اكتسى بعضها الآخر بمسحة دينية تقليدية كفلت له الثبات والدوام ؟ ذلك فيما يبدو مما يمكن احتماله .

وإلى جانب رياضة البدن فثمة ما يذكر عما يمكن تسميته برياضة الذهن وألعاب وقت الفراغ ، وهذه ليس من ضرورة إلى أن نتلمس فيها ضرباً من ضروب التربية المقصودة وإنما نذكر بعضها فى إيجاز على أنها كانت من الوسائل المهذبة التى عرفها المجتمع المصرى لشغل أوقات الفراغ والتى كان الناشئة يأخذون بها كما يأخذ بها غيرهم .

فقد وجدت فى مقبرة غلام (؟) بقرية البلاص من أواخر فجر التاريخ تسع قطع صغيرة من الألباستر فى هيئة الأوانى المصمتة وأربع كرات من حجر صلد وثلاثة قوائم مستطيلة صغيرة من المرمر يتساوى اثنان منها ويزيد الثالث عنهما فى الطول (٢) . ورجح فلندرز بترى أن هذه المجموعة كانت تؤلف لعبة منظمة راقية تقرب من الرسم باللوحة ٤٥ (٣) ، وتخيله لها وإن كان لا يخلو من كثير من الشك إلا أنه يبدو أنه مامن سبيل لترتيبها على غير النحو الذى تخيله لها ، لولا عامل الزمن . ويحتمل أنه كان يقذف بالكرات لتسقط أكبر عدد من الأوانى بشرط ألا تعلو الحاجز . وقد وجدت قطع كثيرة مماثلة فى مقابر أخرى فى ذات المنطقة (٤) .

وفى المناظر المصرية كثير من ألعاب ساذجة يحتمل أنها كانت من متع الصغار ، وإن كان لاعبوها قد صوروا فى هيئة البالغين . ومنها ما يشبه لعبة « جوز أو فرد » أو كما يقول اللاعب المصرى لزميله « قلها » وهو يمد له كفه المقبوضة على زهر أو حصى (٥) . وقد صورت بما يحتمل معه أنها كانت تلعب بثلاث طرق يشترك فى أحدها ثلاثة (٦) وفى أخرى أربعة (٧) .

على أن آثر ألعاب رياضة الذهن أو قطع الوقت لدى المصريين كانت لعبة الدامة . واستخدام صورتها فى الكتابة المقطعية المصرية للدلالة على اللفظ « من » يشهد بقدمها ، وأكثرها شيوعا ماكانت تقسم

(١) QUIBELL, Saqqara, pl. see, PETRIE, Koptos, pl. X; KEES, Ré Heiligtum, II, 13 f.

(٢) J.E. QUIBELL and F. PETRIE, Ballas, pl. VIII.

(٣) Ibid., p. 13; also PETRIE, Prehistoric Egypt., 1920, p. 32.

(٤) Tombs Nos. 379, 450, 489, etc., p. 14, 20.

(٥) Beni Hassan II, pl. XVI.

(٦) Ibidem

(٧) G. WILKINSON, A popular account of the Ancient Egyptians, London 1854 Fig. 205.

لوحته إلى ثلاثين مربعاً ويكون مع كل لاعب أربع قطع للعب أو خمس أو سبع (١) وربما كان لهذا التفاوت في عدد قطع اللعب أن كتبت علامة (من) بسبع شرط وأحياناً بعشر (٢) . ووجدت أقدم لوحات اللعب في قرية المحاسنة وأرجعت إلى أواخر فجر التاريخ، وهي من الطين وقسم سطحها إلى ثلاثة صفوف، في كل صف ستة مربعات، وأقيمت على قوائم طينية منفصلة (٣) ثم ظهرت نماذجها الفاخرة ضمن أثاث المقابر منذ أيام الأسرة الأولى (٤) ولكن أقدم ما صور منها صور بمسطبة حسي رع من الأسرة الثالثة (٥) وصورت لديه من طرازين ، أحدهما قسمت لوحته ثلاثين مربعاً متساوياً والآخر قسمت لوحته ٣٢ قسما يتعاقب فيها الضيق والواسع. ورقمت بعض مربعات اللوحة الأولى وميز بعضها الآخر برموز. فرقم المربع الأول برقم ١ والرابع برقم ٤ والعاشر برقم ١٠ على حين رمز لمربع الركن المقابل للمربع الأول برمز النجمة. ومثلت على صندوق بجوارها قطع اللعب، سبعة على كل جانب، وأربع عصى صغيرة يحتمل أنها كانت تقوم مقام الزهر . وتعددت بعد ذلك مناظر اللوحات في العصور المصرية جميعا كما عثر على عدد من لوحاتها الفعلية وقطع لعبها في مقابر الدولة الوسطى والدولة الحديثة (٦) . وكانت اللوحة توضع على مائدة منخفضة (٧) أو مرتفعة (٨) وأصبحت تقسم على سطح صندوق مناسب له درج تحفظ فيه قطع اللعب (٩)، وكان منها الفاخر ومنها ما هو دون ذلك ، وتصنع قطع اللعب من الخشب أو العاج أو الخزف أو العظم وتتخذ شكل الناقوس أو الكأس المصمت أو المخروط أو تتخذ أشكالا إنسانية أو حيوانية أو ما سوى ذلك من أشكال ، ويختلف عادة لون كل مجموعة منها عن الأخرى (١٠). وكان صاحب الدار يلعب الدامة مع زوجته (١١)، ومع زائره (١٢) في سويعات فراغه وعلى أنغام الموسيقى أحيانا ، ويلعبها الملوك (١٣) والكبراء والجنود (١٤) والعامة ، ويتحدى بها المتعلم زميله كما يتحداه ببقية معارفه العلمية أو الأدبية (١٥) . وسميت هذه اللعبة سنت (١٦) ، ربما

(١) Beni Hassan II, pl. VII, XVII.

(٢) GRIFFITH, Hieroglyphs, 56.

(٣) E.R. AYRTON and W.L.S. LOAT, Pre-Dynastic Cemetery at el-Mahasna, pl. XVII, 1.

(٤) Cairo 45038.

(٥) J.E. QUIBELL, Tomb of Hesy (Exc. at Saqqara, 5) pls. XI, XVI.

(٦) W. NEEDLER, *A thirty square draught board*, in J.E.A. 1953, 60 f.

(٧) Beni Hassan, II, pl. VII.

(٨) WRESZ, Atlas, 49a.

(٩) SCHIAPARELLI Tomba intatta dell'architetto Cha, pl. 159.

(١٠) WILKINSON, op. cit., I, Fig. 207 ; ERMAN, Ranke, Aegypten, 290 f. ; KLEBS, Die Reliefs, I, S 227.

(١١) WRESZ, op. cit., I, 49a.

(١٢) A.M. BLACKMAN, in J.E.A., VI, 207 f., Fig. 20.

(١٣) L.D. III 208a.

(١٤) GARSTANG, Burial Customs, Fig. 149,

(١٥) ERMAN, Lit., 279 (Anast. I, 11, 7); GRIFFITH, Stories of the high priests, p. 20 ; G. MASPERO, Les Contes Populaires, p. 142.

(١٦) L.D. II, 61, etc.

عن أشتقاق من فعل سنى ، بمعنى التعدية كناية عن تحركات قطع اللعب (١) . وسميت كذلك لعبة الأثنين والثلاثة (٢) وكان منها ما كتب ازاءه فى الدولة الوسطى اسمان آخران، ويحتمل أنهما مسميان لطريقتين فى لعبة واحدة (٣) وزادت فى عصر الأسرة الثامنة عشرة لعبة من عشرين مربعا ، ١٢ منها فى مربع كامل يتصل به مستطيل ذو ثمانى مربعات ، ويحتمل أنها كانت مما اقتبسه المصريون من الشام وآسيا الصغرى . (٤) ونتيجة لشغف المصريين بالدامة أصبحت مما يتزودون به فى أثاثهم الأخروى . واصطبغت لوحاتها بصبغة دينية ابتداء من عصر الأسرة التاسعة عشرة فشغلت مربعاتها نصوص دينية ورموز للآلهة (٥) ، وافترض أن المباراة عليها ستكون بين المتوفى وبين الأفعوان « محن » ، ولما كان لابد للمتوفى أن ينتصر أو يهلك فقد كان يزود أحيانا بقرطاس يشرح قواعد اللعبة ويتضمن من الرقى ما يكفل له الفوز (٦) وتضمنت بردية من العصر البطلمى شرحا لهذه اللعبة وكستها بصبغة فلكية ويحتمل منها أنها كانت تلعب فى صورتها الأخيرة بمجموعتين تتألفان من خمس عشرة قطعة وقطعتى زهر . وسمى مربعها الثلاثين باسم (بيت حور) ، وكان يترك خاليا حراً (٧) . وثمة لعبتان أخريان : لعبة الحية ولعبة التجاويف والأوتاد . . وقد وجدت أدوات أولاهما منذ عصر الأسرة الأولى فى مقابر أبو رواش وأبو صير الملق وغيرهما ، وصورت هى الأخرى فى مناظر حسى رع ، وكانت تلعب على لوحة مستديرة تشكل عليها هيئة أفعى ضخمة ذات ليات عديدة ولكنها مقطعة الأوصال . ويجرى اللعب عليها بقطع شبيهة بقطع دامة المربعات من حيث أشكالها وموادها وربما أعدادها كذلك (٨) ووجدت لعبة التجاويف والأوتاد بكامل أدواتها فى قبر بطيبة من الدولة الوسطى ، ولوحتها ذات ستين تجويفا مستديراً يساير عشرون منها اتجاه جذع نخلة ممثلة فى وسط اللوحة وتتعاقب الأربعون الأخرى حول ثلاثة من حوافها وقد فصل بين خمسة منها بعلامة (نفر) . أما الأوتاد فهى من العاج ومن مجموعتين أولاهما شكلت رؤوسها على هيئة رأس الكلب ، والثانية أقصر منها شكلت رؤوسها على هيئة رأس ابن آوى (٩) . ولو أن طرق اللعب لهذه الأنواع الثلاثة الدامة والحية والتجاويف والأوتاد لازالت غير مرجحة حتى الآن (١٠) .

---

(١) JEQUIER, Frises d'objets, 262

(٢) W. NEEDLER, op. cit., 63 ; See, ERMAN, Reden, Rufe, 59.

(٣) Beni Hassan, II, pl. VII ; PETRIE, Objects of daily use, 51 ; but see, JEQUIER, in Bull. Inst. fr., XIX, 18 f.

(٤) PIEPER, in AeZ, 66, 19. ويقال إنها عرفت فى ألمانيا القديمة أيضا

(٥) W. NEEDLER, op. cit., p. 60, 64 ; Book of the Dead, Chap. XVII

(٦) DARESSY, in Rec. Tr. XVI, 129 ; PIEPER, *Ein Text über das ägyptische* Brettspiel, in AeZ LXVI, 16 f. ; RANKE, Schlangenspiel (Held, Ak. 1920), 25.

(٧) PIEPER, op. cit., GRENFELL AND HUNT, Oxyrrynchus papyri III, 141 f. ; Anc. Egypt., 1932, 119.

(٨) L.D. II, 61a ; ERMAN, RANKE, Aegypten, 292

(٩) CARNARVON and CARTER, Five years' explorations at Thebes, pl. 50.

(١٠) See, G. JEQUIER, in Chr. d'Eg. 1930, 124 f.

الكتاب الثانى

المعلمون ومجالات التعليم

الفصل السادس

بين الأمية والتعليم

١ – الكتابة وأثرها فى المجتمع المصرى القديم :

عرف المصريون الحروف الهجائية منذ أواخر الألف الرابع قبل الميلاد (١)واقترنت معرفتهم لها باستخدامهم صفحات البردى والمداد والقلم البوص (الفرجون)(٢)وساعدهم ذلك على تهيئة مجتمع متميز عما عاصره من المجتمعات القديمة ، تيسرت فيه عملية التعلم وتناقل المعارف وأصبح فيه لأهل الكتابة شأن كبير ، وذلك هو المجتمع الذى صورته المناظر والنقوش والألقاب والتماثيل منذ أوائل عصور الدولة القديمة . فمنذ ذلك الحين لاتكاد تخلو نقوش مقبرة أومناظرها من شخصية تتخذ ضمن ألقابها لقب الكاتب أو مايدور حوله (٣) . وقد يكون صاحب هذا اللقب من الكبراء ، فيكون وزيرا (٤) أو حاكم إقليم(٥) ،

---

(١) PETRIE, The Wisdom of the Egyptians, London 1940, p. 45 ; K. SETHE. Der Urspung des Alphabets, S. 112 ; 89. واكتملت الحروف الهجائية منذ بداية الدولة القديمة (Ibid., 118) وكتب المصريين بالخط الهيراطيقى إلى جانب الخط الهيروغليفى منذ عصر الأسرة الأولى .(Ibid., 112) See also, K. SETHE, Das hieroglyphische Schriftsystem ; Vom Bilde zum Buchstalien. Die Entstehungsgeschichte der Schrift (mit einem Beitrag von S. SCHOTT), 1939 ; SCHARFF, Archaeologische Beitrage zur Frage der Entstehung der Hieroglyphenschrift 1942, 3.

(٢) See, J. CERNY, Paper and Books in Ancient Egypt, London 1952, p. 11 f. W. B. EMERY, The Tomb of Hemaka, Cairo 1938, p. 41 ; HILDA PETRIE, Egyptian Hieroglyphs of the First and Second Dynasties, London, 1927, Nos. 981-84.

(٣) See R. WEILL, La IIe et IIIe Dynasties, 1908, 172 f. ; GARSTANG, Tombs of the Third Dynasty of Räqaqnah and Bêth Khalläf, 1904, pl. 28R70, p. 57.

(٤) راجع عن وزراء الدولة القديمة الذين اتخذوا لقب الكاتب وما اتصل به مثل كاتب الكتاب المقدس، مفتش الكتبة ، ومفتش الكتبة الملكيين ، والكاتب الفعلى ، ومدير الكتاب ، ومدير كتبة الوثائق الملكية... و... الخ A. WEIL, Die Veziere des Pharonenreiches, Strassburg, 1908,, 3, 5-8, 10, 12, 14, 15-21, 23, 25, 28, 30-34 ; also, H. JUNKER, Giza I, 132 ; S. HASSAN, Excav. at Giza IV, 103, 125.

(٥) أمثلة حكام الأقاليم أصحاب لقب الكاتب عديدة ومن أقدمها : R. WEILL, op. cit., p. 214. Urk. I, 17.

أوقائداً (١) ، أوقاضياً ، أوكاهناً عظيما (٢) ، أورئيساً لبيت المال ، أوطبيباً(٣) ، أوماشابه ذلك ، كما أنه قد يكون من أواسط الناس فيكون من المشتغلين بالفنون (٤) ، أومن موظفى القصر ، أو من موظفى بيت المال وما سواه من إدارات الحكومة ، أومن المشرفين على الضياع ،أو يكون من صغار الطبقة الوسطى كموظفى الضياع وكتبة المعابد وكتبة الأسواق .

ومنذ أيام الدولة القديمة كذلك ، ظل أحد الأوضاع الأثيرة لتماثيل الكبراء مايمثلهم فى سمة الكتاب وفى جلسة التربع التى كانوا يتخذونها . وأقدم المعروف من هذه التماثيل ما يمثل « كاوعب » أكبر أبناء خوفو (٥) ، وأبناء أخيه جدف رع (٦) ثم كان من أشهر العظماء الذين مثلوا عليها فى العصور التالية للدولة القديمة أمنحوتب بن حابو(٧) وحورمحب(٨) من عصور الدولة الحديثة . فمن الرسوم والألقاب والتماثيل إذن يتضح أن الأخذ بنصيب من التعلم أى من ثقافة الكاتب كان يلازم القيام بأعمال ومناصب متباينة .

وأنه لم يكن هناك من حائل مفروض يحول بين الطبقات العادية ، التى يخرج منها صغار كتبة الحكومة وكتبة الضياع وكتبة الفنون ، وبين الأخذ بنصيب ما من التعلم .

وأن مدلول لقب الكاتب كان يشرف كبار الشخصيات أن يحتفظوا به دائماً .

وحقيقة أن لقب « الكاتب » فى مصر القديمة غالبا ماكان ينصرف إلى التعبير عن شاغل وظيفة كتابية ،

---

(١) أصبحت أهمية الثقافة الكتابية لكبار رجال الجيش أكثر وضوحاً فى الدولة الحديثة See, A. ERMAN H. RANKE, Aegypten, 126, 657.

ومع ذلك انظر لقادة كتبة من الدولة القديمة S. HASSAN, op. cit., VII, 65, 89.

(٢) كان أقدم أصحاب تماثيل الكتاب كتبة وكهنة فى ذات الوقت (تراجع حاشية ٦) .

M.A. SHOUKRY, Die Privatgrabstatue im alten Reich, Kairo 1951, 62.

وراجع عن كبار كهنة عين شمس الذين اتخذوا لقب الكاتب G. DARESSY, *La nécropole des grands prêtres d'Héliopolis sous l'Anc. Empire*, Ann. Serv. XVI, 195, 199, 204, 206.

وراجع عن الكهنة المرتلين المتعلمين : Urk. I, 189, 10 ; 190, 13. وتراجع ص١٨٧

(٣) Cairo 1398, 2088 ; Berlin Med. Pap. 163a and Urk. I, 42 وتراجع ص ٣٥٥

وأمثلة القضاة ورؤساء بيت المال الكتبة كثيرة ولا تحتاج إلى استشهاد .

(٤) تراجع ص ١٥٧

(٥) Bulletin of Museum of Fine Arts, Boston, XXXIII, Fig. 9, p. 75.

(٦) E. CHASSINAT, *A propos d'une tête en grès rouge du roi Didoufri*, in Fondation Piot, XXV, 64 ff. ; M.A. SHOUKRY, op. cit., 62 (also : Cairo 36).

وعثر على تمثال لكاتب فى سقارة (؟) رأى رانكه ارجاعه إلى العصر الثنى (AeZ, 75, 89). غير أن تاريخه موضع شك (SHOUKRY, op. cit., 18-19).

(٧) J. CAPART, L'Art Egyptien, Choix de documents, t. II, Bruxelles, 1942, pl. 330-331.

(٨) H.E. WINLOCK, A Statue of Horemheb before his accession, J.E.A., X, pls. I-IV.

وهو ما يأخذ به وحده كثير من الباحثين(١) . ولكن يلاحظ إزاءه أن من تماثيل الكبراء التى مثلتهم فى جلسة الكاتب البسيط المتربع ما يمثلهم فى سن متقدمة بلغوا فيها أرفع مناصبهم، وذلك مما يرجح أن يكون هدف أصحابها هو التعبير عن فكرة تحصيلهم ثقافة الكاتب أكثر من التعبير عن وظيفة فعلية يتقلدونها ولا يخلو من دلالة فى ذلك ماقدمنا به من أن أقدم تماثيل الكتبة المعروفة كانت لأمراء(٢)، وأن من كتبة الدولة الحديثة من صوروا فى مكاتبهم يجلسون على المقاعد المرتفعة(٣) دون جلسة التربع البسيطة التى اتخذها ابن حابو وحور محب؛ وذلك مما يزكى أن هذين الأخيرين قد استهدفا من جلسة الكاتب القديم مدلولها وليس وظيفتها، وبهذا فليس مايحول دون أن نعتبر لقب الكاتب لدى المصريين ، وسنجد أن ممن كانوا يتلقبون به المعلم وتلميذه على السواء ، كان يرادف فى بعض أحواله لقب المثقف أو المتعلم .ويمكن أن يستشهد هنا بما كان للقب «الكاتب» عند العرب من معنى واسع ، ففيه يقول ابن الأعرابى: « الكاتب عندهم العالم ، وقد قال تعالى (أم عندهم الغيب فهم يكتبون) . وفى كتاب الرسول إلى أهل اليمن قال «قد بعثت إليكم كاتبا من أصحابى » — أراد عالما سمى به لأن الغالب على من كان يعرف الكتابة أن عنده العلم والمعرفة ، وكان الكاتب عندهم عزيزاً وفيهم قليلا »(٤) .

أما فيما يتعلق ببقية التماثيل التى اتخذت جلسة الكتبة ، فإن استنتاج هدف التعبير عن ثقافة الكاتب من بعضها لاينفى أهدافا أخرى إلى جانبه . فمن هذه التماثيل ماجمع إلى جلسة الكاتب عمل القارئ حيث نشرت على فخذيه صحيفة من البردى كتبت عليها دعوات للقربان (٥) ، وذلك مما يرجح غرض صاحبه فى أن يقوم ممثلا فى تمثاله بتلاوة صيغ القربان بنفسه ولمصلحته الخاصة . وكان منها ماوضع فى معابد الشعائر الأخروية للملوك وذلك مما يدعو إلى احتمال رغبة أصحابها فى أن يبعثوا على هذه الهيئة فى خدمة فراعنتهم فى العالم الثانى (٧) . وكان حمل أدوات الكتابة فى الرسوم والصور المنقوشة — فى الدولة القديمة بخاصة — يعتبر من دلائل الشرف ويؤدى نفس الدلالة التى كان يؤديها تمثال الكاتب لصاحبه .

---

(١) See, G. MASPERO, L'Arch. Eg., Paris 1905, 206; The Dawn of Civilization (transl. by Mc Clure), p. 288; S.R. GLANVILLE, Daily Life in Anc. Egypt, London 1930, 45, 49, etc.

(٢) تراجع ص ١٢٨ حاشية ٥، ٦ ، وعن أميرين آخرين فى هيئة الكتبة . G. REISNER-C. FISHER in Ann. du Serv. XIII, 251; SMITH, A History of Eg. Sculpture... pl. 10.

(٣) See, AeZ, 44, 59 وانظر لوحة ٥٨

وتلاحظ كذلك العبارة المصرية : « إن مسخنت قد قدرت (؟) الفلاح للكاتب ، وإنه ليوضع فى مقدمة مجلس القنبت » — (Sall. II, 11, 3-4). ولو قصد الكاتب هنا بمعنى الموظف فحسب ، لما كان مكانه فى مقدمة هذا المجلس ، وإنما المقصود فى الغالب هو الشخص الذى يتميز عن غيره بعلمه .

(٤) لسان العرب — ج ٢ ص ١٩٣

انظر كذلك عن رأى دريوتون فى تفسير معنى الكاتب المصرى بالمؤهل :
E. DRIOTON, La Pédagogie au temps des Pharaons, (Revue de Conférences Françaises en Orient), 1949, 3.

(٥) Cairo, 56, 83.

(٦) M.A. SHOUKRY, op. cit., 66

(٧) Ibid., 64.

ومن أقدم صوره ما يمثل « حسى رع » في عصر الأسرة الثالثة واقفاً أوجالسا إلى مائدة قربانه وقد تأبط عصاه وعلق أدوات الكتابة فى كتفه (١) . وفى نفس الوضع أى الجلوس وتعليق أدوات الكتابة فى الكتف تظهر أحيانا صور الربة سشات راعية الكتابة (٢) .

وتدل المتون الدينية من الدولة القديمة على أن الفراعنة لم يكونوا أقل اعتزازاً من رعاياهم المثقفين باتخاذ سمة الكتاب ، ففى متون الأهرام مايرجو للفرعون المتوفى أن يغدو سكرتيراً للإله (٣) ، وفيها يعمل الملك على أن يزحزح الكاتب القديم للإله فيأمره بأن يمحو ماكتبه ويقصف قلميه ويمزق كتبه حتى يأخذ هو مكانه لنفسه (٤) ، وفيها كذلك يتلقب الملك بلقب كاتب كتاب الإله (٥) .

وهذه الصور جميعها التى تناولت أهل الكتابة والتى نطقت عنها ألقاب الدولة القديمة ومناظرها وتماثيلها ومتونها الدينية هى بذاتها التى ظل الأدباء والمعلمون والحكماء المصريون يترجمون عنها فى تمجيدهم للكتابة والكتاب خلال عصور الدولة الوسطى وعصور الدولة الحديثة مما سيتناوله البحث فيما بعد فى كثير من التفصيل .

والواقع وعلى وجه الإجمال أنه ما من شعب قديم آثر التعلم وأهله ، أو الكتابة والكتاب ، بإكبار وتمجيد أكثر من المصريين القدماء. فهم قد جعلوا للكتابة ربة وهى سشات (٦) الإلهة الكاتبة، وتوجوها بزهرة مورقة ؟ أو بنجمة ؟ ذات خمس شعب أو سبع شعب (٧) ، وجعلوا للكتاب رائداً سماوياً وهو « تحوتى » إله العلم والمعرفة (٨) ، وافترضوا لأربابهم الكبار كتباً وكتبة مقدسين فى السماء يعملون فى خدمتهم (٩) وتمنى فراعنتهم منزلة الكتاب فى أخراهم ووصف بعضهم بأنه صاحب الكتاب المقدس ، العارف (١٠) ، وظهر بعضهم فى صوره يحمل أدوات الكتابة (١١) ، اعترافا منهم بأهمية الثقافة والمثقفين.

على أنه إزاء هذه الصورة الإجمالية لأهمية الكتابة والكتاب أو التعلم والمتعلمين فى مصر الفرعونية منذ عصورها القديمة ، ينبغى تقدير أمرين ، وهما :

---

(١) L. BORCHARDT, Denkmaeler des alten Reichen, Teil I, Berlin 1937, Taf. 25 f.

(٢) L. BORCHARDT, Das Grabdenkmal des Koenigs Sahuré, Leipzig, 1910, II.

(٣) Pyr. 490-491 ; and see H. KEES, Totenglauben und Jenseitsvorstellungen der alter Aegypter, 120-121.

(٤) Pyr. 954-55.

(٥) Pyr. 1146.

(٦) Pyr. 616, ERMAN, Die Religion, 57 ; H. BONNET, Reallexikon, 706-701. (Sahurê II, B1 ; Wb. IV, 280. (وانظر ملحق النصوص عن ألقابها) .

(٧) وعن الفروض لما يحتمل أن يمثله هذا الرمز : See, SCHAEFER, in AeZ, XLII, 72 and G.A. WAINWRIGHT, *Seshat and the Pharaon*, in J.E.A. XXVI, 33.

(٨) تراجع ص ١٣٤ — وعن تمجيدهم لأدوات الكتابة تراجع ص ١٣٥ حاشية ٧

(٩) Pyr. 467.

(١٠) Pyr. 267.

(١١) L.D. III, 167 وانظر أيضا لوحة ٤٧

أن من استشهدنا بهم من أصحاب الصور والتماثيل والألقاب ليسوا غير نفر قليل بالنسبة إلى غيرهم ممن صور معهم وممن لم يصوروا معهم من الأميين . وأن من اتخذوا لقب الكاتب أوماااتصل به من ألقاب تدل على التعلم ، لم يكونوا جميعاً فى ثقافتهم وفى تطلعهم إلى العلم على سواء . وبحث هذين الأمرين ، أى النسبة المحتملة للمتعلمين إزاء مجموع الشعب الكبير ، ونسبة ثقافات أولئك المتعلمين بعضهم إلى بعض ، كلاهما يمكن أن تتضح خطوطه الرئيسية عن طريق استعراض الأسباب والدوافع المختلفة التى كانت توجه مختلف الطوائف إلى التعلم ، وهذا هوما ستتناوله الصفحات التالية :

(ب) دوافع التعلم فى مصر الفرعونية ومدى الاستجابة لها :

يمكن إجمال دوافع التعلم فى مصر الفرعونية فى ثلاثة دوافع ، وهى :

دافع التعلم للانخراط فى سلك الهيئة الحاكمة .

ودافع التعلم لخدمة المطالب الدينية أو لاكتساب نصيب من العلم الدينى الشخصى .

ثم دافع التعلم تقديراً للعلم وكرامته .

وقد وجد كل دافع من هذه الدوافع أنصاراً يستجيبون له ، وذلك على تباين فى أعدادهم من عصر إلى عصر ، ولو أن ذلك لم يحل بطبيعة الحال دون أن يعمل المتعلم بدافعين معا أو بالثلاثة دوافع جميعها .

١ — كان التعلم للانخراط فى سلك الهيئة الحاكمة أكثر الدوافع الثلاثة أتباعا . وقد تطلع أصحابه إلى التعلم وكأنه يميز فى أمتهم على وحدتها بين فريقين : فريق الحاكمين ، وهم المتعلمون الذين عرفوا الكتابة والكتب فتفتحت لهم تبعا لذلك أبواب الإدارة واستطاعوا أن يسهموا فيها بنصيب من النفوذ أو بنصيب من التنفيذ ، أو تيسر لهم على الأقل أن يتصلوا فيها بأصحاب النفوذ والتنفيذ (١) . ثم فريق المحكومين ، و هم الذين حرموا من العلم فحرموا بذلك من الاشتراك فى تصريف شئون بلادهم واضطروا إلى الخضوع لتوجيهات غيرهم . وكانت للمتعلمين المصريين فى إيضاح هذه التفرقة تعبيرات بعضها مقنع وبعضها مسرف ، وردت جميعها على هيئة النصائح التى كان يزجيها الأب لولده والمعلم لتلميذه ابتغاء تشجيعه على الدراسة وطلب العلم . فكان من قولهم فى ذلك :

« اعمل (على أن تكون) كاتبا ، ينعم بدنك وتصبح كفك لينة (٢) ، وحتى تخرج فى بزة بيضاء وتبجل ، وحتى أهل البلاط يحيونك . وحينئذ إذا التمس (قوم) رجلا كفئا وجدوك ، إذ ما من أحد يعمل على معرفة الرجل البسيط ، ولكنه يجد بغيته فيمن كان نابها . وإن (هذا) ليرتفع خطوة فخطوة حتى يصير عظيما بمدائح (؟) المادحين وتبعاً لخلته الحميدة » (٣) .

---

(١) Lansing I, 3. وعن مثل واقعى لما كان يمكن أن تتيحه معرفة الكتابة لأصحابها من اتصال بذوى الشأن والسلطان انظر : Pap. Ch. Beatty, III, vs.; Ost. Cairo 25832rt

(٢) حرفياً : تنعم أعضاؤك وتصبح يدك لينة

(٣) Pap. Chest. Beatty IV vs. 4,3 f.; A.H. GARDINER, Hieratic Papyri..., 3rd series, Vol. I, p. 41; partly, A. BLACKMAN and E.T. PEET, in J.E.A., XI, p. 290. وانظر ملحق النصوص

وقال معلم مصرى « إنه (أى التعلم) يجعل صاحبه يؤاخى من هم أرفع منه » .

وقال غيره « .. أما الكاتب فله كل منصب (فى) الحاضرة (أو البلاط) ، ولن يكون معوزا فيه ، ولكن لن يحقق خيرا ذلك الذى ينفذ إيحاء غيره (١) .

« ... ولاحظ أنه مامن مهنة تخلو (من) مهيمنين ، فيما عدا الكتبة فهم أنفسهم المهيمنون(٢) .

« وجه وجهك لتصبح كاتبا ، ولتصبح المرتبة الطيبة من نصيبك . وحينئذ إذا ناديت واحدا لباك ألف ، وحتى تغدو طايقاً على الطريق ولاتغدو كفحل المبادلة (٣) .

« أولا تتذكر الشخص الخامل الذى لاحول له ولاشهرة ، إذا حمل كالحمارة ، وهو يئن (؟) أمام كاتب يعرف قدره ؟ (٤) .

« (تمتهن جمهرة الناس وتفرض عليهم الضرائب) ماخلا الكاتب ، فهوالذى يصرف أعمال الناس جميعهم ، والضرائب بالنسبة له عمل فى الكتابة ... (٥)

« اعمل على أن تصبح كاتبا ، فذلك يعفيك من الكد (أو التكاليف) وتتقى كل عمل (يدوى) ... ، وحتى لاتصبح خاضعاً لموالى كثيرين (أو) خاضعاً لرؤساء عديدين ... »(٦) .

هذه بعض أقوال الآباء والمعلمين فى تصوير مستقبل الكاتب أو المتعلم وفى تصوير التفرقة بينه وبين من حرم التعلم ، ومع إيجازها يمكن أن يتضح منها أن من كانوا يستهدفون من التعلم الانخراط فى السلك الإدارى كانت تراودهم أو تراود أهاليهم وتشجعهم عوامل عدة ، وأهم هذه العوامل هى :

أولا — قدرة الحكومة على استيعاب كل متعلم منهم فى وظائفها . والغالب أنهم لم يسرفوا كثيراً فى هذا التصور . فقد كفل للحكومة المصرية القديمة قدرتها الواسعة على استيعاب المتعلمين صغارهم وكبارهم ، اهتمامها منذ أوائل عصورها التاريخية بتسجيل كل صغيرة وكبيرة من شئون البلاد وأهلها (٧) ، ثم زادت حاجة الحكومة إلى الكتاب كما زادت قدرتها على استيعابهم فى عصور التوسع الخارجى وفى عصور الدولة الحديثة بخاصة ، وذلك نتيجة للنشاط الكبير فى إعداد الجيوش وما كان يتبعه من تقييد ومراسلات وإصدار

---

(١) A. ERMAN, Die Literatur, 101 واستشهد خيتى بن دواوف بهذه العبارة من كتاب الكمال (ص ١٦٥) ولكنها وردت فى هذا الكتاب الأخير بتحوير طفيف بحيث تقرأ على وجه التقريب : اعمل يا بنى على تعلم الكتابة ، فأيما كاتب فى أى منصب للبلاط لن يكون معوزاً به — انظر ملحق النصوص .

G. POSENER, Catalogue des Ostraca Hieratiques Littéraires de Deir el Medineh, Le Caire 1951, pl. 20 ; See VAN DE WALLE, La Transmission des Textes Littéraires Egyptiens, Bruxelles. 1948, p. 47.

(٢) Pap. Sall II, 9, 1-2.

(٣) انظر ملحق النصوص . Pap. Lansing 8, 1-2 ; A. BLACKMAN and T.E. PEET, op. cit., p. 290.

(٤) حرفياً : الذى لا يد له ولا يعرف اسمه (أولا يعرف أحد اسمه) —
Pap. Lansing, 9, 4 — Ost. Florence 2619 ; A. ERMAN, op. cit., 247.

(٥) Sall I, 6, 8-9. وترد باختلاف قليل فى Pap. Anast. V, 17, 1-2 ; Ch. Beatty V rt. 6, 6)

(٦) Pap. Sall. I, 6, 10 f. ; Anast. II, 6, 7 f.
Compare other readings : ERMAN, Die Literatur, 250 ;
GARDINER, op. cit. ; BLACKMAN and PEET, in J.E.A., XI, p. 291, N . 18.

(٧) A. ERMAN, H. RANKE, Aegypten, 125

أوامر وصرف مؤن ...إلخ ، ثم الاهتمام بتنظيم شئون الحكم في البلاد التابعة مع كثرة التراسل مع أمرائها وأمراء بقية الأقطار الخارجية . ولعله نتيجة لهذا النشاط ولانفساح مجالات التوظف أمام المتعلمين أن نشطت قرائح الكتاب والمربين في هذه العصور بالذات أكثر مما كانت تنشط من قبل ، لتمجيد مهنة الكاتب وتفضيلها عما سواها من المهن والأعمال . .

ثانيا — رغبة الوصول إلى مكانة طيبة تكفل لصاحبها الكرامة واحترام الغير ، وتكفل له القوامة دون التبعية ، كما تضمن له نصيباً من العيش المستقر الهنيء . والغالب أيضاً أن من صوروا هذه المكانة للكاتب لم يكن يعوزهم الاستشهاد بالمنطق وبالمبررات الشكاية . وذلك أن حكومة الفراعنة المصريين التي وصفت بالقدسية لم تكن أدواتها الظاهرة لأفراد الشعب والمتصلة بهم غير هيئات الكتبة المنبثين في كل ركن من أرض مصر يكتبون ويحاسبون ويراقبون وينفذون وينوبون عن الرؤساء ، ويفترض الناس فيهم السلطة تبعا لهذا كله ويولونهم الاحترام تبعاً لهذا كله . وكان مما يعظم من مكانة الكاتب في نظر المتطلعين إليها أن باب الترقي في السلك الحكومي كان مفتوحا أمام الجميع ، من ناحية المبدأ على أقل تقدير ، دون قيد أو شرط عدا الكفاءة الشخصية وحسن السلوك (١) ، وعلى هذا لم يكن من الإسراف في نظر الأب الأديب أوحتى الأب العادى أن يطمع ولده إن هو نجح في دراسته ولحق بأصحاب الوظائف أن يصبح في يوم من الأيام ممن « تعتمد عليه الجيوش » (٢) أو ممن يلون الإشراف ويصرفون أمور الناس جميعاً (٣) ، أو ممن يدبرون شئون الأرض كلها » على حد تعبيراتهم (٤) (وانظر لوحات ٥١ — ٥٨) .

ويمكن القول على وجه الإجمال بأنه إذا كان بعض الباحثين قد رأى من بحثه لنظم الحكم المصرية أن حكومة الفراعنة المقدسة كانت أقرب ماتكون إلى الحكومة البيروقراطية التي تقوم على أكتاف الموظفين المتعلمين (٥) الذين أصبحوا أول المستفيدين منها بعد ملوكهم ، فإنه لايبعد أن أصحاب الدعوة إلى الوظيفة الحكومية من المصريين كانوا يتبينون هذه الصفة فعلا في حكومتهم .

ثالثا — رغبة التخلص من أعمال الخدمة الإجبارية ومن تكاليف الضرائب . ولايبعد أن الحكومة كانت تعفي موظفيها المتعلمين من السخرة والضرائب فعلا في الوقت الذى لم تكن تعفي فيه مواطنا آخر منها ولو كان كاهنا (عاديا) كما تذكر إحدى الرسائل التعليمية (٦) . ويحتمل أنها كانت تقدم على ذلك الإعفاء

---

(١) تراجع الفقرة الأخيرة ص ١٣١ ومنها أنه يصير عظيماً بمدائح المادحين وتبعاً لخلته الحميدة : — انظر ملحق النصوص — ويقرن بها ماجاء في تعاليم بتاح حوتب من وجوب احترام الرئيس بما آل اليه أمره وان كان فيما سبق فقيراً أو متواضع الأصل .(Pap. Prisse 175-180) — ثم ما جاء في تعاليم خيتي لابنه مريكارع أن « لا تفرق بين ابن نبيل وابن وضيع ، بل اتخذ لنفسك الرجل بكفاءته (Pap. Petersburg 1116 Art. 61-62.) وما جاء في تعاليم آني وهو يعد ابنه بالترقي إذ « ليس من ولد لرئيس بيت المال ولا وريث لرئيس حامية .
A. ERMAN, Die Literatur, 298

(٢) Pap. Chest. Beatty IV vs., 4, 2

(٣) Pap. Sall. I, 6, 8

(٤) Pap. Anast. III, 6, 3.

(٥) see, A. ERMAN, H. RANKE, Aegypten, 102, 128.

(٦) Anast. II, 7,6 (see A. ERMAN, Die Literatur—, 251, u. Anm. 1)

ويقرن ذلك بما يذكر من أن الإمبراطور الروماني أنطونيوس بيوس أعفى المعلمين وعلماء البيان والفلاسفة =

تشجيعاً منها على التعلم وحرصا منها على كرامة موظفيها ، كما يحتمل أيضاً أنها أقدمت عليه حرصاً على عدم تعطيل أعمالها الرسمية إذا كلّفت موظفيها بأعمال السخرة بين الحين والآخر .

٢ — أما عن تدين المصريين وأثره فى الإقبال على التعليم ، فمن المعروف أنه قلما اهتم شعب بالدين وبالآخرة كما اهتم بهما شعب مصر الفرعونية . ويتضح أثر هذا الاهتمام فى إقبال بعض طوائف المصريين على التعليم من الحقائق التالية :

أولا — أن اهتمام الشعب وفراعنته بالأرباب العديدين وطقوسهم قد ساعد على تكوين طوائف كثيرة من كهنة المعابد . وإذا تجاوزنا عمن كانت أعمالهم لا تعدو الخدمة والقيام بالطقوس الثانوية من هذه الطوائف ، فإنه يتبقى منهم القائمون بوظائف الكهانة الرئيسية وهؤلاء كان لابد وأن يطرقوا سبيل التعلم للقيام بأعمالهم ، وأن يوجهوا أبناءهم إلى التعلم فى كثير من الأحوال رغبة فى أن يخلفوهم فى وظائفهم .

ثانيا — أن اعتقاد المصريين بما يمكن أن تسهم به النصوص الدينية المكتوبة فى تحقيق السعادة لأصحابها فى أخراهم ، قد ساعد على تكوين طائفة أخرى كبيرة من المتعلمين (أو أنصاف المتعلمين) لكتابة ونقش هذه النصوص على جدران معابد الشعائر الملكية والمقابر الخاصة وعلى سطوح التوابيت . ومن هؤلاء من عرفوا باسم «سشو قدوت» الذين سوف تفرد لهم مناقشة خاصة فى صفحات ١٥٧ — ١٥٩ وقد زاد من أهميتهم ومن الحاجة اليهم ما حرص عليه الفراعنة من تدوين دلائل تقواهم على معابد الآلهة التى ينشئونها . ويضاف إلى هؤلاء أيضا من كانوا يكتبون المتون الدينية على صفحات البردى :

ثالثاً — أن المصريين قد اعتقدوا فى آلهتهم العلم والمعرفة(١) ، بل وردوا إليهم كثيرا من العلوم والمعارف واعتبروهم الواضعين لأصولها ، ثم تصوروا أنهم لن يتخلوا عن تقديرهم لهذه العلوم وللآخذين بها فى الحياة الآخرة . وكان من آثار هذا أن رأى بعض المثقفين أو المتدينين فى التزود من مناهل العلم والعمل بهديها نوعا من التعبد فى الدنيا وقربانا يتقربون به إلى الآلهة فى الآخرة . فكان الداعى إلى الدراسة يعتبر نفسه داعيا إلى «أقوال الرب» ، وكان المنصرف عن الدراسة يعتبر منصرفا عن أقوال الرب(٢) ؛ وكان الكاتب يعتبر نفسه تلميذا للإله تحوتى نفسه (إله العلم والمعرفة) (٣) و تابعا له (٤) ، مهنته هى هى مهنته (٥) ، وإصبعه هو منقاره (٦) ، ويرى من الواجب عليه أن يذكره (هو وأتباعه أهل الحكمة

= فى الإمبراطورية الرومانية من الضرائب والخدمة العسكرية (مونرو : المرجع فى تاريخ التربية معرب بالقاهرة ص ٢٠٣) .

(١) Ebers, 1, 8 f; Siut, IV, 21; Urk. IV, 19, 16 f.; Edfu VII, 45 Metternichst. 87; DIODORUS I, 94, 75; CLEMENT, Strom VI, 4, 35-37; etc...

(٢) كثيراً ما كان المعلم المصرى يردد لتلميذه فى موضوعات التأنيب على الإهمال فى الدراسة ، قوله « قد قيل لى إنك تهجر الكتب .. وإنك أدرت ظهرك لأقوال الرب وانفصلت عن المهنة الممتازة »

Pap. Anast, V, 6, 1-2; 15, 6-7

(٣) سيان تحوتى زسف Berlin 7798 (انظر ملحق النصوص ولوحة ٤٦) .

(٤) يقول معلم لتلميذه « إن تابع تحوتى كنية حلوة لمن يزاولها (أى الكتابة) Lansing, 1, 2 النصوص .

(٥) يقول معلم لتلميذ مهمل « لقد قيل لى .... ، انك انفصلت عن (مهنة تحوتى) Anast. V 6, 2

ويعتز الكاتب بأنه الماهر فى مهنة تحوتى Pap. Petersburg 1116 Art. 148 f. (J.E.A.I. p. 21)

(٦) انظر ملحق النصوص «إنما منقار طائر تحوتى هو إصبع الكاتب» (Br. Mus. Pap. 10474, 17, 17)

القدماء) كلما تهيأ ليكتب بقلمه (١) . وكان الكتبة يحتفظون بتماثيل تحوتى فى دورهم (٢) ، ومكاتب أعمالهم (٣) ربما ليلهمهم وحيه أو ليستظلوا برعايته ، وكانوا يستنصرونه ضد من يمس كتاباتهم الأدبية بسوء (٤) . وكان منهم من يعظ الحاكم بقوله « إنك بوصة القلم ، إنك الكتاب ، إنك لوحة تحوتى طالما بقيت بمبعدة عن فعل السوء » . وكان من أثر ذلك كله أن وجد نفر من الكتاب أخذوا على عاتقهم الدعوة إلى علم تحوتى حبا فيه وتعبدا له ، وقد قال أحدهم يناجيه : إنى خادم دارك فدعنى أتحدث بآلائك (أو قدراتك) فى كل بلد ... ، حتى يأتى الناس بأبنائهم ليسموهم (أولينذروهم) لمهنتك » (٥) .

ووجد من الناس من كان يؤمن أنه ماثل أمام تحوتى وبجانبه فى الآخرة (٦) ، وأنه لن يصل إليه حتى يثبت « لحارس كتابه » أنه من أهل الكتاب ومن أهل المعرفة . وتضمن كتاب الموتى فصلا يسمى « فصل دعاء المحبرة واللوحة » (٧) يؤكد المتعلم فيه لحارس تحوتى أنه أتاه صالحا مجدا مزودا بكتب تحوتى وأحضر اللوحة وأدوات تحوتى ، وأنه باعتباره كاتبا أحضر جسد أوزير (تكنية عن اللوحة) ليكتب عليه ، وأنه نفذ ما قاله الإله الأكبر الخير باستمرار وفى أحسن حال . وفى المتون الدينية كذلك ما يشير إلى أن إله الآخرة أوزير قد يغضب إذا أبحر إليه بجاهل ، فيقول لمن جاء به مستنكرا : « هل تنقل إلى رجلا لا يعرف عد أصابعه ؟ » (٨) وأغلب الظن أنه ليس الجهل بعد الأصابع هو المقصود بالاستنكار وإنما هو التعريض بمنتهى جهل الرجل . وجاء فى متون أخرى ما يوحى بأن المعرفة بتأويل الأحاديث كانت تيسر السبل لصاحبها فى الآخرة فيقول المتوفى لحارس الآخرة « افتح طريقا لروحى ... حتى تفسر حديث أوزير لأولئك ذوى الأمكنة الخفية » (٩) ، وأن المعرفة بأسماء آلهة الآخرة كانت تقى الانسان بطشهم ، وأن من عقبات الآخرة مالا يمكن تخطيه إلا بمعرفة أسمائه (١٠) . وجدير بالتقدير هنا أن كتب السحر وإن ادعت القدرة على أن تكفل للمتوفى الاهتداء إلى طرق الآخرة وتخطى

---

(١) SCHAEFER, in AZ.XXXVI, 147 ; A.H. GARDINER, in AZ. XL, 146

(٢) A. ERMAN, Die Literatur, —, 378.

(٣) L. BARCHARDT, Das Dienstgebaude des Auswärtigen Amtes unter den Ramessiden, AZ. XLIV, 59.

(٤) Sall IVvs. 16,2 ; Pap. d'Orbiney, 19, 9-10.

(٥) Pap. Anast. V, 9, 8 f. (انظر ملحق النصوص) .

(٦) فى كتاب الموتى فصل يسمى « فصل الوجود إلى جوار تحوتى » .
W. BUDGE, Book of the Dead, London 1910, (Ch. XCV)

(٧) (XCIV) وصور المتوفى بجانب هذا الفصل فى بردية « نو » يجلس إلى صندوق عليه محبرة ولوحة — انظر أيضاً WRESZ, Atlas, I, 62 وشكل رقم ٥٩ — وكانت توضع مع المتوفى أحيانا أدوات الكتابة . QUIBELL, The Ramesseum, p. 3 أو نماذج لها تكتب عليها دعوات أخروية (J.E.A. XXIV, pl., p. 9 f.) وكثيرا ما صورت هذه الأدوات على توابيت الدولة الوسطى .
(JEQUIER ; Frises d'objets, Cairo 1921, pp. 263-8)

(٨) V.H. GRAPOW, Religiose Urkunden, (M.R.), 178. أو هل تعبر .. ، انظر النصوص .

(٩) Pap. Nw, 92, 8-9.

(١٠) J. VANDIER, La Religion Egyptienne, Paris, 1941, p. 100.

عقباتها ، إلا أنها كثيرا ما جعلت المعرفة بمتونها أعظم فائدة من مجرد أقتنائها (١) ، ومن المحتمل — إن لم يكن من المؤكد — أن من كانوا يؤمنون بهذا كانوا يحاولون التعرف على عدد من أسماء الآلهة وشيء من أخبارها وأسماء عقبات الآخرة وحفظ شيء مما يقيهم أضرارها من قبل أن يوافيهم الأجل فيعجزون عنها .

وهكذا فتحت المعتقدات الدينية عدة أبواب للتعلم قصدها فريق من الناس ابتغاء كسب الرزق ، وقصدها بعضهم الآخر ابتغاء إرضاء الآلهة وضمان سعادة الآخرة . بيد أنه ما من بأس فى الاستدراك بأن هؤلاء الأخارى الذين استهدفوا بالعلم سعادة الآخرة لا يبعد أن كان منهم من لم يجد داعيا لتعلم القراءة والكتابة فى سبيل ما استهدفه من علم دينى وأخروى وإنما اكتفى بأن يتعلم ما أراده سماعا سواء عن طريق مصاحبة أحد رجال الدين أو بحضور مجالسه . وفى بعض ما تقدم ما يقرب بين أثر التدين المصرى القديم وبين أثر التدين الإسلامى فى الحض على طلب العلم ، وفى إيثار المتدينين توجيه أبنائهم إليه ، وإن كانت ظروف الحياة كثيرا ما تقعد بهم وبأبنائهم عن تنفيذ ما يودون .

ويتبقى طالب العلم تقديرا للعلم ، وذلك مبدأ لاشك فى قلة أصحابه فى مصر الفرعونية على نحو قلتهم فى كل مجتمع وكل زمان ، كما أن الآخذ به عادة ما يعتنقه من بعد أن ينهل من مورد العلم فيستعذبه وليس من قبل ذلك ، ولكن ما من شك كذلك فى أن مثله يكون داعية إلى مذهبه ، أو يكون على الأقل مثلا لأولاده ولتلاميذه والمحيطين به ، أو يكون مجرد قدوة يذكرها التاريخ . وفى موضوع مدرسى من عصر الرعامسة ، أخذ معلم يبصر تلميذه بسمو هذا المبدأ قائلا له (٢) : «إن كتابا(٣) (واحدا) لأعز قيمة من بيت البانى ومن مقصورة فى الغرب ، وإنه لأجمل من قصر مشيد ومن نصب تذكارى فى معبد » ، وتناول المعلم جماعة من الآخذين بهذا المبدأ وهم « الكتاب العلماء » الذين قامت كتبهم « مقام المقاصير والأهرامات فى ترديد أسمائهم » وذكر منهم حور ددف وإيمحوتب ونفرى وخيتى

---

(١) من ذلك أن تقول المتون : « أما من يعرف هذا الكتاب ... فسيسير على وجه الأرض W. BUDGE, Book of the Dead, 1898, p. 152 » ومن يعرف هذه الرقية يخترق حقول البوص ويوهب هناك الطعام والشراب، والحلوى » Ibid., p. 209 « ان من يعرفها (هذه الصور والأسماء) أفاده ذلك فائدة جليلة على وجه الأرض وأفاده فى العالم السفلى (A. ERMAN, Die Religion der Agypter, 236) أما من لا يعرف هذا فلن يستطيع اتقاء عبث (Ibid) . « أما أى إنسان يجهل هذا الفصل فلن يدخل » (Urk V 95) وجاء فى كتاب الموتى أن المتوفى تمر من لياليه ليلة تدعى « ليلة إحصاء الأعوام وذكرعدد الشهور (شهور الأعياد (؟)) وأنه يحتاج فى هذه الليلة أن يستعيد اسمه وذاكرته ، وربما كان معنى حاجته إلى استعادة ذاكرته أنه هو بالذات من كان يكلف بعد السنوات وذكر عدد الشهور ، وان كان كنه هذه السنوات والشهور غير مفهوم . (W. BUDGE, op. cit., 1895, p. 87).

(٢) Pap. Chest. Beatty IV vs. 2, 5, 3, 10 ; A.H. GARDINER, Hieratic Papyri —, 3rd Series, Vol. I, p. 39.

(٣) الواقع أن استخدام كلمة « كتاب » للتعبير عن الكلمات المصرية سش ، مزات ، زامع ، شفدو ، وما يماثلها ، فيه تجوز ، إذ الأقرب إلى التعبير المصرى هو « مخطوط » أو بردية (مكتوبة) أو مصنف — حيث لم يعرف الكتاب المجلد ذو الدفتين فى العصور الفرعونية . غير أن كلمة كتاب هى المستعملة عادة ليسر التعبير — وانظر ص ٢٥٩ see, WB. III 476 ; A.H. GARDINER, Gram., 1927 ; Y 1).

W.G. OTTO, « *Buch und Bibliothekswesen* », in Aegyptologie, Abb. II, 1952, 219 f.

وبتاح م تحوتى وخع خبر رع سنب وبتاح حوتب وكايرسو (١) . ثم وصف جانبا من حياة الأعلام التى اختاروها والتى أدت بأسمائهم إلى الخلود قائلا إنهم اعتبروا (الكتاب) كاهنا مرتلا، ولوح الكتابة فاعمل (على أن تصبح) كاتبا وقرها فى ذهنك حتى تصبح شهرتك مثلهم (٢) . وقام إلى جانب هذا المعلم فى الدولة الحديثة آخرون كانوا يرغبون فى مثل مذهبه، وسيتناولهم البحث فى الفصل الرابع عشر، وكان من قول أحدهم لتلميذه « إنها (الكتابة) أعز من إرث فى مصر ومن قبر فى الغرب » وقال « هى ألذ من إمتاع النفس بسلة من باى (؟) وخروب » . وقريب من هؤلاء الذين سجلوا فضل العلم فى خلود ذكر العلماء ، جماعة ردوا شهرتهم بالذات إلى القلم دون غيره ، وقال قائلهم « جعلنى يراعى من أصحاب المعرفة » (٣) وقال « (إنى) من جعله يراعه مشهورا (أو من هيأ له قلمه أن يشتهر) » (٤) وإن كان هؤلاء الأخارى فيما يبدو أقرب إلى تقدير العلم المادى منه إلى العلم الخالص .

وما يعقب به على صور هذا الإكبار الذى أضفاه معلمو الدولة الحديثة أو أدباؤها ، على العلماء المؤلفين ، والإكبار الذى أضفوه على العلم ممثلا فى الكتاب أو الكتابة أو القلم ، وتفضيلهم إياه على عرض الدنيا وعن الابن بالصاب وعن بيوت الآخرة ، هو أن إكبار العلماء لعلمهم المجرد لم يكن قاصرا على الدولة الحديثة دون ما قبلها من عصور مصر القديمة ، فقد خلدته قصة خوفو وأبنائه وقصة تنبؤات نفررحو وأجرت كل منهما تمجيد علمائها على ألسنة فراعنة الدولة القديمة أنفسهم . (٥)

وظلت القصص المصرية حتى آخر عصورها تخص بالذكر جماعة من الأمراء أثر عنهم سعيهم إلى العلم والعلماء بوحى أنفسهم ودون أن يضطروا إليه بطبيعة الحال فى كسب معاش . ومن هؤلاء الأمير حور ددف بن خوفو الذى بقيت لتعاليمه شهرتها حتى عصر الرعامسة على الأقل (٦) ،

---

(١) عن هذه الأسماء . A.H. GARDINER, op. cit., p. 40 f.; *J. CAPART, Les Grands Maîtres de la Litterature Egyptienne* (Académie royale de Belgique Bulletin, Bruxelles 1935, t. XXI, 289 f.

(٢) تراجع ص ٢٧٩

(٣) Urk. IV 119.

(٤) Ibid., 127 — وانظر ملحق النصوص .

(٥) لا يعنى الاستشهاد بالقصتين صدق حوادثهما بالضرورة وإنما حسبنا منهما تبين ما كان يتخيله الناس عن العلم والعلماء وما يجب أن يكون له ولهم إكبار وإجلال .

Pap. Westcar, 7, 17 f.; 8, 15-17; Pap. Petersburg 1116 B, rt. 13-14; 70-71 see, A. ERMAN, Die Literatur, 68, 70 f.; 153, 157; A.M. BLACKMAN, in J.E.A. XIII, 187; XVI, 66.

(٦) Pap. Westcar, VI, 22 f; Pap. Harris 500 (der Harfenspieler, 1, 7); Book of the Dead, Chap. LXIV, also XXXB and CXXXVII (see, A. ERMAN, Die Marchen des Papyrus Westcar, Berlin 1890, S. 19); Pap. Anastasi I, 11,1.

وخعمواس بن رمسيس الثانى (١) وأخوه فى الرضاع انحرور (؟) (٢) ثم أمير ردته القصص إلى أيام الدولة القديمة وأسمته نى نفر كابتاح . (٣)

تلك إذن هى أهم الدوافع الثلاثة التى جعلت للتعلم أهميته فى مصر الفرعونية ، وهى : إغراء الوظيفة الحكومية ومطالب المعتقدات الدينية ، وتقدير العلم للعلم . وثلاثتها فى الحق كانت كفيلة بأن تجعل نسبة المتعلمين المصريين نسبة عالية . غير أن كلا منها – وأولها على وجه الخصوص – وإن كان قد وجد أنصارا يستجيبون له إلا أنه لم يسلم فى الوقت ذاته من عوامل معارضة تقف فى سبيله وتحد من تأثيره . فلقد سلف من نواحى إغراء الدافع الأول ما كان يبرزه دعاته من أبهة الكاتب الموظف وانفساح أمل الترقى أمامه وتميزه عن رجال الجيش والزراعة والصناعة بكرامة الحياة واستقرارها ورغدها. غير أنه يبدو أن هذه الاعتبارات لم تكن تملأ أذهاناً غير أذهان مؤلفيها ، أما جمهرة الناس وغالبيتهم فقد انصرفوا عن الاستجابة إليها وذلك إما لعدم الشعور بالحاجة الملحة إلى التفكير فيها أو للعجز عن تحقيقها . بل إن التلاميذ أنفسهم الذين كانت تتلى على مسامعهم موضوعات تمجيد مستقبل الكاتب فيكتبونها ، كان منهم من يتخذون إزاءها موقف العناد ، ومنهم من يقفون إزاءها موقف العجزة ، ومنهم من يقفون إزاءها حيارى تتجاذبهم شتى الانفعالات . ويمكن تقريب عوامل صدوف جمهرة الناس وغالبيتهم عن التعلم إلى أربعة عوامل ، وهى :

أولا – أن كثيرا من المهن اليدوية التى رتب الأدباء والمعلمون أفضلية الوظيفة الحكومية عليها ، لم تكن فى حقيقة أمرها على الحال البائسة التى صوروها عليها فى رسائلهم وتعاليمهم ، إذ ما كان ينبغى كما يشير إرمان (٤) – أن يكون من أبدعوا الآيات العجاب من صناعات الذهب والعاج والقاشانى والخشب ، على بؤس من الحياة أو فى مهانة أدبية . وإنما يغلب أنهم كانوا راضين عن مهنهم راضين أن يخلفهم أبناؤهم فيها دون حاجة إلى التعليم المدرسى أو التعلق بأهداب الوظيفة الحكومية . وما يقال عن هؤلاء يقال دون شك عن أمثال الفنانين الذين لم يسلموا من تحقير الداعين إلى مجد مهنة الكاتب (٥) .

ثانيا – أن الصبغة الزراعية التى اتصف المجتمع المصرى بها وقامت عليها اقتصادياته لاشك فى أنها قد أعجزت الكثيرين عن طرق باب التعلم . فهو مجتمع اعتمد فى نشاطه الاقتصادى الأسرى والجماعى على كثرة الأيدى العاملة على الأرض شأنه فى ذلك شأن أى مجتمع زراعى قديم . والأب المزارع صاحب الملكية الصغيرة «والذى يحرث بزوج ثيرانه » (٦) ليس أقرب إليه فى العادة من سواعد أبنائه ، يأتمنهم

(١) F.L. GRIFFITH, Stories of the high priests, p. 2 f. ; W.F. PETRIE, A. History of Egypt, 1920, III, 84 f ; E. Drioton & J.P. LAUER. *Une inscription de Khamouas,* Ann. Serv. 1937, p. 201 f

(٢) G. MASPERO, Les Contes Populaires, 1911, p. 125.

(٣) F.L. GRIFFITH, op. cit. 17 f.

(٤) A. ERMAN, H. RANKE, Aegypten und ägyptisches Leben in Altertum, Tubingen 1923, 535-6.

(٥) Sall II, 4, 6 f.

(٦) Cairo 20506, 3-4 ; 20499, 8-9, 20530, 14-15 ; J. POLOTSKY, Zu den Inschriften der 11 Dynastie, Leipzig, 1929, S. 35, 62.

على أعماله ويهيئهم منذ الصغر ليخلفوه فى ملكيته بعد وفاته . ومثل هذا الأب المزارع إذا استفزه الأمل في أن يصبح أبناؤه من المثقفين أو أصحاب المراكز فوجههم إلى حياة الدراسة ، فإنه قلما يتمكن من أن يجارى هذا الأمل إلى نهايته ، وإنما يحدث غالبا على نحو ما يجرى الآن ، أن يكتفى لهم بدراسة أولية تزيد كفاءتهم على إدارة أعماله إن كان على شيء من اليسر ، أو تهيئهم للعمل فى مكاتب أصحاب الضياع الكبيرة أو فى الإدارات الحكومية المحلية . ومثل هذه الدراسة الأولية ذات الأفق المحدود لم تكن بطبيعة الحال هى الدراسة التى هدف الأدباء إليها ، ولم يكن لصاحبها أن يطمع فى ذلك المستقبل الذى صوروه مؤديا إلى مراكز الصدارة والسلطان . فإذا تهيأ للأب المزارع برغم هذا أن يستغنى عن مجهود أحد أولاده وأن يصبر على مواصلته لمرحلة دراسية لائقة فإن هذا يكون فى العادة لهذا الولد فحسب دون إخوته الباقين (١) .

ثالثا — أن نفس هذه الصبغة الزراعية التى غلبت على مجتمعنا القديم تطلبت أن تتركز الغالبية العظمى من سكانه فى الريف . وأغلب الظن أن دور التعلم ، والتعليم الراقى خاصة ، لم تكن توجد فى الريف ، وإنما توجد فى المدن أو على الأقل فى المراكز الحضرية المتناثرة (٢) . فبعد أماكن التعليم إذن عن صميم الريف كان يزيد من عوائق انتشار التعليم .

رابعا — أنه مع صدق تسمية الحكومة القديمة بالحكومة البيروقراطية ، ومع منطقية انفساح مجال الترقى أمام الجميع فيها ، فإنه مما لا شك فيه أن الموظفين المتعلمين فى تلك الحكومة لم يكونوا يتمتعون برغد العيش وسلطان الوظيفة على سواء بينهم ، وأنه لابد وأن كانت الأعداد الغفيرة منهم من الخاملين والهمل الذين لا تكفل لهم مرتباتهم غير العيش المتواضع . ومثل هؤلاء لم تكن أحوالهم لتؤيد دعاوى المعلمين والأدباء بمجد الكتبة فى شيء كثير ، بل إن بعض المتعلمين لم يأبوا الاعتراف بهذا الأمر الواقع ، فكان منهم من يقول لولده «إذا وهبوك العيش جزاء الغباء . فاجعل التعليم إذن خصيمك» . (٣)

أما عن تردد بعض التلاميذ أو صدوفهم عن دعوة الداعين إلى التعلم والاستمرار فيه من أجل الوظيفة الحكومية ، فكلاهما تفصح عنه عبارات تقليدية اعتاد المعلمون — من عصر الرعامسة على وجه الخصوص — أن يبدءوا بها موضوعات لهم تستهدف تأنيب المتخلفين عن الدراسة أحيانا ، وتستهدف التوجيه دون التأنيب أحيانا أخرى . ومن هذه العبارات أن يقول المعلم لتلميذه : «لقد قيل لى إنك تهجر الكتابة وتنغمس (؟) فى الملاذ ، و (إنك) قد وليت وجهك إلى العمل فى الحقل ...» (٤) أو يقول له «لا تدع ذهنك يشرد متذبذباً كورق الشجر فى مقدمة الريح ، ولا تسلم قيادك (حرفيا : فؤادك) لآخر ، فنعم الرجل العامل ...» (٥) أو يقول «ما معنى قولك إنه يقال إن الجندى أسعد من

---

(١) تراجع ص ١٤ عن أب مزارع له خمسة أبناء يعمل ولد منهم وثلاث بنات فى نقل الغلال بينما يجلس ولده المتعلم متربعاً فى دعة على كومة الغلال يقيد ما ينقل منها .

(٢) تراجع ص ١٦٣ وص ١٧١

(٣) Brit. Mus. Pap. 10508, XIX, 25.

(٤) Pap. Sall I, 6, 1-2

(٥) Ibid., 5, 5 f. — انظر ملحق النصوص .

الكاتب ؟ ... » (١) أو يقول «تعال أحدثك (عن) مهنة تعسة ، (مهنة) فارس الخيالة ... » (٢).

وعوامل هذا التردد أو الصدوف من جانب التلاميذ يمكن إجمالها فى عاملين :

أولا : أن الدراسة الناجحة التى كان يمكن أن تؤدى إلى مدارج ذلك المستقبل الواسع الذى رسمه المعلمون أمام تلاميذهم ، وهى دراسة متقدمة للشبان — كما تنم عن ذلك عبارات التأنيب السابقة — لم تكن هينة ، وإنما كانت تتطلب من التلميذ كثيرا من الجهد . إذ أنه على الرغم من تميز الكتابة المصرية القديمة بالحروف الهجائية المحدودة العدد ، إلا أنها ظلت تتضمن من العلامات والمخصصات مايبلغ المئات عدا . فكان جهد التلميذ يتوزع فيما بين إتقانه لهذه الحروف والعلامات والمخصصات فى الكتابة الهيراطيقية وحدها أو فيها وفى الكتابة الهيروغليفية معا (٣) ، وبين ضرورة إتقانه للحساب ومسائله وذلك بصفته «الحاسب لكل ما هو كائن » (٤) كما يذكر أحد الموضوعات المدرسية ، وبين ضرورة تعلمه لتعبيرات مختارة من الأدبين القديم والحديث تليق بمن سيتصل بالبلاط ويصبح من رجال الحكم ، ثم تعلمه لبعض المعلومات العامة التى تليق بثقافة الكاتب والتى سيتناولها الفصل الثالث عشر بالتفصيل . فيبدو إذن أن هذا الجهد ، وجهد الكتابة خاصة ، لم يكن يطيقه إلا القليل من التلاميذ ، أما من سواهم فيغلب أنه كانت تقعد بهم الهمة عن السير إلى آخر الشوط ، وذلك إما لصعوبة الدراسة كما تقدم ، وإما سأما من الحياة الرتيبة التى يفترض فيها النظام والطاعة «والكتابة نهارا والقراءة ليلا » ، (٥) والتى لا تجارى حيوية الغلام ولا تجارى ما اعتاده أطفال الريف من بساطة الحياة وانطلاقها . ومثل هؤلاء المتخلفين كان منهم — كما تشير الموضوعات المدرسية — من يلتمس نسيان إخفاقه فى « الانغماس فى الملاذ » ومنهم من كان يؤثر الانصراف عن الدراسة وعن مستقبل الكاتب جملة ثم الاتجاه إلى الجيش أو الزراعة ضاربا عرض الحائط بمبالغة معلمه فى تصوير ما ينتظره فى كل منهما من مشاق .

ثانيا : أن العصر الذى زادت فيه مبالغة المعلمين والأدباء فى تصوير أهمية الكاتب الحكومى ، كان هو بالذات عصر التوسع الخارجى ، أى العصر الذى كانت المفاخرة فيه بالبطولة الحربية تغطى على كل ماعداها من مفاخر ، والذى كانت انعامات الفراعنة تتوالى فيه على رجال الحرب أكثر مما تتوالى على غيرهم ، والذى لم تكن تنقطع فيه عودة الجيوش من الخارج بالجزى والأسلاب والهدايا التى تبهر الأنظار وتثير المطامع . (٦) وكل هذا كان دون شك يثير أخيلة الشباب ويدفع بالتلميذ إلى طموح وإلى أن يقارن بموازينه الخاصة بين حياة الدراسة التى يراها رتيبة مملة وبين تلك الحياة التى تفيض حيوية وعظمة ، فيميل إلى إهمال الأولى ويأخذ فى التفكير فى الثانية ، وقد ينجح فى تنفيذ عزمه فيهجر

---

(١) Pap. Anast. IV 9, 4. انظر ملحق النصوص .

(٢) Pap. Anast. III, 6, 3.

(٣) see also, A. ERMAN, L'Egypte des Pharaons (Traduction de H. Wild), Paris 1939, p. 242 ; also, Aegypten 386 ; Die Welt am Nil, 1936, 191.

(٤) Pap. Ch. Beatty, IV vs. 4, 2.

(٥) Sall. I, 3,6 = Anast. V, 10, 3.

(٦) تراجع أيضا معالجة أخرى طريفة لهذه الفكرة عند ماسبرو : G. MASPERO, Du genre épistolaire chez les Egyptiens de l'Epoque Pharaonique, p. 40.

الدراسة ويخرج منها لا هو بالمتعلم ولا هو بالجاهل ، أو يعجز عن تنفيذ عزمه إزاء ضغط الأب أو المعلم ويظل موزع النفس «يتذبذب فؤاده كورق الشجر أمام الريح» .

وكانت هذه الاتجاهات هى الدافعة دون شك إلى أن تزداد مبالغة المعلمين فى تصوير متاعب الجندية فى ذلك العصر بما يكاد يعادل مبالغة الشبان فى تصور مجدها . فكان من المعلمين من يحط من شأن فارس عربة الحرب على الرغم من أن فرسان العربات كانوا أرقى رجال الجيش وكان من أبناء الملوك أنفسهم من يتلقب بلقب السائق الأول لجلالة الملك والمشرف على الخيل (١) ، بل إن تصوير المعلمين لمشاق الجندى العادى (وعو) (٢) لم يكن يخلو هو الآخر من تهويل واضح ، إذ كان شأن الجندى فى الدولة الحديثة شأن الكاتب لايقف حائل دون ترقيه إلى مراكز القيادة مادامت له شجاعته وكفاءته .

وأخيراً فتلك كانت أبرز العوامل التى حدت من أثر إغراء الوظيفة الحكومية فى نشر التعليم بصفة عامة ، والتعليم الراقى بصفة خاصة . أما أثر عامل التدين فى نشر التعليم فما نظن أنه كان يحد من مداه غير اختلاف الظروف الاقتصادية ، فقد تزيد قدرة الدولة على استخدام الكهنة المتعلمين فى المعابد، وتزيد قدرة الشعب على استخدام كتبة النصوص الدينية والأخروية فى المقابر فتزداد أعداد هؤلاء وهؤلاء ويشجعهم هذا على تعليم أبنائهم ، أوتقل قدرة الدولة وقدرة الشعب فيحدث العكس . وأما أثر تقدير العلم لذاته أو لكرامته فهو كما أسلفنا ظل محدود المدى قليل الأتباع فى كل مجتمع وفى كل آن .

---

(١) S. HASSAN, The Great Sphinx and its Secrets, Cairo 1953, p. 87; W.F. PETRIE, Koptos, 19,1.

(٢) Art niederer Offizier = Wb. I, 280, 3; but see Calice, in AeZ LII, 116 f. and A.H. GARDINER, Anc. Egyptian Onomastica, I, p. 25.

الفصل السابع

مَصَادِرالحيَاة التعليميّة

ومعلموها ودورها فى المرحلتين الأولية والمتقدمة

(١) فى المناظر المصورة والمنقوشة : خلف المصريون عديداً من المناظر الفردية والجماعية التى تناولت شئون حياتهم الخاصة والعامة ، غير أن نصيب الحياة التعليمية فى هذه المناظر يكاد يكون شبه معدوم . وعدم تمثيل مراحل التلمذة فيما صوره المتعلمون من جوانب حياتهم على جدران المقابر ، يحتمل تعليله بأحد فرضين : فإما أن يفترض له أن صاحب المقبرة عندما كان يشرع فى اختيار مناظرها يكون قد بلغ مبلغ الرجال ، إن لم يكن قد بلغ الشيخوخة ، وتكون صور المدرسة والمعلمين قد أضحت لديه من الصور البعيدة الباهتة التى لايتيسر له وصفها وصفاً تفصيليا لمصور المناظر فى مقبرته . وإما أن يفترض أن اعتقاد المصريين بإمكان تحول صور المقبرة إلى صور حقيقية فى العالم الآخر كان يصرفهم عن تخليد كل مايصورهم بمظهر الخضوع أو العجز أمام الغير ، ولو اقتصر ذلك على مجرد تصوير الشخص تلميذاً بين يدى معلمه ، خاصة وأنه كان من تسميات المصريين للتلميذ أنه « من تحت يد سيده » أو من « تحت إشراف سيده » (خرى ع نبف) (١) .

على أن مالايسهل تعليله إلى جانب ذلك هو عدم إقبال المعلمين بالذات على تصوير أنفسهم فى أوضاع التدريس سواء أكان تدريسا فرديا أم فى فصل أم فى مكتب ، على الرغم من أنه توفرت على وجود هذه الأنواع من التدريس قرائن عدة ، وأنه قد وجدت بالفعل عدة مقابر ونصب وتماثيل للمعلمين من العصور المختلفة (٢) ، أى أنه لم يكن الفقر وحده هو الذى صرفهم عن تصوير أنفسهم فى أوضاع المعلمين ، كما أنه ليس من دليل على أن مهنة التعليم فى حد ذاتها كانت من المهن النكرات التى لايعتز صاحبها بممارسته إياها (٣) ، وذلك فضلا عن أن هذا التصوير لم يكن ليسيء إلى المعلم فى حياته الأخرى إن صح أنه قد

---

(١) تراجع ص ١٧٥ ، ٣٤٢ ، — ويماثل تعبير « خرىع نبف » تعبير « خرى د ت » بمعنى « من تحت اليد » — انظر ملحق النصوص (Cairo 42155 c.) وحقاً ليس من النادر أن يتخذ هذا اللقب بعض الموظفين والفنانين فى صورهم ونقوشهم باعتبارهم مساعدين لمن يعملون معهم H. JUNKER, Giza XI, Abb. 80, S. 209; MAR., Cat. d'Abydos 559; L.D., III, 3; Leyden, D 38; A. ERMAN, in AeZ, XIII, 130.

ولكن يلاحظ الحرص من الأوساط الراقية على الظهور بمظهر لائق وجليل بقدر الإمكان ، بحيث أنه حتى الصغار منهم الذين صوروا عراة فى مقابر آبائهم كانوا إما أن يكتفى لهم بذكر أسمائهم وإما أن تذكر لهم ألقابهم التى حملوها فى وظائفهم وهم كبار ، وتراجع ص ٤١ حاشية ٩ عن رأى إرمان فى تعليل ذلك .

(٢) تراجع ص ٢١٢ ، ص ٢١٤ ، ٢١٦ (٣) تراجع ص ١٧٧ ، ص ١٨٠

كان للحياة الآخرة أثرها حقاً فى إحجام غيره من المتعلدين على تصوير أنفسهم أمام معلميهم فى الفصول أو المكاتب . ولايتميز من مناظر المعلمين غير منظر جمع بين المربى الكاتب « مين » وبين تلميذه أمنحوتب (الثانى) فى درس للرماية (لوحة ٤٣) ، وثمة مايدعو إلى احتمال إسهام مين هذا فى تثقيف تلميذه بثقافة علمية إلى جانب تعليمه الرماية (وهذا ما سيتناوله البحث ص ٢١٦) . وإزاء هذا كله لايكون هناك إلا أن يرد عدم تصوير من عرفوا من المعلمين أصحاب المقابر والنصب إلى مجرد المصادفة وترك الفصل فيه للكشوف المستقبلة . على أنه إزاء هذا التقصير المحتمل ممن عرفوا من المعلمين ، فإن حرص أثرياء الدولة القديمة على تصوير نشاط موظفى ضياعهم قد أبقى على بضعة أمثلة من مرافقة الأولاد لصغار الكتبة من الموظفين كصبية لهم وربما كتلاميذ أيضاً فى ذات الوقت ، وقد صور اثنان منها فى مقبرة « كام رحو » من عصر الأسرة الخامسة (١)

وأما عن رسوم دور التعليم الجماعية أو المدارس ، فقد أشار الأستاذ إ . دريوتون فى بحث قصير عن التعليم إلى مدرسة مصورة فى مقبرة قريبة من معبد الرمسيوم فى غرب طيبة تتألف على حد قوله من قاعة ذات أفنية وبهو أعمدة ويستقر فيها تمثال رب الآداب والعلوم ومقاعد للأساتذة وصناديق للكتب تتكون منها مكتبة (٢) . بيد أن دريوتون لم يحدد المقبرة ولم يذكر مرجعاً لها . وعلى هذا لم أستطع للأسف أن أتحقق مما يذكره ، وهو لو صح لكان كسباً جليلا للمعرفة بدور التعليم فى مصر الفرعونية ، وإن كنت أعتقد من وجه آخر أنه تصد بها « دار مراسلات الفرعون » من عصر الرعامسة ، إذ ينطبق أغلب وصفه على ما صورت به (٣) ، ثم ربط بينها وبين القاعات الملحقة بمعبد الرمسيوم والتى تشبهها فى تخطيطها المعمارى . ولتصوير هذه الدار أياما كانت وجوه نشاطها قيمة كبيرة ، فهى تشهد بفخامة الدور الحكومية التى كثيراً ما منى المدرسون تلاميذهم الصغار بالالتحاق بها . ففى قاعتها الرئيسية التى توزعت فيها عشرة أساطين اجتمع عشرة كتبة ورئيسهم يجلسون على مقاعد مرتفعة ويضع كل منهم طرف برديته على نضد أمامه ويدلى بقيتها تجاهه إلى أسفل ، وذلك على خلاف المعتاد فى تصوير الكتبة المصريين على الأرض وعلى الحصير وتضمنت الدار حجرتين للوثائق والكتبة توسطتهما غرفة ثالثة تصدرها تمثال كبير لتحوتى راعى الثقافة ، وقام على مدخلها تمثالان آخران له (لوحة ٥٨) .

وهناك من جهة أخرى تصميم خيالى لمبنى إحدى دور الحياة يرجع إلى العصور المتأخرة (ص ٢٢٧ ولوحة ٦٤) .وإذا ذهبنا بمدلول المدرسة إلى أبعد من مدلول مكان التعليم الكتابى . فإن المناظر التى تقدم

---

(١) تراجع ص ١٤٨ L. BORCHARDT, Denkmaeler des älten Reiches, 1534 A-b, I, S. 233. وعن معلمى المهن وصبيتهم . see, Bani Hasan II, pl. IV Amarna III, pl. XVIII.

(٢) E. DRIOTON, *La Pedagogie au temps des Pharaons*, (Revue des Conférences Françaises en Orient, Mai 1949) p. 4.

(٣) L. BORCHARDT, Das Dienstgebaude des Auswartigen Amtes unter Ramessiden, AeZ 44, 59, Abb I. — وانظر ملحق النصوص .

التنويه باحتمال تصويرها لمعاهد جماعية للرقص والموسيقى والغناء (١) يمكن أن تضيف أمثلة أخرى للمدارس المصرية أو تشهد على أقل تقدير بأن فكرة المدارس الجماعية لم تكن غريبة على المجتمع المصرى القديم .

(ب) بقايا دور التعليم : تكاد تكون هي الأخرى فى حكم المعدومة ، ولايتطلب ذلك كثيراً من التعقيب إذ المفروض أن غالبيتها العظمى كانت توجد فى مدن الأحياء ، فكان شأنها بهذا شأن مساكن الأحياء ، عفى عليها كثرة استخدام الناس لها ، وقيام مساكن أجيال مابعد العصور الفرعونية على أنقاضها ، وبناؤها من اللبن قليل الاحتمال ، وذلك إلى جانب قلة ما أجرى من كشوف وحفائر فى مدن الأحياء القديمة حتى الآن ، وعلى هذا لم يعرف عنها إلى اليوم غير أطلال دار حياة (برعنخ) فى العمارنة مدينة أخناتون كانت تتألف من جناحين رئيسيين وأقسام فرعية (ص ٢٢٧ ولوحة ٦٣) ثم قاعة كبيرة ذات ثمانية أساطين فى معبد الرمسيوم بغرب طيبة كانت تشغلها مكتبة المعبد (ص ٣٦٢) وقاعة صغيرة فى معبد ادفو وأخرى فى معبد فيلاى كانت كل منهما مكتبة أو خزانة كتب لمعبدها فى العصور المتأخرة (ص ٣٦٣ ٣٦٤) (٢) . وكشف فى معبد الاقصر منذ سنوات قليلة عن قاعة سجلت على واجهتها نصوص تحدثت عن صلة رمسيس الثانى بمكتبة وكتب دار حياة ، وتحدثت عن عدد من الارباب والربات ذوى الصلة بحياة الثقافة والكتابة ، وذلك مما يدعو إلى الظن بالربط بين هذه القاعة وبين مكتبة أو على الاقل خزانة كتب رعاها ذلك الفرعون (أنظر ص ٣٦٤) .

(ج) فى التراجم الشخصية : أتت هذه التراجم بكثير مما أغفلته المناظر عن الحياة التعليمية ، ويبدو أن تميزها فى ذلك يرجع إلى يسر التعبير بالكتابة عنه بالصور ، وإمكان صياغة المعلومات بما لايضر بصاحبها فى الآخرة . فالتلميذ يستطيع أن يكتفى بأن ينوه بأنه قد تعلم فى المدرسة وأنه كان مؤدبا فطنا فيها (٣) أو بأنه قضى بها كذا سنة (٤) ، أو بأنه قد تعلم فى القصر الملكى أو وسط أبناء الملك (٥) ، وإذا نسب تبعيته أو خضوعه لمعلم فإنه فى العادة لايجعل هذا المعلم يتعدى أباه (٦) أو الملك (٧) . والخضوع لكل من هذين كان مفخرة ولاضير فيه . أما المعلمون فلم يكن يعجز أحدهم أن يذكر لقبه كمعلم فحسب (٨) ، أو معلم أبناء الملك (٩) ، أو معلم المساعدين فى ديوان الكتابة (؟) (١٠) ، أو رئيس معلمى أمون (١١) ، أو ماشابه ذلك من ألقاب . ويضاف إلى ألقاب المعلمين وتراجم التلاميذ هذه ، ألقاب وتراجم ربطت بين أصحابها وبين وظائف دور الحياة (١٢) والمكتبات (١٣) فأوضحت بهذا ما كان لهما من شأن فى الحياة التعليمية والثقافية

(د) المخلفات التعليمية : تتمثل هذه المخلفات فيما غلب الطابع التعليمى على كتاباته من كراسات البردى

---

(١) تراجع ص ١٢١ حاشية ٨ ، ٩ - لوحة ٦٠

(٢) see also, E. Drioton, op. cit., p. 4.

(٣) انظر ص ١٧٣ — (٤) انظر ص ١٦٠

(٥) ص ١٩٣ ، ١٩٩ وكذا ص ٢١٤

(٦) ص ١٥٠ ، ١٨٨ — (٧) ص ١٩٣ +

(٨) ص ١٥١ — (٩) ص ٢١٢ وص ٢١٤

(١٠) ص ١٧٧ — (١١) ص ١٨١

(١٢) ص ٢٢٤ — (١٣) ص ٣٦٠

والألواح الخشبية وكسر الفخار ولحاف الأحجار . وتنسب أغلب كراسات البردى التعليمية إلى تلاميذ ، وأقلها تحتمل نسبته إلى معلمين . وكراسات التلاميذ قليلا ماعرف مصدرها على وجه التأكيد ، وذلك لأن الغالبية منها قد وصلت إلى أيدى علماء الآثار وهواة الآثار فى القرن الماضى عن طريق تجار سقارة والأقصر وليس عن طريق الكشف العلمى (١) ، ولكن الرأى الغالب هو أنها استخرجت من مقابر (٢) . فإذا تأكد هذا الرأى ، فإن وضعها فى المقابر يحتمل أكثر من فرض واحد : فقد يكون من وجدت فى قبره صبياً توفى فى سن التلمذة ولهذا وضعها معه أهله كأعز مايمتلك ، أو يكون وضعها فى المقبرة قد قصد به توفير المتعة الأدبية لصاحبها فى الآخرة ، أو لتكون وسيلة القربى له من الإله تحوتى رب الكتابة والآداب(٣) وشأن الألواح المدرسية فى ذلك شأن الكراسات (٤) ، أما كسر الفخار ولحاف الأحجار فهذه كان منها ما وجد متناثراً لدى مداخل المقابر وبين أطلال المساكن ، وكان منها ماوجد فى مجموعات (٥) .

والمخلفات التعليمية السابقة وإن تمثلت أهميتها قبل كل شيء فيما احتفظت به من الدروس المتنوعة وهذه ستعالج فى فصول خاصة بها ، إلا أن لها إلى جانب ذلك قيمة كبيرة فى التعرف على أماكن التدريس ومراحل الدراسة وبعض شخصيات المعلمين ، وذلك عن طريق ربطها بالأماكن التى كثرت فيها بالروابط المحتملة وعن طريق المقارنة بين دروس بعضها ودروس بعضها الآخر ، ثم عن طريق ما تضمنته قطعها الأدبية التى اتخذت صفة الرسائل من عبارات تتعلق بالمدارس وأسماء المعلمين وألقابهم . ويمكن أن يضاف إلى ما أتت به هذه الموضوعات التعليمية عن المدارس ، ماتضمنته بعض القصص عنها ، ومنها قصة الصدق والبهتان (٦) (تراجع عنها صفحة ١٧٤) والقصة الديموطيقية المعروفة اصطلاحا باسم قصة خعمواس (٧) (ص ١٧٤) .

---

(١) see, A.H. GARDINER, Late Egyptian Miscellanies, Bruxelles 1937, p. XIII, XVII; W.R. DAWSON, in J.E.A. XXXV, 158-9.; Who was Who in Egyptology, 1951, 5. (وراجع عن نماذجها ص ١٦٩ وحاشية ٤)

(٢) VAN DE WALLE, La Transmission des Textes Litteraires Egyptiens, avec une annexe de G. POSENER, Bruxelles 1948, p. 13.

(٣) A. ERMAN, Die aegyptischen Schülerhandschriften, Berlin 1925, 25.

(٤) see, EARL CARNARVON and H. CARTER, Five years Explorations at Thebes, London 1912, p. 4, 25.

(٥) ص ١٥٢

(٦) Pap. Ch. Beatty II.

(٧) F. Ll. GRIFFITH, Stories of the high priests of Memphis, p. 20, 36, 147.

المراحل التعليمية

ألمحت بعض المتون المصرية المتفرقة إلى ما يحتمل معه إسهام بعض الآباء المثقفين في تعليم أبنائهم ، على أنه يستخلص إلى جانب ذلك مما تقدم ذكره عن تراجم المعلمين والمربين والتلاميذ ، وماتضمنته المخلفات التعليمية المختلفة ، وجود المراحل الست التعليمية والتثقيفية التالية :

أولا – مرحلة تعليمية أولية كان التلميذ يتلقاها في مدرسة متواضعة ملحقة بمعبد أوفي مكان مايخص معلمه .

ثانيا – مرحلة جماعية متقدمة دل متن يغلب إرجاعه إلى العصر الأهناسي على أن التلاميذ كانوا يحضرونها في مدارس نظامية ، وظلت هذه المدارس موجودة في عصر الدولة الحديثة وزادت أعدادها .

ثالثا – مرحلة تطبيقية دلت كراسات تلاميذ من عصر الرعامسة على أنهم كانوا يحضرونها في مكاتب الإدارات الحكومية المختلفة . ومن المحتمل أن تكفل الإدارات الحكومية بهذا النشاط التعليمي كانت جذوره تمتد إلى عصور الدولة القديمة .

رابعا – منهاج تربوي تثقيفي تعهدت به قصور الفراعنة أمراءها ولفيفاً من أبناء الخاصة والمتصلين بالبلاط ، وذلك مما يمكن تتبعه منذ عصور الدولة القديمة حتى عصور الدولة الحديثة .

خامسا – ثقافة عالية تعهدتها دور الحياة خلال العصور المختلفة .

سادسا – ثقافات ومذاهب تميزت عن هذه المراحل وعرفت بها بعض المدن والمعابد الكبرى ، ومن المحتمل أن نشرها كان يعتمد على نشاط علمائها أوعلى الاطلاع على ماكانت تحتويه مكتباتها .

ويختلف نصيب كل مرحلة من المراحل السابقة عن نصيب غيرها من حيث الوضوح ومن حيث نوع المصادر وتعددها ، كما يلحظ أن أقل العصور حظا من وضوح المصادر التعليمية جميعها هي عصور الدولة القديمة ، وذلك على الرغم من أنه ليس هناك من مجال للشك في أنها كانت عصورا نمت فيها وازدهرت مختلف الثقافات والعلوم التي ترسمتها بقية العصور الأخرى التي تلتها (١) .

ويعالج هذا الفصل إلى جانب الاحتمالات المتعلقة بإسهام بعض الآباء المثقفين في تعليم أبنائهم ، ثلاث مراحل من المراحل التعليمية السابقة : وهي المراحل الأولية ، والجماعية المتقدمة ، ثم التعليم التطبيقي الذي تكفلت به الإدارات الحكومية ، وذلك وفق التعاقب الزمني لما عرف عنها خلال مصادر العصور الفرعونية المتعاقبة . غير أنه إزاء ماتقدم ذكره عن نقص مصادر الدولة القديمة يبدأ هذا الفصل بإجمال مايعرف من مصادرها على حدة ثم العودة إليها كلما اقتضت المقارنات ذلك (٢) .

---

(١) See, H. KEES, Kulturgeschichte, 310, 312 ; (also) Perioden der Aegyptischen Literatur ((Aegyptologie II, Literatur), 14 ; J.H. BREASTED, the Dawn of Concience, 1923, P. 140 ; The Edwin Smith Surgical Papyrus, Chicago, 1930, 9-10 ; 107-108 ; F. PETRIE, The Wisdom of the Egyptians 1940, P. 32 ; A. ERMAN, H. RANKE, Aegypten, 411 ; 420 ; K. SETHE, Imhotep, 21 ; T.E. PEET, A Comperative Study of the Literatures, 1931, p. 2.

(٢) وفيما يتعلق ببقية المراحل تراجع الفصول ٨ ، ٩ ، ١٥ .

يعرف من شئون التعليم فى عصور الدولة القديمة تعليم قصور الفراعنة لأمرائها ولفريق من أبناء الخاصة وسيكون لهذا الضرب من التعليم بحثه الخاص فى الفصل الثامن ، ووجود دور للحياة تميزت بثقافات خاصة وهذه بدورها سيبحثها الفصل التاسع وتشبهها فى ذلك دور للكتب يبحثها الفصل الخامس عشر . أما ماسيعنى هذا الفصل به وهو التعليم العام الذى كان يفترض أن يتزود به الكاتب المثقف (من غير من اصطفتهم قصور الفراعنة ليتعلموا مع أمرائها) والذى يرجح تقسيمه إلى مرحلتين ، مرحلة أولية يتعلم التلميذ فيها مبادئ القراءة والكتابة والحساب ، ثم مرحلة متقدمة يزيد فيها محصوله العلمى ويتهيأ بها للحياة العملية فى مجتمعه ، فليس فيما تبقى من وثائق ونقوش الدولة القديمة مايتعرض لمدارسه أو لمعلميه ، ولكن يمكن الخروج بعدة احتمالات بشأنه من ذلك المنظر الذى صور فيه كاتبان وصبياهما فى عصر الأسرة الخامسة (ص ١٤٤) ومن عبارات مأثورة يستخلص منها عادة إسهام بعض الآباء المثقفين فى تثقيف أبنائهم بأنفسهم ، ثم إشارة عرضية فى الأدب القصصى إلى حكيم من أهل ذلك الزمان كان له أولاده (أى تلاميذه وكتبه) .

جمع منظر عصر الأسرة الخامسة بين ثلاثة كتبة جلوس فى جانب ، وقد تصدر أحدهم حافظة البردى يكتب على رق ؟ منشور ، فى حين واجههم من الناحية الأخرى للحافظة مساعد له أو صبى يبسط له لوحة المداد ليمل منها . وفى جانب آخر من المنظر وقف كاتب يسجل مكاييل الغلال على رقه (؟) على حين يجاوره صبى صغير يبسط له لوحة المداد ليملى منها (لوحتا ٤٩ — ٥٠) ولا يدل المنظران بهذا الوضع على تعليم صريح ، غير أن تصور مافيهما قاصراً على حمل كل صبى للوحة مداد رئيسه يبدو بعيد الاحتمال ، وإنما يمكن افتراض أنه كانت تتخلل عمل الكاتب فترات يتفرغ فيها لتعليم صبيه وتوجيهه وذلك على نحو قريب مما أصبح الأمر عليه فى عصور الدولة الحديثة حيث يتضح من كراساتها التعليمية التى سيرد بحثها ص ١٧٤ أن من الصبية من كان يحضر على بعض الموظفين فيكون له تلميذ أو مساعداً «خرى دت» (حرفيا : تحت اليد أو تحت الإشراف) فى آن واحد ، ثم لايأخذ عنه التعليم المهنى وحده وإنما يأخذ معه التعليم الأدبى الراقى كذلك(١) . فإذا صح هذا الاحتمال لكاتبى ضيعة عصر الأسرة الخامسة ومساعديهما فإن تطبيقه على ماكان يجرى فى الإدارات الحكومية بين الكتبة والصبيان أو المساعدين أمر محتمل أيضاً ، لاسيما وقد وجد لقب « مدير (الكتبة) المساعدين للوثائق الملكية » من نفس الدولة القديمة (٢)

أما احتمال إسهام الآباء المثقفين أو بعضهم فى تثقيف أبنائهم فيقوم على أساسين ، وهما :

أولا — أنه عرفت عدة حالات من الدولة القديمة اشترك فيها الأبناء مع آبائهم فى إدارة حكومية واحدة ، ويمكن قرن هذه الحالات بما عرف عن أمل كل ذى ثقافة ومنصب فى مصر القديمة فى أن يخلفه ولده فى منصبه (٣) ، مع ما يحتمل أن ينم عنه ذلك من تعهد الأب لولده منذ صغره بثقافة تهيئه لملء منصبه . فثمة رئيس لبيت المال يدعى زفاو عمل ثلاثة من أبنائه الأربعة ببيت المال أيضا (٤) ، ووالد

(١) ص ١٧٥ ، ص ١٧٧ ، ١٧٨ ، إلخ

(٢) H. JUNKER, Giza VI, 209; see also XI, 208, 210. انظر ملحق النصوص .

(٣) Brit. Mus. 101; Beni Hasan I, pl. 25; K. SETHE, Aeg. Lesestuke, 2ed., 88, 22; AeZ, LX, 75 1. 41; etc.

(٤) MAR., Mast. D. 25.

آخر يدعى « نفر إرت نف »شغل منصب مفتش الكتبة القضائيين (إلى جانب مناصب أخرى) اتخذ كل من أبنائه الأربعة لقب « الكاتب القضائى » (١) . ووالد ثالث اتخذ لقب « كاتب الكتب المقدسة » (مع لقب الكاهن المرتل الأعلى) كان كل من ابنائه الثلاثة « كاتبا بدار الكتب المقدسة » أيضا (٢) ، وما ينحو نحو ذلك من أمثلة كثيرة (٣) . ولو أن هذا لا يعنى بطبيعة الحال أن وراثة الوظيفة كانت أمرا لازما أو أن كل ابن كان يتجه بالضرورة إلى تخصص أبيه .

ثانيا — مايمكن أن يستنتج مما تذكره مقدمة تعاليم بتاح حوتب عن تكفله بتعليم ولده واستئذانه الملك فى ذلك وإجابته إياه أن « علمه الحديث بادئ ذى بدء » ، وما يمكن أن يستنتج من قول الحكيم نفسه فى سياق تعاليمه بأن « كل من تثقف بما ينبغى أن يؤديه ، وجب عليه أن يوصى الأولاد بما ينبغى أن يوصوا أولادهم به » ، وقوله : « إذا نضج الإبن وتثقف بما ينبغى أن يقوم به وجب عليه أن يتحدث إلى أولاده بمثل ما تعلمه ويجدد معهم ثقافة أبيه » (٤) .

والواقع أنه على الرغم من أن احتمال تكفل الأب فى العصور القديمة بتعليم ولده بنفسه احتمال مقبول للغاية بل ولا يعدم أحيانا قرائن تزكيه ، وعلى الرغم من أن باحثا مثل « ه.برنر » قد اعتبر أن التعليم السائد فى الدولة القديمة كان هو تعليم الآباء لأبنائهم(٥) ، إلا أنه لا يتيسر فى ضوء المصادر المعروفة من الدولة القديمة بالذات إلا أن يقتصر فى التعبير عن هذا الضرب من التعليم بالتعبير الذى أسلفناه وهو « إسهام بعض الآباء فى تثقيف أبنائهم » . فإن ما تقدم عن تزويد الأب لولده بثقافة خاصة رغبة فى أن يخلفه فى منصبه لا يعنى بالضرورة أن الوزير بتاح حوتب قد تفرغ لولده فى داره يعلمه مبادئ القراءة والكتابة والحساب ، كما أنه لا يعنى بالضرورة أن الأبناء الأربعة لمفتش الكتبة القضائيين نفر إرت نف كانوا يجتمعون حوله فى إدارته الحكومية يساعدونه ويتعلمون عنه ، ولا كذلك شأن الأبناء الثلاثة لرئيس بيت المال زقاو ، وإلا لأضحى مكتب كل منهم مكتبا خاصا وليس مكتبا حكوميا . ثم إن ما تقدم استنتاجه من مقدمة بتاح حوتب لا يزيد عن تكفله بتزويد ولده بثقافة خلقية وسلوكية ، دون الثقافة العلمية أو التعليمية الصرفة ، فهو كما تذكر مقدمة تعاليمه كان يستهدف حين مقابلته الملك أن يأذن له بأن يهيئ سندا لشيخوخته وأن يسمح بإقامة ولده فى منصبه ، ولما أذن الملك له بذلك استرسل بعد ذلك فى تزويد ولده بتوجيهات خلقية وسلوكية ، مما يعنى أنه كان يتكلم حينذاك عن ابن ناضج تلقى بالفعل ثقافته الكتابية أوالعلمية وبقيت عليه دروس فى الحياة والأخلاق أراد أن يعلمه إياها ، فى حين يبعد أنه كان يستأذن الملك لتعليم طفل غرير صغير لم يتلق شيئا من تعليمه بعد .

ويفهم من سياق التعاليم التى تلقاها كايجمنى وإخوته عن أبيهم ما هو قريب من هذا الاستنتاج ، إذ تقول خاتمتها إن « الوزير استدعى أبناءه بعد أن عرك أحوال البشر (أى اكتسب معرفة كاملة بها)

---

(١) VAN DE WALLE, Le Mastaba de Neferiretenef (Bruxelles, 1930) p. 54.

(٢) Urk. 1, 229, 17 f.

(٣) H. JUNKER, Giza III, 9, 1V, 7-8 ; L.D. II, 49-50 ; also Urk. I, 1, 2, 17-3, 3 ; Cairo 1689, 1690.

(٤) Pap. Prisse, 590 f.

(٥) H. BRUNNER, « Die Weisheitsliteratur », in Aegyptologie 1952, 91, 93 f.

وتماثلت أخلاقهم أمنه ، ثم قال لهم : أما بخصوص كل ما هو مدون على هذا المخطوط فأطيعوه مثلما قلته . ولا تتجاوزوا الحد عما قدر . وعندئذ وضعوه على بطونهم وصاروا يقرءونه كما هو فى الكتاب ، فظل أثيرا على قلوبهم أكثر من أى شىء فى هذه الدنيا كلها وظلوا يقومون ويقعدون وفقا له » (١) وإذا كان هذا الكتاب هو بذاته التعاليم التى نعرفها (ص ٨٢) لكانت محتوياته مجرد تعاليم أخلاقية كما أسلفنا .

وعلى أية حال فإنه وإن لم تكن الأمثلة السابقة تزكى تعليم الأب لولده تماما ، فإن الاعتراضات عليها لا تنفيه تماما . إذ عرفت أمثلة أخرى أكثر وضوحا منها من عصور تالية ولا بأس من الاستشهاد ببعضها هنا . ومنها قول قائل فى كتاب الكمال من العصر الأهناسى (؟) « لقد علمنى أبى كتب أسلافه النافعة (أو هدانى أبى إلى كتابات أسلافه النافعة) » (٢) وقول آخر من الدولة الحديثة « لقد علمنى أبى ما يعرفه وهذبنى مالا حصر له من المرات (٣) . على أنه يبدو هنا أيضا أن تعليم الأب أيا كانت صورته لم يكن يكفى وحده ، وإنما كان كمال التعليم يرتجى من المعلم ، فهذا الأخير الذى قال بتعليم أبيه له مالا عد له من المرات كان قد عيره خصمه بعيوبه نتيجة لأنه « أعوزه (تعليم) المعلم » (٤) .

أما ما أسهم به الأدب القصصى فى شأن معلمى الدولة القديمة وتلاميذها فهو كما قدمنا مجرد عبارة أتت بها قصة خوفو وأبنائه Papyrus Westcar وتحدث فيها المواطن جدى عن أولاد وكتب « خردو حرسشو » وطلب إلى حور ددف بن خوفو أن يخصص لهم سفينة لنقلهم ، ومما يدعو إلى الظن باعتبار هؤلاء الأولاد تلاميذ هو اقتران ذكرهم بذكر الكتب وحاجتهم إلى سفينة (وقد خصص حور ددف لهم سفينتين وليس سفينة واحدة) (٥) . ولو أنه من الاجتراء فيما نرى استخلاص شىء واضح أو مؤكد من هذه العبارة ، على الرغم من عدم جواز إهمالها كلية .

وعلى أية حال ، وفيما يتعلق ببقية شئون التعليم العام فى الدولة القديمة بالذات ، فإنه إزاء ماتبيناه من ندرة مصادرها المعروفة حتى الآن عن مراحل هذا التعليم من ناحية ، وإزاء ما هو مؤكد عن نشاط الكتاب وازدهار الحياة الثقافية فيها من ناحية أخرى ، سنتعرض لاحتمالات قريبة التطبيق عليها خلال بحث شئون التعليم المرجحة فى العصور الأخرى التالية لها .

---

(١) Compare A.H. GARDINER, *Instructions addressed to Kagemni and his brethren,* in J.E.A., XXXII, 74
(انظر ملحق النصوص) .

(٢) G. POSENER, Ostraca Hiératiques Littéraires de Deir el Medineh, 1951, pl. 18. Compare also O.M.M. A 36112, vs. 4-5 ; O.C. 56842, X, 15-16.

(٣) Pap. Anastasi I, 28, 1. (٤) انظر ملحق النصوص .
يضاف إلى هذا يذكره الكاهن باكنخنسو من عصر الرعامسة عن تعلمه الكهانة على يد أبيه ، وسنتناول تعليمه ص ١٦٠ وص ١٨٨ .

(٥) A. ERMAN, Die Marchen des Papyrus Westcar, Berlin 1890, VIII, 3-4.
مما يذكر إلى جانب ذلك أن جدى لم تخلع القصة عليه غير لقب مواطن « نزبس » دون ثلاثة حكماء آخرين ذكرتهم القصة وخلعت على كل منهم لقب « الكاهن المرتل » . كما أنه لم ينسب إلى معبد وإنما اعتبر مواطنا مقيماً فى بلدة جدى سنفرو .
وعندما زاره حور ددف ألفاه جالسا أمام داره بالذات . ولهذه الأسباب رأينا الإشارة إليه هنا فى التعليم العام وإن كنا قد علقنا ما يمكن أن يستنتج عنه على الاحتمال فحسب كما قدمنا أعلاه . انظر ملحق النصوص .

المرحلة التعليمية الأولى فى الدولة الوسطى

تقدم أنه ليس فيما نشر من نقوش الدولة القديمة ووثائقها ما يمكن الاستشهاد به فى شىء يتصل بدور التعليم أو بالمعلمين فى هذه المرحلة. كما أن ما أتت به مصادر الدولة الوسطى هو الآخر جد قليل. فعلى نصب صغير من عصر الأسرة الثانية عشرة سجل رجل يدعى وسر حوتب رع (؟) اسم أبيه أمينى ملقبا بلقب واحد وهو لقب «المعلم» «سبا (و؟)». (١) وسجلت على قصاصة من البردى وجدت فى قرية اللاهون (٢) مقادير متواضعة من الغلال أمام أسماء اشخاص يغلب على الظن أنهم كانوا يقومون بالخدمة اليومية فى أحد المعابد الصغيرة بالبلدة وكانوا يتلقون هذه الحبوب لقاء خدمتهم، ومن بين ألقابهم ذكر لقب «المعلم» (سبا و) ثلاث مرات فى ثلاثة أيام متباعدة (٣). غير أن الأسماء المقترنة بهذه الأسماء الثلاثة قد فقدت للأسف فيما تمزق من قصاصة البردى ولهذا يصعب تقرير ما إذا كانت ثلاثتها لشخص واحد أم كانت لثلاثة أشخاص مختلفين. واتخاذ لقب المعلم يدل على أن التعليم كان منذ ذلك العصر على أقل تقدير عملا متميزا، واقتصار أصحابه، أربعة كانوا أم أقل من أربعة، عليه وحده مع تعدد الألقاب التى كان يحملها كل موظف ذى مكانة، إلى جانب بساطة النصب الذى ذكر عليه اسم أولهم (٤)، وبساطة المعبد الذى ارتبط به باقيهم، كل أولئك يوحى بأنهم لم يكونوا أكثر من معلمين للمرحلة الأولى. أما أين كان الواحد منهم يقوم بالتعليم، أفى مدرسة متواضعة خاصة به، أم فى مدرسة صغيرة ملحقة بمعبد المدينة أو القرية، فهذا أمر ليس لنا إزاءه غير الافتراض، فالمعلم الأول يبدو أنه لم تكن لمدرسته صلة بالمعابد، إذ لو كانت له صلة بمعبد ما لما تردد ابنه فى أن يذكر له لقبا من ألقاب كهانته على نصبه، خاصة وأن ألقاب الكهانة فى مصر القديمة كانت تلتمس لأبسط الصلات بالآلهة ابتغاء شفاعة الآخرة ورضاء أربابها. أما معلمو اللاهون فهؤلاء تحتمل صلة مدرستهم بالمعبد استنادا على قيامهم بالخدمة فيه على أيام متفاوتة. وهذا الفرض باحتمال تبعية بعض معلمى المرحلة الأولى للمعابد وانفراد بعضهم الآخر بمدرسته الصغيرة عنها قد يزكيه ما عرفه ريفنا المعاصر وأوساطنا الشعبية عن معلم المرحلة الأولى أى الخوجة أو فقى الكتاب أو سيدنا وذلك من حيث اتخاذه كتابا خاصا متواضعا فى مسكنه أو ملحقا بمسجد صغير أو زاوية، ومن حيث صلته بالمسجد إماما أو مقرئا أو خادما أو اكتفائه بعمله التثقيفى وإن ظل فى الوقت نفسه تفترض فيه المعرفة الدينية فى نظر أهل حيه. ويذكر على سبيل المقارنة أن مدارس المرحلة الأولى لدى الرومان (Ludus) كانت تقام هى الاخرى على ما يقال فى بعض المنازل الخاصة أو فى زاوية مهجورة أو فى ردهة معبد أو فى بناء عام، بل إن منها ما كان يتخذه المعلم تحت ظل شجرة أو فى حظيرة أو فى الهواء الطلق (٥).

(١) GAYET, Musée du Louvre, Stelès de la XIIe dynastie, Paris 1889, p. 8.
واختلف ما ذكره عن اسم الرجل عما ذكره له: PIERRET, op. cit., II, 44. أنظر النصوص

(٢) F.L. GRIFFITH, Hieratic Papyri from Kahun and Gurob, London 1898, pl. XXVI.

(٣) Ibid., pl. XXVI, 11.35, 40,53. وفى السطر الأربعين كتب اللقب سباوحت؟ والأيام هى ١٠+ من برموده و ٢٦ من نفس الشهر، ٢٥ (؟) من بشنس أى أنها على فترات غير متساوية. (أنظر النصوص)

(٤) النصب صغير ٢٨×١٩ سم مع أنه كان عائلياً إذ صور عليه صاحبه وزوجته وكتبت عليه أسماء إخوته وأخواته وأمه وأبيه وجدته.

(٥) P.E. MONROE, A Text Book in the History of Education.
معرب بالقاهرة سنة ١٩٤٩ — ص ١٩١، ص ١٩٦

المرحلة التعليمية الأولى فى الدولة الحديثة

تتميز قرائن الدولة الحديثة عن هذه المرحلة بأنها أكثر وضوحا مما سبقها ، كما تتميز بما تضمنته من شواهد وقرائن مادية . فقد كشف فى غربى طيبة عن أعداد وفيرة من كسر الفخار ولخاف الأحجار المكتوبة التى أمكن تلمس الأثر التعليمى فى كتاباتها وموضوعاتها تلمسا أكيدا (١) . ويرجع زمن كتابة هذه الكسر واللخاف فيما يرجع إلى ما بين منتصف عصر الأسرة التاسعة عشرة ومنتصف عصر الأسرة العشرين (٢) . وقد وجد بعضها فى مجموعات كبيرة نسبيا وسط منازل وتحت أطلال قرية دير المدينة وفى الطرفين الجنوبى والشمالى منها بخاصة (٣) ، ثم فيما يجاور معبد الرمسيوم(٤) ، فى حين وجد بعضها الآخر متناثرا فى مجموعات صغيرة لدى مداخل بعض القبور الخاصة مثل قبر سنموت (٥) وقبر رمسيس السادس وقبر رمسيس التاسع(٦) . وما سنتناوله هنا من أمر الكسر واللخاف هو : الخصائص التى ترجح نسبة أصحابها أو أصحاب الغالبية منها إلى المرحلة التعليمية الأولية ، وتبين الظروف التى أدت إلى قيام نشاط تعليمى فى طيبة الغربية وهى التى خصصت للأموات قبل كل شىء ، والتعرف أخيرا على المدرسة التى أخرجت بعض هذه اللخاف ، ثم المعلمين الذين عملوا منفردين وقاموا بتعليم موضوعات بعضها الآخر .

فمما يرجح نسبة هذه الكسر واللخاف إلى مرحلة تعليمية أولية : قلة إتقان الخطوط التى كتبت بها ،

---

(١) ممن يؤكد أصلها التعليمى ، MASPERO, Hymne au Nil, Le Caire 1912, p. XIII
ويذكر ماسبرو فى كتابه هذا خطابا من جولنشف اليه بتأكيد نفس الأمر. p. XIII — XIV.
A. ERMAN, in AeZ, XXXVIII, 19 f., also, Die Literatur..., 238 f.; G. POSENER, Catalogue des Ostraca Hieratiques Littéraires . . . , 1938, p. IV; VAN de WALLE, La transmission des Textes Littéraires Egyptiens, Bruxelles, 1948, p. 15.

(٢) G. POSENER, op. cit., p. VI

(٣) B. BRUYERE, Rapport sur les Fouilles de Deir el Medineh, 1953, p. 61.
ويذكر أنه قد وجد فى هذه القرية أكثر من خمسة آلاف قطعة من الكسر واللخاف منها ماهو مصور ومنها ماهو مكتوب وأكثر مانشر من ذات الصبغة التعليمية والأدبية منها نشره : G. POSENER, op. cit., Le Caire, Années 1934, 1936, 1938, 1951, 1952.
وقد نشر منها حتى عام ١٩٥٢ ، ٢٢٦ قطعة .

(٤) W. SPIEGELBERG, Hieratic Ostraca and Papyri found by J. QUIBELL in the Ramesseum, London 1898.

(٥) W.C. HAYES, Ostraca and Name-Stones from the tomb of Sn-mût, New York, 1942.

(٦) G. DARESSY, Ostraca (Catalogue Général) 25206-10 ; 25125 ; *Rapport sur le déblaiement des tombes 6, 9 de Biban el Molouk* (Ann. Ser. XVIII, p. 270 f.) ; ERMAN, *Gebete eines ungerecht Verfolgten und andere Ostraka aus den Konigsgrabern*, AeZ, XXXVIII, 19 f.

إذ لوحظ أن أغلبها قد كتبته أيد مبتدئة قليلة الخبرة ، وأن القليل منها هو ما روعيت فيه الإجادة . (١) وهذا القليل الجيد قد يكون نماذج كتبها المعلمون أو يكون لتلاميذ ناضجين نوعا ما (٢) . ثم صغر أحجامها وقلة السطور التى تضمنتها . فكثير منها صغير الحجم بما يناسب الأيدى الصغيرة ، وكثير منها يتضمن مالا يعدو الفقرة الواحدة من أحد النصوص الأدبية ، وذلك بما يناسب قدرة التلميذ المبتدئ ومدى استعداده العقلى (٣) .

ومن الكسر واللخاف ماهو أكبر من ذلك حجما ، أو ما هو عبارة عن وجهى آنية صغيرة أصبحت غير صالحة فكتبا جميعا (٤) ، ومنها ما يتضمن بين الفقرتين والأربع فقرات تتخللها فى العادة تواريخ تفصل بين دراسة يوم ودراسة يوم آخر (٥) ، على أن هذه هى الأخرى وإن كانت لتلاميذ أكثر تقدما ومرانا من أصحاب الكسر واللخاف الصغيرة ، إلا أنها لاتخرج بأصحابها عن دائرة المرحلة التعليمية الأولى ، وذلك إذا قرنت دروسها (أو واجباتها) اليومية بدروس البرديات التعليمية الكبيرة التى سنتناولها فيما بعد والتى تدل تواريخ صفحاتها على كتابة ما بين الثلاث صفحات والخمس أو ما هو أكثر من ذلك فى اليوم الواحد . (٦)

---

(١) G. POSENER, op. cit., 1938, p. IV, VI.

(٢) انظر لذلك مثلا Ost. Deir el Med. 1020, 1028 (Posener, op. cit., 1934)

(٣) A. ERMAN, Die Aegyptischen Schulerhandschriften, Berlin, 1925, 9.
ومن اللخاف التى تضمنت ما بين الثلاثة والخمسة سطور . Ost. Deir el Med. 1010, 1025, 1036, 1040, 1173, 1175, 1184, 1185, 1195, etc.

(٤) Ost. Deir el Med. 1014.

(٥) Ost. Deir el Med. 1013, Art. 7 ; vs. 8 كتبت عليها فقرتان وفصل بين التاريخين ستة أيام Ost. GOLENISCHEFF وكتبت عليها أربع فقرات من نشيد النيل تتراوح كل منها بين السطرين والنصف وبين الثلاثة سطور وتنتهى كل منها بتاريخ (MASPERO, Hymne au Nil, Le Caire, 1912, p. 9). ثم Ost. Torino 9743 وقد انتهى درسها الأول بعد خمسة سطور بتاريخ اليوم الحادى عشر ، فى حين انتهى درسها الثانى بعد خمسة سطور أخرى بتاريخ اليوم الثالث والعشرين لنفس الشهر.
See : FARINA, « Varianti Del Papiro Anastasi I » in Rivista delgi Studi Orientali » 312 f.

(٦) من أمثلتها Pap. Anast. V – وتاريخها كتبت أعلى ص ٦ ، وفيما بين ص ١٢ وص ١٣ وبين ص ١٥ و ص ١٦ ، وبين ص ١٨ وص ١٩ – تراجع أيضاً ص ١٧٥ ويمكن أن تقارن هذه اللخاف الكبيرة كذلك بلخاف أخرى أكبر يغلب أنها كتبت لغرض أدبى أكثر منه تعليمى ، مثل لخفة حجرية تضمن وجهاها معظم نشيد النيل وقد كتبت بخط دقيق (Ost. Deir el Med. 1176) ولخاف أخرى كبيرة تضمنت كل منها جزءاً كبيراً من قصة سنوهى .(See A.M. BLACKMAN, Middle Eg. Stories, Bruxelle, 1932)

وفيما يتعلق باستخدام الكسر واللخاف ، يلاحظ أن اللخاف قد استخدمت للكتابة منذ عصور الدولة القديمة Chr. d'Eg. XII, 216 وكانت تتخذ من كسر الحجر الجيرى الأبيض . وقليل منها ما بقى من تلك العصور أو من عصور الدولة الوسطى فى حين يكثر الموجود منها من الدولة الحديثة وتكثر فيه كسر الفخار . وكسر الفخار هذه وجدت قلة منها من عصر الأسرة ١٨ ولكنها استعملت بكثرة فى عصر الرعامسة ثم قلت بعد الأسرة ٢١ =

أما العوامل التى أدت إلى قيام نشاط تعليمى فى غرب طيبة ، فهى ترتبط بالعوامل التى أدت إلى عمرانه كما ترتبط بطبيعة الأعمال التى كان يقوم بها نفر من سكانه . فقد اكتسبت هذه المنطقة شيئا من الأهمية فى عصر الأسرة الحادية عشرة الطيبية حينما أقام فراعينها مقابرهم ومعابد شعائرهم الخاصة فيها وتبعهم فى ذلك عظماء دولتهم .

ويحتمل أنه ارتبط بها فى ذلك الحين جماعات من الكهنة والفنانين والحراس والعمال ، وإن لم يكن من سبيل إلى تأكيد ذلك لقلة المصادر . ومرت بقية عصور الدولة الوسطى وعصر الانتقال الثانى وليس لطيبة شرقيها أو غربيها شأن كبير ، حتى كانت أوائل الدولة الحديثة واستقرت عاصمة الملك فى طيبة الشرقية وعادت الأهمية إلى طيبة الغربية تبعا لذلك ، وظلت هذه الأهمية معقودة لها حتى نهاية عصر الاسرة العشرين أو ما بعدها بقليل (١) . والصورة التقريبية للمنشآت الدينية التى قامت فى طيبة الغربية فى عصور الدولة الحديثة على وجه الإجمال ، هى : عدد من القصور الدنيوية فى الوادى المجاور للنيل كان بعض الملوك يأوون إليها بين الحين والحين ، ومجموعة كبيرة من معابد الشعائر الضخمة الخاصة الفراعنة أقيمت على مر الأجيال على حافة الهضبة الغربية وتوزعت على مبعدة منها مقابر الفراعنة فى وادى الملوك وفى وادى الملكات . وتبع كبار الأفراد فراعنتهم فى أغلب الأحوال فى تشييد مقابرهم الفخمة وملحقاتها فى اتجاهات مقابر الملوك ومعابدهم وعلى امتداد يبلغ نحو ثلاثة كيلو مترات من الشمال إلى الجنوب . وترتب على هذا العمران أن ارتبط بغرب طيبة أعداد غفيرة من أتباع القصور وكهنة وكتبة وصناع وحفظة معابد الشعائر الخاصة ومقاصير القربان .

وارتبط بغرب طيبة أيضا عدا هؤلاء جماعات أكبر من العمال وقاطعى الأحجار والبنائين والرسامين وكتبة النقوش (٢) .

وكان من صالح هذه الجماعات وتلك أن يقيموا قرب موارد أرزاقهم . أما المجموعة الأولى منهم فقد عددت بردية ترجع إلى عهد رمسيس التاسع ١٨٢ منزلا من منازلهم ، توزع القليل منها فيما بين المعابد وبعضها وتركزت غالبيتها فى الناحية الجنوبية الغربية للجبانة . (٣) ولما كان العهد الذى كتبت فيه هذه البردية يعتبر عهد أفول لعمران المنطقة فإنه يغلب على الظن أنها كانت تتضمن فى عهودها الزاهرة ما يربو كثيرا على هذا العدد من البيوت .

= G. MATTA, Demotic Ostraca, Cairo 1945, p. 1 (ويحتمل أن قلة استخدام المصريين لكسر الفخار مع أنها أخف من اللخاف الحجرية وأكثر وفرة (Ibid., 6) يرجع إلى أنهم رأوها أقل قيمة منها, CRUM, Coptic Ostraca أو يرجع إلى قابليتها للكسر السريع . وقد عرفت اللخفة فى العصور المتأخرة باسم بلجع أو بلجة (بالجيم المعطشة) — انظر النصوص (See, Rev. Egyptol., IV, 185, pl. XI ; MATTA, op. cit., pp. 2-3 ; Brit. Mus. Pap. 10508, IV, 15, 17.

(١) T.E. PEET, The Great Tomb-Robberies of the Twentieth Egyptian Dynasty, Vol. I, 1930, p. 11.

(٢) PEET, op. cit., 9 f. ; A. ERMAN, H. RANKE, Aegypten und aegyptisches Leben in Altertum, Tubingen, 1923, 27.

(٣) Pap. Br. Mus. 10068, see T.E. PEET, op. cit., p. 79 f., esp. 83-84.

وأما المجموعة الثانية ، وكان أفرادها هم من يتولون نحت المقابر وعمل رسومها ونقوشها ، فقد دلت الكشوف الأثرية على ذكر أغلبهم فى قرية دير المدينة التى كانت تسمى «المقر الحق» (ست ماعت) (١) وهذه توفر لها عمرانها الواسع فى عصور الرعامسة بخاصة ، وكانت تتوسط ما بين وادى الملوك وبين وادى الملكات وتقع إلى الغرب من معبد مدينة حابو (٢) .

وكان من الطبيعى ألا تخلو المجموعة الأولى ولا الثانية من داعين إلى التعلم وراغبين فيه . فى الأولى كان هناك حاكم الغرب ومعاونوه من الضباط والمشرفين والملاحظين وبعض الأطباء وكتبة المعابد وطائفة الكهنة القراء(٣) ، وهؤلاء فضلا عما كانت تتطلبه أعمالهم من ثقافات مناسبة ، كانوا أقرب إلى توجيه أبنائهم إلى حياة الدراسة والتعلم . وفى الثانية كان الكتبة المشرفون على العمال (الحكوميين) والرسامون وكتبة النقوش ، وهؤلاء كانوا يشعرون بأن ما يميزهم عن مرؤوسيهم الكادحين فى الحفر والعاملين فى الصخر ، وما أعفاهم من «حمل المكتل والفأس» ، إنما كان تعلم الكتابة (٤) ، فكان طبيعيا أن يعمل كل جيل منهم على أن يحث أبناءه على التعلم ويهيئه لهم حتى يرفعهم به عن مصاف العمال وليصلوا به إلى مراكز الاشراف والرياسة (٥) . والواقع أنه ليس أوضح من التضارب الصارخ فى مثل هذا الوسط المحدود بين كد حفارى القبور وقاطعى الأحجار وناقلى الرمال وناقلى الآثار ومن شاكلهم وبين راحة الكتاب وتنعمهم النسبى ، خاصة إذا انتموا جميعهم إلى قرية واحدة . ولما لم يكن من المتيسر لأبناء هذه المجموعة أو تلك أن ينتقلوا إلى طيبة الأحياء الشرقية ابتغاء التعلم ، فقد قامت فى منطقتهم نظم للتعليم مناسبة لأحوالهم ومطالب حياتهم .

ونعود إلى أماكن تجمع كسر الفخار ولخاف الأحجار أو تبعثرها ودلالة ذلك على أماكن التعليم ونظمه . فما وجد منها قرب معبد الرمسيوم وكتب فى عصر الرعامسة أقرب إلى أن يرتبط بأبناء المجموعة

---

(١) See A.H. GARDINER, Ramesside Administrative Documents, London, 1948, p. 78, 6 ; 83, 2 ; Index, p. 97.

(٢) T.E. PEET, op. cit., 11-12 ; E. DRIOTON et J. VANDIER, Les peuples de l'Orient méditerranéen, II, L'Egypte, Paris 1953, p. 360.

(٣) ذكرت بردية Pap. Brit. Mus. 10068 من الكهنة والموظفين ، كاهناً كبيراً و٧ كهنة لكل منهم لقب الأب المقدس ، و٤١ كاهنا مطهراً ، وكاتب الجند وكاتب الخزانة وكاتب المنطقة وكاتب الجبانة وكاتبى الوثائق المقدسة وسبعة كتبة آخرين . ثم حاكم الغرب وضابطين ومفتشا (؟) ووكيل المشرف على المنطقة وطبيباً ورئيس المزاى ... الخ PEET, op. cit., 84 f. ; see also p. 109

(٤) شبيه بهذا أن يقول معلم لتلميذه : اعمل على أن تصبح كاتبا يعفى من الكد ويصان من كل عمل ويعفى من العزق بالفأس ولا يكون عليه أن يحمل المكتل .. ERMAN, Die Liter., 250

(٥) من كتبة وادى الملوك سبعة متعاقبون من أسرة واحدة شغلوا وظيفة الكاتب فى عهد الأسرتين ١٩ و ٢٠ ، وقد كان أحدهم ويدعى تحوتمس يعمل فى بداية عهد رمسيس الحادى عشر عاملا عاديا ثم وصل إلى وظيفة كاتب للقبر الملكى وللجبانة العشر من أراضى جنوبى طيبة (سليم حسن : مصر القديمة ح ٧ ص ٥٨٠ – ٨٣) . ولكن هل كان متعلما من صغره واضطر إلى العمل اليدوى حتى يجد له وظيفة ؟ أم تعلم فى كبره وحينئذ تتضح أهمية الكتابة التى حمته فعلا من العزق بالفأس وحمل المكتل ؟....

الأولى الذين دلت الوثائق على عملهم بالمعابد ووجود مساكنهم بالقرب منها . وقد ذهب الظن إلى أن تجمع هذه الكسر واللخاف بجوار معبد الرمسيوم بالذات يمكن أن يتخذ قرينة واضحة على قيام مدرسة ملحقة بمبانيه (١) ، وأن هذا التجمع يمكن أن يفسر بأن تلاميذ المدرسة كانوا يلقون بكسرهم ولخافهم عقب الانتقال من دروسهم إلى دروس أخرى (٢) . وتبعية المدرسة لمباني المعبد ليس فيها ما يستدعي الشك خاصة وأن هذا المعبد الضخم كان له مركز التوسط فى المنطقة ، وكان له نفس المركز الذى اكتسبه معبد مدينة حابو فيما بعد حيث صار المركز الإدارى لمنطقة غرب طيبة كلها (٣) ، و إلقاء التلاميذ لكسرهم ولخافهم عند الانتقال من دروسها إلى دروس أخرى هو الآخر فرض محتمل ولكنه ليس الفرض الوحيد المقبول ، إذ يحتمل إلى جانبه أنها كانت تسلم إلى المعلم لتصويبها كواجبات منزلية أواختبارات فيستبقيها لديه فترة ثم يتخلص منها بعد ذلك بإلقائها جميعها ، ويدعو إلى هذا الفرض ما هو معروف من حرص الطفل على ما يخصه وأنه يعز عليه أن يلقى بما كتبه مهما كان تافهاً ، وأن الكسر واللخاف كان يمكن للتلميذ أن يمسح ما عليها ويكتب سواه لعدة مرات حتى تتكسر وتصبح غير صالحة للاستعمال .

وأقرب إلى أن يقارن بمدرسة الرمسيوم فى عصر الرعامسة ، مدرسة سبق الاستشهاد بعبارة ذكرتها تعاليم آنى فى بداية الدولة الحديثة . ويقول فيها هذا الكاتب الحكيم لولده خنسو حوتب فى تبيان فضل أمه عليه « ... وإذ ألحقت بالمدرسة وقتما علمت الكتابة واظبت (أمك) دونى (على الذهاب إليك ؟) يوميا بالطعام والشراب من دارها » (٤) . واعتماد خنسو حوتب على أمه هكذا يحمل على الظن بأنه كان إذ ذاك طفلا فى مرحلة تعليمه الأولية ، واحتمال وقوف الأم لدى المدرسة يومياً قد يدل على أن المدرسة كانت مدرسة نظامية (٥) . أما عن آنى وعائلته والعهد الذى عاشوا فيه ، فيقول تمرين مدرسى من عصر الأسرة ٢٢ إنه كان « كاتباً لمعبد نفرتيرى ر ع ؟ » (٦) ويرى G. Posener آخر من عقبوا على هذا التمرين ، أن المعبد هو معبد نفرتارى الذى كان أهم معابد غرب طيبة لدى سكانها والذى كانت صاحبته وابنها أمنحوتب الأول مقدسين لدى سكان دير المدينة . ومن وجود الأربع نسخ التى عرفت لهذه التعاليم بدير المدينة احتمل

---

(١) وجدت اللخاف مبعثرة فى حجرات مشيدة باللبن حول الجهات الثلاثة لمعبد الرمسيوم غير أن أغلبها وجد فى ست حجرات مستطيلة تقع إلى شمال غرب المبنى . (SPIEGELBERG, op. cit., Introduction, 1 f.)

(٢) A. ERMAN, Die Literatur..., 238-9 ; also, L'Egypte des Pharaons (traduction de H. WILD), Paris 1939, 243.

(٣) See, T.E. PEET, op. cit., p. 84.

(٤) Pap. Boulaq IV, 6, 20 f. انظر ملحق النصوص

(٥) رأى إ . ماير أن ما كانت تحمله الأم من الطعام والشراب إلى المدرسة يوميا كان راتباً أو أجراً للمعلم . (See, I. MYER, An account of the Egyptians, New York 1900, 179, after : CHABAS and E. AMELINEAU — ولكن هل ينتظر المعلم أجره يوما بيوم أم الأولى أن يتلقاه على فترات ؟ — وعن مثل الحالة الأخيرة فى عصر متأخر يراجع ، G. SOBHY in Bull. Soc. d'Arch. Copte, 1943, 107

(٦) W. WRESZINSKI, Atlas zur Altaegyptischen Kulturgeschichte, Leipzig 1923, I, 62, 2 ; A. ERMAN, in AeZ, XXXII, 127.

وانظر ملحق النصوص وص ٧٥

أن آ نى ينتمى إلى دير المدينة ذاتها (١) ، ثم اشترك مع غيره فى القول بأن التعاليم قد Posener صيغت باللغة القديمة ويغلب تأليفها فى بداية الدولة الحديثة (٢) . فإذا صح كل هذا كان فيه ما يعنى أن مدرسة الرمسيوم لم تكن هى الأولى من نوعها فى غرب طيبة ، وإنما سبقتها مدرسة نظامية واحدة على الأقل ، قد تكون ملحقة بمعبد نفرتارى ذاته أو بغيره من معابد المنطقة . ولو أن وجودها بمعبد نفرتارى يبدو بعيد الاحتمال ، إذ لو كانت موجودة به لكان آ نى الذى يعمل به أقرب إلى أن يعنى بطفله فى مدرسته من أمه .

أما الكسر واللخاف التى وجدت تحت أطلال دير المدينة وبين مساكنها ، فليس لدينا حتى الآن ما يستدل به على وجود مدرسة نظامية لأصحابها التلاميذ فى قريتهم وإنما تشير بعض الإهداءات التى كان هؤلاء التلاميذ يختمون بها دروسهم إلى طائفة من المعلمين أضيف إلى اسم كل واحد منهم لقب « سش قدو »(٣) ، وقد فسر هذا اللقب بأنه يعنى من يقوم بإعداد مسطحات الجدران للرسم والنقش وذلك عن طريق رسم المربعات عليها ثم رسم الخطوط الخارجية الحمراء لنقوشها (٤) ولاختيار تسمية تقريبية لصاحب هذا اللقب نقترح تسميته باسم « الخطاط الرسام » وهى تسمية مزدوجة تفتقر إلى البساطة ولكن يبررها أن التسمية المصرية « سش قدو » (أو « سخ قدوت » أو « سخ قدى ») كانت تسمية مزدوجة كذلك (٥) ، وثقافة هذا

(١) G. POSENER, in Revue d'Egyptologie, 1951, p. 42, No. 2.

(٢) A. ERMAN, op. cit., also Die Literatur, 294-5

(٣) Ost. Deir el Med. 1106 ; 1153 ; 1204 ; Ost. Cairo 56842 ; Ost. M. 1638.

(٤) A.H. GARDINER, in J.E.A., IV, 136 ; G. WILSON, in J.N.E.S., VI, p. 235

(٥) قد تعنى التسمية المصرية حرفياً « راسم القدود » أو « كاتب الأشكال » أو ما أشبه ذلك .

See also : outline draftsman (GARDINER, op. cit.) ; scribe of form (PETRIE, in A.E., 1925 , p. 14.

= scribe of contours (GARDINER, Onomastica, I, 71) ; Compare also, AeZ, XIV, 140 f. ; Rec. Trav. XXIV, 185 f ; Wb. IV, 81.

وقد كانت الكتابة المصرية رسماً وتصويراً فى آن واحد ، ويحتمل لهذا أن كانت كلمة «سش» تعنى معنى يخط و يرسم إلى جانب معنى يكتب (Wb. III, 475, 476) وكان الرسام يسمى «سش» كما يسمى الكاتب (Beni Hassan, II, pl. IV). وظل السش قدو هو الوحيد بين طائفة الفنانين الذى سلمت مهنته من تجريح المثقفين الداعين إلى التعلم و الثقافة الكتابية على حين جرحت مهنة المثال وحفار الخشب والصائغ (Sall II, 4, 6 f.) وذلك مما يعنى الاعتراف له بنصيب من التعليم دونهم جميعاً . وثمة وجه شبه بين السخ قدوت (أو السش قدو) أو (السخ قدى) وبين خطاط اليوم ، فهذا الأخير يفترض فيه أن يحسن الكتابة والقراءة وبعض الرسم وأن يحفظ طائفة من التعبيرات المختارة والأمثال الجارية والحكم والدعوات المأثورة ليستخدم كلا منها فى موضعها وسنتبين مما كان يدرسه السخ قدوت لتلاميذه وصبيته أنه كان يلم بمثل هذا جميعه . غير أن الاعتماد على هذا التشابه لتسمية السخ قدو (ت) بالخطاط لا يوفيه حقه ، إذ كانت الرسوم وإعداد الخطوط الخارجية للرسوم المنقوشة والملونة من صميم عمله (GARDINER, op. cit.) ولهذا يحسن تسميته بالخطاط الرسام معاً.

وراجع عن صور كتابة اللقب : S. Hassan, Excav. at Giza, IV, 127, 137 ; Urk. I, 265, 13 Wb. IV, 81 ; Cairo 20075 ; GARDINER, Onomastica I, p. 71 ; and B. BRUYERE, Tombes Thébaines de Deir el Medineh 1952, 323, 338.

– وانظر ملحق النصوص

الخطاط الرسام الذى كان يقوم بالتعليم فى دير المدينة يمكن أن نتبينها مما كان يعلمه لتلاميذه، فلقد تضمنت كسر التلاميذ ولخافهم مختارات أدبية كثيرة ، أهمها ما كان مقتبساً من تعاليم خيتى بن دواوف وتعاليم أمنمحات الأول ونشيد النيل ، ثم ما كان مقتبساً من كتاب الكمال وتعاليم حور ددف ومن المهاجاة الأدبية التى تنسب إلى حورى بن ونفر . وتضمنت كسر ولخاف أخرى رسوماً بسيطة صحبتها فى بعض الأحيان عبارات قصيرة كتب بعضها بالخط الهيراطيقى وكتب بعضها بالخط الهيروغليفى (١) . وقيام معلم دير المدينة الخطاط الرسام بتدريس المختارات الأدبية سالفة الذكر ، وهى آداب راقية يرجع معظمها إلى عصور أقدم من عصر الرعامسة ، يدل على أنه كان معلماً له نصيب مقبول من الثقافة ، ويدل كذلك على أنه كان قد تلقى نفس هذه المختارات الأدبية فى مرحلة تلمذته .

على أن تلقى تلاميذ دير المدينة لمختارات أدبية سبق أن تلقاها معلمهم الخطاط الرسام لا يعنى أنها كانت منهاجاً خصص لتلاميذ الخطاطين الرسامين وحدهم ، كما أن اقتران الكتابة الهيروغليفية أو الهيراطيقية فى بعض لخافهم برسوم لا يعنى بالضرورة أنهم كانوا يهيئون جميعهم لمستقبل الخطاط الرسام وحده . ذلك أن نفس المختارات الأدبية التى أتت بها لخاف وكسر دير المدينة ، تكررت فى بقية كسر ولخاف غرب طيبة كله سواء من بقايا مدرسة الرمسيوم أو من غيرها ، كما أن قطعها الكاملة التى اقتبست منها أتت بها الكراسات التعليمية التى وجدت فى طيبة وغير طيبة والتى تنسب إلى تلاميذ مرحلة أكبر من المرحلة التعليمية الأولى (٢) .

ويلاحظ إلى جانب ذلك أن ما كتبه تلاميذ المدينة أو تلاميذ الخطاطين الرسامين بالخط الهيروغليفى (٣) فى دروسهم قليل جداً بالنسبة إلى ما كتبوه بالخط الهيراطيقى ، وأن ما كتبوه من المختارات الدينية والأخروية فى هذه الدروس قليل جداً هو الآخر بالنسبة إلى ما كتبوه من المختارات الأدبية (٤) . وكان الأولى أن تشيع الكتابة بالخط الهيروغليفى وتكثر المختارات الدينية والاخروية فى دروسهم إن كانت لهم دراسة خاصة بصفتهم تلاميذ مهنيين للخطاطين الرسامين فحسب ، ولو أن هذا لا ينفى أن منهم من كان يهيأ لهذه المهنة فعلا .

وقد لا نجافى المنطق إذ افترضنا أنه كان يجتمع على كل معلم فى دير المدينة عدد من التلاميذ وليس تلميذ واحد ، ولكن الوصول بهذا الفرض إلى درجة اليقين فى حدود ما نشر حتى الآن من دروس التلاميذ ليس بالأمر اليسير . فكل ما يمكن الاستشهاد به الآن هو وجود عدد من اللخاف والكسر تتشابه فى كل

---

(١) تراجع ص ٢٤٧ — ٢٤٨ .

(٢) تراجع لذلك فهارس : G. POSENER, Catalogue des Ostraca Hiératiques Littéraires de Deir el Medineh 1938, pp. 29-31 ; 1951, p. 1 f. ; 1952, 1 f.

(٣) B. BRUYERE, Rapport sur les fouilles de Deir el Medineh, Le Caire, 1953, p. 61.

(٤) من نصوص اللخاف ذات الطابع الدينى والسحرى (مع ملاحظة أن منها ما يقتصر على رقى ويحتمل أن تكون كتابته للفائدة الشخصية) :

O.D.M. : 1046, 1048, 1055, 1057, 1059, 1060, 1062, 1064, 1065, 1066, 1080, 1197, 1208, 1211, 1224, 1275.

اثنتين أو ثلاثة منها بداية الدرس ونهايته (١) ، وهذا دليل لا بأس به فى حد ذاته ، لولا أن الدروس المتشابهة لم تتضمن للأسف تاريخ يمكن ربطها ببعضها . على أن ثمة لخفتين تضمنتا نصاً واحداً ، وهناك احتمال كبير فى أن يكون معلمهما الذى أهديا باسمه معلماً واحداً ويدعى « مرى سخمت » وقد ذكرته إحداهما باسمه كاملا وذكرته الأخرى باسم مرى فحسب . وقد تبقى على الأولى اسم تلميذها ويدعى نفرسنوت ، فى حين فقدت الثانية اسم صاحبها فيما تكسر من أطرافها (٢) .

ولخفة أخرى كررت على وجهها فقرة واحدة من فقرات كتاب الكمال « كمت (أوكمة) »، ولكن بخطى تلميذين مختلفين (٣) ، وذلك مما يحتمل معه أنهما كتباها على التعاقب أمام معلم واحد .

وذكرت إحــدى وثائق عصر الرعامسة عرضاً أن رساماً يدعى مننا علم ولده ومساعده الكاتب بايرى ؟ (٤) ، ولكنها لم تذكر إن كان علمهما معاً أم علمهما منفردين .

ويغلب على الظن أن قيام المعلمين « الخطاطين الرسامين » بالتعليم كان فى أكثر أحواله أثناء إقامتهم فى قريتهم كما تشهد بذلك الأعداد الوفيرة من الكسر واللخاف التى وجدت بين مساكن القرية وتحت أطلالها وفى بعض الحفر بها (٥) . أما ما وجد متناثراً لتلاميذهم من الكسر واللخاف لدى مداخل بعض القبور والقبور الملكية بخاصة ، فيمكن تعليله بأنهم كانوا فى خروجهم لأعمالهم يصطحبون معهم عدداً من التلاميذ الذين شاء أهلوهم أن يكونوا ملازمين لهم ، فيوالونهم التعليم والإرشاد حيثما كانوا (٦) بصفتهم تلاميذ ومساعدين مهنيين فى نفس الوقت .

على أنه يبدو مع هذا أن الخطاطين الرسامين لم يستأثروا وحدهم بتعليم أطفال دير المدينة ، فقد كان للمقابر الملكية ولفرق العمال كتبتها الإداريون ، كما تقدم ، وهؤلاء كانت فرص التعليم متاحة لهم أيضاً .

---

(١) من الدروس المماثلة التى اقتبست عن تعاليم خيتى بن دواوف :
O.D.M. 1041=1042, (=Sall II, 4,4-6) ; 1022=1023 (=Sall. II, 6-1-3) ; 1029=1058 (=Sall. II, 6, 8-7, 2)
ومن دروس كتاب الكمال : Ost. Deir el Med., 1109=1112 rt=1116 ; 1110=1111 ; 1118=1119 ومن دروس تعاليم امنمحات الأول (=Sall. II 2, 10-3, 1) 1081=1039 vs. — وقارن أمثلة أخرى عند G. POSENER, op. cit., 1938, p. 30 ff.

(٢) Ost. Deir el Med. 1106, 1056
ويحتمل أن يكون هذا المعلم مرى سخمت هو كاتب ظهر بردية Pap. Chest Beatty IV (See, G. POSENER, in Rev. d'Egyptologie VII, 75)

(٣) O.D.M. 1143

(٤) CERNY, in J.N.E.S., XIV, 161 f.

(٥) B. BRUYERE, op. cit., 60, 62

(٦) من ألقاب هؤلاء الخطاطين الرسامين ما يشير إلى ارتباط عمل بعضهم بالمعابد وارتباط عمل بعضهم الآخر بالمقابر الملكية . ويراجع عن عدد من هذه الألقاب :
B. BRUYERE, Tombes Thébaines de Deir el Medineh 1952, Index pp. 16-17

ومن لخاف دير المدينة ما ينتهى درسه بإهداء إلى المعلم على أنه الكاتب (سش) فلان فحسب (١) ، وليس على أنه الخطاط الرسام (سش قدو) وأمثال هؤلاء المعلمين الكتبة أقرب إلى أن يكونوا كتبة المقابر الملكية وفرق العمال .

كانت هذه هى أحوال المرحلة التعليمية الأولى فى غرب طيبة ، وقد قامت مناسبة لظروف أهلها ومطالبهم المحدودة ، وماتقدم منها عن دير المدينة يخالف ماذهب إليه بعض الباحثين مثل G. Posener (٢) و J. Capart (٣) بشأنها .

وليس من شك فى أن قيام ذلك النشاط التعليمى فى طيبة الغربية المحدودة السكان والمطالب والإمكانيات يؤكد كل التأكيد وجود نشاط تعليمى أضخم وأعظم بكثير فى طيبة الشرقية عاصمة الدولة فى أغلب عصور الدولة الحديثة ، بل ويؤكد كذلك وجود نشاط تعليمى شامل فى غير طيبة من العواصم الأخرى . غير أنه لشديد الأسف لم يتبق ما يستشهد به من آثار ذلك النشاط فى طيبة غير ترجمة حياة الكاهن « باكنخنسو » الذى عاصر كلا من سيتى الأول ورمسيس الثانى وأصبح كاهناً أكبر لأمون فى عهد ثانيهما (٤) ، ثم جانب قصير من ترجمة حياة شخص آخر من الدولة الحديثة أيضاً . يقول باكنخنسو فى سياق حديثه عن طفولته (٥) : « إنى رجل من طيبة وكذا أبى وأمى . وقد كنت ابن كاهن ثان لأمون فى الكرنك . وبعد أن تخرجت من قاعة الكتابة (؟) (إسى ن سشو) (٦) حيث كنت ولداً شاطراً (؟) (نزس إقر) (٧) فى معبد ربة السماء (موت) ، تعلمت لأصبح كاهناً . . . » . ثم زاد باكنخنسو على ذلك أن ذكر فى نقش آخر أن تلمذته الأولى استمرت أربعة أعوام (٨) . ومما لاشك فيه أن مدرسة معبد موت هذه لم تكن هى الوحيدة فى

---

(١) Os. Deir el Med. 1014, Col. II, 7 ; 1204, 6 ; Ost. of Mus. of Moscou 4478 + Ost. Berlin 9026 (see Rev. d'Eg. 1950, 71)

أنظر ملحق النصوص عن الكاتب نب نفر و تلميذه نفر حوتب .

(٢) احتمل G. POSENER أنه كانت توجد بالقرية مدرسة ذات طابع حكومى أورسمى .
VAN DE WALLE Textes Littéraires Egyptiens, avec une annexe de G. POSENER, 1948, p. 16.

(٣) واحتمل J. CAPART أن هذه المدرسة كانت بجوار معبد البطالمة فى القرية ذاتها حيث كان يقدس ايمحوتب وامنحوتب بن حابو اللذان كانا يعتبران من رعاة الكتاب (Ibid., p. 16, 2).

(٤) H. KEES, Das Priestertum im Aegyptischen Staat vom Neuen Reich Bis zur Spâtzeit, Leiden 1953, S. 117.

(٥) G. LEGRAIN, Statues et statuettes de rois et de particuliers, (Cat. Gen.), 42155 c. وراجع ملحق النصوص

(٦) H. KEES, op. cit. = « Kinderschule » ; G. LEFEBVRE, Histoire des Grands Prêtres d'Amon, — Paris 1920, 131 = « L'Ecole des écritures ».

(٧) Wb. II 385, 8 = Schulknabe ; see also, ERMAN, Aegypten, 192 = « artiger Kleiner ».

(٨) DEVERIA, Revue archéologique, VI, 1862, p. 101 f. ; BISSING — BRUCKMANN, Denkmaeler aegypt. Skulptur, 51, 52.

ومن آثار باك باكنخنسو الموجودة لوحة كاتب PRISSE d'AVENUES, Histoire de l'Art Egyptien, Texte, p. 136. وانظر ملحق النصوص .

طيبة الشرقية فى حينها ، إذ لا يعقل أنها — جناحاً كانت أم قاعة — كانت قادرة على أن تستوعب كل تلاميذ طيبة الصغار .

ولم يذكر الشخص الآخر تدريساً ولا مدرسة وإنما ربط بين تربيته وبين دار أمون أو دائرته فقال « لقد ربيت فى دار (؟) أمون وأنا ولد شاطر (نزسن إقر) » (١) . وفى غير مدينة طيبة ومن العصر الصاوى ذكرت وثيقة من بلدة الحيبة (جنوبى الفشن) معلماً بلقب كاتب المدرسة أو خوجة المدرسة (سخ ن ع سب) (٢) كان أهل بلده يستدعونه لكتابة عقود البيع وما يشبهها . ولا ندرى شيئاً عن مدرسته أولية كانت أم أكثر من أولية ، ولكن يحتمل مع طبيعة عمله خارجها أنه كان من معلمى المرحلة الأولية العاديين . ولا يعنى الاستشهاد به هنا أكثر من الدلالة على توافر فرص التعليم العادى فى غير العواصم الكبيرة من بلاد القطر . (وانظر عن كاتبى مدرسة آخرين صفحتى ٢٠٦ ، ٢٠٧) .

وفترة الأربع سنوات التى ذكرها باكنخنسو لدراسته الأولية يبدو أنها فترة مناسبة للمرحلة الأولى فى المدارس النظامية يتلقى الطفل فيها مبادئ الكتابة والقراءة والحساب وبعض المختارات الأدبية وربما الدينية أيضا على هيئة المحفوظات ، ثم يتجه بعدها إلى مرحلة دراسية أرقى ، أو يكتفى بها ليصبح واحدا من الكتبة الصغار العاديين الذين لابد وأنه كانت تغص بهم دور الحكومة ، أو واحدا من الكتبة الصغار الذين تصورهم المناظر يعملون فى الأسواق وفى ضياع السراة . وليس بين المتون المصرية ما يشير إلى سن البدء فى هذه المرحلة التى كان فيها كل من باك ن خنسو وزميله « نزس إقر » ، وذلك فيما عدا رسالة كتبها تلميذ إلى معلمه وقال فيها « لقد نشأت طفلا (نخن) وأنا بجوارك » (٣) ولفظة « نخن » فى الواقع لا تحدد سنا معينة للطفولة (٤) . على أن من الباحثين من يرى تقدير سن البدء معها فيما بين الرابعة والخامسة (٥) ، ويربط بين هذه السن وبين ما لايزال يأخذ به مجتمعنا الحاضر من بدء تعليم الأولاد فى سن مبكرة (٦) وهى عادة توفر لها مؤيدوها كما توفر لها معارضوها من بين المربين الكلاسيكيين أنفسهم فزكاها بعضهم على أساس اعتماد التعليم الأولى على الذاكرة وشدة نشاط الذاكرة عند الطفل فى سنواته المبكرة ، بينما فضل آخرون تأخير تعليم الطفل إلى مابعد بلوغه السابعة حيث يصبح أقدر على الفهم وأقدر على تحمل مشقة عملية التعلم (٧) .

وإذا كان لابد من عودة إلى أحوال المرحلة التعليمية الأولى فى الدولة القديمة فهى وإن لم يكن فيما كشف عنه من آثارها ووثائقها ما يشير إلى أمثال المعلمين الذين أتت

---

(١) London 1131 يذكر هذا المثال Die Belegstellen, II, 385, 8. غير أنى لم أعثر عليه فى مؤلفات المتحف البريطانى . — انظر ملحق النصوص .

(٢) F.L. GRIFFITH, Ryland Pap. IX, 7, 3, p. 82 ; also Stories of the High Priests, p. 36.

(٣) Pap. Lansing II, 1 — Anast. IV, 8, 7 — وانظر ملحق النصوص .

(٤) A. ERMAN, Die Literatur 267 = Kind ; A.M. BLACKMAN, T.E. PEET, in J.E.A., XI, 293 = child — دون تعليق من أيهما .

(٥) G. LEFEBVRE, op. cit., p. 132. — وانظر الحاشية التالية .

(٦) W.F. PETRIE, Social Life in Ancient Egypt., p. 123 ; A. ERMAN, H. RANKE, Aegypten, 380.

(٧) From Institutes of Oratory, by QUINTILIAN, Book I, Ch. I, 15-19.

بذكرهم وثائق الدولة الوسطى والدولة الحديثة ولا إلى الدراسة النظامية التى أشار إليها باكنخنسو ، إلا أنه ليس ما يمنع إطلاقا من ترجيح أن ما كان ساريا فى عصور هاتين الدولتين كان ساريا كذلك فى عصورها ، فبالنسبة للمعابد واحتمال إسهام رجالها فى التعليم تعرف أن كهنة الدولة القديمة كثيرا ما كانوا يجمعون بين عمل الكهانة وبين عمل الكتابة فى ذات معابدهم أو فى الحكومة ، أى أنه توفرت لهم المقومات التى سمحت لغيرهم فى العصور الأخرى بالتعليم ، وكان نشاط الخطاطين الرسامين إبانها فى ذروة ازدهاره فى منف والجيزة ، وقد وجدت بالفعل من أيامها لوحتان من الخشب عليهما تمرينان ، يجمع أولهما بين الخط والرسم عن قصد وترتيب (ص ٢٤٨) ، ويقوم الثانى على تجويد الخط وحده (١) . والخط والرسم فى التمرينين تتضح فيهما العناية أى أنهما من تمارين تلاميذ الخطاطين الرسامين الناضجين وليس المبتدئين، ولكن هذا لا يمنع أن يكون من تعهده المعلم بالتعليم ناضجا كان يتعهده كذلك وهو طفل صغير .

وعن مصاحبة الصغار للفنانين المتعلمين فى الدولة القديمة يقول نخبو « كنت مساعدا (أو تابعا) لأخى رئيس الأعمال ... وكنت أكتب (؟) وأحمل أداة كتابته »(٢) وقد تهيأ لنخبو هذا فى مستقبل أيامه أن يغدو مديرا للأعمال بدوره ومهندسا ملكيا (٣) .

---

(١) W.S. SMITH, A History of Egyptian Sculpture and Painting in the Old Kingdom, London 1946, p. 35 f. وعرف لقب الخطاط الرسام منذ الدولة القديمة : Urk I, 265, 13 ; S. HASSAN, Excav. at Giza IV, 127, 137

(٢) Urk. I, 216, 9-10 ; see D. DUNHAM, in J.E.A., XXIV, 1 f. أنظر النصوص.

(٣) Urk. I, 215, 216

المرحلة التعليمية المتقدمة

فى العصر الأهناسى :

تعتبر تعاليم « خيتى بن دواوف » أقدم الأسانيد التى يتيسر أن نلتمس فيها وصفا لمدرسة من مدارس المرحلة المتقدمة فى عصر الفرعونية . وخيتى بن دواوف هذا يرى أغلب الباحثين أنه من مواطنى العصر الأهناسى ، فى حين رأى بعضهم الآخر أنه من مواطنى عصر الأسرة الثانية عشرة (١) . وقد جاء فى مقدمة تعاليمه أنه ألفها « لابنه المدعو ببى حينما كان مبحرا (جنوبا) الى الحاضرة (أى مقر الملك) ليلحقه بمدرسة الكتاب (؟) (عت سبانت سشو) بين أبناء العظماء ومن يتصدرون العاصمة (أو ممن هم فى مقدمة البلاط) »(٢) . والأغراض التى استهدفها خيتى من تعاليمه لولده يمكن إجمالها فى أربعة أغراض وهى :

أولا : أن يحبب إليه حياة الدراسة أو الكتب والكتابة على حد تعبيره ، وذلك مما ينم عنه قوله « راع أنه لا يوجد ما يفوق الكتب » ، « ولسوف أجعلك تعشق الكتب أكثر من أمك وأبث محاسنها فى مواجهتك » ، « وإن يوما بالمدرسة لهو الأجدى لك ، وإن أعمالها (أى علومها) لتخلد إلى الأبد (خلود) الجبال » (٣)

ثانيا : أن يرغبه فى مستقبل الكاتب أو المتعلم ، وقد كان من قوله فى ذلك : « لاحظ أنه ما من مهنة تخلو من مهيمن ، عدا الكاتب فهو بذاته المهيمن » ، و « إنه إذا بدأ النجاح (؟) وهو لا يزال صغيرا فلسوف يهتم الناس بشئونه » (وهكذا) إذا تفقهت الكتابة فلسوف تصبح خيرالك » (٤)

ثالثا : أن يصرفه عن التفكير فى الاتجاه إلى المهن اليدوية ، وعدد له لهذا الغرض سبع عشرة مهنة يدوية موضحا له فى كل واحدة منها ما يلاقيه أصحابها من عناء وقلة جزاء .

رابعا : أن يرشده إلى خير السلوك خارج المدرسة مع نفسه ومع غيره من الناس ، ولهذا أخذ يؤدبه بآداب الزيارة وآداب الطريق ، وكان من قوله « إذا خرجت من المدرسة حين يعلن لك انتصاف النهار

---

(١) رجح أدولف ارمان ارجاعه إلى مابين الدولة القديمة والدولة الوسطى Liter., 3 Anm. 1, und 101 وكذا بلاكمان J.E.A. XI, 212 وكان ماسبرو قد أرجعه إلى الدولة الوسطى وأرجعه برش من قبله إلى عصر الأسرة السادسة . ولما نشرت بردية Ch. Beatty وجاء لكاتبها دعاء يدعو فيه للكاتب خيتى « الذى ألف كتابا بتعاليم الملك سحتب إب رع » ظهر رأى للباحث دى بك A. de BUCK بأن خيتى هذا هو نفسه خيتى بن دواوف وعلى هذا فهو يرجع إلى عصر الأسرة ١٢ كما خمن ماسبرو Mel. Maspero, II 848 f. وأخذ برأيه كذلك برنر H. BRUNNER, Die Lehre des Cheti, 1944, S. 20 f. انظر ملحق النصوص

ولكن عارض هذا الرأى كل من جاردنر وكابار A.H. GARDINER, Hieratic Papyri, 3rd Series I, 43 J. CAPART, Les Grands Maîtres de la Littérature Egyptienne (Bull. Acad. royale de Belgique, 295-6)

ثم انظر أيضا : H. KEES, Handbuch der Orientalistik, Erster Band, Aegyptologie II, Literatur, S. 12, 15 ; and E. DRIOTON, op. cit., p. 6.

(٢) Pap. Sall. II, 4, 1. — وانظر ملحق النصوص

(٣) Ibid., 4, 2, 5 ; 9, 4-5 .

(٤) Ibid., 9, 1-2 ; 4, 5-6 ; 9, 2. -

وأخذت تروح وتغدو مهللا (؟) فى الطرقات فنصيحتى لك ألا تقترب من موضع منها (أو تشاكس أحداً منها) » (١) ثم نصحه بالأمانة فى نقل الأحاديث ، وأن يتجنب الدهماء ويستمع إلى أقوال الكبار ... وأن يتخذ صديقه من (أبناء) جيله .

وتعاليم خيتى بن دواوف هذه إن كان قد ألفها حقا والد لولده وهذا هو المأخوذ به ، أو ألفها أديب وصورها فى هيئة حديث الوالد لولده ، فلا شك فى أن أيهما كان يستوحى صورا مما هو كائن فعلا فى عصره ، ولهذا فما من بأس فى الاعتماد على ماجاءت به هذه التعاليم عن المدارس ، ويتضح من العرض الموجز الذى تقدم عنها :

أولا : أن مدرسة الكتاب (؟) التى قصدها خيتى بابنه والتى خصصت فى كتابتها بصورة البناية مرتين ، فى نهاية كلمة (عت) بصفتها الذاتية مرة ، وفى نهاية التعبير كله مرة أخرى(٢) ، لم تكن قاعة درس

---

(١) Ibid., 10, 2-8 and var. O.D.M. 1039 — وانظر ملحق النصوص

(٢) عبر المصريون بكلمة عت عن طائفة من الأمكنة التى تحدها أربع نواح (B. GUNN, in J.E.A. XV, 168) وكانت تعنى فى الأصل معنى الحجرة (Wb. I, 160 ; 511, 7 f.) ثم أصبحت تدل على المسكن أو البيت بأجمعه فيقال « عت الكاهن الأكبر لأمون T.E. PEET, Tomb robberies, pl. 19, 7, 16 وعت الوزير (Ibid., pl. 22, 1, 6) واتخذ كبير كهنة آمون لقب راعى أو أمين عت (أودار) أمون Lefebvre, Hist. des Grands Prêtres, p. 43 ودلت كذلك على القاعة أو الإدارة Mar., Cat. d'Abydos, 955 مثل عت القصر العالى Ibid., 755 Cairo, 20598 وكلها من الدولة الوسطى ثم A.H. GARDINER, Anc. Onomastica, I, 22 chief of the department of and PIERRET, I, 66 وكلاهما من الدولة الحديثة . ودلت عت على البستان أيضاً « عت خنت » Anast. III, 2, 5 ثم دلت على مدينة بأسرها فقيل عن مدينة برمسيس « تاعت ن سيسو » Anast. I, 27, 3 و« تاعت رعمسسومرى أمون » Anast. V., 24, 8 وعن مدينة أخرى نسبت إلى سيتى Proc. S.B.A. XIII, 449 وان كان يحتمل أن كلمة عت فى أسماء هذه المدن حلت محل كلمة « بر » فى مثل « بررمسيس (أوبورعمسسو) .

وإزاء هذه المعانى المتباينة لكلمة « عت » ، يصعب تحديد المعنى الحرفى أو الصورة الحقيقية للتسمية المزدوجة «عت سبا» ومترادفاتها : See Siut IV, 67 ; Boulaq IV, 6, 20 ; Anast. V, 22, 6 ; O.D.M. 1025, 1 ; O.D.M. 1039 rt. 4 ; Wb., I, 160 ; AeZ 73, 79. مثل : عت سباى ؛ عت سباو ، عت سبات(؟) :

فهى قد تعنى بذلك : حجرة الدرس ، أو قاعة الدرس ، أو مقر الدراسة أو دار التعليم . ولكن يحسن الاكتفاء بتسميتها مدرسة فحسب ، خاصة وأن كلمة مدرسة العربية تحمل نفس الازدواج اللفظى . فميهما الأولى تعبر عن اسم مكان ثم تليها كلمة درس أو دراسة . واحتفظت الكتابة القبطية بهذه التسمية المزدوجة (أنزيبه) (ملحق النصوص) مع استبدال الإضافة المباشرة فيها بحرف نون ثم اعتبار كلمة «ع» مذكرة بحيث يمكن ان يكون مرادفها الهيروغليفى ع ن سبا (H. BRUNNER, op. cit., S 25) وذكر H. BRUNNER مثلا واحدا لتذكير كلمة « ع » عن O.D.M. 1025, 1 ولكن يمكن أن نضيف إليه أمثلة اخرى مذكرة وردت فى MAR., op. cit., 750 ; Anast. VII, 5, 1 Rec. Tr. VI, 47 ; XVIII, 62 ; BRUGSCH, Dict. Suppl. 180 وانظر عن الصلة بين كلمة HI (منزل) القبطية المذكرة وبين كلمة «ع» أو «عى» القديمة G. MASPERO, Rec. Tr. XVIII, 62-3 ; LACAU, Rec. Tr. XXXV, 64 ; SPIEGELBERG, AeZ, 51, 125

ويتبقى الشطر الثانى من تسمية خيتى بن دواوف للمدرسة «عت سبانت سشو» وهذه يترجمها كل من ارمان وبلاكمان وماسبرو وقاموس برلين على النحو التالى :

ERMAN, Die Lit., 101, = Schule der Bücher (transl. by BLACKMAN, 68 — School of Books) ; MASPERO, Du genre épist., 48 = l'école des lettres ; Wb. III, 478, 4 =

صغيرة ، وانما هي أقرب إلى أن تكون مدرسة كبيرة أو واسعة تليق بمكانها فى مقر الملك ، وتصلح لاستيعاب تلاميذ العاصمة وتلاميذ الأقاليم الأخرى التى وفد منها خيتى وابنه ، وتكون جديرة بأن تشد إليها رحال السفر .

ثانيا : أنها كانت فى الغالب مدنية الصبغة لا صلة لها بمعبد ولا دخل لرجال الدين فى شئونها ويتضح ذلك من أنه ما من نصيحة من نصائح خيتى قد تعلقت بأمور الدين أو تعاليمه .

ثالثا : أنها كانت لصبيان ناضجين إلى حد ما وليست لأطفال مبتدئين . إذ يصعب أن توجه تعاليم خيتى هذه الطويلة التى قسمها المعلمون للدراسة إلى سبع وعشرين فقرة إلى طفل مبتدئ لا يستطيع أن يستفيد من المقارنات التى تضمنتها أو أن يهضم الأمثال والنصائح التى جاءت بها . وفى هذه التعاليم يقول خيتى لولده « إذا قرأت فى نهاية (كتاب) الكمال وجدت هذه العبارة »(١) » وذلك أقرب إلى أن يعنى أنه كان يعرف القراءة فعلا قبل دخوله هذه المدرسة .

رابعا : أن الدراسة فيها كانت تخضع لمواعيد منظمة ، ولم تكن تشغل يوم التلميذ بطوله ،وإنما كان يسمح له بأن يروح ويغدو ويهلل ويزور ويصادق(٢) . غير أن تقرير ما إذا كان انصراف التلميذ عند انتصاف النهار يعنى انقضاء يومه المدرسى أو يعنى انصرافه إلى رجعة بعد الغذاء ثم انصراف ثان فى أواخر النهار ، أمر غير يسير . ولو أنه يرجح الاحتمال الثانى إلى حد ما ماتقدم فى تعاليم آنى عن انتظار الأم ولدها يوميا لدى المدرسة بالخبز والجعة من بيتها . فأغلب الظن هنا أنه لو كانت الدراسة فى هذه المدرسة الأخيرة لمنتصف النهار فحسب ، لما كان من داع لأن تواظب الأم على الذهاب بالطعام والشراب إلى ابنها يوميا . وإذا كانت نظم المدارس لم تتغير بين العصر الاهناسى أو الدولة الوسطى وبين أوائل الدولة الحديثة وهذا محتمل كل الاحتمال — كان انصراف بيبى بن خيتى عند انتصاف النهار إلى رجعة بعد الغذاء .

خامسا : أن هذه المدرسة لم تكن قاصرة على أبناء طبقة دون أخرى ، ففيها أبناء العظماء ومن يتصدرون العاصمة ، وفيها من هم من طبقة بيبى بن خيتى . وطبقة بيبى بن خيتى هذه وإن لم يذكرها المتن صراحة ، إلا أن هناك احتمالا كبيرا فى أنها لم تكن طبقة العظماء . فاهتمام خيتى بتحذير ابنه من مستقبل المهن التى ذكر من أصحابها النحات والصائغ والنجار ومن إليهم ،ينم فى حد ذاته عن أن نفس

= Schreibschule. ثم فضل برنر BRUNNER, op. cit., 25 تسميتها باسم مدرسة الكتاب Schreiberschule ولم يقدم أى مبرر لهذا التفضيل ، ولكن يمكن قبول جانب من تفسيره على أساس بقاء تسمية الكتاب فى مجتمعنا الريفى والأوساط الشعبية فضلا عن وجودها فى اللغة العربية . وبالرجوع إلى المعاجم العربية نجد أن « المكتب والكتاب» بمعنى موضع تعليم الكتاب والجمع الكتاتيب والمكاتب ، يأخذ بها كل من معاجم لسان العرب ومختار الصحاح وتاج العروس — وذلك على حين يقول المبرد «المكتب موضع التعليم ، والمكتب المعلم ، والكتاب الصبيان ، ومن جعل الموضع الكتاب فقد اخطأ» (لسان العرب ج ٣ ص ١٩٣ والقاموس المحيط) . فإذا صح الرأى الأخير بأن تفسير الكتاب بمعنى «موضع تعليم الكتاب» دخيل على اللغة العربية ، فهل يعنى هذا انه دخيل فى معناه عليها من التسمية المصرية القديمة « عت سبانت سشو» وهى تسمية تكاد تطابق بألفاظها الفاظ « موضع تعليم الكتاب» ؟ أم أن كلا من التسميتين نشأت مستقلة عن الأخرى ؟ على أية حال فإنه يلاحظ فيما تقدم أن العرب اجازوا تسمية الصبيان بالكتاب ، وهذا هو ما جرى عليه المصريون القدماء دون أن يعنوا به أمثال الأطفال الصغار الذين يتعلمون فى كتاتيب العصر الحاضر وحدهم .

(١) Sall. II, 4, 2

(٢) A. ERMAN, Die Literatur, 105

هذه المهن هى التى كان ينصرف إليها فى العادة بقية الصبيان فى بيئته الاجتماعية (١). وعلى أية حال، وإذا صح هذا الرأى فى طبقة خيتى وابنه بيى أم لم يصح ، فإن القول بإتاحة الفرص لابن الرجل العادى وابن النبيل على سواء فى شئون الحياة خلال العصر الاهناسى وعصور الدولة الوسطى ، قول لايتطلب كثيرا من التأكيد (٢) ، وذلك لما عرف عن تقدير هذه العصور للفرد « يعمل بساعده ، ويتحدث بفمه » (٣) قبل تقديره بعراقة الأصل ونبل المحتد .

ونسب بعض الباحثين ، ومنهم أدولف إرمان ، مدرسة ابن خيتى إلى البلاط الملكى ، وهى نسبة يصعب الأخذ بها ، إذ لو قامت فى البلاط لنسبها النص إلى الملك بأى صورة من الصور اعترافا بفضله ، ولما خرج تلميذها يهلل فى الأزقة والطرقات ، ولما حدد أبوه له طعاما بسيطا وحضه على الاكتفاء به .

وأخيرا وإذا تأكد ما أخذنا به من رأى المرجحين لنسبة خيتى بن دواوف وتعاليمه إلى العصر الأهناسى ، فإن هناك معلومات أخرى يمكن أن تقرن بما جاءت به هذه التعاليم عن الحياة التعليمية فى عصره ، ومنها :

١ – أنه كان للقصر الملكى فى أهناسيا مدرسته أو على الأقل منهاجه لتثقيف أمرائه وأبناء الحكام الموالين له ، وهذا سيتناوله البحث ص ١٩٩

٢ – أن هناك ما يحمل على الاعتقاد بوجود نشاط تعليمى راق فى غير أهناسيا من عواصم القطر فى ذلك العصر . فقد ذكر خيتى حاكم أسيوط المعاصر لمريكارع ملك أهناسيا فى سياق حديثه عن حكمه فى مقاطعته عبارات يقول فيها باهتمامه بكل كاتب وكل عالم ويشير فيها إلى « الدخول إلى المدرسة » ولو أن كل ذلك يرد للأسف فى سياق مضطرب يصعب متابعته أو تكوين فكرة واضحة عنه . (٤)

ولقد تقدم أن خيتى بن دواوف قد استشهد لولده بعبارة من كتاب يدعى كتاب الكمال بدأها بقوله « إذا قرأت فى نهاية الكمال وجدت هذه العبارة » (٥) . وفيما عرف عن كتاب الكمال التعليمى هذا مايحتمل معه وجود رابطة بين تأليفه وبين طيبة ، فهو يذكر إلهها « مونتورب طيبة » (٦) مرات عديدة

---

(١) يقرن مع هذا كذلك ماعقب به أدولف ارمان على خيتى بن دواوف بانه من الواضح انه من طبقة دنيا (Ibid., 101) وعن المراجع التى حاولت التعرف على صناعته او موطنه – يراجع : (H. BRUNNER, op. cit., 9 f.)

(٢) تراجع ص ١٣٣ هامش ١ وبخاصة قول ملك أهناسيا لولده مريكارع « لا تفرق بين ابن نبيل وبين ابن وضيع بل اتخذ لنفسك الرجل بكفاءته (Pap. Petersburg, 1116A, 61) ويضاف اليه قول امنمحات الاول » لقدهيأت للمعدم أن يبلغ غايته شأن من كان ذا حيثية (A. ERMAN, op. cit., 106)

(٣) J. POLOTSKY, Zu Den Inschriften der 11 Dynastie, Leipzig, 1923, 34 f.; 43 f.

(٤) J. BRUNNER, Die Texte aus den Grabern der Herakleopolitenzeit von Siut, 1937, p. 29 (Tomb IV, 11, 66-67 – وانظر ملحق النصوص .

(٥) Pap. Sall II, 4, 3 and variants: BRUNNER, op. cit., S 100. – وانظر ملحق النصوص . وعن اسم كتاب « الكمال » يراجع : G. POSENER avec VAN DE WALLE, La Transmission des Textes Littéraires Egyptiens, Bruxelles 1948, p. 47 f.; also, A. H. GARDINER, Hieratic Papyri, 3rd Series, Vol. I, 43, N. 7; but see, A. HERMANN, Das Buch, Kmj.t und die Chemie, in AeZ, 79, 1954, 100.

(٦) G. POSENER, Catalogue des Ostraca Hiératiques Littéraires, Le Caire, 1951, pls. III-IV.

(ويذ كرمعه ارواح عين شمس ، وبتاح) (١) دون آلهة أهناسيا . فإذا صح أنه قد ألف فعلا قبل الدولة الوسطى حيث يذكر مونتو دون أمون ، وحيث هو أسبق على كل حال من تأليف تعاليم خيتى بن دواوف ، لكان فى هذا ما ينم عن أن طيبة الناشئة والمنافسة لأهناسيا لم تكن تخلو هى الأخرى من تعليم متقدم اهتم معلموه بوضع الكتب له ثم انتقلت منهم إلى من سواهم من معلمى المدن الأخرى .

٣ — يعتبر العصر الأهناسى (وعصر الانتقال الأول عامة) من أهم عصور ازدهار الأدب المصرى (٢) ، وهذا الازدهار لا يخلو من دلالة ترتبط برقى التعليم وبعدد المتعلمين . فالأدب يزدهر عادة إذا توفرت له الكفايات الناطقة به ، وحين يجد عددا كافيا من المتعلمين يتذوقونه ويقبلون عليه ، أو حين يجد من يقدره ويجزى عليه من أصحاب الجاه والسلطان .

فى الدولة الوسطى :

من الألقاب الفريدة التى تضمنتها نقوش الدولة الوسطى لقب « إرى عت سباى » أو « ساو عت سباى » ويعرف من حامليه ثلاثة أشخاص أو اثنين على أقل تقدير (٣) وقد يعنى هذا اللقب معنى المنتمى إلى المدرسة (إرى عت سباى) ويدل بهذا على تلميذ كما يذكر قاموس برلين « Lehrling » : Wb. IV 85, 8 أو يدل على معلم . غير أنه قد يدل من ناحية أخرى على راعى « ساو » المدرسة والأمين عليها (٤) فإن كان صاحب اللقب تلميذا حقا كما يذكر القاموس لكان فى ذلك دليل جديد على تمجيد المصريين للدراسة والعلم بحيث يجعلون التلمذة أو طلب العلم لقبا يشرف الشخص أن تحمله تماثيل آخرته ، ولكان فيه أيضا ما يوحى بأن صاحب اللقب كان تلميذا بمدرسة متقدمة ، إذ لو كانت مدرسة أولية لما استحقت الإشادة بها منه مع كثرة أمثاله من المتعلمين الصغار فى عصره وفى كل عصر .

وإذا كان اللقب يدل على معلم لأضاف لقبا جديدا إلى ماتقدم من ألقابه مثل « سباو » و « سش » و « سش قدو » (٥) ، أما الاحتمال الثالث بأن يكون موظف المدرسة أى راعيها أو الأمين عليها فهو

---

(١) POSENER, op. cit., pls. II, IV

(٢) A. ERMAN, op. cit., S. 2-3 ويقرن بلاكمان هذا الازدهار الأدبى بالازدهار الفنى الذى تم عنه النقوش والرسوم فى مقابر مير . Discovery III, p. 35 ff. — ويرد إلى هذا العصر أربعة على الأقل من عيون الأدب المصرى وهى توجيهات إيوور وتعاليم خيتى لمريكارع ، والقروى الفصيح وتعاليم خيتى بن دواوف (J.E.A., 1925, 213)

(٣) يذكر Die Belegstellen, IV, 85, 8 مثلا واحدا لهذا اللقب عن London 506 ولكنى لم أتمكن من التعرف عليه . على حين يوجد مثلان آخران : أحدهما لمن يدعى « كاخو » وله تمثال صغير جالس من الجرانيت الأسود وقد وضع يديه مبسوطتين على فخذيه (Cairo 482 = Mar. Cat. d'Abydos 37, and see also Cairo 20725) والثانى لمن يدعى « كوحا » وله تمثال أخروى صغير من الالباستر (وشابتى) كتب عليه نص يقول « انهض أبى أوزير ، انهض فى سلام ، إنى ولدك ، أنا سبيل الرب ، أنا راعى ؟ قاعة الدرس ؟ ورئيس دار العطايا (Ibid., 51) ولست على بينه إن كان لقبه له نفس المعنى الذى يدل عليه لقب زميله السابق وهو « إرى عت سباى » أم لا .
— انظر ملحق النصوص .

(٤) انظر تعليق ارمان على لقب « إرى » « in den Titeln nicht immer sicher von mnjw und s'w zu scheiden » (Aeg. Handworterbuch, S. 15)

(٥) وهناك لقب لمعلم فى الدولة الحديثة سنعالجه فى صفحة ٢٠٦ ، يذكر أنه كاتب مدرسة القصر والمعـ —

الترجمة المعتادة لكثير من الألقاب التى وردت بدايتها على النحو السابق . . . (١) ، وإذا صح هذا الاحتمال ونظنه أرجح من سابقيه ، لدل على أن المدرسة كان لها شىء من الأهمية يستدعى الرعاية والمحافظة ، وهذه الأهمية قد تتمثل فى اتساع مبانيها أو فى احتوائها على عدد كبير من التلاميذ أو فى احتوائها على مكتبة وأدوات تنبغى المحافظة عليها ، وحينئذ تكون أيضا مدرسة متقدمة . وليست مجرد مدرسة أولية . على أنه مهما يكن من أمر هذه الاحتمالات جميعها ، فإن مجرد وجود اسم المدرسة «عت سبا» أو «عت سباى» على آثار من أواسط الدولة الوسطى يسمح بترجيح استمرار الحياة التعليمية النظامية على نحو ما كان عليه أمرها فى عهد خيتى بن دواوف (فى العصر الاهناسى أو فى أوائل الدولة الوسطى) ، ويسمح كذلك بعقد الصلة بين البرديات العلمية والتعليمية التى بقيت من الدولة الوسطى عامة ، وبين حياة مدرسية متقدمة من ذات العصر . وأهم هذه البرديات التى سنسميها كراسات أحيانا وكتبا أحيانا أخرى وفق ما هى أقرب إليه ، هى :

١ — برديات أو كراسات متقدمة فى الرياضيات ترجع كتابتها إلى أواخر الدولة الوسطى ، ومنها اثنتان يغلب عليهما الطابع التعليمى . أولاهما « نسخها الكاتب أحمس فى عهد الملك عا وسر رع (أحد ملوك الهكسوس ؟) وفق متن قديم ألف فى عهد الملك أمنمحات (الثالث) »(٢) وتتضمن ٨٤ مسألة من مسائل الحساب والمعادلات والهندسة مصحوبة بحلولها . أما البردية أو الكراسة الثانية فقد فقد جزؤها الأول الذى كان يتضمن اسم كاتبها وعهد كتابتها ، غير أنه يرجح أنها قد كتبت فى عهد أسبق من عهد كتابة بردية أحمس بقليل (٣) . والمسائل الباقية منها تسع عشرة مسألة تختلف رءوسها عن رءوس مسائل بردية أحمس (٤) ، ويعنينا الآن من أمر هاتين البرديتين فضلا عن طابعهما التعليمى :

=الرئيسى « سباى؟حرى تب» للقصر وهذا اللقب الأخير يضيف احتمالا جديدا لقراءة لقب الدولة الوسطى، فهو قد يكون لقبين وليس لقبا واحدا : إرى عت = Hausbeamter ثم «سباى» ؟ أى معلم على نحو ما سمى معلم القصر فى الدولة الحديثة . ولا يضعف من هذا الاحتمال إلا أن قاموس برلين يأتى بمثلى الدولة الوسطى والدولة الحديثة متتالين ويفرق بينهما فى الترجمة . (Wb. IV, 85, 8, 9) انظر ايضا كتابة اسم المدرسة «عت سباى» (Boulaq IV, 6, 20) — انظر ملحق النصوص .

(١) انظر G. LEFEBVRE, Hist. des Grands Prêtres..., Paris 1929, p. 43: «gardien de la demeure d'Amon» Note 10;
حيث يفضل قراءتها « ساوتى » عن (إرى) وأحد حملة هذا اللقب من الاسرة ١٨ وليس له لقب غيره Berl. II, 237 f. ولو أن ساوتى تكتب أحيانا صريحة فى مثل لقب ساوتى عت gardien de la chambre du... (Ibid., 32, 51, 52) انظر ايضا Louvre C172 (إرى عت نب) بمعنى (كل موظف) — وراجع ترجمة (إرى نفرحات) بمعنى حارس التاج : A. ERMAN, Aegyptische Grammatik 401 and A.M. Blackman in J.E.A. XXI, p. 3: keeper of the diadem وعن ترجمة (إرى عت) فى القاب الدولة الوسطى بمعنى حارس أو أمين أو موظف — انظر P.S.B.A. XIII, 451 f. وأخيرا فيما يختص بلقب (إرى مزات) انظر Schreibergehulfe Wb. II, 188 وذلك بمعنى المسئول عن الكتب أو الملفات والأرشيف
(See H. Junker, Giza III 97, Abb 8 b)

(٢) T.E. PEET, The Rhind Mathematical Papyrus, Liverpool, 1923, pl. A

(٣) Moscow Mathematical Papyrus (B. Gunn and T.E. Peet, in J.E.A. XV, p.167

(٤) سوف تعالج مسائل البرديتين بالتفصيل فى فصل تدريس الرياضيات .

(ا) مايشير إليه أحمس من أن نسخته مأخوذه عن أصل قديم ألف فى عهد الثالث . وأغلب الظن هنا أنه ليست أمانة النقل وحدها التى هى دعته إلى أن يسجل ذلك ، وإنما كان معها أيضا حرصه على رد أصول برديته إلى عهد زاهر من عهود التعليم والتأليف لا بد أن معاصريه كانوا يعرفون عنه الشيء الكثير .

(ب) أن بردية أحمس والبردية الأخرى قد وجدتا فى طيبة (١) ، فى حين أن طيبة لم تكن هى العاصمة الوحيدة فى عهد كتابتهما (وهذا على فرض أن اسم « أحمس » قد يدل على معاصرة صاحبه للأسرة السابعة عشرة الوطنية نظرا لوضوح اسم القمر « إعح » فى أسماء هذه الأسرة الحاكمة وتسمية الفرعون أحمس به منذ طفولته) ، وإنما وجدت أيضا هوارة عاصمة الملك الهكسوسى الذى أرخ أحمس برديته بسنى حكمه . وعلى هذا فليس ما يحول دون أن نفترض وجود مدارس المرحلة المتقدمة التى كانت تدرس فيها مثل هاتين البرديتين فى أكثر من عاصمة من عواصم القطر فى ذلك الحين .

٢ — ثمان رسائل نموذجية كتبت على بردية عثر عليها فى اللاهون . ومما يرجح الصبغة التعليمية فى هذه الرسائل : قصرها وتشابه صيغها وكتابتها جميعها على بردية واحدة على الرغم من اختلاف اسم المرسل واسم المرسل اليه فى كل حالة ، ثم وجود تصويبات بالمداد الأحمر بين سطورها (٢) ، وذلك مع تقدير أن تدريس صيغ الرسائل ظل يعتبر جزءا هاما من برامج الدراسة المتقدمة فى عصور الدولة الحديثة مما سيأتى تفصيله فى فصل الدراسات الأدبية .

٣ — كراسة تضمنت عددا من أسماء المدن المصرية مرتبة من الجنوب إلى الشمال وعددا من الحصون مرتبة على ذات النحو ، وكثيرا من أسماء الحيوانات والطيور والمحاصيل والمنتجات المصرية (٣) . وهذه المعلومات ستتبين من كراسات التلاميذ فى الدولة الحديثة أنها ظلت تؤلف هى الأخرى جانبا هاما من برامج الدراسة المتقدمة . وجدير بالذكر أنه عثر فى ذات المقبرة التى وجدت فيها هذه الكراسة التعليمية على برديات أخرى تضمنت وصف شعائر تتويج الفرعون سنوسرت الأول ، وأجزاء من قصتى القروى الفصيح وسنوهى (٤) ، وذلك مما يزكى وجود أصحاب الثقافات الراقية المتنوعة فى عصرها .

٤ — عدد من المخطوطات أو الكتب الطبية كتبت فى العصر الزاهر للدولة الوسطى ، وأخرى نسخت فى أواخرها . ومن المجموعة الأولى بقيت ثلاث صفحات خصصت لأمراض النساء (٥) ، وصفحتان للطب البيطرى (٦) ، وكلتاهما تأخذ بالطريقة التعليمية أو التوجيهية التى تقول للدارس بعد عرض الحالة المرضية : قل إذن (زد خرك) أو افعل اذن (إر خرك) وهى ذات الطريقة التى تأخذ بها البرديات الرياضية التعليمية . أما المجموعة الثانية من كتب الطب التى نسخت فى أواخر الدولة

---

(١) اشترى Rhind البردية الأولى من طيبة وقيل له إنها وجدت فى بناية أو مقبرة بجوار الرمسيوم وعثر على الثانية فى جبانة دراع أبو النجا .

(٢) F.Ll. GRIFFITH, Hieratic Papyri from Kahun, — pls. XXVII-XXVIII, p. 67.

(٣) Pap. Berlin 10495 سوف تذكر بتفصيل فى فصل تدريس المعلومات الجغرافية .

(٤) Egyptian Research Account. 1896 ; The Ramesseum, by J.E. Quibell, p. 3 f. ; A.H. GARDINER, Ancient Egyptian Onomastica, Oxford 1947, vol. I, p. 6.

(٥) Griffith, op. cit., pls. V-VI, p. 5ff.

(٦) Ibid. pl. VII, p. 12 ff.

الوسطى فإنه وإن يكن من المؤكد أنها ألفت فى عصر سابق للعهود التى نسخت فيها (١) ، إلا أن تحديد هذا العصر بالذات يحتمل أكثر من رأى . فهو قد يكون أحد عصور الدولة القديمة كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، أو يكون العصر الزاهر من الدولة الوسطى (٢) ، على أننا إذا تجاوزنا نطاق الدولة الوسطى بقليل إلى بداية الدولة الحديثة التى نسخت فيها كل من « بردية إيبرس وبردية هرست » وهما برديتان ينطبق عليهما ما ينطبق على غيرهما من حيث ترجيح تأليفهما فى أحد العصرين السابقين : العصر الزاهر من الدولة القديمة أو العصر الزاهر للدولة الوسطى ، وجدنا فيما ذكره مؤلف كل منهما أو ناسخها عن مرحلة تعليمه مايفيد فى هذا السبيل . فهو يقول : « لقد تخرجت فى أونو (عين شمس) مع كبراء القصر العالى أرباب الحماية وسادة الأبدية ... ثم (؟) تخرجت كذلك من ساو مع أمهات (؟) الأرباب اللائى وهبننى رعايتهن ... » (٣) فهنا سواء أكان القائل هو مؤلف الكتاب أو ناسخه ، والأول هو الأرجح ، فهو يشير إلى نشاط تعليمى راق ، وربما أرقى مما سمينا مرحلته فى الصفحات السابقة باسم المرحلة المتقدمة ، كان يجرى فى غير عواصم الملك ، أى فى غير منف إن كان القائل من الدولة القديمة ، وفى غير طيبة واللشت وهوارة إن كان من الدولة الوسطى ، وفى غير طيبة أيضا إن كان معاصرا لبداية الدولة الحديثة . وكان هذا التعليم الطبى فيما يبدو ذا صلة ما بأرباب المدينتين اللتين ذكرهما صاحبا المخطوطتين ، أو بالمعابد التى كان يعبد فيها هؤلاء الأرباب . (٤)

المرحلة المتقدمة فى الدولة الحديثة :

تبقت من النصف الأول لعصر الأسرة الثامنة عشرة عدة ألواح خشبية ترجح الغرض التعليمى فى موضوعاتها . فكان منها ماتضمن سطورا من تعاليم امنمحات الأول (٥) ، وما جمع بين دروس من تعاليم خيتى بن دواوف وبين دروس من نشيد النيل (٦) ، وماجمع بين درس فى الأسماء الكريتية وبين سطور من تنبؤات نفررحو (٧) ، وماجمع بين سطور من مقدمة تعاليم بتاح حوتب وبين قصة الكفاح ضد الهكسوس (٨) ، ثم ما تضمن مقالات أخلاقية قصيرة .

---

(١) أخصها بردية ادوين سميث — وعن نسبة كتابتها إلى عصر الهكسوس وترجيح تأليفها فى الدولة القديمة :
ee J.H. BREASTED, The Edwin Smith Surgical Papyrus, pp. 9-10 ; 107-8 ;
A. ERMAN, H. RANKE, Aegypten, 420.

(٢) C.B. BRYAN, The Papyrus Ebers, London, 1930, (after W.R. DAWSON

(٣) Eberbs, I, 1-3 ; Hearst, 6,6. انظر ملحق النصوص

(٤) يرى أدولف ارمان أنه ليس من الإسراف تأكيد وجود مدارس طبية فى هليوبوليس وسايس ملحقة بمعابد أتوم ونيت (Agypten —, 411) ، ويرى فى تعليل العثور على بردية إيبرس فى طيبة أنها ربما كانت محفوظة فى مكتبة مدرسة طبية هناك (Ibidem.)

(٥) CARNARVON tablet No. 5 : G. MASPERO, Les Enseignements du Roi Amenemhat I, Le Caire, 1914, pp. VI-VII, 33-34 ; Brooklyn tablets I and II : A.H. GARDINER, in Mélanges Maspero 1,479 f.

(٦) Louvre tablette 693 : A PIANKOFF, in Rev. d'Egyptol., I, 51 f.

(٧) Brit. Mus. 5647 : A.H. GARDINER, in J.E.A. I, 106.

(٨) The EARL CARNARVON and H. CARTER, Five year's Explorations at Thebes, London 1912, p. 4, 4, 25 ; J.E.A., III, 109.

وفضلا عن دلالة هذه الألواح بموضوعاتها على النشاط الأدبى التعليمى فى عهد كتابتها، فإنها تتميز على وجه العموم بجودة الخط وقلة الأخطاء (١) بالنسبة لما سبق ذكره من دروس المرحلة التعليمية الأولى فى عصر الرعامسة ، وبالنسبة كذلك لما سيأتى ذكره من دروس المرحلة المتقدمة من ذات عصر الرعامسة . وهذا يحتمل أحد الأمرين التاليين أو كليهما :

أنها لتلاميذ مرحلة تعليمية متقدمة ، أو أنها كتبت فى عهد قريب من عهد تأليف أغلب المتون الأدبية التى أخذت عنها ، ولهذا كان من اليسير على تلاميذها أن يفهموا أسلوبها وهجاءها على خلاف ما أصبح الحال عليه فيما تلا ذلك من عصور(١) .

واستخدام الألواح دون اللخاف التى رأيناها تكثر فى غرب طيبة بين تلاميذ عصر الرعامسة ودون كراسات البردى التى استخدمهامن سيتناولهم البحث فيمابعد من تلاميذ الإدارات (ص ١٧٤) ، يحتمل هو الآخر أحد أمرين : فإما أن يكون استخدامها مما يميز طلبة المدارس النظامية ، وإما أن يكون استخدامها مما يميز عصرا أو عصورا معينة بالذات دون غيرها ، وهذا الاحتمال الأخير هو المأخوذ به (٢) . وعلى أية حال ، فإذا عدونا عصر الأسرة الثامنة عشرة فإن وثائق عصر الرعامسة تدل على وجود سبيلين للتعليم المتقدم إذ ذاك ، أحدهما كانت تتكفل به مدارس جماعية من نوع تلك المدرسة التى ذكرتها تعاليم خيتى بن دواوف . وثانيهما كانت تتكفل به الادارات الحكومية ويقوم به فيها جماعة من موظفيها الأكفاء المجربين .

ويشير إلى المدارس الجماعية رسالتان أدبيتان ذكرتهما كراسة تعليمية من عصر الرعامسة باعتبارهما من أدب الرسائل . وإحداهما يوجهها والد لولده،والأخرى يوجهها معلم لتلميذه . فى الأولى يقول الوالد لولده (٣) : «ولقد ألحقتك بالمدرسة مع أبناء الكبراء لتعليمك وتوجيهك إلى هذه المهنة المشرفة » ويقول « تيقظ لموضعك والكتب أمام أقرانك ، ساو (؟) ملابسك وافحص نعالك . على أن تحضر كتابك دائما عن قصد ولا تهمله ... ،وتحمس واقرأ الرسالة ،وإذا حسبت (فاحسب) وأنت هادئ ولا تدع صوتا يسمع ... ، اكتب بيدك واقرأ بفمك واستشر ... ، تعمق فى أساليب معلمك وأطع توجيهاته ... » . ومن سياق هذه الرسالة أو هذا التوجيه يتضح :

أولا : أن المدرسة « تا عت سبا » التى ألحق الوالد ولده بها كانت مدرسة كبيرة أو على الأقل مدرسة هامة يدخلها أبناء الكبراء « مسو ورو » . ولو أن هذا لا يعنى بالضرورة أنها كانت خاصة بهم .

ثانيا : أن فصولها كانت فصولا جماعية يجلس التلميذ فيها مع أقران (اريو) له .

---

(١) see, A. ERMAN, in AZ, XXXII, 127.

(٢) استعملت الألواح للكتابة منذ الدولة القديمة AeZ 48, 113 وكثرت فيما بين عصر الاسرة ١٢ وعصر الأسرة ١٨ وخلالهما ثم قل استعمالها فى عصر الرعامسة إلى أن عادت للظهور ثانية فى عصر الأسرة الحادية والعشرين . وكانت الألواح الأولى تكسى بطبقة من الجص الأبيض لتكون الكتابة عليها أكثر يسرا ووضوحا وليسهل محوها ، وذلك على عكس ألواح العصور المتأخرة . (see A.H. GARDINER, The Admonitions of an Egyptian Sage, Leipzig, 1909, 96 n. 1).

(٣) Pap. Anastasi V, 22,6 f. انظر ملحق النصوص .

ثالثا : أنه كان يقرأ فيها من الكتب (سشو) ويكتب فيها على صفحات البردى (مزات) وليس على الكسر واللخاف ، ويدرس فيها أدب الرسائل كتابة وقراءة ، فضلا عن الرياضيات .

وفى الرسالة الثانية(١) أخذ المعلم فى تأنيب تلميذه على انصرافه عن الدراسة إلى اللهو ثم عقب على ذلك بما يفيد أمله فى أن تنصلح حال تلميذه ، قائلا « ومع ذلك فقد لاحظت كثيرين مثلك كانوا فى المدرسة (إسى ن سشو) (٢) ماأقسموا بالرب إلا وحلفوا بأن الكتب ليست كافية لعمل الكتبة . و (مع ذلك) أصبحوا كتبة ، فاعتبر بى بالذات حينما كنت فى مثل جيلك ، فقد قضيت زمنا فى الفلقة التى شدت أعضائى وبقيت على ثلاثة أشهر ، وحجزت فى المعبد بينما كان أبى وأمى يعيشان فى الريف وكذلك إخوتى . ولكن عندما أبعد القيد عنى واصبحت يدى طليقة فقت ما كنت عليه من قبل (أو وصلت وصرت الى أمام) ، وأصبحت أحسن أقرانى جميعا وعدوتهم فى الكتب (شفدو) » .

وما يمكن أن يستخلص من هذه الرسالة هو :

(ا) أن المعلم كان له أثناء تلمذته زملاء يدرس معهم وقد تفوق عليهم . ثم هو يقارن بين تلميذه وبين أقران له كثيرين كانوا يدرسون مثله فى مدرسته التى سماها « إسى ن سشو » ، ومعنى ذلك أن دراسة المعلم كانت دراسة جماعية نظامية ، وربما كانت كذلك مدرسة تلميذه أيضاً ، أو هى على الأقل كانت مكاناً معداً فعلا للدراسة يتعاقب التلاميذ فيه .

(ب) أن تلاميذ هذه المدرسة التى يذكرها المعلم الذين كانوا يجادلون ويقسمون على أن الكتب (أو الكتابة؟) كانت غير ذات جدوى ، يبعد أن يكونوا أطفالا صغاراً مبتدئين ، كما أن عهد تلمذة المعلم الذى تركه فيه أهله فى المعبد وانصرفوا عنه إلى الريف ، والذى قيد فيه ثلاثة شهور ، يبعد أن يكون عهد تلمذة أولية لصغار السن أيضا .

(ج) تسمية المدرسة باسم (إسى ن سشو) وليس باسم « عت سبا » واحتمال تبعيتها أو على الأقل تبعية مدرسة المعلم ، لمعبد . وتبعية المدرسة لمعبد ليس فيها ما يستدعى المناقشة حيث احتملنا من قبل تبعية بعض المدارس لمعابد وبعد بعضها الآخر عن المعابد . أما عن تسمية « إسى ن سشو » بدلا من « عت سبا » فهذه تحتمل أحد فرضين : إما أن يكون الأمر مجرد مبادلة فى التسميات دون فارق كبير بينها كما نبادل الآن بين تسميات المدارس ودور العلم ومعاهد العلم ، ونقصد بها فى الغالب شيئاً واحداً ، إلا فى الحالات الخاصة التى تستدعى الدقة فى التعبير (٣) . واما أن تكون

---

(١) Pap. Anast. V, 17, 3 f. – انظر ملحق النصوص

(٢) هى فى المتن إست سشو ولكن انظر H. GARDINER, Late Egyptian Miscellanies, p. 65 a, 1, 11b.

(٣) A. ERMAN, Literatur, 245 = «Schreiberwerkstatt» — A.M. BLACKMAN, The Literature of the Anc. Egyptians, 191 = « The writing academy »

سليم حسن : الادب المصرى القديم حـ١ ص٣٥٣ «قاعة الكتابة»

CAMINOS, Late Egyptian MiscellaniesLondon, 1954, 252 = « Chamber of writings »

ويعقب بأن هذا التعبير لم يرد فى مكان آخر (ولكن انظر الحاشيتين التاليتين) =

هذه التسمية مميزة لمدارس المعابد خاصة . ويزكى هذا إلى حد ما أن مدرسة معبد موت التى تلقى فيها باكنخنسو دراسته الأولية كانت تسمى بذات الاسم (١) ، وأنه فى ألقاب معلم سنتعرض له بعد قليل ما يذكر أنه «كاهن (أو خادم) رب الاشمونين (تحوتى) فى (إسى . ف ن سشو) وأنه معلم المساعدين فى (خان سشو) » (٢) أى أنه فرق فى التسمية بين مدرسة أو معهد (؟) الاله تحوتى وبين مدرسة أو ديوان تعليم المساعدين ، وإن كان قد ذكر هذه الأخيرة باسم آخر غير «عت سبا» أيضاً . وقد لا نستطيع أن نرجح أحد الفرضين على الآخر بأدلة قوية مرضية ، ولكن كل ما يمكن إضافته هو أن تبعية صاحب هذا اللقب للاله تحوتى فى معهده قد يفسر بعادة وضع تماثيل تحوتى فى قاعات الكتابة والدراسة باعتباره راعيها الأكبر . (٣)

ومما ينبغى تقديره أن الرسالتين أو القطعتين السابقتين كتبتا فى كراسة تعليمية واحدة قيل إنها وجدت فى منف (Anast. V)(٤) ، ولم تتكرر إحداهما فى كراسة أخرى من الكراسات التعليمية المعروفة ، مع أن تكرار القطع الأدبية فى الكراسات أمر معتاد ، أى أنه حتى تظهر كراسة جديدة من طيبة أو من غير طيبة تتكرر فيها إحدى الرسالتين يمكن أن نفترض أن كلتى المدرستين التابعة منهما للمعبد وغير التابعة للمعبد كانتا فى منف أو قربها وليس فى طيبة العاصمة الدينية ولا فى بررمسيس مقر الملك فى عصر الرعامسة .

ومن عصر الرعامسة كذلك يتناول أحد مواطنى طينة ويدعى «انحرمس» (٥) وقد أصبح كاتب المجندين وكاهن أول الاله إنحرة وكبير رائى رع فى طيبة ، مراحل طفولته وتعليمه فيصف ذكاءه وفطنته عندما كان (عاج) ، وعندما كان (خو) ، وعندما كان (نخو) ثم عند ما أصبح (حورو) إستقر فى المدرسة ولم يكن يأخذ فيها أو يعطى ، مراعياً (فحسب) ما يود أن يجده (أى يعرفه) . واحتمال أن تكون هذه المدرسة للمرحلة المتقدمة نقدمه على أنه احتمال ظنى ، ولو أنه يزكيه ذكر ثلاث مراحل من مراحل الطفولة قبله ، وذلك لأن تحديد السن فى كل من هذه المراحل غير متيسر . ثم إن كلمة (حورو) لا تزال غير واضحة المعنى ، فهى وإن كانت أقرب إلى أن تعنى فقيراً كما يذكر «كيس» Armet (٦) وجاردنر poor (٧) ، أو تعنى يتيماً كما تدل أحياناً ، إلا أن انحرمس يذكرها كما لو كانت من مراحل السن أيضاً واعتبر نفسه نابهاً «شسا» فيها ، (انظر ملحق النصوص) .

= واستخدمت كلمة (إس) أو (إسى) فى الدولة القديمة للدلالة فضلا عن معنى المقبرة (Wb. I, 1261, 18 f.) والمسطبة (B. GUNN, in J.E.A. XV, 178, n. 2) عن معنى قاعة أو إدارة ; Urk 1, 290, 12, 13 Also 281, 14 ; 285, 5 ويترجمها موريه فى التعبيرات السابقة (in Jour. Asiatic, 1916, 277) « La Maison de —— » أنظر ملحق النصوص .

(١) Cairo 42155 . — ص ١٦٠

(٢) Pap. Anastasi I, 1,2 — Compare also Vatican 112. أنظر ص ١٧٧

(٣) see also, K. SETHE, Abschrift, 17, 105 ; BOYLAN, Thot, p. 100.

(٤) A.H. GARDINER, op. cit. XIII, XV

(٥) H. KEES, *Die Laufbahn des Hohenpriesters Onhurmes*, in AZ., 73, 79 f. A.H. GARDINER, in J.E.A. XXIV, 124.

(٦) H. KEES, op. cit.

(٧) GARDINER, op. cit. 124. وأنظر سليم حسن : مصر القديمة حـ ٧ ص ١٧٣ — مع ملاحظة أن أباه كان يشغل وظيفة كاتب المجندين أيضا .

على أية حال فإنه يتضح من وصف سلوكه فى هذه المدرسة أنها كانت مدرسة نظامية يستحب فيها النظام ، وأنها أقرب إلى أن تكون فى طيبة (جرجا) موطنه ، وربما ملحقة بمعبد الاله انحرة الذى تهيأ لانحرمس أن يصبح كاهنه الأول فيما بعد .

وشاركت القصص بدورها فى الحديث عن مدارس عصر الرعامسة ، فذكرت قصة « الصدق والبهتان » ما سبق أن اقتبسناه عن طفلها حور من أنه « ألحق بالمدرسة فعرف الكتابة جيداً جداً وكان يمارس كل فنون النزال وتفوق على زملائه الكبار (أوكان يناجز زملاءه الكبار) الذين كانوا (معه) فى المدرسة » (١) وهذه المدرسة الجماعية التى تعلم فيها حور مع زملاء له ، لابد أن واضع القصة قد استوحى الحديث عنها من واقع الحياة فى عصره (٢) ، كما أنه يغلب أنها كانت للمرحلة المقدمة لممارسة تلاميذها فنون النزال أو الحرب أو المبارزة ، أوعلى الأقل الرياضة العنيفة (٣) .

وفى قصة خعمواس الديموطيقية ما يذكر عن طفلها أنه « عندما كبر واشتد أرسل إلى المدرسة وبعد قليل تفوق على الكاتب الذى كلف بتعليمه » (٤) . ولا ندرى هل يدل ذلك بدوره على وجود مدرس واحد للمدرسة ؟ أم يدل على أنه خصص للطفل بصفته أميرا مدرس خاص وإن ظل فى المدرسة وليس فى قصر الملك ؟

التعليم فى الإدارات أو المكاتب الحكومية :

تقدم احتمال مرافقة الصبية لكتبة الإدارات فى الدولة القديمة باعتبارهم مساعدين لهم وتلاميذ فى الوقت نفسه (ص ١٤٨) ، أما فى عصر الرعامسة فيعتمد هذا الضرب من التعليم أى من حضور الصبية المساعدين على الكتبة القدامى ، على قرائن مادية واضحة ، وتتمثل المراجع عن طبيعة هذا التعليم وعن القائمين به فى مجموعة برديات أو كراسات تعليمية كتب موضوعاتها تلاميذ من عصر الرعامسة ، وضمنوا بعض هذه الموضوعات أسماء معلميهم وما كانوا يشغلونه من مناصب حكومية . وقبل استعراض أسماء هؤلاء المعلمين ومناقشة طبيعة أعمالهم وصلاتهم بتلاميذهم ، نبدأ بذكر الخصائص التى ترجح اعتبار هذه البرديات كراسات تعليمية ، وهى :

أولا — احتفاظ بعضها بعناوين تحدد الغرض التعليمى منها ، وذلك مثل عنوان « بداية تعليم الرسائل الذى قام به الكاتب (فلان) لمساعده (أى تلميذه) الكاتب (فلان) » (٥) .

ثانياً — اهتمام أغلب موضوعاتها بالدعوة إلى المواظبة على الدرس والتحصيل . (راجع ص ٢٧٨)

ثالثاً — اشتمالها على كثير من التصويبات التى يدل بعضها على أنه من عمل معلم (راجع ص٢٥٤+) .

ثم خصائص أخرى أقل من هذه أهمية ، وهى : أن منها ماتخللت موضوعاته ودروسه تاريخ تحدد

---

(١) Pap. Chest. Beatty II 4, 5 f — أنظر ملحق النصوص .

(٢) يرى جاردنر أن هذه القصة الرمزية من القصص الصادقة فى تصوير الحياة المصرية فى عصر الرعامسة شأنها فى ذلك شأن قصة الأخوين . (Hieratic Papyri, 3rd series, vol. I, p. 6).

(٣) see, G. LEFEBVRE, Romans et Contes Egyptiens, Paris 1949, p. 165 — وتراجع ص ٢١١

(٤) F.Ll GRIFFITH, Stories of the heigh priests of Memphis, 147.

(٥) Pap. Anast. IV 1 a 1; Sall 1, 3, 4; Lansing 1,1 وتراجع ص ٢٧٣

بداية العمل اليومى ونهايته (١) . وأن كثيراً من موضوعاتها صب اللوم والتعنيف الشديد على رأس نفس التلميذ الذى كتبها (ص ٣٤٦) ، وليس من السهل أن يحط الكاتب (أى التلميذ) من قدره وكفاءته مختاراً أو لمجرد التسلية .

ويتخذ التلميذ فى هذه الكراسات لقب الكاتب (سش) (٢) أولقب « من تحت الإشراف »(خرى ع) أو « المساعد (لمعلمه) » (٣) . أما المعلم فغالباً ما يعبر عنه تلميذه بلقب سيده (نبف) أو الرئيس له (٤) .

ومما تبقى من أسماء وألقاب المعلمين الرؤساء فى هذه الكراسات يبدو أن الإدارات التى تكفلت بالتعليم التطبيقى المتقدم فى عصر الرعامسة هى : إدارات بيت المال ، وإدارات الجيش ، ثم إدارات المعابد .

فمن المعلمين المتصلين بإدارات بيت المال .

١ — أمنمإنة (أمن م إنة) رئيس أمناء مخطوطات (حرى ساوسشو) خزانة الفرعون — وكان معلماً للكاتب بنتاورت (٥).

٢ — امنحوتب رئيس أمناء مخطوطات أهراء الفرعون — وكان معلماً (؟) لكاتب يدعى بنتاورت (٦) أيضاً .

٣ — تحوتى محب رئيس أمناء مخطوطات أهراء الفرعون — وكان معلماً (؟) للكاتب باكنبتاح (٧) .

٤ — قاجابو (أوقاى جابوت) كاتب بيت المال — وكان معلماً للكاتب إننا (٨) .

٥ — باكنبتاح كاتب بيت المال (؟) — وكان معلماً للكاتب كاوسر (٩) .

---

(١) من أمثلتها كراسة باوهم (Pap. Bologna 1994) وكتبت تاريخ ثلاثة أيام متتالية فوق ص ٣ وص ٨ ، وفوق ص ١ من ظهر الكراسة أى بعد ثلاث صفحات . تراجع أيضا ص ١٥٣ حاشية ٦

(٢) Pap. Bologna 1094, 1, 9; 2, 7; 3, 6 etc.; Anast. III 3,9; 3, 5; etc.

(٣) Anast. IV, la, 1; Pap. Lansing 1,1; Pap. Turin C 1, 2; see also, A.H. GARDINER, in J.E.A., XXIV, 159, n. 3.

(٤) Anast. III, 1,11; Anast. VI, 1,7; 4, 11; 5,6; Lansing 10, 10. وعن التعبيرين « من تحت الاشراف» للتلميذ ، و «سيده» أو «رئيسه» للمعلم — تراجع ص ١٤٣ ؛ ٣٤٢
ويراجع عن نماذج التلاميذ المساعدين لطوائف أخرى غير طوائف الكتبة : A.H. Gardiner, in J.E.A. XXIV, 159; Leiden V, 68 (Boeser, Beschreibung II, Taf. XXXII); Drioton, Le théâtre égyptien, 15 f.

(٥) Pap. Sall. I, 3, 5; 3, 10; etc. _

(٦) Pap. Chest. Beatty V.vs. 2,1 وقد ذكر هذان الاسمان مرة واحدة فى رسالة بهذه الكراسة فى حين لم تذكر بقية موضوعاتها أية أسماء. see A.H. GARDINER, Hieratic Papyri, 3rd Series, vol. I, p. 46.

(٧) Pap. Turin A. vs., 2, 10, — see A.H. GARDINER, Late Eg. Miscellanies, P. XIX.

(٨) Pap. Anast. IV Ial; VI, 1. 7. and see, H. RANKE, Personnenamen, 332, 20; 370, 119
أوقاى جبا — انظر رانكه .

(٩) Pap. Leyden 348 vs. ويصعب معرفة الإدارة التى يتبعها هذا المعلم وتلميذه بالتحديد ، ففى الكراسة رسالة من التلميذ إلى معلم تتحدث عن قيامه بصرف غلال إلى فرق من قاطعى الأحجار (6,6 f.) وفى رسالة أخرى كان عليه أن يسجل فرقا من العمال والفنانين ويراقبهم (9,6 f.) ، وذلك فى حين كتب فى مقدمة كراسته عبارة

٦ — محو كاتب مصنع القصر الملكى (١) — وكان معلماً للكاتب باوهم . ويحتمل أنه كان يشترك مع هذا المعلم معلم آخر يدعى إنحررخ (٢) .

٧ — الكاتب بتاح مويا — وكان معلماً للكاتب أمون هر (٣) .

ومعلمو إدارات بيت المال هؤلاء يمكن تقسيمهم فريقين : فريق رؤساء أمناء المخطوطات ، وفريق الكتبة العاديين . والأولون يتميزون : أولا — بالمنصب المستقر نسبياً وذلك بالنسبة لمن سواهم من الكتبة العاديين الذين كانوا يكلفون بالأسفار ومهمات تحصيل الضرائب — وهذا الاستقرار لاشك فى أنه كان يهيئ لهم فرص التعليم أكثر من غيرهم .

ثانياً — بأنهم رؤساء ، وميزة الرياسة قد تكون على أساس أنه يتوفر للرئيس من المعرفة والخبرة أكثر مما يتوفر لغيره ، ولهذا يؤتمن على التعليم أكثر مما يؤتمن غيره . أو تكون على أساس أن ما يتوفر من الوقت الفراغ للرئيس يكون عادة اكثر مما يتوفر للمرءوس فيستطيع الأول أن يتوفر للتعليم أكثر مما يستطيع الثانى . أو تكون على أساس أن التلاميذ كانوا فى ذات الوقت كتبة مساعدين بنفس الإدارات ولهذا كانت تبعيتهم للرئيس مباشرة تكفل إلزامهم الطاعة والنظام وأداء الواجب .

وثمة ميزة ثالثة يمكن أن نقدرها احتمالا لهذا الفريق ، وهى أن عملهم فى كتب أو مخطوطات بيت المال أو فروعه كان يستطيع أن يميز المطلعين منهم بأفق أوسع من أفق من سواهم . ونعلق هذه الميزة على الاحتمال لصعوبة البت برأى قاطع فيما يختص بتنظيمات بيت المال وما كان يدون فى مخطوطاته وما كان يجرى حين حفظها . فقد يكون من بين هذه المخطوطات ماله قيمة علمية أو تعليمية فعلا ، وقد لا تتعدى أن تكون جميعها السجلات التى كان يرصدفيها الدخل والخرج ، وحينئذ لا تتعدى مهمة أمناء الكتب مجرد حفظ هذه السجلات أو تبويبها . على أنه مما ينبغى تقديره ، أنه لما كان الدخل والخرج فى مصر الفرعونية عينياً ، أى لايدون بالأرقام وحدها وإنما بالأرقام والأصناف أيضاً ، ولما كان دخل بيت المال لا يتكون من ضرائب المحاصيل المحدودة وحدها وإنما من المصنوعات وركاز الأرض ومنتجات المحاجر وما يخرجه النيل أيضاً ، ولما كان دخل هذه الإدارات فى الدولة الحديثة لا يرد من المنتجات الداخلية وحدها وإنما من منتجات الأملاك الخارجية كلها ، فإنه من المحتمل لهذا كله أنه كان يفترض فيمن يعهد إليهم بتبويب (؟) مخطوطات الدخل والخرج وحفظها ، أو على الأقل يفترض فى الرؤساء منهم ، أن يكونوا على علم كاف بأصناف المنتجات المختلفة ومصادرها الداخلية والخارجية وذلك بطبيعة الحال فضلاً عن المحصول الأدبى والحسابى الذى كان

= «الإسطبل الكبير لرمسيس مرى أمون» مرتين بخط كبير (4, 4-5) . وعلى هذا قد يكون التلميذ ومعلمه تابعين لبيت المال أو للشونة أو للاسطبلات الملكية .

(١) Pap. Bologna 1094, 1, 9 ; 3, 5, etc.

A. ERMAN, Die Literatur, 255 = Werkstatt des Pharao

(٢) Pap. Bologna, 2,7 : 10,9 ; etc.

(٣) يدل عليهما موضوع جغرافى فى كراسة . Chest. Beatty, IV vs. 7,3 f. وتضاف إلى ذلك كراسة Pap. Koller وتنسب إلى المعلم أمونى والطالب (الكاتب) بابس ، وهذا المعلم وإن لم ينتسب إلى بيت المال صراحة إلا أن اختياره لموضوعات تلميذه يدعو إلى احتمال انتسابه إليه (مثل موضوعات الاعداد لحملة إلى سوريا ، وتفصيل جزى النوبة ، والإعداد لمقدم الفرعون) ، هذا إذا لم يكن يتبع إدارة كتبة الجيش (راجع ص ١٧٧) .

يفترض فى كل كاتب حكومى نابه . ومما يزكى هذا الاحتمال ما سوف نتبينه فى فصل تدريس المعلومات الجغرافية من أن موارد بيت المال العينية ومصادرها الداخلية والخارجية كانت تكون جانباً رئيسياً من برامج تعليم كتبة الإدارات وتلاميذها .

أما الفريق الثانى ممن سلف ذكرهم من معلمى إدارات بيت المال ، فهؤلاء كما يبدو من ألقابهم لم يكونوا أكثر من كتبة ليس لهم فى الرياسة أو أمانة المخطوطات أو الاستقرار نصيب ، ولهذا لا يتبقى من مبررات إسناد مهمة التعليم إليهم إلا تميزهم بالكفاءة الشخصية والمواهب الفردية ، وذلك مما يمكن ترجيحه لواحد منهم على الأقل وهو كاتب بيت المال قاجابو ، وذلك اعتماداً على وفرة الدراسات التى قام بها تلميذه الكاتب إننا تحت إشرافه . فقد بقى لهذا التلميذ النابغة خمس كراسات جمعت بين موضوعات للأدب القديم والقصص المعاصر ودراسة الرسائل بأنواعها (١) . وتنوع هذه الد راسات وإن كان يشهد بنشاط التلميذ ونبوغه فإنه يدل كذلك على كفاءة خاصة لمن درسها له أو أشرف على دراسته لها .

التعليم فى إدارات الجيش :

يعرف من القائمين بالتعليم فى هذه الإدارات اثنان ، وهما :

١ - حورى بن ونتفر ، وقد ذكر (٢) أنه كاهن (أو خادم) رب الاشمونين (تحوتى) فى معهده (أو قاعة كتبه) «إسيف ن سشو » وأنه معلم المساعدين فى ديوان الكتابة أو الكتب (خان سشو) (٣) وأنه من يتفاعل تأثيره لكل غلام . ... و (من) يعرف أقرانه الكاتب الذى يتخرج على يده ، ومن ترفع أنامله (من شأن) الناشئ (٤) وذلك فضلا عن كونه ضابطاً ، وتابع مولاه ، ومربى أفراس الملك .

٢ - أمنموبى ، ويذكر له تلميذه الكاتب « بابيس » أنه سائق أول مركبة الملك ، ووكيل الخيالة

---

(١) تفصيلها ص ٢٣٥

(٢) Pap. Anast. I, 1,2 f. أنظر ملحق النصوص .

(٣) يراجع عن التراجم المختلفة لهذين المكانين : A. ERMAN, Die Literatur, 271 ; Werkstatt des Schreiben und Amtshaus des Schreibens.

وتراجع كذلك ص ١٧٢ حاشية ٣ عن ترجمته لمثلها :
SchreiberWerkstatt M. BLACKMAN, The Literature — 215' = academy of writing and office of books.

سليم حسن : الأدب المصرى القديم ١ ص ٣٧٨ = مدرسة الكتابة ، دار الكتب .

وعن « خان سشو » GARDINER, Hieratic Texts,I, Leipzig 1911, p. وذكر جاردنر أنها المثل الوحيد الذى قد يدل على فصول عليا ثم = office of writing قربها إلى تعبير خان بر عنخ وقد ترجمه department of house of life (in J.E.A. 1938, p. 159, n. 3) بينما ترجمها قاموس برلين بمعنى الأرشيف Wb. III, 379,2 وخلع عليها أحد النصوص المتأخرة صبغة دينية فأشار إلى طقوس تمثال لرب الأرباب ينبغى أن تسجل فى «خان سشو» كما تلاها رب الأرباب (أو وفقا لما قاله رب الأرباب) (J.E.A., 1941, pl. x, 1.8-9) واختلاف هذه التراجمات يدل على صعوبة إيجاد مرادف صحيح لها .

(٤) VARINA, Varianti Del Papiro Anastasi No. 1, (Rivista delgi Studi Orientali, XIII, 312 f.) وانظر ملحق النصوص .

ومبعوث الملك إلى أمراء أقطار سوريا من ثارو إلى يوبا (فى منطقة دمشق) وإلى كبار الاسيويين (١).

ويشترك هذان المعلمان فى أن عمل كل منهما كان مرتبطاً بالاسطبلات الملكية، وفى أن كلا منهما جمع بين ثقافتين، ثقافة علمية أوكتابية وثقافة عسكرية. وارتباطهما معاً بالاسطبلات الملكية لا يتيسر تقرير ما إذا كان عن محض مصادفة أم أنه كان هو حال كل معلمى إدارات الجيش. وإنما الذى يمكن تقريره هو أن هذه الاسطبلات كان لها شأنها الكبير بين معسكرات الجيش ووحداته فى الدولة الحديثة، وأن الانضمام إليها كان يستهوى شبان الطبقات الراقية (٢)، وأن المشرفين عليها كشخصانوا من اليات الكبيرة دائماً، وأنها كانت تتضمن فضلا عن الخيول وفرسانها إدارة كبيرة منظمة يشرف كتبتها على دخل الاسطبلات وخرجها، ويتولون أمور جند الثكنات وخيولهم فى السلم والحرب (٣)، ويحتمل فضلا عن ذلك أنهم كانوا يشرفون على الأعمال والمنشآت التى كان الجند يكلفون بها مثل عمل الطرق الصاعدة والمعابر والقنوات وذلك عن طريق الحساب والتنظيم (٤). وفى إحدى هذه الإدارات وربما فى بررمسيس (؟) كان يعمل حورى ابن وننفر، وفى مكان ملحق بها سماه ديوان الكتابة أو الكتب كان يقوم بالتدريس للمساعدين. وفى واحدة أخرى من هذه الإدارات كان يعمل أمنموبى. وفى مكتب تابع لها كان يوجد فى ثارو ويقوم على تسجيل أسماء الرسل المتجهين من مصر إلى سوريا وبالعكس وتسجيل الرسائل التى يحملونها (٥)، كان أمنموبى يدرس لمساعده الكاتب بايبس (أو بابس).

جمع كل من هذين المعلمين بين ثقافتين كما أسلفنا، ثقافة علمية وثقافة عسكرية، وحاول أن يعكسهما على تلاميذه بحيث «يعرف (أو يميز) أقرانه الكاتب الذى يتخرج على يده» على حد تعبير حورى. والثقافة العلمية الأدبية لحورى تتبدى فى رسالة طويلة من ٢٨ صفحة، كتبها لزميل له يثبت له فيها إتقانه لأدب التراسل والأدب القديم، وعلمه بمسائل المساحات والحجوم، وبمواقع البلدان ومسالك الجبال (٦). ويصف نفسه فيها بأنه المتفنن فى الأقوال المقدسة المبرز فى عمل سشات ... والعارف لأسرار السماء والأرض ومن يفسر خبايا الحوليات كمن ألفها (٧). أما ثقافته العسكرية فتتبدى من نفس الرسالة فى إصراره على التمسك بلقب الضابط بحيث يقول لزميله «أسرع إلى مكان (حفظة) الكتب ولسوف تجد اسمى فى القائمة ضابطاً فى اسطبل رمسيس مرى أمون الكبير» (٨)، وتطوعه بشرح طبيعة الماهر وما يجب أن يتوافر فيه (٩)، ثم فى

---

(١) Anast. III, 1,9,10.

(٢) Anast. I, 1,8

(٣) see A. ERMAN, Die Literatur —, 284

(٤) ومن قرائن ثقافة المتصلين بالاسطبلات أن اتخذ أحدهم ألقاب «كاتب الكتب المقدسة لرب الأرضين، وكاتب دار حياة رب الأرضين، منظم أعياد أوزير، المشرف على الاسطبل الملكى بارنن» (Vienne, 51)

(٥) تراجع الصفحة التالية

(٦) سيتعرض البحث لكثير مما تضمنته هذه الرسالة فى مواضع مختلفة تالية.

(٧) Anast. I, 1,1 f.

(٨) A. Erman, op. cit. 280.

(٩) الماهر كلمة كنعانية يحتمل أنها تضمنت نفس معنى كلمة ماهر الحالية ويبدو أنها كانت تطلق على الضباط المصريين الذين يقومون بالأسفار فى سوريا (Ibid., 286, Anm. 1)

افتخاره بأنه « المتبصر (؟) فى أمور؟ مونتو (راعى الحرب) »(١) . والراجح أن معلماً تتوفر له هذه الثقافة المزدوجة كان يطبع تلاميذه بنفس ثقافته أو على الأقل يبث فيهم الروح التى توجههم وجهته .

وكان أمنموبى يعتز بثقافته كما كان يعتز حورى ، ولهذا كان يكثر على تلميذه النصح بألا ينصرف عن التعليم فيصبح جندياً عادياً (٢) أو يصبح فارس عربة لا ثقافة له (٣) . وكان التلميذ بدوره يشعر بهذا الزهو من معلمه فيعمل على إشباعه فيه ، ولهذا أخذ يصفه فى مواضع متفرقة فى كراسته بما يجمع إليه أطراف البلاغة والشجاعة معاً (٤) .

وأخيراً ففى كراسة بابيس تلميذ أمنموبى أمر يستدعى الملاحظة وإن كان لا يسهل تعليله وهو أنه بعد أن كتب سبع صفحات على وجهها وأنهاها بإهداء إلى معلمه وبتاريخ اليوم الثامن والعشرين من أحد شهور العام الثالث لحكم مرنبتاح ، استخدمها غيره بعد ذلك بشهور قلائل (٥) فدون على ظهرها رسالة تتضمن سير العمل فى أحد المصانع الملكية ثم يوميات تضمنت تسجيل أسماء الوافدين إلى ثارو من قادة ورسل وتسجيل ما قاموا به من أعمال وما حملوه من رسائل (٦) . والاحتمال القريب لتفسير استخدام وجهى الكراسة على هذا النحو ، هو أن تكون هذه الكراسة بمثابة امتحان أخير لبابيس سلمها إلى معلمه وفارق مكتبه فاستخدمها زميل له فى دراسته . وكان يمكن أن يرجح هذا الاحتمال أو ينفيه معرفة اسم صاحب المقبرة التى استخرجت منها هذه الكراسة . لولا أنه للأسف لم يعرف عن مصدرها سوى أنها كانت مما اشتراه القنصل انستاسى من منف .

التعليم فى الإدارات المتصلة بالمعابد :

ذكرت كراستان من كراسات تلاميذ عصر الرعامسة معلمين لهما صلة وثيقة بمعابد طيبة : نب ماعت رع نخت المشرف الكبير على ماشية أمون رع ، وهو من عصر الأسرة العشرين ، وكان معلماً لمساعده الكاتب وتمدى أمون (٧) . و« بياى الكاهن المرتل لأمون المتحد مع الأبدية ... فى غرب طيبة » أى فى معبد مدينة حابو ، وهو من عصر الأسرة العشرين أيضاً ، وقد محى اسم تلميذه صاحب الكراسة لأمر ما (٨) . وأول المعلمين كما يبدو من لقبه كان يشغل وظيفة ذات صبغة إدارية ، فى حين كان ثانيهما كما يبدو من لقبه أيضاً من رجال الدين ، ومع هذا فهما يشتركان معاً فى أن الموضوعات التى درسها كل منهما لتلميذه تتجه وجهة واحدة ، ففيها الدعوة إلى الدراسة والتحصيل ، وفيها الترغيب فى مستقبل الكاتب ، وفيها التحذير من الانصراف عن الأقوال المقدسة إلى الجندية أو إلى الفلاحة .

(١) Anast I, 28, 2

(٢) Anast.. III 5,4 f.

(٣) Ibid., 6, 2 f.

(٤) Ibid., 1,1 f. ; 4,11 ; 7,10 f. — وتراجع ص ٣٤٩

(٥) A.H. GARDINER, Late Eg. Miscellanies, p. XIV.

(٦) Anast. III vs. 5, 1 f.

(٧) Pap. Lansing, 1,1

(٨) Pap. Turin C, see A.H. GARDINER, op. cit., p.xx, and Ramesside Administrative documents, London 1940, pp. 82-83.

... ويعنينا من أمر نب ماعت رع نخت أن منصبه كمشرف أكبر على ماشية أمون كان من أهم المناصب الإدارية المتصلة بالكرنك (١) ، مما يعنى أن التعليم فى الإدارات كان عملا محترماً لا يتردد كبار الموظفين فى القيام به إن تهيأت لهم أسبابه أو إن كلفوا به . ويعنينا من أمره أيضاً أنه وإن يكن عمله إدارى الصبغة إلا أن تلميذه قد وصفه بما يبرزه رجلا ذا ثقافة دينية واسعة إلى جانب ثقافته العلمية أو الأدبية ، فهو الأب المقدس المطلع على الأسرار (٢) ... وهو كاهن سم العظيم فى معبد بتاح (٣) ، وهو كبير رائيى رع فى طيبة (٤) ... وهو من تفقه فى أسرار قصر النبيل (٥) ... وهو العليم بالأمور ... وهو كامل الأحاديث ، وهو بعيد النظر (؟) فى كل آن (٦) ، وهو المتفهم لأطراف الحكمة مثل ربى السمع والبصر (٧) ...» ، وإذا صح هذا الوصف على نب ماعت رع نخت أو صح بعضه ، فلا يبعد أنه كان يصبغ تثقيفه لتلميذه بشىء من ثقافته الدينية ، ولو أن كراسة تلميذه الباقية ليس فيها شىء من هذا للأسف .

وعلى نحو ما استعمل كراسة بايبس زميل له ، كذلك استعمل كراسة ونمدى أمون زميل له فكتب فى نهايتها رسالة إنشائية قصيرة تتميز بأنها تذكر المرسل إليه وهو نفس المعلم نب ماعت رع نخت واسم منشئها وهو الكاتب أمون وع (٨) . فهل فى اقتران هذه الحالة بتلك ما يؤيد ما احتملناه من حضور أكثر من تلميذ على المعلم الواحد فى الإدارات ؟

ولم تخرج الموضوعات التى درسها الكاهن المرتل بياى لتلميذه عن الموضوعات التى اعتاد غيره من المعلمين المدنيين على تدريسها ، ففيها كما سبق أن ذكرنا : الترغيب فى الدراسة واختيار مستقبل الكاتب (وليس مستقبل الكاهن) ، وفيها التخويف مما يصيب الجندى ، وفيها أخيراً رسالة تتعلق بمنتجات السودان وما يرد منها إلى بيت المال . وهناك احتمالان لتفسير اتجاه الكاهن المرتل بياى إلى تدريس هذه الموضوعات

---

(١) بلغ عدد ماشية أمون فى عهد رمسيس الثالث ٤٢١٣٦٢ — ويشير ارمان إلى أن الإشراف عليها كان يتولاه فى الدولة الحديثة رجال لهم صفة عسكرية ، وقد نعت نب ماعت رع نخت فى موضع من كراسة تلميذه بكاتب الجيش (7,6) مما دعى ارمان إلى احتمال أن تكون له صفة عسكرية هو الآخر .

ERMAN und H.O. LANGE, Papyrus Lansing, Copenhagen, 1925, S. 6.

وكان سنموت يتخذ هذا اللقب ضمن ألقابه Berlin 11, 287

(٢) Lansing 13 b 2.

(٣) Ibid., 13 b, 2.

(٤) Ibid., 13 b, 3.

(٥) Ibid., 13 b 2.

(٦) Ibid., 13 b 9.

(٧) Ibid., 13 b 10.

وعن ترجمتين مختلفتين لهذه العبارة : A.M. BLACKMAN and T.E. Peet, in J.E.A. XI, 296 ; A.H. GARDINER, Late Eg. Misc., 113a, 1.11.

وهذا فضلا عما يذكره ونمدى لمعلمه من دور كبير فى خدمة الآلهة وأعيادها ، فهو حامل المبخرة أمام أمون كلما تجلى (13ab) وهو مقدم القرابين لرع فى طيبة BLACKMAN and PEET, (op. cit. 296) وهو ساكب الماء لخنسو (13b8) .... الخ

(٨) Lansing Vs. 1 f.

لتلميذه دون ما يتصل بالكهنوت وهو الأقرب إلى عمله : فإذا أن تكون الثقافة المدنية أى ثقافة الكاتب مرحلة ضرورية لكل متعلم ولو اتجه بعدها إلى الكهنوت ، ولهذا حصلها بياى نفسه ثم ثقف بها تلميذه (١) ، وإما أن تكون لبياى ثقافته الدينية الخاصة ، ولكنه علم تلميذه ما يهيؤه للمستقبل المدنى وحده ليصبح أحد كتاب المعبد ، وقد كان لمعبد مدينة حابو كغيره من المعابد الكبيرة كتبته الخصوصيون وإدارته الخاصة .

وبقيت ملاحظة أخيرة بشأن هذا الكاهن المعلم بياى ، وهى أنه وجد من اللخاف التى عثر عليها فى غرب طيبة لخفة جيرية صغيرة تدل كتابتها على أنها من أيام الأسرة العشرين (٢) ، وقد بقيت عليها ثلاثة أسطر جاء فى أولها « مقدمة تعليم الرسائل الذى قام به ... الاله .. بياى » ثم تبع ذلك قول المعلم بياى لتلميذه . « التفت إلى حتى أعلمك وأعمل على سلامة بدنك (وحتى تنال لوحة الكاتب دون تعويق) . . »(٣) فلو صح هنا أن بياى هذا المرتبط « بالاله » والذى تدل كتابة تلميذه على أنه من عصر الأسرة العشرين أيضاً هو بذاته بياى السابق الكاهن المرتل لدل ذلك على أنه كان يدرس لأكثر من مرحلة دراسية واحدة ، وذلك على فرض أن كتابة الكسر واللخاف تنسب إلى صغار التلاميذ أكثر مما تنسب إلى كبارهم .

وثمة لقبان من الدولة الحديثة يشهدان بنصيب كبير لمعبد أمون فى التعليم ، ولو أن تحديد هذا التعليم بتعليم مدارس جماعية أو تعليم إدارات ، وتحديده بالتعليم المدنى أو الدينى ، كلاهما غير واضح ولهذا أجلناهما إلى النهاية . وصاحب أحد اللقبين يدعى أمنمحات وهو من عصر الأسرة ١٨ وكان « مدير معلمى أمون» (٤) . ونسبة مرءوسيه المعلمين إلى أمون توحى بارتباطهم بالتعليم الدينى ، لولا أن بقية ألقاب أمنمحات تغلب عليها الصفة المدنية دون الدينية . فهو لا يذكر مما يتصل بالألقاب الدينية غير « حامل الختم الالهى لأمون » فى حين يذكر من ألقابه الأخرى لقبى الإمارة والنبالة (ربعتى حاتى ع) وأنه المطلع على سر الأقوال المقدسة (حرى سشتا مدونثر) ولهذا اللقب دلالتاه الدينية والدنيوية أيضاً ، ثم من هو على رأس كبار (؟) القصر الملكى ، والكاتب الحقيقى للملك وحبيبه ... » وعلى أية حال فإن أهمية ألقابه تدعو إلى الاعتقاد بأن مرءوسيه المعلمين لم يكونوا معلمين للمرحلة الأولى ، وإنما لما هو أرقى منها ، كما أن اعتزازه بلقب الكاتب الفعلى يوحى بأن تعليم مرءوسيه كان يقوم على أساس كتابى و أدبى .

واللقب الثانى هو لمدير التعليم لدائرة (أملاك ؟) أمون « إميرا سبا (و) ن بر أمن » ويدعى نيسو أمون (أو نسر ؟ أمون) ، وربما كان من عصر الأسرة الثانية والعشرين(٥)، وارتباطه بأعمال المعبد والكهنة أوضح من سابقه . فهو حامل ختم الإله لدوائر (؟) أمون وموت وخنسو وكاهن « حمن » حوت سنفرو (أصفون المطاعنة) وكاهن حتحور ربه عجنى (جنوبى المطاعنة) (٦) فضلا عن الموظف بإدارة

(١) تراجع ص ١٨٨

(٢) G. DARESSY, Ostraca (Cat. Gen.) No. 25771 rt.

(٣) = Lansing 8,8

(٤) ويلقب باسم «سوررو» PIERRET, Inscrip. II, 38, II A 51 (Theb. Tomb No. 48, Cairo 42128, Louvre A 50/2). (اميرا سباو . و؟ ن أمن – أو مدير تعليم ؟ أمون – انظر ملحق النصوص

(٥) Cairo 42221 = (G. LEGRAIN, Statues (Cat. Gen.) III 47 f.; (compare also: Brit. Mus. 37985 = WILKINSON-BIRCH,... II, 459). وانظر ملحق النصوص

وعن « برأمون » بمعنى ضيعة أو ممتلكات – انظر : G. LE FEBVRE, Histoire des Grands Prêtres d'Amon, Paris 1929 p. 41 : domaine d'Amon

(٦) see, A.H. GARDINER, Ancient Egyptian Onomastica, II, pp. 12-14

الوثائق لدوائر (؟) أمون وموت وخنسو ، وكاتب الأوامر وكاتب القرابين للآلهة والآلهات جميعاً ، ثم هو السمير الكبير (؟)... عينا الملك وسمعه ، صفى حورر ب القصر . وليس بالوسع كما يبدو من هذه الألقاب استكناه شيء مؤكد عن طبيعة التعليم الذى كان يشرف عليه أومكانه ، فقد يجمع بين الدينى والمدنى ويكون مكانه فى ذات المعبد ، أو يكون لإعداد كتبة الدوائر ، وحينئذ يحتل مكانه فى الإدارات الملحقة بالمعبد أو فى إحدى ضياعه . إلا أنه فى الحالتين يقوم على القراءة والكتابة وما يتصل بهما كما تدل على ذلك الأعمال الكتابية التى تولاها نيسو أمون . وقداستمرلمعابد أمون ومدارس ضياعه دورهما فى التعليم خلال العصور المتأخرة ، فأشارت وثيقة من طيبة إلى أحد معلمى العصر الصاوى بأنه « سبتى ن بر أمن زامع » أى معلم (؟)معبد أمون زامع » ويفهم منها أنه ترك إرثاً لابنته يدل على أنه كان على شيء من بسطة العيش (١) .

تلك إذن كانت أحوال المعلمين الرؤساء فى الإدارات و المكاتب الحكومية كما أوحت بأغلبها كراسات تلاميذهم . أما ماتوحى به ذات الكراسات عن أصحابها التلاميذ أنفسهم فنعالج منه فيما يلى ناحيتين : ناحية السن التقريبى ، وناحية الوضع أثناء الدراسة .

فمن ناحية السن ، ليس هناك من سبيل للشك فى أنهم كانوا أكثر من أطفال ، والمرجع فى هذا مجموعة من رسائل النصح ورسائل التعنيف وردت فى ذات كراساتهم وكان المعلمون يوجهونها إليهم عن قصد أحياناً وباعتبارها جزءاً مما يدرسون أحياناً أخرى . فمن هذه الرسائل ما يصف هيئة التلميذ بما يصوره مراهقاً يتأنق فى ملبسه ، وينسدل شعره المستعار فى جدائل تصل حتى قدميه (٢) ، يتضمخ بالزيوت ويتجمل بقلائد الزهور (٣) .

ومنها ما يصفه مندفعاً وراء نزوات الشباب يشرب من الخمر أربعة أنواع (٤) ، ويخالط النساء ، ويسارع إلى مجالس اللهو والطرب (٥) . ومثل هذه التصرفات لا تتأتى بطبيعة الحال عن أطفال . ثم إن كثيراً من الرسائل لينهى التلميذ عن التفكير فى الالتحاق بالجيش أو يخوفه مغبة الانصراف عن الدراسة والوقوع تحت طائلة التجنيد ، أى أنه يخاطب من بلغ سن الانضمام إلى الجيش نفراً كان أم أرقى من نفر (٦) . وفى ذات الرسائل تلميحان عن سن التلميذ المخاطب ، غير أن بينهما تبايناً واضحاً ، ففى أولهما يقول المعلم لتلميذه « إنك لإنسان بفضل الكتابة وإن لم تكن قد بلغت الحلم بعد » (٧) وفى ثانيهما يقول لتلميذه « لا تتبع هواك (لاتعمل عمل قلبك) كطفل وأنت رجل ابن ثلاثين » (٨) ويبدو أن فى كليهما شيئاً من

---

(١) M MALININE, Choix de Textes Juridiques en Hieratique Anormal et en Démotique, 1953, 113.

(٢) Pap. Koller, 2-9 — 3, 1 (٣) Anast. IV 12,4

(٤) Anast., 4, 11,9; 12,1; (٥) Lansing, 8.4 f.

(٦) Pap. Anast. III, 6,3 f.; IV 9,4 f; V, 10,3 f.; etc.

(٧) Lansing 2,9 انظر ملحق النصوص

(٨) Pap. Turin A vs., 1,10-2,1 انظر ملحق النصوص

= see, A. ERMAN, Du ägyptischen Schulerhandschriften—, 1925, 17

المبالغة وأن حقيقة سن التلميذ الكاتب المساعد هي شيء وسط بينهما (١) . (تراجع لوحة ٥٥) .

أما من ناحية الوضع أثناء الدراسة ، فإنه يلاحظ أن التلميذ صاحب الكراسة وإن اتخذ لقب المساعد أو من تحت الاشراف بالنسبة لمعلمه ، إلا أنه يتمسك لنفسه بلقب الكاتب إذا ما ذكر اسمه وسط زملائه (٢) أو بعيداً عن اسم معلمه ، أو إذا مهر باسمه ختام كراسته (٣) . بل إن المعلم نفسه كثيراً ما يحتفظ للتلميذ مساعده بلقب الكاتب ويخاطبه به (٤) . وتمسك التلميذ بلقب الكاتب قد ينبني على رغبته فى أن يصف نفسه بالعلم أو ينبني على أنه كان يقوم فعلا بعمل الكاتب فى أثناء دراسته مع رئيسه ومعلمه . وتلقيب المعلم لتلميذه بلقب الكاتب يحتمل أيضاً نفس المعنيين ، فهو قد يعني اعتراف المعلم لتلميذه بنصيب سابق من العلم أو الثقافة يستحق معه أن يلقب بالكاتب ، أو هو يعني أن تلميذه كان يقوم معه بعمل الكاتب المساعد فعلا . والواقع أنه ليس هناك ما يحول دون قبول المعنيين معاً : أن تلميذ الإدارة الحكومية كان له نصيب سابق من العلم اكتسبه فى مرحلته التعليمية الأولى ، وأنه كان يعمل مع رئيسه ومعلمه بصفة كاتب مساعد له وذلك على أساس تبعيتهما معاً لإدارة حكومية واحدة . على أنه مع قبول المعنيين معاً للكاتب المساعد صاحب الكراسة ، فإنه يغلب أن صلته بمعلمه فى أثناء كونه مساعداً أو فى أثناء كتابته لكراساته ، كانت للدراسة أكثر مما كانت للعمل (٥) ويدل على ذلك أن رسائل المعلمين أو توجيهاتهم لتلاميذهم التي تضمنتها الكراسات غالباً ما كانت تدعو إلى الاهتمام بالكتب والكتابة وأقوال الإله ، وقليلا ما كانت تدعو إلى الاهتمام بالعمل أو أداء الوظيفة . فثمة كراستان تتضمن كل منهما إحدى عشرة رسالة أو موضوعاً تغلب عليها الصفة الأدبية وليس فيها واحدة تتعلق بعمل (٦) . وأخرى تتضمن عشرين موضوعاً ينطبق عليها الأمر نفسه (٧) . بل إن من الرسائل القليلة التي تشير إلى تكليف الكاتب المساعد بأعمال مهنية فى الكراسات الأخرى ما يغلب عليه أن يكون مختلقاً لا يصور الواقع ، فمنه ما يكلف الكاتب المساعد بأعمال ضخمة لا يمكن أن تتأتى عنه ، مثل الاعداد لمقدم الفرعون إلى عاصمته فى عيد من الأعياد (٨) ، ومنه ما يتكرر بنصه بأسماء مختلفة فى كراسات مختلفة (٩) .

= وانظر أيضا ما يراه قاموس برلين من تعبير كلمتى : عزد ، وعزد شرى ، عن مرحلة التلمذة ، دون تخصيصهما بسن معينة (Wb I, 242, 12, 16) تراجع ص ٣٤٥

(١) يحتمل ارمان أن تكون سن تلميذ الإدارة بين ١٢ و ١٥ سنة (Aegypten.., S. 380)

(٢) انظر «اننا» بين زملائه الكتبه ص ١٨٤

(٣) Sall IV, 16, 2 – وفيها يفخر الطالب الكاتب «أمون خعو» بقوله «كتبت (حرفيا عملت) بواسطة الكاتب أمون خعو صاحب هذه الدراسة (أو لصاحب هذه الكراسة ؟) » ويتبع هذا بقوله ومن سيتكلم بخصوص دراسة الكاتب أمون خعو هذه (بسوء) سيكون تحوتى قريناً لخصمه حين الوفاة» (see A.H. GARDINER, in J.E.A. XVI, 224)

(٤) Bologna 1094, 1,9 ; 3,6 etc. ; Anast. IV 7,9 ; 10,1 ; etc.

(٥) يلاحظ أنه حتى التلاميذ أصحاب اللخاف الصغيرة الذين رجحنا كونهم أطفالا صغارا كانوا يلقبون أنفسهم بلقب «الكاتب» فى خواتيم دروسهم (Ost. Deir el Med., 1106 ; 1204 ; 1042) ويضاف إلى هذا ما تقدم ص ١٢٩ ، ١٦٥ عن تسمية العرب لصبيان الكتاتيب بالكتاب

(٦) Pap. Anast. II ; Pap. Lansing

(٧) Pap. Anast. V.

(٨) Anast. IV 13,8 f

(٩) الأمثلة عديدة ويراجع لها فهرس A.H. GARDINER, Late Eg. Miscellanies

ويتبقى من أوضاع التعليم فى الإدارات أو المكاتب الحكومية ما يتعلق بما كان عليه حضور تلاميذها أو كتبتها المساعدين على معلميهم ، وهل كانوا يحضرون عليهم فرادى أم فى جماعات . وقد تقدم فى هذا الشأن احتمالان ، أحدهما ينبنى على ما كان من استخدام شخص ما لكراسة بايبس (ص ١٧٩) فى العام نفسه الذى استعملها فيه صاحبها وفى المكتب نفسه الذى تعلم فيه ، لكتابة موضوعات بعضها عملى وبعضها أقرب إلى التعليمى . وثانيهما ينبنى على استخدام زميل لوتمدى أمون لكراسته فى كتابة رسالة وجهها إلى معلمهما المشترك نب ماعت رع نخت . وثمة احتمال ثالث يضاف إليهما ، وهو وإن لم يكن من الوضوح بحيث يجعل حضور أكثر من تلميذ على معلم واحد أمراً مؤكداً إلا أنه ما من بأس فى استعراضه . فقد اعتاد الكاتب المساعد إننا (تلميذ كاتب بيت المال قاجابو) على أن يختتم كراساته وموضوعات معينة فيها بإهداءات لمعلمه ولطائفة من الكتبة جاء من أسمائهم : أولا — فى نهاية قصة الأخوين التى كتبها فى أثناء ولاية مرى بتاح للعهد : كاتب بيت المال قاجابو (أو قاى جابوت) المنتمى إلى خزانة الفرعون — والكاتب حورى — والكاتب مرى م ابت (١) ثانياً — فى ختام تعاليم أمنمحات الأول التى كتبها فى السنة الأولى من حكم سيتى الثانى : كاتب بيت المال قاجابو المنتمى إلى خزاو الكانة الفرعون — تب حورى(٢) ثالثاً — فى ختام كراسة لدراسة الرسائل كان قد بدأها فى نفس السنة الأولى لحكم سيتى الثانى وبعد انتهائه من كراسته السالفة بستة شهور وخمسة عشر يوماً ذكر تسعة أسماء من بينها اسمه واسم معلمه ، ولكل من هؤلاء التسعة لقب كاتب بيت المال ، وهم على الترتيب : قاجابو — حورى — إننا — مرى (م) إبت — باكنبتاح — حورى امنمس — سنر (؟) — وربتاح (٣) . رابعاً — فى السنة السادسة من حكم سيتى الثانى (؟) أنهى إننا تعاليم خيتى بن دواوف بإهداء إلى كاتب بيت المال قاجابو — والكاتب باحرى بزات — والكاتب وتى (؟) والكاتب مرى رع (٤) .

ويتضح من هذا : أن الشخصية الرئيسية بين من عمل إننا معهم هى شخصية معلمه قاجابو ، وإن كان لقب هذا المعلم لم يتميز عن ألقاب الباقين ، حيث كانوا جميعاً كتبة بيت المال ، إلا حيث نسبه إننا مرتين إلى خزانة الفرعون . وقد خصه إننا بإهداء مستقل فى ختام أحد موضوعاته وصفه فيه بأنه الممتدح النابه طيب الخلق كاتب بيت المال قاجابو المنتمى إلى خزانة الفرعون » (٥) ويلى قاجابو فى الأهمية لدى إننا الكاتب حورى حيث تعاقب اسمه بعد اسمه ثلاث مرات . وأقدم زملاء إننا هما حورى ومرى م ابت ، وأحدثهم باحرى بزات و وتى (؟) ومرى ع .

وثمة احتمالان لتبرير صلة إننا بهؤلاء الكتبة ، وهما : أن يكونوا زملاءه فى الدراسة على معلمه قاجابو ، ولا يقلل من أثر هذا الاحتمال أنهم حملوا نفس لقب كاتب بيت المال الذى حمله قاجابو ، إذ كان إننا يحمله أيضا . أو أن يكونوا زملاءه فى العمل فحسب وليس فى الدراسة ، وكانت دواعى العمل تستدعى تغييرهم من فترة إلى أخرى ، على حين بقى هو مع معلمه ست سنوات على أقل تقدير . وليس من سبيل للأسف إلى ترجيح أحد الاحتمالين على الآخر .

(١) Pap. d'Orbiny, 19,8

(٢) Pap. Sall. II 3, 7-8

(٣) Pap. Anast. IV vs. A

(٤) Pap. Anast. VII, 4,6

(٥) Sall. II, 11, 5

وعلى أية حال فإذا كان ثمة تعقيب على صعوبة القطع بما إذا كان هذا التعليم فرديا أو جماعيا فهو أن فيما خلفه عصر الازدهار الإغريقى نفسه عن أمور التعليم فى أثينا ما أثار نفس المشكلة وتركها كذلك بغير حل مرضى (١) .

ووجود نظامين للتعليم المتقدم فى عصور الدولة الحديثة ، تعليم فى مدارس جماعية وتعليم إدارات ، أمر يثير هو الآخر تساؤلا عن أساس الفصل بينهما . حقا لقد مر بنا فى رسالة من هذه العصور قول الأب لولده « ولقد ألحقتك بالمدرسة مع أبناء الكبراء » (٢) وكان هذا هو شأن خيتى بن دواوف أيضا فى العصر الاهناسى (أو أوائل الدولة الوسطى) حيث ذكرت مقدمة تعاليمه أنه ألحق ابنه بالمدرسة بين أبناء الكبراء ممن يتصدرون العاصمة . (٣) وذلك مما يوحى بأن مثل هذه المدارس الجماعية فى العصرين كانت قاصرة على أبناء الكبراء فحسب . على أنه تقدم من الأسباب من ناحية أخرى ما يرجح أن احتمال القبول فى هذه المدارس على أساس تميز الطبقات ، احتمال بعيد ولا يجد سندا له . ومن هذه الأسباب أن خيتى نفسه لم يكن من الطبقة العليا ، وأن الأنظمة فى عصره كانت « لا تفرق بين ابن نبيل وبين ابن فقير وإنما تحتبى الفرد بكفاءته » (٤) ، ويغلب أن هذا ظل نفس الشأن خلال أيام الدولة الحديثة أيضا ومما يمكن أن تكون له دلالته فيما يعرف عن التدريس فى الدولة الحديثة أن التعاليم الادبية والتهذيبية كانت تدرس للجميع على سواء ، فكما كانت تدرس تعاليم الوزير بتاح حوتب درست تعاليم خيتى بن دواوف ، وكما كانت تدرس تعاليم الملك امنمحات درست تعاليم الكاتب آنى — أى أنه لم تكن هناك ارستقراطية فى التوجيه كما أنه لم يكن يستكثر على أبناء العامة ان يتأدبوا بما يتأدب به أبناء الخاصة(٥) . فلا يتبقى إذن إلى جانب افتراض الصبغة التطبيقية فى جانب من تعليم الإدارات ، غير احتمال واحد لتعليل وجود تعليم المدارس الجماعية وتعليم الإدارات فى آن واحد ، وهو احتمال قد لا نجد ما يؤيده ، ولكن لا بأس من فرضه حتى يستجد من البحوث ما يثبته او ينفيه . وهذا الاحتمال هو ان تكون الدراسة المتقدمة فى المدارس الجماعية مما يستدعى نفقات من نوع ما ، بحيث لا يقدم عليها غير الأثرياء ، ويستوى فى ذلك أن يكونوا من طبقة عليا أو من طبقة وسطى . وربما كان هذا هو ما جعل خيتى بن دواوف يقول لولده فى سياق تعاليمه « ولاحظ ان القيام بالرحلة جنوبا للعاصمة إنما فعلته لفرط حبى إليك »(٦) ويقول له : « ادع الإله لأبيك وأمك اللذين وضعا (ك) على طريق

(١) كان من ذلك أن رسم الفنان الأثينى دوريس Duris حوالى عام ٥٤٠ ق . م منظرا لخمسة أشخاص : معلمين وتلميذين ومربيا (بيدا جوجى) لاحد التلميذين ، وكان أحد المعلمين يعلم تلميذه ترديد الشعر من صحيفة معه والآخر يعلم تلميذه استعمال القيثارة أو الترنم عليها ، ومن هذا يفهم أن التعليم كان فرديا وأنه كان لكل تلميذ معلم خاص ، وذلك على حين يفهم من مصادر إغريقية أخرى أن التعليم كان جماعيا فى مراحله المختلفة .
(See H. MARROU, Histoire de l'Education dans l'Antiquité, Paris 1950, pl. 1,2).

(٢) ص ١٧١

(٣) ص ١٦٣ — أو ممن هم فى مقدمة البلاط .

(٤) Pap. Petersburg 1116. A., 61-2.

(٥) وفيما يختص باحتمال استئثار بعض الهيئات بالتعليم الراقى فى العصور المتأخرة تراجع ص ٢٢٥ وديودور الصقلى فقرة ٨١ .

(٦) Sall. II 9,4.

الأحياء » . (١) وذلك مما يمكن أن ينم عن أنه قد تحمل من أجل تعليمه ووضعه على الطريق المؤدى الى المستقبل الواسع شيئا لم يكن يتحمله غير القليل من أهل طبقته .

وليس بين المتون المصرية ما يشير بشيء الى كيفية تمويل المدارس الجماعية ولاالى ما كانت الحكومة تسهم به فى أمرها ، فيما عدا إشارات يسيرة ، ومنها ذلك المتن الذى تقدم الاستشهاد به عن حاكم أسيوط فى العصر الاهناسى والذى جاء فيه ما يدل على اهتمامه بكل كاتب وكل عالم وما يتعلق بالدخول الى المدرسة (راجع ص ١٦٦) ، وقول حاكم بنى حسن من عصر الدولة الوسطى ، « وعلمت كل فن درس فى المدينة » (٢) وقول وزا حررسنت وهو موظف مصرى كبير عاصر العصر الفارسى ذكر أنه زود دور الحياة بطلابها ووضعهم تحت إشراف كل ذى معرفة ثم زودهم بكل ما ينفعهم وبكل مهماتهم (راجع ص ٢٢٤) . ويمكن أن يضاف الى هذه المتون ، فى شيء من الحيطة عبارات أخرى قريبة الدلالة منها ، ومنها عبارة ذكرها القروى الفصيح «خون انبو » فى مهاجمته لناظر الخاصة الملكية فى عصره ، وفى سياق حديثه عما كان يراه الناس من واجبات الحكام إزاء رعاياهم ، وقال فيها : « ... ما من جاهل ساعدته على المعرفة ، وما من غرير علمته (أو هديته) » (٣) ثم عبارات أخرى ساقها أصحابها من أصحاب النفوذ او السلطان فى سياق الفخر بمعارفهم التى استقوها من أهل العلم ثم علموها لناقصى المعرفة ، وقد قال أحدهم إنه كان شخصا عرف من علمه (او هداه الى) المعرفة » (٤) وقال آخر « كنت معلما للأولاد بالاسلوب الحسن والأناة » (٥) وقال ثالث « كنت علما لمن لايعرف ، اعلم الإنسان (أو اهديه) الى منفعته » (٦) وقال رابع «كنت هداية للدنيا جميعها » (٧) وقال خامس « هديت من يجهل أباه الى واجبه » (٨) ، وما يماثل هذه العبارات التى تحتمل أكثر من تأويل واحد .

أما غير القادرين الذين آثروا تعليم أبنائهم ولم يستطيعوا أن يوفروا لهم التفرغ للدراسة بعد المرحلة الأولى ، أو لم يستطيعوا الإنفاق عليهم فى المدارس الجماعية ، فلا يبعد أنهم كانوا يلحقونهم بالإدارات الحكومية بصفة موظفين صغار يتقاضون مرتبات تعينهم على الحياة ويتمون تعليمهم فى الوقت نفسه على أيدى رؤسائهم ، وكانت هذه الإدارات ذات فروع فى المدن والعواصم وأقاليم الحدود ، وكان فى ذلك ما ساعد على تعدد فرص التعليم للراغبين فيه .

---

(١) Pap. Sall. II, 11, 4. — وانظر ملحق النصوص

(٢) NEWBERRY, Beni Hasan, I, pl. XXVI, 213, p. 65

(٣) F. VOGELSANG und A.H. GARDINER, Die Klagen des Bauern, 1,266-7

(٤) Leyden V, 6 (Boeser II, pl. VII)

(٥) P.S.B.A., XVIII, 196, 11

(٦) Urk. IV, 968, 10

(٧) Ae Z, LX, 73, 1. 23

(٨) يلاحظ مع هذا أن أدولف ارمان لم يتردد فى أن يطلق على تعليم الإدارات اسم «المدرسة» حين تحدث عن تعليم التلميذ فيها. *See* « in der Schule einer Verwaltung » (Aegypten 193).

ويبدو أن تعليم الإدارات أو تعليم الرؤساء لم يكن أمرا ممتهنا ، وإنما كان كمال التعلم فى أن يتفقه المرء على يد رئيسه . وكان من متون الدولة الحديثة ما يناشد الأحياء بكل ما يستميلهم ليقرأوا لصاحبه صيغة القربان ، ويخص منهم « كل كاتب كفء فطن فى الكتابة ، سيطالع فى المتون (؟) ويتفهم بعقله ... (ذلك) الذى علمه رئيس الأداء كما ينبغى أن يكون » (١) .

ولقد تقدم أن هناك تشابها كبيرا فيما كان يعلمه معلمو مختلف الإدارات لتلاميذهم ، غير أن هذا لم يكن يحول فيما يبدو دون أن يكون لبعض المناطق طابعها الخاص ، بحيث رأى بعض الباحثين أنه يمكن تمييز الكراسات التى كتبت فى منف فى عصر الرعامسة عن غيرها مما كتب فى ذات العصر ، وذلك من حيث الخط (٢) ، ومن حيث الأسلوب أيضا . (٣)

ويتبقى من نواحى التعليم العام (أى غير تعليم القصور والثقافات العالية والخاصة مما سيرد تفصيله بعد صفحات) ناحيتان لم نجعل لهما نصيبا مستقلا فى تقسيم مراحل التعليم ، وهما تعليم الكهنوت ، ثم الثقافة بين الإناث ، وذلك لقلة المعلومات عنهما من ناحية ، ولأنهما لا يتصلان كثيرا بدور التثقيف العلمى أو الكتابى التى استهدفها هذا الفصل من ناحية أخرى . غير أنه ما من بأس فى ذكر نقاط سريعة موجزة عن كل منهما .

التعليم الدينى :

على الرغم من الأهمية الواضحة التى شغلها الكهنوت فى الحياة المصرية القديمة ، فإن وسيلة تعليم أفراده لم تلق حتى الآن بحثا خاصا ، وذلك بحيث رأى ألن جاردنر أنه لم يتضح للتعليم الدينى المصرى طابع خاص قبل العصور المتأخرة .(٤) ولم يتهيأ لى من بحث هذا الضرب من التعليم مايؤيد رأى جاردنر أو يخالفه . غير أن فيما بحثناه للفصول الأخرى من كتابنا ما يسمح ببعض العناصر لموضوع قصير عن ثقافة الكهنة . ومن هذه العناصر :

١ ــ أن التعليم الكتابى كان ضروريا للطوائف الرئيسية على الأقل من الكهنة . ومنهم الكهنة المرتلون الذين يدل على تعاملهم ما تعنيه حرفية تلقيب كل منهم بلقب خرى حبت بمعنى من يحمل كتاب الطقوس(٥) ، وتصويرهم أحيانا بكتب يقرءون منها(٦) ، ثم اتخاذ بعضهم لقب « كاتب الكتب والمقدسة » منذ الدولة القديمة . وكان من الطبيعى أن يكون الكهنة الكبار فى العبادات

(١) A.H. GARDINER, in AeZ. LX, 75; B. GUNN, in J.E.A., XII, 126. وتراجع ص ٢٣١ حاشية ١

(٢) G. MOELLER, Hieratische Paläographie, t II,1927, 2-3; A. ERMAN, Die ägyptischen Schülerhandschriften, Berlin 1925, 20 f.

(٣) تراجع ص كذلك ١٦٦ ، ص ٢٩٢

(٤) GARDINER, in J.E.A. XXIV, 159, No. 3. انظر عن تردد أدولف ارمان أيضا Die Religion der Agypter, 189

(٥) Wb III,395,4 f.; Wb. III,61 ; see also K. SETHE, in AeZ LXX, 134.

(٦) تراجع حاشية ٢ ص ١٢٨ وانظر BORCHARDT, Sahure II, Abb 19 ; Naville Deir el Bahari, IV, pl. 100 ; J.E.A. XXIV, pl. 5.

الرئيسية متعلمين أيضا ، مثل كبار كهنة عين شمس الذين اتخذوا ألقاب الكتاب ورؤساء الكتاب منذ الدولة القديمة . (١)

٢ — أن من جوانب ثقافة الكهنة ما كان يتفق مع مناهج التعليم العامة ، ويدل على ذلك قيام بعضهم بتدريس نفس الموضوعات التى كان يدرسها غيرهم من المعلمين المدنيين (٢) ، وذلك فضلا عما هو معروف من أن الكهنة المصريين لم ينعزلوا عن الحياة العامة وأنه قلما اقتصر كاهن ذو أهمية على أعمال الكهانة وحدها دون الوظائف المدنية فى القصر أو فى الحكومة أو فى ذات معبده .

٣ — يذكر كاهن عصر الرعامسة باكنخنسو (راجع صفحة ١٦٠) أنه قضى أربع سنوات فى التعليم الكتابى الأولى ثم عاد بعد ذلك (وبعد فترة ١٢ عاما قضاها بالاسطبل الملكى) (٣)» فتعلم ليصبح كاهنا مطهرا فى دار أمون بصفة ابن تحت إشراف (يد) أبيه» (٤) وفضلا عما يزكيه هذا القول من أهمية التعليم الكتابى للكهنة ، فإنه يدل من ناحية على أن التعليم الكهنوتى كان فرديا فى بعض أحواله ، ويدل من ناحية أخرى على أن اتجاه الابن إلى تخصص ابيه كان يلعب دوره فى التوجيه الكهنوتى أحيانا أيضا (٥) .

٤ — أنه إزاء ما ذكره باكنخنسو عن التعليم الفردى على يد أبيه ، يحتمل كذلك وجود نوع فى تخصص المعلمين فى المعابد ، وذلك مما ينم عنه لقب « مدير معلمى أمون » الذى اتخذه من يدعى أمنمحات فى عصر الأسرة الثامنة عشرة ، وإن لم يتيسر تعيين التعليم الذى تكفل به هو ومرءوسوه المعلمون بصفة قاطعة (ص ١٨١) وفى شىء من الشك يمكن أن يضاف إلى لقبه هذا لقب « مدير التعليم الدائرة (أملاك ؟) أمون » الذى تقدم ذكره (ص ١٨١) . وقد أضاف باكنخنسو عن مجهوده الخاص فى كبره أنه كان » والدا عطوفا لمرءوسيه وكان يعمل على تنشئة صغارهم » . وثمة نص آخر يصعب استخلاص شىء صريح منه وقد أخبر فيه تلميذ معلمه أن الوزير بعث إليه ثلاثة غلمان قائلا له « اجعلهم كهنة مطهرين فى معبد بتاح ، ولكن شخصا مسئولا انتزعهم وقال بل سيكونون جنودا » (٦)

٥ — أن تعليم الاناشيد وتوقيعها فى المحيط الكهنوتى كان تعليما جماعيا فى غالب أمره . إذ عرف من الدولة القديمة لقب معلم الإنشاد الملكى (أو معلم الإيقاع أو معلم المنشدين أو ما يشبه ذلك) (٧) وقد كان للإنشاد فى القصر الملكى صبغته الدينية مما يدل عليه اتخاذ المشرفين عليه ألقابا كهنوتية (٨) ،

---

(١) ص ١٢٨ حاشية ٢

(٢) ص ١٨٠

(٣) هذه الفترة قد تكون تعليمية كذلك (؟) (See, A. ERMAN, H. RANKE, Aegypten, 193, Anm. 2) وتراجع ص ١٧٧

(٤) Cairo 42155 انظر ملحق النصوص

(٥) Also, Urk. 1,26,14 ; Kahun Pap. 11,17-18 ; Siut I,288- but see, Cairo 20074 ; 20142 ; 20432 ; 20712 ; L.D. III 231 a ; A.M. BLACKMAN, Priest, Priesthood (Egyptian) in Hasting's Encycl. X,299 ; H. KEES, Das Priestertum in Aegyptiechen Staat..., Erster Band, Leiden, 1953, 18.

(٦) Pap. Bologna 1094, 4, 10 f.

(٧) S. HASSAN, Excav. at Giza, 1929, 1930, p. 67.

(٨) Ibid., vol. II, 211 ; H. JUNKER, Giza VII, 37

وأن رئيسا لمنشدى الفرعون (فى الدولة الحديثة) كان رئيسا لمنشدى الآلهة جميعهم فى الوقت نفسه (١) ويزكى التعليم الجماعى للأناشيد الدينية متن من عصر الرعامسة يتقرب فيه صاحبه الى أمون بدعاء يقول فيه « أنشد لك ثملا ببهائك ، ويداى فوق القيثارة . واعلم أبناء المنشدين الإشادة ببهاء طلعتك » (٢) ويتضح فى قوله ابناء المنشدين ما يزكى كذلك ما تقدم من ان مهنة الأب كانت تجتذب الابن احيانا . والى جانب هذا المتن الطيبى تذكر رسالة تعليمية ، من عصر الرعامسة أيضا ، فى وصف بررمسيس أن منشداتها اللطيفات تخرجن من تثقيف حوت كابتاح أى معبد بتاح فى منف وذلك مما يزكى ان ترتيل الأناشيد كان يتطلب تعليما تميز به هذا المعبد . ومن العصور المتأخرة يذكر نصب من إخميم لقب مدير التعليم الخاص بأبناء عدد من طوائف الكهنة (٣) وان كان صاحب اللقب لم يذكر إن كان يعلمهم كتابة او إنشادا أو دينا ، إلا أن فى القابه الأخرى ما يدل على معرفته القراءة والكتابة . وتحدث متن آخر عن أناشيد سلمت مخطوطاتها الى مدير تعليم المنشدين » (٤) . وفى تعليم أبناء الكهنة يذكر ديودور الصقلى انهم كانوا يعلمون نوعين من طرق الكتابة (٥)، فى حين يذكر كليمنت السكندرى ضرورة معرفة الكاهن الخطوط المصرية الثلاثة فضلا عن تعمقه فى الكتب المقدسة(٦). وأخيرا يذكر متن من العصر الرومانى أن طالب الكهنوت كان عليه ان يؤدى امتحانا فى الأمور الدينية (٧) .

٧ — أما فيما يختص بالمعارف الكهنوتية ذاتها ، والتى لا نستطيع أن ندلى برأى قاطع فى كيفية تحصيل الكهنة لها ، فإنه يمكن القول فى إيجاز بأنها اعتمدت قبل كل شيء على معرفة أسماء الآلهة ، وأسماء الإله الذى يخدمونه بخاصة وما تنم عنه من صفات ومناسبات (٨) ، ومعرفة التراتيل التى تتلى امام آلهة معبدهم والشعائر التى تقام لهم ، والتفسيرات أو التسميات الرمزية التى كانت تطلق على كل صغيرة وكبيرة من الشعائر (٩) ، ومعرفة القصص الرئيسى فى حياتهم وقصص الإله الذى يخدمونه بخاصة ، ومعرفة الأعياد وطقوسها وما يتصل بها من ذكريات ، وربما أضافوا الى ذلك نظرية او أكثر من النظريات الكبرى فى خلق الكون (راجع ص٣٥٣) ، وما يكون من أمر الآخرة وآلهتها ومسالكها وعقباتها ، وربما أضافوا كذلك المعرفة بتقويم لأيام السعد والنحس وشيء من الفلك والتنجيم والسحر وما ماثل ذلك . ومن صور اختلاط الأدب والأسماء الفلكية بالدين والتنجيم فيما كان المثقفون يتداولونه ، أن تضمنت بردية من الدولة الحديثة موضوعا خلقيا وأتبعته بقصيدة أشار صاحبها فيها الى القمر والشعرى والدب

---

(١) A. MARIETTE, Cat. d'Abydos, 1159

(٢) Pap. Ch. Beatty IV, 7, 3 f. (٣) Cairo 22017 انظر ملحق النصوص

(٤) Urk. II, 151-2 انظر ملحق النصوص

(٥) DIODORUS I, 81 (٦) Stromata, V, 4

(٧) GRENFELT-HUNT, II, 291, WILCKEN, Grundzüge 1, 2, N. 137

(٨) A. ERMAN, Die Religion, 40-41, 65, 236 ; CHASSINAT, Edfou V, 12-13, 44f.

(٩) Ch. Beatty IX, (A.H. GARDINER, Hieratic Papyri, 3rd series, vol. I, 101 f.;

الأكبر ، ثم قصيدة أشادت بالمعبود حور آختى ترتل باسمه عند انفلاق الصبح وقصيدة أخرى للإشادة برب القمر ، واتبعت ذلك كله بتقويم لأيام السعد والنحس (١) .

الثقافة بين الإناث :

إذا تجاوزنا عن الملكات اللائى بلغن العرش فى مصر الفرعونية وهؤلاء احتمال أخذهن من العلم بنصيب احتمال كبير ، وما نسب إلى الآلهات من علم ومعرفة (٢) ، فإن هناك عدة أمثلة لسيدات أخريات متعلمات . وهذه الأمثلة وإن تكن قليلة جدا بالنسبة إلى ما تقدم عن تعليم الصبية والشبان إلا أنها تسمح بالقول بأنه لم يكن هناك حائل مفروض يحول بين الإناث وبين التعلم إذا دفعتهن الرغبة أو دفعتهن الظروف إليه . وتتميز هذه الأمثلة بأنها من عصور مختلفة ومن مصادر متنوعة ، إذ أن منها ما دلت عليه ألقاب من الدولة القديمة والدولة الوسطى ، ومنها ما دلت عليه رسائل مدرسية من عصر الرعامسة ، ومنها ما دلت عليه رسائل عملية من ذاك العصر ، ثم ما أتى به منظر أخروى من الأسرة الحادية والعشرين ، ومنها أخيرا ما أتت به قصة شعبية من العصر المتأخر .

أما مثقفات الدولة القديمة فقد قدم فلندرز بترى منهن اثنتين ، إحداهما كانت تتولى كتابة رسائل الملكة (٣) ، والأخرى قال عنها إنها من الأسرة الخامسة وإنها كانت تستطيع أن تقرأ الهيراطيقية بسهولة وإن لم تكن تستطيع أن تكتبها بسهولة (٤) ولم يذكر بترى مصدره عن هذه الأخيرة ولكن يبدو أنه اعتمد بشأنها على ما أتت به قصة العصر المتأخر التى ألمحنا اليها . وهناك ثالثة قد تكون أميرة وقد تكون أما للملك من الأسرة السادسة، كان من ألقابها « قاضية؟ القصر الوزيرة؟ بنت تحوتى » (٥) وإذا صح أنها كانت تلى فعلا وظائف ما ادعته من ألقاب فإن ذلك يدل على تعلمها إزاء ما نعرفه عن ثقافة من ولوا الوزارة . ويمكن أن تقرن هذه بأم الملك أحمس فى بداية الدولة الحديثة التى وصفها ابنها بأنها عالمة « رخت خت »(٦) . كما تلقبت سيدة من سيدات قصور الأسرة الثالثة عشرة فى الدولة الوسطى بلقب « الكاتبة » (٧) .

---

(١) Brit. Mus. Pap. 10474 vs.; BUDGE, Eg. Hier. Papyri, II, 1923, p. 18 ويراجع عن التأهيل العملى للكهانة : A. Erman, op. cit. 189.

(٢) عن سشات تراجع ص ١٣٠ ، وتقول الربة إيسة عن نفسها : « كنت ابنة معروفة فى بلدها ولقد علمنى أبى المعرفة (أو هدانى إلى المعرفة) » W. Golenischeff, Die Metternitchstele, Leipzig 1877, Taf. IV, 57, Bull. Metr. Mus., April 1951, 201 f. انظر ملحق النصوص .

(٣) W.F. PETRIE, The Royal Officials, in Anc. Egypt., 1925, p. 14; also, H. BRUGSCH, Die Aegyptologie, 204.

(٤) W.F. PETRIE, Social Life in Ancient Egypt, London 1923, 124.

(٥) H. BRUGSCH, Mythologica, AeZ, XXIV, 3; MAR. Abydos 525.

(٦) Urk. IV, 21, 9-10 — وتراجع ص ٧٥ = وانظر عن احتمال متعلمات (؟) من الأسرة الثامنة عشرة E. DRIOTON, La Pédagogie au temps des Pharaons p. 6. (in Revue desConférences fr. en Orient, Mai 1949).

(٧) Turin 107; Wb. III, 481.

وأما صاحبات الرسائل فى عصر الرعامسة ، فمنهن أربع أصبحت رسائلهن نماذج تعليمية ، وأهم رسائلهن ممن تدعى «ستيكا» موسيقية حتحور ربة الجميزة الجنوبية، وقد وجهتها إلى من تدعى سخمت نفرة موسيقية أمون (التى فى المدينة الجنوبية) . وأرسلت ستيكا رسالتها هذه إلى صديقتها من منف وحدثتها فيها عن عجائبها وخيراتها وعن أربابها . وهى رسالة طويلة كتب طالب أربع صفحات منها ثم تركها دون أن يتمها (ويراجع بعضها ص ٢٨٢) . ولما كانت الرسائل المدرسية غالبا ما تحتمل الشك فيما إذا كانت حقيقية أم خيالية فإن الاحتمالات التى يمكن أن تقوم بشأن هذه الرسالة هى : أن تكون حقيقية ، وفى هذه الحالة قد تكون من إنشاء مرسلتها فعلا أو يكون قد كتبها لها كاتب محترف فى منف . أو أن تكون خيالية وفى هذه الحالة قد تكون من إنشاء المعلم أو من إنشاء تلميذه .

ففى حالة اعتبارها حقيقية يمكن ترجيح أن تكون من إنشاء السيدة نفسها وليست من انشاء كاتب محترف ، فامرأة لاتعرف الكتابة ولا تتذوق الأدب لايخطر على بالها أن تقصد كاتبا محترفا لتجعله يكتب لها رسالة طويلة فى وصف منف وعجائبها . ثم إنه لو لم تكن صديقتها تتذوق الأدب وتعرف القراءة هى الأخرى ، لما كتبت لها هذه الرسالة .

أما إذا كانت الرسالة خيالية ومن إنشاء المعلم أو تلميذه ، فلا شك فى أنه لو لم يكن فى بيئتهما سيدات مثقفات فعلا لما فكر أحدهما فى نسبة رسالته إلى سيدة مرسلة وأخرى مرسل إليها .

والرسالتان الأخريان إحداهما من موسيقية للإله تحوتى إلى صديق وزوجته (٢) . والأخرى من موسيقية لأمون إلى كاهن كبير (٣) .

أما الرسالة العملية أو الخاصة التى تنتمى إلى عصر الرعامسة كذلك فهى من احدى سيدات الحريم الملكى بالفيوم (و بجوار بحيرة مرور) وقد وجهتها الى الملك سيتى الثانى تخبره فيها بنجاحها فى تثقيف وتدريب جماعة من الفتيان الأجانب عهد بهم اليها (٤) . وأغلب الظن أنه لو لم تكن هذه السيدة على شىء من العلم فعلا ومن المكانة لما وجهت رسالتها الى الملك رأسا ولما عهد اليها بتثقيف أولئك الفتية .

وحفظ منظر من عصر الأسرة الحادية والعشرين صورة لسيدة تتعبد لوحة للكتابة وضعت فوق

= ونشر الأستاذان بترى وجريفث نصوص نصب من دندرة لرجل عاصر منتوحوتب الثانى ، يدعى خنوم ردو عمل فى حاشية الملكة نفرو كايت وذكر أنها عينته على قاعة أمها الكبرى التى وصفها بأنها عظيمة الكتابة فزاد كنوزها بهاءها ونسقها وأقام المتهدم فيها وربط ما وجده منحلا ونظم ما وجده مرتبكا . وقد ترجم الأستاذ جريفث النص بما يوحى باعتبار هذه القاعة مكتبة تتبع الملكة ، ولكن يبدو أنها كانت قاعة كنوز ، وأن وصفها بعظيمة الكتابة «عات درف» يعنى أنها عظيمة النقوش المكتوبة على جدرانها .

PETRIE, Denderah, I, pl. XV, p. 52 ; Cairo 20543.

(١) Sall. IV, 1, 1 f.

(٢) Pap. Bologna 1094, 9, 7 f.

(٣) Ibid., 7,1 f.

(٤) A.H. GARDINER, Ramesside administrative documents, London 1940, 14-15, also, The Harem at Miwer, in J.N.E.S. XII, 1953, 145 f.

ويراجع تفصيلها ص٢١٠

منضدة (شكل ٥٩) وذلك على نحو ماتقدم ذكره عن تعبد أهل الثقافة من الرجال للوحة والمحبرة والدعاء بهما فى كتب الموتى .

ويدعو احتمال القول بثقافة مثل هذهالسيدة إلى احتمال كبير آخر فى ثقافة الأميرات اللائى تلقبن بألقاب الزوجات المقدسات ووَلين رياسة كهنوت أمون منذ عصر الأسرة الثالثة والعشرين وأشرفن تبعا لذلك على ما كان كبار الكهنة المثقفين يشرفون عليه من دواوين الكتابة ودور العلم . (١)

ثم قصة العصر المتأخر وهى المعروفة باسم قصة «ستنى خعمواس» وقد روت أخبار مغامرة جريئة قام بها أمير يدعى نى نفر كا بتاح وزوجته الأميرة عحورع (؟) للحصول على كتاب كان قد كتبه الإله تحوتى بنفسه . وتذكر القصة على لسان هذه الأميرة أنها قرأت من الكتاب فصلين وان كانت تعقب بعد ذلك بأنها لم تكن تستطيع ان تكتب بالسهولة التى كان يكتب بها زوجها (٢) . وفى القصة خلط كبير يتناول أسماء الشخصيات وعهودهم إلا أن تصويرها لسيدة تكتب وتقرأ وتشارك زوجها فى تحصيل العلم والبحث عن خفاياه هو تصوير ليس فيه كثير من الخيال أو من الإسراف .

ومن العصور المتأخرة كذلك أضافت زوجة الكاهن الكبير بادى أوزير (بتوزيريس) فى منطقة الأشمونين ، أنها كانت ذات رأى سديد فى كتابتهم (٣) أى كتابة الأرباب ، وذلك مما يعنى معرفتها بالكتابة الهيروغليفية التى تضخمت قداستها فى العصور المتأخرة وأصبحت مما يفتخر المثقفون بمعرفته وقراءته .

وفى شىء من الحيطة يمكن أن يضاف الى هذه القرائن عن ثقافة بعض النساء منذ من عصر الأسرة الثامنة عشرة للأميرة مريت أتون كبرى بنات أخناتون فى جلسة تشبه جلسة الكتاب والرسامين وعلى مقربة منها لوحة ذات ست عيون (٤) كانت تستخدمها فى الكتابة أو فى الرسم والتصوير ، ويضاف كذلك أن من النساء المصريات ، العاديات اللآئى بلغن شيئا من الأهمية ، من تولين وظائف فى القصور الملكية (٥) ومع أزواجهن ، فضلا عن اشتراك أغلبهن فى مطالب الكهانة فى المعابد ، وإن لم يكن من الميسور تقديم أدلة على اقتران قيامهن بهذه الأعمال أو الوظائف بالتعلم بالضرورة .

---

(١) see, A.M. BLACKMAN, in J.E.A. VII, 8 f. SANDER-HANSEN, Das Gottesweib des Amun, 39, Anm. 4.

(٢) F. Ll. GRIFFITH, Stories of the high priests of Memphis, p. 25.

(٣) LEFEBVRE, Inschrift, 58,9.

(٤) H. CARTER, Tut-Ankh-Amen, III (Deut. Ed.), Taf. 21 E S. 64; FOX, Treasure of Tut-Ankh-Amen, pl. 40.

(٥) For example: S. HASSAN, Giza I, pl. 184; H. JUNKER, Giza V, 184; KLEBS, Relief., I, Abb 6; Urk. I, 77; Turin 107; Leiden, I, 24.

الفصل الثامن

التربية والتثقيف فى قصور الفراعنة

كان لقصور الفراعنة منهاجها الخاص أو سياستها الخاصة فى تثقيف أبنائها وأبناء المقربين إليها من أبناء الخاصة والمتصلين بالبلاط . والمعروف عن تعليم هؤلاء الاخارى أى أبناء الخاصة والمتصلين بالبلاط أكثر وفرة عن المعروف عن الأمراء بالذات ، ولهذا يبدأ البحث بهم .

(١) فى الدولة القديمة :

ربطت تراجم بعض عظماء الدولة القديمة بين تربية صحابها وتعليمهم وبين إشراف الفراعنة أو إشراف قصورهم . وعرف من أصحاب هذه التراجم : أربعة من كبار الكهنة ، وواحد من رجال البلاط ، وحاكم إقليم ، وثلاثة وزراء . واختلفت تعبيراتهم فى التنويه بصلاتهم بتربية القصر ، فعين الكاهن شبسسبتاح مكان تربيته بداخل جناح بالقصر وبالحريم الملكى . أما الكاهن جاتى والكاهن خمتنو ورجل البلاط نفر حرن بتاح فقد ذكر كل منهم أنه «سباتى نيسو» وذلك مما ينصرف إلى معنى تلميذ الملك(١) أو من أولاه الملك حق التعلم فى قصره . وذكر كل من الثلاثة الوزراء واشبتاح وشماى وإدى ، أنه «سزتى نيسو» أى ربيب الملك . ولم يذكر حاكم ادفو «قار» أكثر من أن الملك نشأه بين أبناء العظماء .

كان أقدم هؤلاء هو شبسسبتاح ، وقد عاصر اثنين من أواخر ملوك الأسرة الرابعة وأربعة من أوائل ملوك الأسرة الخامسة ، وحرص على أن يثبت صلته بكل منهم فى مراحل حياته المختلفة . فذكر أنه ولد فى عهد منكاورع ، وأنه فى طفولته « قد ربى بين الأمراء (أبناء الملك) فى القصر العالى للملك بداخل الجناح (خنو — ع) وبالحريم الملكى حيث كان مكرما لدى الملك أكثر من أى طفل(٢). وفى عهد شبسسكاف كان قد تعدى طور الطفولة وأصبح «غلاما يعقد عصابة»(فوق جبهته ، أو يعقد حزاما حول خصره ؟) (٣) ولكنه ظل يربى بين الأمراء فى قصر الملك بداخل الجناح وبالحريم الملكى «حيث

(١) انظر ملحق النصوص وقارن ص ١٩٧ – ١٩٨ ، ٢٠٠
see, Wb IV, 84, 4, 16 ; H. JUNKER, Giza VII, 235.

(٢) K. SETHE, Urk. I, 51 f. — وانظر ملحق النصوص .

(٣) انظر ملحق النصوص وكان مدلول هذه العبارة موضعا لآراء شتى فقد رأى ماسبرو أنها تعنى « couronne » (The Dawn of Civilization, 419) وعارضه برستد بأنها تعنى «girdle» (Anc. Records, I, 294) ولكن رأى برستد هذا عارضه جاردنر بانها تعنى « wreath, fillet » (Grammar, p. 492) وذلك فى حين ترجم موريه العبارة كلها «porteur de hache» (Comp. Rend., 1915, 553) واتفق معه دارسى (Ann. S. 17, 137) ثم ترجمها جردسلوف «nouer le bandeau» وقدم لها مثلا يبدو فيه كايجمنى عاقدا عصابة للرأس يتدلى=

ظل مكرما كذلك لدى الملك أكثر من أى غلام » واستمر حتى شب عن طوقه وحينئذ زوجه الملك بابنته الكبرى «ماعت خع » . وأهلت شبسسبتاح تربيته هذه لأن يصبح فى عصر الأسرة الخامسة رئيسا لكهنة منف وأن يسهم بنصيب كبير فى أعياد التتويج ، وأن يكون «سكرتيرا للملك فى كل عمل يود الملك أن يفعله » . وهذا فضلا عن كهانته للإله سكر ولثلاثة معابد من معابد الشمس ، إلى جانب اتخاذه ألقابا كهنوتية وتشريفية أخرى معتادة . وما يعنينا استخلاصه من ترجمة حياة شبسسبتاح هذه هو :

١ — أن قصور الفراعنة كانت تهتم منذ النصف الثانى لعصر الأسرة الرابعة على الأقل بتنشئة أبناء الخاصة فيها ومع أمرائها . ولم يشر شبسسبتاح بشىء إلى مركز أبيه أو عائلته ، غير أن مصاهرته للبيت المالك (١) ترجح أنه كان من ابناء الخاصة .

٢ — أن فى قوله أنه كان مكرما لدى الملك أكثر من أى طفل ثم أكثر من أى غلام ، ما يوحى بأنه كان له فى هذه التربية زملاء آخرون من غير أبناء الملك ، إذ يبعد أن يكون مفضلا لدى الملك اكثر من أى طفل أو من أى غلام من أبناء الملك بالذات .

٣ — أن تربيته بداخل الجناح (خنو — ع) (أو بالجناح الداخلى؟ (٢) وبالحريم الملكى «إبت نيسو» تدل على أن داخل الجناح كان جناحا متميزا عن الحريم الملكى أو أنه كان على الأقل جزءا متميزا منه ، ويستخدم فيما يستخدم لتربية الأمراء ومن ينضم إليهم من أبناء المقربين والخاصة (٣) .

٤ — أن تخصصه الدينى الذى تشير إليه غلبة ألقابه الكهنوتية يدل على تنوع منهاج التربية بالقصر أكثر مما يدل على انحصاره فى ناحية واحدة . ذلك أنه يبعد أن يكون التعليم الدينى هو كل ما كان يتعهد القصر به تلاميذه الذين كان منهم أبناء الملك نفسه . ويضاف إلى هذا أن الوظيفة الرئيسية التى تولاها شبسسبتاح وهى رئاسة كهنة منف لم تكن دينية فحسب ، وإنما كان يفترض فى صاحبها إلمام بالفنون

= منها شريط طويل (Ann. Serv. XLII, p. 118 Fig. 22) وأضاف موريه فى مقاله السابق أن هذا التعبير كان تعبيرا تقليديا يتخذه من ربوا فى بلاط الملك (op. cit. 553) ، ويبدو أن جردسلوف قد تأثر به حيث قال إنها تعنى «devenir élève» وإن العصابة كانت مما يميز التلاميذ الشبان (op. cit. 118) — ومن الأمثلة عن هذا التعبير : Pyr. 1214b ; Urk. 198, 142, 250, 253 ; London 828 (M.K.); also AeZ. XLII, 142 ; Bull. Inst. XII, 126, pl. 1; Petrie, Dendereh, pl. 37 b.

— انظر أيضا Wb. V 189 = «den Gürtel umbinden» für mannbar werden ».
ويبدو أن المقصود بهذا التعبير هو الدلالة على أن صاحبه تعدى طور الطفولة وأصبح يتجمل ويلبس ملابسه بنفسه

(١) Urk. I,52

(٢) يرى جاردنر أن «خنو — ع» تتألف من كلمتين : «خنو» بمعنى داخل ، و «ع» بمعنى جزء أو منطقة ، وأنها فى الدولة الوسطى أصبحت تكتب (ع خنوتى) بنفس المعنى (Ancient Egyptian Onomastica, I, 44) — وعن هذه الأخيرة انظر ص ٢٠٣ هامش ١ . هذا وإن كان تركيب تعبير الدولة القديمة أقرب فيما نرى إلى أن يعنى داخل القاعة أو داخل الجناح أو ما أشبه ذلك ، على حين يعنى تعبير الدولة الوسطى معنى الجناح الداخلى انظر ملحق النصوص .

(٣) من متون أخرى للدولة القديمة ما يشير إلى صلة الخنو — ع بالملك نفسه ، فيقول متن واشبتاح إن الملك حينما بلغه نبأ وفاته انطلق إلى خنو — ع أى داخل الجناح (؟) (Urk. I, 42,15) — ويقول سابو من الأسرة السادسة أن الملك سمح له بالدخول إلى (خنو — ع) ليقدم له الناس من كل مكان « وهذا مالم يفعل مثله أى حاكم من قبل » (Urk. I, 83,14 f.) انظر أيضا (Ibid., 86,6)

أوبقواعدها بصفته «المشرف على فنانى (الاله) العظيم» و«كبير الفنانين فى الدارين» (١) وذلك فضلا عما ينبغى أن يتوفر لكبار الكهنة عادة من ثقافة كتابية . أما عمن يحتمل إشرافهم على تعليم أمثال شبسسبتاح فى القصر ، فهؤلاء كانوا فيما يبدو هم من ذكروا إشرافهم على تعليم الأمراء أنفسهم ، وهذا ماسيتناوله البحث فى ص ٢١١ + .

وشبيه بشبسسبتاح فى اتجاهه الكهنوتى وقريب العهد من عهده كان جاتى(٢)، وقد عاصر ثلاثة أو أربعة من أوائل ملوك الأسرة الخامسة . ولم يربط جاتى تربيته بداخل الجناح أو الحريم الملكى كما ذكر شبسسبتاح ، وإنما نسبها إلى الملك مباشرة فقال إنه سباتى نيسو(٣) . أما من كان هذا الملك الذى رباه ، أو علمه (بمعنى يسر تعليمه بالقصر) فهذا ما لم يذكره وما لا يتيسر القطع به على وجه اليقين (٤) . وتهيأ لجاتى أن يصبح الكاهن المرتل للملك(؟) و «المطلع على الكلمات الخفية للأقوال المقدسة» (٥) وأن يكون المتقدم لكبار القصر (فى الحفلات الدينية ؟) و «خادم العرش» و «المطلع على سر كتابة دار الأقوال المقدسة»(٦) . وقد لاحظ يونكر أن بعض هذه الألقاب التى اتخذها جاتى كانت مما تلقب به أبناء الملوك من قبل (٧) . وما يمكن إضافته إلى ذلك هو التنويه بأنه كان كاهنا متعلما ، وأنه كان يصح بالجمع بين تخصصه الدينى أو الكهنوتى وبين تخصص شبسسبتاح أن نفترض أن اهتمام ملوك الأسرة الخامسة بالدين هو الذى فرض على تلاميذ قصورهم أن يتجهوا الى التخصص الدينى ، لولا أنه يضعف هذا الفرض أن جاتى تلميذ الملك لم يظهر من ألقابه مايربط بينه وبين معابد الشمس التى اهتم بها فراعنة عصره أيما اهتمام .

وتلقب الكاهن الثالث خمتنو هو الآخر بلقب سباتى نيسو(٨) واتخذ ألقاب : عظيم (مدينة) به ، ومراقب الكهنة ، والمشرف على الكتاب ، ومراقب الختم . واتخذ آخر يدعو «منو» نفس اللقب أيضا «تلميذ الملك» وتلقب بلقب سكرتير مولاه وعدة ألقاب أخرى اصطبغت خمسة منها بصبغة كهنوتية . (٩)

وعبر رجل البلاط نفر حرن بتاح(١٠) وهو من عصر الأسرة الخامسة عن صلته بتربية القصر بتعبير

---

(١) Mar. Mast. C 1, p. 112 – ومما يشير إلى صلة شبسسبتاح الفعلية بالفنانين أن يقول «وأمتعت كل فنان» (Urk. I, 53,13)

(٢) H. JUNKER, Giza VII, 230 f. (بالجيم المعطشة)

(٣) see, Ibid., 235, 240. انظر ملحق النصوص .

(٤) ذلك أن أول ملك ذكره جاتى هو ساحورع وذكر أنه كان كاهنا مرتلا له ، ومن المستبعد أن كان مع هذا ربيبا له وهو لم يحكم غير مدة قصيرة ، فاما أنه كان ربيبا لوسر كاف أو لشبسسكاف من قبله .

(٥) Der Vorlesspriester, der die geheimen Worte der heiligen Schriften liest (JUNKER, op. cit. 233)

(٦) «der die Geheimnisse der geheimen Schriftn des Hauses der Gottesworte kennt» (Ibid., 236)

(٧) Ibid., 235-6

(٨) MARIETTE, Mastabas, p. 442. ولايذكر شيئا عن زمنه إلا أنه من الدولة القديمة انظر ملحق النصوص

(٩) Junker, Giza VI, 234

(١٠) L. BORCHARDT, Statuen und Statuetten (Cat. Gen.), 76 ويحتمل انه كان ابنا لرجل يدعى نفرحوتب شغل منصب مدير كتبة المزارع (Ibid., 227, Anm. 1)

« فى سبات ؟ نيسو » (١) أى المنتمى إلى تعليم (قصر) الملك . واتخذ ألقاب : السمير ، ومدير القصر ، وسكرتير القصر الملكى ، ورئيس العطايا فى قصر الحياة ، ومصدر الأوامر لرؤساء العطايا ، ومراقب الكهنة المطهرين . وكلها ألقاب تدل على وطيد صلته بالقصر .

ومن بداية عصر الأسرة السادسة يذكر « قار » وقد كان يدعى فى بلاط مرى رع باسم « مرى رع نفر » (٢) أنه كان غلاماً يعقد العصابة (؟) فى عهدتتى ، ثم « استقدمه ببى (من ادفو ؟) للتنشئة بين أبناء عليه القوم » (٣) . أما أهم المناصب والألقاب التى أهلته لها هذه النشأة فهى : السمير الوحيد ، ورياسة أبعاديات القصر ثم حكم اقليم إدفو . وما يستفاد من ترجمة قار هذا هو :

١ — تأكيد ما سبق استنتاجه من ترجمة حياة « شبسسبتاح من حيث اشتراك مجموعة من الغلمان معاً فى منهاج التربية أو التثقيف الذى كان ينظمه القصر .

٢ — أن هؤلاء الغلمان كانوا أساساً من أبناء علية القوم . وقد كان أبو « قار » الرئيس الأعلى لأراضى إقليم ادفو . (٤)

٣ — تنوع منهاج التربية أو التثقيف بحيث يؤهل لمناصب الحكام كما يؤهل لمناصب الكهانة ولمناصب البلاط ، وذلك مع ملاحظة أن قار اتخذ لقب « الكاتب » (٥) مما يشهد بتعليمه .

أما الثلاثة الوزراء فهم الوزير واشبتاح من عصر الأسرة الخامسة ، والوزير شماى وابنه الوزير إدى من عصر الأسرة السادسة (؟) . وقد ذكر كل منهم كما تقدم أنه « سزتى نيسو » بمعنى ربيب الملك . ولم يذكر واشبتاح اسم الملك الذى رباه ، وإنما يفهم من ألقابه أنه بلغ بفضل نشأته هذه فى عهد نفرير كارع أقصى مراتب العظماء فى عصره ، إذ بلغ الوزارة والإمارة والإشراف على منشآت الدولة والقصر ، كما احتفظ إلى جانب ذلك بصلته « ببيت الصباح » وهو بيت زينة الملك ، ثم بألقاب الكاهن المرتل الرئيسى والمطلع على سر أقوال الرب ورئيس كتبة الملك ، وكل ذلك مما يشير إلى صلته بالبلاط (٦) .

---

(١) انظر ملحق النصوص — وعن أهمية اللقبين الأخيرين وصلتهما بالبلاط يراجع : A.H. GARDINER, *The Mansion of life and Master of King's Largess,* in J.E.A., XXIV, 83 f.

(٢) H. KEES, in A.Z., LXIV, 93; also G. DARESSY, in Ann. Serv., XVII, 131 f

(٣) Urk. I, 251 f. — انظر ملحق النصوص .

(٤) A. MORET, The Nile and Egyptian Civilization (transl.) Lond. 1927, 211.

(٥) Urk. I, 253,6 — هذا ولو صح ما اسلفناه من رأى موريه وجردسلوف أن عبارة « كنت أعقد العصابة فى عهد .. » تدل على أن صاحبها قد ربى بالقصر وأنها تعنى التلمذة (ص ١٩٣) لأمكن أن يضاف حاكم مقاطعة آخر كان فى عهد ببى الأول «يعقد العصابة Urk. I, 250 — وقد ذكر وفى العبارة نفسها فى مستهل ترجمة حياته (Urk I, 98) غير أنه من المحتمل ألا تعنى هذه العبارة أكثر من تحديد سن معينة عاصر فيها المترجم له ملكا من الملوك إلا إذا صحبت بعبارة أخرى تؤكد صلته إبانها بالقصر .

(٦) يدل على وطيد صلته بالملك سماحه له بأن يقبل رجله بدلا من تقبيل الارض ، وهو الأمر الذى اعتز به شبسسبتاح ربيب القصر (Urk. I, 41, 10 ; 53,2) — ثم اهتمامه البالغ به يوم الإغماء عليه ووفاته . وفيما يختص بثقافة واشبتاح ، يلاحظ ما يرويه ابنه من أن الملك اصطحب أولاده ورجال بلاطه ليشاهدوا عملا أشرف عليه الوزير فأعجبوا به أيما إعجاب وذهب بعض الباحثين إلى أن هذا العمل كان عملا هندسيا ، فاذا صح هذا وصح قيام الوزير بالإشراف الفعلى على تنفيذه ، لدل على تنوع الثقافة التى نشىء عليها أو على الأقل التى وجه إليها .

أما شماى فقد كان وزيراً للملك نفركاو حور الذى يحتمل أنه أحرز بعض السلطة فى أواخر الاسرة السادسة (١) وفى ثلاثة مراسيم أصدرها هذا الملك ؟ وصف شماى بألقاب منها أبو الإله وحبيب الإله، وربيب الملك (سزتى نيسو) (٢) ، الوزير ،— ... ، ورئيس كتبة وثائق الملك... الأمير حاكم الجنوب، الكاهن المرتل الرئيسى ، ورئيس كهنة الإله مين... » كما كان من تكريم الملك له أن عين ابنه إدى خلفاً له إبان حياته فى حكم الجنوب وذلك تحت إشرافه، «وليعملا معاً كرجل واحد» (٣) ، ثم عين ابنه الآخر سميراً وحيداً ؟ وكاهناً فى معبد مين وذلك تحت إشراف أخيه حاكم الجنوب وأبيه الوزير . (٤)

وفى عهد الملك ؟ دمج اب تاوى أصبح إدى وزيراً وحاكماً للجنوب فى آن واحد ، وفى مرسوم أصدره هذا الملك ؟ لقب إدى بألقاب « أبو الإله حبيب الإله ، وربيب الملك ، ... الوزير (٥) .

وأن يتخذ الثلاثة الوزراء جميعاً لقباً واحداً وهو « ربيب الملك » أمر يحتمل تفسيره فرضين : فإما أن يكون اتخاذ كل منهم للقب يعبر عن حقيقة واقعة أى أنه ربى فى صغره تحت إشراف الملك فعلا . وإما أنهم أرادوا باتخاذهم هذا اللقب أن يشيدوا بفضل الملك الذى خصهم دون غيرهم بأكبر مناصب الدولة فى عهده أو الذى خصهم بتوجيهاته فى القيام بأعمالهم ، وحينئذ يكون معنى اللقب ربيب (إنعام) الملك ، أو ربيب (توجيهات) الملك ، أو ما أشبه ذلك .

ولكل من الفرضين ما يبرره وفى ذكر هذه التبريرات سنستعين إلى حد ما بأمثلة من غير الدولة القديمة . فالفرض الأول بصدق مدلول اللقب يبرره أن شماى لم يكن هو الذى ادعى اللقب لنفسه ، وإنما دعاه به الملك نفركاو حور فى مراسيمه . وكان الأمر على هذا النحو أيضاً فيما يختص بابنه- إدى حيث دعاه به الملك دمج إب تاوى . وفى اتخاذ كل من شماى وإدى للقب « أبى الإله وحبيب الإله » والإله هنا هو الملك فى الغالب ، ما يؤيد صلة كل منهما الفعلية بالقصر وأهله . ذلك أن من اتخذوا لقب أبى الإله من غير الكهنة قد حملوه على الأرجح لصلة القربى أو النسب بالفرعون الحاكم (٦) أو لقيامهم بتربية هذا الفرعون فى صغره (٧) ، أو لبلوغهم سناً تجعلهم فى منزلة الوالد له (٨) . وشماى يمكن أن تصدق عليه أية حالة من هذه الحالات الثلاث . فزوجته قد دعيت فى أحد المراسيم « بنت الملك

---

(١) A. MORET, *Trois Decrets relatifs à une Fondation pour une statue de Pepi II*, Jour. Asiat., 1916, 332.

(٢) Urk. I, 296 — انظر ملحق النصوص .

(٣) Ibid., 299

(٤) Ibid., 300, 3-4.

(٥) Urk. I, 304 f. ; A. MORET, Jour. Asiatic, 1917, 367

(٦) كان خوى السلف المباشر لشماى فى حكم الصعيد يتخذ نفس اللقب باعتباره حما الملك بيبى الأول (Dier el Gebrawi, I, 29 f.) وكذلك كان الأمر مع يويا حمى أمنحوتب الثالث
see, L. BORCHARDT, *Der aegypt. Titel « Vater des Gottes»*, Berichte Sachs, Ges., 1905, S. 254-270.

(٧) اتخذ هذا اللقب سنموت لقيامه بتربية الأميرة نفرو رع وكل من حقارشو وحقا رنحح مربى أبناء تحوتمس الرابع وأطلق اللقب كذلك على بعض أولياء العهود الذين أراد اباؤهم أن يكفلوا لهم سمعة أو سلطانا دينيا فى حياتهم (see Breasted, Anc. Rec., I, 424).

(٨) أمثلة ذكرها Wb I, 142,6 وذكر من أصحابها بتاح حوتب صاحب التعاليم .

الكبرى نبت » أى أنه اتصل بالقصر بصلة نسب (١)، وكبر سنه فى عهد نفركاو حور أمر محتمل، إذكان لابنه إدى من السن إذ ذاك ما سمح له بتولى منصب حاكم الجنوب، ثم إن تلقبه بلقب أبى الإله ولقب ربيب الملك فى آن واحد يحتمل معه أنه كان ربيباً للملك بيبى الثانى (السلف المباشر ؟ لنفركاو حور) ، فى فترة متقدمة من حكمه الطويل ، ثم ظل مقرباً إليه متصلا ببلاطه (الذى تزوج منه) حتى وقت تربية نفركاو حور (ولى العهد ؟) — وحينئذ شارك فى هذه التربية بالقدر الذى جعل ربيبه نفركاو حور ينزله منزلة الأب ويخاطبه به حتى بعد ولايته العرش، غير أن هذا كله الذى تحتمل صحته بالنسبة لشماى ليس فى حياة الوزيرين الآخرين شيء واضح يماثله .

أما الفرض الثانى بتفسير اللقب بمعنى ربيب (إنعام) الملك أو ربيب توجيهاته فتبرره أمثلة لاحقة من الدولة الحديثة ، حيث يوجد من وزرائها من قال إنه « كان يعمل تحت (إشراف) تعليم جلالته » (٢) ورخميرع الذى اتخذ لقب « ربيب الملك » ثم ذكر بعد مقابلته لمليكه وتلقى إنعامه عليه بالوزارة : « وحينئذ لم تعد حكمتى كما كانت، ومظهرى بالأمس قد تبدل (فى يومى) » (٣) وذكر من قول الملك له وهو يؤدبه بآداب الوزارة « هذه تعاليم ولعلك تعمل وفقاً لها » (٤) ويتضح من أمثلة الدولة الحديثة هذه أن المقصود بتربية الملك لوزيره وتعليمه إياه هو توجيهه ، وليس التربية أو التعليم بمعناهما الحرفى .

ولكن لماذا لم يتخذ كل الوزراء أو جلهم نفس اللقب وهم جميعاً من غير شك كانوا يعملون وفق أوامر الفرعون ويردون إليه كل ما يصيبون فيه من عمل ؟. وأضاف هرمان كيس احتمالا ثالثاً يضاف إلى هذين الاحتمالين، وهو أن يكون اللقب فى الدولة القديمة بديلا عن صلة الدم التى كانت تربط بين الملك وبين الوزراء من أبنائه . (٥) وهو احتمال مقبول دون شك إذا طبق على واشبتاح الذى ولى الوزارة فى أوائل الأسرة الخامسة أى على عهد غير بعيد بالأسرة الرابعة التى استأثر أبناء ملوكها بالوزارة ، ولكنه غير مقبول بالنسبة لوزيرى أواخر عصر الأسرة السادسة ، ولا يبرر عدم اتخاذ من أتوا فيما بين عهد واشبتاح وبين عهدهما من الوزراء لنفس اللقب . وليس من أمير اتخذ هذا اللقب غير ولد لرمسيس الثانى من زوجته نفرتارى . (٦) ومما يذكر أنه فيما بين الدولة القديمة والدولة الحديثة ، اتخذ أحد وزراء الدولة الوسطى وهو انتف إقر نفس اللقب (٧) ، وذلك مما يعنى اتصال التقليد بالنسبة للوزراء وإن ظل للنخبة القليلة منهم .

وندع الآن نصيب الوزراء من تثقيف القصور فى الدولة القديمة وغيرها ، إلى رأى للأستاذ إيتين دريوتون عن أهمية مدارس القصور ، يذكره للعصور الفرعونية جميعها دون تخصيص ، وهو أن اتخاذ

---

(١) Urk. I, 303, 2-3

(٢) للوزير بانحسى L.D. III, 200 c. — انظر ملحق النصوص .

(٣) A.H. GARDINER, *The autobiography of Rekhemere*, AZ LX, 64

(٤) Urk. IV, 1090 — انظر ملحق النصوص .

(٥) H. KEES, Kulturgeschichte des alten Orients, Aegypten, München, 1933, 199

(٦) Berlin 7347 — انظر ملحق النصوص — والطريف ان الوزير لدى العبرانيين كان يسمى «ابن الملك» أيضا (سفر التكوين ١٥ : ٢ ، الملوك : ٢٦)

(٧) A. WEIL, Die Veziere des Pharaonenreiches, Strassburg, 1908, S. 44

لقب « الكاتب الملكى » ، الذى يعقب بأنه كان واسع الانتشار ، كان يعبر عن تخرج صاحبه من مدرسة للقصر ، كما أن اتخاذ لقب « كاتب الإله » كان يعبر عن تخرج صاحبه من مدرسة ذات صلة بمعبد ما . (١) وهذا رأى خلاب فى حد ذاته وإن لم يكن من سبيل إلى الأخذ به على هذا النحو من التعميم . فعلى الرغم مما تأكد فيما سبق من قيام القصور الملكية بدروها فى التثقيف فى الدولة القديمة ، فإن لقب « الكاتب الملكى » فى عصرها كان قليلا جداً إزاء بقية ألقاب الكتبة ، بل وتحتمل الأمثلة المعروفة له كثيراً من الشك لبهشرها واحتمال قراءتها على صور أخرى غير مجرد « الكاتب الملكى » . (٢)

(ب) فى العصر الأهناسى :

أضافت وثائق العصر الأهناسى ضوءاً مناسباً على تربية وتثقيف أبناء الخاصة فى القصور الفرعونية ومع أمرائها . إذ يذكر خيتى ملك اهناسيا لابنه مريكارع عبارة لاتدع مجالا للشك فى اهتمام منهاج القصر بالتعليم الأدبى كأساس للثقافة ، فقال له « لا تفتك برجل تعرف فضائله (وسبق أن) جودت معه المتون » (٣) وعبر نفس الملك عن ضرورة إحاطة الملك نفسه بحاشية مثقفة بقوله : « عالم رب الضفتين ، وما ضل ملك وهو صاحب حاشية (مثقفة) » (٤) وذكر خيتى أحد حكام أسيوط من العصر ذاته أنه كان وريث جده لأمه فى حكم أسيوط ، وأن ملك أهناسيا الذى دانت أسيوط له بالولاء قد استقدمه إلى قصره « ورباه وهو (لا يزال) طفلا » (٥) وأنه كرمه بأن سمح له بأن « يتعلم السباحة مع الأمراء أبنائه » (٦) وأغلب الظن أنه لم تكن السباحة وحدها هى التى اشترك خيتى فى تعلمها مع أبناء ملك اهناسيا ، وقد رأينا اشتراكهم مع غيرهم فى تعلم القراءة ، وإنما يحتمل أنه خصها بالذكر لغرض فى نفسه (٧).

(ج) فى الدولة الوسطى :

تميز بين من ربوا فى قصور الفراعنة فى عصور الدولة الوسطى فريقان : فريق قليل العدد أكد أفراده رعاية الفراعنة لهم منذ الطفولة ، وفريق كبير العدد كان اللقب المميز لأفراده هو لقب « طفل جناح التربية ».

ومن الأسلوب الذى عبر به أفراد الفريق الأول عن روابطهم بالفراعنة يبدو أن الفراعنة كانوا يختارونهم منذ سنيهم المبكرة ليكونوا تبعاً خصوصياً لهم ، ولهذا كانوا يوالونهم بتوجيهاتهم وينشئونهم على ما يحبونه من معرفة وسلوك . والمعروف من هؤلاء أربعة على أقل تقدير ، وهم :

---

(١) E. Drioton, op. cit.,

(٢) L.D. II, 29 ; MAR., Mäst., p. 104 ; S. HASSAN, Excav. at Giza VII, 27 ; H. JUNKER, VI Abb 32 ; GARSTANG, Tombs of the 3rd Dyn., pl. XXIX ; FISHER, the Minor Cemetery at Giza, pl. 52, 1.

(٣) Pap. Petersburg 1116 Art., 50-51. وتراجع ص ٢٩٣

(٤) وإذا كانت ثقافة الحاشية بحاجة إلى استشهاد فإن ذلك ينم عنه قول القروى الفصيح لناظر الخاصة الملكية فى عصره «وأنت يا أكثر الناس معرفة إنك قد ثقفت وكملت» Peas., 260

(٥) Siut, V, 23 — انظر ملحق النصوص .

(٦) Ibid., 22. — انظر ملحق النصوص .

(٧) يحتمل وأنه قد أشار فى نصوص مقبرته ومناظرها إلى المعارك النيلية الظافرة التى شارك فيها ملك أهناسيا ضد ملوك طيبه المنافسين له ، قد أراد أن يقرن براعته فى النيل ببراعة مليكه فأشار من ثم إلى الزمالة القديمة بينهما فى ذلك . (أحمد بدوى : فى موكب الشمس ح٢ ص ٢)

١ — خنتى مسمت (١) ، وقد ربى فى قصر أمنمحات الثانى ، وكان « خادمه المخلص لوده » وسكرتيراً له . وقد قال عن ظروف تربيته « لقد جعلنى جلالته لدى رجليه فى عهد الطفولة ، وكان اسمى يذكر فى مقدمة أقرانى ، وكان جلالته يسائلنى (؟) ويقدر خلقى دائماً حتى صرت لديه (رجلا) يجىء فيعظم (قدره) ويمتدح فى يومه بأكثر مما امتدح فى أمسه » . ثم عدد وظائفه وأهمها صلته بالتيجان بأنواعها ، ويبدو أنه كان ذا دور حقيقى فى إعدادها وتزيين الملك بها . (٢) وعقب بعد ذلك بذكر مهمة أوفده الملك فيها وبلغ فيها أسوان بغية الاهتمام بأمور كهنة الصعيد الكبار . ومما يذكر أن الأخ الأكبر لخنتى مسمت كان يتولى أغلب مهامه من قبله إذ كان الأمين على التيجان ومزين الملك (٣) ، وعلى هذا يحتمل أن صلة خنتى مسمت بالبلاط وهو صغير عن طريق عمل أخيه به كانت هى أساس اختياره وأن الرعاية الخاصة التى أولاه الملك إياها كانت لإعداده ليكون من حاشيته وفى تبعه الخاص .

٢ — خنوم حوتب ، وقد عاصر سنوسرت الثانى وذكر أنه (نشأ فى القصر) ، وأنه تلميذ الملك (سبان حورنب تاوى) ، وأنه كان يعرف القواعد ، وأنه كان مستقيما حقاً مثل تحوتى (رب العدالة) ، وأنه صار رئيسا للديوان . (٤)

٣ — ايخرنفرة ، وقد ربى فى قصر سنوسرت الثالث ، وكان أرقى مكانة من سابقيه ، إذ تلقب بألقاب النبالة وأصبح رئيساً لبيتى الذهب وبيتى الفضة ورئيساً للختم . وقد أثبت على نصبه (٥) أمراً أصدره الملك إليه بأن ينوب عنه فى الإعداد لعيد « أبيه أوزير » وإحيائه فى أبيدوس وقد جاء فيه : « ... إن قلبى واثق من أنك سوف تعمل كل ما يرضى (قلب) جلالتى ، وذلك لأنك كنت (؟) فى الواقع تلميذى وغدوت ربيبى والشخص المتعلم (أو المتعلم الوحيد ٦) فى قصرى . وقد رقيتك سميراً وأنت (لا زلت) شاباً فى السادسة والعشرين ، لأنى رأيتك حاذق الفكر فصيح اللسان منذ مولدك ، وإنى مرسلك لأداء هذا (العمل) لأنى أعلم أنه ما من أحد (يستطيع) أن يؤديه سواك » . وفى أبيدوس ادعى ايخرنفرة علما دينياً قد يكون صادقاً فى ادعائه أو لا يكون إذ قال « وأرشدت ؟ كهنة المعبد إلى واجباتهم وعرفتهم النظام اليومى ... » ثم قام بما كلفه به مولاه .

٤ — نبى بوسنوسرت : وقد وصف تربية سنوسرت الثالث له بقوله « (إنى) من نما طفلا لدى قدمى الملك ، تلميذ حور رب القصر » (٧) وقد أهلته هذه التربية لأن يصبح فى عهده سميراً ، وفى عهد خلفه أمنمحات الثالث « كبير عشرة الجنوب » .

---

(١) Brit. Mus. St. vol. II, pl. VIII ; see A. ERMAN, H. RANKE, Agypten, 91

(٢) وعبر عن ذلك بعبارات رنانة : فهو من يتقى مقدمه حين إعداد التاج الأحمر وحين إظهار حور رب القصر . (وهو منعت نثرم وعمو) وتعنى هذه العبارة الأخيرة حرفيا « مربى الإله (أى الملك) فى القاعة الخصوصية » ، ولو أنه يقصد بها أنه من يتعهد الملك حين يأخذ زينته فى قاعته الخاصة ، إذ يحول دون اعتباره مربيا ماذكره عن تربية الملك له ، فضلا على أن لقب المربى كان أولى بالتقديم عما سواه من الألقاب .
(ولكن قارن (J.H. BREASTED, Anc. Records, I, 609

(٣) Brit. Mus. St. vol. II, pl. VII

(٤) A. ERMAN, « *Stelen aus Wadi Gasûs* », in AeZ, XX, 204. انظر النصوص

(٥) Berlin, 1204

(٦) يقرأها بلا كان ty_{w}' sb ; (in J.E.A. XXI, p. 3, n. 4) — ويراها فيكنتيف :
in the unique teaching = (m) sb ; t w' (t); see also K. SETHE Lesest, 74, 2
— انظر ملحق النصوص

(٧) A.M BLACKMAN, The Stela of Nebipusenwosert, in J.E.A. XXI, p. 3
— وانظر ملحق النصوص

ومما يضاف لأيام الدولة الوسطى على حذر ، ما تناهى إلى ديودور الصقلى من أنه عند ميلاد الملك سيزوسيس (سنوسرت الثالث؟) جمع أبوه إليه كل الأطفال الذكور الذين ولدوا معه فى نفس اليوم وخصهم جميعاً بتربية واحدة وتعليم متجانس (١) .

أطفال « الكا ب » (أوالكب) :

كان أطفال الكاب هم غالبية من انتسبوا إلى تربية قصور الفراعنةفى الدولة الوسطى — وكان اللقب المميز لهم هو«خردن كاب»(٢) و«خردنشدى»(٣) ومايشبه ذلك(٤) . ومن المترادف الأخير للقب يمكن ترجمته «طفل(أو ولد) جناح التربية» أو ما هو قريب منه ،خاصة وأن له مثلا صريحاً من الدولة الحديثة كتب بعلاماته الهيروغليفية مفصلة واضحة (٥) .

وبلغ من اعتزاز أصحاب هذا اللقب به أنهم كانوا يحتفظون به مهما تقدمت أعمارهم ومهما تنوعت مراكزهم وذلك على الرغم مما فيه من تعبير عن الطفولة . ويمكن التعرف على الجناح الذى انتسبوا إليه وعلى نظامه من عدة ألقاب اتصلت به ، وأهمها :

(ا) طفل كاب الحريم الملكى (٦)—وطفل كاب الملك (٧) وأطفال كاب القصر الملكى (٨) وطفل كاب (الملك) نب بحتى رع (٩)—وطفل كاب الأمراء (أبناء الملك) (١٠) .

---

(١) DIODORUS, 53

(٢) هذه هى الصورة الشائعة لكتابة اللقب ، وقد تبين E. LEFEBURE فى بحث له أن كلمة kp أو p ; k تخصص دائما بمخصص المسكن بما يدل على أنها تعنى بناية ما أو جزءا من بناية ، Sur différents mots et noms égypt., P.S.B.A. 13, 458 وذلك فيما عدا حالات نادرة حذف فيها هذا المخصص (A. MORET, Rec. Trav. XXXII, 154 f., pl. IV وكتب فى حالة واحدة بصورة الذراع المسلح (PIERRET, Etud. égypt. VIII, p. 81) وتحل محل صورة المبخرة فى كلمة كاب أحيانا علامات مختلفة مثل العين والكف والشفتين إلخ ، وذلك فضلا عن كلمة شد (ى) وحرف الدال الذى يمكن اعتباره اختصارا لها . (انظر النصوص) .

(٣) MAR., Cat. d'Abydos, 397

(٤) H.O. LANGE und H. SCHAFER, Grab-und Denksteine des Mittleren Reichs (Cat. Gen.) No. 20391. (انظر ملحق النصوص عن المترادفات السابقة)

(٥) PIERRET, Etude égyptologiques II, p. 100; PETRIE, in Anc. Egypt 1925, p. 107 (No. 1175).

(٦) MARIETTE, Cat. d'A bydos, 702; *compare also* BERGMANN in Rec. Trav., XII, 11-12.

(٧) Cairo 20030

(٨) From the New Kingdom, *see* J. DE LINAGE, «*L'acte d'établissement et le contrat de mariage d'un esclave*», in Bull. de l'Inst. XXXVIII, 221

(٩) DAVIES, Five Th. Tombs, 31, and, P.S.B.A., XXXV, 283

(١٠) MARIA MOGENSEN, Inscriptions Hieroglyphiques du Musée National de Copenhague, AAa 37, p. 55. وانظر ملحق النصوص عن المترادفات السابقة .

وهذه المُرادفات يمكن ضمها إلى المُرادفات السابقة لطفل جناح التّربية ، مع مراعاة ما تتميز به من ربط هذا الجناح بما سواه .

(ب) إميرا عخنوتى ن كاب (ومرافه : « إميرا عخنوتى ن شد (ى) ») (١) أى مدير الجزء الداخلى بجناح التربية .

(ج) إرى عت ن كاب (٢) أى حارس قاعة (؟) جناح التربية أو أمينها .

(د) احمس ن عت كاب (٣) أى المقيم (أو الحارس ؟) بقاعة (؟) جناح التربية .

(هـ) حكاى ن كاب (٤) أى ساحر أوراق جناح التربية — وهو لقب نادر الورود .

وندع مناقشة التّرجمة المناسبة للكاب للحواشي (٥) ، ونكتفى هنا بما يمكن أن يستنتج من الألقاب السابقـــة :

---

(١) Cairo 20556, 20614, 20693 *(see* Bull. de l'Inst., XV, 195) *and compare :* PETRIE, in Anc. Egypt, 1925 p. 127 (No. 1174).

(٢) Leiden V, 116 ; Leiblein, No. 447 (*see* Bull. de l'Inst. XV, 195)

(٣) MARIETTE, Cat. d'Abydos, 778, 872, 905 ; Cairo 20598

(٤) A.H. GARDINER, «*Professional Magicians in Ancient Egypt*», in P.S.B.A., XXXIX, 32 ; A. WIEDEMANN, B. PORTNER, Aeg. Grabsteine und Denksteine, I, No. 7 (M.R.). (وانظر ملحق النصوص عن الألقاب السابقة)

(٥) نستشهد فيما يلي بعدد من الآراء التى حاولت تعريف الكب (أو الكاب) وسوف نذكرها بحرفيّتها بقدر الا ستطاعة :

1) E. LEFEBURE, op. cit., p. 465 : « Un lieu secret dont les khrdw étaient susceptibles d'occuper des fonctions très diverses et souvent très élevées ». Ibid., p. 468 : « Le Kap soit un lieu de retraite dont ils (les enfants) étaient ou les attachés ou les familiers, soit une maison d'éducation dont ils étaient les élèves.

2) V. LORET, *Le titre Ahems-n-kip,* Proc. S.B.A. XIV, p. 205-6 : « une salle cachée ou destinée à cacher ».

ويرى لوريه أن هذا الكب قد يمثل المسكن الذى يسكنه الأمراء مع المشرفين عليهم (Ibid., 207) أو هو الحريم الملكى (Ibid., 208) ، أو هو المكان الخصوصى فى القصر وكان يستخدم مسكنا خاصا للفرعون ولكن يسكن فيه أولاده أيضا وربما امرأته وبقية حريمه (Ibid., 209) وربط «لوريه بين كلمة «كب» وبين الكلمات القبطية : كاب ، كوب ، خب = cacher, abriter, couvrir (Ibid., 205).

3) H. GAUTHIER. *Le Titre imy-r'* khnwty *et ses acceptions diverses* (Bull. de l'Inst. Fr., XV, p. 197 ; khrdw n kp = les enfants de la nursery.

4) Wb IV 105, Art Haus der Familie des Konigs, wo die Prinzen erzogen.

5) A.H. GARDINER, in J.E.A., XXVII, p. 57, n. 1 = child of the privy apartment, aloso in his Grammar 1927, p. 489 : k ; p = harim, nursery.

ويرى جاردنر أن اللقب يشير إلى أن صاحبه كان قد تربى مع الاطفال الملكيين . ويتجه بحثنا فى الصفحات التالية اتجاها فيه بعض الاختلاف عن الآراء السابقة ، وتكفى الإشارة هنا إلى أن ما اخذت به الآراء الثلاثة الأولى من تحميل كلمة كاب معانى السرية والتستر والخفاء ، هو موضع شك كبير ، إذ أن كلمة «كاب» التى تحمل هذه المعانى

(ا) كان الكاب جانباً متميزاً من القصر الملكى ، ولهذا غالباً ما كان يذكر وحده فى الألقاب . أما نسبته إلى الملك فليس من الحتم أنها تعنى أنه كان يخص الملك بالذات ، فالقصر كله للملك ونسبة أى جزء فيه إليه لا تعنى بالضرورة أنه يسكنه وحده . أما نسبته إلى الحريم الملكى فهذه يحتمل أنه كان فيها شيء من الصحة ولو على أساس قربه منه ، خاصة وقد مر بنا ما ذكره شبسسبتاح فى الدولة القديمة من أنه ربى فى داخل الجناح وفى الحريم الملكى معا . ثم تتبقى نسبته إلى الأمراء وهذه هى الأخرى مقبولة على أساس اشتراك الأمراء فيه مع غيرهم من الصغار ، ولكن أحياناً وليس دائماً .

(ب) أنه كان يتكون من جزء داخلى « ع – خنوتى » (١) ومن جزء آخر يدعى « عت » قد يكون قاعة خارجية (؟) له . (٢)

(ﺟ) أن جزءه الداخلى كان هو الأهم (٣) بحيث كان له مدير ذو ومكانة .

(د) أن قاعته الخارجية (؟) كان يقيم بها عدد من الموظفين لاشك وأنه كان من بينهم الكتبة (٤) ، فضلا عن الحراس أو الأمناء (إريو عت) .

(ﻫ) أن تعيين راق له أو ساحر يدل على أن من كانوا يربون فيه كانوا صغار السن فعلا . (٥)

ويبدو أن أكثر موظفى الكاب صلة بالأطفال وبتربيتهم كان هو مدير جزئه الداخلى ، وعلى الرغم من أنه لا يوجد نص يبين مهام عمله أو يحدد صلته بالأطفال صراحة ، إلا أن طبيعة عمله يمكن استنتاجها مما ورد عن مهام من حملوا مثل لقبه « إميرا عخنوتى » (٦) فى الأجزاء الأخرى من القصر و فى دواوين الحكومة العامة.

= والتى يرجع استعمالها إلى عصر الأسرة التاسعة عشرة (Wb V, 104) تخصص بصور أخرى أهمها ما يرمز إلى رجل متستر ، وهى الأصل فى الكلمة القبطية كوب (Ibidem) ، وذلك على حين لم تخصص كلمة «كاب» التى استعملتها ألقاب الدولة الوسطى بواحد من المخصصات السابقة و بمخصص الاختباء منها خاصة ، وذلك ما يوحى بأنها ذات أصل مخالف لأصل كلمة عصر الرعامسة .

(١) تراجع ص ١٩٤ هامش ٢ ورأى جارنر عنها بأنها تتألف من كلمتين بمعنى الجزء الداخلى :
'= region, part and khnwty = inner : adj. of khnw (Ancient Egyptian Onomastica, Oxford 1947, I, p. 44

(٢) عن معانى «عت» تراجع ص ١٦٤ هامش ٢ .

(٣) من رأى لوريه (op. cit., 206) أن khnwty أى الجزء الداخلى من « الكاب » كان يرتبط خاصة بالأطفال الملكيين وهو مرادف لكلمتى : harim and nursery

(٤) J. de LINAGE, op. cit., 221

(٥) كتبت لمخصص الطفل فى بعض الألقاب حروفه الهجائية كاملة « خ رد » مما يؤكد أنه يعنى طفلا (GARDINER, WEIGALL, Topogr. Cat., p. 38; Leiden F/ 95,8 (M.K.) وكان J. DE LINAGE قد رأى قراءة مخصص الطفل فى جميع الالقاب السابقة Ihms ولكن عارضه A.H. GARDINER, in J.E.A. XXVII, p. 57, n. 1 : (راجع ملحق النصوص)

(٦) وذكر رجل من الدولة الحديثة يدعى أحمس أنه مدير الجزء الداخلى (دون ربطه بجناح التربية) والمربى والمشرف على الحريم الملكى (Mem. Miss. VIII, 275, 19) وعدم ربط الجزء الداخلى بجناح التربية فى ألقابه يدعو إلى الشك فيما إذا كان مربيا فيه بالذات أم فى الحريم الملكى ..

فقد ذكر خنوم خوتب رئيس ع – خنوتى القصر فى عهد سنوسرت الثانى أنه « عرف القوانين ... وما تعدى التقاليد ... مقدم الحاشية » ، فضلا عن أنه « مستقيم حقا مثل تحوتى (رب القوانين والعدالة) » (١) وذكر موظف من الدولة الوسطى أيضا كان له لقب « رئيس الجزء الداخلى لديوان حامل الختم بالقصر أنه كان يرفع الحق إلى مولاه .... ويصدر التعليمات للحاشية عن الوقوف والجلوس » (٢) وذكر آخر من ذات العصر وكان « رئيساً للجزء الداخلى لديوان الوزير » أنه « قدم عظماء الصعيد وكان يضعهم على بطونهم » (٣) أى يرشدهم إلى طرق الانحناء أو السجود فى حضرة الفرعون ، ومعنى هذا أن أهم ما كان ينبغى أن يتوفر فى « رئيس الجزء الداخلى » فى القصر وفى غير القصر كان هو المعرفة بقواعد البروتوكول وإرشاد غيره إلى تطبيقها ، مما يمكن معه تسميته « بالتشريفاتى » . وبطبيعة الحال لم يكن هناك ماهو ألزم لربائب القصر من تعلم قواعد البروتوكول هذه (٥) غير أن تخصص هذا التشريفاتى فى قواعد البروتوكول لايمنع من احتمال إشرافه كذلك على تثقيف الأطفال بنواحى الثقافة الأخرى أو إسهامه فيها بنصيب ، فرجل يصدر أقرانه التعليمات لرجال البلاط (٥) لايبعد أنه كان على نصيب طيب من الثقافة ومعرفة القراءة والكتابة. وسوف نتبين أن كثيرين ممن تخرجوا من جناح التربية قد دللوا على تعلمهم باتخاذهم لقب « الكاتب » .

ومن عصر الأسرة الثامنة عشرة ذكر أحدهم عن نفسه أنه كان « رئيس مجندى جلالته الشبان (؟) الكثيرين وكذلك أطفال جناح الكاب » (٦) ورأى ألكسندر موريه فى هذا ما يعنى أن أطفال جناح التربية كانوا يخضعون لتنظيم عسكرى أو يتلقون تدريباً عسكرياً (إلى جانب تلقيهم نواحى الثقافة الأخرى) .

أما فيما يختص بالأوساط التى كان ينتمى إليها أطفال الكاب وبمستقبلهم حين تخرجهم منه فسوف نجمع فى ذلك بين « أطفال » الدولة الوسطى و « أطفال » الدولة الحديثة ، حيث ظل لقب « طفل الكاب » لقباً مميزاً لطائفة من أهل الدولة الحديثة والأسرة الثامنة عشرة على وجه الخصوص ، كما كان فى الدولة الوسطى (٧). وبالجمع بين الأمثلة المعروفة من العصرين يمكن أن نستخلص لهم الخواص التالية :

أولا – أنه لم يكن يراعى فى اختيارهم أن يكونوا أبناء طبقة معينة من الناس ، فقد عرف منهم أبناء كتبة (٨) ، وأبناء كهنة (٩) ، وابن لقاضى (؟) (١٠) ، وابن سيدة بالبلاط (١١) ، وأبناء وأقارب لقادة

---

(١) AeZ, XX, 204 (٢) Cairo 20571

(٣) Brit. Mus. 572 (SHARPE, Eg. Inscr. I, 80)

(٤) يلاحظ أيضا لقب إميرا عخنوتى ورن كاب(؟) واحتمال قراءته « تشريفاتى (القصر) وكبير الكاب» (PIERRET, Etudes égyptologiques VIII, C 13, pp. 5-6

(٥) see Cairo 20571

(٦) A. MORET, Monuments égyptiens du Musée Calvet à Avignon, (Rec. Trav. XXXII, pl. IV, p. 154 f. وهذا الرجل يدعى نب أمون وكان أخوه من أطفال الحريم

(٧) See W. HELCK, in J.N.E.S. 1955, p. 29 ولكن اختفت بقية القاب الموظفين المتصلين بالكاب بعد الدولة الوسطى . (H. GAUTIER, op. cit., p. 195)

(٨) ولدان «لكاتب الماشية» من عصر الأسرة الثامنة عشرة (LIEBLEIN, Dict. du noms, No. 1078) وابن لكاتب مجندين ، وقد كان الأب نفسه «طفل الكاب» (PIERRET, op. cit. VIII p. 13-14)

(٩) من الدولة الوسطى : ابن « كاهن وأب مقدس » (Leiden V, 91)

(١٠) See K. SETHE, in AeZ, XXXVIII, 54 f.

(١١) وهو من عهد أمنحوتب الثانى – وقد قدر له أن يصبح حاكم الاقاليم الجنوبية (W. HELCK, Eine Stele des Vizekonigs Wsr-Stt, in J.N.E.S. 1955 22 f.

كبار وصغار (١) . وكان هؤلاء الذين عرفت مناصب آبائهم قلة إزاء الكثرة الغالبة الذين لم يذكروا لآبائهم ألقاباً أو لم يذكروهم ألبتة . وهذا مما يدعو إلى تشككنا فى الفكرة المأخوذ بها حتى الآن عن استمرار الربط بين تربية هؤلاء الأطفال وبين تربية أمراء القصر الملكى بالضرورة (٢) .

ومن العبارات المصرية قليلة الورود التى يمكن الاستفادة منها فى هذا الوضع بطريقة أو أخرى عبارة « أبو الطفل » (إيت ن خرد) من الدولة الوسطى (٣) ، وتحتمل أحد معنيين : فهى قد تكون لقباً لمرب عام (راجع ص ١٠٢) أو تكون وصفاً تشريفياً لمن سمح القصر لولده بالاشتراك فى جناح الكاب به .

وعبارة أخرى قالت فتاة فيها من الدولة الوسطى كذلك « كنت أطعم مع الأطفال » فهل تعنى بذلك اشتراكها مع أطفال الكاب فى الطعام وفى التربية كذلك ؟ (٤)

ثانياً — أن كثيرين منهم ظلوا مرتبطين فى حياتهم الوظيفية بأجنحة القصر المختلفة ، فمنهم من أصبح تشريفاتى الديوان الملكى (٥) ومنهم من أصبح مربياً للأمراء (٦) ، ومنهم من عمل ساقياً (٧) ، ومنهم حملة المراوح (٨) ، ومنهم من ترأس جناح الجوارى (٩) ، ومنهم من أصبح كاتباً لبيت الأمراء (١٠) أو أصبح كاتباً ملكياً (١١) .

وتميزت تراجم عدد من أطفال جناح التربية فى عصر الأسرة الثامنة عشرة فضلا عن ذلك ، بأن زادت عن اللقب والمنصب عبارات أكدت فيها خدمة أصحابها للفرعون الحاكم ووطيد صلتهم به ، ومن ذلك أن قال من يدعى « نب ن كمت » رئيس الاسطبل إنه « من تبع مولاه فى كل رحلاته على الماء وعلى اليابسة وفى كل الأقطار الأجنبية » (١٢) وقال آخر يدعى محو إنه « تبع الملك فى سيره ولم ينفصل عن ركاب رب

---

(١) من عصر الأسرة الثامنة عشرة القائد أمنمحب وابنه (Urk IV, 911) وأخ لرئيس مجندى القصر (يراجع هامش ٦ ص ٢٠٤) — ومن الدولة الوسطى أخ لرئيس سفن موائد قرابين (؟) بيت المال (Cairo 20143)

(٢) انظر W. HELCK فى مقاله السابق — ويراجع هامش ٥ ص ٢٠٢

(٣) Cairo, 20520, 20352 (انظر ملحق النصوص)

(٤) MARIETTE, Abydos, 295

(٥) من الدولة الوسطى GARDINER, PEET, Inscr. of Sinai, pl. XXXI, No. 100 ومن الدولة الحديثة H. GAUTHIER, in Bull. de l'Inst. Fr. XVI p, 177

(٦) MARIETTE, Cat. d'Abydos 397; L.D III, 69; P. NEWBERRY in J.E.A. XIV, Fig. 4; Urk IV, 418.

(٧) من الدولة الوسطى Cairo 20160 (LANGE und SCHAEFER) ومن الدولة الحديثة LEGRAIN, Statues 42121, GARDINER, WEIGALL, op. cit. p. 32.

(٨) من الدولة الحديثة PIERRET, op. cit., VIII, C 93; Stele de Turin No. 165; Berlin, II, S. 24; Cairo 4126.

(٩) من الدولة الحديثة PIERRET, Rec. Inscr. eg. Louvre, II, 81

(١٠) R. ENGELBACH, A supplement to the Topographical catalogue of the private tombs of Thebes, Cairo 1924, No. 258

(١١) Berlin II, S. 321; GARDINER, WEIGALL, op. cit. Nos. 56, 102, 241.

(١٢) Urk. IV, 997, 6.

الأرضين » (١) . على أنه وجد إلى جانب هؤلاء الذين اتخذوا ألقاباً توضح صلاتهم بالقصر فريق آخر كبير العدد لم يتخذ أفراده أكثر من لقب « طفل الكاب » وهؤلاء يمكن أن نفترض أنهم استمروا في خدمة البلاط ولكن لم يتيسر لهم الترقى إلى مناصب هامة يذكرونها (٢) .

واهتمام القصر باستبقاء الكثيرين من أطفال جناح التربية فى خدمته وهم كبار أقرب إلى أن يؤيد ما سبق احتماله من أن تعليمهم آداب اللياقة وقواعد البرتوكول اللازمة لخدمة القصر ، كانت له أهميته فى تربيتهم ، وذلك فضلا عن تعليمهم الأدبى الذى سمح لبعضهم بأن يصبحوا كتبة .

ثالثاً — أن بعضهم كان له نشاطه خارج البلاط وولى مناصب هامة ، فمنهم من أصبح حاكماً للأقطار الجنوبية وتلقب تبعاً لذلك بلقب الأمير (ابن الملك) (سانيسو إميرا خاسوت رسى) (٣) ومنهم من كانت له أهميته فى الجيش(٤) وفى الكهنوت (٥) وفيما سواهما(٦) . وربما كان فى هذه الاتجاهات ما يزكى ما افترضناه عن تنوع منهاج جناح التربية واتجاه كل من خريجيه إلى ما هو أنسب لاستعداداته من أعمال .

ونخلص إلى الدولة الحديثة وحدها فنجد لتعليم القصور فيها ما يميزه :

فقد اتخذ من يدعى « تى عنخ » لقبين لهما أهميتهما وهما : « كاتب مدرسة القصر » (سش ن عت سبان برعا) « والمعلم الأول للقصر » « سباى ؟ حرى تب (حوت) عح » (٧) وإذا صحت هذه القراءة وهى ما يأخذ بها قاموس برلين (٨) ، لكانت صلة هذا المعلم بالقصر وبجزئه السكنى « (حوت) عح » (٩) بوجه خاص ، أقرب إلى أن توحى بقيامه بالتدريس الأدبى لأمرائه ، ولكن لما كانت العادة قد جرت على أن يحتفظ مدرسو الأمراء دائماً بلقب « معلم أبناء الملك » ويعتز به ، وهذا له أمثلته من كل العصور (١٠) ، جازلنا أن نفترض إلى جانب ذلك أن يكون تى عنخ معلماً لفريق من أبناء الخاصة اصطفاهم القصر وميزهم عمن سواهم من أطفال جناح التربية العاديين ، وإن كان هذا لا يحول دون افتراض اشتراك أبناء الخاصة هؤلاء مع الأمراء فى منهاج تعليمى واحد بنفس مدرسة القصر .

---

(١) PIERRET, Etude égyptologique, II, p. 100

(٢) قد يؤيد ذلك ظهور أكثر من واحد منهم على نصب واحد ، حيث أن الزمالة الدائمة بين اثنين أو أكثر منهم قد لا تتيسر إلا فى البلاط ذاته (Cairo, 20160, 20282) ثم تصوير بعضهم مع آخرين تدل ألقابهم على صلة فعلية بالبلاط MAR., Cat. d'Abydos, 702 ; Cairo 20391, Steles de Vienne, No. 71

(٣) يراجع هامش ١١ ص ٢٠٤

(٤) من الدولة الحديثة Urk. IV, 911 ; 997 FAKHRY, A Report on the Inspectorate of Upper Egypt, No. 367, in Ann. S. 1946.

(٥) Brit. Mus. St., Vol. VIII, pl. XXXIII, 1332.

(٦) رئيس الأعمال فى الكرنك L.D. III, 122 g. — ورئيس الأعمال فى طيبة A. Fakhry, op. cit. No. 343. Urk. IV, 418 ; DAVIES, Five Theban Tombs, 31, No. 1. (سن مين أخوسنموت)

(٧) E. SCHIEPARELLI, Mus. Archeol. di Firenze, Roma 1887, No. 1776 انظر ملحق النصوص .

(٨) Wb. IV, 85, 7, 9. وتراجع ص ١٦٧ هامش ٥ — ويقرن لقبه الأول بما سيذكر ص ٢٠٧ هامش ١ وص ٢١٣

(٩) See A. ERMAN, Aegypten und Aegyptisches Leben, Tuebingen 1886, 107.

(١٠) تراجع ص ٢١٢ ، ص ٢١٤

ويزكى تربية أبناء الخاصة فى مدرسة القصر مايذكره « ستاو » أحد من تولوا منصب حاكم كاش فى عهد رمسيس الثانى فى متن لم يبق من عباراته إلا أقلها ومنها أنه ... ربيب مولاه (أو العامل ؟ بتعليم مولاه) وأنه كان كاتباً فى المدرسة أو كاتبا (تخرج) من المدرسة : « سش م عت سبا » (١) .

وعلى أية حال فقد عرفت قصور الفراعنة فى الدولة الحديثة جماعة من أولئك التلاميذ المتميزين الذين عرفتهم قصور فراعنة الدولتين القديمة والوسطى وهم الذين نسبوا تربيتهم أو تعليمهم للملك مباشرة دون أن يذكروا لهم صلة ما بجناح التربية ، ومن هؤلاء ثنتا « قرين ركاب رب الأرضين فى كل مكان انطلق إليه وتلميذ (أو ربيب) رب الأرضين ذاته »(سبا ن نب تاوى زسف) (٢) ، وخروف الكاتب الملكى والمشرف على الدائرة (؟) وقد كان تلميذاً للحاكم ذاته أيضاً (سبا ن إتى زسف) (٣) ، وامنحوتب ابن حابو الذى ذكر أنه ربيب الملك الحقيقى « سزتى نيسو ماع (؟) (٤) ، ثم من ادعوا العمل بتعليم (أو بإرشاد) الملك « إر خرى ع سبان حمف » ومنهم كبار الكهنة (٥) ومنهم الوزراء(٦) ، ومن تتلمذوا على أخناتون فى مذهبه الدينى (٧) ، ثم جماعة ربطوا طفولتهم بتبعية الفرعون الخاصة ومن هؤلاء « من خبر رع سنب » الكاهن الأول لأمون ، وقد كانت أمه أختاً بالرضاع لتحوتمس الثالث ، وذكر عن نفسه أنه « من نشأ طفلا حيث وجد المولى » (٨) وأنه « من تخيره رب الأرضين لصفاته ، ... ، وعظمه وهو لايزال طفلا فطيما »(٩) وقد أصبح « رئيساً لأتباع جلالته وهو طفل... »(١٠) . ويشبه من خبر رع سنب فى هذه النشأة إلى حدما « أمنمو بى المدعو بانحسى » وقد ذكر هو الآخر أنه « نشأ طفلا حيث وجد جلالته »(١١) .

وأخيراً ومما تقدم جميعه عن تربية قصور الفراعنة لأبناء الخاصة والمتصلين بالبلاط فى العصور المختلفة يمكن تلخيص أهداف القصور من هذه التربية فى ثلاثة أهداف ، وهى :

١ — بث روح الولاء للفرعون ولأسرته التى تتكفل بهؤلاء الأبناء التلاميذ فى جناح من القصر قد

---

(١) H. GAUTHIER, Steles trouvées à Ouadi es-Saboua (Nubie), in Ann. Serv. XI, 79, (II, 5, 4) وتراجع ص١٦١ وملاحظة ٨ ص ٢٠٦ وانظر ملحق النصوص .

(٢) K. PIEHL, *Inscriptions hiéroglyphiques*, pl. CVIII-CIX. وآخر قريب العهد منه (Urk. IV, 503). وانظر تا تلميذ جلالته سبا ن حمف ورئيس خيالة الفرعون see also, J.E.A., XVIII, 59.

(٣) Berlin 2298

(٤) Cairo, 583, 6, وانظر ملحق النصوص عن الألقاب السابقة .

(٥) كبير كهنة أمون روى L.D. III, 200 a.

(٦) الوزير بانحسى L.D. III, 200 C. والوزير باسر J. Duemichen, Historische Inschriften, I, 41.

(٧) Berlin, 20376 ; Amarna VI, pl. XV, 10 ; XXI, 27 (also XXV, 14 ; XXI, 23. Anc. Records, II, 1008 ; SANDMANN, Texts from the time of Achenaten,, 91, 18 ; 99, 9-10 ; 100, 13-15, 98, 15 f. ; DAVIES, The tomb of Neferhotep, I, pl. IX, 12.

(٨) Urk. IV, 993.

(٩) N. de G. DAVIES, Tombs of Menkheperrasonb and others, 1933, p. 13.

(١٠) K. PIEHL, Textes inédits provenant du Musée de Boulaque, 3.

(١١) PIERRET, op. cit., VIII C 65 ; see also Turin 153 ; Sinai 31, 100.

يكون على اتصال بجناح الأمراء أو يكون على اتصال بجناح الحريم . ويبدو أن هذا الهدف كان يتحقق فى كثير من الأحيان بحيث نجد من أولئك التلاميذ من يقول إنه كان « براء من مخالفة مولاه الذى رباه منذ الصغر (١) » ومن يقول « إنه الشخص المخلص لمن كمله » ويقصد بذلك فرعون عصره (٢) .

٢ — تكوين تبع خاص منهم للفرعون ، وقد تقدمت الإشارة إلى بعضهم ممن تربى « لدى قدمى الملك » ومن كان « رئيساً لأتباعه » و « من لم ينفصل عن ركاب مولاه ».

٣ — تزويد البلاط بالأتباع الأكفاء المخلصين وقد تقدم ما يدل على استمرار كثير من أطفال جناح التربية فى خدمة البلاط نفسه .

ودلت سيرة «شبسسبتاح » و «قار »فى الدولة القديمة ، والأمير «خيتى »فى العصر الأهناسى على أن تربية القصر كانت قد قامت أساساً على إشراك أبناء العظماء مع الأمراء فى منهاج تربوى وتثقيفى واحد ، ولكن يبدو أن هذا الوضع أصابه شيء من التغيير منذ الدولة الوسطى بعد أن وسعت القصور طوائف أخرى من غير أبناء العظماء وأبناء الحكام ، فلم يعد جميع تلاميذ القصر يشاركون الأمراء تربيتهم وتثقيفهم بالضرورة ، وإنما أصبحت الغالبية منهم تنسب إلى الكاب فحسب ، أى إلى جناح التربية (٣) .

ولعل فى ذلك ما يشرح ما رواه ديودور الصقلى ، أو ما سمعه ، عن حرص الملوك المصريين على أن تكون حاشية أولياء عهودهم من أبناء أشهر العائلات.. ، وعلى ألا يكون بينهم عبد واحد مشترى أو مولد ، حتى يتعود ولى العهد ممن حوله حميد الخصال وحتى لايجد من بطانته من يوسوس له بالدنايا .

ويمكن أن يذكر على سبيل المقارنة ما اعتادته قصور الحكم فى بعض المجتمعات القديمة الأخرى ، ومنها أن المقدونيين كانوا يطلقون لقب «الأطفال الملكيين »على أبناء كبرى العائلات المختارين لخدمة الملك فى قصره . كما ظلت تربية «الرفاق » مع أولياء العهود قائمة فى أوربا فى العصور الوسطى (٤) .

وقد سلف ترجيح اعتماد ثقافة تلاميذ القصر أساساً على الثقافة الأدبية أى ثقافة الكاتب ، وعلى التأدب بآداب اللياقة وتقاليد القصور ، وانبنى هذا الترجيح بالنسبة للثقافة الكتابية على أساس أن المصريين لم يكونوا يعرفون لشخص مكانته بغير ثقافة الكاتب ، وعلى أن الكثيرين من تلاميذ القصور قد اتخذوا لقب الكاتب وتولوا مناصب لا يقوم بها إلا من له ثقافة كتابية ، ثم على ما ورد من متون العصر الأهناسى مما يثبت اشتراك أبناء العظماء مع الأمراء فى إنشاد المتون وتجويدها ، وأخيراً على لقبى « تى عنخ » : « كاتب مدرسة القصر والمعلم الأول (؟) للقصر » . أما ترجيح الأساس الثانى وهو تعلم آداب اللياقة وتقاليد القصور فينبنى على ما عرف من تقديس القصر الفرعونية لهذه الآداب والتقاليد (٥) ، وعلى أن ترجيح تخصص «رئيس الجزء الداخلى للكاب »فيها شأنه فى ذلك شأن غيره من رؤساء «العخنوتى » فى الديوان الملكى ودواوين الحكومة . ولا يبعد أن تعليم هذه الآداب والتقاليد كان يتم فى بعض مراحله عن طريق إشراك التلاميذ فى

---

(١) Siut, V, 23.

(٢) AeZ, X, 63 ; see also XX, 204.

(٣) see, P.S.B.A., XIII; 466.

(٤) Ibid., 468 ; and see A. MORET, in J. Asiat, 1917, 368

(٥) ورد فى قوانين حورمحب تعبير «كلمات القصر» وتعبير «قوانين البوابة » .

الوظائف التشريفية بالقصر بحيث يكفل لهم هذا التعود والتطبيق المباشر لآداب اللياقة وتقاليد القصر من ناحية، كما يكفل لهم الصلة المباشرة بالملك وعظمائه من جهة أخرى. ويرسم ألكسندر موريه (١) صورة محتملة لما كان يوكل إلى تلاميذ القصر من هذه الوظائف التشريفية. ولو أنه لم يذكر أمثلة أو مصادر تزكي هذه الصورة، وهو ما سوف نضيفه من عندنا. فهو يراهم يتخصصون في وظائف بيت الصباح «بردوات» (٢) حيث يأخذ الملك زينته كل صباح وحين الخروج إلى احتفالاته، فيكونون الأمناء فيه على التيجان والصوبجانات (٣) والأسلحة الخاصة والمراوح التقليدية، ثم يكون منهم من يخرج في معية الملك في الحفلات الدينية (٤) والرسمية (٥) بمثابة حرس شرف له وحملة للمراوح الصغيرة على يمينه (ويظهر على هذه الصورة أبناء الملوك الرعامسة). وإذا كان تتابع الأحداث في قصة سنوهي صحيحاً، لدل ما ورد فيها عن استقبال الأمراء الصغار إياه عند باب القصر الداخلي من قبل أن يعرفوه (٦)، على أنهم كانوا يقومون بمثل ذلك عند استقبال الشخصيات العظيمة والمقربة لأبيهم، ولا يبعد حينئذ أنه كان يشاركهم في هذا العمل رفاقهم من ربائب القصر، فيكون في ذلك ما فيه من تكريم الزائر ثم إتاحة الفرصة لتلاميذ القصر الشبان ليتعرفوا على الشخصيات الكبيرة في الدولة. ويقول في ذلك أحد من ربوا في قصر الملك في العصر الأهناسي «كنت المحبوب من الملك والمعروف من كبرائه» (٧).

وعني الفراعنة في عصور التوسع الخارجي بتربية عناصر جديدة من الأطفال والشبان الأجانب، إلى جانب من سلف ذكرهم من طوائف الأطفال المصريين. وكان هؤلاء الأجانب فريقين:

١ — فريق أبناء الحكام من أمثال من ذكرت حوليات تحوتمس الثالث عن بعضهم أن جلالته «استقدم أبناء الكبراء وإخوتهم ليكونوا ودائع على أرض مصر حتى إذا هلك أي واحد من أولئك الكبراء عمل جلالته على إيفاد ابنه ليقوم على مكانه» (٨) وهؤلاء لا شك في أنهم كانوا يلقون معاملة خاصة، وأن برنامج تربيتهم كان يوضع بحيث يكفل تشبعهم بالتقاليد المصرية وتقاليد القصور ونظم الحكم والإدارة، وحتى يكفل تقديرهم لميزات الحضارة المصرية وولاءهم للفراعنة. غير أنه في حدود المعلومات المعروفة عنهم إلى الآن لا يتيسر تقرير ما إذا كانوا ينزلون في قصور الفراعنة نفسها بحيث يشاركون تلاميذها المصريين تربيتهم أم أنهم كانوا يتوزعون على الحواضر والمراكز الثقافية الكبرى في البلاد. (٩) ولا يتيسر أيضا تقرير ما إذا كانوا

---

(١) A. MORET, *L'éducation d'un prince égyptien de la IXe dyn.*, Acad. des inscriptions et belles lettres, Compte rendus des séances, Paris, 1927, 267 f.

ولم يذكر موريه أمثلة تزكي هذه الصورة، ولو أن فيما ذكرناه في صفحات بحثنا ما يبررها.

(٢) كان «قار» سكرتيرا لبيت الصباح» Urk. I, 252

(٣) Brit. Mus. vol. II, pl. II, VIII — تراجع ص ٢٠٠

(٤) تراجع ص ١٩٥ (عن جاتي). (see Wb. I, 370)

(٥) كان من ألقاب شبسبتاح لقب تابع البلاط «شمسون خنو»

(٦) A. ERMAN, Die Literatur der Aegypten, 53

(٧) Siut V, 20

(٨) MARIETTE, Karnak, 13,11 7-8.

(٩) تذكر نصوص الحملة الأولى أن أبناء حكام (؟) مدن رثنو العليا الذين حصرهم الملك في مجدو وأتى بهم أسرى إلى مصر قد أودعوا في swhn m Ipt وهذه رآها برستد (Anc. Records II, p. 170b) عبارة عن حصن أو سجن حجزوا فيه كرهائن ثم رأى أن هذا كان نفس مصير أولئك الذين تذكرهم نصوص الحملة =

يعلمون اللغة المصرية قراءة وكتابة فى دروس منظمة أم أن تعلمهم لهذه اللغة كان يترك للظروف ولاختلاطهم بغيرهم من أهل البلاد (١) . وعلى أية حال ومهما كانت تفاصيل مناهج أبناء الحكام الأجانب وأماكن نزولهم ، فقد آتت تربيتهم ثمارها فخلقت حكاما موالين حفظوا الود والولاء لمصر إلى حد مقبول .

على أنه مما يجدر التنويه عنه أنه فى متون الدولة القديمة ما يحتمل معه أخذ فراعنتها بشىء من هذه السياسة إذ يذكر من يدعى « ببى نخت » أن جلالة مولاه (ببى) أرسله إلى بلاد النوبة ليهدئ « رسحتب » هذه الأقطار (٢) فأتم ذلك بما أرضى مولاه إلى غاية الغاية ، وعاد من هناك إلى البلاط بعد أن استقدم رئيسى هذه الأقطار فى سلام وخيرات كثيرة ، مع « أبناء الحاكم (مسوحقا) ورئيسى أهل الحاشية (؟) الذين كانوا معهم » (٣) ويلاحظ هنا أنه لم يذهب لإخضاعهم وإنما لتهدئتهم كما يقول (على العكس مما سجله عن حملات حربية أخرى) وذلك مما يوحى بأن أبناء الحاكم الذين أتى بهم لم يكونوا أسرى وإنما أشبه بودائع . ويحتمل من وجه آخر أن اهتمام فراعنة عصور الدولة الحديثة بتربية أبناء الأمراء لم يكن قاصرا على أبناء الأقطار الشمالية وإنما امتد إلى أبناء النوبة كذلك . وينبنى هذا الاحتمال على اتخاذ أحد حكام النوبة السفلى الوطنيين لقب «طفل الكاب» (٤) .

٢ — والفريق الثانى الذى اهتمت قصور الفراعنة بتربيته من الأطفال والشبان الأجانب ، يغلب على الظن أن أفراده كانوا يختارون من بين الأسرى ورقيق الجزى ، ثم يوزعون على دور الحريم الملكية المتعددة ويؤهلون لخدمة البلاط فى أغلب الأحوال . ومن القرائن الدالة على ذلك رسالة وجهتها إحدى سيدات حريم «مرور» إلى الملك سيتى الثانى تشكر فيها الشرف الكبير الذى أولاها الملك إياه «حين أوفد اليها عددا من الناس لتعليمهم وتثقيفهم وليقوموا (بعد ذلك) بتلك المهمة السامية » ووصفت اولئك النفر الذين أرسلو إليها بأنهم « أولاد كبار (أو أطفال الكبراء)وأنهم جميعا «أجانب مثل أولئك الذين كانوا يجلبون إلينا فى عهد «وسر ماعت رع — ستب ن رع » ثم ذكرت أنهم قالوا لها ولمن معها من الحريم

=السادسة هامش ٨) (Ibid., p. 198, d..) ولكن يبدو أن أبناء الحكام الذين أسروا فى مجدو كان غير حال أبناء الحكام الذين استقدمهم تحوتمس معه فى حملته السادسة فالأولون أسرى ، والأخارى مجرد ودائع كان فى عزمه أن يرجعهم إلى بلادهم محببين له ، ولهذا يبعد أنه كان ينزلهم فى الحصون أو السجون . ويلاحظ كذلك أن نصوص الحملة السادسة فصلت بين أعداد أبناء الحكام هؤلاء وبين أعداد من سواهم من الأرقاء ذكوراً وإناثا .

وذكر فى قرار هبة من الفرعون « إى » لأحد أعوانه الأجانب اسم ضيعة « حقل الحيثيين » بجوار منف وهذه يحتمل أنها كانت مقطعة لجماعة من الأمراء الحيثيين ربوا فى مصر . وإذا صح هذا الاحتمال فإن تعليمهم يكون فى منف أوفى عين شمس أقرب المراكز الثقافية إليهم (S. HASSAN, The Great Sphinx, Cairo 1953, p. 102) ولو أن هناك احتمالا آخر لتسمية « حقل الحيثيين » وهو أن يكون من قاموا بإعداده من الأسرى الحيثيين

(١) فى الآداب المصرية ما يشير إلى تعلم الأجانب للغة المصرية فيقول « إن الزنوج ليعلمون لغة أهل مصر وكذلك السوريون وكل الأجانب» (Boulaq IV 9,6) ، ولو أنه يلاحظ مع ذلك أنه فى عهد أمنحوتب الثالث وابنه على الأقل كانت الرسائل ترد من الحكام الموالين لمصر بالخط المسمارى والأسلوب البابلى .

(٢) Urk. 1,134 ; J.H. BREASTED, Anc. Records I,359. (انظر ملحق النصوص)

(٣) see also, BREASTED, A History of Egypt, p.1046, 141

(٤) A. WEIGALL, A Report on the Antiquities of Lower Nubia p. 126 (see, Bull. de l'Inst. Fr., XV, 196).

«لقد كنا كمّا فى بيوت العظماء » ثم ختمت رسالتها بما يفيد توفيقها فى أداء مهمتها وبأنهم «قد تلقوا التثقيف وأصبحوا قادرين على أداء كل ما يقال لهم »(١) . وأغلب الظن أن حريم «مرور» فى الفيوم لم يكن وحده الذى يوكل إليه تثقيف الأجانب ، وإنما كانت تشاركه فى ذلك بعض الدور الملكية ، وربما شاركته إدارات المعابد الكبيرة أيضا وقد كان نصيبها من الأسرى والأرقاء نصيبا موفورا . ولم تكن تربية الاجانب فى القصور الفرعونية تقف بالأذكياء منهم — على أقل تقدير — عند حدود الخدمة فيها ، وإنما كانت تؤهلهم أحيانا لمختلف وظائف الدولة . (٢)

ثانيا : تثقيف الأمراء والقائمون به :

(ا) فى الدولة القديمة :

لم يشر أحد من ملوك الدولة القديمة أو أمرائها إلى كيفية تعليمه وتثقيفه ، ومع ذلك فهناك أكثر من سبب يدعو إلى ترجيح أخذهم من العلم والثقافة بنصيب مقبول . فهناك أولا ماتقدم عن ثقافة أبناء الخاصة الذين اشتركوا معهم فى تربيتهم ، ومن المعقول ألا يقل اهتمام الفراعنة بتثقيف أبنائهم عن اهتمامهم بتثقيف أبناء غيرهم إن لم يكن يزيد . وهناك ما ذكر عن معرفة بعض الملوك للكتابة «بإصبعيه» وقراءته للرسائل الخاصة الواردة إليه (٣) ، وكتابته بنفسه ماتميل نفسه إليه من الآداب (٤) . وهناك ماهو معروف عن اشتراك أمراء هذه الدولة القديمة فى حكم البلاد اشتراكا فعليا بحيث كان منهم الوزراء وكان منهم قادة الجيش وكان منهم رجال الدين وكان منهم من يجمع بين هذه الاختصاصات جميعها (٥) . وما من شك فى أن إسناد هذه المناصب والاختصاصات إليهم كان يستدعى شيئا من الإعداد الذهنى والعملى أيضا ، ويؤيد ذلك ماتقدم من أن أقدم تماثيل الكتاب المعروفة هى لأمراء (ص ١٢٨) ، ثم إن هناك أخيرا ما تواتر عن نبوغ بعض الملوك والأمراء فى أنواع معينة من العلوم والمعارف . (٦)

---

(١) A.H. GARDINER, Ramesside administrative documents, London 1940 14-15, also, The Harem at Miwer, J.N.E.S. 1953. 145 f. أنظر ملحق النصوص .

(٢) راجع عن أجانب تولوا وظائف هامة فى الدولة : L.D. III 122g ; Mar. Cat. d'Abydos 1055 ; AeZ. LVI, 69 f. ; Amarna VI, pl. 20 ; Louvre 7 ; Pap. Anastasi V, 24,4.

(٣) Urk. I, 60 ; 179 انظر أيضا H. JUNKER, Giza VII, 233

(٤) Pap. Petersburg 1116 Brt. 16

(٥) من الأمراء الوزراء فى الأسرة الرابعة : كانفر ونفرماعت ونى كاورع وحميونو وميننيونو ، ومن القادة : رع حوتب ومرإب فى الأسرة الرابعة ، وعنخ إسسى فى الأسرة الخامسة ، ومن كبار كهنة عين شمس رع حوتب وكانفر ومراب .

(٦) راجع ص ١٣٧ ، ٢١٧ ويضاف إليهما ما يرويه مانيتون من أن الملك أثوتس أحد ملوك الأسرة الأولى ألف كتابا فى التشريح FHG II 559 ; Kees, Kultur. 306 وأن الملك ثوسوثروس Tosothros من الأسرة الثالثة (؟) كانت له توجيهاته فى تصوير الحروف الكتابية ، وأن الملك كاكاو وضع كتابا فى القانون . FHG, op. cit. ; see G. MASPERO The Dawn of Civilization, translated by M. CLURE, London 1896, p. 238 ; H. BRUGSH, Egypt under the Pharaohs, translated by M. Brodrick London 1902, p. 27-28.

وفيما بين صمت تراجم الملوك والأمراء عن الإدلاء بكيفية تثقيفهم من ناحية، وبين ترجيحنا أخذهم من الثقافة بنصيب من ناحية أخرى، توجد ألقاب «كابوبتاح» ذلك الذى جمع بين الإشراف على دار (؟) الرضاعة (ص٢٥) ورئاسته للمربين (ص ١٠٣) فضلا عن كونه «معلم؟ أبناء الملك» (١)، وإن لم يكن من اليسير التعقيب بشىء عما تكفل كابو بتاح بتعليمه لهم. ثم معلم آخر من رجالات عصر الأسرة الخامسة يدعى إرسخو ذكر أنه كان مدير تعليم أبناء الملك من صلبه «أو مدير معلمى أبناء الملك من صلبه» (٢) وأنه «قائد السفينتين المقدستين» (٣) و «قائد العسكر» و «رئيس رجال الأسطول الملكى» (٤). ويسترعى النظر فى شأن هذا المعلم أو رئيس المعلمين غلبة الصبغة العسكرية على ألقابه – مع عدم تلقيبه بلقب الكاتب – مما يدعو إلى الظن بأن دوره فى تعليم الأمراء قد اقتصر على تثقيفهم بالثقافة العسكرية. ولو صح هذا لكان فى تلقى أمراء الدولة القديمة للثقافة العسكرية ما يبرر إسناد المناصب العسكرية إليهم (٥)، ولكان فى ذلك سابقة قديمة لما ستبينه فى الدولة الحديثة من اهتمام ملوكها بتثقيف أبنائهم بالثقافة العسكرية وإيكالهم أمرها إلى العسكريين من رجال دولتهم (ص ٢١٥+). على أنه إذا قرئ لقب ارسخو من ناحية أخرى «مدير معلمى أبناء الملك» لكان فى ذلك ما يحتمل معه أن من مرءوسيه المعلمين من تولوا تعليم الأمراء نواحى الثقافة الأخرى والأدبية منها بخاصة، وأن إشرافه عليهم كان لأهمية مركزه.

أما فيما يختص بتنظيم شئون دراسة القصر فى تلك العصور فيوجد لقبان: لقب «مدير كتبة الوثائق الملكية للتعليم (؟) الملكى» (٦) ويدعى صاحبه سشم نفر (الثانى) وهو من عصر الأسرة الخامسة ويتخذ لقبا آخر وهو «المشرف على كل الأعمال الملكية». ثم لقب «كاتب أبناء الملك ومفتش كتبة التعليم (؟)» (٧) وصاحبه من عصر الأسرة الخامسة كذلك. ولو صحت قراءة اللقبين كما أسلفناهما، وأولهما

---

(١) W. HELCK, Untersuchungen zu den Beamtentiteln den ägyptischen Alten Reiches, 109 Anm. 15. انظر ملحق النصوص

(٢) S. HASSAN, Excavations at Giza, vol. VII, p. 65 f. – ملحق النصوص

(٣) يجمع بين هذا اللقب وبين لقب حامل ختم الإله (وعن اللقب: see, A. FAKHRY, *The Stela of the Boat, Captain Int-kaf,* in Ann. Serv. XXXVIII p. 37 f.

(٤) وبقيت خطوط قليلة من صورتين منقوشتين لهذا المعلم على جانبى باب وهمى بمقبرته (S. HASSAN, op. cit. Fig. 56)

(٥) جدير بالذكر أن أحد أبناء الملك اسسى ويدعى كامثنت كانت له الألقاب نفسها أى رئاسة الجيش وقيادة البحر وحمل ختم الإله، ليس كألقاب تشريفية وإنما ألقابا فعلية حيث يذكر حادثة أنقذ فيها أباه من عاصفة هوجاء فى النيل إثر عودته من رحلة إلى وادى الحمامات فى حين عجز بقية رجال أبيه عن إنقاذ سفينته Urk. I, 182 f.; ERMAN, RANKE, Aegy. 564 وقد اتخذ كامثنت لقباً يقرأه HELCK, op. cit. معلم أبناء الملك فى حين ينكر هرمان يونكر هذه الترجمة ويراها تعنى رئاسة الأسطول – انظر هامش ١ ص ٢١٣

(٦) Giza Grab 2200 (H. JUNKER, Giza III, 9, 14) – انظر ملحق النصوص.

(٧) Cairo 1568 – انظر ملحق النصوص.

فى الغالب صحيح (ولو ان H. Junker لم يشأ أن يترجمه وتركه دون تعليق)(١) ، فإن فيهما ما يدل على أهمية واضحة لتعليم القصور فى الدولة القديمة بحيث كان يخصص له كتبته ووثائقه ، فضلا عن أنه يزكى بأهميته هذه ماتقدم ذكره عن اشتراك عدد غير قليل من التلاميذ فيه وهم أبناء الملك ومن يختارون لمزاملتهم من أبناء الخاصة ، ثم ماتقدم ذكره كذلك عن لقبى « كاتب مدرسة القصر » و« الكاتب فى المدرسة » فى الدولة الحديثة (ص ٢٠٦ و ٢٠٧) .

وفى شيء من الحيطة يمكن أن يضاف إلى المعلم السابق « ارسخو » من معلمى القصور فى الدولة القديمة . الكاهن المربى «إنبو حوتب» و «ونى» ، وهما من استثنيناهما ممن حملوا لقب «المربى» على اعتبار أن أهمية ألقابهما تدعو إلى الاعتقاد بقيامهما بالتربية والتثقيف فى آن واحد (٢) . وأولهما — وهو من عصر الأسرة الخامسة — يتميز باتجاهه الدينى أو الكهنوتى الذى ورثه عن أبيه ثم ورثه لابنه الأكبر (٣) ، ومن المحتمل أن يكون اتجاهه الدينى هذا هو أساس اختياره مربيا مثقفا لأمير أو أكثر من أمراء القصر . ويدعو إلى هذا الاحتمال ماعرف عن اهتمام فراعنة الأسرة الخامسة بالدين الذى كان إنبوحوتب من رجاله ، وبالإله رع الذى كان من كهانه ، واحتمال رغبتهم فى تنشئة أبنائهم على علم بالدين وبالإله الأكبر . وأما ونى (فى عصر الاسرة السادسة) فلا يبعد أنه كان لثقافته التى اكتسبها من ماضيه فى القضاء (٤) وفى الحرب (٥) وفى خدمة البلاط والمعرفة بتقاليده(٦) ، أثر كبير فى اختياره مربيا (مثقفا) لولى العهد وذلك إلى جانب تقدير ثقة الملك بيبى الأول به . ومما يذكر أن ونى قد شغل من وظائفه الاولى وظيفة الكاتب (٧) مما يدل على أنه كان متعلما . (٨)

(ب) فى العصر الأهناسى :

على الرغم من ترجيح النشاط التعليمى إبان هذا العصر وما عرف عن اهتمام فراعنته بتربية أبناء الخاصة وتثقيفهم ، إلا أن الوثائق والآثار لم تكشف بعد عن شخصيات المعلمين الذين أسند إليهم تثقيف

---

(١) op. cit., 9 وعن الاحتمالات التى يذكرها يونكر للألقاب المترتبة على لقب « سبات ؟ نيسو » من حيث صلتها بالبحرية الملكية أحيانا (Giza IV 60 f. ; Urk. I, 181 ; MARIETTE, Mast., DM وبالتعليم أحيانا أخرى — يراجع — Giza, VI, 234 وتراجع كذلك حاشية ١ ص ٣٤٤

(٢) تراجع ص ١٠٣

(٣) تراجع ألقاب إنبوحوتب ص ١٠٤ ، أما أبوه فقد كان له لقب المقرب إلى الملك وكاهن فى وسررع وكاهن معبد الإله فى اطفيح . ولابن إنبوحوتب الأكبر « سحى » أغلب ألقاب أبيه فهو مقرب إلى الملك وسكرتير وكاهن مطهر للملك وكاهن انبو فى أطفيح .. الخ H. JUNKER, Giza IV, 156-157.

(٤) Urk. I, 99, 5-6 وقد كان قاضى نخن ويشترك وحده مع الوزير فى أقضية الحريم والدور الست الكبيرة

(٥) عن حملاته الخمسة Urk. I, 102 f.

(٦) J.H. BREASTED, Anc. Records, I 309, n.a

(٧) Urk. I, 101, 2

(٨) للغريب أن ونى وإن ذكر لنفسه لقب المربى فى ترجمة حياته فى بداية حكم مرنرع ورتب عليه ترقيته إلى الإمارة ومنصب حاكم الجنوب ، إلا أن العبارة المباشرة التى قرن بها لقب المربى هى عبارة حامل النعال ثم عبارة تدل على يقظته وحراسته (الملك (؟) فى مجلس النبلاء (؟) ، Urk. I, 105,11 ويحتمل أن عبارة حمل النعال يقصد بها التعبير عن شدة الولاء لربيبه (وقد أصبح ملكاً) أو التعبير عن قرب الصلة به فحسب ، وإن كانت هذه الوظيفة من الأعمال التشريفية لمن يرافقون الملك (see, H. KEES, Kulturgeschichte, 180)

أمراء البيت المالك خاصة أو تثقيفهم وتثقيف أبناء بخاصة معهم . وعلى أية حال فإن تعاليم خيتى ملك أهناسيا لا تدع مجالا للشك فى ثقافة فراعنة ذلك العصر وأمرائه . فهى تشير كما مر بنا إلى أن (الامير) مريكارع كان ينشد أو يجود المتون مع زملاء له (ص ١٩٩) . وتذكر أن خيتى الاول مؤسس الاسرة كانت له تعاليم مدونة مكتوبة (١) ، ثم هى تقول لمريكارع . « ... إن (العقل ؟) يصقل بالمعرفة ، وراع أن أقوالهم (أقوال آبائك وأسلافك) خالدة فى الكتب فافتحها واقرأ حتى تبلغ الحكمة فبذلك يصبح المفن مثقفا » (٢) وذلك مما يؤكد تعلمه . وتقول له « إن الملك الحكيم قدوة (؟) للكبراء ، وتأكد أنهم لن يتخطوه ما داموا يدركون معرفته » (٣) .

(ج) فى الدولة الوسطى :

عرف من القائمين بالتعليم فى قصور فراعنة الدولة الوسطى معلم يدعى « إيحا » ، ويرجح نيوبرى أنه كان معاصرا لبداية عصر الاسرة الحادية عشرة الطيبية وإن كان قبره قد وجد فى البرشة (٤) . وكان من ألقاب هذا المعلم : مدير الكتاب فى دار الحياة (٥) ، من تكشفت (؟) له كل المقدسات ، من يصير الجلوس والوقوف وفق رأيه ، المشرف على الحريم الملكى ، المقرب إلى الملك ، «معلم أبناء الملك» (٦) من يعرف بروتوكول (؟) القصر . ويتضح من هذه الالقاب أن رئيسا لكتاب دار الحياة وهى من أرقى معاهد العلم فى مصر القديمة لاشك وأنه كان يعنى فى تدريسه للأمراء بدروس اللغة أو الكتابة وآدابها ، كما يتضح ايضا أن المعرفة بآداب السلوك وبروتوكول القصر كانت مما يزكى معلم القصر إن لم تكن مما يعلمه لتلاميذه الامراء . (٧)

(د) فى الدولة الحديثة :

يتميز المعروف عن تثقيف أمراء هذه الدولة بأنه يؤكد ما احتملناه عن تنوع تثقيف الامراء ، وبأنه يبرز خاصية هامة تلحظ فى تثقيف الامراء منذ بداية عصر الاسرة الثامنة عشرة ، وهى أن تثقيفهم لم يعد ينحصر فى أجنحة القصر وفى عواصم الملك وحدها وإنما اصبح الامراء يبرحون القصور والعواصم

---

(١) ERMAN, Die Literatur, 117 u.Anm. 1

(٢) Pap. Petersburg 1116 Art., 35-36 – انظر ملحق النصوص .

(٣) Ibid., 33-34

(٤) F.L. GRIFFITH and P.N. NEWBERRY, El Bersheh, London, vol. II, p. 9.

(٥) أو مدير التدوين فى دار الحياة (؟) – انظر ملحق النصوص .

(٦) Bersheh pl. XXI, 8-9 – ويذكر من ألقابه الأخرى التى تشير إلى وطيد صلته بالقصر أنه « من يدخل بجرأة دون أن يدعى (1.13) ومن يطرق المكان الخفى ويرى الرقص فى الأمكنة المقدسة ويسمع الأحاديث حين العزلة (1.15) ولم تخل مناقبه من إيثار الشجاعة التى كانت من المفاخر الهامة فى عصره ، إذ يقول إنه كان « الأول حين دحر العدو» (Ibid., p. 40) – انظر ملحق النصوص .

(٧) لم يذكر إيحا للأسف اسم الملك الذى علم أولاده ولا اسم عاصمته فى حين ذكر اسم حاكم إقليمه فى دعاء له فى مقبرته . ويحتمل جريفث أنه كان أخا لهذا الحاكم . وذكر الحاكم بدوره علاقته بالملك فى أكثر من موضع ، فهو مرضى قلب الملك ، وهو متقدم المركز فى قصر الملك (Ibid., p. 32) دون أن يذكر اسم هذا الملك !

إلى حيث تتوفر نواحى التربية والثقافة المناسبة لهم فى الكاب أو فى ابيدوس أو فى منف أو فى غير هذه وتلك من المدن . وتبدو هاتان الخاصيتان فى تربية أبناء تحوتمس الاول ، فقد أشرف عليها ثلاثة كان لكل منهم معارفه المتميزة ، وهم رجل البلاط « سنى مس » (١) والوزير « إيمحوتب » (٢) وامير الكاب «باحرى» ؛ وكان هذا الاخير «باحرى» من بيت احمس بن ابانا القائد البحرى وحفيده كما كان ابنا للكاتب ايت روى الذى يحتمل انه كان هو الآخر مربيا لأمير أو أميرين من نفس الاسرة المالكة (٣) . وكان باحرى ، وهذا هو المهم ، من غير اهل البلاط — اذ انه كما لاحظ جريفث لم يحمل أى لقب من ألقابه (٤) ، ولهذا يحتمل انه لم يفارق الكاب وان تربيته لابنى تحوتمس الأول « وازمس وامنمس » كانت لديه فى مدينة الكاب نفسها . (٥)

وذكر تحوتمس الثالث أنه قضى شطرا من صباه ، فى معبد آمون بالكرنك «من قبل ان يتقلد منصب الكاهن» وحتى تقلد منصب كهانة «سند أمه»(٦) ، غير ان هذا التوجيه الدينى أو هذه الدراسة الدينية التى يحتمل ان تحوتمس اضطر اليها اضطرارا خلال استئثار حاتشبسوت زوجة أبيه بالحكم دونه ، لم يقم إزاءها فيما يبدو ما يمنعه من ان يجمع اليها ثقافة عسكرية أو تربية رياضية على أقل تقدير ، اذ يلاحظ انه كان مما ذكر عن براعته العسكرية على نصب وجد فى ارمنت — انه كان يقام له ، وهو ملك ، هدف نحاسى سمكه ثلاثة أصابع فى ذات معبد أمون بالكرنك فيرمى عليه سهمه فيخترقه ويفتته إربا . (٧) ومن المحتمل ان يكون فى اختيار ساحة الكرنك ميدانا لرمايته وهو ملك مايعنى أنه كان يستخدمها لنفس الغرض وهو صبى إبان إقامته فى المعبد ذاته (٨) .

ولم يكن اهتمام حاتشبسوت بتثقيف بنتيها بأقل من اهتمام غيرها من الفراعنة بتثقيف أبنائهم ، فقد أوكلت تربيتهما الى المهندس سنموت واخيه سن مين والقائد العجوز أحمس بان نخبة . وقد مرت بنا سابقة إسناد تربية الفتيات الى رجال فى الدولة الوسطى ، أما الجديد هنا فهو اسنادها الى مثل هذه

---

(١) Ann. Serv. IV, 194.

(٢) اتخذ لقب مربى أبناء الملك عاخبر وكارع فى معبد الشعائر الخاص بالأمير وازمس .(Urk. IV, 503)

(٣) J. TYLOR, F.L. GRIFFITH, The tomb of Paheri at el Kab, London 1894 p. 8 f.

(٤) Ibid., p. 5-6

(٥) كان لأسرة حكام الكاب أهميتها فى الأسرة ١٣ وظلت فى عصر الانتقال الثانى تعتبر أكبر الأسر الإقطاعية J.H. BREASTED, Anc. Records. II p. 36 ; Et. Drioton et J. Vandier, Les Peuples de l'Orient mediterranien II, L'Egypte, 1952, 308 ويشهد بالتنوع فى تربية أبناء تحوتمس الأول اتجاه أكبرهم امنمس اتجاها عسكرياً بحيث صار قائد جيش أبيه ، وتحتمل إقامته فى صباه فى منف وكان لأبيه قصر فيهـا Rec. de Trav. VI, p. 12 ; S. HASSAN, The Great Sphinx and its secrets. Cairo 1953, p. 71,102 وذلك على حين أصبح أمنحوتب فى صباه كاهنا لأبيه (Urk. IV, 105)

(٦) J.H. BREASTED, A new chapter in the life of Thutmosa III (Untersuchungen zur Geschichte...) Leipzig, 1900, p. 7.

(٧) MOND AND MEYERS, Temples of Armant, text, p. 183.

(٨) ويظهر نفس الملك فى منظر يقف فيه الإلهان حور وست يعلمانه الرماية L.D. III, 36. ومنظر آخر يقف فيه ست يرشده إلى تسديد الرماية A. ERMAN, H. RANKE, Eegypten, Abb. 148.

الشخصيات الثلاث الكبيرة . ويبدو أن اختيار سنموت كان لشدة إخلاصه للملكة ، ذلك الإخلاص الذى يعبر عنه بقوله انه «كان المتفهم لخاق (أو مزاج) ربة الارضين» وأنه «ظل طوع امرها فى هذه الارض منذ وفاة سلفها» (١) وقوله «لقد ربيت ابنة الملك الكبرى زوجة الرب نفرو رع لها الحياة ، واعتبرت بالنسبة لها بمثابة والد الربة وذلك لما كان من عظيم إخلاصى للملكة» . (٢) وبلغ من شدة كلف سنموت بربيبته — أو شدة ولائه لامها بقول أصح، انه لم يكن يقيم لنفسه تمثالا دون ان تكون نفرورع شريكته فيه مشمولة فى ردائه أو مرتكزة على صدره (٣) . وما يقال عن سنموت يقال الى حد ما عن أخيه سن مين الذى اشترك فى تربية نفر ورع واختها الأميرة حاتشبست(٤) . أما الشيخ أحمس بان نخبة فيبدو أنه لم تكن المطامع وحدها هى التى ربطت بينه وبين تربيته ولية العهد، ولاوصفه لنفسه بأنه «المقاتل الشديد»(٥) وانما يغلب على الظن أن اختياره للقيام بهذه التربية كان لسنه وحنكته وطول صحبته للفراعنة ومعرفته بمناقبهم وأحداث عهودهم ، وقد قال فى ذلك عن نفسه «تبعت ملوك الصعيد والدلتا الأرباب وكنت بقربهم فى ذهابهم إلى الأقطار الجنوبية والشمالية وكل مكان وجدوا فيه (منذ عهد) الملك نب بحتى رع (أحمس) إلى عهد الرب الخير من خبر رع (تحوتمس الثالث)» .

أما مراحل تربية امنحوتب الثانى ، فهى كما سبق ان ذكرنا (ص ١٠٠، ١١٨) ، كثيرا ما استشهد الباحثون بها واعتبروها نموذجا لتنشئة الامراء فى الدولة الحديثة ، ولهذا حسبنا ان نتتبع هنا ملامحها الرئيسية التى تصور خصائص تربية الأمراء فى عصرها . فقد ولد أمنحوتب فى منف(٦) وقضى طفولته الأولى فيما يبدو فى العاصمة طيبة حيث لاحظنا أن من اختيرن لإرضاعه وربما لحضانته أيضا كن من سيدات البلاط وزوجات عظماء العاصمة الطيبية . ولم تطل تربية الحريم لأمنحوتب إذ عهد ابوه به وهو لا يزال فى سن مبكرة من صباه إلى «مين» حاكم طينة (ص ١٠٠) وكان أهم ما يميز مين هذا بصفته مربيا «إيت منعى» — أنه جمع بين الثقافة الكتابية وبين الثقافة العسكرية ، ويدل على ذلك أنه تعمد أن يكرر لنفسه لقب «الكاتب» كلما ذكر ألقابه (٧) ، وأنه اشترك فى بعض حروب تحوتمس الثالث واتخذ لقب «قائد جيش النهر الغربى» (٨) ، ولا يبعد أنه تعهد ربيبه بالثقافتين معا ، الثقافة الكتابية والثقافة العسكرية ، إذ أن هنالك ما يدل على أن امنحوتب كان متعلما وكان يكتب بنفسه (٩) ، ولو أنه لم يتبق للأسف من أخبار هذه التربية المزدوجة غير صورة درس واحد فى الرماية (لوحة ٤٣) . واستكمل

---

(١) Berlin 2296, 12-13.

(٢) K. SETHE, Das Hatschepsut, Problem, Berlin 1932, 15.

(٣) من تماثيله معها Cairo 42114-16 ; Berlin 2296 ; Brit. Mus. 1513 ; Chicago 174, and see Allen, in AJSL, XLIV, 49 f., 267 f.

(٤) Urk. IV, 418

(٥) Urk. IV, 34

(٦) W.F. PETRIE, Scarabs and Cylinders, pl. XXX, 1 ; Ann. Serv. XXXIX, 116

(٧) Urk. IV, 977, 15 ; 978, 6, 17 ; 982, 6

(٨) Urk. IV, 981 ; S. HASSAN, op. cit. p. 73.

(٩) Boston Mus. 25632 (See W. HELCK, *Eine Stele des Wizekonigs Wsr. St. t*, in J.N.E.S. 1955, p. 23).

أمنحوتب تربيته الرياضية وثقافته العسكرية فى منف مسقط رأسه وثانى عواصم القطر فى ذلك الحين فكان يشترك مع غيره فى الرمى والعدو والتجديف وكان يعنى عناية خاصة بتدريب الخيول (ص ١١٨)، ولعل فى ميله إلى إشراك غيره معه فى تمريناته الرياضية والعسكرية وهو يافع أو شاب (ص ١١٨) مايدعو إلى الاعتقاد بأنه كان يشترك مع غيره كذلك فى منهاج التربية والتثقيف الذى تلقاه فى صباه .

ومع قلة المعروف حتى الآن عن تربية الأمراء وتثقيفهم فيما تلا ذلك من عصور الدولة الحديثة، إلا أنه يغلب على الظن أنها لم تكن تختلف فى شىء عما نمت عنه الأمثلة السابقة من تنوع الثقافة فيها والاهتمام معها بالتنشئة العسكرية التى يدل عليها كثرة تقلد أمرائها للمناصب العسكرية واشتراكهم فى الحروب وتفاخرهم بمواقفهم فيها(١) . والواقع أن تنوع ثقافتهم وإن لم نملك دليلا عليه غير تنوع المشرفين عليهم أو تنوع ثقافات المشرفين عليهم ، إلا أن نبوغ بعض أولئك الأمراء فى المعارف الأخرى غير العسكرية يحتم الاعتراف به . ذلك أنه يبعد أن يخرج مثل أخناتون بثورته الفكرية والدينية ويفقه أتباعه فيها (٢) ، دون دراسة سابقة استمع فيها واطلع أيضاً (٣) ، ويبعد أن تتضمن مقتنيات توت عنخ آمون الشخصية أدوات كتابية فاخرة دون أن يعرف الكتابة بها (٤) ، ويبعد أن تقوم مثل شهرة الأمير خعمواس بن رمسيس الثانى فى البحث الدينى (٥) ، وشهرة الفرعون رمسيس الرابع بحب الاطلاع على ماحوته دور الحياة مع « التعمق فى حولياتها شأن مؤلفها (؟) تحوتى » (٦) مما شجعه على أن يقول إنه « تفحص حوليات تحوتى الموجودة فى دار الحياة واطلع على مكتوباتها » ، ويقول لربه « إنى ما تركت شعائر جرت العادة بها منذ (نشأة) الوجود ولا كتابة من العصور القديمة دون أن أنقب عنها لأراها وأتحرى طبيعتك فيها » (٧) ، بدون أساس من ثقافة لغوية راقية وعلم لا يقل عن العلم المفروض للكاتب الناجح .

---

(١) يبدو أن أمنحوتب الثانى قد نشأ أولاده على نفس تربيته مما يدل عليه شغف ابنه تحوتمس الرابع بالرياضة والصيد (S. HASSAN, op. cit., p. 94) فضـلا عن أنه كان كبيراً لـكهنة منف (SETHE und BORCHARDT, Sahure, II, 113) وقد اتخذ ولد له آخر يدعى أمنموبى (؟) ألقاب المشرف على اسطبلات رب الأرضين والمشرف الأكبر على الخيول . . . ، والحارس الشخصى لأبيه ، فضلا عما ذكره عن نفسه من أن الناس كانوا يتكلمون بكلامه وإذا تكلم سكت كل إنسان ، وأنه القاضى الوزير والعارف بأسرار الإله بتاح . . . الخ (Ibid., p. 87) أما عن اشتراك الأمراء فى الحروب فتدل عليه بوجه خاص وفرة المناظر التى صورت أبناء رمسيس الثانى وأبناء رمسيس الثالث يقومون بدور فعال فى حروب أبويهم .

(٢) يراجع هامش ٧ ص ٢٠٧ .

(٣) تحتمل دراسته الدينية على يد خاله الكاهن بمعبد أمون بالكرنك وفى معبد الشمس بأرمنت أو على يد الكاهن والاب المقدس « إى » زوج مرضعته . وقد كان لأبويه مكتبة خاصة تضمنت كتباً أدبية وقصصاً
see AeZ, XLIV, 97-98 ; J.E.A. XII, 30 f.

(٤) CARTER, Tut-Ank-Amen, III (Deut. Ed.), Taf 21.

(٥) تراجع ص ١٣٨ حاشية ٥ وكان أخوه الأصغر مرنبتاح يعتز بلقب الكاتب الملكى ويذكره فى مقدمة ألقابه
Ann. Serv. 1951, 335 f.

(٦) COUYANT-MONTET, Hammamât, No. 240 ; *see also*, H. KEES. Die pantheistische Lehre uber Osiris, die Ramses IV in der Templachule von Abydos erfuhr auf einer Stele aufgeichnete (Religions- geschichtliches Lesebuch, Tubingen 1928) ; A.H. GARDINER, in J.E.A. XLI, pls. VII, 2, 7 f.

(٧) وثمة عبارة غامضة من نصب أبيدوس لرمسيس الرابع (وهو مانشره كيس أعلاه) يقرأها PIERRET كالتالى : أليس (معلمى (؟) هو الإله حو ؟ ألم أعلم بقربك (بين) عظماء مدينتك (*Prière de Ramses IV à Osiris*, in Rev. Arch. 1869, p. 280) ولكنها موضع شك . انظر أيضاً ص ٢٢٥

الفصل التاسع

دور الحياة

بر(و) عنخ

بلغ من الاهمية العلمية لدور الحياة فى مصر القديمة أن كان الكاتب منها (أو العالم) (١) ينتدب لأمر هام فيكون من وصية أصحابه له أن « راع أنك كاتب من دار الحياة ، وما من أمر سوف تسأل عنه لن تجد له جوابا ملائما » (٢). وقد رأى بعض الباحثين فى هذه الدار نوعا من الاكاديميات (٣) أو المعاهد العليا (٤) أو الجامعات (٥) أو المكتبات (٦) ، فى حين رأى ألن جاردنر أنها كانت أقرب إلى دار للنسخ والتصنيف (٧) . وسوف نتتبع نصوصها فيما يلى لنتعرف على الصفة الغالبة فيها .

عرفت دور الحياة فى مصر منذ الدولة القديمة وكانت توجد فى الحواضر الهامة وحيث وجدت المعابد الكبيرة . ففى دائرة معبد الاله « مين » بقفط قامت دار حياة تواتر ذكرها من الدولة القديمة كما تواتر من العصور المتأخرة . فذكرها مرسومان أصدرهما ببى الثانى لاعفاء ضاحية من نواحى قفط

---

(١) لقب «كاتب دار الحياة» هو اللقب الشائع ولكنه كان يستبدل أحيانا بلقب « عالم دار الحياة » أو يذكر معه : (Couyant-Montet, Hammamat, No. 240) ويقول وزاحوررسنت (انظر ص ٢٢٤) عن تزويده دور الحياة بطلابها : «ووضعتهم تحت اشراف كل عالم ». وسمى رجال دار الحياة فى قرار كانوب «علماء دار الحياة». وراجع ملحق النصوص .

(٢) على نصب من العصر الصاوى لمن يدعى بادى إيسة من الحيبة
F.L. GRIFFITH, Ryland Pap. IX, 96, 237.

(٣) A. VOLTEN, Demotische Traumdeutung, Kopenhaven, 1942, 17 f.;
F. JONCKHEER, in Chr. d'Eg. 1954, p. 61.

(٤) SCHAEFER, in AeZ, XXXVII, 74

(٥) B. GUNN, in J.E.A. IV, p. 252; J. Pendlebury, in J.E.A. XX, 134;
A. OTTO, in Aegyptologie, II, Literatur, Leiden 1952, S. 224.

(٦) G. MASPERO, Les Contes Populaires de l'Egypte ancienne, Paris, 1911, p. 125, n. ومن المراجع السابقة ما يجمع لدار الحياة الاعتبارات السابقة جميعها .

(٧) A.H. GARDINER, The House of Life, in J.E.A. XXIV, 157 f.; see also Ancient Egyptian Onomastica, Oxford 1947, I, 35): «it designates those scriptoria in which religious and learned works were composed and copied». وجمع جاردنر فى بحثه الأول (in J.E.A. XXIV, 157 f.) قرائن عديدة تتعلق بدار الحياة سيستعين البحث التالى بتفاصيلها وإن كان سوف يتجه فى بعض استنتاجاته منها اتجاها يخالفه بعض الشىء .

من التكاليف العامة والخاصة وكان من هذه التكاليف المرفوعة عنها ما تعلق « بمهمات دار الحياة »(١) . ثم ذكرها فى العصر المتأخر اثنان ، كاتب الكتب المقدسة حور وننفر وقد ذكر أنه كان «عالما بما فى كل خزائن دار الحياة للاله مين »(٢) ثم أحمس الكاهن المرتل أمام مين وكاتب كتبه المقدسة و« كاهن تحوتى متوسط دار الحياة » (٣) .

واذا كانت نسبة دار حياة الى قفط أو الى ربها مين فى الدولة القديمة فى حكم المؤكدة باعتمادها على ماجاء فى مرسومى بيبى الثانى فثمة احتمالان أو ثلاثة فى متون اخرى من ذات الدولة القديمة عن دور للحياة فى أماكن اخرى . فقد ذكرت نقوش معبد ساحورع للإله خنوم لقب « مقدم برزا (؟) » ، وهذه العبارة يراها G. Posener خطأ عن عبارة «مقدم برعنخ » حيث ذكر هذا اللقب للاله خنوم فى مواضع اخرى كثيرة (٤) . واذا صح هذا الرأى فإن دار الحياة المنسوبة الى خنوم يحتمل وجودها فى أحد مراكز عبادته الكبرى ، أى فى مثل أسوان حيث كان حارسا لمنابع النيل ، أو فى إسنا حيث ذكر له لقب « رب دار الحياة وسط إسنا » (٥) (فى عصر متأخر) أو فى الطود حيث ذكر له لقب « مقدم دار الحياة(٦) » على أثر من آثار الدولة الوسطى (٧) ، أو فى ادفو حيث ذكر له نفس اللقب ايضا . (٨)

وفى متن من عصر الأسرة السادسة ذكر حاكم إقليم فى قبره بالهجارسة جنوبى سوهاج أنه كفن والده « من أكفان دار الحياة (برعنخ) » (٩) ورأى كورت زيته أن كتابة «برعنخ» هذه قد تكون خلطا عن « برحز » بمعنى بيت المال (١٠) وهذا الخلط جائز ، ولكنه من ناحية أخرى يشهد بما كان لدار الحياة من أهمية طغت على ذهن الكاتب حتى أحلها محل بيت المال مع شهرته . وربما كانت دار الحياة هذه التى غلبت شهرتها على ذهن الكاتب هى نفسها التى كانت فى قفط ، أو تكون دار حياة أخرى فى حاضرة هامة تقع قرب الهجارسة مثل أبيدوس (وقد ورد ذكر دار حياة فيها فى عصر الرعامسة) (١١)

---

(١) Urk. I, 286, 10 ; 289, 8.

(٢) Cairo, 22017 — وانظر رأى جاردنر ترجمة فى هذه الجملة (Ibid., p. 173) وتعقيبه بأنها لا تعنى ربط التدريس بدار الحياة وأن الكتب المشار إليها مكتوبة بالكتابة الهيروغليفية فحسب (p. 176)

(٣) Cairo 22070 — ونسبة دار الحياة لتحوتى هى بصفته إله العلم والحكمة والكتابة ، أما الدار نفسها فهى أقرب إلى أن تكون ذات صلة بمعبد مين حيث كان المترجم له يعمل به .

وانظر لذلك عن نصب كتبة دار حياة فقط . F.L. GRIFFITH, Stories of the high priests of Memphis, p. 20, Text, 6, 8-10.

(٤) L. BORCHARDT, Sahure, pl. 18, Text 94 ; see A.H. Gardiner, op. cit, 160.

(٥) Ibid., 188

(٦) Rec. de Trav. XX VII, p. 88 — راجع ملحق النصوص

(٧) F. BISSON DE LA ROQUE, Tod, 1934-36, p. 93

(٨) CHASSINAT, Edfou, IV, 177 ; V, 135 ; VI, 147, 174, 185, 321.

(٩) Urk., I, 267, 11.

(١٠) Ibid., 267 g.

(١١) MAR., Abydos II, pl. 54-5 ; H. KEES, Die puntheistische Lehre uber Osiris, die Rameses IV in der Templschule von Abydos erfuhr auf einer stele aufzeichnete (Religionsgeschichtliches Lesesbuch), 21. وتراجع ص ٢١٧ (٧)

على أيةحال ، فإن بقاء دار حياة قفط أو دار حياة مين المؤكدطوال عصور مصر القديمة فى حاضرة لم يكن لها من المنزلة الدينية أو الثقافية ماكان لمثل عين شمس أو منف أو مدينة به فى الدولة القديمة ، يكاد يجعل من المؤكد نسبة دور حياة الى هذه المراكز أو الحواضر ، ولو قصرت الوثائق المعروفة حتى الآن عن إثبات ذلك (١) .

وانتسب الى دور الحياة فى غير الدولة القديمة من عصور مصر الفرعونية فى غير المدن السالفة الذكر ، رجال من البرشة (٢) ومن إثت تاوى (؟) (٣) ومن طيبة (٤) ومن عين شمس (٥) ومن بوباسطة (٦) ومن الحيبة (٧) ومن سايس (٨) ، كما بقيت آثار لدار حياة فى العمارنة (٩) ، وذلك فضلا عن دور الحياة التى نسبت فى ألقاب موظفيها الى الفراعنة مثل « سش ن برعنخ ن نب تاوى » و « أدنون برعنخ ن نب تاوى » (١٠) دون تخصيص أمكنة معينة لها .

الافق الثانى لدور الحياة ورجالها :

تكثر المعلومات عن معارف دور الحياة وثقافة رجالها فى العصور المتأخرة بقدر قلتها فى مصادر العصور الفرعونية . بيد أنه يمكن الاعتماد على ما جاءت به مصادر العصور المتأخرة وتطبيقه الى حد كبير على ماسبقها من عصور لعدة أسباب منها : استبعاد أن ينشأ ازدهار ثقافى جديد فى العصور المتأخرة وهى فى مجملها عصور تدهور وتأخر ، ثم امكان رد بعض المتون المتأخرة الى اصول متقدمة عنها ، ووجود نقاط متفرقة عن دور الحياة فى المصادر القديمة يمكن ربطها أو تفسيرها بما جاءت به المصادر المتأخرة . وكل ذلك مع تقدير ما غلب على الأفكار عموما فى العصور المتأخرة من أوهام السحر والخرافات الدينية

(١) ويراجع عن لقبين آخرين يحتمل فيهما الخلط بين دار الحياة وبين ماسواها ،
Louvre Bl, 2; MAR., Mast., B16, p. 106; see H. KEES, Re-Heiligtum III, 26; H. JUNKER, Giza II, 65. *but compare,* OTTO, Catalogue des sarcophages et Cercueils, Copenhague, 1951, 25, Fig. 8.

(٢) Bersheh, II, pl. XXI من عصر الأسرة الحادية عشرة .

(٣) Cairo 20023, 20539 ونسبتهما إلى إثت تاوى بالذات افتراضية حيث ذكرها اثنان كان أحدهما وهو منتوحتب وزيراً لسنوسرت الأول وقد تلقب بلقب « العارف بأسرار دار الحياة » . والآخر يحتمل أنه من ذات العصر .

(٤) London, 165 (953); Theb. tomb 111. وكلاهما من عصر الرعامسة .

(٥) عن عبارة لرجل يسمى « خعم ابت » « الذى نسخ حوليات كل الآلهة فى دار الحياة ، الأب المقدس لرع اتوم فى دار الحياة » A.H. GARDINER, op. cit., p. 161.

(٦) E. NAVILLE, Festival Hall of Osarkon, II, pl. 8. وتراجع حاشية ٢ ص ٢٣٦

(٧) F.Ll. GRIFFITH, Ryl. Pap., IX, 96.237 وتراجع حاشية ٢ ص ٢١٩

(٨) تراجع ص ٢٢٣

(٩) ص ٢٢٦

(١٠) Turin 177; Vienne 51 وهما من عصر الرعامسة . ومن رأى جاردنر (Onomastica, I, p. 26.) أن تعبيرى « كاتب الكتب المقدسة » و « كاتب دار الحياة » يحتمل أن يكونا تعبيرين مترادفين بحيث يؤكد أولها مايكتب وينسخ فى دار الحياة ويؤكد ثانيهما مكان الكتابة والنسخ بالذات . ولو صح هذا الرأى لكان فى شيوع لقب « كاتب الكتب المقدسة » وكثرة حامليه فى العصور المصرية القديمة جميعها ما يدل على شيوع دور الحياة ووفرة أعدادها — تراجع كذلك ص ٣٦٠ .

التى ألبست ثوب العلم والدين ، مما لم يكن يعرف له فى عصور ازدهار الحضارة الفرعونية القديمة غير ظل خفيف .

وبالجمع بين مصادر العصور المصرية المختلفة يبدو أن الافق الثقافى لدار الحياة بكتبها وكتبتها أو بعلومها وعلمائها (الذين كانوا يلقبون بألقاب : كتبة دار الحياة العارفون بالأشياء، وعلماء دار الحياة ، وهيئة دار الحياة ... الخ) (١) ، كان افقا متسعا متعدد النواحى ، فى الدين ، والسحر ، والطب ، والمعارف العامة .

وكانت الشئون الدينية أهم ما تخدمه دور الحياة وأهم ما يقصد رجالها من أجله ، ففيها كانت تنسخ حوليات الآلهة و الآلهات (٢) ، وإليها كانوا يرجعون فى التحرى عن الصيغ السرية للآلهة (٣) ، ومعرفة كيف تخلد أسماؤها وكيف تقام معابدها وتقدم قرابينها ويحتفل بأعيادها (٤) . وفى العصور المتأخرة ذكر ان رجالها كانوا يدبجون صيغ النصب الأخروية (٥) وانه كان يعهد اليهم بتبين العلامات الالهية فى الحيوانات المقدسة وفق ما لديهم من كتب ، وصياغة الالقاب المناسبة لها (٦) ، كما كان يعهد اليهم بتأليف اناشيد التعبد للملوك المتأخرين وكتابة نسخ منها لمختلف المعابد (٧) . وكانت مواكب اعياد الآلهة تقصد بهو (احتفالات) دار الحياة فتقوم هيئة الدار بافتتاح الحفل وتفسير اسم (؟) المعبود (٨) .

وكان يفترض فى رجال دار الحياة الالمام بالسحر وفنونه (٩) . وفى أعياد السد كان لهيئة دار الحياة دورها الهام بحيث يعتبر أفرادها رقاة الملك ويسمون أساطين السحر أو رؤساء السحرة (١٠) ، ويكون منهم من يتخذ لقب مدير أساطين السحر فى دار الحياة (١١) وكان لهذه الشهرة بالسحر أثرها على قصاصى العصور المتأخرة بحيث صوروا الفراعنة كلما واجهتهم مشكلة يستعصى حلها على العلم العادى مثل قراءة رسالة مختومة أو محاجة ساحر أجنبى عنيد استدعوا كتبة دار الحياة فوجدوا لديهم المعرفة المنشودة (١٢) .

---

(١) تراجع حاشية ١ ص ٢١٩ وعن مترادفات أخرى لهيئة دار الحياة انظر ملحق النصوص — و
B. GUNN, in J.E.A. IV, 252 ; A.H. GARDINER, op. cit. 170-1 ; 174.

(٢) تراجع حاشية ٥ ص ٢٢١ حيث يقول صاحبه إنه نسخ حوليات كل الآلهة فى دار الحياة ويقول أبوه كاتب الكتب المقدسة فى معبد أمون إنه الكاتب الذى نسخ حوليات الآلهة والآلهات فى دار الحياة أيضا Theb. Tomb III انظر ملحق النصوص

(٣) ذكر عن رمسيس الرابع فى سبيل ذلك أنه اطلع على مكتوبات دار الحياة (راجع ص ٢١٧) . وانظر ملحق النصوص — COUYANT-MONTET, Hammamat, No. 240

(٤) G. POSENER, La première domination perse en Egypte, Le Caire, p. 22, Text 1. 45.

(٥) F.L. GRIFFITH, Ryland Pap. IX 81, 229.

(٦) Urk. II, 48, 11 f.

(٧) Canopus, 34.

(٨) CHASSINAT, Edfou, V ; 12-13, 44-45.

(٩) Pap. Mag. Harris, 6, 10.

(١٠) NAVILLE, op. cit., II, pl. 8.

(١١) Brit. Mus. 1646 ; Louvre A 94.

(١٢) B. GUNN, op. cit., 252 ; GRIFFITH, Stories of the high priests, 147 f.

وفيما بين الدين وبين السحر عبرت وثائق العصور المتأخرة عن كتب دار الحياة ، وذات الصبغة الأخروية منها بخاصة ، باسم « باورع » أى قدرات رع أو أرواح رع (١). ومن المحتمل أن هذه التسمية قامت على أساس المشابهة بين قدرة هذه الكتب على أن تهب الحياة وتنتج الطعام (٢) وبين القدرة الخالقة أو الروح الخالقة أو الفيض الخالق للإله رع (٣). وتبعاً لهذا المنطق أطلقوا على كتبتها اسم « أتباع رع » و « جماعة كتب رع » (٤) .

وكان لدور الحياة صلتها الوثيقة بالطب والأطباء . وأوضح ما يؤكد هذه الصلة متن الكاتب كبير الأطباء وزاحوررسنت الذى عاصر كلا من أمازيس وبسماتيك الثالث ثم أصبح مقرباً إلى قمبيز ودارا . وقد ذكر أن دارا أعاده إلى مصر ، بعد أن كان قد استصحبه إلى فارس ، « لإصلاح قاعة دار الحياة (المتعلقة بالطب) بعد أن تخربت » (٥). وقد انصب أغلب اهتمامه على سايس عاصمة البلاد حينذاك وموطن رأسه الذات (٦) . وهذه القرائن التى جمعت بينه كطبيب وبين سايس ودار الحياة وقسم الطب بها سمحت للبعض بعقد الصلة بين متنه هذا وبين ما ذكره كل من مؤلفى البرديتين الطبيتين إيبرس وهرست فى الدولة القديمة أو فى الدولة الوسطى من أنه « تخرج من ساو (سايس) حيث كان (؟) مع أمهات الأرباب » (٧) وما يمكن أن ينم عنه ذلك من شهرة دار الحياة فى هذه المدينة بالطب منذ العصور القديمة حتى أواخر العصور الفرعونية . ومما له دلالته فى عقد الصلة بين دار الحياة وبين الطب أن نصباً من الدولة الوسطى جمع بين كبير للأطباء يدعى أمينى وبين كاتب لدار الحياة يدعى ككو (٨) ، وأن متنا لرئيس كتابها ذكر أنه كان رئيساً لبيت المر ، وبمعنى آخر بيت العقاقير ، وذلك مما يرجح الصلة بينها وبين الطب فعلا (٩) .

وفضلا عن هذه النواحى جميعها ، فقد كان من كتاب دار الحياة من توفرت له خبرته بكتابة النقوش (١٠) ومن ينتدب لدراسة نقوش الآثار القديمة للاستفادة منها فيما يود الملوك أن يكتبوه على آثارهم الجديدة (١١) ،

---

(١) تراجع ص ٢٢٨ ، Pap. Salt 825, 7, 6 ; Louvre C 232 (Pirret, Inscrip. II, 21, 67) وانظر ملحق النصوص

(٢) DARESSY, in Rec. Tr. XXXVI, 76 ; BERGMANN, Buch von Durchwandeln der Ewigkeit, 1.60-61.

(٣) A.H. GARDINER, op. cit., 170-1.

(٤) Pap. Salt 825, 7, 2 ; 7, 6 انظر ملحق النصوص

(٥) SCHAEFER, in AeZ 37 ; KEES, in AeZ, 73, 87 f. ; GARDINER, op. cit., 157 f. وانظر ملحق النصوص

(٦) G. POSENER, op. cit. p. 4, 7.

(٧) Ebers, I, 2-3 ; Hearst, 6, 6 ويحتمل أن تكون عبارة « أمهات الآلهة » خطأ عن لقب الإلهة نيت الذى يذكره لها وزاحورسنت وهو « نيت الكبرى أم الإله » see, POSENER, op. cit., p. 7.

(٨) Cairo 20023

(٩) Bersheh II, pl. XXI, 7 ; – وحاشية ٣ ص ٢٢٤ وعن صلة بيت المر أو العقاقير بالطب وبدار الحياة ذكرت بردية من العصر الرومانى « كتابا لا ينبغى أن تراه عين بشر عدا الملك نفسه أو الكاهن المرتل الرئيسى أو الموكل ببيت المر » . وذكرت دهانا سمته « الدهان السرى العظيم (الذى أعد فى) دار الحياة » . Pap. Cairo 58027, 3, 14 ; 4, 1 وعن الطب ودور الحياة تراجع كذلك ص ٢٢٥ وص ٢٢٧ حاشية ١

(١٠) A.H. GARDINER, op. cit., p. 161.

(١١) COUYANT-MONTET, Hammamat, No. 12.

وكان منهم من تولى رئاسة التشييدات فى معبد آمون بغرب طيبة (١) ، كما كان منهم جماعة عرفوا باسم « فنانى دار الحياة الكبار » وقد نسبت زخرفة معبد إدفو إليهم (٢) .

الدور التعليمي لدور الحياة :

ما من شك فى أن توافر المعارف السابقة لكتبة دار الحياة كان يهيئ لهم فرص الإسهام بنصيب كبير فى مجالات التعليم والتثقيف ، سواء باعتبار دارهم معهداً عالياً أو أكاديمية أو كلية أو جامعة على نحو ما رجح بعض الباحثين وعلى نحو ما تنم بعض المتون ، أو بصفتهم الفردية ووفق كفاياتهم الخاصة كما تنم عن ذلك متون أخرى. وإذا تجاوزنا عما حواه الأفق الثقافى لدار الحياة من معارف الدين والسحر والفنون ، تبقى نشاطها التعليمى فى الطب وفى الآداب والمعارف العامة وسنبدأ بهاتين الأخيرتين . فلقد كان من أقدم من عرف من رجال دار الحياة فى الدولة الوسطى « معلم لأبناء الملك » (٣) ، ومن الطبيعى ألا يكون تعليمه لهم فى سحر أو فنون ، إنما هو فى الغالب تعليم أدبى كما رجحنا من قبل ، وإن لم يكن من بأس من احتمال إضافة بعض المعارف الدينية إليه ، وذلك مع تقدير أن هذا المعلم بالذات كان رئيساً لبيت العقاقير (راجع ص ٢١٤ ، ص ٢٢٣) وذلك مما يرجح أخذه بنصيب من ثقافات دار الحياة المتعددة . وتلقب رجل آخر من الدولة الوسطى يدعى « سنب » بلقب « مدرس(؟) دار الحياة » (٤) دون أى لقب آخر ، وذلك مما يعنى انقطاعه للتدريس فيها . وألف أمنموبى « كاتب الكتب المقدسة فى دار الحياة » (٥) فى عصر الرعامسة مجموعة تعليمية سماها « تعاليم لتفتيح(؟) الذهن وتهذيب الجاهل ومعرفة كل الكائنات (التى) خلقها بتاح وسجلها تحوتى » ، وقد أصبح لهذه المجموعة أثرها فى الحياة التعليمية فعلا مما سيتناوله البحث فيما بعد بالتفصيل . ووجد تصدير آخر لتعاليم قام بنسخها تلميذ يدعى أمينى تحت إشراف (كاتب) بدار الحياة يدعى خع (٦) .

وهكذا أسهم كتاب دار الحياة فى تعليم الآداب والمعارف العامة معلمين ومؤلفين وناسخين . وورد فى المتون المتأخرة ما يزكى دورهم التعليمى كذلك فقد ذكر الطبيب المصرى وزاحوررسنت أنه « زود دور الحياة بكل دارسيها (أو بكل هيئتها أو أهل الكتب فيها) (٧) ، من علية القوم دون أن يكون بينهم ابن وضيع » وأنه « جعلهم تحت إشراف كل ذى معرفة حتى (يتعلموا) منهم فنونهم جميعها (٨) ، ثم زودهم بكل نافع لهم وبكل مهماتهم التى كانت مدونة (لهم) ، وذلك وفق ما كانوا عليه من

---

(١) De MORGAN, Catalogue des Mon. I, p. 93, No. 130

(٢) CHASSINAT, Edfou VIII, 12, 2.

(٣) تراجع ص ٢١٤

(٤) NEWBERRY, Scarab-Shaped Seals, pl. XIII, 35, p. 135.

(٥) GOLENISCHEFF Onomasticon, I, 1-2. أنظر النصوص وتراجع ص ٢٥٣

(٦) G. POSENER, in Rev. d'Eg., 1951. p. 42, see also 1955, 61 f. وكان ألن جار دنر قد أشار فى بحثه إلى أن نشاط كتاب دار الحياة لم يتناول الأدبيات (op. cit., 176) — أنظر النصوص

(٧) من الآراء المختلفة فى ترجمة هذه العبارة ; H. SCHAEFER und H. KEES = Schüler A.H. GARDINER = staffs. G. POSENER = étudiants

(٨) وانظر ملحق النصوص .

قبل » . وجاء من ناحية أخرى فى قول معلم يدعى « أمون نخت » لتلميذه « حورى مين » : « كن كاتباً وجس (خلال) دارالحياة ، تكن بذلك (؟) أشبه بخزانة كتب » . (١)

وإذن فقد كان فى دار الحياة معلمون ومتعلمون ، وكانت تدرس فيها كل الفنون « كات نب » أو كل الدروس (٢) ، ومامن شك فى أنه تميزت من هذه الدروس ، دروس الطب الذى خص وزاحور رسنت أقسامه بالذكر فى بداية متنه . وقد تقدم خلال حديثنا عن أدلة النشاط التعليمى فى العصور القديمة أنه عرفت للطب كتب تأخذ بالطريقة التعليمية التوضيحية (٣) ، وما نضيفه هنا هو أنه وجدت عدة لخاف كتبت عليها وصفات طبية لها من خصائص الصياغة ما أدى إلى ترجيح غرضها التعليمى كذلك (٤) ، وإن لم تتضمن شيئاً يصلها صراحة بدور الحياة (٥) .

وعندما زاد بعد الكتابة الهيروغليفية عن الاستعمال العام فى العصور البطلمية والرومانية اشتد ارتباط كتاب دار الحياة بهذه الكتابة ، واعتبروا هم العارفين بها والأمناء عليها (٦) ، كما أصبحت الكتابة الهيروغليفية نفسها تعرف أحياناً باسم « كتابة دار الحياة » (٧) ، وفى ذلك مايدعو إلى الاعتقاد بأنهم كانوا يدرسونها أويتدارسونها فى دور الحياة نفسها . وعلى نصب من عصر البطالمة أخذ « كاتب ملكى وكاهن تحوتى متوسط دار الحياة » يناشد فى دعائه الأخروى « كل خبير فى الكتابة تنور (؟) فى دار الحياة » (٨) ليقرأ له صيغة القربان . وذكر عالم بدار الحياة من ذات العصر أنه كان « مدير تعليم » (٩) أبناء عدد من طوائف الكهنة وإن كان يحتمل أن تدريسه هذا كان يجمع بين تدريس الكتابة وبين تدريس الدين معاً .

وإذا كان من شأن المكتبات أن تسهم بنصيب فى الاطلاع الشخصى وفى دراسة الكبار ، فثمة ما ينم عن أن دور الحياة كانت تحتفظ فى قاعاتها ببعض ما يكتب فيها (١٠) ، فقد ذكر عن رمسيس الرابع أنه

---

(١) I.F.A.O., 2187 ; 2190 ; Bruxelles E 6444, Brit. Mus. 4154 — انظر النصوص .

(٢) استعملت كلمة « كات » فى أكثر من متن بما يتعدى معناها الحرفى «أعمال» إلى معنى دروس أوعلوم وما أشبه ذلك . ومن ذلك ما ذكره خيتى بن دوواف عن المدرسة من أن أعمالها أى علومها تخلد خلود الجبال (Sall. 11.9,5. وما يذكره نص متأخريدعو « الذين يفسرون أسرار الكتب والمهرة فى أعمال (كات) السلف. (Louvere C. 232).

(٣) تراجع صفحة ١٦٩ ، ومما يتضح فيه الغرض التعليمى والتوضيحى من بردية ايبرس : Ebers, 19, 17-19 ; 42, 8 f. 99 ; 1f. ; 100, 8-9 ; 14-15 ; 101, 12 ; 101, 21 وتتميز بردية إدوين سميث بتخصصها وترتيبها المقصود وصبغتها التعليمية البعيدة عن الأخذ بالرقى والتعاويذ .

(٤) F. JONCKHEERE, *Prescriptions médicales sur ostrata hieratiques,* Chr. d'Egypte, 1954, p. 48 f.

(٥) تراجع مع ذلك حاشية ١ ص ٢٢٧ عن أدوات يحتمل أنه كانت لها صلتها بالطب فى دار حياة العمارنة .

(٦) B GUNN, op. cit., 252.

(٧) Canopus, 11.18, 32, 34 37.

(٨) Urk. II, 154 ; B. GUNN, op. cit., 252. أنظر ملحق النصوص .

(٩) Louvre C 232

(١٠) Cairo 22017. وتراجع ص ٢٢٠ .

(١١) من رأى جاردنر أن ما كان يكتب فى دور الحياة لم يكن يحفظ بها ، أى أنها لم تكن تحتوى على مكتبة ، ولو أنه قد ذكر الفقرات التى استشهدنا بها فى المتن ، فى مواضع متفرقة من بحثه دون التعليق عليها (op. cit., p. 177)

فحص (حوليات ؟) تحوتى الموجودة (؟) فى دار الحياة ..... (١) ، واطلع على مكتوباتها » (٢) . وأطلقت بردية متأخرة على « الكتب التى فى دار الحياة » (٣) اسم أرواح رع أو قدرات رع . وذكر عن كتاب « هزيمة عبب » أنه « ذلك الكتاب السرى فى دار الحياة الذى لا تراه عين بشر » (٤) وذكرت لوحة المجاعة التى أعيدت كتابتها فى عصر البطالمة ويرجح أنها كانت تجديداً للوحة قديمة أقيمت فى عهد زوسر ، أن هذا الملك عند ما سأل الحكيم إيمحوتب عن موارد النيل والإله المتحكم فيها طلب إيمحوتب إذناً منه أن يتوجه إلى دار الحياة ليفتح الكتب (باورع) ويسترشد بها » (٥) .

وأخيراً فقد كان من أثر ما أوحت به المتون السابقة وما شاكلها عن الدور التعليمى والتثقيفى لدار الحياة ورجالها أن عقب جاردنر ، على الرغم من أنه آثر اعتبارها مجرد دار للنسخ والتصنيف ، بأنه ما من بأس من القول بأن من كان يتوق إلى تعليم راق كان يقضى فترة فيها قبل أن يتسلم وظيفته الكتابية أو الكهنوتية فى إقليمه (٦) .

مكان دور الحياة من المعابد والحواضر :

كان ارتباط رجال هذه الدار بألقاب الكتاب أكثر من ارتباطهم بألقاب الكهانة وبخاصة فى العصور الفرعونية (٧) ، وذلك مما يعنى أن صفتهم المدنية كانت أوضح من صفتهم الدينية ، ولو أن هذا لم يحل دون أن يجمع بعضهم بين وظائفها وبين وظائف الكهانة فى آن واحد ، أو يتولى منصباً دينياً فى دار الحياة نفسها ، بحيث ظهر منهم من تلقب بلقب « كاهن تحوتى داخل دار الحياة » ، ومن تلقب بلقب « الأب المقدس لرع أتوم فى دار الحياة » ، ومن تلقب بلقب « الكاهن الأعلى لدار الحياة » (٨) ، ومن تلقب بلقب « الكاهن الأول لدار الحياة » (٩) . ويصور مركز دور الحياة من الحواضر التى قامت بها أطلال دار حياة فى العمارنة تعرف عليها J. Pendlebury بعد أن وجد أختاماً مرقومة باسمها على بعض قوالب اللبن التى بنيت بها (١٠) ، وقد تبين أنها كانت على بعد ٤٠٠ متر جنوبى المعبد الكبير وعلى بعد مائة متر شرقى المعبد الصغير والضاحية الملكية وكانت من قسمين رئيسيين Q 42, 19 ; 20 وأقسام أخرى تابعة Q 42, 22, 2, 31, 30 ويقع مدخل أكبر

---

(١) AeZ. XXII, 38, 1.9.

(٢) تراجع ص ٢٢٢ حاشية ٣ وص ٢١٧ - وانظر ملحق النصوص .

(٣) Pap. Salt 825, 7, 5-6. تراجع ص ٢٢٨ انظر ملحق النصوص .

(٤) BRENNER-RHIND Pap., 29, 16. انظر ملحق النصوص .

(٥) J. VANDIER, La famine dans l'Egypte ancienne, Le Caire 1936, p. انظر ملحق النصوص .

(٦) A.H. GARDINER, op. cit., 177.

(٧) see, G. MASPERO, Les Contes Populaires de l'Egypte ancienne, Paris, 1911, p. 130 ; GARDINER, op. cit.

(٨) see Wb II, 188 انظر ملحق النصوص .

(٩) MARIETTE, Mastabas 1435 انظر ملحق النصوص .

(١٠) J. PENDLEBURY, The City of Achenaten, part III (The Central City and Official Quarters), London 1951, pl. XLIX, 3, pl. LXXXIII, VI ; p. 115 ; see also. J.E.A. XX, 134 ; XXIV, p. 160 f ; 177.

أكبر القسمين الرئيسيين إلى ناحية الغرب، وتقع قاعته الرئيسية إلى الجنوب ويؤدى إليها بهو أو غرفة طويلة، فى حين توجد فى ناحيته الشرقية حجرتان وفى ناحيته الشمالية حجرة واحدة. وكان يحيط بالمبنى ممرات لم يتبق من آثارها غير حوض صغير فى الجانب الشمالى منها. أما القسم الآخر Q 42, 20 فكان أصغر، ويتكون من فناء يرتفع سقفه فوق دعامة.

وكانت للدار أقسام أخرى تجاورها ويرجح أنها من توابعها، وأهمها دار سكنى رسمية يقربها J. Pendlebury إلى دار a don فى أكسفورد كما يقول، تتألف من فناء ورواق وبهو مدخل وحجرة رئيسية ودرج صاعد وحجرة نوم كبيرة. وما من شك فى أن تعدد الأقسام المرجح تبعيتها لدار حياة أخيتاتون إنما يشهد بأهمية هذه الدار وإن لم يكن من سبيل إلى تحديد الأغراض التى كان يخدمها كل قسم منها (١). وكانت توجد إلى الشمال الغربى من دار الحياة دار مراسلات الفرعون أو دار المراسلات الخارجية، وذلك مما يحتمل أن يزكى اتصال دور الحياة بالإدارات المدنية أكثر من المعابد (٢)، ولو أنه وجد على بعض قوالب Q 42, 19 عبارة «با أتون» (٣) مما يربط بينها وبين الإله أتون وإن لم ترتبط بمعبده. ووجد بين ركام هذه المبانى عدد من اللخاف كتبت عليها قوائم بأسماء كتبة ملكيين افترض J. Pendlebury أنهم كانوا المحاضرين فى تلك «الجامعة» على حد تعبيره (انظر لوحة ٦٣).

ويرى ألن جاردنر أنه مما يؤيد تميز مبانى دور الحياة عن المعابد نص فى معبد إدفو وصف تنقلات موكب الإله حور ومعيته فى أحد أعياده فذكر أنهم «اتجهوا (من المعبد؟) إلى بهو دار الحياة حيث يؤدى كل احتفال لدار الحياة ثم قضوا ليلتهم فى ذلك المكان» (٤).

وثمة صورة أخرى لدار الحياة تتمثل فى رسم خيالى تضمنته بردية سحرية متأخرة، وقدر صاحبه أنه سيكون لدار حياة مثالية يشرف عليها الآلهة وتقام فى أبيدوس (لوحة ٦٤) (٥). وأتبع صاحب الرسم رسمه بما يوضحه ويفهم منه أن هذه الدار تتكون من أربعة جسوم (؟) يكسى الداخلى منها بالبوص؟ و (يبنى) الجسمان الخارجيان من الحجر. ويكون لها أربعة أبواب من جهاتها الأربعة، كما يكون لها أربع قاعات (؟) تمثل الأرباب إيسة ونبت حت وجب ونوت. وتفرش أرضيتها بالرمل. أما أركانها الأربعة فتوجد الربة إيسة على ركن (منها) والربة نبت حت على الآخر، ويكون حور على ركن وتحوتى على

(١) مما وجد بين أنقاض Q. 42,19 سكين مشرشرة من الظران وقاطع من البرنز، فهل كانا مما يستعمل للطب فيها؟ (see, PENDLEBURY, op. cit. p. 120; 33/111).

(٢) يراجع بعده

(٣) J. PENDLEBURY, op. cit., p. 115.

(٤) E.G. CHASSINAT, Edfou, V 135, 11.44-45 : A.H. GARDINER, op. cit., p. 177

(٥) Pap. Salt 825 (Brit. Mus. 10051); GARDINER, op. cit., Fig. 2see, BUDGE Fasc. of Egyptian Hieratic Papyri, 1910.

الآخر (١) : أما الكائن الخفى الثاوى فيها فهو الإله الأكبر (أوزير) . » وأولئك الذين يدخلونها هم جماعة ؟ رع (أو أهل كتب رع ؟) كتبة دار الحياة (٢) وهم أتباعه القائمون بحماية ولده أوزير على الدوام » ، ويمثل كاهن ... ؟ فيها « شو » ، ويمثل المضحى فيها حور الذى يذبح الأعداء لأبيه ، ويعتبر كاتب الكتب المقدسة (فيها) تحوتى ، وهو من يرتل كتاب الطقوس كل يوم . أما الكتب الموجودة بها فهى قدرات (؟) رع » .

(١) ويعقب بقوله وهؤلاء هم الأركان الأربعة (6,8). وكان الطبيعى أن يرتبط تحوتى بدار الحياة وهو رب العلم والمعرفة (Louvre C 232) وأطلق على « إيسة » لقب « ربة دار الحياة » (Brussels Mus. 290) ، وانتسبت إليها نبتحت أيضاً E.G. CHASSINAT, La seconde travaille de Deir el Bahari , pp. 31,40 62, etc. وذكرت صلة حور بدار الحياة فى بردية أخرى (Leiden, 347; 3, 2) .

(٢) انظر ملحق النصوص .

الكتاب الثالث

طرق التعليم ومناهجه

الفصل العاشر

المناهج التعليمية

تمهيد بمقاييس الثقافة عند المتعلمين المصريين :

تتميز أغلب تراجم المتعلمين المصريين بما ينسب إلى أصحابها من علم متعدد النواحى ، وما يضفى عليهم من ألقاب يتطلب القيام بأعبائها أفقاً متسعاً وتنوعاً فى المعارف(١) . وهذا الذى تتسم به تراجم المتعلمين ، مع تقدير احتمالات الادعاء والمبالغة فيه ، لا يخلو من دلالة على أن الأخذ من كل ثقافة بنصيب كان أمراً مستحباً ، وأن أفق المناهج التعليمية لم يكن بالأفق الضيق ، إذ يبعد أن تتخلف هذه المناهج عن الاتجاه العام إلى الثقافة المتنوعة فى مجتمعها .

وثمة نموذج طريف لما كان يفترض أن تكون عليه ثقافة المتعلم فى عصر الرعامسة ، وهو العصر الذى يرجع إليه أغلب ما تبقى من الوثائق والدروس التعليمية . ويتمثل هذا النموذج فى مهاجاة أدبية نشبت بين كاتبين من كتاب الجيش ، أحدهما تقدم ذكره وهو الكاتب حورى معلم المساعدين فى ديوان الكتابة ومربى جياد الفرعون والمسجل فى القائمة ضابطاً من ضباط الاسطبل الملكى(٢) ، والثانى هو كاتب أوامر الجيش أمنموبى . وقد استخدم المعلمون هذه المهاجاة استعمالاً واسعاً فى دروسهم مما ستتبينه فى أكثر من موضع من مواضع هذا الكتاب .

وفى الرسالة الثالثة من المهاجاة افترض حورى فى زميله أنه « كاتب بكل الأساليب (؟) ومامن شىء يجهله »(٣) وأنه « من يلتمس الناس إجابته ليجدوا السداد فيها » فى حين وصف نفسه بأنه « المتفنن فى الأقوال المقدسة (أو أقوال الأرباب) ومامن شىء يجهله – وأنه من يعرف الأسرار فى السماء والأرض والعالم السفلى ،

---

(١) Proc. S.B.A. V. 559; Anc. Egypt, 1924, 33-35; Urkunden des Mittleren Reiches 61 f.; El Berscheh II, 44-45; Urk. IV, 993; AeZ. LX, 63, 73; Anc. Records, II, 914

وانظر على سبيل المثال وصف الوزير رخميرع لصفات الكاتب الحق حينما يدعو فى دعائه الأخروى «كل كاتب كفء ، فطن فى الكتابة ، يطالع فى الكتب (أو المتون (؟)) ويتفهم بعقله ، طلق اللسان ، مستنير (؟) يتعمق فى الأقوال ، علمه رئيس الأداء كما ينبغى أن يكون ، سريع البديهة ، ثابت الجنان ، جرىء فى النقاش ، وإنه لعالم كل من أصغى إلى ماقاله الأوائل آنفاً » . (AeZ., LX, 75, 11, 40 f.)

(٢) تراجع ص ١٧٧

(٣) كانت الرسالة الأولى من حورى وكانت الثانية رداً من امنموبى عليه ، ولم يتبق نصهما وإنما تضمنت الرسالة الثالثة الباقية وهى من حورى تلميحات قصيرة عنهما (انظر ص ٢٧٧) .

وأنه السريع فى كتابة الصفحات الخالية ، من يفسر خبايا الحوليات كما ألفت به (ومرادفها كمن ألفها) ، ثم بنى مهاجاته على هذه الأسس من الثقافة لنفسه ولزميله ، وكانت النواحى التى ساءله فيها مظهراً علمه بها وعجز خصمه عنها هى :

١ — إتقان الكتابة .

٢ — حفظ جانب من الأدب القديم، مثل حفظ فصول من تعاليم حوردد ف بترتيبها الصحيح (ص ٢٦٩) واستيعاب تعاليم كل الكتب بحيث تكون منقوشة على قلب دارسها (١) .

٣ — إجادة أدب التراسل (ص ٢٧٧) وقواعد النحو (؟) (ص ٢٥٦) وكتابة التقارير (٢)

٤ — تقدير أرزاق الجند وتقسيمها بدقة وعلى أسس حسابية سليمة (٣) ، وإتقان مسائل الحجوم (٤)

٥ — الإحاطة بمعلومات عن بعض مدن القطر (ص ٣١٨) وطائفة من البلاد الخارجية وشهرتها (ص ٣٢٨ +) مما يمكن تسميته بالمعلومات الجغرافية مع شىء من التجوز .

٦ — التخلق بحظ من الشهامة ، واكتساب نصيب من الثقافة العسكرية أو على الأقل من الجرأة على مواجهة المخاطر (٥) بما يكفل لكاتب الجيش مكانته فيه .

ولتكمل هذه النواحى الثقافية للمتعلم يضاف ادعاء حورى السابق بمعرفته أسرار السماء والأرض والعالم السفلى ، وهذه المعرفة يحتمل أن تعنى ضمن ما تعنى معرفته بنصيب من الثقافة الدينية ، ثم ادعاء مشابه لخصمه قال فيه : «لقد تبحرت (؟) ككاتب فيما يتعلق (؟) بالسماء والأرض والعالم السفلى وإنى لأعرف الجبال بالدبن والهن ..... » (٦) وهذا مما يعنى التبحر فى المعارف العامة على الأرجح .

هذه الخطوط الثقافية التى تستخلص عن الثقافة المستحبة للمتعلم أو الكاتب ، من مهاجاة حورى لزميله ، تصدق إلى حد كبير على ما عالجته الدروس والكتب التعليمية الباقية ، وذلك مما يعنى أن المناهج التعليمية كانت تتمشى مع الرغبة العامة فى الثقافة المتعددة النواحى . فمن هذه الدروس والكتب التعليمية يمكن تكوين صور محتملة لمنهاج أو مناهج متقاربة لتعليم اللغة وآدابها ، ومنهاج أو مناهج متقاربة للرياضيات بأقسامها ، ومنهاج أو مناهج أخرى أقل تماسكاً لموضوعات متعددة الأغراض يمكن جمعها تحت اسم المعلومات العامة ، وتتضمن ما سنسميه مع قليل من التجوز بالمعلومات الجغرافية والتاريخية والدينية ، فضلاً عن المعلومات العملية ، غير أنه ينبغى تقدير أن الحدود الفاصلة التى تفرض الآن بين المواد المتميزة يصعب تتبعها أو تمثلها فى المناهج المصرية القديمة ، إذ كثيراً ما كانت تتداخل الدروس بعضها فى بعض ، وينطبق هذا بخاصة على دروس المعلومات العامة التى تداخلت فى الدروس الأدبية ، وينطبق كذلك على ذات المهاجاة

(١) انظر ملحق النصوص .

(٢) See, A. ERMAN, Die Literatur der Aegypter, 293.

(٣) Ibidem, 281, 285.

(٤) Ibidem, 282-284

(٥) Ibidem, 286, 289

(٦) Anastasi I, 11, 4-5.

والدبن وحدة وزن صغيرة توازى ٩١ جراما ، أما الهن فهو من وحدات الكيل الطفيفة ويوازى ٠.٤٦٪ من اللتر .

التي كان المعلمون يدرسونها لتلاميذهم لما تتضمنه من أدب راق شيق ومعلومات جغرافية متنوعة وربما لما فيها من أحاجي الحساب والحجوم أيضاً .

أولا – مناهج اللغة وآدابها : تألفت هذه المناهج من :

(ا) دروس فى الخط والهجاء ، وهذه كان التلاميذ يؤدونها فى غالب الأحيان بالخط الهيراطيقى ، وقليلاً ما وجدت مكتوبة بالخط الهيروغليفى (ص ٢٤٥+) ، وهى وإن كانت تبدأ مع التلميذ فى مرحلته التعليمية الأولى ، إلا أنه كانت تقدر لها أهميتها كذلك فى مرحلته التعليمية المتقدمة .

(ب) دراسة قواعد اللغة ، ولا تسمح ندرة ما وجد من تمارينها المنفصلة (ص ٢٥٦) بتأكيد المرحلة التى كانت تدرس فيها ، وإن كان لا بأس من تخمينها بالمرحلة المتقدمة .

(ج) دروس فى الآداب القديمة : وهذه بما تضمنته من شعر ونثر كان لها تقديرها البالغ فى المناهج التعليمية ، وكان من الطبيعى لمصر الفرعونية ذات التراث الثقافى القومى الضارب فى القدم ، أن تدأب على الإشادة بهذا التراث وأن تخلده على ألسنة أبنائها المتعلمين من جيل إلى جيل . وكان ذلك هو شأن المعلمين إزاء الآداب القديمة التى أولوها التقدير الكبير فيما كانوا يدرسونه لتلاميذهم (١) . وكانت دروس هذه الآداب تبدأ مع التلميذ فى مرحلته التعليمية الأولى بفقرات بسيطة (٢) ، ثم يواصل دراستها فى مرحلته المتقدمة بنصوصها الكاملة (٣) . والراجح أن ما كان يستهدف من دروسها فى المرحلة الأولى هو أن يتمثل التلميذ هجاء كلماتها العديدة والصور المعتادة لكتابتها خلال قراءته أو كتابته لها ، دون أن يلتزم بتفهم معانيها أو دراسة قواعدها . ولو أن هذا لم يكن يعفيه من أن يكلف بحفظ جانب مما يخطه من فقراتها (ص٢٦٤) ربما ليتعود على النطق السليم وليتزود من حداثته بطائفة من التعبيرات الراقية .

أما فى المرحلة المتقدمة فقد كانت دراسة هذه الآداب القديمة بنصوصها الكاملة تكفل للطالب أن يتفهم أغراضها ويستمتع بما فيها من بيان ويتعرف على مؤلفيها (٤) ويكون أقدر على الاقتباس منها والاستشهاد بها . وقد تجمعت لدى المعلمين فى الدولة الحديثة ثروة متنوعة من الآداب القديمة (ص ٢٦٠) يعنينا الآن منها ثلاثة موضوعات هى : تعاليم خيتى بن دواوف ونشيد النيل وتعاليم أمنمحات الأول . ووجه الأهمية فى هذه الموضوعات الثلاثة هو ورودها متلازمة فى عدد غير قليل من دروس اللخاف والألواح وكراسات البردى التى ترجع إلى ما بين عصر الأسرة الثامنة عشرة على أقل تقدير وبين نهاية عصر الرعامسة والتى كان منها ما وجد فى منف وكان منها ما وجد فى طيبة (٥) . وقد أدى ذلك جميعه إلى الاعتقاد بأنها

---

(١) تراجع مناقشة هذا الرأى ص ٢٦٠ +

(٢) تراجع ص ٢٦٤ .

(٣) تراجع ص ١٨٤

(٤) تراجع ص ١٣٦ عن درس تمجيد المؤلفين ، وتراجع كذلك ص ٢٧٩ ، حيث يختم التلميذ الذى كتب هذا الدرس كراسته بدعاء لأحد من ذكرهم معلمه من المؤلفين وهو الكاتب خيتى قائلا : « وهو الذى ألف كتاباً بتعاليم الملك سحتب اب رع عند ما لحق بالسماء ليستريح ... » وذلك مما يدل على تفهمه غرض مادرسه من هذه التعاليم وتعرفه على مؤلفها ، وإن كان يحتمل أنه أخطأ فى ذلك (انظر ص ١٦٢ حاشية ٤) .

(٥) من البرديات Pap. Sallier II ; Pap. Anastasi VII ومن الألواح Louvre E8 (inv. 693) =

كانت تؤلف جانباً أساسياً ، مقرراً أو متوارثاً ، من منهاج أدبى يدرس فى المرحلتين الأولى والمتقدمة جميعهما (١) ، وإن يكن نصيب المرحلة الأولى من دراسته يختلف عن نصيب المرحلة المتقدمة كما تقدم . وكان أساس الجمع بين هذه القطع الثلاثة فيما نرى ، هو تقدير التنوع فيها ، أى التنوع فى صياغتها وأغراضها وما يمكن للدارس أن يستفيده منها وذلك ما سوف نشرحه بالتفصيل ص ٢٦١ +

(د) دروس الآداب المعاصرة :

لم يتعطل الإنتاج الأدبى فى عصر من عصور مصر الفرعونية ، ولم يكن تقدير المثقفين لتراثهم القديم فى عصورهم المتعاقبة يحول دون أن يهيئوا للآداب الجديدة مكانها إلى جانب ماورثوه ، فيكون لهم منها تعاليم وأناشيد دينية تصاغ على شاكلة التعاليم والأناشيد القديمة ثم تعاليم وأناشيد دينية أخرى تؤلف بما يوائم عصرها . ويكون لهم منها قصص تأخذ أفكاراً قديمة فتنطقها بروح عصرها ، وأشعار تنظم بأحداث عصر تأليفها وأمجاده . وكما كان للجديد من هذه الآداب مكانه فى الحياة الثقافية العامة ، كذلك كان له مجاله فى الحياة التعليمية . فنى عصر الرعامسة استخدمت مهاجاة حورى لزميله التى ألفت فى ذات العصر استخداماً واسعاً فى التعليم ، واقتبست دروس من تعاليم آنى وتعاليم أمنموبى (ص ٢٦٩) وتضمنت الكراسات التعليمية الكثير من الأناشيد المجدة للفراعنة الرعامسة وانتصاراتهم (ص ٢٦٨) وتضمنت مواضيع وصفية وانشائية مستحدثة تصف بر رمسيس وتصف منف فى عهدها الجديد وتذكر طيبة (ص ٢٨٢+) ، ولو أننا سنتبين فيما بعد أن من هذه الموضوعات الوصفية الإنشائية مالم يكن يدرس لوجه الأدب وحده؛ وإنما كان يستهدف منها كذلك ما تتضمنته من المعلومات العامة المتنوعة (ص ٣٢٠) .

(هـ) أدب الرسائل :

كان أدب الرسائل ألصق الآداب بمطالب كل عصر يدرس فيه (ص٢٧٣ +) . وكان يدرس عادة لتلاميذ المرحلة المتقدمة ، وتتألف دراستهم له من : دراسة لنماذج من الرسائل الإدارية عن طريق النسخ أو الإملاء ثم العمل على تقليدها وكتابة أمثالها (ص ٢٧٥) ، ودراسة لنماذج من الرسائل الإخوانية عن طريق النسخ أو الإملاء أيضاً ثم محاولة النسج على منوالها (ص ٢٧٧) ، وأخيراً دراسة لرسائل تجعل موضوعها الترغيب فى الدراسة والتحذير من إهمالها ويتخذ المعلم فيها صفة المرسل ويتخذ التلميذ فيها صفة المرسل إليه (ص ٢٧٨ +) .

(و) الأخلاقيات :

كثيراً ماكانت دروس الأخلاقيات تتداخل فى فروع الدراسات الأدبية الأخرى ، فتداخلت فى الآداب القديمة وتعاليمها التى لم تخل واحدة منها من حكم أخلاقية ومثل للسلوك القويم (ص ٢٦٩) (٢)

(Rev. d'Egyptologie I, 52 f.); Brooklyn I (Melangès Maspero, 480 f.) =
Ost. Deir el Med. 1014 ; 1039 ; 1204 ; 2034 ; Cairo 25215. ومن اللخاف

(١) A. ERMAN, op. cit., 239 ; G. POSENER, Cat. des Ostraca Hieratiques Littéraires de Deir el Médineh, Le Caire, 1938, p. IV.

(٢) انظر أيضاً T.E. PEET, A Comparative Study of the Literatures of Egypt. Palestine and Mesopotamia, London 1931, p. 31.

وتداخلت فيما صاغه المعلمون من رسائل إلى تلاميذهم يحضونهم فيها على اختيار السبيل السوى فى السلوك وفى إيثار مهنة الكاتب . ولو أنها كانت تدرس أحياناً أخرى منفصلة فى موضوعات قصيرة واضحة المدلول تهدف إلى تنظيم سلوك الفرد مع نفسه ومع ربه ومع الناس (ص ٢٧١ +) (١) .

تلك كانت هى الصورة التقريبية للمنهاج الأدبى كما تستخلص من الدروس والكتب التعليمية المتفرقة التى تخلفت عن عصور الدولة الحديثة على وجه الخصوص . وفيما تركه أحد طلاب ذلك العصر وهو الطالب « إننا » (٢) من كراسات مرحلة تعليمه المتقدمة (حين كان تحت الإشراف فى بيت المال) ما يزكى هذه الصورة . فهو قد ترك خمس كراسات ، منها اثنتان للأدب القديم ، كتب فى أولاهما الثلاثة الموضوعات الشهيرة : تعاليم أمنمحات الأول ، وتعاليم خيتى بن دواوف ، ونشيد النيل (٣) ، وأعاد فى الكراسة الثانية موضوعين منها وهما تعاليم خيتى بن دواوف ثم نشيد النيل ، وربما كان معهما الموضوع الثالث فيما تمزق من الكراسة (٤) ، وذلك مما يرجح الرغبة فى إتقان ما أعاده إن لم تكن الرغبة فى حفظه . ثم كراسة ثالثة تضمنت قصة الأخوين التى يرجح تأليفها فى ذات عصر إننا (٥) . وكراستان خصصتا أساساً لدراسة الرسائل (٦) ، ولو أن إحداهما تضمنت إلى جانب رسائلها النموذجية والتهذيبية والعملية مقطوعات شعرية ونثرية قصيرة وموضوعاً يغلب أن يكون القصد منه هو التزود بطائفة من المعلومات العامة (ص ٣٢٥) .

وفى كراسة واحدة جمع الطالب بنتاورت (٧) بين دراسة الأدب القديم ممثلاً فى جزء من تعاليم أمنمحات ، وبين دراسة الأدب المعاصر ممثلا فى عدد من الرسائل المتنوعة وأنشودة للاله تحوتى وأخرى للفرعون مرنبتاح ، وبين دراسة فى المعلومات العامة تمثلت فى قصة تاريخية وهى قصة كفاح سقننرع ضد الهكسوس (ص ٣٣٦) .

على أنه مما ينبغى تقديره أن الكراسات الموجودة ومنها الكراستان السابقتان ، قد احتفظت بآخر ما كتبه الطلاب عليها وليس بكل ما كتبوه عليها ، إذ كان من ميزة البردى إمكان محو الكتابة منه ثم استعماله لعدة مرات (٨) ، وكان هذا هو شأن الألواح المدرسية أيضاً فضلا عن الكسر واللخاف . وعلى هذا فما بقى من الكراسات لا يمثل غير جانب أو جوانب محدودة من المناهج التعليمية . وإذا صح الرأى القائل بأن التاريخ التى كتبها الطلاب فى أعلى صفحات كراساتهم وأسفلها تحدد العمل اليومى للطالب (٩) ، لكان فى

---

(١) عن وجه آخر من وجوه الدراسات الأدبية انظر ص ٢٣٧

(٢) تراجع عنه ص ١٧٧ وص ١٨٤

(٣) Pap. Sall. II.

(٤) Pap. Anastasi VII.

(٥) Pap. d'Orbiney.

(٦) Pap. Anast. IV and VI.

(٧) Pap. Sall. I

(٨) A.H GARDINER, Late Egyptian Miscellanies, Bruxelles, 1937, pp. XV, XVII

ومن كراسات الطلبة الباقية ما استخدم أصلا لأعمال إدارية ثم محى ماعليه لا ستخدامه المدرسى ، فى حين أن منها ما محيت منه بعض موضوعاته المدرسية لكتابة أعمال إدارية . (GARDINER, op. cit., p. XVIII, 125)

(٩) Ibid., p. 92; A. ERMAN, H RANKE, Aegypten und agyptischen Leben, 380.
A. ERMAN, Schülerhandschriften, 8-9.

ذلك كل التأييد للرأى السابق . وليس أدل على ذلك من أن واحدة من الكراسات التى يعول على موضوعاتها فى دراسة الرسائل قد احتفظت بإحدى عشرة صفحة كتبها صاحبها فى ثلاثة أيام فحسب (١) ، وأخرى احتفظت بسبع وعشرين صفحة كتب الطالب منها ١٣ صفحة أو ١٤ فى ثلاثة أيام (٢) ، وليست ثلاثة الأيام فى عمر الدراسة غير شىء تافه . والواقع أنه يصعب استنتاج شىء من مقدار العمل اليومى فى حد ذاته وهو بين الثلاث صفحات والأربع أو مايزيد عن ذلك(٣) . فهو قد يكون محصولاً قليلاً كما يرى إرمان بحسبانه مجرد دروس فى النسخ (٤) ، فى حين يمكن اعتباره شيئاً كثيراً إذا افترضنا أنه لم يكن لغرض النسخ وحده وإنما لغرض الدراسة الحقة بما تستوجبه من تفهم وشرح ، وأن وقت تلاميذ الإدارة أصحاب هذه الكراسات لم يكن للدراسة كله ، وإنما يحتمل كما ذكرنا من قبل وكما استدرك إرمان أيضاً (٥) ، أن واجبات الوظيفة كانت تجتزىء جانباً منه . وثمة فرض مقبول لإرمان أيضا ، وهو إعتبار كتابة الصفحات السابقة فى أيام متتالية بمثابة اختبار تنتهى به مدة تمرين الكاتب المساعد وينضم بعد نجاحه فيه إلى زمرة الذين تسلموا شرعاً عدة الكاتب (٦) .

وحينذاك كان يحق لأحدهم أن يقول : «أصبح اسمى على رأس القائمة وأعطيت اللوحة فى يدى» (٧) ، بينما يعرض آخر بنجاح زميله فيقول له : « إنك تسلمت اللوحة بالباطل (أو بالغش) » .

على أية حال فإن كتابة ثلاث صفحات أو أربع فى اليوم لم تكن هى شأن العمل فى كل الكراسات ، وإنما بقى على ظهر واحدة ١٩ صفحة بعضها كامل وبعضها لم تبق منه غير سطور ، كتبت منها أربع صفحات تتضمن موضوعاً واحداً فى أكثر من شهر (٨) ، وهذا يرجح غرض الدراسة التفصيلية دون مجرد النسخ أو الكتابة عن إملاء ، فى بعض الحالات على أقل تقدير

ثم لوحة خشبية رأى بوزنر وبيانكوف أن التلميذ كتب وجهها ثم بدأ موضوعاً آخر على ظهرها ، ولما شغل الظهر عاد إلى الوجه وبدأ يمحو سطوره سطراً فسطراً ويكتب بقية موضوعه سطراً فسطراً أيضاً ، وبهذا أصبحت التواريخ الأخيرة التى احتفظت اللوحة بها تبدأ بيوم ٢٤ من السطر الثانى للظهر وبيوم ٢٥ (؟) من السطر الرابع ، ثم باليوم السابع للشهر التالى من السطر التاسع ، وباليوم الثانى عشر من السطر العاشر . أما تواريخ الوجه فتبدأ باليوم الحادى والعشرين من سطره العاشر وباليوم السابع والعشرين من سطره الثانى عشر (٩) .

(١) Pap. Bologna, 1094.

(٢) Pap. Anast. V.

(٣) فى نفس الكراسة السابقة ما يحتمل معه كتابة ست صفحات فى اليوم الواحد تراجع ص ١٥٣ هامش ٦

(٤) A. ERMAN, H. RANKE, op. cit., 380.

(٥) Ibidem.

(٦) A. ERMAN, L'Egypte des Pharaons (traduction de H. Wild), Paris 1939, p. 243. انظر أيضاً ص ١٧٩

(٧) Urk. IV, 503, 6

(٨) Pap. Sall. IVvs. 1-4 ; see A.H. Gardiner, op. cit., 92

(٩) G. POSENER, avec VAN DE WALLE, La Transmission des Textes Littéraires Egyptiens, p. 293 compare also J.E.A., XII, 193.

وإذا صح تقدير بوزنر وبيانكوف لهذه التواريخ فقد يكون من تعليل تباعد كل تاريخ منها عن الآخر أن التلميذ لم يكن يبدأ سطوره الجديدة إلا بعد أن يحفظ ما قبلها ويطمئن معلمه على حفظه لها .

وثمة لوح صغير لتلميذ من عصر الأسرة الثانية والعشرين (١) تضمن وجهاً جديداً حياً لما كان يدرسه التلاميذ ويتخذ مسحة الأدب وإن لم يكن من الأدب الخالص . ويتضمن هذا اللوح بداية محاورة بين الرأس والجسد ، يقول الرأس فيها إنه الشعاع الذى فى البيت كله والذى يتلقى (؟) الأشعة ويخضع الأشعة معاً ، وأن كل عضو اعتمد عليه سعيد . ولكن هل استخدم المعلمون كثيراً من أمثال هذه المحاورة الأدبية الفلسفية ؟ لو صح ذلك لكان فيه متعة حقيقية للتلاميذ . ولا يخلو من دلالة فى الوقت نفسه أن جانباً من الأدب المصرى الكلاسيكى قد اعتمد على المحاورة لإثبات الفكرة ، ومن ذلك محاورة الروح لصاحبها المتشائم وإلى حد ما قصة القروى الفصيح (أو خطبه) وتحذيرات إيوور (٢) فى حين تبقت من العصور المتأخرة محاورات أخرى صريحة صيغت على ألسنة الحيوان ، ومنها ما يدور بين قطة وابن آوى للتعبير عن الموازنة بين فكرة بقاء الخير وفكرة بقاء الأقوى (٣) ، وأخرى بين فأر وأسد (٤) .

والواقع أنه إذا كانت هذه المحاورات الحيوانية المتأخرة تتعرض لشىء من الظن بتأثرها بالأدب الإغريقى(٥) ، فإن ثمة رسوماً على الأختام واللخاف والبردى منذ الدولة القديمة ذاتها تصور الحيوانات فى زى الإنسان وحركاته وأفعاله (٦) ، وذلك مما يوحى بأنه كان من ورائها قصص شائع ، وأن تخيل الحوار بين الحيوانات لغرض تغليب فكرة أو التعبير عنها لم يكن غريباً عن الفكر المصرى الخالص ، وهذا مما يمكن ترجيحه على الأقل فيما صوره فنان الدولة الحديثة من قصة إنحرة (أونوريس) (٧) حيث يجلس القرد (تحوتى) أمام اللبؤة (تفنوت) يحاول أن ينزع التوحش ونوازع الشر عنها وأن يردها إلى طبيعتها المصرية الهادئة الخيرة مستعيناً فى ذلك بلباقة الحديث وقص القصص وضرب الأمثال . وليس معنى ذلك أن هذه القصة بالذات كانت تدرس ، وإنما يكفى التعقيب بأن المدرس الذى أجاز أن يدرس لتلميذه محاورة

(١) A. ERMAN, Die Literatur der Aegypter, 224.

(٢) see A.H. GARDINER, The Admonitions of an Egyptian Sage, Leipzig 1909, p. 17.

(٣) L. SPENCE, Myths and Legends of Ancient Egypt, London 1949, p. 188-189.

(٤) Ibid., 195.

(٥) Ibid., 195 – ومن البيوت المتصلة بمقابر تونة الجبل من العصرين البطلمى والرومانى بيت أطلق عليه حديثاً اسم بيت أوديب – رسمت على جدرانه الداخلية ثلاث لوحات اقتبست إحداها من قصة أوديب ، ومثلت الثانية قطة نافرة يقف أمامها ديك متزن كأنما يتحدث إليها ليقنعها بالتعقل والهدوء ، وبالبيت حجرة داخلية يحتمل أنه كان يشغلها معلم يستخدم هذه اللوحات فى توضيح دروسه القصصية . S. GABRA, Rapport sur les fouilles d'Hermopolis Ouest, 1941, No. 16, pl. 44-46, p. 97 f.

(٦) See, E. BRUNNER-TRAUT, Aegyptische Tiermarchen, in AeZ. 80, 1955, 12f.

(٧) Berlin 21443
H. JUNKER, Die Onurislegende, see also W. SPIEGELBERG, Eine Illustration des Ramissidenzeit zu dem aegyptischen Mythus vom Sonnenauge, in der Orient. Lit. 1916, 226 f.

الرأس والجسد لم يكن يتردد فى أن يستعين بأمثالها فى تدريسه إن سنحت له أو توفرت له ، وأغلب الظن أنها كانت متوفرة وإن لم يصلنا شيء منها .

ثانيا — مناهج الرياضيات :

تتميز معلوماتنا عن صور هذه المناهج بأنها غير مستمدة من وثائق ودروس الدولة الحديثة وحدها كما كان عليه حال المنهاج الأدبى ، وإنما هى ترجع أساساً إلى وثائق ودروس أقدم عهداً من ذلك ، وإن كانت دروسها المعروفة من ناحية أخرى لاتزال أقل عددا بكثير من الدروس الأدبية . وقد سلف التنويه بعدد من كراسات رياضية نسخت فى أواخر الدولة الوسطى وتضمنت كبراها ٨٤ مسألة من مسائل الحساب والجبر والهندسة ، وبقى بأخرى ١٩ مسألة تتناول الموضوعات نفسها وإن يكن ذلك بمسائل مغايرة لمسائل الأولى (١) . وذلك عدا قصاصات أخرى صغيرة لم تحتفظ بغير العدد القليل من المسائل (٢) .

وتعالج هذه الكراسات من المسائل الرياضية ما يبدأ بعمليات الحساب البسيطة من جمع وطرح وضرب وقسمة ، وأوفرها حظاً من ذلك هى البردية أو الكراسة الكبيرة المنسوبة الى الكاتب أحمس . على أنه يلاحظ فى هذه الكراسة بالذات أن مسائلها الأولى البسيطة تتعلق أساسا بالكسور دون الأعداد الصحيحة ، مما يحمل على الظن بأنها كانت تدرس لتلاميذ أكثر من مبتدئين وأن صاحبها كان لديه منهاج آخر قصير مكتوب أو غير مكتوب لمسائل يسيرة تعتمد على الأعداد الصحيحة . ثم تعالج الكراسات من المسائل مايتعلق بالمكاييل وتحويلها إلى مضاعفاتها أو إلى أجزائها (ص ٣٠٦) وما يقوم على التقسيم التناسبى (ص ٣٠٩) والمعادلات البسيطة (ص ٣٠٧) ، وتعالج من المسائل ذات الصبغة الجبرية معادلات الدرجة الثانية (ص ٣٠٨) وما يقوم على التتابع الرياضى (ص٣٠٩) . وتعالج من المسائل ذات الصبغة الهندسية ما يتناول مساحة المستطيل وأبعاده ومساحة المثلث وأبعاده ومساحة المثلث الناقص والدائرة ، واستخراج الزوايا والارتفاعات العمودية ، وتعالج من مسائل الحجوم ما يتناول المكعب والاسطوانة والهرم الناقص . وفى حدود ما وصل إليه أهل العصور القديمة من المعارف والتطبيقات الرياضية يتضح أن ما تضمنته هذه الكراسات يمثل منهاجاً مقبولاً لتكوين الجانب الرياضى من ثقافة الكاتب أو المتعلم ، وذلك مع تقدير ما سبق احتماله من سبق هذا المنهاج بمنهاج آخر دونه مستوى يعتمد أساساً على الارقام الصحيحة .

ولتكوين صورة عن واحدة من هذه الكراسات التى سيسترشد فصل تدريس الرياضيات بمسائلها (ص ٢٩٧ +) ، نتخير كراسة أحمس التى تقدم أنه نسخها فى عهد أحد ملوك الهكسوس وفق متن عهد قديم ألف فى عهد أمنمحات الثالث . ومن الخصائص التعليمية لهذه الكراسة (٣) .

١ — تبويب مسائلها فى مجموعات متجانسة إلى حد كبير :

٢ — إلحاق مسائلها بحلولها كاملة . وقد شفع كل حل ببرهان أو أكثر يستهدف إثبات صحة النتائج ، ولم تستثن من ذلك مسائل جدول كبير لقسمة الكسور ذات المقام الفردى ، وذلك على الرغم

---

(١) تراجع ص ١٦٨

(٢) Pap. Kahun, pl. VIII; Pap. Berlin 6619; Leather Roll, Brit. Mus. 10250; Writing Board, Cairo 25367 and 25368.

(٣) لتوضيح تفاصيل هذه الخواص يراجع فصل تدريس الرياضيات .

من أن المفروض فى الجداول أن تؤخذ نتائجها كما هى فيحفظ منها ما يسهل حفظه ويرجع الى الصعب منها عند الحاجة (ص ٣٠٠).

٣ ــ مراعاة التدرج فى مسائل بعض مجموعاتها من السهولة الى الصعوبة (ص ٣٠٥) ومن الإسهاب فى خطوات الحل إلى الاقتصار على الرئيسى منها (ص ٣٠٠) .

٤ ــ غلبة الخيال فى رءوس عدد من مسائلها دون التقيد بالحاجة العملية فيها (ص ٢٩٧ ، وص ٣٠٤) وهذا مما يؤكد هدفها التعليمى .

ولم تقطع البحوث التى تناولت هذه الكراسة الاساسية فى منهاج الرياضيات برأى فيما إذا كانت تنتمى إلى معلم أو طالب أو مجرد كاتب مثقف . على أنه يبدون نسبتها إلى معلم أو معلمين هى الأرجح ، معلم ألفها فى عهد امنمحات الثالث باعتبارها كراسة (تحضير) مفصلة لدروسه ، ومعلم نسخها فى عصر الهكسوس (وهو أحمس) لتكون مرجعاً يستمد منه دروسه ، وإن كان هذا لايعنى أنه نقلها وحده ، وإنما لا يستبعد أنها حفظت بعد تأليفها فى حيازة مدرسة ما فنقل عنها معلمون كثيرون ومنهم أحمس . ويدعونا إلى ترجيح هذا الرأى بنسبتها إلى معلم ، فضلا على ما ذكرناه من خواصها التعليمية التى تتدرج عن قصد مع عقلية الطالب الذى أعدت له ، أمور أخرى ومنها :

١ ــ ما توحى به مقدمة أحمس من أن كراسته نسخت كاملة عن أصل قديم .

٢ ــ أن حلول مسائلها صحيحة على وجه العموم ، وهى وإن تكن قد احتفظت بخطوات الحل البطيئة المفصلة إلا أنها لم تتضمن شيئا من المسودات السريعة أو الخاطئة التى يضطر الطالب عادة إلى أدائها .

٣ ــ بدء خطوات الحل فيها بصيغ التوجيه أو الامر للمخاطب فتقول : افعل إذاً ، أو احسب(١) وبدء رءوس المسائل فيها أحيانا بعبارة : إذا قيل لك (٢) ، أو فيما لو قيل لك (٣) ، أو اذا قال لك كاتب (٤).

٤ ــ أن أغلب مسائلها أثبتت نتائجها المطلوبة على يسار سطرها الأول قبل حلها ، مما هو أقرب إلى أن يكون من عمل معلم يستطيع أن يصل الى النتائج بسهولة فيثبتها لنفسه ثم يسير مع تلميذه خطوة فخطوة مهتدياً بما وصل اليه من قبل (٥) .

ثالثا ــ المعلومات العامة :

هذه تسمية تقريبية كما اسلفنا ، تجمع بين عدد من موضوعات متفرقة اتت بها الدروس والكراسات

---

(١) أمثلتها فى الحلول كثيرة انظر ملحق النصوص .

(٢) Pap. Rhind, No. 21, etc انظر ملحق النصوص .

(٣) Ibid., Nos. 49, 52, 72, etc. انظر ملحق النصوص .

(٤) Ibid., No. 30, etc. انظر ملحق النصوص .

(٥) ويستبعد بعد ذلك أن تكون هذه الكراسة بمثابة كتاب متاح لكل كاتب يتعلم منه من تلقاء نفسه إذ لو صح هذا لكان معناه أن الرياضيات لم تكن تدرس وإنما يحصلها المتعلم بعد تخرجه من مدرسته أو من تحت إشراف معلمه مكتفياً منهما بتعليمه الأدبى ، وهذا يتنافى مع ماذكرته المتون المصرية نفسها عن تدريس الرياضيات بالمدارس (انظر ص ٢٩٥) كما أنه من المستبعد أن تكون كتابا يحرزه كل تلميذ فى مدرسته وذلك على الأقل لغلو قيمة البردى

التعليمية وليست من الأدب الخالص كما أنها لا تتصل بالرياضيات فى شىء . ومن هذه الموضوعات مجموعة تميزت بغلبة المعلومات الجغرافية فيها وذلك فى الحدود التى بلغتها المعرفة بالجغرافيا فى عصور كتابتها . فتناولت أسماء الظواهر الكونية والطبيعية الواضحة فى الارض وفى السماء ، وتناولت أسماء مدن القطر مرتبة فى ترتيبها الصحيح فى غالب الاحيان ، وعددت أنواع المحصولات والمنتجات والحيوانات والطيور والأسماك . وتناولت أسماء بعض الأقطار الخارجية ومنتجاتها التى ترد إلى مصر ، وجانبا من أوصاف جماعاتها وأسماء حيواناتها . ومن موضوعات المعلومات العامة مجموعة ثانية استهدفت التعريف بالمناصب والألقاب فى القصر والإدارات الحكومية وفى الجيش وفى المعابد .

وفى عصر الرعامسة كان ثمة مرجع كبير أو منهاج موضوع لكثير من معلومات هاتين المجموعتين ويتمثل فى مؤلف أمنموبى بن أمنموبى (١) وقد ذكر فى مقدمته انه «تعاليم لتفتيح (؟) الذهن وتهذيب الجاهل ولمعرفة كل الكائنات التى خلقها بتاح وسجلها (أو استحدثها) تحوتى : السماء بأحوالها والأرض وما فيها ، وما تلفظه الجبال ويغمره الفيضان ، من كل ما تشرق الشمس عليه وينمو على ظهر البسيطة» (٢) والدروس التى أخذت عن هذا المؤلف الذى يمكن تسميته بمجموعة المعلومات (٣) ، سيتناولها البحث بالتفصيل فى فصول قادمة ، وإنما نستعرض هنا الاتجاهات العامة لهذه المجموعة والخواص التى ترجح هدفها التعليمى وصلاحيتها لتكون منهاجا يسد ناحية من نواحى ثقافة المتعلم .

بدأ أمنموبى مجموعته بذكر طائفة من الظواهر الكونية والطبيعية ، ففى السماء شمس وقمر وأنجم ذكر أشهرها (ص٣٣١) ، ومن ظواهرها السحاب الممطر والرعد والعواصف والندى وما أشبه ذلك . وفى الأرض ماء خالد وبحر ونهر .... (ص ٣٣١) ، وفيها جزر وأنواع مختلفة من الأراضى ذكرها بأسمائها . ويسكن السماء والأرض كائنات حية ، ففى السماء آلهة وآلهات وأرواح ، وفى الأرض بشر مختلفون حاول ترتيبهم وفق مراكزهم الاجتماعية ووفق ما يشغلونه من مناصب حيناً (ص٣٣٢) ثم وفق شعوبهم ومواطنهم حيناً آخر .

وأتبع أمنموبى ذلك بطائفة من أسماء ما فى مصر من معالم جغرافية ، فذكر مائة مدينة وستا رتبها من جنوب الوادى إلى شماله (ص٣٢٦) وذكر مسميات ما يعمر البلاد من المبانى وأجزائها المختلفة . ثم عاد إلى الأراضى الزراعية مرة أخرى ، فذكر أنواعها وفصل ما ينبت فيها من حب ، وما يصنع من الحب من أصناف الخبز والجعة وكانت أصنافهما عديدة للغاية لدى المصريين . ثم انتهى بذكر أنواع اللحوم وأجزاء جسم الحيوان معنياً فى ذلك بأجزاء الثور خاصة ، ربما لأن الثيران كانت أكثر ما يذبحه المصريون من حيوانات الأضاحى ولأن معلوماتهم عن تشريحها كانت أوفر منها عن تشريح غيرها من أصناف الحيوان .

فالخواص التى ترجح الهدف التعليمى من مجموعة أمنموبى إذن هى :

---

(١) تراجع ص ٢٢٤ والاسم المصرى «امن م إبت» .

(٢) A.H. GARDINER, Ancient Egyptian Onomastica, Oxford, 1947, I, p. 1-2.
وانظر ملحق النصوص .

(٣) ناقش جاردنر التسميات المناسبة لهذا المؤلف فى مرجعه السابق مناقشة تفصيلية . (p. 1-5).

١ — ما تدل عليه مقدمتها من رغبة التعلم والتثقيف ، فضلاً عن تسميتها باسم « سبايت » أى تعاليم أو دروس ، وهى تسمية مميزة لما استخدمته المدارس من كتب ومواد دراسية (١) .

٢ — أن معلوماتها أوسع من أن توضع لاستخدام طائفة مهنية معينة ، وأقرب الى أن تستهدف الثقافة العامة أو وضع أسس لها ، ففيها على سبيل المثال ما يعنى طائفة الموظفين الحكوميين بمدلولها الضيق ، حيث تناولت الوظائف والالقاب وانواع الأراضى ومحاصيلها مما يدخل الى بيت المال أو يخضع له ، ولكنها تضمنت بجانب ذلك مايتعدى حاجة هذه الطائفة العملية الى ذكر الندى والضباب واسماء النجوم . وفيها كذلك ما يعنى الكهنة ، حيث تناولت صنوف الخبز والمشروبات واجزاء حيوانات الأضاحى ، ولكنها تعدت حاجتهم الى ذكر مراتب الجيش والندى والضباب وما إلى آخره (٢) .

٣ — أن مؤلفها سار على أساس حر لم يلتزم فيه بذكر كل الحقائق ولا كل المعارف التى وصل عصره اليها ، وانما تخير ما اعتبره أهمها ، ويبدو هذا فى اقتصاره من اسماء النجوم على أهمها (ص ٣٣١) واقتصاره من فروع الدلتا العديدة على الرئيسية منها (ص ٣١٦) وتجاوزه عن مدن من الصعيد ومن الدلتا ، ولو كان ينقل عن قوائم رسمية أو يكتب لجهات رسمية لما تجاوزها .

ولم تكن مجموعة أمنموبى هى الأولى من نوعها من حيث الاهتمام بالمعلومات العامة ، والجغرافية منها على وجه الخصوص ، وانما سبقتها الى ذلك مجموعة ترجع الى الدولة الوسطى وتعرف باسم بردية الرمسيوم (٣) وقد تضمنت أسماء ٢٩ مدينة من مدن الصعيد مرتبة ترتيباً صحيحاً و ١٧ حصناً من الحصون الجنوبية مرتبة ترتيباً صحيحاً كذلك ، فضلا عن طائفة كبيرة من أسماء النباتات والسوائل والطيور والأسماك والحيوانات الأليفة وغير الأليفة . وكان مما تتميز به هذه المجموعة انها خصصت اسم كل مدينة من مدنها بمخصص يدل عليها . كما خصصت كل طائفة من معلوماتها الاخرى بمخصص مشترك يميزها ، وذلك مع كتابة كل مخصص على مبعدة من كلمته ليكون أكثر وضوحاً فى الدلالة عليها (ص ٣١٧) . وتميزت هذه المجموعة كذلك بطبيعتها الحرة (٤) ، شأنها فى ذلك شأن مجموعة أمنموبى .

والطريف أن كاتبها ذكر فى نهاية مسمياتها أن « المجموع ٣٢٣ وليس ٣٤٣ » ثم عاد وأضاف عشرين اسماً لأنواع المواشى ، وذلك مما يعنى أنه نسخها عن أصل قديم جعل صاحبه مجموع مسمياته ٣٤٣ اسما ، ولكنه حين نسخها تخطى بنظره أسماء المواشى العشرين ، وعندما أحصى عدد الأسماء التى كتبها أثبت أنها ٣٢٣ فقط ، ثم عاد وراجع ما كتبه وأثبت ما كان قد تخطاه من أسماء النسخة الأصلية .

ومن المعلومات العامة ، المعلومات التاريخية ، ومن دروسها القليلة الباقية ما عدد طائفة من أسماء الفراعنة ، وما تناول مرحلتين من مراحل الكفاح ضد الهكسوس (ص ٣٣٦) وما تناول ظروف إنشاء معبد فى عين شمس خلال الدولة الوسطى (ص ٣٣٧) . على انه اذا كان الهدف التاريخى هو

(١) see, A.H. GARDINER, op. cit., p. 5 ; A. ERMAN, Die Literatur, 240, Anm. I ; also Wb. IV 86, 5 f.

(٢) انظر أيضاً رأى جاردنر بأنه يستبعد أن تكون كلمات هذا المؤلف قد وضعت لتكون وسيلة التلميذ إلى إتقان هجاء كلمات جديدة أوغريبة ، إذ أن أغلبها شائع مستعمل فى الموضوعات الأخرى . (op. cit., p. 5.)

(٣) A.H. GARDINER, op. cit., p. 6 f

(٤) Ibid., p. 13.

الغالب فى هذه الموضوعات ، فإن من الموضوعات الأدبية ما كان يشاركها هذا الهدف بطريق غير مباشر ، ومن ذلك قصائد انتصارات الفراعنة (ص ٣٣٦) . والقصص الدينى (ص ٣٣٧) وقصص الفراعنة (ص ٣٣٧) . وثمة أمر نرى التقديم به فيما يختص بدراسة المعلومات التاريخية وهو أن تعلق المصريين بماضيهم التليد فى كل ناحية من نواحيه ، وحرصهم على الربط بين حاضرهم فى كل عصر وبين ما سبقه من عصور ، واحتفاظ رواتهم حتى عهود هيرودوت وسترابون وديودور وبلوتارخ ومن تلاهم من المؤرخين بأحداث ترجع حتى عهد منى ، كل أولئك يحمل على الاعتقاد بأن المتواتر المسموع لدى المعلمين والمتعلمين عن تاريخ بلادهم كان أكثر من المكتوب الذى خلفوه فى كراساتهم ودروسهم ، ولهذا لن يقتصر فصل المعلومات التاريخية (ص ٣٣٤) على الموضوعات المدرسية فحسب ، وانما يتعداها الى ما كان يمكن للطالب أو الدارس الشغوف أن يستفيده ، من محيط المثقفين وعقيدتهم فى وطنهم وفى ماضيهم عامة .

وتتبقى المعلومات الدينية ، وهذه كان شأن دراستها اشبه بشأن دراسة المعلومات التاريخية ، فتقدير المصريين الكبير للدين يدعو الى الظن بأن معلوماته كان لها نصيب موفور فى مناهجهم التعليمية . والواقع أنه وان لم يكن فيما بقى من الدروس ما يصل بهذا الظن الى حد اليقين ، الا أنه يمكن أن نفترض ان كثيراً من هذه المعلومات الدينية كان يتأتى للطالب المدنى ، أى غير طالب الكهنوت ، عن طريق دراسة قصائد الآلهة أو حفظها ، فيعرف على سبيل المثال من قصائد تحوتى العديدة التى كان يدرسها الصفات التى كانت تنسب اليه ومركزه بين الآلهة (١) ، ويعرف من قصائد أمون ملك الآلهة مثل ذلك (٢) . ثم عن طريق ما يدرسه من الموضوعات الإنشائية التى تمس العواصم الدينية ، فيعرف مما يكتب عن طيبة أسماء أربابها (٣) ، ومما يكتب عن منف أسماء أربابها (٤) ، ثم هو يستعمل فى افتتاحيات رسائله (النموذجية) ودعواتها اسماء الآلهة الكبرى (ص ٢٧٧) فضلا عن آلهة إقليمه . وقد احتفظت الكراسات التعليمية الى جانب ذلك باجزاء من متون دينية وسحرية (٥) ، كما احتفظت واحدة منها بتقويم لأيام السعد والنحس (٦) ، ويرى أدولف إرمان أن هذا التقويم كان يدرس للتلاميذ فعلاً (٧) ، ولو ان ألن جاردنر يرى ان كتابته فى كراسته متأخرة عن كتابة بقية دروسها (٨) . وعلى أية حال فإنه من المحتمل أن معرفة المثقف بما ارتبط بالايام المختلفة من احداث الماضى وأساطيره ، كأن يعرف أن اليوم الأول من امشير رفعت فيه السماء وأن اليوم السابع والعشرين من هاتور عقد الصلح فيه بين حور وست وتراضيا على اقتسام

---

(١) ص ٢٦٦

(٢) ص ٢٦٨

(٣) ص ٢٧٨ . (Bologna 1094, 10, 9 f).

(٤) ص ٢٨٢

(٥) Pap. Leiden, 348 vs. ; Pap. Turin B (A.H. GARDINER, Late Eg. Miscel., p. XX, XXI, 132.

(٦) Sall. IV rt

(٧) A. ERMAN, Die Religion der Aegypter, Berlin 1934, S. 313.

(٨) A.H. GARDINER, op. cit., p. XVIII.

البلاد ، وأن اليوم الأول من طوبة خرّ فيه أعداء سوبك ، ولهذا فهى جميعها أيام سعيدة ،من المحتمل أن معرفته بكل ذلك كانت تعتبر فى حد ذاتها مما يعتز به من معارف الدين والتاريخ .

ذلك إذن تصوير كلى للمناهج التعليمية المؤهلة لثقافة الكاتب (المتكاملة) ، وقد تقدم فى الفصول الأربعة السابقة تصوير كلى آخر لمجالات التعليم الكتابى ،من حيث دورها ومراحلها والقائمين بها وتلاميذها، أما مايعقب ذلك من بحث فى الفصول الأربعة التالية فيستهدف تفصيل جانب مما تقدم إجماله عن المواد الدراسية وأساليب التدريس وأهدافه،وذلك فى ضوء مجموعات مختارة من دروس اللغة والأدب والرياضيات والمعلومات العامة والتعاليم المدرسية .

الفصل الحادى عشر

تدريس اللغة وآدابها

أولا ــ الخط والهجاء :

تبدأ دروس اللغات عادة بدروس الخط والهجاء . وقد تقدم أن معرفة المصريين بالحروف الهجائية المحدودة العدد كانت كفيلة بأن تيسر لهم عملية التعلم والتعليم وتناقل العلوم تيسيراً كبيراً (١) ، لولا أنهم احتفظوا الى جانبها بمئات من العلامات التصويرية والمخصصة وذات الصوتين والثلاثة الأصوات ، فترتب على ذلك أن تعقدت دروسهم فى الخط والهجاء ولم يتلقها الصغار المبتدئون وحدهم ، وانما كان من المفروض أن يثابر عليها كذلك من جاوزوا مرحلة الابتداء الى المرحلة المتقدمة . فلإتقان الخط كان على التلميذ أن يجيد رسم الحروف الهجائية والعلامات بأنواعها جميعها وذلك فى الخط الهيراطيقى وحده أو فيه وفى الخط الهيروغليفى معا . ولإتقان الهجاء كان عليه أن يتعرف على كتابة المفردات فى صورها المعتادة أى من حيث ترتيب حروفها وإفرادها أو إدماجها فى علامات معينة ، حتى اذا ما بلغ المتعلم من كل هذا غايته كان له أن يعتز بأنه « الكاتب حاذق الاصابع » و« الكفء بأصبعيه » (٢) و« السريع فى نسخ (الصفحات) الخالية»(٣) و«المبرز فى عمل سشات (ربة الكتابة) » (٤) . واذا ما تهيأ له ان يستخدم اتقانه للخط والهجاء فى التعليم أصبح له أن يعتز بأن« أنامله ترفع (من شأن) الناشىء »(٥) .

وفيما يلى بعض التفصيل فى كل من دروس الخط ودروس الهجاء المصرية :

١ ــ دروس الخط :

تبدأ دروس الخط عادة فى لغاتنا الحديثة بكتابة الحروف المفردة ثم الكلمات المفردة وهذه الأخيرة تؤدى غرض تعلم الخط وغرض تعلم الهجاء معا ، ثم تعقب ذلك كتابة الجمل القصيرة . ومن المحتمل أن كان ذلك هو نفس الأسلوب المتبع فى دروس الخط المصرية ، وان لم يكن من المتيسر فى الوقت ذاته تتبع الترتيب السابق بحرفيته فى التمارين الموجودة ، وذلك لقلتها من ناحية ، ولأن تخطيطات الحروف والكلمات المفردة على اللخاف وكسر الفخار كثيراً مايثار الشك حولها من ناحية أخرى ، فيما اذا كانت

---

(١) راجع ص ١٢٧

(٢) Pap. Petersburg 1115, 188 ; Pap. Harris, 500 (see, E. DEVAUD, in Rec. Trav. XXXVIII, p. 210 ; GOLENISCHEFF, Naufragé, p. 35, 229-230)

(٣) Pap. Anast. I, 1,6. أنظر ملحق النصوص

(٤) Ibid., 1,2.

(٥) Ibid., 1,4 ــ أنظر ملحق النصوص

تمارين لصغار مبتدئين ، أم كانت خطوطا غير مقصودة كتبها الكبار ليجربوا أقلامهم بها (١) . ولهذا نكتفي من دروس الخط باختيار مجموعات التمارين التالية :

١ — مجموعة توفرت فيها الخاصية الرئيسية لدروس تجويد الخط ، وهى خاصية التكرار .

٢ — مجموعة جمعت تمارينها بين الخطين الهيروغليفى والهيراطيقى .

٣ — مجموعة قلد فيها تلاميذ عصر الرعامسة خصائص الخط الهيراطيقى للدولة الوسطى .

٤ — مجموعة يبدو فيها الاهتمام بالتصويبات الخطية فى كراسات المرحلة المتقدمة .

١ — تتكون مجموعة الخط الأولى من تمرينين يتفقان فى توافر خاصية التكرار ، أما فيما عدا ذلك فالفوارق بينهما جد واسعة ، فالتمرين الأول (لوحة٦٥) لتلميذ صغير مبتدىء من عصر الرعامسة ، كتبه بالخط الهيراطيقى على لخفة صغيرة من الحجر الجيرى لاتعدو أبعادها ٧,٨ × ٥,٨ سم (٢) أما التمرين الثانى فهو من أواخر الدولة القديمة ، كتبته يد متمرنة على لوح خشبى مكسو بطبقة رقيقة من الجص(٣) ويتضمن عبارات متكررة بالخط الهيروغليفى والى جانبها عدة رسوم ، أى انه يجمع بين الخط والرسم معا .

وفى التمرين الاول تخير المعلم جملة قصيرة ذات تعبير لطيف تقول : « يأتى الفيضان لأجل محبيه (أو يأتى النيل وفق ارادته) » وكتبها لتلميذه بالمداد الأسود على لخفته الصغيرة ليقلد رسم حروفها وكلماتها ، فكررها التلميذ بالمداد الأحمر مرتين ، يتبدى فيهما — كما يتضح من لوحة ٦٥ : (٤)

أولا : تعرج السطرين ورداءة الخط بما يدل على يد صغيرة غير متمرنة وغير متمكنة .

ثانيا : كثرة الأخطاء بما لايتناسب مع قصر التمرين ، ثم تنوع هذه الاخطاء بما يشير الى أن صاحبها كان لايزال غير قادر على تمييز الحروف ، حيث يكتب علامة قد تنطق « زر ؟ » بدلاً من علامة ترمز إلى الماء مع وضوحها فى جملة معلمه ، والى انه لم يكن يعرف معنى ما يكتبه أو نطقه الصحيح ، ويبدو هذا من كتابته حرف الواو فاء فى كلمة « مروف » ، وكتابته الشرط الثلاثة التى تختم نفس الكلمة لدى مؤخرة الضمير المضاف اليه (فى السطر الرابع) وكأنها تأتى بعده وليست قبله ، ثم كتابته الراء معكوسة فى السطر الثانى . ولو أن معلمه يشاركه مسئولية بعض الخطأ حيث كتب واو كلمة مروف تشبه الفاء فعلا ، كما احتفظت اللخفة بآثار حروف من درس سابق ممحو فاختلط عليه أمرها مع حروف درسه الجديد .

ثالثا : ان كتابة التلميذ للعلامات الهيراطيقية القريبة الاشتقاق من الرسم الهيروغليفى أوضح من كتابته

---

(١) يقارن لذلك مثلا بين إشارة إرمان (AeZ. XXXII, S. 127) إلى لوحات فى متحف برلين كتبت عليها حروف هيروغليفية مفردة يراها تمرينات فى الخط لكاتب صغير . وبين مايراه Van de Walle من أنها تجارب لنقاش أو رسام نظراً لوضوح حروفها .
(La Transmission des Textes Littéraires Egyptiens, Bruxelles 1948, p. 17); compare also Ost. 1074.

(٢) G. POSENER, Catalogue des Ostraca Hiératiques Littéraires, de Deir el Medineh, Le Caire 1952, p. 24, No. 1195, pl. 40 وعن تمرين الظهر تراجع ص ٣١٥

(٣) G.A. REISNER, Ascribe's tablet found by the Hearst expedition at Giza, in AeZ. 48, S. 113 f.; W.S. SMITH, A History of Egyptian sculpture and painting in the Old Kingdom, London 1946, p. 358 f.

(٤) قد يكون المقصود باسم حعى أصلا «إله الفيضان» وليس النيل بالذات . see, A.H. GARDINER) (Grammar, 1951, p. 580. وانظر ملحق النصوص

للحروف المقورة البعيدة الشبه عن بالرسم الهيروغليفي (راجع السطر الأول) ، وقد يدل هذا على أن الخط الهيروغليفي كان يستخدم لتوضيح بعض العلامات الهيراطيقية ، أو يرجع الى ان التلميذ كان قد تلقى دروساً سابقة فى الخط الهيراطيقى كانت منها هذه العلامات بالذات ولهذا أتقنها عن طريق التكرار ، أو الى ان من هذه العلامات ما كان أوضح فى ذهن التلميذ وأثبت من غيره لقربه من صوره الطبيعية .

رابعاً — مخالفة استعمال لون المداد لما جرت العادة به فى التمارين المدرسية حيث كتب المعلم جملته بالمداد الأسود فى حين كتب التلميذ سطريه بالمداد الأحمر وليس العكس . وقد يكون من تعليل هذا أن المعلم آثر تلميذه الصغير باللون الأحمر الزاهى عن عمد ليرغبه به فى الكتابة ، ولو انه لا يبعد مع هذا أن يكون الأمر مجرد مصادفة وان التلميذ لم يكن لديه غير اللون الأحمر فكتب به .

خامساً : أن المعلم لم يصوب أى خطأ من أخطاء تلميذه ، وقد يعنى هذا انه قدر إمكانية الطفل فلم يشأ أن يرهقه بتصحيح أو اعادة ، أو ان التلميذ كان قد كتب هذا التمرين كواجب خاص ثم نسى المعلم أو تناسى ان يطلبه منه لمراجعته . والاحتمال الأول فيما نظن أرجح ويمكن أن يطبق على كثير من التمارين المدرسية التى تكثر الأخطاء فيها دون تصحيح أو اعادة (١) .

ويجمع التمرين الثانى الذى يرجع الى أواخر الدولة القديمة بين الخط الهيروغليفى وبين الرسم ، وكلاهما فيه واضح متقدم ، وعلى هذا فمن المحتمل أن يكون قد كتب باشراف « سشن قدو » أى أحد الزملاء القدامى لاولئك الخطاطين الرسامين الذين دلت كسر ولخاف غرب طيبة على قيامهم بالتعليم الادبى والمهنى معا فى عصر الرعامسة (د. ١٥٧ +) . وقد قسم التمرين على النحو التالى :

---

(١) ويمكن أن تضاف التمارين التالية إلى هذا التمرين الأولى فى تعلم الخط الهيراطيقى :

(أ) تمرين على لخفة صغيرة تضمن أربعة سطور قصيرة من بداية تعاليم امنمحات كرر فيها السطر الأخير .
W.C. HAYES, Ostraca and Name-Stones from the Tomb of Sen-mut, 1942, Ost. No. 142, pl. XXV).

(ب) قطعة خشب صغيرة جداً كتبت على وجهها ثلاث كلمات متشابهة النطق فى ثلاثة سطور ، وكتبت على ظهرها عبارة « بداية تعاليم الحياة » فى سطرين .

ثم لوح خشبى صغير له ثقب فى أعلاه لتعليقه كتبت عليه أربعة سطور فيها تاريخ ثم ثلاث كلمات متشابهة النطق أيضاً منها مايقول سات نيسو ساجب (Berlin, 9554, 2146)

(حـ) تمرين يذكر B. BRUYERE أن التلميذ كتب فيه علامة «نب» عشر مرات ربما لتجويد كتابتها أو التعود على رسم الخطوط المستقيمة والخطوط المنحنية إذا كان تلميذاً مهنياً لأحد الخطاطين الرسامين
(Rapport sur les Fouilles de Deir el Medi neh, 1953, p. 62).

(د) عدة تمارين لتجارب تلاميذ الرسامين فى تصوير حروف الراء والألف المهموزة وكلمة نب
EMMA-BRUNNER, Die altaeg. Schreibenbilder, 1956, No. 169-172

(هـ) لخفة كررت على أحد وجهيها عبارة خطاط أمون فى المقر الحق — راجع ص ٢٤٨ حاشية ٣

(و) وبالتجاوز عن شرط التكرار تضاف إلى تمارين الخط الأولية مجموعة من اللخاف الصغيرة لم يتضمن كل منها غير سطر واحد أوسطرين من مقدمة أحد المتون الأدبية وترك باقيها خاليا .
W. SPIEGELBERG, Hieratic Ostraca and Papyri, London 1898, pls. I, 3, 4; VI, 55; VII, 64; X, 90; XII, 104, 105; XIV, 117-23; 128-129.

أولاً – أربعة أنهر رأسية تضمن كل منها ستة خراطيش بأسماء الملوك نفرير كارع وساحورع وخفرع وجدف رع وتتى وبجا بو (؟).

ثانياً – اثنا عشر نهراً رأسيا تتألف من اربع مجموعات متكررة ، وقد تضمنت كل مجموعة منها اسماء عدد من الآلهة والآلهات (منها سكر ، وسبد عنجتى ، وتحوتى ، وسوبك ، وإنبو ....).

ثالثاً – ثمانية وعشرون نهراً رأسياً تنقسم الى أربع مجموعات متكررة ، وكل مجموعة (من سبعة أنهر) تتضمن عددا من أسماء المدن والقرى .

رابعاً – واذ ينتقل التمرين الى الرسم ، يرسم ستة أنواع من الأوز والبط فى نهر عريض قسم الى ستة مستطيلات ، ثم يرسم ستة أنواع من السمك فى نهر آخر قسم أيضا الى ستة مستطيلات .

وهكذا تتضح العملية فى التمرين اذ كان يتيح لكاتبه تجويد الخط والرسم عن طريق التكرار – فيما لاتكاد تخلو منه نقوش أو رسوم مقبرة من المقابر – أى من أسماء الملوك والآلهة والبلدان وصور الطيور والاسماك (١) .

٢ – وتتميز تمارين المجموعة الثانية بأنها تجمع بين الخطين ، الهيروغليفى والهيراطيقى، ومن أمثلتها خمسة تمارين من عصر الرعامسة ومن دير المدينة . وهى :

١ – لخفة لتلميذ تضمن أحد وجهيها اربعة انهر رأسية من مقدمة تعاليم خيتى بن دواوف كتبت بالخط الهيروغليفى ، وتضمن وجهها الآخر ثلاثة أنهر رأسية كذلك من مقدمة تعاليم امنمحات كتبت بالخط الهيراطيقى القريب الشبه بالخط الهيروغليفى (٢) .

٢ – لخفة تضمن أحد وجهيها سبع نصائح خلقية كتبت بالخط الهيراطيقى وانفرد كل منها بسطر قصير كما بدأ كل منها بكلمة النهى : « إياك». أما وجهها الآخر فقد كتب عليه تمرين بالخط الهيروغليفى يتضمن عبارة : «خطاط أمون فى المقر الحق (؟) »مكررة رأسيا مرتين ثم عدة علامات أخرى مفردة (٣).

٣ – لخفة تضمن أحد وجهيها سطرين أفقيين بالخط الهيراطيقى من تعاليم حور ددف ، وتضمن وجهها الآخر سطرين رأسيين بخط هيروغليفى كبير من نشيد لإله الشمس « ؟ » (٤) .

٤ – لخفة تضمن أحد وجهيها ثلاثة أنهر رأسية كتبت بخط هيروغليفى كبير والى جانبها ستة سطور أفقية كتبت بالخط الهيراطيقى . (٥)

٥ – لخفة كتب على أحد وجهيها جزء من تنبؤات نفررحو بالخط الهيراطيقى وكتبت على وجهها الآخر حروف وعلامات هيروغليفية متفرقة بحجم كبير . (٦)

---

(١) توجد لوحة أخرى من الدولة القديمة تتضمن عدداً من أسماء المدن (أو القرى) غير أن كل صف فيها يختلف عن الآخر أى بغير تكرار .(W.C. SMITH, op. cit., p. 359 f)

(٢) G. POSENER, op. cit., 1951, No. 1175, pl. 26, 26a. وبعدها ١٠×٩,٥سم .

(٣) O.D.M., 1090 وبعدها ٩,٥×٨,٥ سم –

(٤) O.D.M., 1208. وبعدها ١٢,٥×٤,٥ سم – والوجه الثانى عليه آثار كتابة ممحوة .

(٥) O.D.M., 1171. وهى كبيرة ٢٤×٤٦سم وقد تضمن وجهها الآخر جزءاً كبيراً من كتاب الكمال كتب بالخط الهيراطيقى (see, Posener, op. cit., 1952, p. 18)

(٦) O.D.M., 10174.

والى جانب هذه الأمثلة الخمسة من عصر الرعامسة توجد أربع لوحات لتلميذ من عصر الأسرة الثانية والعشرين يشير ارمان الى ان من تمارينها ما يعتمد على كتابة حروف هيروغليفية مفردة ، وكبراها تحمل على احد وجهيها شرحاً مختصراً بالخط الهيراطيقى لمقدمة تعاليم آنى (١) .

ويمكن التعقيب على تمارين هذه المجموعة بما يلى :

أولاً — أنها لتلاميذ من المرحلة التعليمية الأولى ، ويدل على ذلك أن ثلاثة منها على الأقل اقتصرت على اقتباس عبارة أو عبارتين من مقدمات قطع أدبية(٢) ، وان النصائح الخلقية التى تضمنها المثال الثانى منها هى أقرب فى اختصارها وفى استقلال كل منها بسطر الى ان تناسب تلميذاً مبتدئاً .

ثانياً — أن ما كتب بالخط الهيروغليفى فى الأمثلة الأربعة الاولى كتب فى أنهر رأسية ، وقد يكون من تعليل هذا ان الكتابة الرأسية كانت هى الانسب للخط الهيروغليفى ، فى حين كانت الكتابة فى أسطر أفقية هى المعتادة للخط الهيراطيقى فى الدولة الحديثة .

ثالثا — أن دراسة أصحابها للخطين معا تحتمل أحد تفسيرين، فإما أنهم كانوا تلاميذ « مهنيين » لطائفة الخطاطين الرسامين الذين كان عملهم يقتضى منهم الإلمام بالخطين . وفى هذه الحالة يمكن ان تقرن بهذه اللخاف الخطية لخاف اخرى تجمع بين رسوم تخطيطية وهزلية وبين كتابات هيروغليفية حيناً (٣) وهيراطيقية حينا آخر (٤) مما هو أقرب الى تمارين الخطاطين الرسامين أيضا ، وإما ان دراسة الخطين كانت قاعدة عامة تفرض على كل المبتدئين ، وذلك على أساس أن الخط الهيروغليفى هو الاصل ، وأن التعرف فيه على العلامات المختلفة والتمييز بينها أيسر كل اليسر مما هما عليه فى الخط الهيراطيقى الذى تتشابه علاماته وتختلط اختلاطاً كبيراً . وأقرب الى أن يقرن بهذا الفرض ما أتت به بردية متأخرة

---

(١) A. ERMAN, *Eine ägypt. Schulubersetzung* (AeZ., XXXII, S. 127) وتراجع ص ٢٨٨

(٢) يرى G. Posener أن تمارين عصر الرعامسة التى تناولت المتون القديمة تقل فيها جودة الخط وإتقانه عن التمارين التى اعتمدت على المتون الحديثة ، مما يدل فى رأيه على أن التلاميذ كانوا يبدأون بتعلم نسخ القطع الكلاسيكية . (G. POSENER avec VAN DE WALLE, La Transmission des Textes Littéraires Egyptiens, Bruxelles, p.19).

(٣) J.V. d'ABBADIE, Ostraca figurés de Deir el Medineh, Le Caire 1946, pls. XL, 2283 ; 2281 ; LI, 2271 ; LVIII, 2407, LXI, 2447.

وعن احتمالات الغرض التعليمى فى بعضها . (see, Ibid., p. 118.

(٤) Ibid., pls. XXXIX, 2304 ; 2392 ; LXXVII, 2594 ; XCII, 2706 ; see also, B. BRUYERE, Rapport sur les fouilles de Deir el Medineh, Le Caire, 1953, p. 62.

وعن دروس أدبية صحبت برسوم سريعة يرجح أن التلاميذ كانوا يرسمونها عن هواية أو لقطع الوقت :
من اللخاف Cairo, 25217, 25767 ; C.D.M. 1068 vs. ; Ost.7 de Leipzig ;Ost. Spiegelberg 66
ومن الكراسات : Pap. Lansing (Budge, Eg. Hier. Pap., 2nd. Series, pls. 27-28 ; Pap. Sall. IVvs. (Gardiner, Late Eg. Miscell., p. 95, p. 96); Pap. Koller (Ibid., p. XIX).

جمعت بين الأصل الهيروغليفى لنحو ٤٦٢ علامة من العلامات الصوتية والتصويرية والمفسرة وبين مايقابلها فى الخط الهيراطيقى ، مع مصاحبة ذلك بشرح مناسب لما تمثله كل علامة (١) .

ويبدو أن احتمالنا الأول هو الأرجح ، ويرجحه ما سبق ذكره (ص ١٥٨) من أن نسبة تمارين الخط الهيروغليفى إلى بقية تمارين التلاميذ التى كتبت بالخط الهيراطيقى وحده نسبة ضئيلة للغاية ، فضلاً عن أن الخط الهيروغليفى وان كان هو الأصل وهو الأكثر وضوحاً ودلالة إلا أنه أصعب على المبتدىء كما كان أقل استعمالاً وضرورة فى الحياة العامة أوالحياة الوظيفية التى كان يهيأ لها الكاتب الصغير .

٣ — ترجع المجموعة الثالثة إلى دير المدينة كذلك وإلى عصر الرعامسة ، وتعتمد تمارينها على فقرات مختلفة من كتاب سبقت الإشارة إلى شهرته فى الدولة الوسطى وهو كتاب الكمال . والمميزات الواضحة فى هذه التمارين هى :

أولاً — أنها تقلد الخط الهيراطيقى للدولة الوسطى (٢) بحيث تبدو علاماتها شديدة الشبه بأصولها الهيروغليفية ، وذلك على عكس الخط الهيراطيقى المستعمل فى عصر الرعامسة والذى يبعد كثيراً عن أصله الهيروغليفى . وهذا التقليد يحتمل أن يكون مرحلة مقصودة من مراحل تعليم الخط الهيراطيقى الواضح ينتقل التلميذ بعدها إلى الكتابة بالخط الهيراطيقى المختصر الشائع فى عصره ، وهى مرحلة يمكن أن تغنى من سوى التلاميذ « المهنيين » للخطاطين الرسامين عن دراسة الأصول الخطية الهيروغليفية وما تستدعيه من دقة فى التصوير ، وذلك لأنها تهيىء لهم العلامات واضحة المدلول إلى حد كبير . وبهذا الفرض يمكن أن نعلل كثرة ما وجد من هذه التمارين (وقد نشر منها حوالى ٦٥ تمريناً) بالقياس إلى قلة ما وجد من التمارين الهيروغليفية التى سبقت الإشارة إلى بعضها .

ثانياً — أن الكثرة الغالبة منها كتبت فى أنهر رأسية تفصل بينها خطوط طولية حمراء وذلك على خلاف المألوف فيما سواها من التمارين الهيراطيقية . وقد يكون الباعث على التزام الأنهر الرأسية فيها هو رغبة المعلم فى تعويد تلميذه المبتدئ على تحديد السطور واستقامتها ثم انتفاعه بما تهيئه الكتابة الرأسية من جعل الحروف واضحة ومتباعدة عن بعضها ما أمكن أمام عينيه (قارن لوحة ٦٧) ، أو يكون الباعث على ذلك —وهذا هو الأرجح — هو رغبة التلاميذ بإيحاء معلمهم فى تقليد خصائص الكتابة الهيراطيقية للدولة الوسطى كاملة ،

---

(١) F.L. GRIFFITH, Two hieroglyphical papyri from Tanis, London 1889

وتضمنت البردية ٣٣ صفحة ضيقة ، تألف كل منها من نهر رأسى يتضمن سلسلة من العلامات الهيروغليفية تنتهى بخط أفقى ، يتلوه نهر آخر بالصورة الهيراطيقية لكل علامة ، ثم تفسير لها .

ويضاف بالنسبة للعصور المتأخرة قول ديودور الصقلى بأن الكهنة «كانوا يعلمون أبناءهم نوعين من رسم الحروف ، الرسم الذى يدعى الكتابة المقدسة والرسم الذىيستعمل فى العلوم الأكثر شيوعا » (1,80) . وقول كليمنت : إن التلميذ كان يتعلم أولا أسلوب الكتابة المصرية الذى يسمى كتابة الرسائل ثم الهيراطيقية التى يستخدمها كتبة الأشياء المقدسة ثم يتعلم أخيراً الهيروغليفية . (Stromata V, 4, 657)

(٢) بلغ من صدق تقليد هذه التمارين لخط الدولة الوسطى أن رأى G. POSENER عام ١٩٣٤ ان التمارين نفسها ترجع إلى الدولة الوسطى Mélanges Maspero, 1,190 وافترض W.C. Hayes مثل ذلك أيضاً (A much-copied letter of the early Middle Kingdom, in J.N.E.S., 1948, vol. VII, 1 f.)

ولكن ترجح إرجاعها إلى عصر الرعامسة وأن التقليد فيها مقصود : (see, A.H. GARDINER, Anc. Eg. Onomastica, vol. I, p. 3 ; Van de Valle, op. cit., p. 41 f. وتراجع لوحة ٦٧

ويدعو إلى هذا الترجيح أن الخط الهيراطيقي للدولة الوسطى (وهو قريب من عصر تأليف كتاب الكمال) كان كثيراً ما يكتب في أنهر رأسية فعلا (١) ، وأن هذه التمارين وإن تعددت أهدافها التعليمية كما سنتبين بعد قليل ، كانت بالنسبة للمبتدىء دروساً في تجويد الخط والنسخ المباشر قبل كل شيء ، ولهذا كان ينصرف إلى تقليد النموذج الذي وضعه المعلم أمامه أو كتبه له بنفسه ، بخصائصه كاملة .

ثالثاً — أن التمارين التي تضمنت الفقرات الأولى من الكتاب تتبدى فيها ظاهرة الخلط في الكتابة بين اللونين الأحمر والأسود على غير قاعدة ثابتة ، مما لا يتأتى في العادة إلا من صغار مبتدئين. فمنها تمرين يداول بين استعمال اللونين في أنهره السبعة على التعاقب (٢) ، وثلاثة تمارين كتبت جميعها بالمداد الأحمر (٣) .

٤ — يتمثل الاهتمام بالخط في المجموعة الرابعة في كثرة التصويبات الخطية التي أجراها تلاميذ المرحلة المتقدمة في كراساتهم أو اجراها المعلمون لهم فوق الصفحات وبين السطور . والجدول المصور في لوحة ٦٦ قدمه الأستاذ إرمان في كتابه (Die Aeg. Schülerhandschriften) لمجموعة من هذه التصويبات .وقد تقدم (ص ٢٤٥) أن الاهتمام بالخط وتصويباته في كراسات التلاميذ الكبار يمكن تعليله بأن التعرف على علامات الكتابة المتعددة المتمايزة ثم اجادة رسمها ، لم تكن تكفيهما دروس الخط المباشرة ، وإنما كانا يستكملان بعد ذلك بالتدريج وبطريق غير مباشرة أثناء دراسة التلميذ للمتون الأدبية . فكلما تنوع مايراه ويكتبه من هذه المتون كلما تهيأ له أن يتعرف على المزيد من العلامات فضلاً عن إجادة ماكان يعرفه منها (٤) . ولهذا كثيراً ماكان التلميذ يكرر في كراسته علامة أو أكثر عدة مرات فوق ذات الصفحة التي كتب فيها هذه العلامة ، أو فوق صفحة أخرى قريبة منها ، أو يحاول بعد كتابته لموضوعه أن يصححه بنفسه وحينئذ ينصرف أكثر جهده إلى تصحيح رسم الكلمات التي يبدو له أنه لم يتقن رسمها كما ينبغي (٥) . على أننا لا نود مع هذا أن نذهب مع القائلين بأن التصويبات الخطية كانت وحدها هي كل ما يجريه التلميذ في موضوعه أو يعقب بها المعلم عليه (٦) ، إذ سيتضح فيما يلي (ص ٢٥٤ ، ص ٢٥٨) أنه مع كثرة التصويبات الخطية توجد كذلك تصويبات أخرى تتناول الهجاء وتتناول القواعد أيضا .

---

(١) مثل قصة الملاح — ومن نسخ تعاليم بتاح حوتب ما كتب في أنهر رأسية .
Pap. Brit. Mus. 10371/10435 (E. DEVAUD, op. cit., p. 7 f.)

(٢) لوحة ٦٧ O.D.M. 1110 (G. POSENER, Ostraca Hieratiques..., 1951)

(٣) O.D.M. ; 1109, 1118, 1128.

(٤) ويرى إرمان في بعض موضوعات الكراسات مايتضح فيه قصد تجويد الخط أو تجميله وخاصة في كتابة ألقاب الملوك وأسمائهم . A. ERMAN, Die Aeg. Schülerhandschriften, S. 2-3. S. 2-3.

(٥) واعتبر إرمان معظم تصويبات الكراسات الخطية من عمل المعلم (Ibid., 6) وتبعه في هذا بقية الباحثين ، ولكن جاردنر رجح في كراستين على الأقل Anast. IV ; Ch. Beatty V أن تصويباتهما الخطية من عمل التلميذين بالذات وإن كان قد عقب على ذلك بصعوبة إحلال نظرية أخرى محل نظرية ارمان عن كتابة التلاميذ لكراساتهم تحت إشراف المعلمين. (Hieratic Pap. 3rd series, p. 45, n. 1 ; Late Eg. Misecell., p. XV)

(٦) تراجع ص ٢٥٨ وانظر A. ERMAN, Die Lit..., 239 ; Aegypten, 1923, S. 379

(ب) دروس الهجاء :

من الدروس التحريرية التي يتضح فيها قصد تعلم الهجاء ، درس أتت به لخفة صغيرة من دير المدينة ترجع إلى عصر الرعامسة (١) . وتكونت عبارات الدرس من أربع عشرة عبارة صيغت كل منها على هيئة اسم شخصي ذى مدلول معين ، وكتبها التلميذ فى سطور أفقية بالنظام التالى :

ربى آمون (٢) (نبى أمن)	باك ... (وكلمة باك تعنى العامل ، ولكنها ترادف كلمة عبد فى الأسماء العربية فى مقابل كلمة رب)
رب الآلهة (نب نثر و)	باك إيا
رب من يبتهل إليه (نب عش نف)	باك كايا
رب الأرباب (نب نبو)	باك كاى
رب ريح الصبا (نب محيت)	باك ن موت (؟)
رب الأقوات (نب كاو)	باك ...
. . . . . .	باك ...

ومما يلاحظ فى هذا التمرين :

أولاً — قصر الجمل بما يناسب قدرة تلميذ مبتدئ ، مع قلة الكلمات الجديدة فى كل سطر بحيث لا تزيد فى الجانب الأيمن عن نعت جديد للإله آمون يتألف من كلمة أو كلمتين ، ولا تزيد فى الجانب الأيسر عن جزء من اسم شخصى جديد .

ثانياً — أن غرض الهجاء لم يحل دون أن يكون للدرس فوائد ذهنية وتعليمية أخرى ، منها التعويد على نعت الإله بصفاته المناسبة (٣) ، ولا يبعد إذ ذاك أن التلميذ كان يكلف بحفظ هذه النعوت السبعة حفظاً آلياً . ثم الجمع بين تجويد الخط وتجويد الهجاء معاً عن طريق التكرار ، فى الدرس تكررت كلمة « رب = نب » وكلمة « عبد = باك » سبع مرات ، وقد كانت الكلمتان تستعملان استعمالاً واسعاً فى التخاطب وفى الكتابة . فالأولى كانت للتوقير ويعبر بها عن الإله وعن الفرعون وعن الرئيس وعن المعلم وعن مالك الشيء وعن المخدوم ، فضلا عن معانيها الأخرى التى منها الشمول ومنها التبعيض . وهذه يرى Bruyére أن التلميذ كان يكلف بكتابة علامتها (التى تشبه السلة نصف الكرية) عدة مرات ليعتاد منها على رسم الخطوط المستقيمة والخطوط المنحنية فيما يماثلها من العلامات الكتابية . والكلمة الثانية كان يستعملها المتكلم ومرسل الخطاب للتعبير عن نفسه تواضعاً أو إذا كان أقل درجة ممن يخاطبه ، وكانت تدخل فى تركيب كلمة العمل وكلمة العامل فضلاً عن استخدامها فى الأسماء بما يرادف كلمة عبد فى الأسماء العربية وفى مقابل كلمة رب (٤).

---

(١) Ost. de Bruxelles E 6768vs. (G. POSENER avec V. de WALLE, op. cit., p. 44).

(٢) اوسيدى أمون ، سيد الآلهة . الخ . — انظر ملحق النصوص .

(٣) تلاحظ كذلك المقابلة بين سيد وتابع (أو بين رب وعبد) — وعلى ظهر لوحة كارنا رفون تكرار آخر لاسم أمون . ولكن دون لقب « نب » وفى مقابلها كلمة « باك » . (POSENER, op. cit., p. 44)

(٤) تراجع حاشية ١ ج ص ٢٤٧

ثالثاً — يتضح من الأسماء الشخصية التى تضمنها الجانب الأيسر أنه روعيت فيها البساطة وتشابه النطق والاشتراك تبعاً لذلك فى حروف هجائية معينة ، وتماثلها فى ذلك مجموعة أسماء عنونها التلميذ بعنوان « الكبراء » وبقيت منها أربعة أسماء تتماثل فى بداية كل منها بحرف الميم وتختلف فى حركات الحروف التى تتلوها . (١)

وظلت الأسماء الشخصية عنصراً رئيسياً فى دروس الهجاء كما كانت فى دروس الخط أيضاً (٢) والفكرة التربوية فى هذا الاختيار فكرة سليمة ، إذ أن الأسماء الشخصية (وأسماء الأعلام على وجه العموم) تكون عادة أقرب إلى ذهن التلميذ لشيوعها كما تكون أوضح لديه فى النطق وفى الكتابة عما سواها من الكلمات . وذلك فضلاً عن الغرض العملى الذى توخاه المعلمون المصريون من تداخل الأسماء فى الهجاء والخط وهو إعداد التلميذ لحياة الكاتب الحكومى الذى كثيراً ما كان يكلف بعمل كشوف الموظفين والعمال والمجندين ومن اليهم . والأمثلة العملية لهذه القوائم عديدة ، ومنها قائمة تضمنت ثلاثين اسماً وأخرى حوت سبعة وعشرين ، وثالثة تضمنت ستة وعشرين (٣) . وعلى هذا لم تكن تمارين كتابة الأسماء تقتصر على دروس الهجاء والخط الأولية فحسب ، وإنما كانت تتداخل كذلك فى دروس أكثر تقدماً وأكثر أغراضاً . ومن هذه الدروس المتقدمة درس كتب على لخفة من الحجر الجيرى وتضمن أربعة عشر اسماً مختلفا بدأ كل منها بلقب المشرف « إميرا » ، ويقول ثامنها « المشرف على الماشية نب نفر » ويقول تاسعها « المشرف على ذوات القرون خع م تر » ، وهكذا (٤) وان كان هذا التمرين بالذات سيتضح فيما بعد وبمقارنته بأمثاله أنه كان يستهدف فضلاً عن اتقان كتابة الأسماء تعليم ترتيب الوظائف أيضاً (ص ٣٣٣) . وبازدياد اتصالات مصر بالخارج فى عصور الدولة الحديثة وازدياد استخدام الأجانب أصبحت الأسماء الأجنبية مما يتعلمه التلاميذ فى دروس الخط والهجاء . فثمة لوحة لتلميذ من عصر الأسرة الثامنة عشرة اتخذ درسها عنوان « أداء أسماء كريت » (٥) ، ثم أتبع التلميذ العنوان بكتابة عدد من الأسماء الكريتية . ومن تمارين تلاميذ عصر الرعامسة وجدت قوائم بأسماء سورية ، ومن هذه القوائم ما تعددت فيه أسماء يتماثل فيها هجاء مقاطعها الأولى (٦) .

وإذا جاز أن نتخطى دروس العصور الفرعونية بقليل ، فما من بأس فى الاستشهاد بنموذج طريف من دروس الهجاء القبطية ، جمع المدرس فيه بين أغراض تعليم الهجاء والخط والنطق فى آن واحد ، ويتألف الدرس من مجموعة مقاطع قصيرة يتكون كل مقطع منها من حرف لين يتلوه حرف جامد ، ثم مجموعة

---

(١) Kahun Pap. VI, 13vs., pl. XXVIa, p. 66 11.45-48 ; see also Berlin 9554

(٢) G. POSENER, op. cit., p. 46.

(٣) Ost. Cairo 25796, 25573, 25574.

(٤) Moscow Ost. 4478 (see, A.H. GARDINER, Anc. Eg. Onomastica, vol. II p.276)

(٥) Brit. Mus. 5647 ; see, T.E. Peet, in Casson, Essays in Aegean Archaeology 1927, pl. 15-16, p. 90 f.

ومن خلاف عصر الأسرة نفسها لخفة عنونت بعنوان « السوريين الجدد » وتضمنت واحداً وعشرين اسما شخصياً على وجهيها ، ويحتمل أنه كان لها غرض تعليمى كذلك . (AeZ, XXXIII, 15 f ; LXIV, 54 f.)

(٦) G. POSENER, in Syria, XVIII, 1937, p. 183 f — وانظر أعلاه .

أخرى تجرى على عكسها ، أى يتألف كل مقطع منها من حرف جامد يتلوه حرف لين (١) (وتراجع بعض حروفه القبطية فى ملحق النصوص) .

وعلى نحو ما كان تعليم الخط يكتسب أولاً بالدروس المباشرة ثم يكتسب بعد ذلك بطرق غير مباشرة ، كذلك كان التلميذ يستكمل إتقانه لهجاء الكلمات ومعرفته بصور كتابتها المعتادة ، إلى جانب دروسه المباشرة فى تعلم الهجاء ، عن طريق غير مباشر كلما زاد ما يكتبه من المتون الأدبية عن طريق النسخ أو طريق الإملاء .

وعلى نحو ما كان التلاميذ والمعلمون يهتمون بالتصويبات الخطية ، كذلك كان منهم من يعنى بتصويبات الهجاء . وتصويب التلميذ لهجائه فى أثناء الكتابة أو فى أثناء الإعادة غالباً مايكون بمحو ماأخطأ فيه وكتابة غيره مكانه (٢) (وكان ييسر المحو إمكان استخدام الماء فى محو الكتابة على اللخاف والألواح و صفحات البردى) ، وقد يدخل الحروف الناقصة فى مواضعها بنفس السطر (٣) ، أو يزيدها فوق السطر (٤) .

أما تصويب المعلم بمداده الأحمر فقد يضعه على الهجاء الخاطئ نفسه (٥) ، أو أعلى السطر (٦) ، أو فيه بالذات (٧) ، أو أعلى الصفحة (٨) ، أو فى أعلى صفحة أخرى قريبة منها (٩) ، وقليلا ما يكون على الهامش الجانبى (١٠) للصفحة .

ومن نماذج تصويبات المعلمين بالمداد الأحمر : (*)

١ — تصويب هجاء كلمة « يرعون = (سعنخو) » فى رسالة تتحدث عن قبيلة من البدو هاجرت « لرعى = (رسعنخ) قطعانها » ، وهو تصويب يجمع بين تصويب الهجاء وتصويب القواعد فى آن واحد . (Pap. Anast. VI, 5, 1)

٢ — تصويب هجاء كلمة « حسسو (؟) » فى نص غامض المداول . مع حذف المخصص الخاطئ فيها (O.D.M. 1100, 2).

٣ — تصويب هجاء كلمة « بخرو » فى النص نفسه بزيادة مخصص مناسب فى نهايتها ((l. 3)).

(١) COLLART, in Bull. Inst. F., XXX, 417.

(٢) See, O.D.M. 1022, 3 ; 1033 8 ; 1046 rt. 3, vs. 5 ; 1193, 2, 4, 8.

(٣) See A.H. GARDINER, Late Eg. Miscell., Index, p. 141 — Signs added later within the line itself.

(٤) Ibid., p. 141a, 142 ; O.D.M. 1101, 4 ; 1102, 3 ; 1104, 2.

(٥) O.D.M., 1006, 3 ; 1078, 4, 5 ;1053, 6 ; 1187, x + 2.

(٦) O.D.M., 1100 vs. 2, 3 ; Ost. 7 de Leipzig, 5, 14 ; Pap. Anast. I, 9, 9 ; 10, 8

(٧) O.D.M. 1100 rt. 2 ; vs. 3, 5

(٨) من ذلك Pap. Anast. V, 18 ; Pap. Anast. IV, 4, 7 ; Pap. Rainer, 53, 1. على أن بعض التصويبات أجريت فيها بالمداد الأسود .

(٩) من ذلك Pap. Anast. IV, 11 ; Pap. Bologna 1094, 3 ; Pap. Ch. Beatty V rt., 5 ; Pap. Anast. V, 8 ; 10.

(١٠) Pap. Anast. VII, 9, 3 ; Pap. Ch. Beatty VI, rt., 5 ; 8. — وانظر لوحة ٦٨

(*) يراجع ملحق النصوص لنماذج التصويبات التالية .

٤ — وإكمال هجاء كلمة « يتنكر (؟) ا ـــ » فى عبارة تقول : « إن فيضان النيل قد يغنى شخصاً ويتنكر لآخر » مع وضع العلامات الناقصة فى الكلمة فى مكانها الأصلى مما يحتمل معه أن التلميذ لجأ إلى معلمه خلال كتابة النص ليستعين به فى استكمال ما غمض عليه من هجاء الكلمة فأكملها له بمداده الأحمر .

(O.D.M. 1053, 6)

٥ — وتصويب هجاء أداة المعية (حنع) فى بداية رسالة ،وقد أخطأ المعلم نفسه فى تصويبه فكتبها (حعن)
Pap. Lansing, 7, 1)

٦ — وتكملة هجاء ضمير الإشارة الجمع « نن » فى رسالة . (Pap. Anast. I, 10, 8)

٧ — وتصويب هجاء كلمة « العادل » فى عبارة تصف أحد الأرباب ؛ بتغيير مخصصها
(Ost. Bibl. Nat., l. 18 ; GARDINER, Lit. Texts, p. 5 a)

ومن أطرف صور التصويب التى لا نزال نأخذ بها حتى الآن :

٨ — نقل الحرف من موضعه الخاطئ إلى وضعه الصحيح فى الكلمة مع التأشير على صورته الخاطئة بخط أحمر مائل فى مثل كلمة « سمدت » فى عبارة تقول : « كن حذرا إزاء « العامة » .
(Hayes, Ostraca, pl. XXV)

٩ — والتأشير على قمة الحرف بعلامة صغيرة حمراء للدلالة على أنه كتب فى غير موضعه فى مثل كلمة سحورى » بمعنى الذم ، وكان التلميذ قد كتبها : حسورى

(Pap. Anast. I, 4, 8)

١٠ — وتصحيح هجاء الكلمة بوضع الحرف الناقص فيها بين قوسين بالمداد الأحمر فى مثل عبارة تحكى عن البدو الأسيويين أنهم يسلبون الأبقار وهى تحرث « (س) كاو »
(O.D.M. 1187, x + 3).

ومن صور تصويب المعلم لسياق الجملة بإضافة الكلمات الناقصة فيها وحذف الكلمات الزائدة عليها :

١١ — زيادة عبارة « دبيوإرف » فى جملة تتحدث عن شقاء الفلاح ومرضه فى أغلب أحواله .
(O.D.M. 1058, 4)

١٢ — وزيادة عبارة « ر إوف . ف » فى جملة تتحدث عن سعادة الكاتب ((Pap. Anast. III, 3, 12)

١٣ — وزيادة كلمة « ماعتى » بمعنى « حر أوخالص » فى جملة تقول : « ولا يؤكل اللازورد « الحر »
(Pap. Sall. II, 14, 2)

١٤ — وزيادة عبارة « أطفالك » على الهامش الأيسر للصفحة فى جملة تقول : « (وأطفالك) يهللون فرحاً لك »
(Pap. Anast. VII, 9, 3)

١٥ — حذف صفة لم ترد فى المتن الأصلى بخط أحمر مائل فى جملة من نشيد للفرعون مرنبتاح تقول : « ما أمتع مسيرك إلى طيبة » وكان التلميذ قد كتبها طيبة الظافرة « نختى »
(Pap. Anast. II, 5, 3)

ومن صور التصويبات بالمداد الأسود :

١٦ — تصحيح هجاء كلمة « ختى » فى عبارة تتحدث عن الإبحار جنوباً بتغيير مخصصها الأخير .
(Pap. Anast. IV, 4, 11)

١٧ — وتصحيح هجاء كلمة « سكى » بعد أن كتبها التلميذ « سك » فى رسالة تتحدث عن إصلاح قارب
Ibid., 7, 10)

١٨ — وتصحيح هجاء كلمة « سمى » بعد أن كتبها التلميذ «ستمة »

(Ibid., 10, 12)

١٩ — وتصويب هجاء كلمة « خاو » فى عبارة ، بتغيير ثلاثة حروف فيها .

(Pap. Anast. V, 13, 4)

٢٠ — ومن طريف ما كان بين المعلم وبين التلميذ ، أن صحح المعلم قاجابو لتلميذه «إننا» عبارة بالمداد الأحمر فى إحدى كراساته (Pap. Sallier V, 6, 3) بعد أن كتبها« إننا» بالمداد الأسود ، فلما أعاد «إننا» نسخ الموضوع نفسه فى كراسة أخرى (Pap. Anast. VII) نسى الغرض من التصحيح فكتب الكلمتين معاً ، الخاطئة منهما والصحيحة .

ثانيا — دروس قواعد اللغة :(١)

لا يزيد المعروف حتى الآن من تمارين القواعد التى ترجع إلى العصور الفرعونية عن تمرينين وجدت لخفة أحدهما فى طيبة (٢) ، ووجدت لخفة الآخر فى أبيدوس (٣) . وقد كتب كلاهما بالخط الهيراطيقى ويرجعان معاً إلى عصر الرعامسة . وذلك إلى جانب تمارين أخرى للقواعد من عصور متأخرة (٤)

ويتناول التمرين الأول إسناد فعل الكينونة المساعد إلى الضمائر المتصلة ، وقد رتبت معه فى نهر رأسى بالمفردات التالية :

(١) فى مهاجاة حورى لأمنموبى (Pap. Anast. I, 6, 2) عاب حورى على زميله أنه لم يستطع أن يكتب رسالته بمفرده وقال له : « إنك كلفت كل واحد (من أعوانك) بفصلين .. فواحد يمدح واثنان يهجوان وآخر وقف « يرشد إلى القواعد » (حر متر رباتب رد) فهل كانت القواعد التى وقف هذا الأخير يوجه زملاءه إليها هى قواعد اللغة ؟— انظر ملحق النصوص .
See, A. ERMAN, Lit., 275 ; A.H. GARDINER, Literary Texts from the N.K., p. 10.

(٢) Ost. PETRIE 28 ; see, A.H. GARDINER, Anc. Eg. Onomastica, Vol. I, p. 4, No. 2.

(٣) Cairo 25227 (see Mar. Cat. d'Abydos, p. 589)

(٤) H. BRUGSCH, in AeZ, XVI, 1 f. ; HESS, in AeZ, XXVIII, 1 f. ; XXXV, 147 f N. REICH, in J.E.A. X, 285 f ; A. VOLTEN, « An alphabetical » Dictionary Grammar in Demotic, in Archiv. Orientali, XX (1953), 496 f.

أكون ، يكون ، تكون ، نكون ، هم يكونون (بالصيغتين : إو . و ، إو . س) ، تكونين (١) .

ومما يتضح فى هذا التمرين أنه لم يأخذ بترتيب الضمائر (أو على الأقل لم يأخذ بما يتبع الآن فى ترتيبها) (٢) وأنه لم ينسب الفعل إلى المخاطب الجمع العاقل على حين كرره للجمع الغائب بصيغتين . وقد يكون من تعليل ذلك أن كاتبه لم يكن أكثر من تلميذ مبتدىء ، وأنه كان يكتبه عن الذاكرة ، أو أنه كان يكتبه إجابة عن أسئلة شفهية من المعلم على نحو ما يقول المعلم الآن لتلميذه أسند فعل كذا إلى المتكلم والمخاطب . الخ .

وكتب التمرين الثانى فى سطر أفقى قصير وتضمن الصيغ التالية : « إو . ست ، متو . ك ، إو . تو ، متو . تو » . ويتلو هذا السطر خمسة أسطر من موضوع فقد أغلبه . وعدم التزام التمرين تصريفاً كاملاً يدعو إلى الظن بأنه لم يكن تمريناً مقصوداً لذاته ، وأنه يحتمل أن يكون كاتبه قدر احتياجه إلى هذه الصيغ فاستحضرها فى ذهنه (أو سأل عنها) ثم كتبها حتى لا ينساها وليستعملها بعد ذلك فى مواضعها . (٣)

وبالجمع بين التمرينين السابقين بما فيهما من أخطاء يتضح :

١ — أن تتابع التصريف الأول أقرب إلى أن يعنى أن صاحبه قد تلقى القواعد فى دراسة تفصيلية .

٢ — أنه إذا صحت كتابة التمرينين عن الذاكرة مع اقتران ذلك بعدم وجود تمارين أخرى كتبت عن نسخ أو إملاء ، كان من المحتمل أن تدريس القواعد بتفصيل كان يؤدى عن طريق الدروس الشفهية ثم يكون التطبيق التحريرى عليه بعد ذلك فى أثناء دراسة المتون الأدبية وكتابتها . ولكن هل يعلل قصر تمارين النحو المعروفة على عصر الرعامسة بمجرد المصادفة وأن نتوقع أن تؤدى الكشوف المستقبلة إلى العثور على ما نفتقده الآن من تمارين النحو فى العصور القديمة ؟ أم أن المعرفة بقواعد اللغة كانت تكتسب فى بداية الأمر عن طريق السماع والتقليد ، فلما بعدت لغة الكلام عن اللغة الفصحى بعد أن كتب المصريون بلغة الكلام بدلاً من اللغة القديمة منذ منتصف عصر الأسرة الثامنة عشرة أصبح من الضرورى أن تفصّل القواعد وأن تحفظ ، وذلك على نحو ما كان الأمر عليه بالنسبة للعرب قبل أن يوضع علم النحو ومن بعده ؟

على أن ثمة أمرين يستوجبان الملاحظة ، وهما : كثرة الأخطاء النحوية فى التمارين الأدبية لتلاميذ عصر الرعامسة بالذات ، ثم قلة تصويبات المعلمين عليها . وكثرة أخطاء التلاميذ يمكن أن ترد إلى أن أغلب ما كانوا يكلفون بكتابته كان من الأدب القديم المتميز عن لغتهم المعاصرة بأسلوبه وقواعده (٤) ، أى أن صعوبة إتقان القواعد القديمة من ناحية ثم غلبة التراكيب والقواعد المعاصرة على تفكيرهم من ناحية أخرى كانا يعملان معاً على تعرضهم لكثرة الأخطاء ، ويتضح ذلك من المقارنة بوجه عام بين الموضوعات التعليمية

---

(١) See, H. GRAPOW und ANDERE, Agyptologie, II Ab., Literatur, Leiden 1952, S. 193. A. ERMAN, Neuaegyptische Grammatik, 486 f.

(٢) وليس ما يستدل به – فيما أعلم – على طريقة ترتيبهم للضمائر ، ويلاحظ الأمر نفسه فى تمرين بالديموتيقية تناول تصريف صيغتى p-e-z-f and p-e.z.w.n-y وقد أهمل التصريف لضمير المخاطبة المؤنثة ، وعكس ترتيب الضمائر الجميع فكتبها : هم ، نحن ، أنتم . N. REICH, A Grammatical Exercise of an Egyptian Schoolboy, in J.E.A., X, 285 f. – انظر ملحق النصوص

(٣) ولو أنه ليس فى القليل الباقى من سطور الموضوع التالى لهذا التصريف شىء منه .

(٤) A. VOLTEN, Studien zum Weisheitsbuch des Anii, 1938, p. 61 f.

التى كتبت فى بداية عصر الأسرة الثامنة عشرة وبين نسخها الأخرى التى كتبت فى عصور الرعامسة ، حيث تمتاز الأولى بالصحة فى أغلب أحوالها لسهولة فهم اللغة القديمة على تلاميذ عصرها (١) .

أما التصويبات النحوية للمعلمين فهذه وإن كانت قليلة حقاً بالنسبة إلى كثرة التصويبات الخطية ، إلا أنها ليست بالندرة التى جعلت مثل الأستاذ أدولف إرمان يقدر أنه إذا ما وجدت تصويبات للمعلمين فهى لا تتعدى رسم الحروف ولا تحفل حتى بهجاء الكلمة (٢) ، ثم جعلته يتشكك فى احتفال المصريين بقواعد النحو على الإجمال (٣) . فالواقع أننا نستطيع أن نتلمس عدداً لا بأس به من التصويبات إذا قدرنا النحو بمعناه الواسع ، فمن التصويبات ما يتناول التذكير والتأنيث ، ومنها ما يضع أدوات التعريف فى مواضعها ، ومنها ما يتناول تصويب الضمائر أو إضافتها ، ومنها ما يضيف فعلاً مساعداً أو يضيف جاراً ومجرور وهكــذا .

فمن التصويبات التى تناولت التذكير والتأنيث (*) :

تصويب الصفة المؤنثة « تبتى » فى عبارة تتحدث عن الباب الأول إلى الصفة المذكرة « تبى » (٤)

وتصويب الكلمة المذكرة « شمعى » إلى الكلمة المؤنثة « شمعيت »(٥) .

وتصويب الكلمة المذكرة « تاع سبا » إلى الكلمة المؤنثة « تاعت سبا » (٦) .. الخ .

وتصويب الصفة المذكرة نخت إلى الصفة المؤنثة نختى (أو نخت) فى عبارة تتحدث عن وظيفة « فعالة »(٧) .

وتصويب اسم المفعول المؤنث فى عبارة « سمنخت إررى » إلى « سمنخت إررت » (٨)

ومن التصويبات التى اهتمت بأدوات التعريف :

فى عبارة تقول : « دع رسائلى تعرض أمام إنحرة ليقضى لنا (من) محق » ، زيدت أداة التعريف قبل هذه الكلمة الأخيرة لتكون « (من) المحق » (٩) .

---

(١) See G. MASPERO, Hymne au Nil, p. XXX

A.H. GARDINER, in Mel. Maspero, I, 480 f. ; ERMAN, in AeZ, XXXII, 127.

وعن أمثلة لتأثر التلاميذ بالقواعد والهجاء المعاصرين :

See, G. MASPERO, Les Enseignements d'Amenemhat, p. XVII-XVIII ; H.BRUNNER, Die Lehre des Cheti, 72-3 ; VAN DE WALLE, op. cit., p. 53 f.

وقد تناول التغيير كتابة الأسماء نفسها . See, W.C. HAYES, Ostraca and Name- Stones,... 1942, No. 142 ; H. BRUNNER, op. cit., 76.

(٢) A. ERMAN, Die aegyptischen Schulerhandschriften, 1925, S. 10

(٣) A. ERMAN, H. RANKE, Aegypten, 391.

(*) يراجع ملحق النصوص لنماذج من التصويبات التالية .

(٤) Pap. Anast. IV, 4, 7.

(٥) Pap. Bologna, 1094, 8, 5

(٦) Pap. Ch. Beatty II, 5,1

(٧) Pap. Lansing, 5, 8

(٨) O.D.M. 1100 rt. 2

(٩) A.H. GARDINER, Literary Texts from N.K., (Pap. Turin, 9)

وزيدت أداة التعريف فى عبارة تشير إلى « الكاتب روى الذى يدعى ماقو » قبل هذه الصفة الأخيرة لتصبح « باماقو » ربما بمعنى « الصخاب (؟) » (١) .

وزيدت أداة التعريف أيضاً فى عبارة تقول « عشرة من أرغفة » لتكون «عشرة من الأرغفة »(٢) .

ومن التصويبات ماكان يتعرض للضمائر ، فيغير ضمير المخاطبين إلى ضمير المخاطب المفرد فى مثل عبارة تقول : « إذا وصلتك رسالتى هذه فعليـ(ك) أن تتسلم ٣٠ دبناً من نحاس » مع تغيير ضمير الغائب إلى ضمير المخاطب فى نفس السياق (٣) . أو يغير ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم المفرد فى مثل عبارة تقول : « إنى (شخص ممدوح) من أمـ (ى) »(٤) ، أو يزيد مخصصاً وضمير المتكلم المفرد فى مثل عبارة : « إنى أشرح (لك) » (٥) ، أو يزيد ضمير الغائبين الجمع فى مثل عبارة تقول : « وخمور لذيذة من كنكمة (وهى) تفوق؟ الشهد »(٦) أو يزيد ضمير الغائب فاعلا ومضافاً إليه فى نشيد على لخفة صغيرة (٧) .

ومن التصويبات ما أضاف فعلاً مساعداً ، فى مثل عبارة تقول : « دعنا نتعاون معاً على المشكلة (لأن) عقلى راجح » (٨) .

ومنها ما أضاف جاراً ومجروراً فى مثل عبارة : « وعمل على أن يضع محفة (تحته) »(٩) وفى مثل عبارة تقول : « وإنى سوف أعرف سيدى بالغزل الذى أخذه (من يدى) » (١٠) وفى مثل دعاء يقول : « تعال (إلى) تحوتى » (١١) ومثل إضافة عبارة (إلى جانب) فى سياق آخر . (١٢)

واضافة أداة الجر فى عبارة تقول : « (فى) التو »

واضافة راء السببية فى عبارة تقول « (ل) رعى » (راجع ص ٢٥٥)

وأخيراً فهناك مثال لسطر واحد جمعت تصويباته الخمسة بين تصويب الخطأ البصرى وخطأ الهجاء وخطأ القواعد فى آن واحد (١٣) .

---

(١) GARDINER, op. cit., p. 17 a, 1.17 — Anast. I, 9, 5

(٢) Pap. Ch. Beatty, II, 7, 4

(٣) O.D.M. 1052, 10 _ Anast. III, 6, 12

(٤) Ost. Inst. Fran. 1148 ; G. POSENER, Catalogue des Ostraca,... 1951, pl. 14

(٥) Pap. Lansing, 5, 8.

(٦) Anast. III, 2, 6.

(٧) O.D.M. 1100 vs., 3, 5.

(٨) O.D.M. 1006, 2 (Anast. I, 16, 2)

(٩) Pap. Ch. Beatty, II, 6, 4

(١٠) Pap. Anast. VI, 2, 14

(١١) Pap. Anast. V, 9, 2.

(١٢) A.H. GARDINER, op. cit., p. 15a, 1.2 Ost. Q.C. 4 — Anast. I, 7, 4.

(١٣) Pap. Turin A, vs., 3, 10-4, 1

وكان للطلبة أحيانا تصويباتهم التى تتناول القواعد مثل تغيير ضمير الجمع العاقل إلى ضمير الجمع غير العاقل ، وتغيير ضمير الغائب المفرد غير العاقل إلى ضمير الغائب الجمع غير العاقل O.D.M. 1033, 8 ; Pap ANAST. I, 4, 7). وتناول المعنى بالتصويب يكون أرجح حين استبدال كلمة بأخرى تقاربها فى المعنى . (See, A.H. GARDINER, op. cit., p. 34a, 1.9).

وقد يضيف الطالب كلمات مساعدة لتصحيح المعنى كإضافة لفظ « مثل » ، أو أداة النفى « ليس » . (Pap. Sall. II, 8, 6 ; 9, 1)

ثالثاً — الدراسات الأدبية :

(ا) دراسة الآداب القديمة وبواعث الإهتمام بها :

تقدم أن ما عرف حتى الآن من الدروس الأدبية لا يتعدى أغلبه ما كتبه تلاميذ الدولة الحديثة وعصر الرعامسة فيها على وجه أخص (ص ٢٣١) . وتتصف الدروس الأدبية لهذا العصر بخاصية واضحة وهى أنها اعتمدت أساساً على دراسة آداب العصور السابقة لها بما تضمنته من تعاليم وقصص وأشعار . وينطبق هذا على ما سطر من دروس على اللخاف والألواح والبرديات جميعاً ، أو ينطبق بمعنى آخر على دروس المرحلتين التعليميتين جميعاً . فكان التلاميذ يدرسون من تعاليم الدولة القديمة تعاليم بتاح حوتب (١) وتعاليم حورددف (٢) ، ويدرسون من تعاليم عصر الانتقال الأول والدولة الوسطى تعاليم خيتى بن دواوف (٣) وتعاليم أمنمحات الأول ، ومن قصصهما قصة سنوهى ، ومن أشعارهما نشيد النيل ، ومن آدابهما الأخرى كتاب الكمال وتنبؤات نفررحو (أو نفرتى) (٤) . بيد أنهم كانوا يدرسون إلى جانب ذلك من آداب عصرهم مهاجاة حورى لزميله أمنموبى ، وهذه كان لها من الشيوع مثلما كان لأدبيات الدولة الوسطى ، وتعاليم آنى (٥) وأمنموبى (٦) — وإن تكن الدروس المقتبسة عنهما والمعروفة حتى الآن لاتزال معدودة — ثم مجموعة من أناشيد الآلهة والفراعنة ، وأخيراً مجموعات من رسائل قصيرة ذات أغراض متعددة .

وتلك الغلبة التى استأثرت بها الآداب القديمة (الكلاسيكية) فى دراسات الدولة الحديثة يحتمل أن يكون مبعثها ثقة المعلمين بها باعتبارها تراثا من تعبيرات راقية وتشبيهات مختارة وحكم سديدة ارتضاها الذوق الأدبى العام فيما تقدمهم من عصور ، وعلى هذا أدرجوها فيما أطلقوا عليه تعبير الأقوال المقدسة (٧) ، تقديراً لها وتثبيتاً ، ثم اعتبروها أساساً لابد منه للناشئ المتأدب . ولا يخلو هذا التقدير من شبه مع تقدير عصورنا الحديثة لآداب العصور العربية والإسلامية الأولى ، من حيث قيمها البيانية والبلاغية ، ومن حيث انه ما من بليغ مستحدث فى اللغة يقوم على غير أساس من التراث القديم ، ثم من حيث هى تمثل الآداب القومية الخالصة قليلة التأثر بالاتجاهات والأفكار الأجنبية . ولم يكن تعلق الأدباء والمعلمين المصريين بأساليب

---

(١) G. POSENER, in Rev. d'Eg., 1952, 117; H. KEES, Kulturgeschichte, 283; ERMAN, Die Lit..., 87; J.H. BREASTED, The Dawn of Conscience, 1934, p. 133.

(٢) O.D.M.,1205-1207; Ost. Munich 3400; Ost. Chicago 17002-3; also Ost. GARDINER, 12; Ost. PETRIE, 53; IFAO, Inv. 2172.

(٣) عرف حتى الآن من لخافها التعليمية ١٠٢ لخفة فضلا عن أربع برديات ولوحة تعليمية .
H. BRUNNER und andere, Handbuch der Orientalistik, erster Band, 1952, Aegyptologie, Ab. II, Literatur, S. 91.

(٤) See, G. POSENER, op. cit., p. 174

(٥) Pap. Boulaq IV, Pap. 16959 a, b, c du Mus. Guimet, Berlin 8934; O.D.M., 1063.

(٦) Brit. Mus. Pap. 10474; tablet in Turin; Ostracon in Cairo (see, J.E.A. XII, 193).

(٧) See, A.H. GARDINER, Hieratic Papyri, 3rd series, Vol. I, p. 131; Wb. «مدونثر» II, 180.

الأسلاف وحكمتهم قاصراً فى واقع أمره على الدولة الحديثة وحدها ، وإنما كان شأن أهل الفكر فى الأجيال السابقة لها أيضاً ، تشهد بذلك تعاليم بتاح حوتب . حين استأذن فرعونه أن يعلم ولده « أقوال المتفقهين ، وآراء السابقين الذين أطاعوا الأرباب وأخلصوا للأسلاف » — وحين قال عن أولئك الأسلاف « إن صوابهم هو (سر) مجدهم ، ولن تزول ذكراهم من أفواه الناس بما كان عليه جمال حكمتهم وعلى الإنسان أن يتداول أقوالهم كلها ، ... ولن تزول من هذه الدنيا إطلاقاً » (١) . كما تشهد به تعاليم خيتى ملك اهناسيا حين تحدث إلى ولده عن أسلافه قائلا له : « وراع أن أقوالهم خالدة فى الكتب فافتحها واقرأ حتى تبلغ الحكمة فبذلك يصبح المفن مثقفاً » (٢) .

هذا وقد تقدم من ناحية أخرى فى فصل المناهج التعليمية أنه كان ثمة ترابط وتلازم فى عصر الرعامسة بين ثلاثة موضوعات أدبية بعينها ؛ وهى تعاليم خيتى بن دواوف وتعاليم أمنمحات الأول ونشيد النيل ، وأن هذا التلازم بين الموضوعات الأدبية الثلاثة يدعو إلى الاعتقاد بأنه كان ثمة منهاج أو تقليد تعليمى قديم توارثته مدرسة عن مدرسة وتعلمه مدرس عن مدرس فعلمه لتلاميذه كما تعلمه ، وعن هذا السبيل كتب لآداب العصور القديمة الدوام . ويمكن تتبع تلازم تلك القطع الأدبية الثلاث من أوائل عصر الأسرة الثامنة عشرة (٣) مما يدعو إلى الظن بأنها كانت متلازمة كذلك فى مدارس الدولة الوسطى وموروثة عنها . وكان الغرض الأصيل أو الهدف التعليمى من تلازمها موضعاً لآراء شتى . فرأى ماسبرو أن الجمع بينها كان على أساس انتمائها إلى عصر واحد (والأصح إلى عصور متقاربة) ، وأن اللغة فيها متماثلة ، وأنها كانت تتضمن صعوبات لغوية متشابهة يصادفها الدارس فى الدولة الحديثة (٤) . ولما نشرت بردية شستر بيتى الرابعة .Pap. Chester Beatty IV vs وتبين أن كاتبها نسب تأليف تعاليم خيتى بن دواوف وتعاليم أمنمحات الأول إلى كاتب يدعى خيتى (٥) ، قرر أدريان دى بك A de Buck أن الجمع بين هاتين القطعتين فى الدراسة يرجع إلى أن مؤلفهما واحد بالفعل (٦) بيد أنه لم يستطع أن يزيد فيبرر السر فى الجمع بينهما كوحدة وبين نشيد النيل . وفى رأينا أن أساس الجمع بين هذه الموضوعات الثلاثة منذ أوائل الدولة الحديثة أو منذ عصور الدولة الوسطى ، كان هو التنوع وليس التجانس ، التنوع فى الصياغة وفى الأهداف ، والتنوع فيما يمكن أن يستفيده الدارس من دراستها . فبالرغم من انتمائها جميعها إلى عهود متقاربة ، إلا أن كلا منها يمثل موضوعاً خاصاً ويسلك اتجاهه المتميز . فتعاليم خيتى بن دواوف التى دارت حول الترغيب فى حياة العلم وفى مستقبل الكاتب ، غير تعاليم أمنمحات الأول التى تناولت سير الملوك وأحداث الدهور الخالية . وتعاليم خيتى التى كانت كفيلة بإثارة زهو المتعلم من خلال وصفها لحرف الأميين

(١) See, Pap. Prisse, 87, 510-16 (B. GUNN, Studies in Eg. Syntax, p. 137).

(٢) راجع ص ٢١٤ ويقارن فى Pap. Petersburg 1116A, rt. سطر ٥١ مع سطر ١٢٧ وسطر ١١٠ مع سطرى ١٣٣ — ١٣٤ وانظر ملحق النصوص .

(٣) See, Mélangés MASPERO, I, 479 f. ; Rev. de Eg. 1933, 51 f

(٤) G. MASPERO, Hymne au Nil, Le Caire, 1912, p. XLIX ; see also, VAN DE WALLE, op. cit., p. 33 f.

(٥) تراجع ص ٢٧٩

(٦) A. DE BUCK, *The Instruction of Amenemmes* (in Mélanges Maspero, II, p. 848 f.).

ومثاعبهم ، غير تعاليم أمنمحات التى كانت أميل إلى أن تدعو إلى التطبع بالحذر عن طريق وصفها لصنوف من طباع الناس وأطماعهم . وأسلوب خيتى بن دواوف بأوصافه وتعبيراته الشعبية والذى كان يمكن أن يعود المتأدب على يسر التعبير والوصف المرسل البسيط غير أسـلوب أمنمحات المتميز بأمثاله وتعبيراته المنتقاة فى مثل قوله : « لايستطيع القتال وحيد ، وما تم أمر ناجح دون معاون » ، وقوله : « ولكن ما من شجاع بليل » ، وقوله : « لا كمال لسعادة من يجهل ماينبغى عليه أن يعرفه » ، (١) ومثل أقواله : لقد وهبت الفقير ونشأت اليتيم ، وهيأت للمعدم أن يبلغ مأمله كما لو كان ذا حيثية — ولم يكن جائع فى عهدى ولا ظمآن — وسكن الناس إلى ما أقمته وتحدثوا عنى — وكل ما أمرت به كان كما ينبغى أن يكون — (٢) وما إلى ذلك مما كان يمكن أن يزود الدارس — فيما يزوده — بأسلوب يحتذيه فى كتابة التراجم الشخصية ، وليس بخاف ما كان لصياغة التراجم الشخصية من أهمية قدرها المصريون لدنياهم وأخراهم .

ثم هناك الموضوع الأخير فى هذه المجموعة الثلاثية وهو نشيد النيل ، واختياره لم يكن يكفل التنوع من حيث أنه صيغ شعراً فى حين صيغ الموضوعان الآخران نثراً فحسب ، بل لأنه يتميز كذلك بأنه يتناول جود الطبيعة ونعم الآلهة ، ويمكن أن يغرس فى ذهن الدارس الشكر وعرفان الجميل ، وهى نواح لم يتعرض لها الموضوعان السابقان . ويمتاز نشيد النيل فضلاً عن ذلك بأنه أليق لدراسة التلاميذ مما عداه من أناشيد الآلهة ، اذ هو أقلها تأثراً بأسرار الديانة واخيلة الكهنة كما انه أقربها الى عالم الحس والواقع والمنطق (٣). هذه فى رأينا هى الأسس التى كانت جديرة بأن ينبنى عليها الجمع بين الموضوعات الأدبية الثلاثة اذا نظرنا اليها ككل (٤) ، ولا يبعد اطلاقا أن تكون قد خطرت جميعها أو خطر بعضها أو ما هو أكثر منها لمعلم أو لمجموعة معلمين فى بداية الدولة الحديثة أو فيما قبلها ، فجعلوا منها منهاجاً دراسيا متلازماً أخذت المدارس به من بعدهم فى بقية عهود الدولة الحديثة سواء جريا وراء التقليد أو اقتناعاً منها بصحة الاسس التى انبنى عليها ، أو لأنها لم تر فيه ما يتنافى مع أهدافها ان لم تكن قد وجدته مؤيداً لها بالفعل . فالواقع ان تعاليم خيتى بن دواوف بتفننها فى إبراز أهمية الكاتب ، وتفننها فى اظهار عيوب كل مهنة أخرى عدا مهنته ، لم يكن هناك ما هو أنسب منها لمعلمى عصر الرعامسة ليستشهدوا بها وينسجوا على منوالها ، حين زادت الحاجة الى الكتاب وحين أغرى مجد الجندية ورخاء أصحاب المهن التلاميذ على الانصراف عن الدراسة وعن التأهل لمهنة الكتاب . وكذلك لم يكن فى تعاليم أمنمحات التى تشيد بفضل الملوك ومآثرهم على رعاياهم ما يصرف أحدا عن دراستها أو تدريسها فى عصر بلغ فيه مجد الملوك مبلغاً كبيرا . أما النيل وأنشودته فلم يكن تمجيده بطبيعة الحال وقفاً على عصر دون غيره من العصور .

على أن شيوع هذه الموضوعات الثلاثة المتلازمة فى الدراسات الادبية لم يحل دون شيوع موضوعات

---

(١) Pap. Millingen, 2, 4 ; 1, 11.

(٢) See, A. ERMAN, Die Literatur, 108

(٣) ترد الأمثلة المفسرة لهذه الميزات فى ص ٢٦٥ تحت عنوان « دراسة الشعر » — وعن تسمية حعبى باله الفيضان أو النيل تراجع ص ٢٤٦ .

(٤) ربما لم تكن واضحة هكذا فى أذهان صغار التلاميذ الذين كانوا يدرسون من كل منها فقرات مختلفة وربما متباعدة أيضا . ولكن يلاحظ أن كبار التلاميذ كانوا يدرسونها جميعاً كاملة مثل الطالب إننا فى كراستيه : (Anast. VII and Sall. II)

اخرى قديمة وحديثة الى جانبها . وقد تقدم منها ذكر كتاب الكمال وقصة سنوهى ومهاجاة حورى لزميله أمنموبى . كما أنه لم يحل دون أن تكون للدراسات الادبية فروع أخرى سيتناولها البحث بالترتيب ، وأخصها الاخلاقيات وأدب الرسائل .

ويمكن القول فى ايجاز بأن كتاب الكمال كان يتميز بأنه يجمع بين القصة – وهى قصة صورت عودة رجل قضى عامين بعيداً عن أهله(١) – وبين الإشادة بمستقبل الكتاب(٢) ، وبين صيغ مختارة فى أدب التراسل (٣) ، وبين صيغ كانت تستخدم فى التراجم الشخصية (٤) ، فضلا عن اتخاذه نموذجاً خطياً للخط الهيراطيقى للدولة الوسطى . وقصة سنوهى بدورها كانت قصة دسمة ، فيها الوصف الحى ، والمعلومات البسيطة المشوقة عن جيران مصر فى الشرق وفى الشمال وهم من أكثر من اتصلت بهم مصر من الشعوب فى الدولتين الوسطى والحديثة ، وفيها من شعر المدائح والامثال الجارية ما يمكن الاستشهاد به ، وفيها من التعبيرات الفريدة ما يلذ للكاتب أن يرصع به كتابته ، كما أن فيها من صيغ التراسل نماذج تحتذى فى الدعاء وفى لباقة الاستعطاف ورقة الاعتذار (٥) .

ومجادلة حورى لزميله كانت تستهدف فى أساسها تمجيد ثقافة الكاتب أى المتعلم وكانت تتضمن كلمات أجنبية شاعت بين المثقفين فى عهد تأليفها (٦) ، وتتضمن من فقراتها العشرين احدى عشرة فقرة فيها نماذج تحتذى فى تنسيق الاسلوب وافتتاحيات الرسائل وادب التفاخر والهجاء اللبق . وذلك فضلا عن معلوماتها الجغرافية والرياضية .

وتتسم أغلب الموضوعات الادبية التى استخدمت فى التعليم بخاصية تقسيمها الى جمل قصيرة تفصل بينها نقط حمراء عالية إذا كانت سطورها أفقية ، أو تفصل بينها خطوط حمراء أفقية اذا كانت الانهر رأسية (٧) ، ثم تقسيمها الى فقرات كثيراً ما تتماثل فى طولها . وكانت طريقة التمييز بين الفقرات وبعضها هى ان تكتب بداية كل فقرة منها بالمداد الاحمر ، وهذه البداية قد تكون جملة بتمامها (٨) ، أو تكون عبارة قصيرة(٩) ، أو تختصر فلا تتعدى الكلمة أو الكلمتين(١٠) . على أنه قد

---

(١) W.C. HAYES, *A much copied letter of the early Middle Kingdom,* in J.N.E.S. 1948, Vol. VII, p. 9-10; Text: G. POSENER, Catalogue des Ostraca Hier. Lit. de Deir el Medineh, Le Caire, 1951, pls. VIII f.).

ويرى هيس أن تأليف هذه القصة يسبق عهد تأليف قصة سنوهى بنصف قرن على الأقل .

(٢) استشهد خيتى بن دواوف لابنه بعبارة منه تراجع ص ١٦٥

(٣) الفقرات الست الأولى من الكتاب عبارة عن افتتاحيات ودعوات من مرسل إلى مرسل إليه (Posener, op. cit., pls. I-VI)

(٤) ومن ذلك عبارات «إنى المحبوب من أبيه والممتدح من أمى ومن يحبه اخوته واخوانه وانى البرىء من الثرثرة » Ibid., pls. XIII-XIV (pl. XVI)

(٥) See, A. ERMAN, Die Lit., 39 f.

(٦) A.H. GARDINER, op. cit., p. 4; A. ERMAN, op. cit., 270-1.

(٧) O.D.M. 1112; 1113, 1114, 1120, etc.

(٨) O.D.M., 1021, 5; 1103, 7; 1176 rt. 4, 5, 8; 1191 rt. 8, vs. 5-6

(٩) O.D.M. 1025, 2.

(١٠) Ost. de Leipzig.

يستغنى أحياناً عن كتابة بداية الفقرة بالمداد الاحمر ويكتفى بوضع علامة وقف بالمداد الاحمر فى نهاية الفقرة التى سبقتها (١) ، وتقسيم الموضوعات الادبية الى جمل قصيرة لا شك فى أنه كان يعين التلميذ حين القراءة وحين الكتابة نسخاً أو عن املاء ، ويعينه حين الحفظ أيضا . أما التقسيم الى فقرات فكان فى بعض حالاته مما تقتضيه وتوحى به طبيعة المتن الادبى نفسه ، كأن يكون شعرا يقتضى نظامه أن يقسم الى مقاطع مثل نشيد النيل ، أو يكون المتن نثرا ولكنه يقوم على مجموعة أفكار ونقط متمايزة مثل تعاليم خيتى بن دواوف التى تناولت بالنقد سبع عشرة حرفة مختلفة وكان من الطبيعى أن تستقل كل حرفة منها بفقرتها . على ان هذا التعليل لا يصدق دائماً على كل المتون النثرية التى قسمت الى فقرات ، فتعاليم امنمحات يبعد أن يكون مؤلفها قد قسمها أصلا الى فقرات ، وان كان قد تناول فيها بالفعل افكاراً عدة ومتميزة ، وانما الغالب أن يكون تقسيمها الى فقرات مما اقتضاه النظام التعليمى نفسه . والغرض التعليمى من التقسيم يحتمل أن يكون هو تيسير الحفظ على التلاميذ ، ويبرر هذا الاحتمال انه وجدت لخفة صغيرة كتب صاحبها عليها بدايات فقرات تعاليم خيتى بن دواوف مرتبة ومتتالية ، وقد راعى أن تكون مختصرة ومتمايزة فى الوقت نفسه ، فقال فى البداية الرابعة على سبيل المثال : لم أر — وتكملتها هى « لم أر فنانا (ينتدب) فى مهمة » (٢) . ووجدت لخفة أخرى كتب صاحبها عليها بدايات فقرات تعاليم أمنمحات (٣) . وغرض الحفظ من هذين المثلين وان كان واضحاً ، الا أنه لا يقطع فيما نظن بأن المتنين ، تعاليم خيتى وتعاليم أمنمحات ، كانا يحفظان كاملين أو أن حفظهما كان منهاجا مقررا دائما ، وانما الارجح ان يرجع الامر بالحفظ وتقدير فقراته الى اختيار المعلم ذاته . واستعاضت بعض الدروس عن الطرق السابقة فى الفصل بين أجزاء المتن بذكر تآريخ تتخلل السطور . ويرى أدولف ارمان أن بعض هذه التآريخ قد كتب بخط مخالف لخط التلميذ وانه لهذا يحتمل ان يكون بخط المعلم وان يكون محدداً للعمل اليومى (٤) . وقد يكون التقسيم بالتأريخ متفقا فعلاً مع تقسيم الفقرات وبهذا لا يكون فيه شذوذ عن القاعدة العامة (٥) ولكنه قد لايتفق مع نهايات الفقرات أحياناً أخرى (٦) وبهذا تكون قد تدخلت فى أمره عوامل جديدة ترجع الى تقدير المعلم لإمكانية تلميذه ومدى تفكيره ، او ترجع الى تقديره لوقت درسه أو الى ما يشبه ذلك .

---

(١) O.D.M., 1050, 1113 ; 1124 ; Ost. Cairo 56842.

(٢) O.D.M. 1017 وسطح اللخفة مقسم إلى قسمين أيمن و أيسر وفى كل منهما مجموعة من البدايات .

(٣) W.C. HAYES, Ostraca and Name-Stones,... pl. XXV, p. 28. وقد بقيت عليها أربع بدايات فقط .

(٤) A. ERMAN, Die aeg. Schülerhandschrift,... S. 9

(٥) لفقرات من نشيد النيل : O.D.M., 1024 ; 1052 ; 1053 ; 1094 ; 1193.
ولفقرات من تعاليم خيتى بن دواوف : O.D.M., 1013 rt., 8 ; 1013 vs. 9 ; 1015,7 ; 1037, 6 ; 1087, 3.
ولفقرات من تعاليم امنمحات الأول : Ost. Petrie 56 ; Ost. Quibell 57 ; Ost. Cairo 26217.

(٦) O.D.M. 1021, 7 ; 1039, 7 ; 1190, 6.

(ب) الشعر فى الدراسات الأدبية :

كان للشعر بشقيه الدينى منهما والدنيوى مكانة ملحوظة فى الآداب المصرية . وكان من أسباب مكانته هذه تعدد الظروف الملهمة به فى حياة المجتمع المصرى القديم ؛ فحياة الفراعنة وانتصاراتهم وما اتصل بهم من تيجان ورموز ومدن وقصور كل أولئك أفسح مجالا واسعاً لقرائح الشعراء ومدائح المادحين ،(١) وتعبـد الآلهة ابتغاء القربى منهم ثم تمجيد بعض الطوائف لرعاتها من الآلهة كلاهما كان فيـه إلهام بالقصائد والأناشيد ، والأحداث التى كانت تمر بالمجتمع والاحداث التى كانت تحل بالشعراء انفسهم كان لها هى الاخرى نصيبها من الإيحاء بالنظم والقريض (٢) . وترتب على هذه المكانة التى تبوأها الشعر فى الآداب المصرية القديمة صداها الواضح فى الدراسات الادبية ، ولقد تقدم من صور أهمية الشعر فى هذه الدراسات أن نشيد النيل كان يلازم الموضوعين الشهيرين تعاليم خيتى بن دواوف وتعاليم أمنمحات . وأن اختياره للدراسة كان على الأرجح لتميزه عما سواه من أناشيد الآلهة ببعده عن أسرار الديانة وقربه الى عالم الحس والمنطق . والواقع أنه لم يكن ما هو أيسر على التلميذ من أن يؤمن وهو يكتب النشيد أو يقرؤه بما جاء فيه من أن النيل :

« هو من يسقى البرارى البعيدة عن الماء ، لأن نداه هو ماتنزله السماء »(٣) .

وأنه « هو من ينتج الشعير وينبت الحنطة ويوقت للمعابد أعيادها ، فإذا تكاسل انسدت الانوف وافتقر الناس .. وهلكت الملايين ، (٤) وإذا بخل (؟) ذعرت الارض بأكملها وناح الكبير والصغير » ، (٥).

أما إذا أشرق فالأرض فى حبور وكل طائفة فى سرور ، وتأخذ الوجوه فى الابتسام وتبدو النواجذ (من الضحك والسرور) » . (٦)

« فلا تقل افتراء وادعاء إنه يقارن بالبحر : فالبحر لايهيىء حباً وما من طير يهبط القفر .. ، والذهب وسبائك الفضة لاتغنى شيئاً ولا يأكل الإنسان حر اللازورد ، وإنما الشعير هو المقدم والانفع » .

وكتب تلميذ نشيداً آخر لحعبى إله النيل والفيضان على لخفته الصغيرة وبدأه بقول قائله :

« تحية حعبى نعم بهاوه كالرب ، يامن خفى اسمه واستتر (حتى) عن الأرباب .. » (٧)

على أن نشيد النيل لم يكن وحده هو كل مايدرسه التلاميذ من الشعر ، وإنما وجدت إلى جانبه كثير من القصائد والأناشيد ، ويكفى للدلالة على كثرتها أنه قلما خلت كراسة من الكراسات التعليمية من مقطوعة شعرية أو أكثر من مقطوعة(٨) . والشعر الذى أتت به هذه الكراسات وماسواها من الألواح

---

(١) See, A. ERMAN, Hymnen an das Diadem, 23, 34, 47; Die Literatur, 37-8; 179-82; 337, 346, 347; DAWSON and PEET, in J.E.A. XIX, 167 f.

(٢) من ذلك قصائد إيبوور والمتبرم بالحياة ،

(٣) MASPERO, Hymne au Nil, p. XVI (Var. O.D.M. 1027, 8-9; Chester Beatty, 2, 3

(٤) ERMAN, Literatur, 194; Maspero, op. cit., p. 19 (Ost. Golenischeff, 8-9)

(٥) Ost. Golenischeff, 6; O.D.M. 1176, 4 — Pap. Sall. 12-2.

(٦) A. ERMAN, op. cit., 194, Anm. 4.

(٧) O.D.M. 1105.

(٨) يراجع فهرس الكراسات التعليمية A.H. GARDINER, Late Egyptian Miscel. pp. V-VIII

والكسر واللخاف – الى جانب نشيد النيل – يتميز بقصر قصائده (١) بما يناسب قدرة التلميذ على الكتابة والحفظ ، ويتميز كذلك بغلبة المدائح فيه ، وإذا كانت غلبة المدائح ميزة غالبة فى الشعر المصرى عامة فإن ماينفرد به شعر المدارس هو أنه لم يقصر مدائحه على الآلهة والفراعنة وحدهم ، وإنما جعل للمعلمين أيضاً نصيباً موفوراً منها . و كان من مدائح المعلمين هذه مايتكرر لدى أكثر من تلميذ ، وذلك مما يعنى أنها كانت ، أو بعضها على أقل تقدير ، مقطوعات شعرية سائرة للإشادة بفضل المربى عامة ، على الرغم من أن كل تلميذ كان يزجيها لمعلمه كأنما هى تخصه وحده.

و كان من ذلك أن تكررت قصيدة فى أكثر من كراسة ولخفة مدرسية عبر التلميذ فيها عن أمانيه لمعلمه بمثل قوله :

لسوف تهبط الى سفينتك من (خشب) عش

عامرة من المقدمة الى المؤخرة

وتبلغ قصرك البديع

الذى شدته بنفسك لنفسك » (٢)

ويقول فيها فى قافية متزنة نذكرها فيما يلى بألفاظها المصرية القديمة لتوضيح وزنها : (٣)

بايك إهايت محم بحسو

إوتايك مرو ردو

إوك منتو

خفتيوك خرخرو

بامدت إيك بنسو

إوك عقتيم باح بسزت (نثرو)

برتيم ماع خرو .. »

وانتهت هذه القصيدة فى إحدى اللخاف بإهداء إلى من سماه الطالب «باشدو » (٤) ، وهو لفظ إن لم يكن اسم علم فهو أقرب الى أن يعنى معنى « المربى » بوجه عام .

ويتميز الشعر التعليمى من ناحية أخرى بأنه يخص الإله تحوتى من بين الآلهة بالنصيب الاوفى من قصائده وأناشيده ، وذلك بصفته راعى الكتاب (ص ١٣٤) «الذى يتحدث الكاتب بآلائه فى كل بلد حل فيه » . . .«والذى يقصده الناس بأبنائهم ليسموهم (أو ينذروهم) لمهنته» (٥)، والذى شبه الشعراء

(١) انظر على سبيل المثال بردية انستاسى الثانية التى ستناقش فى الصفحة التالية ، وقصائد تحوتى .

(٢) See also A. ERMAN, Die Literatur, 9

(٣) Pap. Anast. IV, 3 11; Ost. GARDINER, 28; Ost. PETRIE 33; 72; also Pap. Anast. V, 15, 4 f.

ـــأنظر ملحق النصوص .

(٤) Ost. GARDINER 28; Late Eg. Miscell: p. 38 a, 1, 8. وراجع ١٠٣، ص ٣٤٩

(٥) Pap. Anast. V, 9, 8 f., A. ERMAN, op. cit. 378.

علمه السامى بشجرة دوم باسقة ارتفعت ستين ذراعا ، ذات ثمار ، وفى باطن الثمار نواه(؟) ، وفى النوى(؟) ماء (للظامى) (١) ووصفوه فى شعرهم بأنه «موطد السماء والارض .. وواضع التقاليد لمصر والنظم لمناطقها وأقاليمها »(٢) .

ومن الأناشيد مايزيد عن ذلك فيدعو «الآلهة الذين فى السماء،والآلهة الذين على الارض واهل الجنوب والشمال ، والمغارب والمشارق ؛ أن يأتوا فيتطلعوا الى تحوتى وكيف يشرق بتاجه » (٣)

على أن دراسة الشعر وإن كانت أصيلة فى برامج التعليم المصرية ولها اهميتها الكبيرة إلا انه يبدو مع ذلك أن الميول الثقافية الخاصة للمعلم كانت تؤدى به فى بعض الاحيان الى ان يكثر من المقطوعات الشعرية فى دروسه كما كانت تؤدى به فى أحايين أخرى إلى أن يقلل منها . وتتبدى خاصية الإكثار من الدروس الشعرية فى مثلين ، تبقى أحدهما على عدد من لخاف مسطحة كبيرة وجدت فى ركام مدخل مقبرة رمسيس التاسع (٤) ، ودلت الخطوط التى كتبت بها والتصويبات التى وجدت عليها ، على أنها كانت لتلميذ واحد ولمعلم واحد، ويغلب أن هذا المعلم كان مكلفا بعمل مافى أثناء تشييد المقبرة الملكية وأنه اصطحب معه تلميذه أو كاتبه المساعد ليوالى تعليمه وتثقيفه . وتضمنت دروس هذه اللخاف أربعة أناشيد لإله الشمس ، ونشيداً للاله نفرتم كإله للشمس أيضا « خلق الناس من دموعه » ، ونشيدين للإله أوزير ، ونشيداً لتحوتى رب العدالة (؟) ، ومديحاً لرمسيس الثانى ومدينته «التى (استقر) فيها كل إله » ومديحاً لرمسيس التاسع ، واستعطافاً موجهاً الى هذا الفرعون ، وذلك فضلاً عن خطاب نموذجى استهله منشئه بالدعوات الى الإله تحوتى (٥) . ثم اختتمت الأناشيد الدينية بدعوات متصلة من رجل سلبت منه وظيفته وعجز عن استردادها لضعفه امام خصمه ولفساد ذمم الرؤساء والقضاة فى عصره فالتجأ من ثم الى « قاضى العدالة » (او رسول العدالة ؟ تحوتى أو وزير) الذى لايتقبل الرشوة (؟) ويعين المعدم ، يناشده الغوث وأن يعيد عليه رضى حور رب القصر . ويرجح أدولف إرمان أن يكون هذا الشخص المظلوم هو نفسه المعلم المشرف ، وأنه كان شاعراً أديباً فاضت نفسه بالشعر والتوجعات فعكسها على تدريسه لتلميذه (٦) .

والمثال الثانى لغلبة الدراسة الشعرية لدى بعض المعلمين والتلاميذ ، هو كراسة لتلميذ مجهول الاسم تضمنت احدى عشرة قصيدة شعرية ولم تتضمن معها غير قطعة نثرية واحدة (٧) ومن قصائدها ما هو

---

(١) Pap. Sall. I, 8, 4 ; A. ERMAN, op. cit. 379.

(٢) O.D.M. 1101 — 1180. – انظر ملحق النصوص .

(٣) من تمرين مدرسى على لوحة كتابة لتلميذ من عصر الأسرة الثامنة عشرة ، ويرجح إرمان أن النشيد يرجع إلى عصر أقدم من عصرها A. ERMAN, Die Lit., 186 Anm. 5 ; TURAJEFF, in AeZ, XXXIII, 120

(٤) DARESSY, Rapport sur le déblaisment des tombes 6 et 9 de Biban el Molouk, in Ann. du Serv. VIII, p. 270 f.

(٥) A. ERMAN, in AeZ, XXXVIII, 19 f. ; DARESSY, Ostraca, 25206-25212, 25215.

(٦) A. ERMAN, Die Lit., 241 ; 373-4

(٧) Pap. Anast. II

دنيوى الطابع ومنها ما هو دينى الطابع ، وقد بدأت بالدنيوية . ولما كانت هذه تتعلق بالفرعون وما اتصل به، فقد جعل عنوانها « بداية إنشاد انتصارات مولى كيمة (مصر) » (١) ثم اتبع العنوان بقصيدة عن مدينة بر رمسيس وثانية تمدح رمسيس الثانى، تتلوهما اثنتان فى مديح مرنبتاح ، وتعود الخامسة الى بر رمسيس ثم تستأنف السادسة مديح مرنبتاح .

ومن القصائد الدينية ثلاث وجهت الى أمون رع .

وعلى ظهر احدى صفحات هذه الكراسة أخذ التلميذ فى كتابة عدة مقاطع من الشعر الغزلى ، ولكنه لأمر ما لم يتمها ، وكان مطلعها :

« إذا هب النسيم فهو (يبتغى) الجميزة

واذا أتيت ... (وهنا يكمل أدولف ارمان الشطرة بقوله : « فإنك تبتغينى » ويعلق بأنه هكذا كانت تكمل القافية) (٢) . وكتابة التلميذ لهذه المقاطع الغزلية على ظهر كراسته المدرسية تحمل أحد معنيين : فإما أنه كان يهوى الشعر ويقرضه بنفسه ، أو أنه كان يدرس الشعر على يد معلمه دراسة حرة وتفصيلية .

ولا يبعد اطلاقاً ان ما كان يدرس للتلميذ من مقطوعات الشعر كان يكلف بحفظه ، فهذا هو الغالب على دراسة الشعر فى الدراسات الادبية ، فضلاً على ان دروس الشعر المصرية نفسها لا تخلو من قرائن ترجحه . ومن هذه القرائن أن كثيرا من دروس الشعر كتبت بخط كبير يميزها عما عداها ،ويتبدى ذلك فى اللخاف الصغيرة كما يتبدى فى الكراسات الكبيرة (٣) . والكتابة بخط كبير لا شك فى ان من فوائدها أن تيسر على التلميذ المراجعة والحفظ معا .. ، وقد وجد من لخاف الشعر ما كتب فيه اثنا عشر سطرا من نشيد النيل فى أربعة دروس على الاقل ، وفى اكثر من عشرة ايام (٤) ، وكتب تلميذ آخر فقرتين من النشيد نفسه تخلل بين الانتهاء من الاولى وبين الانتهاء من الثانية ستة أيام (٥) ، وكلاهما يؤيد غرض الحفظ .

وعلى بردية لكاتب يدعى « قن حر خبشف » كرر جزء من قصيدة نصر قادش مرتين (٦) ، وهذا الكاتب وإن لم يكن تلميذاً حين كتابته للقصيدة إلا أن تكراره لها يدل على وجود فكرة حفظ الشعر لديه ، خاصة وأن كتابته لها وإن تكن بخط كبير الا ان حروفها وعلاماتها قد كتبت باختصار شديد يباعد بين هدف التكرار وبين تحسين الخط وما يشبهه .

---

(١) انظر ملحق النصوص

(٢) A. ERMAN, op. cit. 304. وهما على ظهر الصفحة السادسة للكراسة . — انظر ملحق النصوص .

(٣) من اللخاف : O.D.M. 1027 ; 1094 ; 1051 ; 1054 ; 1191.

ومن الكراسات ، نفس الكراسة موضع الحديث (Anast. II) وتتراوح سطور كل صفحة فيها بين ٦ و ٨ سطور ، بعكس (Anast. IV) مثلا وهى لدراسة الرسائل ومن صفحاتها مايتضمن ١٢ سطراً ، و (Anast. III) وتتضمن الصفحة فيها ١٢ سطراً أيضاً .

(٤) Ost. Golenischeff G. MASPERO, Hymne au Nil).

(٥) O.D.M., 1052-1053.

(٦) Pap. Ch. BEATTY, III, vs.

(ج) الأدب التهذيبي :

قارب المصريون كثيراً بين التعاليم التهذيبية وبين الأدب ، بحيث كان الحكيم لديهم هو من يحسن الإرشاد ويجيد الكلام فى آن واحد . فتعاليم بتاح حوتب التى عنيت أساساً بالأخلاق وقواعد السلوك واعتبرت حكما واجبة الاتباع « الحسنى لمن أصغى اليها والشقاء لمن حاد عنها » (١) عنونت على أنها آيات من جيد الكلم «سشون مدت نفرت» (أو الموعظة الحسنة) قالها بتاح حوتب فى هداية الجهلة (٢) إلى المعرفة ، وإلى قواعد الحديث الطيب (أو اللبق) » (٣) . وجاء فى مقدمة هذه التعاليم أنه لما طلب بتاح حوتب من فرعونه أن يأذن له بصياغتها لتثقيف ولده قال الفرعون له (٤) «علمه الحديث بادىء ذى بدء .. ، ولعل الطاعة ان تتلبسه ، ويقوم عقله كل مايقال له ، فما من مولود تفقه (أمراً من تلقاء نفسه) » .

وظلت تعاليم بتاح حوتب تدرّس خلال الدولة الوسطى حتى عصر الأسرة الثامنة عشرة وربما فيما بعد ذلك أيضاً ، على أنها دروس فى الأدب أو الكلام الجميل ودروس فى الأخلاق فى آن واحد ، ولقد تضمنت بالفعل ما يكفل للدارس التبصر بآداب السلوك والتعرف على قواعد الخلق الطيب كما تضمنت ما يكفل له ثروة طيبة من التعبيرات الراقية يستطيع أن يتمثل بها فيما يكتبه وفيما يتحدث به (٥). ويحتمل أنها كانت مما يحفظه التلاميذ بغية التشبع بغرضيها جميعاً ، ويزكى ذلك أن تعاليم حورددف التى تنتمى مثلها إلى الدولة القديمة ظلت مما ينبغى حفظه حفظاً مرتباً حتى عصر الرعامسة ، مما يدل عليه قول حورى لزميله « لقد ذكرت لى حكمة لحورددف ولكنك لا تدرى طيبة كانت أم رديئة ، (وإلا) فأى فصل يسبقها وما الذى يتلوها ؟ » (٦)

واستخدم المعلمون فى الدولة الحديثة تعاليم عصورهم التهذيبية الطويلة أى تعاليم آنى وأمنموبى لنفس ما كانت تعاليم بتاح حوتب تستخدم من أجله ؛ أى للتهذيب السلوكى والتثقيف الأدبى معاً . وثمة درسان من تعاليم آنى ، تقدم ذكر أحدهما (ص ٨٧) قصد المعلم منه مرماه الأخلاقى ، وان كان قد حوره فيما اقتبسه من التعاليم بما يتفق مع رأيه . أما الدرس الثانى – ويتناول مقدمة هذه التعاليم – فقد اكتفى المعلم فيه بأن ييسر على تلميذه معرفة ألفاظه وأسلوب كتابتها باللغة المعاصرة له (ص٢٨٨) وأما تعاليم أمنموبى

---

(١) Pap. PRISSE, 49-50. (أو الحسنى لمن أطاعها والشقاء لمن تعداها)

(٢) او حينما كان يعلم الجهلة (See, A. ERMAN, Lit., 88).

(٣) انظر ملحق النصوص Pap. PRISSE, 42 f.

(٤) Pap. PRISSE, 37 f. ; B. GUNN, Syntax, p. 142, 145.

(٥) See also, T.E. PEET, A comparative study of the Literatures of Egypt, and..., 99, 128.

.... وعن مدى التأثر بما جاء فى تعاليم بتاح حوتب من أسلوب ادبى ومبادئ خلقية – يراجع Berlin 1157 ; 18 f. ; GARDINER (AeZ, 44, 87 f.) KEES, AeZ, 63, 76 f.

إن كان يحول دون تأكيد حفظ تعاليم بتاح حوتب مرتبة على نحو ما يؤكده حورى من ضرورة حفظ تعاليم حورددف مرتبة ، هو أن النسخ المعروفة من التعاليم الأولى يتضح فيما بينها اختلاف كبير فى ترتيب عباراتها .

(٦) Pap. Anast. I, 11, 1 f. ; O.D.M. 1108.

التى سماها مؤلفها « تعاليم فى (أودروس من) الحياة » ، واستهدف منها أن تكون هادياً إلى السعادة وقواعد مخالطة الاصدقاء والكبراء وتقاليد اهل البلاط وان تكفل لدارسها معرفة الرد شفاهاً وكتابة على من يسائله ويراسله (١) . وذلك بمعنى تضمينها حكمة السلوك وحكمة القول فى آن واحد ، فقد بقى من دروسها ٣١ سطراً تضمنتها لوحة طالب من عصر متأخر (٢) ، وقد كتبت فى ستة دروس وفى أكثر من عشرة أيام ، ويتراوح كل درس منها بين سطرين وثمانية سطور ، وروعى أن ينفرد كل سطر منها بشطر واحد من التعاليم ، وكل هذا مما يرجح أنها كانت للحفظ أكثر من أى شىء آخر .

وتمثل التقارب كذلك بين النصائح الخلقية والسلوكية وبين الأدب فى موضوعات أخرى قصيرة تضمنتها كراسات تلاميذ عصر الرعامسة ، ووردت فيها المقطوعات التهذيبية الأخلاقية مقرونة أحياناً بالرسائل النموذجية ورسائل الحض على الدراسة والقطع الأدبية النثرية ؛ ففى كراسة للطالب «إننا» بدأت بعنوان « بداية دراسة الرسائل » وردت مقطوعة شعرية دعا الطالب فيها الإله أمون مخلصاً من أجل سعادة معلمه وعلو قدره (٣) ، ثم أعقبها برسالة نموذجية فى هيئة قرار ملكى بتحذير موظف أخطأ التصرف (٤) ، وتلتها قطعة بدأها المعلم بما يشبه بداية الرسائل إذ يقول : « ولقد قيل لى إنك هجرت الكتب وانغمست فى الملاذ » ووصف المعلم هذا الانغماس فى الملاذ بأنه الانصراف إلى معاقرة الخمر والتنقل برائحتها من حى إلى حى ، وتسلق الأسوار ، والشغف بآلات الطرب والمبالغة فى التزين ومجالسة النساء . ثم استمر فى النصح وأشار إلى أن الخمر تباعد مابين صاحبها وبين الناس ، وتجعله أشبه بمجداف معوج فى سفينة لايمكن استخدامه فى أى جانب ، وأشبه بهيكل خلا من إلهه ، وبدار خلت من الخبز »(٥) وأغلب الظن أن «إننا» لم يكن هو

---

(١) Brit. Mus. Pap. 10474, 1, 1 f. ; F.L. GRIFFITH, *The teaching of Amenophis the son of Kanakht*, in J.E.A., XII, 195. — انظر ملحق النصوص ولوحة ٢١

ويقرن بأغراض هذه التعاليم سفر الأمثال — الفصل العشرون : ٢٠ — ٢١ «ها أنا كتبت لك حكما جليلة من المشورة والعلم (أو ألم أكتب إليك (٣٠ فصلا) من المشورة والعلم لتشهر الحق لمن يسأل وترد الجواب لمن أرسلك » See, D.C. SIMPSON, in J.E.A., XII, 236.

(٢) اللوحة بمتحف تورين ، أبعادها ٣٠×٥ر١٣×٢ سم — لها ثقب فى أعلاها كان يسلك به خيط — وعن طريقة تعاقب الدروس عليها — يراجع F.L. GRIFFITH, op. cit. 193. وقد كتب صاحبها وجهها ثم عاد إلى الوجه وأخذ يمحوه جزءاً فجزءاً ليكتب دروسه الجديدة ، بحيث أصبح أول درس على الوجه هو آخر ما كتبه من الدروس .

ولاحظ جريفث أن بداية الدرس الممحو على الوجه (وقد استطاع قراءتها من جانب) تقابل بداية الصفحة الرابعة والعشرين من بردية التعاليم الكاملة واستنتج من ذلك أن المدرس كان يملى الدرس من البردية الكاملة . غير أن هذا الاستنتاج يحتمل الشك؛ إذ أن بداية هذا الدرس تأتى بعد ثمانية سطور من الوجه كتب فيها التلميذ آخر دروسه ، أى أنه كان قد بدأ فى الأصل بكتابة السطر الخامس عشر من الصفحة الثالثة والعشرين من البردية ، وهى ليست بداية فصل أو صفحة . وتتضمن دروس اللوحة أفكاراً مختلفة ومنها عدم إفشاء الأسرار ، ووجوب طاعة الضمير ، وعدم السخرية بأعمى أو قزم أو أعرج ، والتبصر فى قدرة الرب على الخلق والرفع والخفض وآداب مخالطة الناس ولو على الشراب .

(٣) Pap. ANAST. IV, 10, 5 f.

(٤) Ibid., 10, 8 f.

(٥) Ibid., 11, 8 f.

المقصود بالتعنيف على ترك الدراسة والانغماس فى الملاذ ، وهو الوفى لمعلمه وصاحب أكبر انتاج أدبى تركه طالب معروف من عصر الرعامسة ، وإنما هى مقطوعة أو رسالة شائعة كان المعلمون يتناقلونها (١) ، وأراد بها قاجابو معلم إننا أن تكون وسيلة تلميذه إلى التعرف على مواطن الزلل قبل أن يقع فيها ، وإلى التبصر بما يستحب من الأخلاق والسلوك ومالا يستحب . فمن يدعو إلى ترك الخمر ويعمل على اظهار معايبها لاشك وأنه يدعو ضمناً إلى حسن السلوك وإلى ما يستحب من الأخلاق . ولعله أراد بها فى الوقت نفسه أن تكون وسيلته إلى استخدام تشبيهات وتعبيرات راقية أعجبته هو فيها .

على أنه لا يغفل مع هذا أن من دروس الأخلاق ما يبدو متميزاً ويغلب أن يكون مقصوداً لذاته . فمن دروس التلاميذ الصغار ما اتخذ عنوان « تعاليم تهذيبية .. وفق كتابات الماضى » وتقول أولى نصائحه واكمل ما بقى منها : « إياك أن تحرك فمك لتقسم » (٢)

واتخذ درس آخر نفس السبيل ، فتضمن سبعة سطور قصيرة بدأ كل سطر منها بعبارة : « إياك أن (تفعل كذا) » وقال أكمل ما بقى من هذه السطور : « إياك أن تغتصب أى شىء من يد غيرك » .

وتكررت هذه السطور أو النصائح القصيرة وما يشبهها فى دروس أخرى (٣) ، ويحتمل أنها أخذت عن مؤلف الدرس الأول الذى ألف « وفق كتابات الماضى » (أو وفق مخطوطات قديمة) .

ويوجد من كراسات التلاميذ الكبار بدورها ما يورد الموضوعات الأخلاقية والسلوكية متتالية فى ترابط يميزها عما سواها من موضوعات الدراسة ، كالكراسات التى تحتمل نسبتها إلى الطالب أمون هر والمعلم بتاح مويا (٤) . وتبدأ دروسها الخلقية والسلوكية بخمس مقطوعات ليست جميعها على سواء من الجودة والوضوح ، ولكن تتابعها هو ما يعنينا هنا . وتهدف أولاها إلى غرض قد يكون وجوب اطمئنان الأب على مصير أبنائه وهو لايزال على قيد الحياة ووجوب العمل على تأييد شخصياتهم ، إذ تقول : « .... واعهد بمتلكاتك إلى أبنائك قبل أن يبلغك (الهرم) » (٥) أما الثانية فتتميز بشىء من فلسفة الحياة إذ تقول : « لا تقترف الذم ، واحذر (الزلل) حين الحديث ، واحرص على أن تظل هادئاً كالحارس ، وإذا عبرت فى سفينة ادفع لها أجرها وزيادة ، وكافىء (؟) الصانع يخدمك » . وتتعلق المقطوعة الثالثة بفائدة ملازمة الصغير للكبير وإخلاصه له بحيث يظل « نافعاً له مثل ربة داره ومثل ولده » (٦) أما الرابعة ففيها شىء كثير من سمو النصيحة والحض على المروءة إذ تقول : « إذا أثريت وواتتك المقدرة وتعهدك ربك (حرفياً بناك أو كونك) فلا تكن جهولا إزاء قوم تعرفهم ، بل احترم كل إنسان . حرر غيرك إذا وجدته مقيداً ، وكن معيناً للعاجز ، فلقد قيل طوبى لمن لا يتصنع الجهل (بآلام غيره) » (٧) . ودعت المقطوعة الخامسة

---

(١) وهى مكررة فى كراستين أخريين . SALL. I, 9, 9 f.; ANAST. V, lb, 1-2.

(٢) Ost. Brit. Mus. 5631 vs.; see, G. POSENER, in Rev. d'Eg. 1961, p. 42.

(٣) O.D.M. 1090 — Ost. PETRIE, 11 — Ost. Turin 6391; G. POSENER, op. cit., 1952, 184.

(٤) Pap. Ch. Beatty IV vs. وتراجع ص ١٧٦

(٥) Ibid., vs. 1, 2.

(٦) Ibid., 1, 11 f.

(٧) Ibid., 2, 2.

إلى الفضيلة الخلقية نفسها فقالت : « إذا رجاك يتيم مسكين يضطهده آخر ويبغى هلاكه ، فسارع إليه وهبه شيئاً (من معونة) واعتبر نفسك منقذاً له . فمن أعانه ربه وجب عليه أن يحيى كثيرين (غيره) » (١) .

وتلقى التلميذ صاحب الكراسة بعد هذه أربع مقطوعات متتالية فى تمجيد المؤلفين والكتابة والكتاب وهذه سيرد تفصيلها بصفحة ٢٧٩ ، ، ثم عاد به معلمه إلى النصائح الخلقية والسلوكية ثانية ، وصممها خمس مقطوعات أخرى متتالية . واستطاع المعلم أن ينتقل من دروس تمجيد الكتابة والكتاب إلى دروس السلوك فى شىء كثير من التوفيق ؛ إذ بدأها بعبارة هى أشبه بالاستدراك بعد ماذكره من عظمة الكاتب أو المتعلم ومجده ، قائلا(٢) : « ولكن أياما كانت خبرتك (أو نباهتك) فى الكتب ، وكنت متعمقاً فى التعاليم فلا تجلس فى حضرة من هو أكبر منك . واحترم الغير حتى تحترم ، وأحب الناس يحبك الناس ، ولا تبالغ فى أحاديثك ... » . وفى القطعة التالية أكد المعلم استدراكه السابق فقال : « ومهما كانت خبرتك بالكتب وكنت متعمقاً فى التعاليم فاشكر إلهك دون انقطاع يرض عنك دائماً ، ..... ، إن الإنسان (منا) يحب من يعمل له وهكذا الإله ... » (٣) . وكأنما وجد المعلم أمامه سبيلا يتقنه أو مادة ضافية يقتبس منها فاسترسل من ثم فى المقطوعات الثلاث الباقية يصور واجبات الإنسان نحو ربه ، فخصص إحداها للنصح بالتأدب إزاءه (٤) ، وأخرى للنصح باحترام ممتلكاته (٥) ، وثالثة للنصح برعاية خدم معبده (٦) . وفى أواخر دروس الكراسة اختتم المعلم دروسه الخلقية ودروس الدعوة إلى الدراسة ومجد الكتاب معاً بموضوعين بدأ أولهما بقوله : « وهكذا أبسط التعاليم أمامك وأهديك سبيل الحياة .. » (٧) وثانيهما هو الذى حذر فيه تلميذه من أن يظن قلة الجدوى فى الإصلاح إزاء ماولد الإنسان به من طباع خاصة ، وماكتب له فى كتاب الإله من حظ ونشأة (؟) أو أن يجمع بين العالم والجاهل على سواء فيما بينهما ، على نحوماذكرنا ص ٨٧

وأخيرا ، فقد ورد فى تعاليم عنخ شاشنقى لولده أنه بعد أن ألفها « أصبحت تردد أمام الفرعون وكبار رجاله يومياً » ، وأغلب الظن أنه إذاكان الفرعون نفسه ورجاله قد وجدوا فيها ما يستحق الدراسة ، فالأولى بمعلمى المدارس أن يتخذوها مادة لتعليم تلاميذهم وتهذيبهم ، وإذا صح هذا فلا أقل من الاستشهاد ببعض نصائحها التهذيبية التى جرت مجرى العبارات التى استشهدنا بها آنفا ، وكان من هذه النصائح ما يقول : « إنما يتأتى التعليم بعد رقى الخلق » ، « ولا تقل إلى عالم وتفرغ للعلم » ، « وفخر الحكيم فمه (أى حديثه) » (٨)

---

(١) يرى جاردنر أن تأليف هذه المقتطفات أو النصائح لا يعدو خواتيم عصر الأسرة الثامنة عشرة (op. cit., p. 38)

(٢) Pap. Ch. Beatty IV, vs. 4, 6 f.

تراجع ص ٩٩ — وانظر ملحق النصوص

(٣) Ibid., 4, 10 f.

(٤) ومن ذلك أن ينصحه بألا يجادل الإله فيما فعل ، وألا يرفع صوته فى معبده .

(٥) Ibid., 5, 2 f.

(٦) ويعقب بأن الإله « يحب ذلك أكثر من (حبه) ترديد اسمه »

(٧) تراجع ص ٢٨٠ .

(٨) Brit. Mus. Pap. 10508, Col. VI, 9, VIII, 3, 23.

ومنه قولها : « لا تقل دع (المنكوب) يتامس ترياقه (بنفسه) ولن أصف (له) علاجاً، ولا تكثر السعى من أجل نفسك حتى لاتصبح مكروها ، ولاتدع مجهدا يتطلع إلى أقصى الأرض (وأنت قريب منه لا تعينه) . » . « ولا تقل (أديت) معروفا لذلك الإنسان الذى لم يرده إلى (؟) ، فليس من عمل طيب بعد (أداء) جميل لإنسان لا يجد سبيلا (إلى رده) »(١) . « وإذا فعلت معروفا لخمسمائة إنسان وراعاه واحد فحسبك أن جانبا منه لم يضع » . « ولا تكن ساقط الهمة حين الشدة » . « وافعل الخير وارمه وسط البحر » .

(د) أدب الرسائل :

شغلت دراسة أدب الرسائل جانباً رئيسياً فى برامج التعليم المصرية ، وكانت أقرب فروع الدراسات الأدبية اتصالاً بالحياة العملية ومستقبل التلاميذ . وإذا كان من حكماء مصر الفرعونية من اعتبر الفصاحة وسرعة البديهة ولباقة الأحاديث مواهب يمكن أن يتصف الأمى بها كما يتصف بها المتعلم (٢) وذلك على نحو ما أكد بتاح حوتب حين قال : إن الكلمة أو الموعظة الطيبة وإن تكن أشد استخفاء من الزبرجد إلا أنها قد توجد مع الإماء العاملات على المراحى؛ وعلى نحو ما تعمدت قصة القروى الفصيح أن ترسل الحكمة والموعظة على لسان رجل من عامة الناس ، فإنه يتضح من الاهتمام البالغ الذى أولته الكراسات التعليمية لأدب الرسائل أن دور التعليم عملت من ناحيتها على أن تميز خريجيها عن غيرهم ببلاغة القلم ولباقة الردود المكتوبة . وما من شك فى أن مطالب الوظيفة كانت أولى النواحى التى يخدمها هذا الفرع من الدراسة ، على أنه ما من شك — من جهة أخرى — فى أن رسائل المتعلمين فى مصر الفرعونية لم تنصرف جميعها إلى خدمة الوظيفة ، وإنما كان للتراسل الحر أو لما نسميه بالرسائل الإخوانية نصيب موفور منها ، وذلك التماساً لتوثيق المودة أو رغبة فى تبادل المنافع ، أو لغرض المتعة الأدبية والتفاخر بالبيان . ولعله ما من غرض من هذه الأغراض فى حاجة إلى تزكية فيما ينكره الباحثون المحدثون على أدب التراسل المصرى القديم أكثر من الغرض الأخير وهو التماس المتعة الأدبية وإظهار البلاغة والبيان . وخير ما يوضحه مساجلة كاتب الجيش حورى لزميله أمنموبى التى كانت تدرس للتلاميذ على نطاق واسع . فبالرغم من أنه لم يتبق من هذه المساجلة غير رد حورى إلا أن هذا الرد يتضمن ما يثبت أن صاحبه لم يكن يستهدف من مراسلة زميله غير غرض المتعة الأدبية ، وأن يظل الأخذ والرد سجالا بينهما عن طريق التراسل . فقال فيما قال لزميله : « لقد صغت لك رسالة أشبه بدعابة تصلح متعة لكل إنسان » وعقب بأنه حين تسلم رد صديقه على رسالته الأولى وهو « فى حين فراغه يجلس إلى جانب جواده ، تهلل واستبشر وتأهب للرد عليه ثانية برسالة جديدة » (٣) .

وليؤهل المعلمون المصريون تلاميذهم للأنواع المختلفة من الرسائل جعلوا من دراساتهم الأدبية هذا الفرع الذى أطلقوا عليه تعبير « دراسة الرسائل » « سبايت شعوت » (٤) وأغلب ما تبقى من موضوعاته

---

(١) Brit. Mus. Pap. 10508, XVII, 7-9 ; XV, 5-6 ; XIV, 9 ; XVI, 18 ; XIX, 10 ; and see GLANVILLE, op. cit., p. 74.

(٢) Pap. Prisse, 58-9.

(٣) A. ERMAN, Die Lit., 277, 274. — وأنظر ملحق النصوص

(٤) (Wb. IV, 86, 7) — Pap. Anast. IV, Ia, 1, var. Pap. Sall I, 3, 4. (وانظر ملحق النصوص)

يرجع إلى عصر الرعامسة ، غير أن هناك ما يدل على أن الاهتمام به يرجع إلى عصور الدولة الوسطى على على أقل تقدير ، وهو ما تمثل فى ثمان رسائل نموذجية عثر عليها فى قرية اللاهون تضمنتها بردية واحدة ، وتميزت بتشابه صيغها وقصرها وبالتصويبات الحمراء التى وجدت عليها، وبعلامات تبقت فى نهايات بعضها رأى جريفث أنها قد تكون « كت » بما يعنى (رسالة) أخرى (١) .

وكان أساس دراسة الرسائل هو أن يقدم المعلم لتلاميذه عدداً من الرسائل النموذجية يتخيرها عادة مما تلقاه هو عن معلمه فى عهد تلمذته (٢) ، أو مما أرسله وتلقاه فى حياته العملية (٣) أو مما يحصل عليه من المتصلين به فى أسرته وفى عمله (٤) ، ثم يمليها عليهم أو يكلفهم بنسخها حتى يتعودوا على نسقها التقليدى وصيغها المختارة إدارية كانت أم إخوانية . وكان يحدث أحياناً أن ينشئ التلميذ رسالة يوجهها إلى معلمه ويقلد فيها صيغ المراسلات الإدارية أو صيغ المراسلات الإخوانية ، كما كان يحدث أحياناً أخرى أن يتبع المعلم أسلوب المراسلات الإدارية فيما ينشئه لتلاميذه من رسائل يكلفهم فيها بأعمال قد تكون حقيقية، وقد تكون خيالية (ص ٢٧٥) وفيما ينشئه لهم من رسائل يوجههم فيها إلى إيثار الدراسة ومستقبل الكتاب ، أو يعنفهم فيها على الانصراف عن الدراسة وعن الطريق القويم . وعلى هذا تألفت دراسة الرسائل أو دراسة أدب الرسائل من ثلاث شعب تقوم على نماذج من الرسائل الإدارية ونماذج من الرسائل الإخوانية ، ونماذج لرسائل تجعل موضوعها الترغيب فى الدراسة والتحذير من إهمالها . وقبل معالجة كل شعبة من هذه الثلاث نتخير مثالا من الكراسات التى جمعت بينها جميعاً وهى كراسة الطالب « باوهم » وقد تتلمذ فيها على يد اثنين أو واحد من اثنين خاطبهما فى رسائله بلقب « السيد » . وهما الكاتب « محو » والكاتب « إنحر رخ » (٥) . وقد تبقى من رسائل هذه الكراسة خمس عشرة رسالة ، منها واحدة (نموذجية) من رئيس إلى مرءوس ، واثنتان اتخذتا صيغة الرسائل الردود العملية وجههما التلميذ إلى معلمه ، وواحدة موجهة من المعلم إلى التلميذ تأخذ عليه إهماله ، وست رسائل (نموذجية) من الرسائل الشخصية أو الإخوانية ، ورسالتان شخصيتان وجههما التلميذ إلى معلمه (؟) الكاتب اينحررخ وحاول فيهما الاستفادة من الرسائل الشخصية التى كان ينسخ عنها أو يكتبها عن املاء (٦) .

١ — نماذج الرسائل الادارية :

إذا قدرت نماذج الرسائل الإدارية التى تضمنتها الكراسات التعليمية من حيث ما كانت تستطيع أن تهيئه للطالب من تعبيرات بيانية خالصة فهى قليلة الغناء ، إذ غالباً ما تتسم بالجفاف وتتشابه فيها الافتتاحيات

(١) F.L. GRIFFITH, Hieratic Papyri from Kahun, London, 1898, p. 67 f.; pls. XXVII-XXVIII. وتراجع ص ١٦٩

(٢) يستشهد إرمان فى ذلك برسالة وردت فى كراسة من عهد رمسيس الثانى وكراسة أخرى من عصر الأسرة ٢١ أى أنها ظلت نموذجاً مدرسياً طيلة قرنين تقريباً (Die Lit., 260, Anm. 4).

(٣) ومن ذلك أن تضمنت كراسة الطالب إننا رسالة كان قد وجهها معلمه قاجابو إلى معلمه أو رئيسه بارع محب (Anast. IV vs. Cl. f.).

(٤) وقد تضمنت كراسة الطالب باوهم رسالة كان قد أرسلها معلمه إلى صديق له كاهن وزوجته (Bologna 1094, 7, 10 f.).

(٥) Pap. Bologna 1094. تراجع ص ١٧٦

(٦) يرد تفصيل موضوعات هذه الكراسة فى صفحة ٢٧٧

والخواتيم كما تتشابه فيها إلى حد ما صيغ الأمر والنهى (١) . وكان معلمو الإدارات بدورهم يستخدمون نفس الصيغ الإدارية الآمرة الناهية فى رسائل يوجهونها بأسمائهم إلى تلاميذهم . ويحتمل أن ذلك كان تأثراً منهم بما كان يراسلهم به رؤساؤهم ، أو بصفتهم الرؤساء لتلاميذهم فى العمل (فضلا عن الدراسة) أو يحتمل أنه كان رغبة منهم فى تهيئة تلاميذهم لينوبوا عنهم فى كتابة أمثالها إلى غيرهم من المرءوسين ، أو ليتعودوا عليها لمستقبل سيصبحون فيه يوماً ما من الرؤساء كما كانوا يمنونهم . ومن ذلك أن تبدأ رسالة معلم إلى تلميذه على النحو التالى : الكاتب أمنوبى (امن إبت) يقول للكاتب بابس : « بمناسبة ورود هذا الكتاب إليك ، فثمة ما يقال ، وهو أن تولى وجهك نحو أداء ماينبغى إعداده أمام الفرعون مولاك الخير بإتقان إلى حد الكمال ، وإياك أن تجلب اللوم لنفسك ، وراع (ذلك) باهتمام (؟) واحذر ولا تكن متراخياً » (٢) (وانظر ترجمات أخرى فى حاشية١ أدناه) .

وأغلب الأعمال التى كان المعلم يكلف تلميذه بها فى هذه الرسائل يكسوها من الخيال والبعد عن العملية ما يرجح أنها كانت إنشائية تستهدف التعليم دون التكليف بأعمال فعلية ، ويتضح ذلك بخاصة حين تتكرر الرسالة الواحدة منها فى كراسات أكثر من تلميذ واحد ، فعقب مقدمة الرسالة السابقة أمر المعلم تلميذه بأن يعد فيما يعد لمقدم الفرعون كميات ضخمة تبلغ أعدادها الآلاف من الخبز واللحم واللبن والزبد والخضر والأوز والأغنام والفواكه والزهور والزيوت والعجول والأسماك وما إلى ذلك مما يملأ أربع صفحات ويقصر عن إعداده تلميذ أو مساعد كاتب . وفى كراسة أخرى يكلف معلم تلميذه فى ثلاث رسائل بالاهتمام بالقصر الفرعونى والإعداد لليوبيل الملكى فى العاصمة وإعداد مركباته ، ثم بصرف العلف لخيول اسطبل رمسيس الثانى واسطبل مرنبتاح بالعاصمة ، وذلك على حين ترجح إقامة كل من المعلم والتلميذ فى مدينة منف وليس بالعاصمة برمسيس فى شرق الدلتا . (٣) .

---

(١) فافتتاحية رسالة الرئيس إلى مرءوسه تبدأ عادة بقوله : الكاتب فلان (بألقابه) يقول الكاتب فلان ، سوف يجلب إليك هذا الكتاب، مع القول بأن تولى وجهك نحو كذا (أو : بمناسبة ورود هذا الكتاب إليك ، فثمة مايقال) وهنا قد يأتى بصلب الرسالة مباشرة أو يشفع عبارتها الأولى بمرادف لها يقول : وحينما تصل إليك رسالتى هذه فعليك أن تفعل كذا وكذا .(Anast. V. 22, 1 f., also Koller, 3, 4 f.) . ثم يذكر صلب الرسالة أو يؤجله مرة أخرى ليوصى مرءوسه بأن يتحرى تنفيذ ما سيأمره به : باتقان وبمنتهى الكمال ، أو باتقان بالغ وصلاحية . (Anast. IV, 13, 9 ; see also, Bologna 1094, 1, 4-5) أو ليوصيه بعدم تعريض نفسه للوم إذا توانى أو أهمل فى أداء ما سيأمره به فى رسالته وكانت هذه التحذيرات أكثر تنوعاً فى الرسائل مما عداها – فى رسالة واحدة وردت أربع صيغ لها).(Pap. Ch. Beatty V vs., 1, 6-7) أما الختام فلم يكن يتعدى بدوره عبارة تقول فهلا علمته (أو ألا فاعلم ذلك أو ألا فتدبره)وما يجرى مجرى هذه وتلك .

* وكان من المؤلفات التى تعرضت لموضوع الرسائل المدرسية رسالة قدمت إلى جامعة أوكسفورد فى عام ١٩٤١ بعنوان Egyptian Epistolography from the 18 to 21 Dynasties.

ولكنها اكتفت بصيغ الأفعال وذكر المترادفات والاستشهاد بآراء بقية المؤلفين دون تحليل السمات الحضارية وما بين السطور فى رسائل التلاميذ . ولم يشأ الأستاذ ألن جادنر أن يستشهد من الرسالة السابقة بشىء على الرغم من كثرة ما نشره عن الرسائل المصرية القديمة وعلى الرغم من أنه كان أستاذ اللغة المصرية فى جامعة أوكسفورد ، وتبعه فى ذلك إلى حد بعيد تلميذه كامينوس.

وراجع هامش ٣ فى ص ٢٧٦ عن نموذج آخر لكثرة آراء المؤلفين فى عبارات الرسائل .

(٢) Koller, 5, 5 f. — Anast. IV, 13, 8 f. (A. ERMAN, Die Lit..., 264-5).

(٣) Pap. Bologna, 1, 7 f. ; 2, 8 f., 4, 5 f.

على أنه بالرغم من قلة غناء الرسائل الإدارية في تنمية الثروة البيانية لدى الطلاب فإن كثرة ما كانوا يكلفون بكتابته منها عن نسخ أو عن إملاء كانت تعمل على أن تطبع افتتاحياتها وخواتيمها المحدودة في أذهانهم، وتجعلها قريبة إلى أقلامهم إذا أخذوا في صياغة الردود عليها إلى معلميهم ورؤسائهم في الوقت ذاته. ومن ذلك أن يقول أحدهم لمعلمه في رسالة إليه : « مرسل هذا لتعريف سيدى بأنى قائم بأداء كل مهمة وضعت أمامى ، بإتقان الغاية وبمنتهى الكمال ، ولن آتى ما يؤاخذنى رئيسى (عليه) » (١) . بل لقد بلغ من تأثرهم بكثرة ما كانوا يدرسونه من هذه الرسائل الإدارية التى كان اغلبها من رؤساء إلى مرءوسين ، أن كان منهم من يكتب فى كراسته موضوعاً شعرياً أو نثرياً لا صلة له بتراسل ولا برئيس أو مرءوس ومع ذلك يسارع قلمه فيبدؤه بصيغة التراسل المعتادة من الرئيس إلى المرءوس وهى بأن « الكاتب (فلان) يقول للكاتب (فلان) موجه إليك هذا الكتاب » دون أن يكون لذلك من داع واضح (٢) .

ومع الجفاف والتعالى اللذين يتبديان فيما جاء بكراسات الطلبة من رسائل الرؤساء والمعلمين ، يتضح من ناحية أخرى الأسلوب الرقيق والتواضع الجم فى ردود المرءوسين التى نسخها التلاميذ فى كراساتهم أو صاغوها بأسمائهم ووجهوها إلى معلميهم، يتبرءون فيها من التكاسل والإهمال ويبالغون فى ازجاء التحيات والدعوات فى مقدماتها وخواتيمها . (٣) ويحتمل التزام هذه السمات فى رسائل المرؤسين التى نسخها الطلبة أو أنشأوها إنشاء أكثر مما رآه أغلب الباحثين فيها من أنها مداهنة المرءوسين للرئيس والرغبة فى تعويد التلميذ عليها حتى يتوفر له النجاح فى حياته الوظيفية ، إذ يمكن أن تنم كذلك عن نوع من احترام الصغير للكبير إذا ما كانت الرسالة من إنشاء التلميذ نفسه إلى معلمه ، وقد تقدم أن احترام الصغير للكبير كان أصيلا فى قواعد التربية المصرية ، أو هى تنم عن تأثر التلميذ بما كان يتعلمه من الصيغ الرقيقة المهذبة فى دراسته للرسائل الإخوانية التى سيتناولها البحث ص ٢٧٧ .

ولم تقتصر همم الطلبة فى رسائلهم الإنشائية إلى معلميهم على ازجاء التحايا والدعوات ، وإنما كان منهم من يدعون فى رسائلهم قيامهم بأعمال هى أشد امعاناً فى الخيال من تلك الأعمال التى كان معلموهم يكلفونهم بها فى رسائلهم إليهم . ومن ذلك أن يذكر طالب من منف أو بر رمسيس إشرافه على أعمال فى

---

(١) Pap. Anast. VI, 1, 8 f. See also, Pap. Lansing vs. 8-11.

(٢) تبدأ هذه الافتتاحية نشيداً يقول «تحوتى ضعنى فى الأشمونين مدينتك حيث متعة(؟) الحياة (Sall. I, 8, 2) وموضوعاً آخر يقول « لتسعد قلوبكم أهل الأرض جميعاً فالعهد السعيد قد وافى (Ibid., 8, 7).

(٣) وفى رسالة من تلميذ إلى معلمه يكرر التلميذ عبارة « سوزا إب ن نبى » بمعنى لسوف أسعد قلب رئيسى ، أو لسوف أسعد بال سيدى ، أو بما يقوم مقام : «وأزجى سلاماً لسيدى» تسع مرات (Leyden 348 vs., 6, 1 f.). وعن هذه العبارة أنظر :

GRIFFITH, Kahun Pap., p. 68 — making the heart of my lord prosper.

ERMAN, Die Lit., 255 — erfreut seinen Herrn.

BLACKMAN and PEET, in J.E.A. XI, 298 — informs his lord — it is a communication to my lord.

GARDINER, Hier. Pap. 3 rd. Series Vol. I, 25 — good tidings to my lord.

GUNN, in J.E.A. XVI, 147 f. يسلم عليه

صحراء قفط (١) وقيامه بعملية إحصاء فى أسوان(٢) ، وذكر آخر أن الوزير أرسل إليه ثلاثة غلمان قائلاً: اجعلهم كهنة فى معبد بتاح ، وطلب من معلمه أن يتحرى ماإذا كان تاجر معين قد عاد من سوريا ، ثم أكد عليه رجاءه فى أن يمر عايه فى منف ليطمئن عليه(٣) . وذلك على حين كتب إليه فى رسالة أخرى عن قيامه بصرف العلف لاسطبل مرنبتاح بالعاصمة (بر رمسيس) وليبلغه أن ضياع الفرعون التى فى عهدته قد أهملت ولم يبق فيها من يفلحها ، (٤) وان كان قد قدم لهذا الخبر السىء بأنه « سيسر قلب سيده » . !

٢ ــ نماذج الرسائل الإخوانية أو الحرة :

يتميز ما سطر منها فى الكراسات التعليمية بشىء كثير من رقة الأسلوب وسلامة البيان فضلا عما تضمنته من عبارات الود ، وذلك مما يعنى أن التلميذ كان يستطيع أن يستفيد منها ــ على قلتها ــ أضعاف ما كان يستفيده من صيغ الرسائل الإدارية على كثرتها .

جعل المعلم كاتب الجيش حورى تدبيج الرسالة الراقية غاية لا يبلغها غير الأديب المتمكن ، وصور تمكنه من هذه الغاية فى قوله عن رسالته : « ولقد صغتها وحدى وليس من أحد معى ، أى وحق فاعلية (كا) تحوتى ، لقد انشأتها بنفسى دون أن أستدعى أى كاتب أبتغى توجيهه (٥) » . وذلك على حين صور عجز خصمه فى هذا المضمار بأن ذكر أنه استعان بسبعة من الكتبة وقال لهم « نمقوا لى هذه الرسالة » (٦) ويمكن أن نقتبس من رسالة حورى التى كانت تدرس للتلاميذ سطرين يتضح فيهما غير قليل من التشابه مع صيغ التراسل التى تدرس الآن لتلاميذنا ، وفيها يقول « عشت وهنئت وسلمت أخى المفضال (عنخك سنبك سنى إقر) (٧) ، متمتعاً بالطمأنينة وبغير حاجة تعوزك ، وتهيأ لك ما توده فى الحياة من أقوات وخيرات ، وانعقد الهناء والسرور فى طريقك .. » وجاء فى نسخة أخرى من رسالته قوله : « تحقق نداك شقيق الطيب » . (٨)

وكانت أمانى الافتتاحية مثل عشت وهنئت وسلمت وأثريت وقويت « عنخك وزاك سنبك وسرك تختك » مما يكرره الطلبة فى كراساتهم ابتغاء تجويده (٩). وقد تقدم الاستشهاد بكراسة الطالب با وهم على أنها تعتبر بموضوعاتها من النماذج الموضحة لدراسة الرسائل التعليمية . فمن نماذجها الإخوانية أو الحرة ست رسائل يميزها أنها لم تتكرر فى الكراسات الأخرى المعروفة ، وأن الافتتاحيات فيها تختلف من واحدة إلى أخرى ، وكذا شأن بعض أسماء الآلهة التى وجه إليها مرسل كل رسالة دعاءه لصالح المرسل إليه ، وكل

---

(١) Pap. Anast. VI, 5, 6 f.

(٢) Pap. Anast. IV, 4, 8 f. ووجدت الكراستان فى منف ولكن يحتمل أنه كان لصاحبها بصفته كاتباً مساعداً نشاط فيما بين مدينتى منف وبر رمسيس .
See, ERMAN, RANKE, Aegypten, 122 ; A.H. GARDINER, Late Eg. Miscell. XIV-XV.

(٣) Pap. Bologna 1094, 4, 10 f.

(٤) Ibid., 2, 7 f.

(٥) Pap. Anast. I, 7, 4 f.

(٦) انظر ملحق النصوص، See O.D.M. 1002, 1-2 ; 1177, 1-2.

(٧) Pap. Anast. I, 2, 7 f.

(٨) Ost. Turin 6618.

(٩) Pap. Anast. II vs. انظر ملحق النصوص

ذلك مما ينم عن قصد المعلم فى اختيارها . ومما احتفظت به الكراسة رسالتان وجههما باوهم إلى معلمه تضمنت إحداهما من الأمانى المزجاة ما هو قريب مما أتت به الرسائل النموذجية التى درسها بكراسته، فضلا عن الدعاء فيها للمعلم بتسعة من أرباب طيبة ومقدساتها (أمونوموت وخنسو والروح (التى فى) شجرة الأرز محبوبة طيبة على طريق الكباش (؟) وأمنحوتب (الذى) فى صحن المعبد ، وامنحوتب حبيب شجرة الأثل وأمون إبت والستة القرود التى فى فناء معبد حتحور بطيبة، وباب باكى العالى »(١) . وذلك على الرغم من أنه ترجح إقامة الطالب فى منف وليس فى طيبة ، وذلك مما يدعو إلى احتمال أنه تعرف على أسماء هؤلاء الأرباب من فرع آخر من الدراسة كان يتضمن التعريف بآلهة العواصم الكبرى ، إن لم يكن قد تعرف عليها من رسالة أخرى نموذجية لم يثبتها فى كراسته . أما الرسالة الثانية التى كتبها باوهم باسم معلمه فلم تكن فى حقيقتها رسالة وإنما هى تلك المقطوعة البليغة التى درسها زميل له فى باب الأخلاقيات والتى بدأت نصائحها بأن « لا تقترف الذم واحذر الزلل حين الحديث » (ص٢٧١) وقد بدأها باوهم بقوله : « الكاتب باوهم يزجى السلام لسيده الكاتب انحر رخ فى حياة وهناء وصحة ، مرسل هذا لاطلاع سيدى ، وأكرر إزجاء السلام لسيدى، لا تقترف الذم .. الخ » ثم اختتمها باهداء إلى ذاته (حرفياً : إلى كاهه) (٢) . والأقرب إلى الاحتمال أن باوهم اطلع على هذه القطعة فى قراءة ما فأعجب بلغتها ، ورأى أنه يحسن صنعاً لو أثبتها فى كراسته مهداة إلى معلمه ، ولما كان متأثراً فى كراسته بصيغ التراسل فقد بدأها بما بدأت به غيرها من رسائل الدراسة وهو لا يدرى أنه أساء الاختيار فيما فعل .

٣ ـ رسائل الدعوة إلى الدراسة والتأنيب على اهمالها :

تمثل رسائل هذه الدعوة نحو نصف دروس الكراسات المدرسية التى بقيت من عصر الرعامسة . وهى فى حقيقتها ليست رسائل بمعنى الكلمة، وإنما سميت كذلك تجوزاً لأنها ترد متداخلة فى موضوعات دراسة الرسائل ، ولأن منها ما يبدأ بافتتاحية التراسل التى تقول بأن « الكاتب فلاناً (وهو المعلم) يقول للكاتب فلان (أى التلميذ) موجه إليك هذا الكتاب وبعد ، .. » وهنا قد يعقب المعلم بقوله : « لقد قيل لى إنك هجرت الكتابة »(٣) أو « وجه وجهك لتصبح كاتباً »(٤) أو « اعمل على أن تصبح كاتباً يعفى من السخرة »(٥) أو « وجه انتباهك (إلى) الكتابة بالنهار على أن تقرأ بالليل » (٦) أو « يأيها الكاتب لاتكن كسولا » (٧) أو « لاتكن إنساناً لاتفكير له »(٨) وما إلى ذلك من موضوعات سبق الاستشهاد بعبارات منها فى أكثر من مناسبة . ويعنينا الآن من أمرها التعرف على مكانتها بين الدروس الأدبية ثم مدى الاستفادة اللغوية أو الأدبية التى كان التلميذ يستطيع أن يحصلها منها .

فمن دروس هذه الدعوة ورسائلها مايتتابع فى كراسة بشكل يبدو فيه الترابط ويظهر منهاجاً واضحاً يستهدفه المعلم ويمكن أن يتبينه الطالب . ومنها ما يتوزع فى كراسة اخرى دون وحدة تجمعه ، ولأغراض

---

(١) See, Pap. Bologna 1094, 10, 9 f.; see, Cerny, in Bull. de l'Inst. fr., XXVII, p. 165.

(٢) Pap. Bologna, 1094, 11, 5 f.

(٣) Pap. Sall. I, 5, 11 f.

(٤) Pap. Anast. III, 5, 5 f.

(٥) Pap. Sall I, 6, 9 f.

(٦) Ibid., 3, 6 f.

(٧) Pap. Anast. III, 3, 9 f.

(٨) Pap. Bologna 1094, 3, 5 f.

أخرى غير مجرد الدعوة الى الدراسة أو التأنيب على اهمالها . ومن المتتابع من دروس هذه الدعوة ما اتت به الكراسة التي تحتمل نسبتها الى الطالب امون هر والمعلم بتاح مويا (ص ٢٧١) . وقد تتابعت فى هذه الكراسة أربعة موضوعات سبق الاستشهاد ببعضها فى فصول البحث ، وأولها هو ذلك الموضوع الممتع الذى أشاد بخلود المؤلفين أصحاب الكتب والتعاليم (١) ، وقد قدمه المعلم لتلميذه ببداية شائقة اذ قال : « يقينا إنك اذا عملت بهذه فلسوف تصبح نابغة فى الكتب » (٢) فهو اذن كان يريد ان يستفزه الى العمل ويريد ان يؤكد له ان كل ما سبق أن دعاه اليه من قبل لا يمكن أن يقارن بما سوف يعرضه الآن عليه وهو العمل للعلم والخلود الذكر . وقد دل المعلم تلميذه فى سياق حديثه (تراجع ص ١٣٦) على أن سبيل العمل للعلم والخلود انما هو ترسم سبيل « أولئك الكتاب العلماء ... الذين خلدت أسماؤهم ، والذين جعلوا الكتاب كاهنا مرتلا ولوح الكتابة ابناً حبيباً وكتب التعاليم اهراما وقلم البوص ولداً ، وسطح الحجر زوجة » . واتخذ من ثم يرغبه فى عملهم وما كسبوه من ذكر وخلود ثم قال : « فاعمل على أن تصبح كاتبا ، وقرها فى فؤادك حتى يصبح اسمك (خالدا) بالمثل » . ومهما يكن من اسراف هذا المعلم فى أن يعد تلميذه بخلود اسمه مثلما خلدت اسماء « الكتاب العلماء » الذين ذكر منهم ايمحوتب وبتاح حوتب ، فلا شك فى انه كان اسرافا يثير الهمم ويبعث التشوق لدى الطلاب ، ولا يخلو من دلالة ان نفس التلميذ الذى تلقى هذا التوجيه الأدبى قد اختتم كراسته بدعاء لأولئك « الرفقة » الذين ذكرهم معلمه ، واختص منهم الكاتب خيتى قائلا عنه : « انه الكفء ممتاز العبارات وإنى أزجى شهرته للأبدية ، فهو من الف كتاباً بتعاليم سحتب إب رع (امنمحات الاول) » (٣) . وذلك مما يدل على اقتناعه بما تلقاه عن معلمه عن خلود المؤلفين ، كما يدل من ناحية اخرى على ان معلمه شفع درسه معه بشيء من الشرح والتفصيل . ويعقب ذلك موضوع ثان استهدف إظهار فضل التعلم فى إعفاء صاحبه من السخرة ومن تعدد الرؤساء ، وانتهى بما يعنى أنه إذا أحصى كل ارباب المهن ظل الكاتب على رأسهم . (٤) . وذهب الموضوع الثالث إلى اثبات أن فضل المتعلم على صاحبه لا يقتصر على إعفائه من التكاليف الإجبارية ومن تعدد الرؤساء ، وإنما يضمن له كذلك مركزاً ممتازاً فى الحكومة والقصر (٥) . وصور الموضوع الرابع رغد عيش الكاتب وكرامته وسط الناس وذلك وفقا لمعرفته ومهارته ووفقا لخلقه الحميد ايضاً (٦) . وهنا انتقل المعلم من دروس الدعوة إلى التعلم إلى دروسه التهذيبية ، فتبدى توفيقه فى الوصل بينهما بتلك العبارة التى تؤكد للتلميذ أن التأدب الثقافى والتأدب الخلقى يكمل أحدهما للآخر وبخاصة فى قوله : « ولكن أيا ما كانت خبرتك فى الكتب وكنت متعمقا فى التعاليم .. فاحترم الغير حتى تحترم ، وأحب الناس يحبك الناس ، ولا تبالغ فى

---

(١) ص ١٣٦

(٢) انظر ملحق النصوص

Pap. Ch. Beatty, IV vs., 2, 5; A.H. GARDINER, Hieratic Papyri, 3rd series, Vol. I, p. 38.

(٣) Pap. Ch. Beatty IV vs., 6, 12 f.

(٤) Pap. Ch. Beatty, IV, vs. 4, 1

(٥) Ibid., vs. 4, 1-5.

(٦) تراجع ص ١٤١

أحاديثك » (١) . وبعد أن انتهى المعلم من دروسه التهذيبية عاد ثانية الى دروس الحض على الدراسة فزاد من إيضاح فضل التعلم على صاحبه بأن قارن بين حياته وحياة من حرم التعلم فجند «وهو بطول القصبة (ذراعين) ثم حجز بالثكنات ولم يكن له أن يخرج (منها) إلا بعد أن يصبح جنديا قد هدته (صنوف) العذاب » (١) ثم اختتم المعلم هذا الموضوع بخاتمة من يشعر بأنه قد بلغ وأدى واجبه فقال لتلميذه «(وهكذا) أبسط لك التعاليم وأقوم لك سبيل الحياة وأضعك على صراط غير ذى ضرر ، وهذا سياج يصون التمساح (نفسه) ، ونور لطيف يمتع الفؤاد ، وظل بغير حر ، فافعلها يلتمس الناس شهرتك إلى أن تبلغ جانب الآخرة » (٢) . وهكذا سلك المعلم بتاح مويا (؟) فى موضوعات دعوته إلى الدراسة منهاجاً واضحاً ، بتجميعه إياها بقدر ما استطاع ، وبالرباط بينها وبين ماسواها من الدروس بروابط ظاهرة ، بحيث كان فى إمكان تلميذه أن يخرج من دروسه بتقدير للعلم وللعلماء ، وتقدير لمهنة الكاتب ووظيفته ، وتقدير لحسن الخلق وحسن السلوك ، فضلا عن إمكان تأثره بجمال الأسلوب ودقة التعبير ومحاولته تقليدهما .

على أن المنهاج المترابط الذى اتبعه بتاح مويا (؟) لم يكن هو المنهاج الدائم لكل معلم ، فقد وردت دروس الدعوة الى الدراسة أحياناً متفرقة بين موضوعات أخرى ليست على اتفاق واضح معها ،وقد يزيد عددها فى الكراسة الواحدة بشكل يدعو الى الشك فيما إذا كانت مقصودة لغرضها الاصيل أم لاغراض اخرى . ويحتمل لهاتين الحالتين انه كان من أصناف المعلمين من يدخر هذه الدروس لاوقاتها ، أى اذا ما أحس من تلميذه ضيقاً بالدراسة أو رغبة فى الانصراف عنها ، فيأخذ من ثم فى نصحه وتأنيبه فى درس أو درسين . ثم يعود الى دروسه الاخرى . على حين كان منهم من يتجاوز فى استخدامه لهذه الموضوعات غرضها الاصيل الى أغراض اخرى يراها اولى بالاعتبار ، وهى تزويد الطالب بثروة بيانية جديدة مع إتاحة الفرصة له لمداومة الكتابة وتجويد الخط والهجاء . وأصحاب الاتجاه الاول يتمثل منهاجهم فيما درسه المعلم أمنموبى (امون م ابت) لتلميذه بايبس حيث ترد بين موضوعات هذا الاخير ، مقطوعة نثرية طويلة فى وصف بر رمسيس تعقبها رسالة تعنيف من المعلم يبدؤها بقوله: « ايها الكاتب لا تكن كسولا والا عوقبت بشدة ولا تصرف قلبك الى الملاذ والا هلكت ... » (٣) واكتفى المعلم بهذا القدر من التوجيه فكتب له تلميذه موضوعا يزجى له فيه أمانيه الغالية وعقب بعده بنشيد الى الاله تحوتى رب الكتابة والعلم والآداب ، ثم برسالة جديدة من المعلم قال فى افتتاحيتها : « ول وجهك لتصبح كاتبا ، فالمتعة يجدها (؟) الكاتب (٤) ، وتعال أقص عليك أحوال الجندى ... » وبعد موضوعين وصف المدرس فيهما متاعب جندى المشاة وفارس العربة ، عاد الى رسالة عملية ثم إلى مقطوعة شعرية فى مديح مرنبتاح ومدينة بر رمسيس .

---

(١) Pap. Chester Beatty, IV vs., 5, 6 f.

(٢) Ibid., vs. 6, 3-5. وتراجع ص ٣٤٨

(٣) Anast. III, 3, 9 f. (Anast. V, 8-1 f.).

(٤) Anast. III, 5, 6.

أما المعلمون الذين جعلوا من موضوعات الدعوة الى الدراسة موضوعات بيانية فحسب فيمثل منهاجهم ما أتت به كراسة « ونمدى أمون » التلميذ والكاتب المساعد للموظف الكبير « نب ماعت رع نخت » المشرف الكبير على ماشية أمون رع ، فهى قد تضمنت من بين موضوعاتها العشرة سبعة موضوعات جمع كل منها بين الترغيب فى الدراسة وتمجيد مستقبلها وبين التأنيب على محاولة الانصراف عنها فى آن واحد ، هذا ولو أن صبغة الترغيب غلبت على أربعة منها وغلبت صبغة التأنيب على الثلاثة الباقية . وتناولت فيما تناولت تفضيل الكاتب على الغسال والفخار والحذاء والتاجر (١) ، وعلى المزارع (٢) ، وعلى الجندى (٣) — كما أنها أسرفت فى تأنيب التلميذ العنيد المنصرف عن الدراسة والذى لا يستمع الى كلام معلمه والذى تفضله العجماوات بطاعتها وذكائها وقبولها التعليم والتمرين (٤) . وأغلب الظن أنه ما من شىء من تلك المفاضلات أو من صور التأنيب السالفة كان يقصد به ونمدى أمون بالذات ، فمن أتيح له ان يتتلمذ على موظف كبير مثل « المشرف الكبير على ماشية امون رع » لا يمكن بحال أن يفكر فى الانقلاب الى مهنة الغسال أو الفخار أو الحذاء التى صورها أحد دروسه ، ثم ان الغباء والعناد لايمكن أن يتأتيا منه وقد استطاع فى اعقاب هذه الدروس السبعة أن ينشىء موضوعا وصفيا من سبعة عشر سطراً (٥) ومديحا شعريا بعده من ستة وعشرين سطرا (٦) وكلاهما من الإنشاء الراقى . وإنما الغالب أن يكون الموجه الاول فى اختيار المعلم لهذه المقطوعات السبعة ومنها أربع مكررة فى مصادر أخرى : أنه اعتبرها إنتاجاً أدبياً يمكن أن يزود تلميذه بثروة من التعبيرات والتشبيهات البيانية ، كما يمكن أن يهىء له فرصة الكتابة لتجويد الخط والهجاء ، ولا بأس مع هذا إن وجد فيها مايبعث فى تلميذه الأمل فى مستقبل عريض باسم ، وما يزيد من إقباله على الدراسة . وما يقال فى ذلك عن معلم ونمدى أمون يمكن أن يقال أيضا عن «قاجابو» معلم « إننا » فيما جمع له من شتات الموضوعات . وخلاصة القول ان موضوعات الدعوة إلى الدراسة والتأنيب على إهمالها وإن تكن قد وضعت أصلا لهذين الغرضين إلا انه تهيأ لها أن تخرج عنهما لتشغل جانباً هاماً فى التثقيف الأدبى بمعناه العام ، وذلك لما يلمس فيها فى كثير من الأحيان من بيان راق وتشبيهات موفقة ولطيفة وإن تكن لاذعة فى أغلب أحوالها .

اقرأ لذلك قول المدرس حين يصف لتلميذه بؤس المزارع فيقول : « ألم تتدبر حال المزارع حين تسجيل الحصاد ، وقد التهمت الديدان نصف الغلال وأكل فرس النهر بواقيها ، وإذ الجرذان كثيرة فى الحقل والجراد يتساقط عليه ، وإذ الماشية تلتهم والعصافير تختلس ، والويل بعد ذلك للمزارع ..

وقوله حين يتندر أمام تلميذه على جندى (عدو ؟) فيقول : «تحية لك ، تفتحت زهور اللوتس واقتنصت طيور ورد ، ... ، ولكن ما أشرقت الشمس فى حضرته وما جرى النيل من أجله ، وأصبح

---

(١) Pap. Lansing 4, 2 f.

(٢) Ibid., 5, 7 f.

(٣) Ibid., 8, 8 f.

(٤) Ibid., 2, 3 f.; 3, 3 f.

(٥) Pap. Lansing, 12, 1 f.

(٦) See, A. ERMAN, LANGE, Papyrus Lansing, eine aegyptische Schulhandschrift der 20 Dynastie, 1925, S. 7.

أشبه بفأر الفيضان العالى ، لا يجد موضعاً يأويه ، وأشبه بطائر قيد جناحه بيد إنسان فما أستطاع أن يطير ... »

وقوله حين يصف إهمال تلميذه فيقول : أنت اشبه بصبى ربان خبير فى سفينة اتخذ موقف الربان فيها ووقف على المقدمة ، ثم لا هو يلاحظ الريح المعاكس ولاهو يتحرى التيار » . (١)

(هـ) الموضوعات الوصفية :

يتميز مابقى فى كراسات التلاميذ من هذه الموضوعات بجوانب من البيان كانت كفيلة فيما يبدو بإضفاء غير قليل من الحيوية على دراستهم . وكان للمدن الكبرى نصيب واضح فيها . . ، فكان منها ما يصور منف تتخذ إهاباً جديداً جميلا فى عصر الرعامسة تستعيد به بهاءها القديم ، ومايصور الشوق إليها ، وكان منها مايصف بر رمسيس وسعادة أهلها ومواكب أعيادها . هذا وإن كان يحتمل أن من هذه الموضوعات مالم يكن يدرس لوجه الادب وحده وإنما كان يقصد منه مايتضمنه من المعلومات العامة أيضا .

تضمنت موضوع وصف منف كراسة طالب مجهول الاسم من عصر الرعامسة (٢) ، صيغ موضوعها على هيئة رسالة من سيدة نزلتها زائرة إلى صديقة لها فى طيبة . وبعد طائفة من الدعوات المزجاة ، تضمنت نحو عشرين اسما لآلهة وآلهات نسب بعضهم الى عدد من المناطق التى يعبدون فيها ، وخص أغلبها مدينة منف بالذات . ويبدو أن رغبة المعلم فى تعريف تلميذه بأسماء هذه الآلهة والآلهات كانت مما استهدفه فى اختيار موضوعه ، (٣) . عقبت كاتبة الرسالة بقولها : «لقد بلغت منف وألفيت منف فى حال تبلغ غاية الروعة ،سكانها اصحاء،يزرعون الزروع مثل (؟) القرع ، ..... ، إن هذه الغادة الحوراء(٤) قد شابهت أوز مسرة (؟) الأبيض(٥) الذى تربى فى غدير ...، لقد ولى هرم منف ، ... وغدت سيدة الوجه البحرى بعد ان اكتست زيا آخر . ويقينا ما رئى شبيه لها أبدا ، عدا .... ، فأهراؤها تفيض بالشعير والحنطة ويكسو الكلأ مروجها ، وتمتلىء بحيراتها ببراعم اللوتس ، وتكتسى غدرانها بزهور السوسن ، لقد استقر بدوى منف وتدلل وأصبح يحتضن .. (ويضع) الدهن (على) رأسه ، ويتضمخ بزيت الزيتون ويزين عنقه ببراعم اللوتس اللطيفة ... » ، ثم وصفت موكبا لرجال الحرب(؟) فيها وقالت : « .. وأسلحة النزال ، والقوس من خشب مرى ، والسهام ... ، بينما قارع الطبل مع الجماهير فى مقدمتهم ، والناشئة يهللون من خلفهم » (٦) وقالت « لقد وفدت راقصة

---

(١) See, Pap. Sall I, 1 f. ; Pap. Anast. V, 7, 5-8, 1 ; Anast. IV, 2, 7-8 ; Anast. III, 4, 1-2. (A. ERMAN, Die Literatur, 251, 246 ; 247 ; 243 ; A.H. GARDINER, Hisratic Papyri..., 3rd series, Vol. I, p. 47.

(٢) Pap. Sall IV, vs., 1, 1 f.

(٣) يقارن هذا بما ذكره طالب آخر عن آلهة طيبة ص ٢٧٨

(٤) كناية فى الغالب عن تسميتها القديمة « إنب حج » بمعنى السور الأبلق .

(٥) See, R.A. CAMINOS, Late Egyptian Miscellanies, Oxford 1954, p. 343.

(٦) Ibid., 246-7.

الصعيد وبزث (؟) البحرية، ووضعت قدميها على عنقها ووضعت يدها على الأرض » ... « إن عرائد منف ناعمات ، تنعطف أيديهن بالأغصان ونبت غدير مخن الأخضر وسيقان كتان بركة وازو » .

وثمة موضوع إنشائى آخر صور شوق صاحبه إلى منف فقال(١) : « انفلت فكرى خلسة وركض مسرعاً إلى مكان سبق أن رآه ، أبحر هابطاً ليرى « حوت كابتاح »، انفلت وهأنذا جالس أترقبه عله يحدثنى عن أحوال منف ، ولكن مامن نبأ لدى منذ طفر فؤادى من (؟) مكانه (٢) ، إلىّ ربى بتاح لتستخلصنى إلى منف ودعنى أراك دون تسويف » .

وأما موضوع بر رمسيس(٣) فبدأه الطالب على أنه هو الذى وصل بر رمسيس فألفاها فى حال طيبة للغاية ، ومن هناك كتب إلى معلمه بأنها « منطقة طيبة ليس لها مثيل ، (خططت) على طراز طيبة وكان قد أنشأها رع بنفسه »، وبعد أن ذكر طائفة من المحاصيل والمنتجات التى تتميز بها(٤)، قال : « تروح سفنها وترسو ، وفيها الزاد والخيرات كل يوم . يسر الانسان ان يقيم فيها ، ولن يقال له « لولا ..! » . والصغار فيها مثل الكبار . فدعنا نحيى لها أعيادها السماوية وبدايات الفصول .... ان شباب « جليلة الانتصارات » فى زى العيد كل يوم، والزيت العطر على رؤوسهم يتخلل الشعور المرجلة حديثا. يصطفون بجوانب ابواب (دورهم) وتنعطف ايديهم بالاغصان والخضرة من معبد حتحور والكتان من بحيرة حور ، وذلك يوم دخول رمسيس « منتو فى الارضين » فى صبيحة عيد كياك ، كل يعمل مثل جاره ويتلو دعواته » . (٥)

ولعله من قبيل التأثر بما كان يكتبه الطلاب من هذه الموضوعات الوصفية ونحوها أن راسل أحدهم الآخر بعتاب شديد على تهاونه فى ارسال أوز طلب منه ارساله الى أهله ، ثم لم يذكر أوزا فحسب وانما وصف هذا الأوز حتى وهو فى ثورة عتابه بأنه « هذا الطائر الأبيض على (؟) الغدير الرطب » (٦) .

---

(١) Pap. Anast. IV, 4, 11 f

(٢) But, compare, CAMINOS, op. cit., 150-1.

(٣) Pap. Anast. III, 1, 11 f.; Partly = Pap. Rainer 53; Ost. Queen's Coll.

(٤) تراجع ص ٣١٨

(٥) See, A. ERMAN, Die Literatur, 261-2.

(٦) Pap. Anast. V. 11, 4; A. ERMAN, H. RANKE, Aegypten, 137.

رابعاً ــ طرق التدريس الأدبي وجهود المعلم

أولا ــ طرق التدريس :

يتجه البحث التالى إلى التعرف على طرق التدريس المصرية عن طريق بحث أخطاء التلاميذ فيما خلفوه من دروس . وقد نهج هذا النهج من قبل كل من الباحثين Maspero (١) و Volten (٢) و Van de Walle (٣). فرجح الاول شيوع طريقة النسخ المباشر،وقال الثانى بأن طريقة الإملاء كانت هى الغالبة ان لم تكن هى الوحيدة ، وجمع الثالث بين الرأيين معاً . وسنرى من أخطاء التلاميذ المصريين ما يرجح حدوثه فعلا عن النسخ أو النقل المباشر ، ومنها مالا يتأتى الا فى اثناء الاملاء ، ولكننا سوف نتبين منها كذلك ما يمكن رده الى خطأ الذاكرة والكتابة بعد الحفظ ، كما أن منها مالا يخرج سببه عن ضعف انشاء التلاميذ . وذلك مما يعنى تنوع طرق التدريس المصرية القديمة وعدم اقتصارها على أسلوب واحد . وسوف نناقش هذه الطرق فيما يلى واحدة فواحدة .

(ا) طريقة النسخ المباشر : يوجد من اخطاء الدروس المصرية ما يدل على استخدام هذه الطريقة فى المرحلتين التعليميتين الاولية والمتقدمة . ومن ذلك ان نجد تلميذاً صغيراً يتخطى جملتين حين كتابته لفقرة من تعاليم خيتى بن دواوف ، ليس الا لان ماقبلهما ينتهى بكلمة « تمساح » وان ما بعدهما يبدأ بكلمة « تمساح » أيضا (٤) . ونجد تلميذا آخر فى مرحلة ارقى ، يتخطى فى كراساته عبارات من تعاليم خيتى بن دواوف ومن نشيد النيل ، يقترن كل منها بتشابه كلمة يبدأ عندها خطوه بكلمة أخرى يبدأ عندها الجزء الذى تخطاه (٥) . وقريب من ذلك انه يلاحظ فى بعض الدروس تخطى التلميذ لكلمة أو أكثر من النص ، عند الانتقال من سطر الى سطر آخر (٦) . وثمة قرائن اخرى تدل على اتباع طريقة النسخ ، وهى كثرة خلط التلاميذ بين العلامات الهيراطيقية المتشابهة فى رسمها (٧) ، واحتفاظ بعض

---

(١) G. MASPERO, Hymne au Nil, Le Caire, 1912 (Bibl. d'Etude, t. V).

(٢) A. VOLTEN, Studien zum Weisheitsbuch des Anii, Copenhaven, 1938; Das demotische Weisheitsbuch, Studien und Bearbeitung, 1941.

(٣) VAN DE WALLE, La Transmission des Textes Littéraires Egyptiens, Bruxelles, 1948.

(٤) O.D.M. 1016, 4 وتقارن مع Pap. Sall. II, 8, 9

(٥) Pap. Anast. VII, 7, 3 وتقارن مع Pap. Sall. II, 11, 3-4
و Pap. Sall II. وتقارن مع Pap. Anast. VII, 12, 3
See, also G. MASPERO, Les Contes populaires de l'Egypte ancienne, 1911, p. 19, n. 2; Sall. IV, vs. 6, 3; vs. 9, 1; Lansing, 9, 4; Anast. IV, 14, 2 and see A.H GARDINER Miscellanies, 141 a.

(٦) Ibidem

(٧) انظر ملحق النصوص Köller, 3, 6; Anast., V, 9, 4 Anast. I, 1, 3,; 25, 4; Anast. V, 19, 2 and see GARDINER, op. cit., 140, 9

الموضوعات القديمة التى كتبت فى عصور لاحقة بصيغها القديمة وهجائها القديم (١) ، ثم تشابه خصائص خطية أو هجائية لكلمات بعينها وعبارات بعينها فى بعض نسخ المتن دون بعضها الآخر . (٢) .

(ب) طريقة الإملاء : من الاخطاء الدالة عليها فى بعض الدروس ان يكتب تلميذ كلمة أو أكثر من النص بدلا من أخرى تختلف عنها هجاء ومعنى ولكنها تتشابه معها نطقا .

فقد تملى عليه جملة : إرنك تاى ياوت بمعنى اتخذ لنفسك هذه الوظيفة

فيكتبها : إن نك تاياوت (٣) مما قد يعنى عفوا « إنما لك خبز الوظيفة » .

وتملى عليه جملة : ورو شريو حرنمى بمعنى الكبار والصغار ينوحون

فيكتبها : ورشو حرنمى (٤) بما قد يعنى عفوا « (يقضون) النهار وهم ينوحون » .

ويتضح من هذين المثلين أن سقوط الحروف اللينة فى آخر الكلمات لدى الإملاء هو الذى أدى بالتلميذ إلى الخطأ ، مع احتمال وجود عيوب النطق عند المملى نفسه مثل لثغة فيه أو نحوها .

ومن صور الخطأ السمعى أيضاً :

أن يكتب التلميذ : نن عحاتو بمعنى لن يحارب أحد بدلا من ن عحع ن تو (٥) بمعنى لم يتوقف أحد.

ويكتب : خام بمعنى يهجر أو انحنى ، بدلا من خم (٦) بمعنى يجهل

ويكتب : م حاة بدلا من م حاو (٧)

ويكتب : شمسو بمعنى أتباع ، عوضا عن شمعو بمعنى الصعيد

وتملى عليه جملة : عحا كوى مدت نتت ر(س) ست

فيكتبها : عحع كمت نت ر(س) ست (٨)

وتملى عليه جملة : سسورى وع م إرن كى (٩)

فيكتبها : سوسر وع مر كى (١٠)

على أنه يصعب أحياناً الاعتماد على وجود أخطاء سمعية فى تمرين معين لتأكيد كتابته عن الاملاء ، فقد يكون المسئول عن الخطأ السمعى فيه كاتب قديم كتب نسخته عن إملاء فعلا ، ولكن نسخته هذه أصبحت لسبب ما أصلا نسخ عنه صاحب التمرين الجديد ، كما أن بعض الاخطاء التى تبدو سمعية تحدث

---

(١) Van de Walle, op. cit., 53

(٢) Ibid., 51 f.; 26

(٣) Pap. Ch. Beatty V, 7, 7-8. وتقارن مع Pap. Anast. V, 10, 8 — انظر ملحق النصوص

(٤) O.D.M., 1191, 9-10. وتقارن مع Pap. Anast. VII, 8, 3-4 وانظر ملحق النصوص

(٥) O.D.M. 1045 rt. 5 (Pap. Berlin 3022, 55) وانظر ملحق النصوص

(٦) Ost. Petrie (Pap. Berlin 3022, 253) وانظر ملحق النصوص

(٧) Pap. Ch. Beatty V, vs. 2, 9 (Pap. Boulaq, IV, 6, 2) وانظر ملحق النصوص

(٨) Compare Sall. II, 10, 9 and O.D.M. 1014, II, 10-11 وانظر ملحق النصوص

(٩) Pap. Sall. II, 13, 3. وانظر ملحق النصوص

(١٠) Pap. Anast. VII, 9, 7. — وانظر ملحق النصوص لعبارات أخرى .

أحياناً كما يرى ماسبرو (١) نتيجة للإملاء الذاتى فى أثناء النسخ ، فالناسخ لاينقل كلمة بكلمة دائماً ، وانما يحدث أحيانا ان يشمل جملة أو اكثر بنظرة واحدة ثم يمليها على نفسه ثانية وهو يكتبها .

على انه ليست الاخطاء وحدها هى الدالة على طريقة الإملاء فى الدروس ، وانما يدل عليها أيضاً حسن التصرف باستبدال كلمة غامضة بأخرى واضحة ، أو باختصار النص اختصارا لايعيبه ، ومثل هذا التصرف أقرب الى تصرف معلم يملى منه الى تصرف تلميذ ينسخ (٢) .

(ح) الكتابة عن الذاكرة : تنم عنها كثرة الاخطاء غير المقترنة بظروف الخطأ السابقة ، كما ينم عنها تحوير عبارات المتن على نحو غير واضح مع التقديم والتأخير فيها — ومن ذلك أن نجد درسين على لخفة يفصل بين كتابة أحدهما والآخر ستة أيام (أى بما يوحى بالرغبة فى الحفظ الشفهى قبل الكتابة) قد تضمنا معاً واحداً وعشرين سطراً حوت أكثر من عشرين خطأً يبعد أغلبها كل البعد عن المتن الاصلى لفظاً ومعنى (٣) . ومن ذلك أيضاً أن يبدأ درس بمقدمة تعاليم أمنمحات الاول فيكتب : « (فاتحة) التعاليم التى وضعها حم ن نيسو ساجب (؟) أمنمحات » بينما هى فى المتن الاصلى « فاتحة التعاليم التى وضعها حم ن نيسو بيتى سحتب إب رع سارع أمنحات » (٤) .

وبهذا يتضح أنه نسى لقب بيتى ونسى اسم « سحتب إب رع » ، وبدلا من أن يكتب « سارع » كتب ساجب (أوسانيسو؟) . ومثل هذا السهو والخلط لا يتأتيان عادة عن خطأ المملى ولا عن خطأ الناسخ وهو لا يزال فى السطر الاول من الدرس . وإنما الاحتمال الارجح هو أن يكون التلميذ قد كلف باختبار أو واجب فتدافعت إلى ذهنه كلمات من البداية كان يحفظها فكتبها من قبل أن ينساها ولم يفطن الى ما فيها من نقص واضطراب . ومعروف ما يعلقه الحافظ على البدايات من أهمية يتيسر له بعدها الاسترسال فى النص (٥) . ويدل على خلط الحافظ كذلك التقديم والتأخير فى عبارات النص (٦) .

(د) تمارين الإنشاء : من التمارين التحريرية طائفة تتصف بسذاجة الخيال وضعف الترابط بين العبارات ، مما يرجح قيام التلاميذ بصياغتها كتمارين انشائية . وكان من ذلك أن كتب تلميذ إلى معلمه

---

(١) G. Maspero, Hymne au Nil, p. XVII.

(٢) تراجع ص ٢٩٠ وانظر أيضاً (F.L. GRIFFITH, in J.E.A. XII, p. 193) هذا ويرجح فولتن أن طريقة الإملاء كانت هى الغالبة إن لم تكن الوحيدة . غير أن المعلم فى رأيه قد يملى عن نسخة وقد يملى من الذاكرة . كما أن التلميذ قد يكتب فى أثناء الإملاء متأثراً بما حفظه هو . A. VOLTEN, Studien zum Weicheitsbuch des Anii

(٣) O.D.M. 1013 (Sall. II, 9-5, 10, 1).

(٤) Ost. Leipzig 7 (G. Maspero, Les enseignements d'Amenemhait, p. 19) وراجع ملحق النصوص .

(٥) تراجع ص ٢٦٤ ، ص ٢٩٣ عن قرائن الحفظ .

(٦) يقدم (V. DE WALLE, op. cit., 61) مثلا لتبديل مواضع الجمل فى الدروس ويراه نتيجة لاكتفاء الطالب بنظرة إلى النص حين قيامه بنسخه ثم إملائه ما قرأه على نفسه إملاء ذاتياً ، ولكنى أراه نتيجة الكتابة عن الذاكرة . والدرس لعدة جمل من تعاليم خيتى بن دواوف تخطى التلميذ بعضها وعكس أوضاع بعضها الآخر . Pap. Sall. II, 10, 5-6 and O.D.M. 1019, 5 f.

يصفه فجعله فى آن واحد « كاهن سم الجليل فى دار بتاح ،وكبير رائي رع فى طيبة (١) ، ومن يضع الشعوب التسعة تحت قدمي الملك »(٢) ، ثم لم يقنع بأن يشبهه بالآلهة وانما جعل الآلهة أنفسها تشبهه فقال : « انك من يقضى (بين) القلوب والهاب (تحوتى) شبيهك ، فطن أنت فى كل الأمور ولكأنك رب البصر ورب السمع »(٣). وكتب آخر الى معلمه بأمانيه فقال (٤) : « انى (أتمنى ان) أبنى لك قصرا من جديد » (بدلا من ان يقول انى اتمنى لو يكون لك قصر ، مثلا) ، و « اجعل لك خمسة افدنة حديقة للخضراوات بجنوب مدينتك ... فدع السفن تأتى لتحمل (وخليها تشيل) » وفى وصفه للقصر أسرف إسرافا كبير فى ذكر ما فيه وما حوله ، بحيث ذكر خمسة وعشرين نوعاً من الزروع والفواكه والزهور بعضها ذو أسماء غريبة ، فضلا عن عدة أنواع من الماشية . وما من شك فى ان رسالة حقيقية أو أمنية لا تتطلب ذكر هذه الاعداد من أنواع النباتات والزروع ، وانما هو موضوع انشائى تلمس الطالب فيه المناسبات ليستطرد منها الى ذكر كل ما يحضر ذاكرته من معلومات ليثبت علمه بها لدى معلمه . وتتكرر مثل هذه الموضوعات الإنشائية أحياناً لدى أكثر من طالب . ولكن ذلك لا يحول دون افتراض أنها كانت فى الاصل من انشاء طالب معين ، ثم شاعت بطريقة ما واصبحت نماذج انشائية لغيره من الطلاب يكتبونها ليترسموا اسلوبها فى موضوعات انشائية جديدة (٥) .

ومن الموضوعات الإنشائية الاخرى ما تقدم ذكره عن رسائل ادارية كان تلميذ منف او بر رمسيس يدعي فيها قيامه بأعمال فى أسوان (٦) ، أو يكلف تلميذ من ثارو (قرب رفح) نفسه على لسان معلمه بضرورة « استلام خمسين دبنا من نحاس أو مائة (وليس العكس) من يد كاتب معبد ــ بعين شمس ــ ضريبة على من فيه سريعاً جداً وفى التو » (٧)

ثانيا ــ جهود المعلم :

مما يفترض قيام المعلم به فى دروسه الادبية تصويب اخطاء الكتابة والقراءة واختيار الموضوعات المناسبة لتلاميذه ، وإرشادهم الى أقوم الاساليب ، وتبسيط أساليب الموضوعات القديمة بما هو أنفع لهم ، ثم قيامه بشرح ما غمض عليهم منها . ويترسم البحث التالى نصيب المعلم المصرى من هذه الجهود فى دروسه التحريرية أولا ثم فى دروسه الشفهية .

وقد تقدم ماكان من قيام بعض المعلمين بتصويب دروس تلاميذهم فيما يتناول الخط والهجاء والقواعد أحياناً (ص ٢٥١ ، ص ٢٥٤) . على أنه لا سبيل إلى انكار أن ما صوبوه من أخطاء التلاميذ هو أقل كثيراً مما تركوه دون تصويب ، وان أمكن تلمس العذر لبعضهم فى ذلك على وجهين :

---

(١) Pap. Lansing, 13 b, 2 (٢) Ibid., 15, 5

(٣) Ibid., 13 b, 10, see A.M. BLACKMAN, T.E. PEET, in J.E.A. XI, p. 296 ; GARDINER, Miscellanies, p. 113 a, 1.11.

(٤) Pap. Anast. IV, 8, 9 f

(٥) ترجع الكراسة التى كتبت الموضوع السابق إلى عصر الأسرة التاسعة عشرة ثم أتت به كراسة أخرى من عصر الأسرة العشرين (Lansing, 11, 1 f.).

(٦) ص ٢٧٦

(٧) Pap. Anast. III, 6, 11 f.) ; see A. ERMAN, H. RANKE, Aegypten, 137 Anm. 3.

أولا ــ احتمال رغبة معلمى المرحلة الأولى فى عدم الإثقال على صغار التلاميذ بتصويب كل خطأ لهم ــ وذلك فى بعض الحالات على الأقل وليس كلها ــ فهناك درس من ستة سطور كتب على لخفة صغيرة وتضمن خمسة تصويبات للمعلم وتصويباً واحداً على الأقل للتلميذ (١) . وثمة ثلاثة عشر سطراً فى صفحة واحدة تضمنت نحو خمسة عشر تصويباً من المعلم والتلميذ (٢) .

ثانياً ــ أن معلمى الإدارات كان لهم من أعمالهم الوظيفية ما يصرفهم عن التزام الدقة فى الإعادة على دروس التلاميذ وتصويبها ــ وذلك مع تقدير أن أغلب ما تبقى من الدروس هو لتلاميذهم بالذات .

ولو أن هذا السبب أو ذاك لا يعفى المعلمين تماماً من كثرة ما أهملوه من أخطاء .

أما عن إعداد الموضوعات المناسبة للتلاميذ ، فقد تقدم كذلك أن منهاج الدراسات الأدبية وان كان قد تقيد ، فى عصور الدولة الحديثة ، على الأقل ، بأدبيات قديمة مختارة فيسر بذلك على المعلم اختيار دروسه ، إلا أنه لم يكن ثمة ما يحول دون أن يجتهد المعلم فيتخير بنفسه ــ إلى جانب هذه الأدبيات التقليدية ــ موضوعات أخرى من الشعر والنثر المعاصرين ، وذلك فضلا عما كان يتيحه له تدريس الرسائل من حرية اختيار الرسائل العملية والنموذجية التى يفضلها لتلاميذه . ولم يكن كل المعلمين سواء بطبيعة الحال فى بذل الجهد فى الاختيار ولا فى التوفيق فيه ، فمن كراسات التلاميذ ما تتكرر غالبية موضوعاته فى الكراسات الأخرى وبهذا لا يكون معلمه أكثر من مقلد ، ومنها ما ينفرد بغالبية موضوعاته عما سواه فيشهد تبعاً لذلك بمجهود معلمه ، فقد تضمنت كراسة باوهم ومعلمه‌حو (؟) أحد عشر موضوعاً تكرر منها اثنان فقط فى كراسات أخرى (Bologna 1094 وتضمنت كراسة Anast. II أحد عشر موضوعاً تكرر منها ثلاثة فقط فى كراسات أخــرى .

وتضمنت كراسة اننا ومعلمه قاجابو تسعة عشر موضوعاً تكرر منها ثلاثة عشر فى كراسات أخرى وذلك على الرغم من نشاط هذين الاثنين بالذات . وتضمنت كراسة Anast. V عشرين موضوعاً تكررت منها سبعة فى كراسات أخرى . وتميزت كراسة Sall IV, vs. بأنه لا يتكرر من موضوعاتها شىء فى كراسات أخرى معروفة ، ولو أن موضوعاتها ليست جميعها موضوعات دراسية بحتة .

وفى وجوب تفهم المعلم لما يدرسه أولا ثم توضيحه ، يقول متن أخلاقى فى ختام فصوله الثلاثين « تحمس لما فيها وقرها فى ذهنك ، وكن إنساناً (أهلا) لتوضيحها حينما (؟) يشرحها كمدرس » (أو حينما يشرح فى الدراسة) (٣) . ولكن ما مدى استجابة المعلمين لمثل هذه النصيحة ؟

من الناحية التحريرية يرى أدولف إرمان وأغلب الباحثين أنه ليس من موضوع مدرسى يحمل شرحاً أو تعليقاً يشهد باهتمام المعلم المصرى بمعاونة تلميذه على تفهم ما يدرسه غير درس واحد قصير من عصر الأسرة الثانية والعشرين ، تضمن العبارات الأولى من مقدمة تعاليم آنى التى ألفت فى عصر الأسرة الثامنة عشرة ، ومعها تعديل المعلم لها بما يتفق واللغة السائدة فى عهده (٤) . فقد بدأ الدرس بمقدمة تقول :

---

(١) O.D.M. 1100 vs.

(٢) Pap. Rainer 53

(٣) Brit. Mus. Pap. 10474, 27, 13-15 ; see F.L. GRIFFITH, *The teaching of Amenophis the son of Kanakht,* in J.E.A., XII, 224.

(٤) A. ERMAN, Die aegyptischen Schülerhandschriften, 9 ; VAN DE WALLE, op. cit., p. 19.

« مقدمة تعاليم هادية ألفها الكاتب آنى » ثم أعادها قائلا : « المقدمة للتعاليم الهادية التى كان قد ألفها الكاتب آنى تابع معبد نفرتارى » (مع تغيير هجاء بعض كلماتها على نحو ما يتضح من مراجعة ملحق النصوص فى نهاية الكتاب) (١) .

فى هذين السطرين القصيرين إذن يكون تعديل المعلم قد تناول تعريف الكلمة الأولى ثم كتابتها بالصيغة الشائعة فى عهده ، واعتبار الكلمة الثانية جمعاً وتعريفها هى الأخرى بدلا من صيغة إفرادها فى اللغة القديمة (٢) ، ثم تغيير صيغة اسم المفعول بصيغة أحدث . وقد يكون غرض المعلم من ذلك هو تبسيط النص القديم لتلميذه وذلك عن طريق كتابته باللغة السائدة فى عهده ، أو يكون غرضه هو تعريف التلميذ بأسلوبين قديم وحديث ، يستطيع أن يقرأ بهما أو يكتب بهما . ثم أضاف إلى جانب هذا التعديل اللغوى فزاد تعريف تلميذه باسم المؤلف والمعبد الذى كان ينتسب إليه (وهو معبد الملكة نفرتارى) .

والواقع أن هذا الدرس ليس هو الدرس الفرد الذى يدل على أثر المعلم المصرى فى دروسه كما يقال ، وإنما هناك دروس أخرى يمكن قرنها به وسنستعرضها فيما يلى مع الاكتفاء منها بمثل ما قدمه الدرس السابق أى :

١ — صياغة أسلوب المتن القديم بأسلوب أحدث .

٢ — إضافة عبارات تزيد من تعريف الطالب بمؤلف المتن .

٣ — زيادة عبارات وحذف أخرى فى المتن نفسه عن قصد معين .

فثمة درس سطر على لوحة خشبية من نهاية عصر الأسرة السابعة عشرة أو بداية عصر الأسرة الثامنة عشرة (٣) ، اشتمل على عدة سطور من المقدمة الأولى لتعاليم بتاح حوتب ، وهذه السطور إذا قورنت بما كتبت به فى نسخة أخرى للمتن احتفظت به كاملا فى صورته القديمة ، اتضح فيها التعديل المقصود .

فقد جعل المتن القديم عنوانه « تعاليم محافظ المدينة الوزير بتاح حوتب فى عهد جلالة ملك الصعيد والدلتا (إسيسى) عاش أزلا وإلى الأبد . محافظ المدينة الوزير بتاح حوتب قال ... »

على حين جعل الدرس عنوانه « مقدمة فى التعاليم التى ألفها النبيل المقدم والوالد المقدس حبيب الرب قاضى الدور الست العظمى ، الفم الملطف فى الدنيا كلها محافظ المدينة الوزير بتاح حوتب الكبير ، حين قال — فى عهد جلالة ملك الصعيد والدلتا إسيسى عاش أزلا ... » (مع تغيير هجاء بعض الكلمات)

ويتضح من هذا العرض :

١ — تغيير أسلوب وهجاء العبارة الأولى بما هو أحدث (مما يتضح من مراجعة ملحق النصوص) .

٢ — التعريف بالمؤلف بما يزيد من أهميته لدى الدارس ويزيد من ثقته بتعاليمه ، حيث أضيف إليه أنه كان أباً مقدساً وقاضياً عظيما وله أحاديث ترضى الدنيا بأسرها ، وذلك فضلا عن منصبه الرئيسى

---

(١) A. ERMAN, *Eine aegyptische Schulübersetzung*, AeZ, XXXII, 127; Text in :W. WRESZINSKI, Atlas I, 62, 2.

(٢) يراجع لذلك ملحق النصوص .

(٣) عن عصره وترجيح نسبته إلى تلميذ راجع : A. ERMAN, Die Literatur, 82 ; A.H. GARDINER, in J.E.A. III, 95.

الذى ذكره له المتن القديم وهو الوزارة ورئاسة العاصمة . ثم عرفه الدرس باسم بتاح حوتب الكبير تمييزاً له عمن سواه ممن تسموا بمثل اسمه فى نفس عصره (١) .

وفى صلب تعاليم بتاح حوتب وردت فقرتان متتاليتان تدعوان إلى أمر واحد ، وهو توقى الجشع وقسوة القلب . ولكن بينما عالجته إحداهما فى حزم وتركيز بسطته الأخرى فى تشويق وتفصيل . فقالت إحداهما : «لاتقس قلبك حين القسمة ، ولاتبتغ مالايخصك ، ولا توغرقلبك إزاء أقاربك (ومرادفها : لاتتصرف فيما يوده أهلك) . فإن التماس الوديع أجدى من(تصرف) العنيف (؟) ، وإنه تافه ذلك الذى يستأسد بين أهله وهو محروم من حصائد الحكمة ، والشىء الطفيف الذى يطمع فيه يولد البغضاء (حتى) فى (صاحب) الطبيعة الباردة » (٢) .

وقالت الفقرة الأخرى : « إذا أحببت أن يجمل سلوكك وأن تبرىء نفسك من كل سوء ، فاتق لحظة جحود القلب ، فإنه داء وبيل مستعص ، ولن تنشأ ثقة به ، وهو يعكر صفو الصديق الصدوق ويقصى الثقة عن مولاه ويسىء الآباء والأمهات والأخوال ، ويطلق زوجة الرجل ، إنه مجمع كل الشرور وعيبة لكل ما يعاب . فدام رجل استقامت له طريقه وسار وفق سبله (القويمة) فهو بذلك يورّث ، أما قاسى الفؤاد فلا مثوى له » . (٣)

فالفقرة الثانية إذن لا تتميز بأسلوب مختلف فحسب ، وإنما بأسلوب قصد به أن يكون أكثر تشويقاً وإيضاحاً وأفعل فى النفس . ولكن للغريب أن هذه الفقرة المبسطة تذكرها النسخ الموجودة للمتن قبل الفقرة المختصرة وليس بعدها ، وذلك يدعو إلى احتمال أن هذه النسخ أخذت عن أصل أقدم منها فأساءت النقل عنه وعكست وضع الفقرتين . ويزكى هذا الاحتمال أن تبديل مواضع الجمل بين النسخ المعروفة لتعاليم بتاح حوتب بالذات واضح تماماً فى أغلب فقراتها .

وفى دروس عصر الرعامسة تتضح أحياناً اختلافات ملحوظة بين دروس الفقرة الواحدة من الموضوع الأدبى الواحد . وغالباً مايرد الباحثون هذه الاختلافات إلى أخطاء التلاميذ وإلى أن عدم فهمهم للنص الأصلى كان يؤدى بهم إلى التغيير والتبديل فيه . ولكن الواقع أنه وإن كان التلاميذ مسئولين فعلا عن بعض هذه الاختلافات ، إلا أن بعضها الآخر تتوفر فيه سلامة المعنى والتركيب سواء حين الحذف أو الإضافة و حين استبدال كلمات بأخرى وتعبيرات بأخرى ، وهو ما نراه من عمل المعلمين وما نراه يثبت رغبتهم فى عرض دروسهم فى ثوب يرونه أنفع لتلاميذهم لسبب أو أكثر . وقد تناول المعلمون بالتعديل المتون القديمة والمتون الحديثة معا ، فمن نشيد النيل مثلا :

يقول درس عن النيل : إذا أشرقت فى مدينة الحاكم شبع الناس بقائمة طيبة (٤)

ويحاول آخر توضيح العبارة الأخيرة فيقول (إذا أشرقت فى مدينة الحاكم) شبعوا بالمنتجات الطيبة (٥)

(١) See WEIL, Die Veziere, 10-14.

(٢) Pap. Prisse, 316 f. and variants.

(٣) Pap. Prisse, 298 f. and Brit. Mus. Pap. 10509.

(٤) Pap. Sall. II, 14-5 — Anast. VII, 11, 4 ويراجع ملحق النصوص

(٥) O.D.M. 1050, 7 ويراجع ملحق النصوص

ويجعلها آخر فى قالب يراه أكثر وضوحاً فيقول : إذا أشرق لأهل البلد الجياع شبعوا بمنتجات المزارع (١)

ويقول درس عن النيل : (من) يحيى الناس والماشية بخيراته » (٢) .

ويقولها آخر من العصر نفسه : من جعل الإنسان يعيش على الماشية وجعل ماشيته تعيش على المروج » (٣)

ويقول درس عنه : « ثابت القوانين (إذ) يأتى وفق عهده غامراً الصعيد والدلتا . (٤)

ويقولها آخر : موطد قوانين السماء والأرض . . حين (يأتى و) يغمر الصعيد والبحرى . (٥) .

ويقول ثالث : ثابت العادات حين يندفع أمام الصعيد والبحرى .

ويقول درس عن فضل الفيضان فى الموضوع ذاته :

تقوية لأهل الأرض جميعاً ، يُروى الشخص كما يفعل للآخر (أى كما يُروى الآخر) (٦)

ويتشكك درس آخر فى مدلول الشطر الثانى من هذه العبارة ، فيعدله بما يدل على معنى المقابلة بين حظوظ الناس من فضل الفيضان ، ويقول : ... (بل) ثراء شخص هلاك للآخر » (٧)

فهذه التعديلات و كثير نحوها (٨) تخرج عن دائرة الأخطاء ، و يتضح فيها القصد وحسن التصرف ، وأن يجرى التعديل فى نشيد النيل وهو أحد الموضوعات التقليدية ذات الصبغة الدينية لما يدل على أن التدريس لم يكن يقوم على مجرد الحفظ عن ظهر قلب أو مجرد التكليف بالنقل تعبيراً بتعبير .

ومن أمثلة التعديل المقصود فى المتون الأدبية الحديثة (بالنسبة لعصر الرعامسة) ما يتضح من فروق بين النسخة الكاملة لمهاجاة كاتب الجيش حورى لزميله أمنموبى ، والتى يرجح أنه خطها طالب ناضج (٩) ، وبين دروسها القصيرة المتفرقة التى تلقاها تلاميذ غرب طيبة الصغار . فنجد مثلا أنه بعد أن تشترك دروس اللخاف مع النسخة الكاملة فى ذكر مفاخر حورى التى تقول : إنه « المتفنن فى الأقوال المقدسة وليس من أمر يجهله ، والمبرز فى الشجاعة ، وفى عمل سشات » تعقب دروس اللخاف وحدها دون متن البردية بقولها « . . . . فهو الفطن فى مهنته ، الذى يدرك الأسرار فى السماء والأرض والعالم السفلى ؛ وليس من ضريب يتفوق عليه فيما هو مكتوب » (١٠) فهذه العبارات المضافة يغلب أنها تستهدف توضيح ما سبقها من نعوت (فيما عدا نعت المبرز فى الشجاعة) . ومن نواحى تغيير الأسلوب فى هذا المتن ، أن ذكرت النسخة الكاملة من وصف حورى لزميله قوله : « بهى لمن يتطلع إلى ظرفه ، مثل الزهرة وسط الآخرين »

---

(١) O.D.M. 1176 rt. 19. ويراجع ملحق النصوص

(٢) Pap. Ch. Beatty V, 5, 3

(٣) Pap. Anast. VII, 12, 3

(٤) O.D.M. 1176 rt., 9-10 ويراجع ملحق النصوص

(٥) O.D.M. 1052, 5-8 ويراجع ملحق النصوص

(٦) يراجع ملحق النصوص Sall, II, 13, 3 (٧) يراجع ملحق النصوص ODM, 1053

(٨) تقارن أيضاً التعبيرات فى كل من Anast. VII, 10, 8 — Sall. II, 14, 2 — O.D.M. 1050, 4

(٩) Pap. Anast. I وهى تأخذ بالنظام التعليمى من حيث بداية الفقرات بالمداد الأحمر والفصل بين الجمل فى بعض صفحاتها بفواصل حمراء ، ثم من حيث تصويب المعلم لبعض أخطائها التى تتناول الهجاء والخط والقواعد بالمداد الأحمر فضلا عن تصويبات الكاتب نفسه لكلمات من صلب المتن بالمحو والإضافة .

(١٠) (O.D.M. 1070, 4-5 ; see also, O.D.M. 1008, 3-5 ; Ost. Petrie, 3-5)

(أو الأجانب)(١) فى حين تغير دروس اللخاف هذا الوصف إلى : «لا عيب (فيه) ، ظريف ، رضى القلب ، مشكور فى مواجهة الآخرين»(٢) .

وأن تتميز اللخاف عن متن البردية الكاملة بمثل هذه الاختلافات وكثير نحوها لا يتسع له نطاق البحث(٣) ، لمما يدل على هدف مقصود ، وأصحاب هذا الهدف يمكن أن نتبينهم بالمقارنة بين مصدر النسخة الكاملة وعهدها وبين مصدر اللخاف المتجانسة وعهدها ، فالنسخة الكاملة مصدرها منف وعهد كتابتها يرجح أن يكون هو عهد سيتى(٤) ، ومجموعة اللخاف مصدرها غرب طيبة ومنها ما أمكن تأريخه بعهد رمسيس الثالث وبعهد رمسيس الرابع ، وإن كان هذا لايمنع من أن يكون بعضها أسبق من هذين العهدين بقليل(٥) . وإذن فالأقرب إلى حداثة العهد وإلى أن يكون معدلا هو مجموعة اللخاف . ولما كان الأصل المدرسى لهذه اللخاف هو الأصل المرجح ، ولما كانت أغلب تعديلاتها تهدف إلى التوضيح فإنه ليس ما يحول دون ترجيح إسناد التعديلات المحدثة إلى القائمين بالتعليم فى غرب طيبة وتعليلها بالرغبة منهم فى تيسير دراسة النص على تلاميذهم(٦) .

وفى الموضوعات الإنشائية والوصفية التى تناقلها المعلمون ، كان المجال أوسع حين الإملاء لتغيير أسلوب بأسلوب وجملة بأخرى(٧) .

وهكذا كان الأمر بالنسبة لرسائل الدعوة إلى التعليم ومستقبل الكتاب . فمع وجود موضوعات منها مشاعة تناقلها المعلمون ، إلا أن شيوعها لم يكن يمنع معلماً من أن يغير من أساليبها بما يراه أوفق وأوضح وأن يزيد فيها وينقص(٨) .

وما من شك فى أنه كان للدروس الشفوية نصيب من جهد المعلم والتلميذ إلى جانب الدروس التحريرية وان هذه كانت تتنوع على نحو ما كانت تتنوع تلك . بحيث يكون منها :

---

(١) Pap. Anast. I, 2, 4-5

(٢) Ost. Bibl. Nat., 13-14 ; partly Ost. Brit. Mus.

(٣) يقارن أيضاً بين كل من Pap. Anast. I, 1, 3-4-0. 1070, 8 f. ; 1008, 5 f. ; Ost. Petrie, 6 ; Ost. Torino 9743, 1 f. (see A.H GARDINER Literary textsfrom N. Kingdom ; FARINA, Varianti Del Papiro Anastasi No. 1, Rivista degli Studi Orientali, XIII, 312 f.).

ويقارن بين كل من : Anast. I, 1, 7. O.D.M. 1028, 1-Ost. Bibl. Na. 2-3

وبين كل من : Anast. I, 9, 5 — Pap. Turin, 1. 5 — Ost. Turin 9743.

(٤) A.H. GARDINER, op. cit., p. 5.

(٥) Ibid., p. 2 ; see also, G. POSENER, Cat. des Ostraca, 1938, Index, p. 29-30.

(٦) يلاحظ مع ذلك أن نقص جمل البردية عن اللخاف والتغيير فى الألفاظ تغييرا لا يخل بالمعنى كلاهما يصعب رده إلى احتمال كتابة البردية من الذاكرة ، إذ أنها قد بلغت ٢٨ صفحة فى كل صفحة منها بين الثمانية والتسعة سطور مما يستحيل حفظه على طالب أو كاتب .

(٧) قارن مثلا بين كل من Pap. Anas. V, 7, 8 f. — Pap. Ch. Beatty, V, 6, 10 f.

وبين كل من Pap. Anast. III, 1, 11 f. — Pap. Rainer 53, 1 f.

(٨) قارن مثلا بين كل من Anast. IV, 9, 5 — Anast. III, 5, 6 — Ch. Beatty IV, 5, 6

وبين كل من : Pap. Lansing, 8, 9-10 — O.D.M. 1044.

(أ) القراءة الجماعية : وينم عنها قول خيتي لولده مريكارع « لا تفتك برجل تعرف فضائله (وسبق أن) جودت معه المتون » (١) وقول معلم لتلميذه ، أو والد لولده « اكتب بيدك واقرأ بفمك » (٢) وهنا يحتمل أن فى تأكيد عبارة « اقرأ بفمك » حيث لاقراءة إلابالفم ، ما ينم عما يلاحظ أحياناً فى القراءة الجماعية من اعتماد بعض الصغار على قراءة زملائهم واكتفائهم بالهمهمة دون القراءة الفعلية اتكالا على أن أصواتهم لن تعرف وسط أصوات الآخرين ، وقد يزيد المعلم فيذكر من نصائحه لتلميذه : « اقرأ بفمك وقل (أو افعل) مثلما أقول » (٣) وذلك مما يعنى أن المعلم كان يقرأ ويقرأ التلاميذ معه أو من ورائه .

(ب) القراءة الفردية وينم عنها قول والد لولده « كن متحمساً لقراءة الرسالة » (٤) وقول معلم لتلميذه « اطلق (؟) فمك حين القراءة » (٥) . ثم قول والد لولده : « وشىء آخر بديع وهو أن تتعمق فى (كنه) الكتاب » (٦) وذلك مما يحتمل معه الرغبة فى تشجيعه على الفهم حين القراءة الخاصة .

(ج) التسميع بعد الحفظ ويدل عليه ما تقدم من عناية التلاميذ بحفظ بدايات الفقرات من بعض المتون الأدبية (ص ٢٦٤) وما ينصح به معلم تلميذه أن « اقض يومك تكتب بأصابعك واقرأ بالليل » (٧) و « ول وجهك إلى الكتابة بالنهار على أن تقرأ بالليل » (٨) ، وقراءة الليل غالباً ما تكون للحفظ استعداداً للتلاوة من الذاكرة فى الصباح . (٩)

وفى رسائل التأنيب التى صاغها المعلمون للمتكاسلين من تلاميذهم ما يضيف أنه كان يشغل وقت الدروس الشفهية شىء ما غير القراءة الجماعية والفردية والتسميع ، ومن ذلك أن يقول معلم لتلميذه « إنك معنىّ كثيرا بالدخول والخروج ، تتجاهل الكتب وتتنازع معى (عزوفاً) عن الفهم وتدع إرشاداتى ظهرياً » (١٠) ويقول له : « اقضى اليوم أثقفك ولكنك لا تستمع ، وقلبك أشبه بقاعة خاوية وما أدرسه لك لا يثبت فى ذهنك » (١١) .

---

(١) Pap. Petersburg 1116 Art. 51. – وراجع ص ١٩٩ – وانظر ملحق النصوص

(٢) راجع ملحق النصوص ; Pap. Anast. V, 8, 3 — Anast. III, 3, 10; Anast. V, 23, 4; Lansing, 1, 14

(٣) A.M. BLACKMAN, T.E. PEET, in J.E.A. XI, 285; but see, A.H. GARDINER, Miscellanies, p. 100 a, 1.5.

والرأى الغالب هو أن المدارس الفرعونية تشبه ماجرت عليه المدارس العربية حين القراءة ، إذ ينسخ المعلم نصاً على ألواح التلاميذ ثم يقرؤه لهم بصوت عال فيرجعون من ورائه بنفس تنغيمه فيساعدهم ذلك على الحفظ من ناحية وعلى تتبع الكلمات المكتوبة أمام أعينهم مع نطقها السليم من ناحية أخرى .

(٤) راجع ملحق النصوص Anast. V, 23, 3

(٥) Pap. Lansing, 3, 1; see, BLACKMAN, PEET, op. cit., p. 287 (وراجع ملحق النصوص)

(٦) راجع ملحق النصوص Pap. Anast. V, 23, 2

(٧) Lansing, 2, 1

(٨) Pap. Sall. I, 3, 6

(٩) ويستشهد عادة بصرامة الحفظ الحرفى بمثل قول بتاح حوتب « لاتحذف كلمة ولاتضفها ، ولا تضع واحدة مكان أخرى » (Pap. Prisse, 608-9) ، ويرى أغلب الباحثين أن الحفظ عن ظهر قلب كان يلعب دوراً كبيراً إن لم يكن هو الدور الرئيسى فى التعليم .

(١٠) راجع ملحق النصوص Pap. Lansing, 3, 4 ويلاحظ مخصص الرجل الذى يضع يده على فمه فى كلمة عزم ، حيث وضع اليد على الفهم يعنى أكثر من مجرد الاستماع – قارن أيضاً A.H. GARDINER, op. cit., p. 18

(١١) Pap. Turin, D. 2, 6 — Pap. Lansing, 8, 3

وما من شك فى أن هذه الأقوال ونحوها كانت تجعل من معانى « الاستماع » إلى المعلم طاعته ، وأنها كانت تجعل صاحب « إرشاداته » تقويم السلوك عن طريق التوجيه والتحذير والاستشهاد بالتعاليم ، أى أنها كانت تصدر عن المعلم بصفته مربياً تجب طاعته قبل كل شىء . ولكن ما من شك كذلك فى أن أحاديث المعلم لتلاميذه — حتى فى دروس الأدب والتعاليم — لم تكن كلها أمراً ونهياً أو نصحاً وإرشاداً وإنما لابد وأنه كان فيها كذلك نصيب للشرح والتوضيح يكمل ما تبيناه فى الدروس التحريرية من محاولات للتبسيط والتعديل . وعلى هذا نجد من نصيحة والد لولده أن « تعمق فى أساليب معلمك واصغ إلى إرشاداته »(١) ، وقوله : « استفسر (أوناقش) ولا تكن كسولا »(٢) . ومن قول معلم لتلميذه : « اشرح قلبك (للفهم) » (٣) . ومن قول آخر « ... كن جلداً فى الاستفسار (أو النقاش) ولا تمله (٤) ، وقوله : وتناقش مع من يعرفون أكثر منك »(٥) . ومن قول متن أخلاقى لدارسه : « أسام أذنيك واستمع لما يقال وهيئ ذهنك لتفسيره » (٦)

وكل ذلك مما يعنى أنه كان من المفروض فى الدراسة الشفهية أن تستعين بالشرح والمناقشة والاستفسار فيما بين المعلم وبين تلميذه ، وذلك ما يؤكده متن متأخر حين يعتبر « الأبله هو من لا يتكلم إطلاقاً ولا يسمع له صوت ، وإنما يظل صامتاً لا يسأل » (٧).

وجدير بالذكر أخيراً أن التعاليم القديمة التى كانت تشغل جانباً كبيراً من الدراسات الأدبية التحريرية والشفهية لم تكن تخلو واحدة منها من حكم أخلاقية ومثل للسلوك . أى أن شرح المعلم وتكراره لها إنما كان يعنى فى حد ذاته قيامه بالواجبين ، واجب تربية النفس وتوضيح السلوك القويم وواجب تربية الملكة الأدبية معاً . فإذا قام المعلم بواجبه فى هذا كله كان له أن يفخر بمثل ما اعتز به المعلم حورى من أنه « الدءوب على المناقشة ، وأنه من يفسر خفايا الحوليات كما ألفت به (أو كن ألفها) ، ومن يعرف أقرانه الكاتب الذى يتخرج على يده » (٨) .

ومرة أخرى إذا كانت مثل تعاليم عنخ شاشنقى قد وصلت إلى دور التعليم بعد أن أصبحت « تردد أمام الفرعون وكبار رجاله يومياً » على حد قول راويها ، فإن فيها ما يمس موضوع النقاش والاستشارة وقيمة الفهم والتفهم ، حيث يقول صاحبها لولده : « تحرّ عن كل أمر واعرفه » ، « ولا تشاور عالماً فى أمر تافه إذا وجب أمر جليل ، ولا تشاور جاهلا فى أمر جلل إذا وجد عالم تستطيع أن تشاوره . « ومن وعى مادرسه تفكّر فى زلاته » ، « وإذا تلمست ثلاثة حكماء لشأن واحد فلسوف يبلغ ذلك بيت الرب الأكبر يقيناً » (٩)

---

(١) — انظر ملحق النصوص — Pap. Anast. V, 23, 5-6 ; A. ERMAN, Die Literatur, 242.

(٢) Anast. V, 23, 4-5

(٣) عن « وحع » بمعنى يحل ما هو مربوط ويشرح ويفسر — انظر Wb. I, 348, 8 f وعن وحع إب انظر AeZ, 45, 136 See also, Pap. Lansing, 5, 8.

(٤) — انظر ملحق النصوص Pap. Anast. III, 4, 3 ; A. ERMAN, op. cit., 243

(٥) انظر ملحق النصوص — Pap. Anast. III, 3, 11

(٦) Brit. Mus. Pap. 10474, 3, 9-10 ; F.L. GRIFFITH, in J.E.A. XII, 198. انظر ملحق النصوص

(٧) J. CAPART, *Une Sagesse Egyptienne* (Bull. de l'Acad. de Belgique, 1942, p.35.

(٨) انظر ملحق النصوص Ost. Bibl. Nat., 1-2 — Anast. I, 1, 1 f. وص ١٧٧ و ٢٣٢

(٩) Brit. Mus. Pap. 10508, VI, 7, 13, 14 ; XV, 9 ; X, 6.

الفصل الثانى عشر

دروس الرياضيات

كانت الرياضيات ولا تزال تشغل جانباً أساسياً من برامج تعليم التلاميذ فى أكثر من مرحلة دراسية . وفى الرياضيات المصرية القديمة رأيان : رأى تبين فيها قواعد ونظريات عامة عبر المصريون عن بعضها فى وضوح ، فى حين نم عن بعضها الآخر تكرار تطبيقه فى حلول المسائل ، كما تبين فى رءوس موضوعاتها وطرق حلولها من التميز ما يسمح بتقسيمها ، على نحو ما تقسم بقية الرياضيات الناضجة ، إلى حساب وجبر وهندسة (١) . ورأى آخر اعتبر الرياضيات المصرية حساباً كلها ، قواعدها أشبه بحقائق مادية تأتت عن التكرار العملى وتطبيق ما نجح فى حالة على حالة أخرى تشبهها إذا عرضت (٢) . وفيما يلى من البحث سيتضح ما يزكى الرأى الأول ويضيف جديداً عليه خلال تتبع المنهاج المحتمل لتكوين الجانب الرياضى من ثقافة المتعلم وتبين الأساليب التعليمية فى موضوعاته من حيث اختيار المسائل وصياغتها وخطوات التوضيح فى حلولها . وينبنى هذا المنهاج على بضعة من دروس اللخاف الأولية ، وما أتت به الكراسات الرياضية وأخصها كراسة أحمس التى تقدم ترجيح نسبتها إلى معلم (٣) .

فى الحساب :

كانت الطريقة المثلى فى أداء التلميذ لعملياته الحسابية هى : « حينما تحسب (فليكن ذلك) وأنت هادىء ولا تدع صوتاً يسمع »(٤) وقد وجهت هذه النصيحة إلى تلميذ ألحقه أبوه بالمدرسة (٥) وذلك مما يرجح أن

---

(١) See, K. VOGEL, Die Grundlagen der aegyptischen Arithmetik, München, 1929, 52 f.; K. VOGEL, Die Algebra der Aegypter des mittleren Reiches (Archeion 1930, S. 126 f.); A.B. CHACE, The Rhind Mathematical Papyrus, 1930; H. WIELEITNER, *War Die Wissenschaft der alten Aegypter nur praktisch?* (in Isis, IX, 21 f).

(٢) See, T.E. PEET, The Rhind Mathematical Papyrus, London, 1923, pp. 10, 91, 131; also, Mathematics in Ancient Egypt (Eng. Bull. Manchester 1931), p. 31-32, p. 17. وراجع آراء الأستاذ فلندرز بترى والأستاذ أدولف إرمان فى صفحات تالية .

(٣) تراجع ص ٢٣٩

(٤) راجع ملحق النصوص — Pap. Anast. V, 23, 3-4. وعن الاصطلاحات المختلفة لكلمة « نيس » بمعنى يحسب أو يستدعى (الحسبة). See, Pap. Rhind, 1, 44, 67; and B. GUNN, in J.E.A., XII, 125.

(٥) « عت سبا »

الرياضيات كانت تعلم فى المدارس ولا تترك للتدريب العملى فى أثناء الوظيفة ، وذلك على الرغم من قلة ما وجد من دروس التلاميذ فيها (١) .

ومن الدروس الأولية لتعليم الحساب ، درس احتفظت به لخفة صغيرة (وجدت فى منطقة الدير البحرى) وكتبت فيه أيام الشهر متتالية بالأرقام فى نهرين رأسيين (٢) . ولا يبعد أن هذا الدرس الذى نرجح استهدافه تعليم كتابة الأعداد وعدد أيام الشهر ، كان يصحب بفكرة عامة عن عدد أيام السنة وعدد شهورها . فمن الدروس الأكثر تقدماً من هذا الدرس ، مسألة يطلب فيها توزيع مقدار من الدهن بعدد أيام السنة ويتجه الحل فيها إلى قسمة الدهن على ٣٦٥ يوماً(٣) .

ووجدت فى مقبرة كاتب (؟) من عصر الأسرة الأولى صفحة صغيرة من الظران كتبت عليها الأرقام المنفصلة ٨٨ و٣ و ٣٢٠ و ٤٤ و ٦٠ و ٤٠ — ولوأنه لا يسهل تقريرما إذا كانت تمرينا تعليميا أم حواصل جمع عملية(٤) .

ودرس آخر احتفظ به أحد وجهى اللخفة التى تضمنت أول درس استشهدنا به فى دروس الخط (ص ٢٤٦) وقد كتب التلميذ الصغير فيه بخطه المتردد ومداده الأحمر تاريخين وعدداً من الأرقام الخيالية (لوحة ٦٩) (٥) .

ومن المفروض أن يستتبع هذه الدروس الأولية دروس تستهدف جمع الأعداد (الصحيحة) وطرحها ثم ضربها ، ولكن ليس بين التمارين التى عثر عليها حتى الآن ما يتناول كلا منها على حدة(٦) ، وإنما فى حلول المسائل المتقدمة ما يوضح الطرق المستخدمة فيها . .

فقد استخدم الحاسبون لعمليات الجمع والطرح والضرب والقسمة ، طريقتين : طريقة تجريبية يلتزم المبتدىء بها فى حل مسائله ، وأخرى ذهنية يستخدمها المتعلم الناضج فى حل مسائله .

---

(١) تراجع ص ٢٣٨ — ويقال إن الحساب لم يكن يعلم فى المجتمع الصينى القديم على الرغم من رقى حضارته ، وإنما كانت المعرفة به تكتسب بالخبرة خلال مطالب الحياة اليومية والمعاملات التجارية وعمليات مسح الأراضى وما إليها .

(٢) بقى جانب من هذه اللخفة ويشتمل فى الصف الأيمن على الأيام من ٢ — ٧ وفى الصف الأيسر على الأيام من ١٧ إلى اليوم الأخير (W.C. HAYES, Ostraca and Name-Stones, pl. XX, No. 100)

(٣) Pap. Rhind, 66.

(٤) See, F. PETRIE, The Wisdom of the Egyptians, London, 1940, p. 24

(٥) O.D.M. 1195

(٦) يذكر أفلاطون فى القوانين (Laws VII, 819 b). من الطرائق المصرية لتعليم الصغار عمليات الحساب مالا نستطيع تأييده فى حدود المصادر المصرية الموجودة ولكنه لو صح لكان مفخرة للمعلم المصرى . إذ يذكر أن المصريين ابتدعوا ما يستثير متعة الصغار من الألعاب الحسابية العملية . وقد كان منها أن ترتب أعداد من التفاح وأكاليل الزهر ثم تقسم على عدد يزيد عنها أو ينقص عنها من الناس . وكانوا يرقبون الملاكمين والمصارعين عندما يتشابكون ويسجلون أوضاعهم (؟) وكانت توزع عليهم صحاف فيها قطع من ذهب ونحاس وفضة ، بعضها مختلط وبعضها غير مختلط . وتقرب إليهم الأعداد الجارية الاستعمال . وبهذه الوسائل يصبح تنظيم الجيوش والبعثات أكثر وضوحاً للتلاميذ ويكون الناشىء منهم أقدر على تنظيم أمور بيته فضلا عن اتساع أفقه .

(See, P. MONROE, History of Education for the Greek and Roman period, New York 1906, p. 258).

فمن الوسائل التجريبية التي التزم المبتدئون بها في عمليات الضرب ، أن يسجل المبتدىء العدد المضروب، ويضاعفه كتابةً عدة مرات في خطوات رأسية متعاقبة ، إلى أن يحصل في نهاية المسألة على ما يساوي حاصل الضرب المطلوب .

فلضرب ١٩ في ٦ كان المبتدىء يستهل حل مسألته برصد العدد ١٩ في لوحته أو على الشقفة الصغيرة التي يكتب عليها ، ثم يضربه في ٢ ، ويكتب العدد ٢ أمام الحاصل ٣٨ ، ويضاعف الحاصل السابق ويكتب أمامه ٧٦ ، ولما كان مجموع ٢ ، ٤ = ٦ وهو العدد المراد ضربه في ١٩ ، فإن مجموع الحاصلين المكتوبين أمامهما يساوي بطبيعة الحال ستة أمثال العدد المضروب فيه وهو ١٩ ، فإذا اطمأن التلميذ إلى هذه النتيجة ، رسم شرطة صغيرة مائلة بجانب العدد ٦ وجمع الحاصلين ، وكتب الناتج وهو ١١٤ ، وبذلك لا يكون قد التزم بأكثر من عملية الضرب في ٢ في الخطوتين الأوليين ، ثم اتبع طريقة الجمع في الخطوة الثالثة ، على النحو التالي :

٠	١٩
٢	٣٨
٤	٧٦
٦/	١١٤

فإذا أراد المبتدىء أن يقسم العدد ١١٤ على ١٩ ، اتبع الطريقة التجريبية نفسها ، خطوة فخطوة ، حتى ينتهي إلى أن ١١٤ تساوي ستة أمثال العدد ١٩

ولسنا نجادل في أن هذه الطريقة التجريبية كانت طريقة طويلة بطيئة لا تخلو من سذاجة ، لولا أنها لم تكن واجبة الاتباع دائماً ، وإنما اقتصر استخدامها على غرضين ، وهما تيسير مراحل الضرب والقسمة على المبتدئين ، ثم التدليل على صحة عمليات الضرب والقسمة المعقدة الكبيرة . أما فيما عدا ذلك ، فكان الكاتب أو الحاسب المجرّب يستطيع أن يمارس الطريقة الذهنية في الضرب والقسمة كلما تيسر له استعمالها .

وبقيت من المسائل المصرية الطريفة التي جعلها أصحابها مقياساً للنشاط الذهني في عمليات الجمع والضرب مسألة نظرية قصيرة ، افترض صاحبها أنه كان يوجد في حيّ ما سبعة بيوت ، وأنه تسللت إلى كل بيت من البيوت السبعة سبع قطط ، فافترست كل قطة سبعة فيران ، بعد أن قرض كل فأر سبع سنابل من الغلال كان أصحاب البيوت يستطيعون أن يزرعوها فتنتج كل سنبلة منها سبع حقيات من الحبوب . وطلب صاحب المسألة حاصل جمع البيوت والقطط والفيران والسنابل ومكاييل الحبوب جميعها (١) .

واستطاع كاتب المسألة أن يدون حل مسألته بطريقتين ، رصد في إحداهما أعداد البيوت معاً ، وأعداد القطط معاً ، وأعداد الفيران معاً ، وأعداد السنابل معاً ، وأعداد الحقيات معاً ، ثم جمع مجاميعها في وحدة واحدة .

ولجأ في طريقته الثانية إلى جمع نصيب كل بيت من القطط والفيران والسنابل ومكاييل الغلال ذهنياً على حدة ، ثم ضرب مجموعها في سبعة ، أي سبعة بيوت ، على النحو التالي :

---

(١) Pap. Rhind, 79, pl. W ; WILLIAMS, « *Geometric Series and the Rhind Papyrus* », in J.E.A., XXVIII, 67-68.

الطريقة الأولى :

البيوت	٧
القطط	٤٩
الفيران	٣٤٣
سنابل الغـــلال	٢٣٠١ (وصحتها ٢٤٠١)
مكاييل الغـــلال	١٦٨٠٧
المجمـــوع	١٩٦٠٧

الطريقة الثانية :

١	٢٨٠١
٢	٥٦٠٢
٤	١١٢٠٤
المجمـــوع	١٩٦٠٧

وقد تؤدى عمليات الضرب والقسمة فى مسائل أخرى بالطريقة المباشرة ثم يدلل على صحتها بعد ذلك بالطريقة التجريبية المطولة تحت عنوان « صورة برهانه » أو « صورة دليله » ويؤدى ذلك غرض المسودة إلى جانب تأكيده لصحة العمليات المباشرة السابقة له (١)

وإذا كان ثمة تعقيب على عمليات الضرب والقسمة لدى المصريين ، فهو اهتداؤهم منـــذ أواخر الألف الرابع قبل ميلاد المسيح إلى تصوير رموز خاصة عبروا بها عن العشرة ومضاعفاتها حتى المليون ، وذلك على خلاف أغلب الأمم المتحضرة التى عاصرتهم والتى اعتاد أصحابها على أن يعبروا عن مضاعفات العشرات الكبيرة بكلمات هجائية (٢) . وساعد استخدام المصريين لرموز مجموعتهم العشرية على سهولة ضرب وقسمة العشرات ومضاعفاتها ، وسهولة تسجيل المجاميع العددية الكبيرة فى وحدة مرتبة متصلة ، ثم تعويضهم بعض الشىء عن عدم اهتدائهم إلى تصوير الأصفار بمعناها الحالى .

فى الكسور (٣) : لتمارين جمع الكسور وضربها وقسمتها نصيب أوفى من نصيب الاعداد الصحيحة فيما وجد حتى الآن من دروس الحساب . فثمة جدول لجمع الكسور كتب على رق جلدى من أواخر الدولة الوسطى (٤) تميزت خطواته بالوضوح وإفراد كل خطوة منها بسطر ، ورتبت فى جانب منه كسور الجمع

---

(١) Pap. Rhind, 41-43 ; PEET, The Rhind Mathematical Papyrus 1923, p. 22

(٢) See: K. SETHE, Von Zahlen und Zahlworten bei den Aegyptern, und was für andere Voelker und Sprachen daraus zu lernen ist., Strasburg, 1916.

(٣) عن الكسور المصرية : See, K. SETHE, op. cit., 85 f.

(٤) S.R.K. GLANVILLE, *The Mathematical Leather Roll 10250 in the Brit. Mus.* in J.E.A. XIII, 232 f.

ووجد الرق فى طيبة ومن المحتمل أنه وجد فى أنقاض بناية صغيرة بجوار الرمسيوم مع بردية رند الكبيرة ، ويرجع إلى نهاية عصر الهكسوس أو إلى بداية عصر الأسرة الثامنة عشرة .

ثم ذكرت نتيجتها فى جانب آخر بما يتفق مع طريقة الجمع الأفقى . وتميزت خطواته كذلك بأنها بعد أن شغلت نهرين طوليين كررت ثانية فى نهرين آخرين .

ومن عمليات الجمع فى الرق ما يمكن اداوُه ذهنيا ، مثل :

$\frac{١}{٢٠}$ (+) $\frac{١}{١٠}$ تكون $\frac{١}{٥}$

ومنها ما يسهل حفظه وتطبيقه مثل :

$\frac{١}{١٨}$ (+) $\frac{١}{٣٦}$ تكون $\frac{١}{١٢}$

ومنها ما روعى فيه أن تكون مقاماته مضاعفات لعدد معين . مثل :

$\frac{١}{٧}$ (+) $\frac{١}{١٤}$ (+) $\frac{١}{٢٨}$ تكون $\frac{١}{٤}$

على أن منها ما هو أصعب من ذلك ويتطلب جهداً لأدائه مثل :

$\frac{١}{٥٠}$ (+) $\frac{١}{٣٠}$ (+) $\frac{١}{١٥٠}$ (+) $\frac{١}{٤٠٠}$ تكون $\frac{١}{١٦}$

وتنظيم عمليات الجدول وتكرارها ثم سهولة بعضها وبعد بعضها الآخر عن الاستعمال اليومى ، لاشك وأنها خصائص تدعو جميعها إلى ترجيح غرضه التعليمى . وكان من فروض الأستاذ جلانفيل لتعيين هذا الغرض التعليمى أن يكون اختباراً كتبت مسوداته على أطراف الرق التى تمزقت أو على كسرة فخار ، أو يكون قد حفظ سماعاً عن أصل قديم وأراد صاحبه أن يطبق حفظه كتابة ثم أعاد ما كتبه ثانية تثبيتاً لذاكرته (١) ، أو يكون قد نقل عن أصل قديم بطريقة النسخ المباشر لاتخاذه جدولا خاصاً يرجع إليه ثم كرره صاحبه ليكون لديه جدولان بدلا من جدول واحد . ورجع جلانفيل الغرض الأخير ورجح أن يكون الأصل الذى أخذ عنه هو بردية رند Rhind (أى كراسة أحمس) (٢) .

ومع توفيق الأستاذ جلانفيل فى فروضه بوجه عام إلا أن ترجيحه للأخير منها ترجيح ضعيف ، حيث لا يتبع الجدول ترتيباً خاصاً فى اختيار كسوره بحيث يسهل الرجوع إليها ، فضلا على أن منها ما هو عادى ولا يتطلب أن يتضمنه جدول خاص ، ثم إن الجزء الذى عينه من كراسة أحمس (Rhind) كأصل للجدول لا يتضمن غير القليل من خطواته (٣) . ولو أنه يصعب فى الوقت ذاته إضافة فرض آخر الى فروض جلانفيل وإن كنا نرى أقرب فروضه إلى الاحتمال هو اعتبار مسائل الجدول اختبارا .

أخذ هذا الجدول وأمثاله بخاصية معروفة للكسور المصرية ولغيرها من الكسور عند بقية أصحاب الحضارات القديمة الأخرى وهى خاصية التعبير عنها بما لا يزيد بسطه عن الواحد الصحيح (فيما عدا الثلثين وعلامات أخرى قليلة الاستعمال للكسور التى تتبقى عن طرح جزء واحد من وحدتها مثل $\frac{٣}{٤}$) (٤) .

---

(١) وذلك دون الرجوع إلى الأصل حيث أن أخطاء الكتابة الأولى قد كررت فى الثانية .

(٢) وثمة فرض آخر استبعده جلانفيل وهو أن تكون كتابة الرق واعادتها بمثابة عقاب لصاحبها . (Ibid., p. 233)

(٣) ويذكر جلانفيل أن الخطوة رقم ١٢ بالجدول وهى $\frac{١}{٧}$ $\frac{١}{١٤}$ $\frac{١}{٢٨}$ تصبح $\frac{١}{٤}$ مأخوذة عن مسألة رقم ١١ فى بردية رند وأنها أول مجموعة التكملة فيها . مع أن عملية الجمع فى بردية رند خاطئة وليست أول مجموعة كما يذكر .

(٤) Urk. I, 237, 5 and see PEET, op. cit., p. 8; K, SETHE, op. cit., 91 f.; A.H. GARDINER, Grammar, 1927, 265.

وتيسيراً للجهد الذى كان يتطلبه تبسيط الكسور إلى كسور بسطها الواحد الصحيح حين الجمع و الضرب والقسمة ، صيغت للدارسين بعض القواعد وعملت جداول مختلفة . فثمة قاعدة لضرب $\frac{٢}{٣}$ فى أى كسر فردى (أى ذى مقام فردى) صيغ رأسها وبرهانها للدارس على النحو التالى :

استخراج $\frac{٢}{٣}$ الكسر الفردى :

« فيما لو قيل لك (مثلا) ما ثلثى الخمسين ، فلتعمل ضعفه ثم ست أضعافه ، وذاك ثلثاه ، وراع أداء المثل لأى كسر فردى سوف يوجد (لديك) »(١) .

ولا تزال هذه النظرية تعتبر أقدم نظرية معروفة فى حساب الكسور ، ولم يكن ثمة داع لوضع قاعدة إلى جانبها لاستخراج ثلثى المقام الزوجى حيث يتيسر ذلك باضافة نصفه إليه وكانت هذه الخطوة تتم دون تجريب فعلا(٢) . أما عن جداول تبسيط الكسور المستخدمة فى التعليم فأهم مابقى منها جدول لنتائج قسمة العدد ٢ على المقامات الفردية من ٣ الى ١٠١ ، وقد ورد كاملا فى كراسة أحمس ، وتكرر جزء منه فى كراسة اخرى من الدولة الوسطى ، ويتبدى طابعه التعليمى فى أنه لم يتضمن مجرد نتائج تحفظ بكسورها ذات البسط الفردى أو يرجع اليها فحسب ، وإنما تضمن كذلك خطوات تفصيلية وبراهين تثبت صحة نتائجه .

والمسألة التالية ، عن قسمة $\frac{٢}{١٩}$ ، من المسائل المطولة فى الجدول ، وتطويلها يمكن اعتباره نموذجا لمراحل تفكير التلميذ الذى وضعت له ، أو نوعا من شرح المعلمين الضافى لمسائل الحساب . وتسير كالتالى :

استخراج ٢ من ١٩	١	١٩
	$\frac{٢}{٣}$	١٢ $\frac{٢}{٣}$
	$\frac{١}{٣}$	٦ $\frac{١}{٣}$
	$\frac{١}{٦}$	٣ $\frac{١}{٦}$
وجد « جمعى »	$\frac{١}{١٢}$ /	١ $\frac{١}{٢}$ (+) $\frac{١}{١٢}$ *

ففى هذه الخطوة اتبع الحاسب فى قسمة الكسور نفس التجريب الذى كان يتبعه فى القسمة المطولة للأعداد الصحيحة . ولا تخلو هذه الطريقة التجريبية من وجه شبه مع ما يتبع فى القسمة المطولة حتى الآن ، وإن وجدت إلى جانب هذا الشبه فوارق أوضحها عدم كتابتنا خطوات التجريب والاكتفاء بفرضها واستبعادها ذهنيا . وسار الحاسب فى تجريبه بتدرج تنازلى يتضح فى اختياره للكسور $\frac{٢}{٣}$ ؛ $\frac{١}{٣}$ ، $\frac{١}{٦}$ ؛ $\frac{١}{١٢}$ وكان من فائدة هذا التدرج ، كما أسلفنا ، أن كل خطوة فيه تيسر الوصول إلى الخطوة التى تليها .

---

(١) راجع ملحق النصوص — Pap. Rhind, 61 b.; see, B. GUNN, op. cit., 126, 134-5; O. NEUGEBAUER, Die Grundlagen der ägyptischen Bruchrechnung, Berlin 1926, S. 36.

(٢) PEET, Pap. Rhind, pl. A.

* لم يستعمل المصريون علامة + ولهذا زدناها بين قوسين أما الكسور التى سنضع خطا تحت كل منها فهى نتائج المسألة وقد كتبها صاحب الكراسة بالمداد الأحمر يميزها عن بقية الكسور .

ونرجو مراعاة هاتين الملاحظتين فى بقية المسائل .

ويتضح من مسائل الجدول أن التدرج فيها مقصود وأن سلاسل القسمة فى أغلبها تعتمد على أحد أساسين ، إما استخراج $\frac{٢}{٣}$ ، $\frac{١}{٣}$العدد ثم التنازل منهما ، وإما استخراج $\frac{١}{٢}$ ، $\frac{١}{٤}$ العدد ثم التنازل منهما . ويمكن افتراض أن ذهن التلميذ الذى وضعت المسائل من أجله كان يساير يده فى السير بهذه الخطوات، وكأنه فى تجريبه كان يقول فى مسألته السابقة : إذا فرض أن ٢ تساوى $\frac{١}{٣}$ ال ١٩ فكم ثلثاها ؟ الجواب $\frac{٢}{٣}$ ١٢ ، وهذا لا يصلح لأنه أكثر من العدد الأصلى ، وإذا فرض أنها تساوى $\frac{١}{٣}$ ال ١٩ فما ثلثها ؟ الجواب $\frac{١}{٣}$ ٦ ، لا يصلح أيضا لانه أكثر من العدد الأصلى .

وكان ييسر هذه الأجوبة أن استخراج ثلثى العدد ١٩ كان ميسراً بالتجربة العملية باعتباره مساوياً ١٨ + ١ ، وثلثا هذين العددين المحفوظان ، هما على التعاقب ١٢ + $\frac{٢}{٣}$ ، كما أن استخراج الثلث كان ميسراً بعد ذلك عن طريق تنصيف نتيجة الثلثين أى ٦ + $\frac{١}{٣}$ ، الخ(١) ، وهكذا حتى انتهى الحاسب إلى افتراض أنها تساوى $\frac{١}{١٢}$ ويقابله $\frac{١}{٣}$١ + $\frac{١}{١٢}$ فقال يصلح لأنه أقل من العدد الأصلى ٢ ودلل على صلاحيته بوضع شرطة إلى جانبه ، (وكتب بدل الشرطة فى مسائل أخرى كلمة « وجد » تعبيراً كتابياً عن تفكيره) . وهنا قدر أن الباقى عليه هواستخراج ما يكمل $\frac{١}{٣}$١ + $\frac{١}{١٢}$ الى ٢ أى $\frac{١}{٤}$ + $\frac{١}{٦}$ ، ولم يستطع أن يخمن ما يقابل هذين الكسرين دفعــة واحدة فجعلهما عنواناً لتجريب جديد ، وقال : الباقى $\frac{١}{٤}$ (+) $\frac{١}{٦}$ (من $\frac{١}{١٩}$) ، ثم تناولهما بالتجريب واحدا فواحدا قائلا :

٠ ١٩

٢ ٣٨

/ ٤ ٧٦ $\frac{١}{٤}$ فهنا تخيل المقامين $\frac{١}{١٩}$ ، $\frac{١}{٤}$ عددين صحيحين يضربان فى بعضهما حتى انتهى الى ما يقابل ٤ وهى ٧٦ وأعادها فى ذهنه كسراً أى $\frac{١}{٧٦}$ وسار مع السدس بنفس الطريقة

فقال : الباقى $\frac{١}{٦}$:

١ ١٩

٢ ٣٨

٤ ٧٦

/ ٦ ١١٤ $\frac{١}{٦}$ وتخيل ثانية ما يقابل $\frac{١}{٦}$ (×) $\frac{١}{١٩}$ وهو $\frac{١}{١١٤}$

وعلى يسار المسألة وأمام سطرها الأول كتب هذه النتائج جميعها بوضوح :

$\underline{\frac{١}{١٢}}$. ١ $\frac{١}{٢}$ $\frac{١}{١٢}$ $\underline{\frac{١}{٧٦}}$. $\frac{١}{٤}$ $\underline{\frac{١}{١١٤}}$. $\frac{١}{٦}$ فالكسور المخطوط تحتها وهى فى الأصل حمراء تمثل النتيجة المطلوبة التى ينبغى حفظها ، أما الكسور السوداء فهى ما يقابلها أو هى البرهان ، والنقطة بينهما معبرة عن علامة =

---

(١) See, B. GUNN, op. cit., 125.

هذه الطريقة المطولة إذا اعتبرت طريقة يفترض أن يتبعها التلميذ دواماً فلا شك فى أنها مملة وقرينة بطء التفكير ، وإذا اعتبرت شرحاً من المعلم أمكن احتمالها على أنها مجرد نموذج عرضه ليستيقن من فهم التلاميذ لطريقته ثم يستغنى فيما بعد عن خطواته الزائدة . والواقع أن هذا التطويل الممل لايوجد فى غير مسألة أخرى من مسائل الجدول وهى عن قسمة $\frac{٢}{٣٧}$ ، أما فى المسائل الباقية فثمة طرق كثيرة استخدمت للاختصار تشجعنا على عدم التسليم بما عتب به الأستاذان أدولف إرمان وهرمان رانكه على قسمة الكسور المصرية من أن فهم المصرى لها كان فهما ناقصا ... وأنه كان يطرق سبلا معوجة أشد الاعوجاج فى قسمتها (١) .

وفيما يتعلق بالأغراض التى استهدفها هذا الجدول التعليمى يمكن تعليل الاقتصار منه على المقامات الفردية (٣ – ١٠١) بأن قسمة العدد ٢ على أى مقام زوجى لا تتطلب أكثر من تنصيفه . فى حين أن اختياره للعدد ٢ بسطاً فى كل مسائله يحتمل أنه كان كما رأى إرك بيت للرغبة فى أن ييسرعلى الطالب أو الحاسب تبسيط أى كسر فردى يصادفه بعد تجزئته الى الكسور الصغيرة التى يحفظها . أما انتهاء الجدول عند المقام ١٠١ فتعليله يتبدى فى المسألة الأخيرة التى استطاع الأستاذ . جن أن يخرج منها بأن قسمة ٢ على ١٠١ وعلى أى مقام فردى يزيد عنه تحل على أساس : $\frac{٢}{س} = \frac{١}{س} + \frac{١}{٢ س} + \frac{١}{٣ س} + \frac{١}{٦ س}$ ، وتسمح الطريقة المصرية بهذا التخريج فعلا (٢)

وفضلا عن هذا الجدول العام اشتملت كراسة أحمس على جدول صغير لنتائج قسمة الأعداد ١ إلى ٩ على العدد ١٠ معبراً عنها بالكسر ذى البسط الواحد الصحيح ، ولكن هذا الجدول لم يستخدم مستقلا بذاته وإنما استخدمه المعلم فيما يبدو وسيلة من وسيلتين لدرس أو أكثر فى القسمة . اعتمدت الوسيلة الأولى منهما على حفظ نتائج القسمة فى كسور مجردة ، بينما كان قوام الوسيلة الثانية عدة مسائل عملية تستطيع عقلية التلميذ أن تسايرها ، وتهدف إلى البرهنة على صحة نتائج القسمة وتعبيراتها التى أتى الجدول بها . فالجدول قد أتى بنتائج القسمة مرتبة على النحو التالى (٣) :

$\frac{١}{١٠}$

$\frac{١}{٥}$ (أى $\frac{٢}{١٠}$)

$\frac{١}{٥}$ + $\frac{١}{١٠}$ (أى $\frac{٣}{١٠}$)

وهكذا حتى وصل إلى ما يعبر عن $\frac{٩}{١٠}$ وكتبه $\frac{٢}{٣}$ (+) $\frac{١}{٥}$ (+) $\frac{١}{٣٠}$.

---

(١) أدولف إرمان وهرمان رانكه : مصر والحياة المصرية – ص ٤٠٣ – ٤٠٤

(٢) See, PEET, op. cit., 34 and B. GUNN, in J.E.A. XII, 129. وحاول ب . جن أن يستخرج من بعض حلول المسائل ما يمكن اعتباره قواعد للتيسير ، فقال إنه حينما كانت الاثنين المستخرجه من المقام المقسوم عليه تساوى $\frac{١}{٢}$ ١ ، $\frac{١}{٢}$ منه ، فإن الكسرين المقابلين لها يكونان $\frac{٢}{٣}$ وضعف هذا المقام المقسوم عليه . وتنطبق هذه القاعدة العملية بالفعل على ١٤ مسألة من الجدول كتبت فى اختصار كبير .
(B. GUNN, op. cit., 128).

(٣) Pap. Rhind, pl. E — Brit. Mus. VII-VIII and New York Frag.

أما المسائل فقد وضعت على أساس تقسيم رغيف ورغيفين وستة وسبعة وثمانية وتسعة أرغفة على التوالى، على عشرة رجال ، وجرت أولاها على النحو التالى :

«مثال للتقسيم : رغيف لعشرة رجال(١)

اعمل (على) أن تضرب فى $\frac{1}{10}$ عشر مرات

والعمل كما يجب أن يكون / ٢ $\frac{1}{5}$ / ٨ $\frac{2}{3}$ $\frac{1}{10}$ $\frac{1}{30}$

٤ $\frac{1}{3}$ $\frac{1}{15}$ فالمجموع ١ وهو نفس الشيء (أو ذات الأمر)

وترتب على اختيار المعلمين المصريين لأمثال هذه المسائل التى تعتمد على توزيع الخبز والغلال والدهن والجعة ، أثر واضح فى وصف أغلب الباحثين المحدثين للحساب المصرى (فضلا عن العلوم المصرية بعامة) بالانصراف إلى الماديات دون المعنويات أو المبادئ المجردة .

فرأى الأستاذ بترى أن من أسس الحساب المصرى مالايعدو ما كان يأخذ به جمهور الناس فى الحياة اليومية العادية ، بحيث كانت طريقة القسمة التجريبية المكتوبة هى بذاتها طريقة توزيع الخبز على عمال الحقول حين الغذاء . وقال بمثل هذا الرأى الأستاذان أدولف إرمان وهرمان رانكه ، وأضافا أن الطابع العملى الصرف الذى اكتسبه الحساب المصرى منذ الدولة القديمة عجز عن التخلص منه حتى فى الدولة الحديثة ووقف عنده دون تجديد (٢) .

ولسنا ننفى أنه فى الرياضيات المصرية ما يحتمل هذا الرأى ونحوه ، وأن ما كان يجرى فى الحياة العامة كان يترك صداه لدى المعلمين وهم يصوغون مسائلهم ، غير أنه ينبغى أن نقدر إلى جانب ذلك أنه ما كان يتهيأ للمعلم أن يدلل على صحة جدوله السابق ويقربه إلى تلاميذه بغير أمثلة تصطبغ بشيء من الحيوية المادية ، ولا نقول من الواقع المادى ، فتقسيم رغيف بين عشرة رجال يبعد أن يقوم به شخص متعلم ، بل ويبعد أن يتم فى الحياة الواقعية . وسنتبين فيما يلى من المسائل مسألة يطلب المعلم فيها تقسيم مائة رغيف بين خمسة رجال بحيث يكون سبع نصيب الثلاثة الأول مساوياً لنصيب الاثنين الباقين ، ومثل هذا التقسيم المعقد ، كمثل تقسيم الرغيف بين العشرة الرجال ، يبعد أن يتم فى الحياة الواقعية ، ففكرة تقسيم الأرغفة كانت مستمدة من الواقع حقاً ، ولكن المسائل المترتبة عليها ليست كلها مادية صرفة وإنما كسا الخيال بعضها وجعلها مسائل نظرية تعليمية . وفضلا عن ذلك فثمة أمر لم يفت باحثين آخرين ، وهو أن من المسائل المصرية ما خلا تماماً من التعبيرات المادية واعتمد على الأرقام وحدها . ومن هذه المسائل مجموعتان يمكن الاستشهاد بهما فى سياق مسائل الكسور . تألفت أولاهما من ثلاث مسائل لجمع الكسور وطرحها واشتملت ضمناً على قاعدة استخراج المضاعف . أما المجموعة الثانية فهى عن طريقة استخراج أجزاء معينة من الكسور ثم إضافتها اليها .

---

(١) Pap. Rhind, pl. F., وراجع ملحق النصوص

(٢) W.F. PETRIE, in Ancient Egypt, 1928, part. IV, p. 132

أدولف إرمان وهرمان رانكه : مصر والحياة المصرية – ص ٤٠٢

كان العنوان التعليمى لدرس المجموعة الأولى هو : « (اذا) قيل لك اكمل من . . . »(١) وتميزت مسائلها الثلاث كوحدة ، بالتدرج من السهولة الى الصعوبة ، فضلا عن أن كل واحدة منها قد صحبت بطريقة حل تفصيلية .

فمن تدرجها أن قال رأس المسألة الأولى : أكمل $\frac{٢}{٣}$ + $\frac{١}{١٥}$ من ١ ، وقال رأس الثانية : أكمل $\frac{٢}{٣}$ + $\frac{١}{٣٠}$ من ١ ، ثم قال رأس الثالثة : أكمل $\frac{١}{٤}$ $\frac{١}{٨}$ $\frac{١}{١٠}$ $\frac{١}{٣٠}$ $\frac{١}{٢٥}$ من $\frac{٢}{٣}$

واستهدف درس المجموعة الثانية التعريف بطريقة أستخراج اجزاء معينة من الكسور ثم اضافتها اليها ، أى أنه جمع بين ضرب الكسور وجمعها، وكان عنوانه : «مثال للتكملة» أو « قسم التكملة »(٢). وبدأ المعلم فتخير لمجموعته نموذجين ، أحدهما هو الكسر $\frac{١}{٤}$ (+) $\frac{١}{٢٨}$ ويضرب فى الكسرين $\frac{١}{٢}$ ، $\frac{١}{٤}$ على التوالى ثم يجمعان اليه (وذلك بما يعنى ضربه فى $\frac{٣}{٤}$ ١) ، وثانيهما هو الكسر $\frac{١}{٤}$ ويضرب فى الكسرين $\frac{٢}{٣}$ ، $\frac{١}{٣}$ على التوالى لم يجمعان اليه (وذلك بما يعنى ضربه فى ٢) .(٣) . وبعد ان ذكر المعلم خطوات حل كل منهما على التعاقب (٤)، تخير سبع مسائل للتطبيق على النموذج الأول أى بضرب كل منها فى $\frac{١}{٢}$ ، $\frac{١}{٤}$ مع اضافتهما اليه ، وكانت أربع منها قريبة الصلة بكسر النموذج(٥) . ثم اتبعها بخمس مسائل

---

(١) Pap. Rhind, 21-23 ; see J.E.A. XII, 130 — وراجع ملحق النصوص .

(٢) Pap. Rhind, pl. G.

(٣) يبدو أن التوفيق خان المعلم فى هذا الاختيار إذ أن نتيجة العملية لا تعنى أكثر من مضاعفة الكسر الأصلى .

(٤) اقترنت الحلول فى هذه المسائل بإيجاد المضاعف لكل خطوة منها رغبة فى تأكيد صحة عمليات الضرب ، ورغبة فى تيسير الجمع ، فسار الحل فى النموذج الأول كالتالى :

	$\frac{١}{٤}$	(+)	$\frac{١}{٢٨}$
	٧	(+)	١
$\frac{١}{٢}$	$\frac{١}{٨}$	(+)	$\frac{١}{٥٦}$
	٣ $\frac{١}{٢}$	(+)	$\frac{١}{٢}$
$\frac{١}{٤}$	$\frac{١}{١٦}$	(+)	$\frac{١}{١١٢}$
$\frac{١}{٤}$	١ $\frac{١}{٢}$	(+)	$\frac{١}{٤}$

المجموع $\frac{١}{٢}$

ويلاحظ أن استخراج المضاعف فى كل خطوة أصبح ميسراً بعد إيجاده فى الخطوة الأولى إذ لم يقتض الأمر غير تنصيفه فى الخطوتين التاليتين ، وقد حدث نفس الأمر بالنسبة للكسور حين ضوعفت مقاماتها .

(٥) هى $\frac{١}{٢}$ $\frac{١}{١٤}$ ثم $\frac{١}{٤}$ $\frac{١}{٢٨}$ (فى يوم ثان ؟) ثم $\frac{١}{١٦}$ $\frac{١}{١١٢}$ ثم $\frac{١}{٣٢}$ $\frac{١}{٢٢٤}$

للتطبيق على النموذج الثانى أى بضرب كل منها فى $\frac{2}{3}$ ، $\frac{1}{3}$ منه ثم اضافتهما اليه، وكانت أربع منها هى الأخرى قريبة انصلة بنموذجها (١) ، وذلك جميعه مما يعنى القصد فى الاختيار حين الدراسة ، فضلا عن اشتراك المجموعتين معا فى قيام درسيهما على الأرقام وحدها دون التعاريف المادية .

مسائل المكاييل :

كانت لوحدة الكيل الأساسية «حقات» (٢) مضاعفاتها الحسابية مثل الحقات الثنائية والرباعية والجوال والمائة حقات ونصف المائة وربعها وعشرها (٣)، ثم اجزاؤها العديدة التى تتعاقب من $\frac{1}{2}$ إلى $\frac{1}{64}$ (٤) ويغلب أن التلميذ كان يحفظ هذه المضاعفات والأجزاء كتابة وقراءة . ولتيسير حفظها أو تيسير العمل بها وضعت له الجداول (٥). وتداخلت التطبيقات على تحويل الحقات وأجزائها من جهة أخرى فى مسائل كثيرة أهمها مسائل توزيع الرواتب والمبادلة وتقدير منتجات الحبوب من الدقيق والخبز والجعة ، ومسائل المزيج فى الحساب ، ومسائل الحجوم فى الهندسة . وفيما يلى بضعة من رءوس المسائل توضح طريقة المعلم المصرى فى توجيه الدارس الى الإلمام بما يتعلق بالمكاييل وما يتصل بها .

فمن المسائل التعليمية الاولية فى تحويل الحقات ما يقول: «عشر حقات دهن خرج لعام . فما هو نصيب اليوم منها ؟ » وبعد أن تذكر خطوات الحل البسيطة القائمة على تحويل العشر حقات الى رو (=٣٢٠٠) وتحويل العام الى أيام (٣٦٥) ثم تقسيم ٣٢٠٠ على ٣٦٥، تختتم بهذه العبارة التعليمية: «وتفعل المثل لأى (مسألة) تذكر لك تشبه هذا المثال» (٦).

وقالت مسألة أخرى «ثلاث حقات ونصف (من) الدقيق عملت ٨٠ رغيفاً ، خبرنى عن مقدار ما فى الواحد منها من الدقيق وعرفنى مدى قدرتها (بفسوسن) » (٧) (ويقدر البفسو أى القدرة أو العزم بعدد ما تنتجه حقات الحبوب من الأرغفة أو قدور الجعة ذات السعة المعينة) .

---

(١) وهى $\frac{1}{2}$ ثم $\frac{1}{6}$ ثم $\frac{1}{12}$ ثم $\frac{1}{24}$.

(٢) = ٢٩٢ بوصة مكعبة Pap. Rhind 44 ; Urk. IV, 720, 7 ; Puyemre 36 ; Pap. Rhind 35 ; 64.

(٣) الحقات الثنائية (Pap. Rhind 82, pl. X) — والحقات الرباعية (Ibid., 41-6 pls. M.N.) والجوال (Ibid., 4, pl. M.) والمائة حقات ونصف المائة وربعها وعشرها .... الخ وكان لكل منها رمزها (See, A.H. GARDINER, Grammar 1927, 266 ; PEET, op. cit., p. 12 ; GUNN, op. cit., p 126).

(٤) يراجع عن رموز هذه الأجزاء الثنائية : Pap. Berlin 10500 ; MOELLER, Hierat. Palaeogr I, 66-7 ; II, 62 ; AeZ, 48, 99 f.

(٥) see, Pap. Rhind, 82, pl. X ; Cairo 25367-8 ; DARESSY, in Rec. Tr. 28,62 f ; MOELLER, in AeZ, 48, 99 f.

(٦) Pap. Rhind. 66, pl. S. — وانظر ملحق النصوص .

(٧) Ibid., 69, pl. U

وتقول ثالثة : «مائة رغيف قوة ١٠ استبدل بها مقدار من الجعة قوة ٢ (فما هو ذلك المقدار ؟) (١) في حين تذكر مسألة تجمع بين الحجوم والمكاييل أبعاد شكلٍ مكعب وتطلب مقدار ما ينزل اليه من الحبوب (٢) .

وعلى نحو ما تلعب مسائل المزيج دورها في برامج الحساب الحالية كذلك كان شأنها لدى المصريين ، ومن مسائلها ما يقول : «قدر جعة أفرغ ربعها ثم أكملت بالماء ، فالى أى قوة خففت؟ »(٣) .

مسائل المعادلات :

تظهر هذه المسائل أكثر من دلالة تعليمية . وقد كانت منها البسيطة ومنها ما يمكن تقريبها الى ما يسمى اصطلاحاً باسم معادلات الدرجة الثانية . فمن نماذج المعادلات البسيطة تضمنت كراسة أحمس خمس مجموعات لكل منها ما يميزها . وتألفت المجموعة الأولى منها من أربع مسائل يسيرة تستهدف اثارة ذكاء التلميذ وتهيئته لحل ماهو أصعب منها (٤) . وكان من ذلك أن صيغ رأس المسألة الثالثة منها على النحو التالى :
كم (أضيف) ربعه عليه فأصبح مساوياً ١٥ (فما هو ؟)

وافترض الكم فى المسائل الأربعة مساويا لمقام الجزء المضاف عليه ، ففى المسألة الأولى افترض عدد ٤ وأضيف إليه ربعه فكان ٥ ، وسارت بقية المسألة على هذا الأساس . واعتبر نيوجيباور هذا الفرض فرضا عن قاعدة ، بينما اعتبره إرك بيت مجرد محاولة للتجريب ، والغريب أن الأستاذين أدولف إرمان وهرمان رانكه على الرغم من تقديرهما للحضارة المصرية ، وأولهما على وجه الخصوص ، لم يعترفا حتى بمجهود مسائل المعادلات وعقبا بأن المصرى وإن توصل فيها إلى نتائج مرضية فإن ذلك يرجع إلى كثرة التمرين ، وأن حلوله لها يضيق الانسان ذرعا بكثرة أرقامها (٥) (ولكن قارن مع ذلك المسائل التالية والصفحة التالية) .

وانتقل المعلم من هذه المجموعة الى مسألتين أكثر صعوبة(٦) ، وتقول رأس أولاهما :
ثلثان أضيفا (الى كم) ثم طرح الثلث ، وعشرة الباقية (٧) (فما هو الكم ؟)

وأعقبت هذه خمس مسائل (٨) تتطلب شيئا من إعمال الفكر ، وكان من رءوسها ما يقول :
«اذا قال لك كاتب ١٠ هى $\frac{٢}{٣}+\frac{١}{١٠}$ لماذا ؟ (أى لأى عدد ؟)

---

(١) Pap. Rhind, 78, pl. W
(٢) Ibid., 44, pl. N.
(٣) Ibid., 71, pl. U.
(٤) Ibid., 24-27
(٥) Pap. Rhind, 28-29.
(٦) O. NEUGEBAUER, Arithmetik und Rechen technik der Aegypter (Quellen und Studien zur Gesch. der Mathem. Berlin 1931) S. 305 f;
أدولف إرمان وهرمان رانكه : المرجع السابق ـص ٤٠٣
(٧) عن رمزى الإضافة والطرح فى الحساب : see, SPIEGELBERG, Rechnungen aus der Zeit Setos I, Text 40.
راجع ملحق النصوص
(٨) Pap. Rhind, 30-34, pls. J-K. انظر بملحق النصوص

«كم (أضيف) عليه ثلثاه ونصفه وسبعه فأصبح ٣٣ (فما هو ؟)»

«كم (أضيف) عليه ثلثه وربعه فأصبح ٢ (فما هو ؟)»

وسبق توجيهات حل المسألة الأولى رد على سؤال الكاتب بعبارة : فليسمع أو فاسمعه (سزم ف) كما سبق ذكر نتيجتها الأخيرة عبارة «فجملة الكم الذى يذكره ....» (١) وذلك بما يحتمل معه أنها ونحوها كانت مما يتحدى به الذكاء ويتبارى المتعلمون به فيما بينهم .

هذا ومع مالكل من مجموعات المسائل السابقة من خصائص، فلا يخلو من دلالة ما آثره المعلم من صياغة « المجهول » فيها على أساس « كم » (٢) مطلق دون ربطه بالتعبيرات المادية .

وتمتاز مسائل المجموعة الرابعة بالصياغة الحية المشوقة ، بحيث قالت أولاها :

«نزلت مرات ثلاثاً إلى الحقات ثم أضيف على ثلثى فغدوت (حقات) مكتملة ، فما الذى قال هذا ؟

ولا تقتصر طرافة هذه للمسألة على صياغة رأسها، وانما لتضمنها ثلاثة براهين على صحة الحل كذلك (٣).

وقريب من هذا الأسلوب صيغت مسألة فى مجموعة أخرى من غير كراسة أحمس ، فقالت : « نصفى ينقص ربعا والباقى ٥ ، فما الذى يقوله ؟ » (٤) وهذه المعادلة يمكن التعبير عنها بأسلوب حديث على النحو التالى : $\frac{1}{٢}$ س − $\frac{1}{٤}$ س = ٥ فما مقدار س ؟

وما من شك فى أنه ليست المادية هى التى جعلت المعلمين ينطقون الجماد فى مثل هذه المسائل ، وإنما هى الرغبة أساساً فى إضفاء الحيوية على دروسهم .

ومن المسائل الراقية التى يمكن تقريبها الى معادلات الدرجة الثانية ما طلب تقسيم ١٠٠ إلى عددين ؛ الجذر التربيعى لأحدهما يساوى $\frac{٣}{٤}$ الجذر التربيعى للآخر (٥) ، وأفصح بهذا عن الغرض التعليمى النظرى والصبغة الجبرية الغالبة (٦) . وجرى حل هذه المسألة التى يمكن التعبير عنها بالمعادلة س٢ + $\frac{٣}{٤}$ س٢ = ١٠٠ ، بافتراض عددين وهميين ، وهما $\frac{٣}{٤}$ ، ١ ، وتربيع كل عدد منهما ؛ ثم جمعهما ، واستخراج الجذر التربيعى لمجموعهما وهو $\frac{1}{٤}$ ١ ، وبنسبة هذا الجذر الوهمى إلى الجذر التربيعى الصحيح للعدد ١٠٠ وهو ١٠ ؛ أصبحت نتيجة النسبة ٨

---

(١) وقارن .Pap. Anast. I, 14,2 f

(٢) see, B. GUNN, op. cit., p. 131

(٣) انظر ملحق النصوص – .Pap. Rhind, 35, pl. L

ورأى K. VOGEL فى مثل هذه البراهين ما يحتم وصف الرياضيات المصرية بصفة العلم ويجعل للمصريين نصيباً فى وضع أسس التقدم بالطريقة العلمية .

(K. VOGEL, Die Grundlagen der ag. Arithmetik, 1929, 52 f.; 183 f.).

(٤) Pap. Kahun VIII, 23-28, p. 17.

(٥) Pap. Berlin 6619.

(٦) K. VOGEL, Die Algebrá der Aegypter des mittleren Reiches (in Archeion, 1930) S. 152.

مسائل النسب التناسب :

تشهد هذه المسائل بدورها بنوع من جهد المعلم فى صياغة مسائله ، اذ تتصف أكثرها بطرافة موضوعاتها وإن صبغت بصبغة عملية . فكان منها ما يقول :

مسأله عن حساب نتاج راع (١) .

«حدث أن أتى (هذا) الراعى الى تعداد الماشية بسبعين ثورا . فقال عداد الماشية له : ما أقل الثيران التى جلبتها ! واين اذن ثيرانك العديدة ؟ فقال الراعى له ، ان ما احضرته لك هو ثلثين من ثلث الماشية التى عهدت الى بها . فاذا حسبت لى وجدتنى كاملا » .

فهنا التعداد والراعى ومحاسبة الكاتب له من الصور الواقعية ، ولكن ائتمانه على ٣١٥ ثورا (وهى نتيجة المسألة) واجابته الملتوية ، كلاهما موضوع وخيالى من غير شك .

ومسألة أخرى تقول «فيما لو قيل للحقيبة بها ذهب وفضة ورصاص تشترى (عادة) بأربع وثمانين حلقة (؟) فما مقدار ما يخص كل معدن ؟ » (٢)

ومع اختلاف الآراء فى قراءة هذه المسألة وحلها(٣) تتبدى أهميتها فى ان الحل قد اتبع طريقة جمع الاجزاء ونسبتها الى المجموع الحقيقى ثم استخراج ما يساوى كل جزء من هذا المجموع .

مسائل التصاعد (أو التتابع الرياضى) (٤) :

كان من هذه المسائل ما يتخذ الطابع العملى فيقوم على توزيع اعداد من الأرغفة او مقادير من الغلال بين عدد من الاشخاص بنسب بينها تدرج مقصود . واذا كان ذلك يجافى ما ينبغى ان يتوفر للتتابع الرياضى الخالص من حيث الاعتماد على الاعداد المجردة وحدها ، وبمعنى آخر اذا كان فيه ما يباعد بينه وبين الطابع العلمى الصرف ، وهذا مالا يناقشه البحث ، فما من بأس من قبوله من حيث الصياغة التعليمية واعتبار اتجاه المعلمين المصريين الى تعريف أعداد مسائله برجال وغلال إنما هو من قبيل الرغبة فى اضفاء الحيوية عليها وتقريبها الى خيال الدارس ، خاصة وان فيها كثيرا مما يبعد تطبيقه فى الحياة الواقعية .

ومن ذلك أن قالت احدى المسائل :

«مائة رغيف لخمسة رجال ، ١/٧ الثلاثة الرؤساء (يعطى) للتابعين ، فما (مقدار) التصاعد ؟ »
(أى فما مقدار الفارق الحسابى الثابت بين نصيب كل رجل منهم ونصيب الذى يسبقه ؟)

وانتهى حل المسألة بإيجاد فارق ثابت بين كل نصيب والنصيب الذى يليه وهو ٩ ١/٦ ، فضلا عن إيجاد أنصبة الرؤساء ونصيبى التابعين مرتبة على النحو التالى(٥) :

١ ٢/٣ — ١٠ ٥/٦ — ٢٠ — ٢٩ ١/٦ — ٣٨ ١/٣

---

(١) Pap. Rhind, 67, pl. T.

(٢) Ibid., 62, pl. R.

(٣) see, MÖLLER, Hierat. Paläogr., 1,40 Anm. 1 ; A.H. GARDINER, in AeZ., 43, 45 f,; J.J. PEREPELKIN, Die Aufgabe Nr.62 des mathematischen Papyrus Rhind (Quellen und Studien zur Gesch. der Math., 1931), S. 108 f. ; J.E.A. XV, 275.

(٤) see, B. GUNN ; op. cit., 131.

(٥) Pap.Rhind 40, pl. M.

وقالت مسألة أخرى « إذا قيل لك : ١٠ حقات شعير لعشرة رجال ، وزيادة كل منهم عن زميله ⅛ حقات من الشعير (فكيف يكون التوزيع ؟) » (١) .

في المساحات والابعاد :

تضمنت الكراسات المصرية من مسائل المساحات ما يتناول مساحة المستطيل والمثلث والمثلث الناقص والدائرة ومسطح (؟) نصف الدائرة ، فضلا عن مسائل استخراج أبعادها . وفى بضع من هذه المسائل تتضح الخواص التى سبق استخلاصها ، وهى أن الصبغة التعليمية النظرية والصياغة المشوقة لم تغب كل منهما عن المعلمين المصريين فى صياغة بعض مسائلهم إلى جانب ما كانوا يعنون به من إعداد الطالب لمهام الكاتب العملية فى وظيفته ومجتمعه الزراعى ، فضلا على أنها تتميز كذلك بما يصحب رءوسها وحلولها من أشكال توضيحية تكتب الأبعاد عليها (راجع لوحتى ٧٠ ، ٧١) .

ففى مساحة المستطيل مسألة رأى W. Struve (٢) قراءتها على النحو التالى : « قطع من قماش جابو طوله خمسة اذرع وخمس قبضات وعرضه قبضتان ، عبر عنه بالمساحة » وقد انتهى الحل فيها بأن المساحة = ٨٠ قبضة . وإذا صحت هذه القراءة لدلت صياغة الرأس على توفيق فى الجمع بين طلب استخراج المساحة وبين طلب تحويل الأبعاد إلى وحدات قياسية متساوية ، ولدلت كذلك على توفيق فى الجمع بين الشيء المادى الذى يسهل تصوره وهو قطع القماش (المستطيل) وبين الصياغة النظرية التى تتبدى فى طلب مساحته (حيث لا يقاس القماش بالمساحة وإنما بالأطوال فحسب إلا إذا استخدم فى تغطية مساحة معينة). وقالت مسألة أخرى « فيما لو قيل لك بناية من ست و ٢ أروره ، ¾ الطول منها للعرض ، فما أبعادها ؟ » (٣) وقد حولت الإستطالة فى حلها إلى هيئة مربع كامل ثم استخرج جذره التربيعى واعتبر طولا أصلياً وهو ٤ ثم رتب عليه استخراج العرض وهو ٣ ، فهنا مع الطابع العملى الذى استهدفته المسألة من حيث التعويد على استخراج مساحات الأراضى وأبعادها ، يتضح كذلك طابعها التعليمى النظرى ، حيث لا تذكر فى الحياة العملية نسبة طول إلى عرض دون أبعاد .

وفى مساحة المثلث مسألة تقول « فيما لو قيل لك مثلث ارتفاعه العمودى ١٠ خت وقاعدته ٤ ، فما مساحته؟ » (٤) ويقول الحل : « فهكذا يكون (العمل) : تستخرج نصف الأربعة أى ٢ لايجاد مستطيلة ثم تضرب ١٠ × ٢ فهذه هى مساحته » .

وبهذا رسمت المسألة سبيلا ميسراً لاستخراج مساحة المثلث ما زلنا نعتمد عليه حتى الآن .

(١) Pap. Rhind, 64, pl. S. وراجع ص ٢٩٧ عن مسألة الفيران والقطط .
and see: R.S. WILLIAMS, *Geometric Series and the Rhind Papyrus*, in J.E.A. XXVIII, 67-68.

(٢) W.W. STRUVE (u. V. Struve) Mathematischer Papyrus des Staatlichen Museums der Schonen Kunste in Moskau (Qull. u. St. zur Gesch. der Math) 1930, S. 120 f. No. 18).

(٣) Moscow Pap., 6 والست وحدة مربعة وكذلك الأروره ، ومن المسألة يفهم أن المساحة فى مجملها تساوى ١٢ أرورة . see GUNN, PEET, *Four Geometrical Problems...*, in J.E.A. XV, 170 f.

(٤) Rhind 51, pl. O ; & see, GUNN, op. cit., p. 132.

وهو : القاعدة على ٢ × الارتفاع ، سواء أكان متساوى الساقين كما رسم فى هذه المسألة أم غير متساوى الساقين كما رسم فى غيرها ، ما دام قد عرف ارتفاعه العمودى الذى يمكن الاستعانة به « لجعله مستطيلا » حسبما أشارت النظرية التى تضمنتها المسألة السابقة . وانبنت على هذه النظرية عدة مسائل ابتغت استثارة الذهن وحسن التصرف ، وكان منها ما يقول : « لو قيل لك مثلث من ألفين فى مساحته ، وأما شىء وضعته على الطول تضع خمسيه على العرض (فما هو الطول وما هو العرض؟) (١) .

وتوفرت لمسائل مساحة المثلث الناقص نظرية رياضية على نفس النسق من البساطة والوضوح ، ولا تفترق فى شىء عن النظرية الحالية وهى : القاعدة السفلى + القاعدة العليا × الارتفاع ، ثم قسمة الناتج على ٢

وذكرت هذه الطريقة أو النظرية لمسألة تقول : « لو قيل لك (مثلث) ناقص من الأرض، ارتفاعه ٢٠ خت وقاعدته ٦ خت ، والجزء المقطوع (أى القاعدة العليا) ٤ خت ، فما مساحته ؟

وارفقت المسألة برسم يوضح الشكل المقصود وأبعاده (والخت = ١٠٠ ذراع) (٢)
وللغريب أن الهندسة المصرية وجدت من الباحثين المحدثين من يقول عنها ؛ على الرغم من ذلك ؛ أن حظ المصريين منها كان أقل من حظهم من الحساب ؛ وأنهم تورطوا فيها فى أخطاء كثيرة وأغلقوا أمام أنفسهم الطريق القويم للوصول فيها إلى نتائج حاسمة (٣) ويبدو أن ما دفع أولئك الباحثين إلى هذا الرأى هو أنهم نظروا إلى الهندسة المصرية بمنظار الهندسة الاغريقية والحديثة أكثر مما نظروا إليها بمنظار عصورها القديمة .

ومن أطرف وسائل التوضيح فى كراسة أحمس التقدم لمسائل مساحة الدائرة بما يبرر إحدى الوسائل المصرية الأولية فى تقديرها ، وهى أنها تنقص وحدة مربعة من وحدات المربع المساوى لها فى أبعاده . فرسم مربع طول ضلعه ٩ ورسمت به دائرة قطرها ٩ فتبقت من المربع أربعة أجزاء فى زواياه كانت كفيلة فيما يبدو بأن تقرب النظرية إلى التلميذ وتبررها له (٤) ، وقد أرفق هذا الرسم باستخراج مساحة مربعه فى جانب ، واستخراج مساحة دائرته فى جانب آخر ، مع تحويل النتائج العددية فى كل خطوة إلى ما يساويها من مقاييس الأرض (أى الآلاف والستات) . وإلى جانب هذه الطريقة التقريبية الأولية فى حساب مساحة الدائرة مارس المصريون طريقة أخرى ناضجة لم يدونوا تفاصيلها ، ولكن بعض الباحثين المحدثين رأوا من تطبيقاتها العملية فى الآثار المصرية أن نسبتها التقريبية لا تختلف عن النسبة الحالية غير اختلاف ضئيل وكانت تعادل ٣,١٦٠٥ عوضاً عن النسبة الحالية ٣,١٤٢٨

فى الحجوم :

شابهت مسائل الحجوم مسائل المساحات من حيث اتجاهها إلى إعداد التلميذ لمهام الكاتب الوظيفية فى مجتمعه الزراعي . فحين تناولت حجم المكعب والاسطوانة جعلت من أغراض مسائلهما التمرين على

---

(١) Moscau Pap., 17 — والألف فى المساحة = ١٠ أرورة .GARDINER, Grammar, 1927, 266)

(٢) Pap. Rhind 52, pl. P.

(٣) قارن : أدولف إرمان وهرمان رانكه : المرجع السابق — ص ٤٠٦ — ٤٠٧

(٤) Pap. Rhind, 48, pl. O.

تقدير مقادير الغلال الكبيرة وتقدير ما يلزمها من الأماكن ، وذلك بتصوير المكعب أو الأسطوانة على هيئة شونة تذكر أبعادها وتطلب تقدير ما تسعه من الغلال ، أو تذكر ما يملؤها من غلال وتطلب أبعادها . ولا تكاد طرق الحل المستعملة فيها تختلف عن الطرق الحالية فى شىء كثير . فلتقدير حجم المكعب يضرب طوله فى عرضه فى ارتفاعه ، ومع بساطة هذه القاعدة أشاد الفيلسوف الاغريقى أفلاطون بفضل المصريين فى توجيه الإغريق إلى تقدير الأشياء ذات الأبعاد الثلاثة ، أى ذات الطول والعرض والعمق (١) .

وكان تقدير حجم الشكل الاسطوانى ميسراً على أساس معرفة مساحة الدائرة التى تمثل قاعدته .

ولما كان لحجم الهرم الناقص تطبيقاته العديدة فى الحياة العملية (٢) أوليت مسائله نصيبها من الاهتمام ووضعت له نظرية أو قاعدة على شىء كثير من اليسر ، وهى فى حقيقتها صورة أصيلة للقاعدة المستعملة حالياً ، وهى : مربع القاعدة العليا + مربع القاعدة السفلى + القاعدة العليا × القاعدة السفلى × الارتفاع على ٣ (٣) .

ومن مسائلها ما صحب برسم كتبت عليه بعض خطوات الحل (فى لوحتى ٧٠–٧١) (٤) .

مسائل استخراج الزوايا والارتفاعات العمودية :

تتصف هذه المسائل بالطابع الهندسى أكثر مما سواها . ولو تأكد ما نرجحه من أنها كانت ضمن منهاج تخريج الكاتب فضلا عن الطالب المؤهل لعمل المهندس ، لكانت البينة الواضحة على ما ذهبنا إليه من تنوع المنهاج التعليمى واستهدافه الثقافة والعلم فضلا عن صالح الوظيفة .

وتضمنت كراسة الكاتب أحمس ستاً من هذه المسائل (٥) ، لم تسبقها قوانين أو نظريات صريحة ، ولكن وحدة الطريقة المتبعة فيها والتى طبقت فيها على كل من أشكال المثلث والهرم والعمود (؟)– تكاد تقوم مقام النظرية أو القانون لها . ومن هذه المسائل مايتكرر بوجهين فيفصح عن غرضه التعليمى ، بحيث قالت إحدى المسائل :

« هرم قاعدته ١٤٠ وزاويته ٥ قبضات وإصبع ، فما طول ارتفاعه (العمودى) ؟

ثم قالت التالية لها بعد أن عكستها :

« هرم ارتفاعه (العمودى) ٩٣$\frac{1}{3}$ ، خبرنى عن زاويته ، (علماً بأن) طول قاعدته ١٤٠ » (٦) .

---

(١) PLATO, Laws VII, 819 b.

(٢) من ذلك تقدير حجوم المسلات قبل وضع الجزء العلوى ذى الشكل الهرمى عليها ، لتقدير وزنها وما يلزمها من رجال وأدوات لنقلها من محاجرها ونقلها على متن النيل ثم إقامتها فى مواضعها . وما يقال عن المسلات يقال كذلك عن قواعدها التى اتخذت هيئة الهرم الناقص فى أغلب أحوالها .

(٣) See, W.R. THOMAS, *Moscow Mathematical Papyrus, No. 14*, in J.E.A. XVII, 50 f.; VOGEL, in J.E.A. XVI, 249; GUNN, PEET, in J.E.A. XV, 177 f.

(٤) Moskow Pap. 14.

(٥) Pap. Rhind, 56 f. (pl. Q-R.).

(٦) كان الارتفاع الذى تذكره المسألة الثانية هو بالذات الذى طلبته المسألة الأولى ، فى حين أن الزاوية التى يسأل المدرس عنها فى المسألة الثانية هى التى ذكرتها المسألة الأولى .

وفى حلول بعض هذه المسائل تعبيرات سريعة تتم عن شرح سابق أو عن طريقة محفوظة ، ومنها ما يقول « احسب ٨ إلى إيجاد ٦ (أى انسب ٨ إلى ٦) لأن هذه هى نصف الارتفاع » وعبارة « نصف الارتفاع » هنا خطأكتابى عن « نصف القاعدة » الذى كان استخراجه ونسبته إلى الارتفاع خطوة لازمة فى استخراج الزوايا والارتفاعات .

وكانت طريقة استخراج الزاوية تتم باستخراج نصف القاعدة ثم نسبته إلى الارتفاع ، ولما كانت نتيجة النسبة أقل عادة من الواحد الصحيح حين تتخذ مسائل المثلث والهرم شكل المثلث متساوى الساقين ، مما كان من شأنه أن يصعب الترجمة عنها بكسور مقروءة، فقد اعتادوا نتيجة لذلك على الترجمة عن مقدار الزاوية بنسبتها إلى ما كان يتضمنه الذراع المصرى من وحدات تتمثل فى سبع قبضات أو ثمانية وعشرين إصبعاً ، وبمعنى آخر أصبحت طريقتهم قريبة من القانون التالى : ½ القاعدة : الارتفاع = الزاوية : ٧ قبضات أو ٢٨ إصبعاً .

الفصل الثالث عشر

دراسة المعلومات العامة

أولا – المعلومات الجغرافية

هذه التسمية وان تكن تجوزية وليس فى عناوين الدروس المصرية ما يذكرها صراحة ، إلا أن ثمة ما يبررها فيما تضمنته بعض هذه الدروس من موضوعات يتضح فيها الترتيب المقصود لأسماء مدن وأقطار ومنتجات طبيعية وزراعية وظواهر فلكية وأرضية . وقد يكون مما أتت به هذه الموضوعات ماهو سطحى أو خاطىء ، ولكن هذا لا يحول دون أن تعتبر من الدراسات الجغرافية المناسبة لعصورها القديمة .

وتظهر الموضوعات ذات الصبغة الجغرافية أكثر من وسيلة كانت تؤدى بالطالب إلى اكتساب ثقافته الجغرافية عن وطنه وعن الأقطار المتصلة به ، فمنها ما كان يحصله عن طريق تدريسها له فى مفردات يصل إلى اتقانها بحفظها ، ومنها ما كان يحصله فيما يتلقاه من الدراسات الأدبية وموضوعات الرسائل والرحلات الخيالية .

وكان من مصادر الدروس الجغرافية التى أخذت بطريقة المفردات فى عصر الرعامسة مجموعة أمنموبى (أمن م ابت) التى سبق التنويه عن ترجيح غرضها التعليمى ، والتى ذكر مؤلفها أنها تتناول « السماء بأحوالها ، (أو بأبراجها) والأرض وما فيها ، وما تلفظه الجبال ، ويغمره الفيضان ، من كل ما تشرق الشمس عليه وينمو على ظهر البسيطة » (١) وعلى نحو ما أوحت به مقدمة المؤلف هذه من اهتمامه بالمعلومات الجغرافية فبررت بذلك العنوان الذى ذكرناه آنفاً أولت مجموعته بالفعل لهذه المعلومات قسطاً وافياً من مسمياتها فذكرت لها حوالى الثلاثمائة اسم(٢) ، وذلك مما ينم عن أن المعلومات الجغرافية كانت من أهم المعلومات العامة التى اعتبرت أساساً لثقافة المعلم . ولو أنه للأسف لم يعرف بعد من الدروس الجغرافية التى أخذت عن مجموعة أمنموبى غير درس واحد للمدن المصرية ، ودرسين للمسميات الفلكية والطبيعية (٣) . أما فيما قبل عصر الرعامسة فلا يبعد أن مجموعة الرمسيوم التى شابهت مجموعة أمنموبى فى منهاجها (ص ٢٤١) كانت تقوم بدورها كمرجع تؤخذ عنه الدروس . وقد كان مدارها الأساسى هى الأخرى تعداد المفردات الجغرافية (٤) . ولو أنه لم يعثر حتى الآن على دروس أخذت عنها ، غير درس واحد مشكوك فى صبغته

---

(١) Golénischeff Onomasticon, I, 2-3 (and variants).

(٢) تذكر مجموعة أمنموبى من أسماء الظواهر الفلكية والطبيعية ٦٢ اسماً ، ومن أسماء المدن المصرية ١٠٦ أسماء ، ومن أسماء الشعوب والبلاد الأجنبية ٥٦ اسماً ، ومن أسماء الأراضى الزراعية والحاصلات ومنتجاتها ٨١ اسماً .

(٣) وذلك عدا دروس أخرى أخذت عن معلوماتها الباقية (تراجع ص ٣٣٢) .

(٤) تذكر مجموعة الرمسيوم ٢٩ مدينة مصرية و ١٧ اسما للحصون الجنوبية ، وتذكر من المحصولات والمنتجات المختلفة نحو ١٢٢ نوعاً ومن الطيور والأسماك والحيوانات ٤٨ نوعاً .

التعليمية يرجع إلى أواخر الدولة الوسطى ذكرت سطوره الباقيةسبعة أسماء من مفرداتها تتناول أسماء المدن ابتداء مما قبل أرمنت جنوبا حتى الرزيقات (؟) شمالا فى ترتيب جغرافى مقبول (١) .

وتوزعت الموضوعات الجغرافية ذات الصبغة الأدبية فى الكراسات وعلى اللخاف دون أن يعرف لها مصدر معين أخذت عنه ، إلا ما أخذ منها عن مهاجاة كاتب الجيش حورى لزميله أمنموبى وكانت تتضمن معلومات قيمة عن الأقاليم السورية .

وسيكون أساس البحث فيما يلى عدد من دروس التلاميذ والموضوعات التعليمية القصيرة لنستخلص منها ما يمكن استخلاصه عن وسائل تدريس المعلومات الجغرافية ومجهود المعلم فيها ومبلغ استفادة الطالب منها ، مع قليل من الاستشهاد بالأصول التى أخذت عنها وبما يخدم النواحى السابقة وحدها .

١ — معلومات الجغرافيا الداخلية :

وجد درس أخذ عن مفردات الجغرافيا الداخلية لمجموعة أمنموبى على لوح صغير لتلميذ يدعى « باشرى ن باستت » (٢) . وكتب باشرى هذا وجهى لوحه جميعا ، وبدأ على أحدهما بالمدن السبع الأولى من مدن الصعيد كما رتبتها مجموعة أمنموبى وهى : البجة وآبو وكوم امبو والسلسلة وادفو وبحدة (٣) مخن (نخن) . وميز هذا الدرس :

١ — أنه اتخذ عنواناً يفيد الغرض منه وهو كلمة مدينة « دمى »(٤) ، وقد كتبها سابقة لأسماء مدنه .

٢ — وضوح أثر المعلم فيه ، ويتبدى ذلك فى تغيير هجاء بعض كلماته عما وردت به فى بقية نسخ مجموعة أمنموبى . ومن ذلك كتابة دمى بدلا عن دميت وكتابة مخن بدلا عن نخن (٥) ، وكلاهما صحيح . ويبعد ان يكون هذا من عمل التلميذ وحده خاصة وأنه توجد فى الدرس الذى كتب على الوجه الآخر للوحه تعديلات أخرى من ذات القبيل ، وهو درس يذكر جانباً من تصنيف الناس وفقاً للجنس والنوع والحرفة .

٣ — أنه يغلب أن الدرس كان للحفظ ، وينم عن ذلك اكتفاء التلميذ بكتابة كل مدينتين فى سطر واحد مع أن السطر يتسع لأربعة أسماء أو خمسة ، مع تقدير أن الكتابة فى تنظيم وعلى مسافات متباعدة مما يساعد عادة على المراجعة والحفظ . وينم عن غرض الحفظ أيضاً فى هذا الدرس وفى الدرس الذى كتب

---

(١) See, Ann. du Serv., 1951, 159-162.

(٢) يحتمل إرجاع هذا اللوح إلى عصر الأسرة الثالثة والعشرين ، وبعداه : ٥و٢٨×١٣ سم ، ويوجد فى أعلاه ثقب لتعليقه ويميزه أن خطه الهيراطيقى شديد الشبه بالخط الهيروغليفى .
A.H. GARDINER, Ancient Egyptian Onomastica, Oxford 1947, I, p. 34. III, pl. XXV.
وانظر ملحق النصوص .

(٣) يرى جاردنر أن اسمى ادفو وبحدة لمسمى واحد ، حيث يقعان معاً على الضفة اليسرى للنيل ، وأنهما على التوالى يمثلان الاسم الدنيوى والدينى للمدينة

(٤) ونهجت نسخة GOLENISCHEFF Pap. نفس المنهج فقدمت لمدنها بكلمة « مدينة » بالمداد الأحمر .

(٥) GARDINER, op. cit. II, 7 وهجاء اللوح للكلمة « مخن » أقدم هجاء معروف لها .
(Wb. II, 132, 3)

على الوجه الآخر للوح ، أنه تخللهما يوم وأحد على الأقل دون كتابة حيث أرخ التلميذ نهاية أحدهما فى نهاية شهر ما وأرخ الآخر باليوم الثانى من الشهر الذى تلاه (١) .

ودرس باشرى هذا القصير ليس ما يحول دون أن يعتبر صورة لدروس أخرى كانت تأخذ عن نفس مجموعة أمنموبى وتدرس للتلاميذ لتعريفهم بأسماء المدن المصرية الهامة مرتبة من جنوب القطر إلى شماله . أما عن طريقة الحفظ التى رجحناها فى الدرس فليست فى حد ذاتها مما يؤخذ على الطريقة المصرية ، فأسماء المدن لا يمكن إلا أن تحفظ ، ولكن هل كان الحفظ وحده كفيلا بتكوين فكرة واضحة فى ذهن الدارس عن مواقع هذه المدن فى جغرافية بلاده ؟ ما من شك فى أن وقوع أغلب مدن الصعيد على النيل كان ييسر على من يحفظها بالترتيب من الجنوب إلى الشمال ، كما فعل باشرى ، أن يتصور تتابعها المكانى بعد أن يكون فكرته عن جريان النيل من الجنوب إلى الشمال وأهميته فى الوصل بين المدن وتيسير نشاط الحياة فيها (٢) . ولكن الصعوبة تتمثل فى معرفته على أى الضفتين تقع المدينة . وفى السبع المدن التى درسها باشرى كانت البجة وآبو جزيرتين فى النيل ، وكوم امبو والسلسلة تقعان على الضفة اليمنى ، وادفو وبحدة ونخن تقع ثلاثتها على الضفة اليسرى ، فهل كان التلميذ يجد من علم معلمه ما يوضح له هذا التوزيع ؟

الواقع أنه تصعب الإجابة عن ذلك بجواب شاف ، وإنما يمكن الاسترشاد بمجموعتى الرمسيوم وأمنموبى فى تبين الأمرين : مدى استغلال المؤلف (أو المعلم) المصرى لاتجاه النيل والتتابع المكانى للمدن القائمة عليه فى تصوير جغرافية بلاده بوجه عام ، ثم مقدار وضوح الصورة التى كان يخرج بها الطالب الفطن إذا تيسرت له دراسة كل معلومات المؤلف عن جغرافية بلاده . فأما مؤلف مجموعة الرمسيوم فقد كان كل جهده أن يرقم مدنه الواحدة بعد الأخرى من الجنوب إلى الشمال تأكيداً منه لتتابعها ، ثم أن يميز كل واحدة منها بما يحدد جانباً من جوانب شهرتها . وأما أمنموبى فكان أكثر منه استغلالا للنيل فى تصوير جغرافية بلاده وخصائصها العامة . إذ بدأ به الظواهر الأرضية (أو الطبيعية) فى مجموعته ثم استطرد منه إلى ما يتصل به من قريب أو بعيد (٣) ولما انتقل إلى المسميات الجغرافية العمرانية فى مصر تمثله فى حسبانه فرتب مدن الصعيد مع جريانه من الجنوب إلى الشمال ربما عن معرفة منه بأنه الشريان الطبيعى المؤدى إلى عمرانها . فلما انتهى من مدن الصعيد وانتقل إلى الوجه البحرى حيث تنقسم وحدة النيل إلى وحدات عدة وحيث تتوزع المدن فى وسط الدلتا وعلى جانبيها ، عمد إلى ذكر الفروع الثلاثة الرئيسية للنيل وهى النهر الغربى والنهر الكبير ومياه رع (٤) ، دون ما كان للنيل من فروع عديدة أخرى ، كما تخير من مدن الوجه البحرى ٢١ مدينة وموضعاً استطاع أن ينتهى منها فى وسط الدلتا وشمالها (الغربى) بذكر الشريط الساحلى المطل على البحر (٥) وانتهى فى شمالها وشمالها الشرقى إلى تل بلبم (؟) على الحدود الشرقية وعلى امتداد خط الشرق الخارج من

---

(١) GARDINER, op. cit. III, pl. XXII.

(٢) شيوع أثر النيل فى الاتصال والربط بين مدن الوادى أمر لاشك فيه ويدل عليه استخدام كلمتى الابحار فيه صعوداً وهبوطاً لكل سفر أو لكل اتجاه نحو الجنوب أو نحو الشمال . كما أن أثره فى حياة البلاد وتوزيع العمران فيها كثيراً ما رددته الأناشيد الدينية والأناشيد التى كانت تدرس فى المدارس ذاتها .

(٣) مثل النهر والبحر والموج والبحيرة والبئر وما إلى ذلك (On. Golénischeff, 1,7 f.)

(٤) عن احتمالات مقابلة هذه الفروع الرئيسية لما سمى فيما بعد بالفرع الكانوبى والفرع البليوزى أو البوباستى — يراجع GARDINER, op. cit. I. 152 f.

(٥) see, GARDINER, op. cit., II, 193 f.

بر رمسيس ، وبحيرة المنزلة (؟) وقلعة ثارو التي كانت تعتبر نقطة الفصل بين العمران في مصر وبين الطريق إلى فلسطين (١) .

وعلى ذلك فلا يبعد أنه كان بوسع الطالب الفطن بعد أن ينتهى من دراسة جغرافية المدن والنيل فى مجموعة أمنموبى ، بمساعدة معلمه ، أن يكون فكرة عامة عن بلاده المعمورة : تبدأ من البجة جنوباً وتنتهى إلى ساحل البحر المتوسط شمالا وشمالا بغرب ، وإلى مناقع البردى وثارو شمالا وشمالا بشرق . ويساير النيل امتداد واديه وعمرانه من الجنوب إلى الشمال إلى أن يبلغ نقطة الفصل بين الوجهين والتى قد يذكرها له معلمه على أنها منف أو برحعبى أو فم البحر (٢) ، فيتفرع إلى ثلاثة فروع رئيسية يقع العمران فيما بينها وفيما حولها (٣) . وهذه صورة جغرافية عامة لا بأس بها ، ولكنها لا تصور كل ما يجب أن يعرفه الدارس عن الوادى ولا تصور كل ما دونه المصريون عن الجغرافيا العامة لبلادهم . فهناك حدود مصر الغربية أى صحراء ليبيا بما فيها من واحات (٤) . وهناك لاستكمال المعرفة بالوادى ضرورة توضيح أبعاده العامة ، وقد دلت نقوش الآثار على معرفة المصريين للأبعاد الطولية منها على أقل تقدير ، إذ جعلوا طول الوادى من جنوبه إلى شماله ١٠٦ إترو ، أى فراسخ مائية ، (والإترو يوازى ٢٠,٠٠٠ ذراع أو ١٠,٥ ك.م وقد يعادل السخوينوس Schoenus اليونانى) ، ستاً وثمانين منها لما بين أسوان وبين برحعبى ، والعشرين الباقية لما بين برحعبى وبين بحدة (تل البلامون) فى شمال الدلتا . وذهب بعض الباحثين إلى أن المعرفة بهذه الأطوال ترجع إلى الدولة القديمة (٥) . وليس عندنا مايدل على ما إذا كانت هذه الأطوال تدرس للطلبة أم لاتدرس ، ولكن يلاحظ أنها أرقام كلية ويمكن أن يستوعبها الطالب بسهولة إذا ذكرها له معلم مطلع ، وأن كتابتها على الآثار تقطع بأنها كانت مكتوبة كذلك فى بعض دواوين الحكومة التى عرفنا أن منها ما كان

---

(١) اتجه أمنموبى أولا إلى شرق الدلتا وذلك فيما يبدو بأحد احتمالين : أن المدن التى ذكرها قبل تفرع النيل كانت تقع على الضفة الشرقية فاتجه بعدها فى نفس الاتجاه ، أو أن موقع عاصمة البلاد بر رمسيس فى شرق الدلتا كان هو الذى وجهه إلى الشرق . وذكر من مدن شرق الدلتا اثنتى عشرة مدينة تنتهى بتل بليم أو تل الشربيح (؟) ثم اتجه إلى وسط الدلتا فتخير منها خمس مدن ومواضع تقع أخراها بين بحيرتى البرلس والبحر ، ولأمر ما عاد إلى شرق الدلتا ثانية فذكر ثلاث مدن أو مواضع كانت أخراها هى بحيرة المنزلة وحصن ثارو . (On Gol. 5, 9 f.)

(٢) عن نسبة هذه الصفة إلى كل من المواضع الثلاثة : يراجع :
Pyr. 550 ; Pap. Sall. IVrt. 2,8 f. ; Pap. Ch.Beatty, 1, 8,9 f. ; K. SETHE, Urg. 109 ; Pap. Berlin 3056, 2, 3, f.; BRUGSCH, Grosse Oase, 27,33 f. ; CHASSINAT, in Bull. Inst. fr., III, 129 f.; WIEDEMANN, in P.S.B.A. XXII, 155 fr.

(٣) تتضح هذه النظرة العامة للوادى منذ الدولة القديمة فى مثل نقش ونى الذى يقول فيه «لقد كون جلالته جيشاً من مئات الألوف الكثيرة من الجنوب كله من آبو جنوباً (حتى) أطفيح شمالا ، ومن الوجه البحرى وجانبيه جميعاً »

(٤) هذه لأمر مالم يربط أمنموبى بينها وبين مدن الوادى وحدوده وإنما ذكرها على رأس قائمة الشعوب الأجنبية (On. Gol., 3, 16).

(٥) *See,* A.H. GARDINER, in J.E.A. XXX, 34 ; CHASSINAT, Edfou VI, 200 ; GRIFFITH, PETRIE, Two Hierogl. Pap., pl. IX, 9 ; BORCHARDT, Festchrift f. Lehmann-Haupt, Ianus, 1921, S. 179 f.

يتولى التعليم فيه أفراد من كبار أمناء الكتب والسجلات . ونضيف من أدلة اهتمام المتخصصين بمعرفة الأبعاد والمسافات بين المدن وبعضها فى الداخل والخارج ، أن سأل كاتب الجيش حورى زميله : « أين رفح ؟ ... وكم فرسخ (يمتد منها) حتى غزة ؟ أجبنى سريعاً ووافنى بالجواب أدعوك ماهراً .. »(١)

وبالانتقال من الاجمال إلى التفصيل فى تدريس المعلومات الجغرافية ، يلاحظ أن الطريقة التصويرية فى الكتابة المصرية يمكن أن تقدم احتمالات جديدة لتبرير الاعتماد على أسماء المدن فى تدريس المعلومات الجغرافية للقطر . فمن مخصصات بعض المدن الهامة ما يكاد يحدد ما تميزت به . ومن ذلك أن آبو كانت تخصص بصورة الفيل أحياناً وبصورة آنية الجرانيت أحياناً أخرى ، وان منف كانت تخصص بشكل الهرم ، وما إلى ذلك من مدن ذات مخصصات معبرة . واتبعت مجموعة الرمسيوم مدنها بمخصصاتها وكتبتها على مبعدة من ذات أسمائها لتكون أكثر وضوحاً عليها . أما مجموعة أمنموبى فلم تذكرها واكتفت عنها بمخصص المدينة العام . فإذا ترجح ما احتملناه من اعتبار مجموعة الرمسيوم تعليمية على نحو ما كانت مجموعة أمنموبى ، وصح أن العلامات التصويرية الهيراطيقية كانت تتضح للطلبة المصريين عندما يكتبونها أو يقرأونها على نحو ما تتضح العلامات الهيروغليفية ، وكان بوسعهم أن يترجموا هذه بتلك ؛ إذا تأكد كل هذا لأمكن احتمال أن كتابتهم لأسماء بعض المدن بمخصصاتها المميزة الواضحة كانت تثير لدى الأذكياء منهم رغبة التعرف على ما تدل عليه والسؤال عن سبب اختيار مخصص معين لمدينة ما أو إقليم ما بالذات . ويمكن افتراض أن سؤالا من تلميذ ذكى عن سبب تخصيص (جزيرة) آبو بالفيل ، كان يلقى من معلمه أحد الأجوبة التى افترضها له الباحثون قديماً وحديثاً ، ومنها : لأنه كانت توجد بها فيلة ، أو لأنه كانت تجلب إليها الفيلة من الجنوب (٢) ، ولأنه يتجر فيها بسن الفيل الذى يرد إليها من الجنوب(٣) ، أو لأنها فى مظهرها العام تشبه شكل الفيل (٤) ، أو لأن أهلها القدامى اتخذوا صورة الفيل رمزاً لهم . وإذا انصرف المعلم عن هذه الأسباب جميعاً استطاع أن يجيب بأن ذلك للتشابه اللفظى بين اسم الجزيرة وبين لفظ الفيل أو سن الفيل . ويمكن افتراض أن سؤالا آخر عن سبب تخصيص اسمها أحياناً بصورة قدر جرانيتية ، كان يجاب عليه بأنه لوجود أحجار الجرانيت بها ولأن كلمة الجرانيت كانت تخصص بنفس العلامة . ويجرى مجرى ذلك تخصيص منطقة منف بصورة الهرم وما كان يمكن أن يتيحه ذلك للمعلم ليظهر معرفته لتلميذه بالتاريخ والجغرافيا معاً ، ثم تخصيص اسم منطقة أبيدوس بعلامة المنطقة الجبلية مما يوحى بالحديث بأنها مقر الموتى التى يرقد فيها أوزير وفراعنة مصر الأوائل – والتى يحج الصالحون إليها ويتركون بها نصباً بأسمائهم تبركاً . ويحتمل أن تخصيص اسم مدينة نخب بعلامة تعبر عن النطرون كان مما يشير إلى إنتاجها له ، وأن تخصيص اسم منطقة السلسلة بصورة شراع مطوى كان مما يشير إلى صعوبة الملاحة بالشراع عندها لضيق مجرى النيل وسرعته فيها ، وأن تخصيص اسم مدينة أخميم بصورة بناية معينة كان مما يشير إلى شهرة هذه البناية فيها وإلى ارتباطها بمعبودها مين ... ، وهلم جرا(٥) .

---

(١) GARDINER, Literary Texts of the N.K., p. 29.

(٢) PLINY, N.H.V., 59.

(٣) GARDINER, Onomastica, II, 4.

(٤) HERODOT, II, 118; STEINDORF, in Proc. S.B.A. XXX, 206 f.

(٥) see, SETHE, Urg., 151-152; GAUTHIER, in Kemi, II, 41 f.

وليس من حاجة إلى استدراك بأنه لم يكن لكل مدينة شهرة مميزة يرمز إليها مخصصها ، أوأن هذا المخصص المميز كان يلازم كتابة اسم المدينة دائماً فيثير انتباه التلميذ ويفرض على المعلم البحث والتقصى ، فمجموعة أمنموبى ذات الغرض التعليمى لم تأخذ بما أخذت به مجموعة الرمسيوم واكتفت كما ذكرنا بمخصص المدينة العام .

ومما ينم عن أن التفاصيل الجغرافية كان يفترض فى المثقف الناجح أن يعرفها أن يقول حورى لزميله : « تعال أحدثك بما لا يبعد عن حصن ممرات حور (وقد يعنى حصن ثارو) سأبدأ لك بقرسسى (أى مدينة برمسيس) ألم تطؤها قدماك قط ؟ .... تعال أذكر لك « حتّن » أين حصنها ؟ تعال أحدثك عن منطقة وازة (بوتو) رمسيس وعن دار انتصارات وسر ماعت رع وعن سب الوعن اب ستب . وسأحدثك عن حال عينى ألا تعرف وضعها ؟

.... أين رفح ؟ وما الذى يشبهه جدارها ؟ »(١)

وكان للدين أثره فى شيوع أسماء المدن الهامة بين المثقفين نتيجة لارتباط أسماء الآلهة عادة بأسماء المدن التى يعبدون فيها ، فى أذهانهم وفيما يكررونه من نصوص الدين ، فى مثل قولهم: أوزير رب جدو ورب أبجو ، وتحوتى رب الأشمونين ، وحتحور ربة دندرة وأطفيح ... ، وكان من نقوش مقابر الأفراد ما يجمع عدداً من أسماء الآلهة ومدنهم ، وتبدو هذه الظاهرة بصورة أوضح فى نقوش المعابد ومناظرها حيث يذكر مع اسم كل معبود اسم إقليمه أو اسم مدينته الكبرى وحينذاك ترتب الأقاليم ومدنها بترتيبها الجغرافى الصحيح ، أو تصور رموز الأقاليم تتقدم بقرابينها إلى صاحب المعبد ويشفع اسم كل إقليم منها ورمزه باسم معبوده ورمزه ، ويكون ذلك مما ينبغى أن يلم به الخطاط الرسام فى مرحلة تعليمه .

أما عن دراسة حاصلات البلاد ومنتجاتها وطيورها وحيواناتها ، فكثيراً ما كانت تتداخل فى الدراسات الأدبية مثل موضوعات الإنشاء وصياغة الرسائل . فإذا أنشأ المعلم أو تلميذه وصفاً لمدينة رئيسية عنى فى وصفه لها عناية كبيرة بذكر ما ينتج فيها من فواكه وزروع وما يرد إليها من طيور وأسماك وغلال . فالعاصمة بر رمسيس كما جاء عنها فى كراسة الطالب بايبس وكراسة طالب آخر مجهول الاسم وعلى إحدى اللخاف(٢) : « مروجها مخضرة بالكلأ وشطئانها محملة بالتمر ،... الرمان والتفاح والزيتون والتين من البساتين ، والخمر اللذيذة من كنكمة تفوق (مذاق) الشهد ، وسمك ادج الأحمر من بحيرة ... ، وسمك بدن من بحيرة نهر ، وسمك برى مختلطاً بسمك بج وسمك .... من بحيرة بهرة وسمك عدج من .... وسمك هوثن من مقدمة مياه جميز عالى الهمة (؟) .... والطيور من منطقة الماء البارد . بحيرة حور فيها الملح ، وبحيرة حور (أو باحير ؟) (٣) فيها النطرون . تكفل لها مستنقعات البردى (بحيرة المنزلة ؟) سيقان البردى ، وتكفل لها بحيرة حور سيقان الغاب » .

ولايبعد أن المؤلف الحقيقى لهذا الموضوع الإنشائى معلما كان أوطالباً، كان أصلا من بررمسيس ذاتها أى أن تصويره الجغرافى لها كان تصويراً محلياً بحتاً ، ومع هذا فيلاحظ أن معظم ما ذكره عن خيرات

---

(١) *see*, GARDINER, op. cit., 29, n. 11 ; AeZ, XLIII, 72 f.

(٢) Pap. Anast. III, 1,11 f. ; Pap. Rainer 53 ; Ost. Queen's Coll. Oxford

(٣) Anst. III, 2, 9. Ost. Queen's Coll. Oxford, *see*, GARDINER, Miscellanies, p. 22a 1.9 ; p. 23 1.1.

بر رمسيس يتكرر فى الرسائل الأخرى التى تناولت المنتجات المصرية ، فالغلال والفواكه والطيور والأسماك كانت خيرات مشاعة فى القطر ، والملح والنطرون والبردى كانت مما تستورده كل مدينة بالقطر ، ولهذا يتكرر من أنواع السمك السبعة المذكورة فى وصف بر رمسيس خمسة على الأقل من بين اثنى عشر نوعاً تذكرها رسالة نموذجية فيما يجب أن يعد أمام الفرعون فى أحد الأعياد (١) . وتتميز هذه الرسالة الأخيرة باتساع مصادرها فتذكر من مصادر أسماكها بحيرة موريس وثارو .

ومن الطبيعى أن يكون للطبيعة المصرية ومطالب الحياة القديمة الأثر الأول فى تبويب هذه المعلومات وذكر المهم الشائع منها فى شىء من التفصيل . ففى المصادر وفى الموضوعات التعليمية تتعدد أسماء أنواع الأوز والبط والسمك ، فتذكر مجموعة الرمسيوم ١٩ نوعاً للسمك و ١٢ نوعاً من الطيور الأليفة (٢) ، ويذكر وصف بررمسيس سبعة أنواع من السمك وتذكر رسالة الإعداد لمقدم الفرعون ١٢ نوعاً ، وتذكر رسالة من الضرائب التى كان على الطالب تسجيلها مع محصلى الضرائب سبعة أنواع من الطيور (٣) . وهذا التعدد يبرره من الناحية الطبيعية كثرة ماكان بالبلاد من البحيرات والبرك والغدران وأحراج البردى وماكان يتزلها ويعيش فيها من صنوف الطيور والأسماك ، ويبرره من الناحية الاجتماعية اعتماد الطبقات الفقيرة على أكل السمك اعتماداً كبيراً ، وان جانباً من المرتبات الصغيرة كان يصرف من أنواع الطيور (٤) ، ويبررها أخيراً أن الطيور كانت مما يفضل لأضاحى المعابد وقرابينها . وللاعتماد الكبير على الماشية فى الحقل وفى النقل ، فضلا عن أهميتها الكبيرة للأضاحى ، ذكرت مجموعة الرمسيوم منها عشرين نوعاً ميزت كلامنها بلونه وخاصيته وقدمت لهذه الأنواع برموز تدل عليها ، ويحتمل أنها كانت تستخدم فى القوائم الحكومية ثم يعقبها ما يفسرها . وذكرت لها الرسالة التى كلف التلميذ فيها بتحصيل الضرائب ستة أنواع (٥) .

وقيام اقتصاديات البلاد على الزراعة وحاصلاتها من الحبوب الغذائية بوجه خاص ، جعل المصادر والموضوعات التعليمية تهتم بأنواع هذه الحبوب وتسهب فى ذكر منتجاتها . فبعد أن تذكر مجموعة أمنموبى سبعة أنواع من الأراضى الزراعية (٦) تذكر من الحبوب الغذائية ١٧ صنفاً (٧) ، وتهتم بمنتجاتها من الخبز والجعة (شراب الشعير) اللذين كان يتكون منهما الغذاء للغالبية العظمى من أهل البلاد والجانب الأكبر من القرابين ، فتذكر من أنواع الخبز نحو أربعين نوعاً (٨) ، فى حين تذكر مجموعة الرمسيوم ٣٦ صنفاً لاتشترك الأولى معها فى أكثر من ثلاثة أصناف (٩) . ومن الرسائل المدرسية تذكر رسالة ما يجب أن يعد أمام الفرعون

---

(١) Anast. IV, 15,6 f

(٢) A.H. GARDINER, Onomastica, vol. III, pl. IA-IIA.

(٣) Pap. Ch. Beatty V rt. 8, 8 f.

(٤) ERMAN, RANKE, Aegypten, 137,

(٥) Pap. Ch. Beatty V, 8, 7 f.

(٦) On. Gol., 6,4 f.

(٧) فيها من الحنطة سبعة أصناف

(٨) Ibid., 6,10 f.

(٩) GARDINER, op. cit., vol. I, p. 14.

عشرة أصناف (١)، ويذكر درس على لوح مدرسى أربعة أصناف (٢) ، ومن أصناف المشروبات تذكر مجموعة أمنموبى ٢٠ صنفاً تعصر محلياً من الحبوب والفواكه . (٣)

ومن نماذج الرسائل العملية التى تضمنتها دراسة الرسائل ما يتعدى ذكر المنتجات الزراعية إلى ذكر المنتجات الطبيعية والمصنوعات ، ففى إحداها يطلب المعلم من تلميذه أن يكون على معرفة بحجر الصعيد الأخضر الكريم وبجرانيت أسوان وأن يتعرف على « منتجات الواحة التى لاحصر لها » (ص ٣٢٥) (٤) : وفى رسالة أخرى يطلب المعلم من تلميذه أن يتجه إلى الجنوب لتحصيل الضرائب من رعاة (؟) موائد قرابين أمون رع ، من نحاس ورصاص وشمع وعسل وخيوط وقماش سميك وقماش (عادى ؟) وأثواب من القماش الصعيدى الرقيق ، وأثواب « جايت » من قماش ناعم ، ومربعات من قماش ناعم ،.. وكل الضرائب المطلوبة لخزانة أمون رع ملك الآلهة » (٥) . وفى أعقابها مباشرة يطلب المعلم منه ثانية أن يلتفت لإعداد جميع الأشياء (المطلوبة) للمعبد من كل ممتلكاته ، وهنا يعدد له سبعة أنواع من الحيوانات ، وستة أنواع من الطيور ، وكثيراً من أنواع الحبوب والفواكه ، ثم يضيف « وبردى ومداد وأقلام بوص ومعدن أسود ورصاص ، و ... أحمر ، وأصفر ، وأزرق ، وأخضر مختلط ، وآو ؟ ، وكل ما ينبغى لخزانة أمون رع ملك الآلهة »(٦) .

وليس من الضرورى أن نعين غرضاً واحداً لمضمون الرسالتين الأخيرتين ، فقد يكون من أغراضهما تجويد الهجاء أو تجويد الخط ، ولكن يمكن أن نتبين أن غرض التعريف بالمنتجات هو الغالب على الأغراض المحتملة جميعها . وإذا كانت الرسالتان من إنشاء المعلم حقاً ، أو على الأقل وجههما إلى تلميذه على هذا الأساس فإنه ما من شك فى أن صرف ذهن الطالب إلى رحلة خيالية نحو الجنوب يقوم فيها بتحصيل الضرائب لخزانة أمون رع ملك الآلهة ، ثم صرفه ثانية إلى الظن بأنه مكلف أو سيكون مكلفاً بتجهيز جميع ما يحتاجه المعبد من كافة ممتلكاته ، كلاهما كان من شأنه أن يثير فيه الاهتمام والشوق للكتابة وللحفظ ، وذلك إذا ما أجاد المعلم إملاء المقدمتين وكان فطناً بالفعل إلى ما فيهما من طابع التشويق .

وثمة ناحية أخيرة نشترطها الآن لاستكمال تصور الدارس لجغرافية بلاده ولوضعها العام ، وتتمثل فى ضرورة اهتدائه إلى تصور بلاده كوحدة (جغرافية) متميزة لها قوميتها الواضحة وذلك من حيث التجانس بين أهلها فى الخصائص الجنسية واللغوية وفى التقاليد . وهذه مبادئ لسنا ندرى شيئاً يتصل بتدريسها فى مصر القديمة ، ولكنا نعرف من ناحية أخرى أن طبقات المثقفين كانت مدركة لها . فقدكان يدركها الحكام حين يصرون على توحيد الأقاليم المصرية جميعها ، وحين يفرقون فى الحرب بين الخارجين عن الوحدة من

---

(١) Pap. Anast. IV, 13, 12 f.

(٢) The University Coll. Writing-Board (Onomastica, vol. III, pl. XXIII.

(٣) On. Gol., 7, 3 f.

(٤) ما تبقى فى هذه الرسالة يتعلق أهمه بمنتجات لأقطار خارجية ولهذا أجل تفصيل ما فيها إلى ص ٣٢٥ .

(٥) Pap. Ch. Beatty V, 7, 12-8, 6

(٦) Ibid., 8, 6-14.

ويراجع تعليق جاردنر على أهمية معرفة الكاتب بهذه المنتجات المختلفة .

A.H. GARDINER, Hieratic Papyri, 3rd series, vol. I, p. 48.

أهلها وبين أعدائها من الأجانب (١) ، وحين يصدرون النظم الموحدة لطوائف السكان جميعهم (٢) . وكان يدركها الكتاب حين يكتبون قصصهم وآدابهم (٣) . وكان يدركها الفنانون فى تصويرهم لمواطنيهم جميعهم بملامح متقاربة وفى تقاليد موحدة بما يعنى أنهم كانوا يدركون أن الفروق الشخصية بين الأفراد لم تكن غير فروق عرضية وان التنوع بينهم تنوع داخل الواحدة ، فى حين كانوا يميزون فى وضوح بين صورهم وبين صور من عداهم من الشعوب .

٢ — المعلومات عن الأقطار و الشعوب المجاورة :

كانت أوفر الأقطار والشعوب الخارجية حظاً من دراسة المعلمين والتلاميذ المصريين هى بلاد النوبة والأقطار السورية ، نظراً لقربها وقدم الاتصال بها ، ولأنها بقيت فى نطاق الإدارة المصرية آماداً طويلة فعرف المصريون عنها أكثر مما عرفوه عن غيرها . وفضلا عما كان يدرس عن النوبة وسوريا تضمنت بعض الدروس معلومات أقل تفصيلا عن أقطار وشعوب أخرى اتصلت مصر بها عن طريق التجارة حيناً وعن طريق الحرب حيناً آخر .

وإذا كان من شأن بعض هذه الأسباب التى وصلت بين مصر وبين جيرانها مايدعو المثقف المصرى الذى

(١) تبدو هذه التفرقة بوضوح فى نقوش قاعدة تمثال زوسر حيث يضع الملك قدميه على تسعة أقواس ترمز إلى الشعوب والجماعات الأجنبية المغلوبة ، فى حين مثلت على مبعدة منهم ثلاثة من طيور الزقزاق « رخيت » معكوسة الأجنحة وكأنما تقدم له الولاء أو الخشوع ، ولكنه خشوع ليس فيه المهانة التى تتبدى فى الأقواس التى وطئها بقدميه (see, GUNN, in Ann. S. XXVI, 177 f.) وتظهر نفس التفرقة بصورة أخف فى مقمعة الملك العقرب حيث فصل فنانها بين رموز فئات من الشعب (عبر عنهم نفس الطائر الزقزاق) وبين رموز لفئات من الأجانب (عبر عنهم بصور الأقواس) J.E. QUIBELL, Green, Hierakonpolis, I, pl. XXV, XXVI C.; K. SETHE, in AeZ., LVI, 47 f.).

وتتضح التفرقة كذلك فى المقارنة بين صلاية نعرمر من ناحية حيث يظهر الملك فى شىء من الحزم المقرون بالرحمة والعطف وهو يمسك برأس عدوه المصرى ، وبين نقوش وديمو وسخم خت من ناحية أخرى وكل منهما يهوى بقسوة وعنف على رأس عدوه البدوى (.QUIBELL, op. cit., II, pl. XV محمد أنور شكرى : الصلايات ، تطور أشكالها ونقوشها وما توخاه فيها المصريون من أغراض ، القاهرة سنة ١٩٥١ ص ٤٤ و ٤٥) .

وليست هى رحمة الفراعنة بشعبهم وتقديرهم أنهم منه هى ما تستخلص وحدها من هذه الصور جميعها ، وإنما هو تقدير الفنان الذى هو من صميم الشعب ومن متعلميه لهذه الحقيقة ، حقيقة وحدة بلاده وضرورة التفرقة فى المعاملة بين أهلها وبين الأجانب عنها .

ويحس خيتى ملك أهناسيا فى تعاليمه لابنه مريكارع بنفس الإحساس فيندم على مقاتلته لأهل الجنوب مواطنيه على الرغم من مناهضتهم له ويعيذ ابنه أن يخطئ خطأه ، فى حين يفخر بأنه جعل الدلتا تحارب الآسيويين الذين يقول عنهم : « تعست البلاد التى يحلون فيها » ويأمر ابنه بمقاتلتهم بكل قوته (ERMAN, Die Literatur, 114-15 ; 116

ومثل هذا التقدير السليم لوحدة البلاد وأهلها ، لم تعرفه مثل بلاد الإغريق القديمة إلا بعد انقضاء عهود طويلة من عصورها الزاهرة .

(٢) يجدر بالذكر أنه حتى فى عهود تفكك الوحدة السياسية فى مصر القديمة ظلت الوحدة القومية قائمة ، فليس فى نقوش تلك العهود ما يدل على أن أهل إقليم أنكروا على أهل إقليم آخر مصريتهم أو حرموهم من النزول لديهم أو سلكوهم فى سلك الأجانب عنهم إلا فى فترات استثنائية قصيرة طارئة .

(٣) تراجع ص٣٣٩

يدعى أنه ما من شيء يجهله إلى أن يتعرف على شيء من الخصائص العامة لسكانها ومبلغ عمرانها وخيراتها الطبيعية والمصنوعة ، فإن الطلبة الذين كانت المدارس تعدهم ليكونوا من كتاب إدارات بيت المال والقصر والجيش ، وتمنيهم بأن يوفدوا فى المهمات ويصبحوا من مساعدى الحكام أو يصبحوا حكاماً ، كانوا أولى بأن تهيأ لهم المعرفة بهذه الخصائص إجمالا أو تفصيلا .

ويبدو أن بعد المسميات التى كان على الطالب أن يستوعبها ليكوّن معلوماته عن هذه الأقطار والشعوب ، فى جرسها ولفظها ، عما اعتاده من المسميات المصرية ، قد دعا المعلمين إلى أن يستعينوا فى دروسها بالتنوع والتشويق على نحو أوسع مما اعتادوه فى دروس الجغرافية الداخلية ؛ فمن موضوعاتها يتضح أنه كان من وسائل تدريسها : صياغتها فى هيئة رسالة من رئيس إلى مرءوس ، وتضمينها فيما يشبه الرحلة الخيالية ، وذلك إلى جانب كتابة مفردات أسماء البلدان والشعوب وحفظها .

ويتميز من الموضوعات التى أخذت بالوسيلة الأولى ثلاثة موضوعات ، نبحث ما تضمنته من اتجاهات تعليمية على أساس ما يمكن أن يستغله منها المعلم المطلع وما يمكن أن يستفيده منها الطالب الفطن . وذلك بغير ضرورة إلى افتراض المثالية والفطنة فى كل معلم درسها وكل تلميذ كتبها .

والموضوع الأول تضمنته رسالة تداولتها ثلاث كراسات واحدى اللخاف(١) . وقد صيغت الرسالة على لسان حاكم كاش (النوبة العليا) إلى أحد أتباعه من الرؤساء النوبيين يأمره فيها بإعداد الجزى التى ينبغى أن ترسل إلى مصر ، موضحاً له فى اسهاب ما يجب أن تشتمل عليه من حيوان ونبات ومنتجات وارقاء . وفى بداية الرسالة يلقب الحاكم تابعه بلقب « حامى قومه » وهو لقب غريب عن الألقاب المصرية ، وندع ما يمكن أن تؤديه هذه الغرابة بالنسبة للدرس إلى ما بعد سطور لنبدأ بمعلومات الرسالة ، وفى هذه المعلومات شيء غير قليل من الحشو وغموض التفاصيل ، ومع ذلك فإنه لا يصعب الاستفادة منها بصورة عن بعض قبائل النوبة ومنتجاتها وحيواناتها ذات شبه ملحوظ بما يخرج به تلميذ اليوم الذى أتم مرحلته الابتدائية من دراسته لجغرافية الجنوب . وذكرت الرسالة أنواع الجزى فى مجموعات ، فبدأت بطلب الحيوانات الأليفة وهى المواشى« وثيرانها الفتية وعجولها قصيرة القرون »(٢) ثم الحيوانات البرية وهى « الغزلان والماعز الجبلى (؟) والوعول والنعام » (٣) ثم عقبت بالمنتجات الطبيعية وبدأتها بالذهب ولأهميته فصلت أنواعه (٤) ، فمنه « الذهب الوفير المطروق المشكل » ، ومنه ما هو « إبريز صاف » ، ومنه « تبر غفل من نوع جيد مستخرج من الصحراء » . وعقب الذهب ذكرت « العاج والأبنوس وريش النعام »(٥) . وهنا أعوزها ترتيبها الطريف للمعلومات الجغرافية فى سطرين جمعت فيهما عدداً من منتجات النوبة وثمارها بأسمائها المصرية حيناً (مثل النبق والصمغ) وبأسمائها النوبية حيناً آخر (مثل شقر قباى ، ومنخس ... ، وشس التى تشبه جلد الفهد .... »(٦) ، ولكنها عادت بعد ذلك إلى ترتيبها فذكرت من

(١) Pap. Koller, 3,3 f. ; Pap. Turin Crt., 2,3 f. ; Pap. Turin D, 1-2 f. ; SPIEG., Hier. Ost., 39 a.

(٢) Pap. Koller, 3,5-6

(٣) Ibid., 3,6

(٤) Ibid., 3,7 f.

(٥) Ibid., 3, 8-4, 1.

(٦) Ibid., 4,1 f.

الأحجار الكريمة « حجر الدم واليشب الأحمر والجمشت والبللور الصخرى »(١) وعقبت ببعض الحيوانات مثل « قطط ميو والقردة والنسانيس » (٢) ثم بدأت وصفاً حياً لبعض قبائل النوبة لاختيار أرقاء منها يهدون إلى الفرعون فيما يهدى إليه من الجزى (٣) ، فمنهم « الايرميون وفيرو ائعدد (الذين يسيرون) فى مقدمة الجزى ، وعظماؤهم بعصيهم المطعمة بالذهب ... ثم عقبت بألفاظ بربرية فى وصفهم أو وصف زينتهم . ومنهم التوارك (؟) مديدو القامة ذوو المراوح المذهبة وذوو الريش العالى والأساور المجدولة (؟) . ثم زنوج عديدون من كل جنس (٤) .

ذلك هو الجانب الوصفى للرسالة ، وهو كما يبدو أبعد من أن يقتصر غرضه على تعلم الهجاء أو الأدب الخالص ، وأقرب إلى أن يستهدف الإفادة بمعلومات عن بلاد النوبة مع الاهتمام بوجه خاص بتعداد ما يصل إلى مصر من خيراتها . والواقع أن هذا العامل الأخير أى عامل الاهتمام بتعريف الطالب والكاتب المساعد (سواء أكان فى إدارة بيت المال أم فى غيرها من الإدارات) ، بما يدخل خزائن الدولة من واردات النوبة هو الأقرب إلى أن يكون العامل الرئيسى فى صياغة الرسالة وتدريسها ، الأمر الذى لا ينكر معه غلبة الطابع العملى لدى مؤلف الرسالة أو مدرسها ، دون استهداف المعرفة (الجغرافية) من أجل المعرفة (الجغرافية) وحدها . بيد أن الروح العملية التى وجهت مؤلف الموضوع أو كاتبه لم تصرفه عن صياغته فى قالب مقبول ييسر هضم معلوماته ويكفل التشويق إلى دراستها . وقد تبينا من التيسير أنه حاول ترتيب معلوماته فى مجموعات متتالية ، وتجميع المعلومات وترتيبها كانا دون شك يساعدان الدارس على فهمها وحفظها ان طلب ذلك منه ، وان كان يلاحظ مع ذلك أنه لم يهتد إلى تمييز مجموعاته بعناوين مميزة أو بالفصل بينها بفواصل ظاهرة(٥).

وتتمثل عوامل التشويق فى الرسالة فى الصياغة الأدبية لبدايتها ونهايتها وفى حيوية التفاصيل فيها. فقد وجهت البداية كما تقدم إلى حاكم وطنى لقبته بلقب « حامى قومه » (٦) ولعل غرابة هذا اللقب عما اعتاد الطالب سماعه من الألقاب المصرية كانت كفيلة فى حد ذاتها بأن تشعره بأنه مقدم على دراسة بيئة غريبة عن بيئته (٧) . أما نهاية الرسالة فقد صيغت بما يعيد الطالب من جو الصحراء والغزلان والوعول والنعام ، وجو الغابات والقرود والنسانيس إلى جو الحضارة والمجد فى مصره الفرعونية ، وقد بلغت الغاية فى حيوية الوصف إذ تقول : «وتذكر يوم احضار الجزى ، وإذ تمر أمام (مولاك) تحت الشرفة والعظماء مصطفون على الجانبين أمام جلالته ، وإذ حكام كل قطر أجنبى ورسله واقفون يستعرضون ويتقدون (؟) الجزى ،

(١) Pap. Koller, 4, 2-3.

(٢) Ibid., 4, 3

(٣) Ibid., 4, 3.

(٤) A. ERMAN, op. cit., 263-4.

(٥) من صور العناوين المميزة فى الموضوعات الجغرافية أن عنونت مجموعة الرمسيوم أسماء الحصون الجنوبية بعبارة «منو ن ... » وكررت هذه العبارة ثلاث مرات بما يوازى الأسطر العرضية فيها ١٧١ – ١٧٣ ، ١٧٧ – ١٧٩ ، ١٨٠ – ١٨٢ (Onomastica, III, pl. IIA) تراجع كذلك ص ٣٢٥ ، وتشيع فكرة الفواصل الظاهرة فى نظام الفقرات الذى تميزت به القطع الأدبية .

(٦) Pap. Koller, 3, 4. « مكى رمثوف » انظر ملحق النصوص .

(٧) يذكر من أمثلة استخدام أسماء وألقاب حكام الأقطار الخارجية فى الدروس بداية خطاب تضمنتها لخفة صغيرة بمتحف القاهرة (Cairo, 25807) ووجه الخطاب باسم اينتسوب أمير قرقميش وهو فى الغالب خطاب خيالى .

وإذ أنت وجل ترتعد ويدك مهدلة لاتعرف موتاً ينتظرك أم حياة ، وتحاول أن تتجلد حينذاك بأن تتضرع إلى آلهتك أن سلمونى وانقذونى هذه المرة من يد الفرعون مولانا الاله الخير » . (١) ولم يخل صلب الموضوع من تفاصيل حية ، ومنها أن يصف التبر بأنه « تبر غفل جيد مستخرج (؟) من الصحراء » ثم يشترط أن يوضع فى حقيبة من كتان أحمر ، وأن يصف ثمار النوبة بأنها تشبه جلد الفهد ، وأن يعرض لوسائل السفر حين يحض المرسل إليه على العجلة فيذكر أن صنادلها (صنادل الجزى) ودواب الجر ،وسفنها ، على أهبة الاستعداد ، وأن بحارتها وملاحيها مجهزون للرحيل .

وبالمقارنة بين النسخ الأربع لهذا الموضوع يبدو أن تدريسه لم يلتزم طريقة واحدة، ففيها قرائن الإملاء وتتضح فى الحذف والاضافة فى ألقاب المرسل والمرسل إليه بين نسختين (٢)، وفى التقديم والتأخير لبعض العبارات (٣)، واستبدالها بتعبير تعبيراً آخر (٤) ، ولو أن هذه الاختلافات جميعها قد تصح عن إملاء إذا كانت من تصرف المعلم وقد تصح عن كتابة عن ذاكرة إذا كانت من عمل الطالب . وتتضح قرائن النسخ من تكرار بعض الكلمات عند الانتقال من سطر إلى سطر فى بعض النسخ (٥) .

وأخيراً فليس من حاجة إلى تعقيب طويل للإشارة إلى أن تفصيل كاتب عصر الرعامسة فى رسالته عن أحوال النوبة لم يكن شيئاً جديداً فى معرفة المصريين بتلك البلاد وما وراءها من بلاد السودان وبلاد بونت، فقد كانت معرفتهم بها قديمة وتفصيلية ، مما تشهد به النصوص القديمة وما سجله الفنانون من صور أهلها وقراهم ومساكنهم وحيواناتهم ومزروعاتهم (٦) . .

ويتكون الموضوع الجغرافى الثانى الذى صيغ بهيئة الرسالة ، من أربع صفحات كاملة وجهها الكاتب بتاح مويا إلى الكاتب أمون هر وأنبه فى أولها على انصرافه عن الدراسة بقوله: «لقد سمعت أنك أوليت ظهرك للأقوال المقدسة » وذلك مما يرجح كونه معلماً يتحدث إلى تلميذه (٧) . ثم استرسل بعد ذلك فى ذكر طائفة من المعلومات المرتبة عن منتجات داخلية وخارجية (٨) ضاعت أغلب كلماتها ولكن أمكن تلخيصها بما يلى :

---

(١) Pap. KOLLER, 5, 1 f.; A. ERMAN, op cit., 264.

(٢) تحذف Ost. Spiegl. 39 لقباً للمرسل، وتضيف إلى ألقاب المرسل ألقاباً أخرى انظر ملحق النصوص .

(٣) فى Pap. Koller توصف بعض ثمار النوبة بأنها مثل «لون فهود الصعيد» وتأتى بعد مجموعة الذهب والعاج والأبنوس ، فى حين يبدو مما بقى من العبارات القليلة فى (Turin C.; D) أن مجموعة الثمار تسبق مجموعة الذهب والعاج .

(٤) Compare: Pap. Koller, 5,2, with Turin C, vs. 1,8.

(٥) Pap. Koller, 4, 4-5; 4, 7-8.

(٦) يذكر خوف حر من قبائل النوبة إيام وإررثت ومعخر وترس وإرثت وسثو وواوات (Urk. I, 124 f.) ويذكر ونى : إررثت ومحسيو ومجا وإيام وواوات وكاو (Urk. I, 101)

وتدل مناظر الدير البحرى ونصوصه عن بلاد بونت على معرفة صادقة بتلك البلاد، فأشجارها متكاثفة ومن حيواناتها القردة الكبيرة والقردة ذات الذيول الطويلة والفهود وكلاب الصيد ، ومن منتجاتها المر والأبنوس والعاج والذهب الأحمر وأنواع البخور — وأكواخ أهلها مخروطية تقام على عمد ويصعد أهلها إليها على سلالم متنقلة ، ومن الخصائص الجنسية لنسائها بروز العجز .

(٧) Pap. Ch. Beatty IVvs. 7, 3 f. وفى الصفحات الأربع حوالى ٦٠ سطراً .

(٨) يشبه هذا الموضوع فى الجمع بين المعلومات الجغرافية الداخلية والخارجية الموضوع التالى ص ٣٢٦، وعن الخلط بين موضوعات الدراسة دون الفواصل القاطعة بينها يراجع فصل المناهج التعليمية .

مجموعة أولى تذكر منتجات المحاجر والمناجم منسوبة إلى مصادرها أو موصوفة بالهيئة التي ترد بها . فيذكر مثلا : « حجر الصعيد الأخضر الكريم » ثم ينسب عدداً من الواردات الخارجية إلى كل من دول خاتى وكريت وأشور (١) .

ومجموعة ثانية أو أكثر من مجموعة تذكر أنواعا متباينة من الزيوت والخمور والحيوانات والطيور وتلى ذلك مجموعة قصيرة يبدؤها المعلم بقوله : « (والآن) هيا إذاً إلى منتجات الواحة التي لا حصر لها » (٢) .

وبعدها يذكر أنواعاً مختلفة من أسماك البحار ، ثم يأخذ فى وصف مقدمى الجزى الذين يأتون « من كل بلد » بما فى ذلك « أراضى الرثنو » مقدمين الخضوع لجلالته . وينتهى من صفحاته الأربع يذكر جزى النوبة .

ومن الناحية التربوية يلاحظ فى هذه الرسالة :

١ — أن المعلم يعقب بعد تأنيبه لتلميذه مباشرة بقوله : «أنت يا قائد العالم الحاسب(؟) للجزى فى قصر الفرعون من فضة وذهب ولازورد « باجاو » وحجر الصعيد الأخضر الكريم ... الخ » وهذا التعقيب إن أحسنا الظن بهدف قائله — يمكن أن نعتبره مقدمة مقصودة تصل الطالب بموضوع درسه أو تبصره بفائدة ما يتعلمه لمستقبل حياته ، وإن أحسنا الظن باستجابة الطالب ، يمكن أن نقول إنه تعقيب كان يثير فيه الاهتمام والدراسة عن أمل ورغبة .

٢ — أنه يتخلل حديث المعلم عن منتجات المناجم والمحاجر عبارة تقول : « ولاحظ أنه لا تثريب عليك بخصوص ... » ، وهى عبارة أقرب إلى أن تعنى أنه مامن مسئولية عليك عن حفظ .. ، من أن تعنى إنك غير مسئول عن كتابة ... أو عن الإشراف على ... ، ومن المحتمل أن المعلم كان يملى حينذاك عن أصل قديم واستشعر كثرة أو صعوبة ما أملاه منه على تلميذه ولكنه لم يشأ أن ينتقص من محتوياته فذكر لتلميذه هذه العبارة تسرية عنه أو تبصيراً له بما يجب أن يحفظه وما لا ضرورة لحفظه .

٣ — أنه مع انصراف المعلم إلى ذكر « جزى قصر الفرعون » التى ترد له من البلاد الخاضعة واهتمامه بأوصاف مقدميها ، لم يحصر درسه فيها ، وإنما ذكر إلى جانبها المنتجات المحلية مثل « الجرانيت من آبو » وحجر الصعيد الأخضر الكريم » و « منتجات الواحة » . وليست هذه أو تلك من الجزى فى شىء ، وإنما هى معلومات عامة رأى أنه ينبغى أن يلم تلميذه بمعرفتها .

٤ — أن قوله « (والآن) هيا إذاً إلى منتجات الواحة التى لا حصر لها » فضلا عما فيه من تشويق ، يعتبر من العناوين الفريدة فى هذه الموضوعات ، ويدل على أن تدريسها كان مقصوداً بالذات . على أنه

---

(١) On. Gol., 4,5
وهناك درس قصير على لخفة ذكر نفس المنتجات التى تذكرها هذه الفقرة A.H. GARDINER, H. THOMPSON,
Theban Ostraca, 1911, A 4, p. 5
وحاول الأستاذ شارل كوينتز التعرف على بعضها عن طريق الاستعانة بمترادفاتها الأجنبية فذكر منتجات المناجم : حمت ، سكر ، تحنت ، بق ، آهت ؟ ، إرخ ، خرر .
(C. KUENTZ, *Duplicata d'un Vocabulaire*, in Bul. I.F. XXXVI, 181-2)

(٢) انظر ملحق النصوص

يصح أخيراً أن نقرن هذه الاتجاهات المحمودة فى الدرس بما تقدم التعقيب به على الدرس السابق من أنه إزاء ما نعرفه عن اشتغال الطلبة كتبة مساعدين فى دواوين الحكومة وفى بيت المال بوجه خاص ، فما من سبيل إلى تجاهل أن يكون الهدف القريب من الدرس هو الهدف العملى أو صالح الوظيفة قبل أن يكون وجه العلم أو صالح التلميذ ، بمعنى أنه كان درساً يستهدف قبل كل شىء تأهيل « الكاتب المساعد » لعمل المستقبل الخزانة بتعريفه بما يرد إليه ومصدره وليضع كل ما يأتيه فى موضعه ويسجله فى موضعه .

والموضوع الجغرافى الثالث جزء من رسالة طويلة كتبها « إننا » فى نحو خمس صفحات (١) . والرسالة يمكن تقسيمها إلى ثلاثة موضوعات ، يبدأ أولها بالمقدمة الرئيسية للرسالة ويقول فيها المعلم قاجابو : « هلا وجهت وجهك إلى ما ينبغى إعداده أمام الفرعون مولاك الخير بإتقان وبمنتهى الكمال . لا تجلب لوماً لنفسك ولاحظ باهتمام ، وكن واعياً ولا تكن متراخياً حتى أعرفك بجميع ما سوف تعده . . . » ويتناول هذا الموضوع الأول منتجات محلية عادية ليست لها أهمية خاصة .

ويبدأ الموضوع الثانى بقول المعلم (٢) : « انتبه فلسوف أرسل إليك لإرشادك إلى نظام إعداد (حفل) الميناء الذى سوف تقوم به أمام الفرعون مولاك الخير (وذلك) حتى لا تكون معوزاً فى أى شأن يكون عليك أن تتحراه ... » وهذا الموضوع قصير ، ويتناول بدوره منتجات محلية عادية .

أما الموضوع الثالث وهو الذى يعنينا بما يذكره من منتجات خارجية فيبدأ بقول المعلم : (٣) « وهلا وجهت وجهك إلى ما ينبغى إعداده أمام الفرعون مولاك الخير بإتقان بالغ وبمنتهى الكمال.... » . ومن هذه التوجيهات الثلاث التى أتت الرسالة بها والتى يمكن أن تعتبر مقدمات للموضوعات الثلاثة ، يبدو أن قاجابو كان يحاول محاولة زميله السابق فى اجتذاب انتباه تلميذه ثم تبصيره بالغرض المادى من دروسه وهو احتياجه إلى معلوماتها فى مستقبل أيامه ، إذ أنه يبعد أن الطالب أو الكاتب المساعد إننا كان عليه وهو يتلقى هذه المعلومات والأوامر أن يعتبرها تعليمات ينبغى عليه القيام بتنفيذها فعلا وفى ذات الوقت .

والمعلومات الجغرافية التى تضمنها الموضوع الثالث من الرسالة يعوزها الترتيب والتنسيق على وجه الإجمال إلا فى مجموعتين تناولت أولاهما سبعة أنواع من الزيوت العطرية ونسبتها إلى مصادرها الخارجية ، وتناولت الثانية اثنى عشر نوعاً من الأسماك نسبتها إلى مصادرها المحلية . أما بقية المعلومات فى الرسالة فظلت متناثرة فيها فى غير وحدات تجمعها وإن كانت لها أهميتها الواضحة ، وفيما يختص بمجموعة الزيوت الخارجية رتبت الأقطار التى نسبت إليها على أساس جغرافى مقبول ، فذكرت زيوت قبرص وخاتى وسنجار (٤) وآمور (٥)

(١) Pap. Anast. IV, 13,8 f. = partly Pap. Koller, 5, f.; Pap. Anast. III A.

(٢) Pap. Anast. IV, 14, 8 f.

(٣) Pap. Anast. IV, 15,1 f.

(٤) قد تكون سنجار هى ما تقرنها النصوص المصرية مع خاتى وأشور ونهرينا ، فى بلاد النهرين ، أو تكون سنجار أخرى على نهر العاصى .

see Gardiner, Onomastica, I, 209 f.; 133, 157.

(٥) امتدت منطقة أمور فى عصر الأسرة التاسعة عشرة فى شمال سوريا وانتفعت بميناء سميرا واتسعت فى الداخل اتساعاً كبيراً (Ibid., 150 f.)

وتخس(١) ونهرينا . وإذا أحسنا الظن بتفكير المعلم أمكن القول بأنه استطاع أن ينتقل بذهنه من الحوض الشرقى للبحر المتوسط إلى جنوبى الاناضول وإلى شمال سوريا وشمالى دجلة ، أى فى اتجاه شرقى سليم ، ثم عاد إلى منطقة تلى هذه جنوباً تجاور نهر العاصى ثم اتجه شرقاً إلى نهرينا . ونسى المعلم أن يذكر زيتين لقبرص بدلا من واحد فعاد ثانية وذكر الثانى بعد ذكره زيوت الخاتيين. (وهذا التعليل الأخير مجرد احتمال ولو وجدت نسخة ثانية من ذات الجزء لأمكن ترجيح صحته من عدمه) .

وسلك هذا الموضوع مسلك موضوع منتجات النوبة فى تصوير أرقاء الجزى تصويراً حياً ، ربما باعتبارهم نماذج حية لشعوبهم ، غير أنه صورهم بما يجب أن يظهروا به فى مصر أى بعدما تتناولهم يد التهذيب وليس بمظاهرهم الوطنية الأصيلة « فرقيق الكرك » يصورهم شباناً فى جماعات يخصصون سقاة لجلالته ويطهرون ويعطرون ويدثرون (؟) حين المسير أسفل الشرفة ، ويخصص الرجل منهم للمطبخ لعمل جعة « قدى » للقصر الملكى . . و « أرقاء كنعان » من سوريا صورهم « شباناً حساناً » و « زنوج كاش » جعلهم « لطافاً يخصصون لحمل المزوحة وينتعلون الصنادل البيضاء ويدثرون (؟) وأساورهم (؟) على أيديهم » .

وبالموضوع معلومات مهمة أخرى ولكنها مبعثرة ، وليس بالوسع الإدلاء برأى فيما إذا كان الطالب يكلف بأن يقرأ الموضوع بنفسه مرة ومرة ليستخلص المعلومات المتفرقة من بين سطوره ثم يقوم بتجميعها ، فيصل مثلا من كل ما ذكر فى درسه عن قبرص أنها تشتهر أو تنتج : زيت جفتى وزيت ينبو (٢) ، وقضبان (؟) النحاس الغفل والآباريق النحاسية (٣) ، والقرون التى توضع الزيوت فيها(٤) ، والأبقار(٥) كما يجلب منها الارقاء صغار السن (٦) . ويصل مما ذكر عن قدى أنها تشتهر بالجعة (٧) وتطعيم الخشب (٨). ويهتدى مما ذكر عن سوريا أنها تشتهر بالنبيذ(٩) والتين(١٠) وان الأرقاء الكنعانين اللذين يردون منها يتميزون برقة الملامح (١١) . ويعرف مما ذكر عن أمور أنها تشتهر بزيت قنى وصناعة المحفات الجيدة(١٢)

---

(١) ربما وقعت أرض تخس قرب قادش على أدنى نهر العاصى .
(٢) Anast. IV, 15, 2 ; 15, 3.
(٣) Ibid., 17,7
(٤) Ibid., 17,8
(٥) Ibid., 17,9
(٦) Ibid., 17,7
(٧) ذكرت مرتين Ibid., 16,1
(٨) ذكر مرتين أيضاً Ibid., 16,7 ; 17,2
(٩) Ibid., 16,1
(١٠) Ibid., 17,5
(١١) Ibid., 16,4
(١٢) Ibid., 16,6

ومما ذكر عن خاتى أنها تشتهر بزيت ڤاجاور الفاخر (١) والعجول الممتازة (٢) . ومما ذكر عن سنجار أنها تشتهر بزيت نكفتير (٣) ونتاج الجياد الأصيلة (٤) .

وكل ما يمكن التعقيب به عما إذا كان الطالب إننا استطاع أو اهتم بتجميع معلومات موضوعه وترتيبها على هذا النحو أم لم يستطع ولم يهتم ، هو أنه كان أكبر من طفل وكان يمكن أن يوجه إلى القراءة والتجميع والترتيب إذا رأى معلمه أن ذلك من واجبه وكلفه به . أما عن الحشو وتشتت المعلومات فى الرسالة فليس بالوسع بطبيعة الحال أن نتوقع رسالة جغرافية مثالية أو مؤلفاً مثاليا فى ذلك العصر البعيد .

أما الطريقة الثانية التى يمكن استخلاصها من أسلوب الموضوعات الجغرافية وهى طريقة الرحلة الخيالية فتتمثل فى الدروس المقتبسة عن مجادلة كاتب الجيش حورى لزميله أمنموبى (٥) . ونتخير منها درساً احتفظت به لخفة صغيرة وتضمن ثمانية سطور ؛ سجل فيها المحاورة الأستفهامية التاليـــة (٦) :

« ما الذى تشبهه زميرا تلك التابعة (للملك) سسو . . . ؟ (٧)

وعلى أى جانب منها تقع مدينة خرب (حلب ؟) (٨) وما هيئة مجراها ؟

« ألم تتوجه إلى قادش وتوبيخى ؟

« ألم تذهب إلى إقليم البدو فى إثر قواسة (الجيش) ؟

« ألم تسلك طريق مجر حيث (تبدو) السماء مظلمة فى وضح النهار وحيث تتكاثف أشجار السرو والأرز وتتسامى أشجار السنديان إلى عنان السماء ، وحيث السباع أوفر (عدداً من) الفهود والضباع ! وحيث يطوق البدو المنطقة من كافة طرقاتها .

---

(١) Anast. IV, 15,3

(٢) Ibid., 17,9

(٣) Ibid., 15,3

(٤) Ibid., 17, 8-9.

(٥) وكان حورى قد بدأ المعلومات الجغرافية فى مجادلته بقوله لزميله : « لقد قلت ثانية إلى كاتب وماهر ، ونحن نقول ، الصدق فى كلامك ، ولكن تعال إلى حيث تمتحن ، هب أنه أسرج لك جواد سريع يشبه ابن آوى (فى سرعته) . . . ويشبه عاصفة الريح إذا انطلقت . وهب أنك أطلقت العنان وشرعت القوس . فدعنا إذن نرى ماسوف تعمله يدك . (أما أنا) فسأشرح لك طبيعة الماهر وأريك ماذا يفعل فخبرنى عما أسألك عنه ..» (Pap. Anast. I, 18, 4 f. وألمع ماسبرو إلى المنهاج الجغرافى المقصود فى هذه المجادلة .
(Les Contes Populaires de l'Egypte Ancienne, 1911, p. LXVII)

(٦) O.D.M., 1005.

(٧) وقراءة الأستاذ إرمان (Die Lit., 287) هى : وسميراسسو على أى جانب منها تقع مدينة خرب ؟ » ، وذلك على اعتبار أن عبارة الاستفهام (سو مى إخ) تنتهى بها جملة سابقة لهذه الجملة . ولكن ألا تدل بداية الدرس بهذا الاستفهام ،على اعتبار أنه يتبع جملة « سميراسسو » ، على أن تقديم عبارة الاستفهام بقصود حتى لا تأتى بعد اسم الملك فيبدو وكأنه هو المعنى بالسؤال ؟ — على أية حال فقد بدأ درس اللخفة بها . انظر ملحق النصوص

(٨) انظر عن خرب : Melangès MASPERO, 1934, p. 336 ; Bull. Inst. XXXV, 177.

ألم تصعد جبل شاو (؟) (وألم) تطرقه وذراعاك فوق ... (وعربتك) موثقة (؟) بالحبال وجوادك يندفع (بصعوبة) ؟ ... الشهر الثالث شتاء ... (وهو تاريخ الدرس وقد كتب بالمداد الأحمر ، كما كتبت نقط الفصل بين عبارات الدرس بالمداد الأحمر كذلك) .

هذا الدرس إن افترضنا له المعلم المطلع والتلميذ الفطن أو قدرناه بوجهة نظر حديثة أمكن أن نتبين أنه تعرض لأربع مناطق متمايزة فى الإقليم السورى : منطقة موانى ساحلية ، ومنطقة من الحافة الصحراوية ، ومنطقة غابات ، ومنطقة جبلية .

فميناء سميرا ابتغى السائل أن يعرف عنها ثلاثة أشياء : وصفها ، وموقع بلدة عينها بالنسبة إليها ، ثم شكل مجراها أو نهرها . وإذا تجاوزنا حدود الدرس الضيقة إلى المتن الكامل الذى أخذ عنه لتبين أن رغبة المعرفة التفصيلية بميناء من موانى فينقيا لم تكن هى الوحيدة فى المتن ، إذ قال مؤلفه فى موضع آخر منه : « سوف أحدثك عن مدينة أخرى ذات أسرار تدعى جبيل ، ما الذى تشبهه ؟ وما هى ربة أهلها مرة أخرى ؟ » (١) وقال كذلك : إنهم يتحدثون عن مدينة أخرى تقع فى البحر وتدعى صور الميناء (٢) يحمل الماء إليها فى القوارب وأسماكها أكثر من رمالها » (٣) . وما من شك فى أن كثرة موانى فينقيا كانت مما يميزها ، وأن معرفة المصريين بها كانت أصدق من معرفتهم بغيرها من المدن السورية . وقد يسرت هذه المعرفة على مؤلف المتن أن يذكرها مرتبة فى ترتيبها الصحيح من الشمال إلى الجنوب ، فذكر جبيل وبيروت وصيدا وساربنا ونهر نثن (وهو نهر القاسمية) وأوزو ثم صور (٤) .

والمنطقة الثانية التى ألمح الدرس إليها ، هى قادش وتوبيخى (٥) وما جاورهما من أقاليم البدو — ويبدو أن قادش وتوبيخى كانتا مركزين للحاميات المصرية التى تولت رعاية الاستقرار فى تلك الربوع . وربط ذكر منطقة البدو بذكر القواسة الخفيفة يصور فكرة المصريين عن مشكلات البدو هناك وما اعتادوه من الكر والفر السريعين . وقد جعلهم الدرس يطوقون المنطقة من كافة طرقاتها ، فى حين صورتهم فقرة أخرى من المتن فى مضيق ضيق « يختبئون بين الأدغال ومنهم من يبلغ ما بين أنفه وأخمص قدميه أربعة أذرع أو خمسة ، بوجوه عبوسة وقلوب غليظة ، لا يصغون إلى مداهنة » (٦)

وألمح الدرس إلى منطقة الغابات فى لبنان ، فوصفها وصفاً حياً لولا مبالغته فى ذكر السباع والفهود والضباع فيها .

أما المنطقة الرابعة فهى منطقة الجبال ، وقد صور الدرس وعورتها فى تصويره لتفكك العربة وعجز الجواد . وجعلها المتن الكامل فى أكثر من موضع منه مقياساً لقدرة الماريا الشجاع فى عبورها وتسلقها .

---

(١) Pap. Anast. I, 20, 7-see, GARDINER, Literary Texts..., p. 23.
والربة التى يسأل عنها هى « حتحور جبيل » — والعبارة الأخيرة قد تكون كما ترجمها إرمان « فى الزمن القديم » .

(٢) يراجع هذا الاسم M. MULLER, As. u. Eur., 185, Anm. 1 وهى جزيرة على بعد ميل من الشاطئ .

(٣) Pap. Anast. I, 21,1 f. أو غنية بالأسماك أكثر من (غناها) بالرمال .

(٤) Pap. Anast. 1, 20, 7 f

(٥) تقع منطقة توبيخى جنوبى دمشق .

(٦) A. ERMAN, Die Literatur, 290.

فقال فى وصف واد جبلى: « .... وطريقك ملىء بالصخور والحصا ، وليس عليه مسلك لسائر ، حيث تكثفت فيه .... والأشواك . الوادى العميق فى جانبك والجبل ينهض على الجانب الآخر .... (١)

ووردت فى المتن أسئلة كثيرة لو أجاب المعلم تلميذه عنها لافاده فائدة كبرى — ومن ذلك أن سأل حورى زميله « تعال ، وارشدنى إلى الطريق المؤدية إلى جنوبى إقليم عكا ، وأين الطريق إلى اكساف ؟ بجانب أى مدينة ؟ .... وإذا سافر الإنسان إلى ادمم فإلى أى اتجاه يولى وجهه ؟ (٢)

وهكذا توفرت للدرس والمتن الذى أخذ المعلومات عنه وسائل التشويق والصياغة الأدبية ، ولكن هل وجد المعلم الذى أحسن استغلالها ؟ والتلميذ قد استمع بدوره إلى الدرس وكتبه كما أملى عليه أو كما وجده فى أصل نسخه منه ، ولكن بقيت الأسئلة الثلاثة الأولى عن سميرا وموقع خرب منها وشكل مجراها دون إجابة منه . فهل كان يجد من ذكائه ما يهديه إلى الاستفسار عن أجوبتها ؟ وهل كان يجد من معلمه مجيباً إذا سأله ؟ وهل كان المعلم يسلك مسلك حورى مؤلف المتن وقد كان « معلم المساعدين فى ديوان الكتابة » حين وصف فى إفاضة منطقة الغابات وأحوال البدو وأحوال صور الميناء ؟ وإذا كان المعلم قد شرح شفاهة فلماذا لم يكتب التلميذ شرحه وهو الأولى بالتسجيل والحفظ ؟ كل هذه أسئلة ليس من سبيل للإجابة عنها بجواب شاف .

وعلى أية حال فقد كان من دروس الرسائل ما يتعرض أحياناً لأمور سوريا ، فيذكر عن مرتفعاتها وفيافيها أن « أسفار الجندى فيها صعوداً فى المرتفعات ، يشرب الماء كل ثلاثة أيام أجاجاً فى مثل طعم الملح » (٣) . وليس بخاف أن متون المصريين وآدابهم ورسومهم قد سجلت الكثير من المعلومات التفصيلية عن البلاد الخارجية وأحوال أهلها قبل عصور الدولة الحديثة بزمن طويل . فما وصف حورى به البدو ومناطق الجبال والغابات لايكاد يزيد كثيراً على ما أجمله ختيى ملك أهناسيا حين وصف بدو آسيا وجبالهم وغاباتهم فقال : « .... وكذلك شأن البرابرة فالأسيوى الخاسئ موطنه وعر ، وماؤه آسن (؟) حزون بكثرة أشجاره ، سيئة طرقاته بما فيها من جبال ، (ولهذا) فهو لا يستقر فى مكان واحد ، وإنما هو (دائم) الترحال . إنه يشاغب منذ عهد حور فلا هو يغلب ولا هو يغلب .... » (٤) . وأسهمت القصص بدورها فى تصوير الحياة الخارجية ، ومن ذلك ما ذكرته قصة سنوهى عن سوريا ، وقصة ونأمون عن فينقيا ، وذلك فضلا عما أثبته الفنانون المصريون من صور أهل الشعوب الخارجية وخصائصهم على لوحاتهم العديدة .

وثمة طريقة ثالثة محتملة لاكتساب التلميذ المعلومات الجغرافية عن الشعوب المجاورة ، وهى طريقة حفظ المفردات الدالة عليها متتالية . ومما يدعو إلى الظن بالأخذ بهذه الطريقة اتباعها فى تحصيل معلومات الجغرافيا الداخلية (ص ٣١٤) ، فضلا عن مسلك مجموعة أمنموبى فى ذكر أسماء الأماكن والشعوب الخارجية حين ذكرت منها ٥٦ اسماً متتابعاً . وقد سلكت مجموعة الرمسيوم من قبل نفس السبيل فى ذكرها لأسماء

---

(١) ERMAN, op. cit., 287.

(٢) Pap. Anast. I, 21, 4

(٣) Pap. Lansing, 10, 1f.

(٤) Pap. Petersburg 1116 Art. 91-93.

حصون النوبة وحصون جنوب الوادى مرتبة فى نفس ترتيب المدن المصرية أى من الجنوب إلى الشمال ، غير أنه على الرغم من منطقية هذه الطريقة ، فليس هناك مايشير إلى مبلغ شيوعها وإن نمت عنها لوحة تضمنت عدة أسماء كريتية ، وأخرى تضمنت أسماء سورية ، والخاف تضمنت أسماء البلاد التى فتحها رمسيس الثانى ، وأسماء نوبية جغرافية وأسطورية ، وأسماء منتجات المناجم ، ثم قوائم جغرافية تضمنتها برديات متأخرة العهد كتبت مفرداتها بالخط الديموطيقى (١) .

٣ – المعلومات عن الظواهر (أو المسميات) الفلكية والطبيعية :

جعلت مجموعة أمنموبى (أمن م ابت) التعليمية أول معلوماتها الضرورية « لتفتيح العقل وتثقيف الجاهل » عن الظواهر الفلكية والطبيعية العامة ، ولم يضمن مؤلفها معلوماته كل معارف قومه عن تلك الظواهر ، وانما اكتفى ببعضها ، ويحتمل انه تعمد ذلك على اساس الأعم منها ومايتيسر هضمه ، بمعنى انه استهدف منها صالح المتعلم قبل أن يستهدف بها صالح العلم ، وهو ذات الاتجاه الذى اتصفت به أغلب الموضوعات التعليمية السابقة .

ومن دروس هذه المعلومات موضوع احتفظت به لخفة جيرية (٢) أخذ عن مجموعة أمنموبى وبدأ بمقدمتها ثم أتبعها بذكر بعض الظواهر الفلكية والطبيعية فذكر السماء وكوكب الشمس (ولم يذكر القمر سهوا) ، والنجم ويحتمل أنه جعله عنواناً لما تلاه ، والنجم القطبى (٣) ، والقرد ، والقاهر (؟) ، والخنزيرة (؟) والسحاب ، والنوء (؟) والفجر ، والظلام ، والنور (؟) ، والظل ، وضوء الشمس ، وأشعتها (؟) ، والإعصار (؟) ، والندى والصقيع ، والعاصفة الممطرة ، والماء الأزلى ، و الفيضان (أو النيل) .

وفيما يتعلق بالجوانب التعليمية لهذا الموضوع يتضح من مقارنة مفرداته بما يماثلها فى النسخ الأخرى قريبة العهد منه والتى أخذت مثله عن مجموعة أمنموبى ، أن كاتبها أومعلمه لم يلتزم حرفية المعلومات فيها وإنما تناولها بشىء من التصرف والتحوير ، فكان من ذلك أن ذكرت النسخ الأخرى كلمة سرمة وهذه قد تعنى « مسطح مائى » (؟) بين كلمتى الصقيع والماء الأزلى فاستبدل بها كلمة « سنمة » وهذه قد تعنى عاصفة ممطرة (٤) ولو صح القصد منه فى هذا التغيير لكان أنسب للتوسط بين كلمتى الصقيع والماء الأزلى . وبينما انتقل غيره من « أشعة الشمس » إلى الظواهر المائية فبدأها بكلمة « الندى » ، زاد هو بينهما كلمة قد تعنى الإعصار (؟) وهى ظاهرة مناسبة كذلك للتوسط بينهما . وذلك فضلا عن تعديلات أخرى هى بسيطة فى حد ذاتها ولكنها لا تخلو فى الوقت نفسه من دلالة على نواح من التصرف قصدت لذاتها إن لم تكن ترتبت على خلط الذاكرة (٥) . على أنه يصعب الادلاء برأى فيما كان الطالب يكلف به

---

(١) SPIEGELBERG, Dem. Pap., Taf. 109 f., S. 270 f.

(٢) فى متحف القاهرة ، ويحتمل أنها من طيبة ومن أواخر عصر الأسرة العشرين أو أوائل عصر الأسرة ٢١ وهى كبيرة نوعاً (٣٤×٢٦سم على الأقل). (Onomastica, I, p. 34 III, pl. XXII ; Cairo J.E. 67100).

(٣) وهنا تنقص عن مجموعة أمنموبى « نجم » الدب الأكبر « (فضلا عن القمر) .

(٤) Wb. IV, 165, 11, 12 – وأنظر ملحق النصوص

(٥) من ذلك أن تذكر النسخ الأخرى للمجموعة عبارة «الأرض وما فيها» فيذكرها هو «الأرض وما كلها(؟)» ، وتذكر النسخ الأخرى عن المجموعة أنه «ألفها أو فكر فيها الكاتب...» فيستبدل بهذه العبارة عبارة بسيطة... «عملها الكاتب» ثم يستغنى عن جانب من أسماء ظواهر طبيعية ومحدثة أخرى (تتلو الأسماء التى ذكرناها أعلاه) لينتقل منها إلى مسميات لمراتب وألقاب حكومية . (تراجع ص ٢٣٣ حاشية ١) – وانظر ملحق النصوص .

إزاء هذه المعلومات أو ما يخرج به منها ، وإن كان الأقرب إلى الاحتمال أنه كان يكتفى بمعرفة قراءتها وهجائها فحسب ، أو يزيد بحفظها حفظاً مؤقتاً ، وأنها لم تكن تحظى بشرح جدى من قبل المعلمين ، ولو أن العلم بها وبما شابهها من ظواهر الطبيعة والفلك قد بلغ شوطاً طيباً لدى المتخصصين ، وليس أدل على ذلك من تجميع المسطحات المائية الكبيرة المعروفة لهم منذ عهود الدولة القديمة فى خمسة أسماء رتبت فى عبارات متتالية من متون الأهرام (١) ، وما ذكره نشيد النيل من أن نداه هو ما تنزله السماء أمطاراً ، وما اهتدى إليه نص مصرى من عهد تاهرق من إرجاع فيضان النيل إلى سقوط الأمطار الغزيرة فى الجنوب . وما ذكره متن دينى من الدولة الحديثة عن « الرياح الشرقية التى (تهب) من شرق البحر الأخضر الكبير » (٢) وذلك فضلا عما احتفظت به سقوف بعض المعابد والمقابر من صور الخرائط الفلكية (٣) .

ثانياً ـ المعرفة بالجهاز والحكومى وألقاب القصر

كان الهدف العملى من تعريف الطالب بمراتب الجهاز الحكومى وألقاب القصر هو الهدف المتميز ، إذ كان المعلم يقدر أن تلميذه لاشك عامل فى هذا الجهاز الواسع أو متصل به . غير أن هذا الهدف العملى لم يكن هو الهدف الوحيد دائماً ، فمن التمارين التى تناولت مراتب أهل الحكم وألقابهم تمرينان سطرا على وجهى رق (من جلد) (٤) . وبدأ تمرين الوجه بمقدمة مجموعة أمنموبى وأخذ بترتيب معلوماتها أى المسميات الفلكية والطبيعية ثم مايتناول الجهاز الحكومى(٥) . وأما تمرين الظهر فقد أخذ عن الوجه ولكنه لم يبدأ ببدايته وإنما بدأ بالسطر الخامس عشر منه وهو بداية الألقاب والمراتب ، وذلك ممايعنى أن الاختيارفيه مقصود بالذات . فكان من مسمياته : إله وإلهة ، وروح زكية (مذكرة) وروح زكية (مؤنثة) وملك وملكة ، وزوجة الملك وأم الملك ، وعقب على ذلك بذكر طائفة من ألقاب القصر ، وألقاب مدنية تبدأ بالوزير ، وحربية تتناول قادة الجيش . ولا يبرر الهدف العملى وحده كتابة أو حفظ مسميات إله وإلهة وروح مذكرة وروح مؤنثة وأم الملك وإن برر كتابة أو حفظ ألقاب القصر والحكومة والجيش ، فالأولى تبعد إلى حد ما عن صميم عمل الموظف الحكومى وتحمل على الاعتقاد بأن هدف الثقافة العامة كان له نصيبه إلى جانب الهدف العملى . أما تكرار تسجيل الألقاب على ظهر الرق بعد كتابتها على وجهه فيغلب على الظن أنه كان عن ذاكرة حيث يختلف هجاء بعض كلماته عن هجاء كلمات الوجه ، وأنه كان لغرض تثبيت الحفظ بترتيب معين أكثر منه لغرض تجويد الخط والهجاء ، ويرجح ذلك أن الطالب (أو الكاتب

---

(١) Pyr. 628 f. وهى الأسمر الكبير ويشمل البحيرات المرة والأخضر الكبير والمحيط الكبير (الهندى؟) ، والدائرة التى تحيط بالجزر ، والمحيط العظيم « سك » ؟ .

(٢) Pap. Ch. Beatty IX, 6, 2.

(٣) see, S. SCHOTT, Astronomie, in Handbuch der Orientalistik, Erster Band Aegyptologie, Ab. II, Literatur, Leiden 1952, 170 f.

(٤) S.R.K. GLANVILLE, *A new duplicate of the Hood Papyrus*, in J.E.A. XII, 171 f. وأبعاده ١١ بوصة × ٨ بوصات .

(٥) غير أنه يخالف النسخ الأخرى للمجموعة فى اسم المؤلف ، حيث تجعله جميعها « أمن م ابت بن أمن م ابت » ويجعله هو « ... بن بارن نفر » فإما أن يكون نقل عن أصل مغاير للأصل الذى أخذت عنه النسخ الأخرى أو يكون هذا الاسم للطالب نفسه وادعى تأليف المجموعة لنفسه (؟) see, ERMAN, Die Aegypt. Schülerhandschriften, 10 f.

المساعد) قد تعمد أن يقتصر كل سطر من تمرين الظهر على لقب واحد أو لقبين وقليلا ما زاده إلى ثلاثة ألقاب مما كان يساعده على الحفظ والترتيب ، فى حين شغل كل سطر من سطور الوجه اتساع الصفحة كله (١) .

ومن التمارين التى هدفت إلى التعريف بالمناصب والألقاب ، تمرين بدأ بلقب الوزير وأتبع ألقابه بأسماء يحتمل أن تكون جميعها مصطنعة ، فقال ثامنها « المشرف (على) الماشية نب نفر » وقال تاسعها : « المشرف على ذوات القرون خع متر » ، وقد سبقت الإشارة الى هذا التمرين والى أن ايراد الاسماء فيه هكذا يحتمل معه رغبة اتقان هجائها وذلك الى جانب أغراض أخرى (٢) ، ومن هذه الاغراض ما نراه هنا من الرغبة فى تعريف الطالب أو الكاتب المساعد بمراتب وألقاب الجهاز الحكومى . ثم تمرين ثان أورد ستة وعشرين لقبا بدأ كل منها بلقب رئيس (حرى) ، فقال : « رئيس (مجمع) الثلاثين » و « رئيس حملة الاقواس » و « رئيس الحراس » .... إلخ (٣) .

وكانت ألقاب الملوك وما جرى العرف على اضفائه عليهم من نعوت مادة طيبة للتلاميذ قد تكون للحفظ وقد تكون لمجرد تجويد الخط . ففى كراسة تحتمل نسبتها الى الطالب كاوسر (٤) كتبت ألقاب رمسيس الثانى فى ثلاثة أسطر بخط كبير ، ثم كررت وأضيف عليها غيرها بحيث شغلت ستة أسطر عرضية . وكان بعض الطلبة يتخيرون لهذه الالقاب مناسباتها فيكتبونها لتأريخ بداية استخدام كراساتهم أو لتأريخ نهاية العمل فيها . (٥)

ووجد من التمارين مالم يقصر عنايته على التعرف على كبرى المراتب والالقاب وانما عنى كذلك بوظائف وأعمال صغيرة عادية . ومن هذه درسان احتفظ بهما لوح صغير لطالب (٦) ، وبدأ الدرس الاول بقول المعلم لتلميذه : « أعرفك (٧) بالوظائف الموجودة بالمعبد : أمين الخزانة ، أمين الشونة ، صانع خبز « بيت » ، خباز ، .... الخ » ويبدأ الدرس الثانى بقول المعلم : « وأعرفك بعمل حفا الخشب وأبصرك بما يعمله » (٨) ومن المحتمل أنه كانت للتلميذ صاحب اللوح ومعلمه صلة بمعبد ما . (٩)

---

(١) يضاف إلى هذا التمرين بقية تمرين لحفة القاهرة (ص ٣٣١ هامش ٥) ويذكر عدداً من الألقاب .

(٢) Moscow Ost. 4478; see V. DE WALLE, la Transmission,..., p. 46.

(٣) DARÉSSY, Ostraca 25760 rt. ويؤرخها بعصر الأسرة ١٩ –

(٤) Pap. Leyden 348vs. 4, 1-3; 5, 1-6.

(٥) من ذلك كراسة الطالب أمون خعو وفيها ذكرت ألقاب رمسيس الثانى مبدوءة بعبارة فى عهد (Sall. IVvs. 16,3) ثم ذكرت ألقاب له أخرى مبدوءة بتاريخ « العام ٥٦ – الشهر الرابع – شتاء – اليوم ٢٢ فى عهد .... (Ibid., vs. 17, 1-4) – وبدأ الطالب اننا إحدى كراساته بألقاب سيتى الثانى (Pap. Anast. VI, 1, 1-6)

(٦) ٣٠ × ١١ سم – ويرده شبيجلبرج إلى عصر الأسرة ١٩ ، بينما يرده جاردنر إلى عصر الأسرة ٢١ أو عصر الأسرة ٢٢ SPIEGELBERG, in Rec. trav. XIX, 92 f.; Onomastica, III, pl. XXIII

(٧) انظر ملحق النصوص ويرى جاردنر أنها اصطلاح بمعنى « تعريف » Ibid., vol. I, p. 65

(٨) انظر ملحق النصوص .

(٩) وعن دروس أخرى تستهدف نفس الأغراض التعليمية:
see, Pap. Leyden 348 vs. 10,5 f.; Writing Board Brit. Mus. 21635 (Onom., III, pl. xxii).

ثالثا ـ المعلومات التاريخية
وتحصيل الطلبة والمثقفين لها

كان اهتمام المصريين بالتاريخ اهتماماً بنشأة الكون وعمران بلادهم، وتعاقب فراعنتهم وفترات حكمهم وجليل أعمالهم، وحياة الالهة، فضلا عن مآثر الحكماء وسديد أقوالهم. وذلك بما يعني أن مفهوم التاريخ لديهم، فيما خلا ما تعرض منه لحياة الآلهة، لا يكاد يخلو من تشابه مع ما انصرف إليه مفهوم التاريخ والحوليات فى كثير من التسجيلات التاريخية حتى أواخر العصور الوسطى.

وتمثلت مراجع التاريخ لدى المصريين فى أساطير دينية وفلسفية وأشعار طوال وقصص شعبية وسجلات رسمية ونقوش للمعابد ومدونات ونصب تذكارية. وظلت هذه المراجع قائمة دائما، ولكنها ظلت متفرقة يعرف رجل الدين بعضها، ويتناقل الرواة بعضها. ويتيسر بعضها لفريق من موظفى الدولة، ويتهيأ بعضها للطالب المدرسى، ولكن بغير أن تظهر لها وحدة تجمعها، وبغير أن يظهر فيها كتاب واحد يقرؤه الجميع؛ وذلك دون شك هو أوضح الفروق التى تفرق بين ما كانت عليه كتابة التاريخ المصرى ودراسته وبين المفاهيم الحديثة للتاريخ. غير أنه مع تفرق أخبار الماضى لدى المصريين، فقد كان منهم من يدعى المعرفة بها جميعها دون أن يستثنى شيئا منها، ومن هؤلاء كاهن أونو (عين شمس) «من خبررع سنب» الذى عقب على أحاديثه بقوله: «لقد قلت هذا وفق ما رأيت (أواطلعت) ابتداء من الرعيل الأول حتى من يأتون فى المستقبل» (١)، وإن ظهر منهم من جهة أخرى من كان يتشكك فى الأخبار المروية مالم يؤيدها دليل، ومن هؤلاء الامير حور ددف بن خوفو الذى عقب لأبيه على ما رواه له إخوته من قصص قديمة بقوله «مولاى إنك قد استمعت (حتى الآن) إلى روايات عن معرفة السابقين (وهذه) لايستطيع الإنسان أن يتبين الصواب (فيها) ....» (٢).

وإزاء الخصائص السالفة للتاريخ المصرى لن يقتصر البحث فيما يلى على ما كان يدرس منه لطالب العلم فى دراسته النظامية فحسب، وإنما يترسم إلى جانب ذلك ما كان يستطيع طالب المعرفة أن يحصله من المحيط الثقافى فى مجتمعه والافكار السائدة فيه عن أخبار الماضى وأهله.

فمن الموضوعات المصرية ذات الصبغة التاريخية والهدف التعليمى ما تناول أسماء الفراعنة فى تنسيق معين. وأقدمها ما سطر على لوح خشبى من الدولة القديمة وتضمن على نحو ما ذكرنا فى صفحة ٢٤٨ أسماء الملوك «نفرير كارع وساحورع وخفرع وجدف رع وتتى ويجابو(؟)» مكررة فى أربعة صفوف(٣)

---

(١) Brit. Mus. 5645, II, 6-7; A.H. GARDINER, The Adomintions of an Egyptian Sage, Leipzig 1909, p. 99, for m' = lesen, see Wb. II, 8, 13-14; H. JUNKER, Giza VII, 233 f.
وانظر ملحق النصوص. (see also Urk. I, 60, 163, Pap. Petersburg 1116 B rt., 14).

(٢) انظر ملحق النصوص Pap. Westcar, 6, 23.

(٣) G.A. REINSNER, *A scribe's tablet found by the Hearst expedition at Giza*, AeZ. 48, 113 f.; W.S. SMITH, AHistory of Egyptian sculpture,... London1946, p. 358 f

وكتابتها هكذا مكررة ترجح غرض تجويد الخط كما أسلفنا ، غير أنها تدل من ناحية أخرى على أن المعرفة بأسماء ملوك الماضى لم تكن مستحيلة على من يلتمسها من المعلمين والطلاب ، لاسيما إذا كانت من أسماء أصحاب الاهرام والمعابد الكبيرة أو كانت متداخلة فى أسماء المدن الباقية . ومع أن هذه الاسماء الستة لم ترتب وفق تعاقبها الزمنى الصحيح مما يحمل على الاعتقاد بأنها لم تكن منقولة عن مصدر رسمى ، إلا أنها ذكرت اسم ملك لم يذكره من المصادر المصرية غير مدونة أبيدوس وهو بجابو (؟) (١) . وثمة تمرين آخر احتفظت به لخفة من عهد رمسيس الثانى (٢) جمع أسماء تسعة من فراعنة الأسرة الثامنة عشرة وأسماء الثلاثة الفراعنة الأوائل للأسرة التاسعة عشرة . وقد رتبها جميعها فى تتابع زمنى مقبول ، لولا أنه أسقط من ملوك الاسرة الثامنة عشرة أسماء من أدت أحداث السياسة والدين الى إعفاء ذكراهم وهم حاتشبسوت واخناتون وتوت عنخ آمون وإى . ويبدو أن الاسماء التسع لم تكن هى كل علم صاحب التمرين بأسماء الفراعنة ، فقد كتب على ظهر لخفته اسم « منتو حوتب نب خرو رع » وأعاد معه اسم «حور محب» الذى ذكره على وجه اللخفة فى ختام أسماء فراعنة الاسرة الثامنة عشرة . وإذا أحسنا الظن باختيار صاحب التمرين لهذه الاسماء أمكن القول بأنه تحرى ذوى السمعة العريضة من موحدى البلاد ومحرريها (منتو حوتب وأحمس) وبناة دولتها الخارجية (أمنحوتب الأول والتحامسة الأربعة وأمنحوتب الثانى والثالث وحور محب ورمسيس الأول وسيتى الاول ورمسيس الثانى) . أما إذا قصرنا سعيه على هدف أبسط من ذلك فيحتمل أنه عرف هذه الاسماء نتيجة لبقاء آثار أصحابها فى طيبة وموالاة اهتمام الدولة بها دون آثار من أسقطهم من حسابه ، لا سيما أخناتون وتوت عنخ آمون وإى ، وأنه كان تلميذاً مهنيا لأحد الخطاطين الرسامين الذين كان العمل يدعوهم أحياناً إلى كتابة بعض هذه الأسماء فيما يعملون به من المعابد . والواقع أن ما تهيأ للملوك فى مصر الفرعونية من مكانة وقداسة ولو من الناحية الشكلية على أقل تقدير ، لأمر يدعو إلى الظن بأن أعمالهم وحيواتهم كانت تشغل حيزا من تعليم التاريخ أوسع بكثير مما تنم عنه أمثال هذه التمارين البسيطة التى اقتصرت على ذكر أسمائهم . ويزكى هذا الظن بقاء ذكر الفرعون منى حتى العصور المتأخرة . ولا يخلو من دلالة أيضا أن ما رواه المؤرخ هيرودوت عن شدة خيتى ملك أهناسيا وتصنيفه كتاباً هو بالذات ماذكرته له التعاليم التى ألفها حفيده خيتى ووجهها الى ولده مريكارع (٣) . وقد أضاف ديودور الصقلى فيما سمعه من الكهنة المصريين أنهم حرصوا على تسجيل تواريخ ملوكهم فى كتب مقدسة وعملوا على نقلها إلى خلفائهم وضمنوها مدى قوة كل منهم وصفاته الجسمية وما عمله كل منهم فى حياته . (٤)

---

(١) يحتمل دريتون أن اسم بجابو هو الذى حرفه مانيتون إلى Boéthos :
Et. DRIOTON et J. VANDIER, Les peuples de l'Orient méditerranéen, II, l'Egypte, Paris 1952, p. 164

(٢) ولهذا بدأت باسمه ولم تؤخره إلى النهاية فى وضعه الصحيح ...
S. SAUNERON, *La tradition officielle relative à la XVIII dyn.* (in Chr. d'Eg. 1951, p. 46 f. ويرجح أن هذه اللخفة قد كتبت لغرض تعليمى غير أنها قد تكون بخط طالب ناضج أو بخط معلم كنموذج لطلابه . (Ibid., p. 47).

(٣) (*see*, Pap. Petersburg 1116, Art.

(٤) Diorodus, 44,70.

وعنيت الموضوعات التعليمية بالتاريخ القومى ، ومن قرائن عنايتها به كتابة قصة كفاح كامس للهكسوس (١) على لوح خشبى كان مما رجح غرضه التعليمى اشتمال ظهره على سطور من تعاليم بتاح حوتب فضلا عن العثور معه على لوح آخر صغير تضمن متنا أدبياً ذا صبغة تعليمية صريحة (٢) . وقد كان ثمة ترجيح لاعتبار قصة اللوح هذه ، قصة تاريخية وليست مجرد أقصوصة شعبية دارجة (٣) ، وأنها منقولة عن نصب تذكارى أقيم تذكاراً للنصر (٤) ، وقد تأكد ذلك بالعثور على نصب بالكرنك ، بقيت عليه سطور قليلة تماثل مع سطور اللوح (٥) (وذلك فضلا عن النصب الذى كشف عنه حديثا وتضمن جانباً آخر لبقية القصة) ، ومما لا يخلو من دلالة على جانب من حيوية التعليم المصرى ، ومن تتبع المعلمين أو بعضهم لما تمر البلاد به من أحداث ، أنه يرجح كذلك أن كتابة القصة التاريخية على اللوح لا تعدو عهد حدوثها بأكثر من نصف قرن (٦) . والواقع أنه اذا كان من الباحثين (٧) من رأى أن اختيار المعلم لهذه القصة كان لشىء ما آثره فى أسلوبها ، فمما لا شك فيه أن المعلم أو الطالب لم يكن يعجز عن الخروج من كتابتها بصورة عن احداث تاريخية ترتبت عليها آثار بالغة فى ماضى بلاده وحاضرها ، فضلا عن امكان تمثله بما تضمنته من عبارات وطنية مثيرة روتها عن لسان كامس فى بدء جهاده . مثل قوله : « إن رغبتى أن أحرر مصر وأحطم العامو » وقوله : « وأبحرت مظفرا لأجلى العامو وفقا لوحى أمون ذى الرأى الرشيد » . (٨)

وثمة مرحلة أخرى من قصة كفاح المصريين للهكسوس تضمنتها كراسة الطالب (الكاتب المساعد) بنتاورت من عصر الرعامسة (٩) ، وتضمنت معها دروساً فى أدب الرسائل وسطوراً من تعاليم أمنمحات ، الأمر الذى يرجح أن الغرض من كتابة هذه القصة كان غرضاً تعليميا شأنه فى ذلك شأن غرض دروس الرسائل والتعاليم ، وذلك فضلا عن أن بعض الباحثين ومنهم نيوبرى قد رجحوا

---

(١) Carnarvon Tablet, No. 1 وقد وجد لدى مدخل إحدى المقابر القريبة من الدير البحرى (THE EARL CARNARVON and H. CARTER, Five years' explorations at Thebes, London 1912, p. 4, 25.

(٢) A.H. GARDINER, *The Defeat of the Hyksos by Kamose*, in J.E.A. III, p. 96, 109; A. ERMAN, Die Lit., 83.

(٣) Ibidem, see also, P.E. NEWBERRY, *Notes on the Carnarvon Tablet No. 1*, in P.S.B.A. XXXV, 117 f.

(٤) لم ينقل الطالب غير جانب من القصة ينتهى بالتغلب على « تتى بن بى » ، الذى يحتمل أنه هادن الهكسوس ولم يتحمس للوحدة . غير أن بداية القصة تنم عن اعتزام كامس كفاحاً طويلا ضد الهكسوس أنفسهم وذلك مما يعنى أن النصب الذى نقلت عنه كان يتضمن أكثر مما كتبه الطالب منها .

(٥) P. LACAU, *Une stèle du roi Kamosis*, in Ann. S., XXXIX, 245. CHEVRIER, in Ann. Serv., XXXV, P. 111;

(٦) A.H. GARDINER, op. cit., 96-7.
also, B. GUNN, A.H. GARDINER, in J.E.A.V., 45.

(٧) تراجع حاشية ٢ أعلاه .

(٨) see, Carnarvon Tablet No. 1, 3; 4-5; 10.

(٩) Pap. Sall: I, 1, 1-3, 3.

الصبغة التاريخية لهذه القصة الاخيرة وأنها نقلت عن وثيقة تاريخية قديمة على نحو ما كان الأمر عليه فى قصة كفاح كامس السابقة . (١)

وكان للأدب نصيبه فى التعريف ببعض أدوار التاريخ وتخليد أمجاده ، فمن يكن يكتب (ويقرأ) قصيدة قادش كلها كما فعل صاحب بردية ساليه الثالثة (Sall. III) أو يكتبها ويحاول حفظها كما فعل قن حرخبشف صاحب كراسة شستر بيتى الثالثة (Ch. Beatty, III) ، لاشك فى أنه كان يستطيع أن يخرج من خضم تشبيهاتها وعباراتها الرنانة بصورة ما عن حروب انتصرت بلاده فيها وفتوح قامت بها ومجد أثيل هيأته لها حضارتها وقوتها الحربية وبسالة فراعينها .

وأغلب الظن أن الطالب الناضج الذى كانت تتوفر لهدراسة مثل تعاليم أمنمحات الاول ومقدمة سنوهى وتعاليم خيتى لابنه مريكارع ، لم يكن يعجزه أن يخرج منها بمثل ما نستخلصه منها الآن من معلومات تاريخية فضلا عن قيمها الأدبية . (٢)

وتعدت دراسة التاريخ ذكرى الحروب والفتوح وتعاليم الملوك إلى ذكرى المنشآت الهامة ، فقد عثر على رق لطالب من عصر الأسرة الثامنة عشرة تضمن قصة طويلة لظروف إنشاء معبد فى عين شمس خلال عهد سنوسرت الأول . ومن صياغة هذه القصة وأسلوبها يرجح أنها نقلت عن نصب تذكارى أقامه منشئ المعبد فى ساحته . على أنه قد لوحظ أن هجاء بعض الكلمات على الرق يختلف عن هجاء الدولة الوسطى التى أقيم المعبد خلالها(٣) ، مما يحتمل معه أن صاحب الرق لم يكن هو أول من نقل القصة من مصدرها أو أنها أضحت فى عهده مما يروى شفاهة فضلا عن الكتابة بأسلوب الدولة الحديثة .

وإذ كانت أساطير حياة الآلهة على الأرض تقابل بالتصديق من المصريين ، فهى من التاريخ دون شك ، وإذا كتبها الطالب أو المثقف فإنما يتذوق فيها الأدب والدين والعبرة جميعاً . ومن هذه الأساطير أسطورة لعصر الرعامسة تضمنت طرفاً من النزاع الاسطورى بين المعبودين حور وست (وهى قصة الصدق والبهتان) تخللت كتابتها على إحدى البرديات تصويبات هجائية ولغوية كتبت بالمداد الاحمر فضلا عن كتابة بدايات فقراتها ونقط الفصل بين عباراتها بالمداد الأحمر أيضا ، وذلك مما يجيز احتمال كتابتها تحت إشراف معلم ولغرض تعليمى (٤) . ثم هناك أسطورة الأخوين باتا وإنبو التى رأى فيها الطالب « إننا » ، أو رأى له معلمه ، مايعنيه ويفيده فكتبها فى إحدى كراساته (٥) . ولا يخلو من دلالة أنه خصص كلا من اسمى باتا وانبو بمخصص الآلهة ، مما يعنى معرفته بأنها تروى اخبار شخصين مقدسين وإن اتخذت طابعاً إنسانيا وأدبيا .

---

(١) E. NEWSBERRY, op. cit.

(٢) يقرن بذلك الاحتفاظ للملك سنفرو بصفات طيبة موحدة فى أكثر من موضوع ادبى واحد (B. GUNN, in J.E.A. XII, 250 f.)

(٣) A. ERMAN, Die Literatur, 79-80.

(٤) Pap. Ch. Beatty, II, 4,5 f وفى ختامها إهداء يحتمل من الكلمات القليلة التى بقيت منه أن صاحبه كان ذا صلة بمعبد .

(٥) Pap. d'Orbiney.

ولما كان المصريون قد حرصوا على رد بداية النظام الملكى فى أرضهم ، إلى أبعد مايستطيعون تصوره ، ردوه إلى عهود الآلهة ، واعتادوا على أن يصفوا بعض أولئك الالهة بأسمى ما كانوا يصفون به فراعنتهم من العدالة والشجاعة والحكمة ، ورووا أخبار انتصاراتهم على أهل الفتنة فى عالمهم القديم . وليس من المستبعدأن رجال الدين كانوا يتقبلون هذه الروايات ويرددونها بحرفيتها وعلى علاتها ، ولكن ليس من المستبعد كذلك أن الرجل المثقف كان يدرك أنها تعنى انتصارات أتباع أولئك الارباب وعبدتهم الأوائل قبل كل شيء ، ويتقبلها تبعاً لذلك ويرددها باعتبارها رموزاً لصور التاريخ القومى البعيد الصحيح .

وإذا كانت الناحية التعليمية هى ما تعنينا أساسا من موضوع المعلومات التاريخية ، فإن ما قدمنا به عن تفرق هذه المعلومات وتفرق المعرفة بها بين أوساط مختلفة من المثقفين والرواة وإمكان تحصيلها خارج نطاق الدراسة المنتظمة ، كل ذلك يدعو الى التعقيب بالنقط الموجزة التالية :

١ — أنه من المحتمل جدا أن ما نحمله الآن لنقوش المعابد والمقابر ومناظرها من قيم تاريخية وتصوير للماضى وأحداثه وعقائده ، لم تكن تغيب دلالاته عن طلاب المعرفة من مثقفى العصور القديمة المتلاحقة ، فلقد كان منهم من يقصد المقابر والمعابد ويدون عليها أخبا رزياراته لها وتعرفه على أصحابها وعهودهم(١) ، وكان منهم من يبحث فى نصوص النصب ويقرأها ويفهمها (٢) ، كما كان من أصحاب النقوش والآثار من يقدر تطلع المثقفين فى العصور التالية له الى ما نقش وشيد فيأخذ فى اثبات الادلة فى نصوصه على صحة ما يود أن يعرفوه عنه (٣) .

وقد سجل المصريون كثيرا من تواريخهم صورا من قبل أن تتيسر لهم الكتابة ومن بعد ان يسروها ، ومن تواريخهم الاولى المصورة ما حفلت به الصلايات (اللوحات الاردوازية) القديمةمن أخبار وأحداث مصورة . ومن المحتمل أنه كان فى إيداع بعضها فى المعابد (٤) ما كان يتيح للمثقفين المتدينين الاطلاع عليها والاستنتاج منها ما وسعتهم كفاءة الاستنتاج .

٢ — حرصت بعض المدونات التاريخية الرسمية منذ أيام الدولة القديمة على ذكر ما تميزت به حوليات الفراعنة من حروب وأعياد ومنشآت (٥) . ومع ما يدل ذلك عليه من اهتمام المهيمنين على

(١) N. de G. DAVIES, A.H. GARDINER, The Tomb of Antefoker, London, 1920; Graffiti, pl. XXXV - XXXVII, pl. 27 f.; M.G. DARESSY, *Inscription Hiératique, d'un Mastaba d'Abousir,* in Bull. de l'Inst. Eg. 1894, 107 f.; E. DRIOTON et J.P.LAUER, *Une inscription de Khamouas sur la face sud de la pyramide d'Ounas,* in Ann. S. 1937, 201 f.

(٢) G. MASPERO, Les Contes populaires, 1911, p. 125; F.L. GRIFFITH, Stories of the High priests, p. 17 f.

(٣) Berlin 1157, 1.14; 16-17; 7316; J.H.BREASTED, Anc. Records, vol. I, 501, 503 (11.4-5; 17-18; 18-19); vol. II 317, 319.

see also: Abydos Stela (ofThutmosis I) 1.8; Amada Stela, 11-12; Urk. IV, 101, 10-11 157, 6; 368, 3; 439, 1; 751, 10; 835, 11-12; 1199, 15.

(٤) QUIBELL-GREEN, Hierakonpolis, II, p. 13 f.

(٥) SCHAEFER, Ein Bruchstueck Altaegyptischer Annals (Abh. Berlin, Akad.) 1902; GAUTHIER, Musée Egyptien III, pl. 24-31, p. 29-53; PETRIE, in Anc. Egypt, 1916, p. 114 f.; Urk I, 235 f.

الدولة بتقصى تواريخ الفراعنة السابقين ، فإنه يدل من ناحية أخرى على رغبة المعرفة بأحداث عهودهم الماضية وأمجادها ؛ أو على الأقل رغبة تخليدها ، دون الاقتصار منها على تخليد أسماء الفراعنة وحدها .

٣ — أنه مع مايعيب المدونات المصرية من الجفاف والاضطراب لتكون أعمالا تاريخية مدروسة ومفيدة بالمعنى الصحيح ، فإنها لاتخلو مما يميز الأعمال التاريخية من خصائص . ومن ذلك اتجاه بردية تورين إلى التبويب والتجميع فى نسبة بعض ملوكها الى عواصم معينة وتقسيمهم الى أسرات متمايزة ، فعرفت فراعنة الاسرة الثانية عشرة بعبارة « (ملوك) العاصمة إثت تاوى » ثم ذكرت اسم كل منهم ومدة حكمه بالسنة والشهر واليوم ، وانتهت بجمع مدد حكمهم جميعاً لتبدأ بعدهم مجموعة أخرى جديدة (١) . بل إن الاتجاه الى التجميع يمكن ترسم أصوله فيما سبق بردية تورين من المدونات حين ذكرت مدونة بالرمو ملوك فجر التاريخ فقسمتهم الى مجموعات : الآلهة ، وملوك الصعيد ، وملوك الدلتا ، وأتباع حور (٢) .

ويضاف الى ذلك أنه برغم مايسود المدونات التاريخية من أخطاء ومبالغات ، فإنه لايصعب ان نتبين لكتابها اتجاهات الى التقليل من المبالغات ما استطاعوا . وليس أدل على ذلك من اكتفاء كاتب مدونة بالرمو بذكر ملوك ماقبل الاسرات بأسمائهم فحسب دون أن يختلق لهم أعمالا غير مدونة فى عصره ، فى حين أخذ يفصل قليلا فى حوليات الأسرتين الاولين بعد أن تيسرت لديه الوثائق المكتوبة ، ثم أسهب بعد ذلك فيما استطاع الاطلاع عليه من حوليات سنفرو وحوليات فراعنة الاسرة الخامسة الذين عاش فى أيامهم . (٣)

٤ — أنه على نحو ماتسهم التواريخ الصريحة فى تنمية القومية والإيحاء بالاعتزاز بالاصول ، كذلك كان شأن مانشأ لدى المصريين من مذاهب نشأة الوجود وما اتصل بها من أساطير ، فلقد قررت تلك المذاهب أن الخلق بدأ فى مصر ، خلق الآلهة وخلق الناس ، فمن عمر مصر هم الناس (رمث أو رمثو) ، أما من سواهم فكانوا دون ذلك . وأخذت نظرية متأخرة بهذا الرأى على أنه حقيقة تاريخية وحاولت تفسيره على أساس من الواقع وتعدد الشعوب ، فذكرت أنه عندما هزم الاله رع اعداءه استطاع بعضهم الهرب ، فمن فروا الى الجنوب كونوا النوبيين ومن فروا الى الشمال أصبحوا الآسيويين ، فى حين نشأ اللوبيون من الفارين الى الغرب ، وأسلاف البدو من الفارين الى الشرق . (٤) .. وأخذت أحداث السياسة وسمو الحضارة تزكى من ناحية اخرى هذا الرأى عن سمو الشعب المصرى ، مما كان له أثره فى أوساط المثقفين وكتاباتهم ، فأصبحوا يرددون ان شعبهم هو شعب الشمس(٥) وشعب السماء »(٦) ، «والرعية

---

(١) Kahun Pap., ..., p. 84 f. وبما يذكر لكاتب البردية عدم نسبته ملوك الأسرة ١٣ إلى أسرة معينة مكتفياً بتعريفهم بأنهم « الملوك الذين أتوا بعد أبناء (؟) الملك سحتب ايب رع » .

(٢) MAYER, Aegyptische Chronologie, 203 ; LEPSIUS, Auswahl. Taf. pl. III f. ويرجع إلى حاشية ٥ ص ٣٣٨ .

(٣) Urk. I, 235 f. ومراجع حاشية ٥ ص ٣٣٨

(٤) E. NAVILLE, Mythe d'Horus, 21, 2

(٥) انظر ملحق النصوص Gol. Onomasticon, 3, 15 ; Pyr. 139, 335 see, Wb. IV, 133,8.

(٦) See, Wb. III, 114, 6.

النبيلة (١)« رعية الاله »(٢) ،وكان منهم من يفخر بنفسه أوبكتابه فيقول إنه « ثمرة كاتب من مصر »(٣) ، وكان من الفراعنة من هدد الهكسوس بقوله إنهم سوف يغادرون « مصر سيدتهم » مرغمين ؛ ومنهم من يقول: «لقد عملت على أن تظل مصر فوق رأس الدنيا كلها (أو فوق الجميع) »(٤) ومنهم من يفخر بأنه « سليل مصر يقيناً » (٥) ومن يقول : « ان كلمات أبناء رع نافذة وشفاهم عارفة وحكمتهم بلغت العلى (أو السماء) » (٦) .

وقد كان فيما سمعه المؤرخ هيرودوت من أهل المعرفة المصريين عن تاريخ أرضهم ، مايدل على أن منهم من لم يصرفه الجمود الدينى والاعتراف بفضل الأرباب والملوك عن ذكر مجهود السكان القدماء فيما أصبحت عليه بلاده من مجد وحضارة ، فرووا له أن مصر كانت فى عهد أول ملوكها «منى» عبارة عن مناقع فيما خلا منطقة طيبة وأن مايقع أسفل بحيرة موريس لم يكن قد ظهر شىء منه فوق سطح الماء ، وعقب هيرودوت على روايتهم بأن الدلائل تشير إلى أن مايقع أسفل بحيرة موريس (فى الفيوم) هو أرض منتزعة بأيدى المصريين ومجهوداتهم فعلا . ثم اتخذ الفخر بالماضى البعيد والقومية طابعاً آخر رواه ديودور الصقلى عن مصريى العصور المتأخرة وهو اعتقاد بعض أهل عصره من المثقفين المصريين بخروج جاليات من أسلافهم الأوائل عمرت الدنيا وأرست أسس الحضارة حيثما حلت . (٧) .

---

(١) – انظر ملحق النصوص .Pap. Westcar, 8,17 A.M. BLACKMAN, in J.E.A. VI, 66

(٢) Pap. Petersburg 1116a rt. 131 ; *see*, SPIEGELBERG, in AeZ. LXIV, 89 f. ; وانظر ملحق النصوص

(٣) Brit. Mus. Pap. 10474, I, 14.

(٤) انظر ملحق النصوص .MARIETTE, Abydos II 31, 21

(٥) انظر ملحق النصوص – Great Stela of Amenophis II, 1.8 (S. HASSAN, The Great Sphinx, p. 75)

(٦) انظر ملحق النصوص Pap. Turin 132, 14

(٧) DIODORUS, 19, 28

الفصل الرابع عشر

بين المعلم والتلميذ

صور معاملة التلاميذ فى مصر الفرعونية عدد من الموضوعات التهذيبية اتخذت هيئة الرسائل وصيغ بعضها على ألسنة الآباء وصيغ بعضها الآخر على ألسنة المعلمين ، ومال أغلبها نحو التعنيف وترديد عبارات التهديد ، بينما اتسم جانب آخر منها بروح الملاينة والترغيب ، ولو أنه كثيراً ما كان الموضوع الواحد منها يجمع بين الترغيب والتعنيف على سواء . وتتعدد الموضوعات التهذيبية أحيانا فى كراسات التلاميذ عن طريق الإملاء او النسخ دون استهداف الغرض التهذيبى منها فى كل مرة استهدافاً صريحاً ودون ان يكون بين المعلم وتلميذه ما يتطلبها ؛ ولكن برغم ذلك فالراجح أن المؤلف الأصلى لكل موضوع كان يستهدف غرضاً معينا من موضوعه وكان يخضع حين كتابته لدوافع صريحة ، وذلك مما يعنى أن هذه الموضوعات تستطيع أن تصور ما كان بين المعلمين والتلاميذ المصريين من معاملة ، الى حد مقبول يركن اليه .

واعتمد على المجموعة الاولى التى تجنح بعباراتها نحو التعنيف والتهديد ، أغلب الباحثين المحدثين فى تصويرهم معاملة المعلمين لتلاميذهم فذهب الأستاذ أدولف إرمان إلى أن أساس التعليم جميعه فى مصر القديمة كان فكرة مؤداها أن الصبى له ظهر وانه يطيع ويصغى عندما يضرب عليه ، ولهذا كان الضرب كثيراً لديهم وكان النظام المدرسى عنيفا قاسيا (١) . وذكر كابار أن العصا كانت دواء لكل شيء وكانت تستعمل لأتفه الاسباب ، فى المدرسة وفى غير المدرسة (٢) . واخذ Van de Walle بمثل رأى إرمان وزاد بالاستشهاد بأن كلمة يعلم كانت تخصص بمخصص الضارب (٣) . وعلى هذا النحو أشار جون ولسن الى ان كلمة يعلم كانت تعنى أيضا يعاقب ، مما يقربها الى معنى كلمة discipline وكأن المصريين فى رأيه حين جمعوا بين التعليم والعقاب فى كلمة واحدة قد أخذوا بالمثل القائل : «من أحبه ربه ابتلاه» (٤) .

---

(١) A. ERMAN, H. RANKE, Aegypten..., 376.

(٢) J. CAPART & M. WERBROUCK, Thebes, The Glory of a great Past, 1926, 288.

(٣) V. de WALLE, La Transmission des Textes Littéraires Egyptiens, Bruxelles 1948, p. 17, n. 2. – وانظر ملحق النصوص .

(٤) G. WILSON (and others), The Intellectual of Ancient Man, Chicago, 1948, p. 83.

وكانت تسمية المعلم المصرى بالنسبة الى تلميذه « سيده »(نبف)(١) ، وتسمية التلميذ بالنسبة الى معلمه « من تحت يده » (خرى عف)(٢) مما أوحى إلى الباحثين عامة بإضفاء السيطرة على جانب المعلم المصرى والخضوع على تلميذه .

وما من شك فى أن العصا ظلت علماً على سلطة المعلم آماداً طويلة ، وأن الضرب كان أمرا شبه مشروع لدى المربين فى كل المجتمعات القديمة . وعلى الرغم من ذلك فإن ما تقدم الاستشهاد به من آراء الباحثين عن المعلم المصرى وتلميذه يتطلب غير قليل من التعقيب والتعديل .

فكلمة يعلم المصرية ومشتقاتها مثل المعلم « سباو »(٣) وقاعة التعليم أو المدرسة « عت سبا »(٤) ؛ وإن خصصت أحياناً بمخصص الضارب أو الذراع القابضة على العصا (٥) فإنها خصصت كذلك أحيانا بهيئة البردية المربوطة التى ترمز إلى المعنويات فى الكتابة المصرية(٦) ، وبهيئة انسان يضع إصبعه على فمه وهو ما يخصص عملية النطق وما اليها (٧) ، كما أنها لم تخصص فى بعض أحوالها بشىء ألبتة(٨) . ثم إن مخصص الضارب أو القابض على العصا كان يهدف فى بعض الكلمات الى تأكيد معنى الرياسة والصدارة إلى جانب مايؤديه فى كلمات أخرى من معانى الجهد والعنف ، وقريب من ذلك دلالته فى ألقاب « مدير جناح تشريفات القصر »(٩) و « ساقى الملك »(١٠) سفرجى القصر(١١) ، وما أشبه ذلك من ألقاب لايمكن

(١) على سبيل المثال Pap. Bologna 1094, 2, 7 ; 5, 1 ; Pap. Sall. 1, 4, 5.

(٢) Pap. Anast. IV, la 1 ; Lansing 1, 1. انظر ملحق النصوص

(٣) Wb. IV, 83, 85 ; Kahun Pap. XXVI, 35, 40..., etc.

(٤) Anast. V. 22, 6 ; Sall. II, 9,4.

(٥) See, Wb. IV, 83 (D. 18) ; Urk. IV, 19, 13 ; 976 ; 1084 ; Leyden V, 1 ; Cairo 42221. انظر ملحق النصوص

(٦) Wb. IV, 83, 18 (M.R.) ; cf. Brit. Mus., 197 (Vol. II, pl. 23). *also* N.R. cf. Amarna IV, 15, 10 ; Urk. IV, 968, 10 ; Leyden V, 6 ; Theb. Grab 10 (Paser B « 166 » D 19 (Wb IV, 85, 10) ; Ann. Serv. XI, 79, 1, 3.

وهذا المخصص هو المعتاد فى كلمة تعليم أو تعاليم — (see, Wb. IV, 85-6) وانظر ملحق النصوص.

(٧) Beni Hasan, I, pl. 26, 213 ; Brit. Mus. 197 (vol. II, pl. 22) ; Pap. Boulaq IV, 6, 20 ; 10, 10 ; Rev. Arch. 1869, 260 (Prière de Ramsès IV) ; Berlin 20376.

(٨) S. HASSAN, Giza I, p. 67 ; Ti. 127 ; L.D. II 71 b. ; ERMAN, Reden, 36 ; Bersheh II, Pl. XXI, 8 b ; p. 44, 3 ; Brit. Mus. 197 (II, pl. 24) ; Siut, IV, 67 ; Pros. S.B.A. XVIII, p. 202, 1, 11 ; K. SETHE, Urk. des M.R.

ومن الدولة الحديثة : Wb. IV, 85, 4, 8, 9 ; cf. Louvre A 51 ; Flor. 1776 ; Pap Boulaq IV, 6, 20 ; DUM., Hist., I, 41 ; GOLENISCHIEFF, Die Metternichstele, Taf. IV, 57.

وغالباً ماكان تعبير « ربيب الملك » أو « من علمه الملك » يكتب دون مخصص .. — انظر ملحق النصوص . (Wb. IV, 84, 4, 16 ; and cf. MAR., Mast., p. 237 ; 442 ; JUNKER, Giza VII,235, 240 ; Berlin 20376 ; L.D. III, 200a, c. ; PIEL, Inscrip., pl. CIX.

(٩) Brit. Mus. 10379, 35 ; *see,* A.H. GARDINER, Onomastica, I,44. وانظر ملحق النصوص

(١٠) Pap. Anast. IV, 23,8 ; 24,4. — وانظر ملحق النصوص

(١١) انظر ملحق النصوص — Pap. Hood, 2, 10 وتذكر نقوش معبد حابو سقاة الملك عقب الأمراء مباشرة مما يعنى تميزهم وأهميتهم. see, J.H. BREASTED, Anc. Records, IV, p. 37, 45).

أن يكون أصحابها ممن يستعملون عصيهم للضرب والإيذاء(١). فكتابة كلمة «سبا» بمعنى يعلم وبمخصص الشخص مشهر العصا ليس من الحتم إذن أن تعنى اقتران ذكر المعلم المصرى بالضرب دائما وإنما هى قد تعنى كذلك مجرد الإشارة إلى رياسته أو إشرافه على تلاميذه كما سيتضح من مناقشة تالية .

أما التعبير عن كل من كلمتى يعلم ويعاقب المصريتين بكلمة « سبا » (٢) فيحتمل فرضين وهما : أن تكون الكلمتان من أصل لغوى واحد ، أو تكونا من أصلين مختلفين :

فإن كانت الاولى كما ذهب جون ولسن ، أمكن أن يضاف الى مايراه من تشابه «سبا» المصرية مع discipline التى استعملت فى أكثر من لغة أجنبية بمعانى أدب وهذب وعود على النظام وعاقب ..... الخ ، تشابه آخر لها مع الكلمات العربية ثقف وهذب وأدب ، وقد حملت نفس المعانى المزدوجة أى معانى ترقية الطباع وتقويم المعوج ومعانى الجهد والعنف فى آن واحد . (٣) .

ومعنى ذلك أنه لو كتبت كلمات اللغة العربية أو ما سواها من اللغات بالصور والمخصصات كما كتب المصريون لغتهم لما خصصت الكلمات المشابهة بغير مخصص الرجل الممسك بالعصا ، على الرغم من غلبة معانيها الاخرى الدالة على الإرشاد والهداية والترقية . ولا يخلو من دلالة مع ذلك أن أحد مترادفات كلمة يعلم وهى «متر» أو «متى» التى تعنى يرشد ويوجه ويهذب ويثقف ، كتبت هى ومشتقاتها دائما بمخصص المتحدث الذى يشير بإصبعه إلى فمه دلالة على النطق ، وبصورة البردية المربوطة التى تخصص المعنويات ، دون مخصص الضارب . (٤)

وإذا كانت كلمتا يعلم ويعاقب من أصلين مختلفين ، فإن كلمة يعلم « سبا » أقرب إلى أن تكون من ذات أصل كلمة النجم «سبا» (٥) وتحمل بذلك معنى الهداية والإرشاد . ويرجح هذا انها غالبا ما تتبع براء الجر المصرية التى تعنى الى ، فيكون معناها يهدى الى ، و يرشد الى ، و يقود الى ، فى حين لا يستقيم استخدام هذا الحرف مع غير ذلك من المعانى (٦) ولعله لهذا أن سمى ربان السفينة والقائم على توجيه

---

(١) عن احتمالات التعبير عن الجهد يقارن تصوير هذا المخصص فى مثل عبارة « أم ترضع ولدها » (Lansing 3,2) وعبارة « أمها ومرضعتها » و (Pap. Leiden 370 Rs2) وعبارة « مرضعة تربى طفلها » (Ebers 97, 10) وانظر ملحق النصوص *see also*, Wb. IV, 564,

(٢) *see*, Wb. IV, 86,8 f.

(٣) فيقال فى اللغة العربية ثقف الشىء حذقه ولكن للكلمة نفسها صلتها بتثقيف الرمح أى تقويم المعوج منه واستئصال البارز منه (لسان العرب ج ١٠ ص ٢٦٢ - ٦٣) وقيل إن الأدب يعنى حسن التناول وسمى أدباً لأنه يأدب أى يدعو الناس إلى المحامد ويقال للبعير إذا ريض وذلل أديب ومؤدب (نفس المرجع ج ١ ص ٢٠٠) وقد تعنى كلمة يأدب معنى ينظم أيضاً . وتحمل كلمة هذب المعانى المزدوجة نفسها .

(٤) راجع ملحق النصوص عن نماذج لما وردت به هذه الكلمة فى الموضوعات التعليمية - وانظر Weisheitslehren, = Erziehnungslehre, auf den rechten Weg bringen(SPIEGELBERG, *Der aegyptische Name der sogenannten Weisheitslehren,* in AeZ, 53, 115; *see also,* A.H. GARDINER Literary texts of the New Kingdom, I, p. 22.

(٥) F. Ll. GRIFFITH, in J.E.A. XIII, 28 f.

(٦) وعن إلحاقها فى أحيان قليلة بحرف م see, Wb. IV, 84, 2; see also Die Metternichstele. Taf. IV, 57

دلتها « سبا (ى) » أيضا .(١) ولعله بمعنى الإرشاد كذلك ان كان من المصريين من يقول عن نفسه : « انى النجم «سبا» (الهادى) لامثاله والمرشد لمن هم اكبر منه »(٢) ويعنى بذلك الهداية والإرشاد بمعرفته .

واستنادا على هذا الفرض يكون تخصيص كلمة يعلم «سبا» بمخصص الضارب فى بعض أحوالها ناتجا عن خلط وتأثر بما كانت تخصص به كلمة يعاقب المتشابهة معها فى النطق دون المعنى .

ويبقى اقتران التعبيرين «سيده» و «من تحت يده» كل منهما بالآخر ، وفيهما ما يلمح حقا الى مقابلة بين سيطرة وخضوع ، لا سيما وأن الموضوعات التهذيبية التى وجهها المعلمون الى تلاميذهم ، حتى ما آثر منها الملاينة والترغيب ، يندر فيها الخطاب الشخصى العطوف الذى نؤثره فى قولنا « يا بنى » او ما اشبه به ، ولا يستثنى من ذلك فيما نعلم غير موضوعين ، احدهما من كتاب الكمال فى العصر الاهناسى ، ويقول المعلم فيه « اعمل يا بنى (على) تعلم الكتابة »(٣) ، والآخر من عصر الرعامسة ويبدأه المعلم بما يحتمل أن يعنى «يا صغيرى (أو أيها الصغير)»(٤) وذلك إلى جانب عبارتين غامضتين من تعاليم بتاح حوتب يحتمل قوله فى إحداهما : «(وهذا) من أجلك ياولدى» ويحتمل قوله فى الأخرى : «علم المستمع (إليك) كأنه ولدك يفلح بين النبلاء» (٥) .

ومع ذلك فى تعبيرى سيده ومن تحت يده ما يتطلب شيئاً من التعقيب. فتسمية التلميذ معلمه «سيده» قد لا تعنى الخضوع كله وانما يحتمل أنها قامت على نوع من الاحترام يماثل ما تعودناه فى أوساطنا الشعبية من تسمية معلم الكتاب «سيدنا» وتسمية كتابه «كتاب سيدنا» توقيراً له واعترافاً بعلمه وفضله . كما أن تسمية التلميذ «من تحت يده» بمعنى من تحت اشرافه ، أو من يعمل تحت اشرافه ، خاصة فى تعليم الإدارات حيث يكون المعلم كاتباً متميزاً ويكون التلميذ من كتبته المساعدين الصغار ، قد تكون ذات صلة هى الاخرى بقولنا تخرج على يده أو «من تحت يده» وهو تعبير استعمله المصريون القدماء بالذات (٦) .

ومما ينبغى تقديره من ناحية أخرى أن المعلم كثيراً ما كان يخاطب التلميذ الناضج فى موضوعاته التهذيبية بلقب «الكاتب» (٧) وهو ذات اللقب الذى يذكره لنفسه (إلا إذا كان يجمع اليه وظيفة أخرى

---

(١) sb' y = Steuermann ; H. JUNKER, Giza IV, 60 f. ; 63 ; Urk. I, 67,3 ; 181,3 = Vorsteher der Steuerleute = JUNKER, Giza V, 186 ; VI, 40, 234, 240 ; P. MONTET, Les scènes de la vie privée, p. 354, 412 = « fait la règle » ; also, L.D. II, 96.

(٢) K. SETHE, Urk. des mittleren Reiches, I, 63,3 انظر ملحق النصوص

(٣) G. POSENER, Cat. des Ostraca Hieratiques Litteraires... Le Caire 1951, pl.XX. انظر ملحق النصوص

(٤) انظر ملحق النصوص — وعن مناقشة هذا التعبير W. SPIEGELBERG, in Orient Literatur, 1924, S. 188-9 ; A.M. BLACKMAN and T.E. PEET, Papyrus Lansing, in J.E.A. XI, 286, n. 4 ; WIEDMANN, Sammlung, 24.

(٥) Brit. Mus. Pap. 10371/10435 ; Pap. Prisse 566-567 انظر ملحق النصوص

(٦) FARNIA, Varianti Del Papiro Anastasi I (Torino 9743, 4), Rivista degli studi orientali, 13, 312 f. also : A. ERMAN, in AeZ, XLII, 128 f. ; K. SETHE, op. cit., 131. ملحق النصوص

(٧) تراجع ص ١٨٣ — ومنها : Bologna 1094, 3, 5 f. ; Anast. III, 3, 9 ; Sall. I, 5,5, etc.

فيذكرها معه) . وذلك قد يعنى انه كان ثمة احترام لفظى تقليدى متبادل بين المعلم وتلميذه ، وان يكن احتراماً شكليا محضاً من قبل المعلم الذى لم يكن يتحرج من أن يتبعه بتهديده وتعنيفه القاسى . وعلى أية حال فقد كان للمعلم فضلا عن تسمية تلميذه له « بسيدى » واتخاذه لنفسه لقب « الكاتب » ، تسمياته الاخرى التى تقدم بعضها خلال البحث ،.وهى المشتقة من كلمة سبا(١)

أما التلميذ فيذكر له قاموس برلين فضلا عن تسميتى « الكاتب » «ومن تحت اليد » (بمعنى الصبى) ، اسم عزد أو عزد شرى (٢) ، واسم نزس إقر (٣) ، ولو أن أولهما فيما نعتقد أقرب إلى أن يتصل بسن التلميذ ، وثانيهما أقرب إلى وصفه بمعنى « ولد شاطر » ، أكثر من أى شىء آخر .

ونعود إلى ما تضمنته الموضوعات التهذيبية أو التوجيهية بأنواعها الثلاثة ، فنجد أن أولاها وما جنح منها نحو التعنيف والتخويف يبدأ بمثل العبارات التالية :

« لقد قيل لى انك هجرت الكتابة وانك تنطلق وتهرب ..
إنك تهجر الكتب ماوسعتك رجلاك كأنك فرس .... » (٤) .

« لقد قيل لى إنك هجرت الكتابة ، وانغمست فى الملاذ ، وقد خلفت قفاك لأقوال الرب ونبذت مهنة تحوتى .... » (٥)

« لا تكن إنساناً بغير عقل ولا علم له ، إن يقضى الإنسان الليل يهذبك وينفق النهار يعلمك (٦) ما أطعت (أو سمعت) تهذيباً قط وبقيت تنفذ مآربك » (٧) .

« إن قلبى مل من ذكر النصائح »(٨)

« إنك مشغول كثيراً بالدخول والخروج ، تتجاهل الكتب ، وتتنازع معى ،(عزوفاً) عن الفهم ، وتلقى توجيهاتى ظهرياً .... (٩)

« يا صغيرى ما أشد مغالاة قلبك بحيث لا تستمع (إلى) حينما أتكلم .... (١٠) .

« إنك لاتلقى بالاً لحديث ما فلقد أصمت الملاهى سمعك وعاش قلبك مع اللاهين الذين صادقتهم (١١)

أما قرائن العقاب ووسائله فى هذه الموضوعات فمنها :

« ولسوف أجعل قدميك تتعثران (؟) حين السير فى الحوارى ، ولسوف تضرب بجلد فرس النهر »

---

(١) يراجع Wb. IV, 85 ; 4, 8,9 انظر ملحق النصوص

(٢) Wb. I, 242, 11, 16 = Schüler. والزاى فى الاسمين بديل من الجيم المعطشة

(٣) Wb. II, 385, 8 = Schulknabe. انظر ملحق النصوص

(٤) Pap. Anast. IV 2, 4 f.; Pap. Kollar, 2, 2 f. – وانظر ملحق النصوص

(٥) Pap. Anast. V, 6, 1 f. — وانظر ملحق النصوص .

(٦) انظر قراءة إرمان : بالليل يهذبك ، واحد وبالنهار يعلمك واحد ... الخ (op. cit. 243)

(٧) Pap. Bologna 1094, 3, 6 f (٨) Sall. I, 7, 10 وانظر النصوص .

(٩) Lansing 3, 4-5 ; BLACKMAN-PEET, in J.E.A. XI, 287. وانظر النصوص .

(١٠) Lansing, 2, 4. ـ وانظر النصوص .

(١١) Anast. V, 4-5.

وفى ذات الموضوع يصف المعلم ما لقيه هو جزاء شقاوته فى صغره فيقول : « ولقد قضيت زمناً فى الفلقة التى شدت أعضائى وبقيت على ثلاثة اشهر وأنا محجوز فى المعبد »(١) .

« أيها الكاتب لا تكن كسولا والا عوقبت بشدة ولاتصرف قلبك إلى الملاذ وإلا هلكت (أو دمرت) (٢)

« إياك أن تقضى يوماً فى كسل أو فالويل لبدنك » (٣)

« لاتقض يوماً فى كسل وإلا ضربت فإن للصبى ظهراً يطيع حين يضرب (عليه) (٤) .

« إنى وان ضربتك مائة ضربة فلن تعبأ بها جميعاً ، ... (ولكنى) سأجعلك إنسانا أيها الولد الفاسد ولعلك تعى ذلك (٥) .

« إنى لو ضربتك بكل عصا ما أطعت . وليتنى كنت أعـ ف طـ يقة أخرى يمكن عملها إذن لفعلتها لك حتى تطيع (أو تستمع) » (٦) .

وكثيراً ما اقترن التعنيف اللفظى بالتهديد بالضرب والعقاب ، أو يكون هو كل ما يأتى الموضوع به دون الضرب والعقاب ، ويقوم على تشبيه التلميذ بالحيوان الأعجم أو بما هو دونه فيقال :

« إن عقلك أثقل من أثر شاهق ارتفاعه مائة ذراع وعرضه عشرة انتهى كل عمله وتهيأت حشود كثيرة من الرجال لحمله ... وهو (يكاد) يسمع أحاديث الناس » . ثم يتكلم عن البقرة وطاعتها بحيث « يتبقى عليها أن تتكلم » وعن الخيول التى تراض وتطيع خوفاً من العقاب، ثم يعقب بقوله : « فى حين أنى لو ضربتك بكل عصا ما أطعت ... إلخ » (٧) .

ويقال « ... إن حيوان الكيرى يسمع الكلام بعد أن يستورد من بلاد كاش ، ويعمل الإنسان على تعليم الأسود ، ويكبح (جماح) الخيول ، عداك أنت ، فما يعلم أحد مثيلك فى الدنيا كلها (أو بين الناس جميعا) » (٨)

ويتضح من الأمثلة السابقة جميعها :

١ — أن أنواع العقاب كانت تتمثل فى الضرب على القدمين ، والتذنيب اى الحجز والتقييد ، والضرب بالعصا أو بسير من الجلد ، ثم الضرب على الظهر (باليد أو بالعصا أو بالجلد ؟) (٩) وذلك فضلا عن التعنيف والتحذير الذى سبقت أمثلته .

٢ — أن الضرب كان يلجأ إليه بعد أن تخيب الوسائل الأخرى التى كان منها تكرار النصائح والتوجيهات حتى يمل قلب الناصح ذكرها ، وبحيث يتمنى المعلم لو عرف طريقة أخرى يفعلها ، كما كان منها أمر التلميذ بأن يواصل ليله بنهاره فى الجد والدراسة فيقال له « اقض النهار تكتب بأصابعك ، على أن تقرأ بالليل ..(١٠)

---

(١) Pap. Anast. V, 17, 5 f.

(٢) Anast. III, 3, 9-10

(٣) Anast. V, 23, 5.

(٤) Anast. V, 8, 6

(٥) Sall. I, 7, 11 f.

(٦) Lansing, 2, 8-9.

(٧) Lansing, 2, 4 f.

(٨) Bologna 1094, 3, 9-4 ; also Anast. III, 3,9 وانظر ملحق النصوص

(٩) تراجع أيضاً ص ٣٤٨ (Pap. Anast. IV, 8, 7 f.; Lansing, 11, 1

(١٠) Pap. Lansing, 2, 1 ; O.D.M. 1031 ; *also*, Sall. I, 3, 6 = Anast. V, 10, 3.

٣ — أن العقاب كان يبرر دائماً بإذناب من يستحقه ، فلم يكن إذن « أساساً للتعليم كله » كما يقول الأستاذ إرمان ومن جروا على هديه من الباحثين (١) ، وإنما هو كما دلت مقدمات الموضوعات السابقة ، من نصيب المتكاسل ، ومن يهجر الكتابة ، ومن يفر من الدراسة ويهرب ، ومن ينغمس فى الملاذ (٢) ، ومن يجعل همه أن يتسكع فى الطرقات ، وكثير الدخول والخروج بدون مبرر طبعاً ، ومن يتعالى على معلمه ويعزف عن الاستماع إليه ، ومن تراض الأسود وتكبح الخيول ويعلم الحيوان الأعجم فيرقص ، دون أن يراض هو أو يكبح جماحه .

والطريف أن التربية الإغريقية ممثلة فى قوانين أفلاطون قد سارت على نفس النهج من حيث تشبيه الطفل بالحيوان أو بما هو دونه ، إذ جعلت ضرورة رقابة الأطفال كضرورة الراعى للأغنام والسيد للعبيد ، واعتبرت الطفل حيواناً عصيا دونه سائر الحيوانات ، إذ هو أكثرها ذكاء وأكثرها مخاتلة أيضاً ، ولهذا يجب أن يحاط بكثير من القيود (٣).

وعلى أية حال ، فلعله لمثل هذا النوع من الأشقياء والأغبياء أراد عنخ شاشنقى المصرى أن يوفر على ولده إذا نضج عناء بذل الجهد معهم ، حين قال له : « لاتنصح غبياً حتى لا يكرهك ولا تنصح من لا يصغى إليك » ثم برر ذلك بقوله : « ثقيل على (نفسى) ما يعملونه ، يقولها الغبى حين ينصحونه » . (٤)

لقد كانت هذه هى الناحية الخشنة لما بين المعلم المصرى وتلميذه . غير أنه بالوسع ودون أن نبرئ أساليب التربية القديمة من عيوبها ، أن نرتب على دواعى العقاب ووسائله السابقة ، أن المربين المصريين لم يكونوا وحدهم الآخذين بها ، فالتوبيخ ثم الضرب كعلاج أخير للمهمل والشقى والعنيد ولمن ساء خلقه ، كان أمراً مشروعاً فى عرف المربين فى كل مجتمع وزمان ، حتى ظهرت المبادئ التربوية الحديثة وتوفرت للتدريس مشوقاته وظروفه المشجعة . وعلى أية حال ، فإذا عدونا قساة المعلمين وأشقياء التلاميذ ، وهذه المجموعة من الموضوعات التهذيبية التى تكاد تصور الدراسة وكأنها محنة يتهرب التلميذ منها ويعانى المعلم منها ، فإن المجموعة الثانية من الموضوعات التهذيبية التى مالت نحو الملاينة والترغيب تكشف عن جانب آخر من حياة الدراسة المصرية مخالف تماماً للجانب الذى سبق تصويره .

فمن أصحاب هذه الموضوعات من المربين والمعلمين من وصف التعليم بأنه « طيب لا عناء فيه » (٥).

---

(١) تراجع ص ٣٤١

(٢) Pap. Lansing, 8, 4 f.

(٣) Laws of Plato, Book VII; P. MONROE, Source Book of the History of education for the Greek and Roman Period, p. 247; also Protagoras 325D.

ثم كان من قول أرسطو إنه « لاينبغى أن يعتبر التعليم وسيلة تسرية ، ولاينبغى أن يلعب الأطفال حين يتعلمون ، فالتعليم فى مجمله متعب » ، وكان الشاعر الرومانى هوراس يصف معلمه أوربليوس بوبيلوس بالجلاد ، وكان من قول مارتيال الرومانى لمدرس يسكن بجواره « أيها المدرس الملعون بأى حق توقظنا قبل صياح الديكة بأصوات تهديداتك وضرباتك الخشنة (لتلاميذك) ؟» . (٤)

F.R. Cowell, Everyday Life in Ancient Rome, 1961, 40 f.

ومن المناظر الرومانية ما يصور اثنين يمدان تلميذا عاريا إلا من لباس العورة ، أحدهما يحمله على ظهره ويكبل يديه والآخر يشد رجليه والمعلم يجلده بالسوط على ظهره العارى .(Ibid., Fig. 14)

(٤) Brit. Mus. Pap. 10508, VII, 4-5; X, 6.

(٥) انظر ملحق النصوص — Pap. Ch. Beatty IV. vs. 6

ثم لخص مهمة المربى فى قوله لتلميذه : « إنما أبسط لك التعاليم فى مواجهتك وأقوّم لك سبيل الحياة » (١).

وفى مثل قوله : « إنما أعمل على أن تدرك الصواب فى قلبك ، ولتفعل (بعد ذلك) ما هو قويم فى نظرك (أو ما يستقيم تجاهلك) (٢) .

وإزاء ذلك المعلم الذى قال : « مل قلبى ذكر النصائح » قال معلم آخر دؤوب : « اكتب بيدك واقرأ بفمك واعمل (أو قل) مثلماأقول ... فلن يمل قلبى نداك (؟) ، ولقد أحببتك أكثر من .... ، لتهذيبى اياك ، ولسوف تجدها نافعة » (٣) .

و قال مرب آخر فى سياق فخره بنفسه « كنت أعلم الأولاد بالحديث الطيب والأناة » (٤)

وقال معلم : « آخ الصحيفة واللوح ، فذاك أمتع من الخمر الطازجة ، أما الكتابة فهى لمن يعرفها أكثر قيمة من كل المهن ، وهى أمتع من الزاد والشراب ومن الملابس والطيب (بل) إنها أعز من إرث وارث (؟) على (أرض) مصر ومن ضريح فى الغرب » (٥) .

وقال معلم آخر : « أما الكتابة فهى ألذ من امتاع الفؤاد بسلة من باى (؟) وخروب ، وممتعة (لمدرسها ؟) بما هو أكثر من (متعة) أم ولود لم يبق هم لقلبها (بعد الولادة) ثم تظل دؤوبة على ارضاع طفلها وعلى أن يظل ثديها فى فمه باستمرار » (٦)

وأمتع من ذلك جميعه كانت تلك الرسالة التى أشادت بخلود المؤلفين أصحاب الكتب والتعاليم والتى رغب فيها المعلم تلميذه بأن يكون له مثل عملهم وخلودهم (ص ١٣٧ ، ص ٢٧٩) .

وإذن فقد كان من المربين والمعلمين المصريين من يرى أن مهمة التربية هى التوجيه دون الإرغام ، ومن يؤمن بجوانب المتعة فى العلم وفى الاستمرار عليه ، ومن يكن هذا رأيه فى العلم فما من شك أنه كان يسلك فى الدعوة إليه وتدريسه سبيلا غير سبيل العنف والتعنيف ، وما من شك أيضاً فى أن هذا العدد من المربين أو المعلمين لم يكن يعوزهم من يتجاوب معهم من التلاميذ ، فيكون من أثر ذلك التجاوب أن تنعقد أواصر التفاهم والاطمئنان بينهم جميعهم ، ثم لا يكون هناك عصاً ولا زجر ولا تذنيب .

ومن المحتمل أن روح التواد والتفاهم هذه هى التى أنتجت ما تضمنته كراسات بعض التلاميذ من رسائل وجهوها إلى معلميهم وعبروا لهم فيها عن خالص الولاء وطيب الأمانى . وتقدم التنويه بأن من هذه الرسائل ما تناقلته أكثر من كراسة ، غير أن ما اتصفت به جميعها من سذاجة التعبير والإغراق فى المديح يدعو إلى ترجيح أنها كانت فى أصلها من خالص تفكير بعض التلاميذ وانشائهم ثم تناقلها غيرهم عنهم .

---

(١) Pap. Ch. Beatty, IV, vs., انظر ملحق النصوص – وتراجع ص ٢٨٠

(٢) Ibid., 6,9 – ملحق النصوص

(٣) Pap. Lansing, 1, 4 f. – وانظر ملحق النصوص

(٤) P.S.B.A., XVIII, 196, 11.

وتراجع ص ٧٦ وص ٣٤٤ عن عبارة لبتاح حوتب افترضنا لها ترجمتين تقول إحداهما : « أعلم المستمع إليك كأنه ولدك يفلح بين النبلاء » ولو صحت لكانت مبدأ جليلا فى التعليم منذ الدولة القديمة .

(٥) انظر ملحق النصوص – Pap. Lansing 2, 2 f. ويمكن أن يحل لفظ الكتاب أو الكتب محل لفظ الكتابة فى هذه الجملة .

وتراجع تصويبات جاردنر لهذه الجملة .(Late Eg. Miscell, p. 101 a. 14-15)

(٦) Lansing, 3, 1-2.

ومن هذه الرسائل ما يقول التلميذ فيه لمعلمه (١) « لقد نشأت طفلا وأنا بجوارك ، وكنت تضرب (أو تربت على ؟) ظهرى (٢) وكان تعليمك ينفذ إلى مسمعى وأصبحت أشبه بجواد ينكث (بحافره) لا يأتينى وسن فى قلبى بنهار ، ولا يتملكنى فى ليل ، ذلك أنى أود أن أصبح نافعاً لسيدى كما يكون الخادم النافع لسيده وإنى لأود أن أبنى لك قصراً من جديد .. » ثم يسرف فى وصف هذا القصر بما تقدم التنويه عنه فى موضعه.

وأهدى أحدهم موضوعه لمدرسه ثم عقب بأنه من « صبيه وصفيه » الكاتب فلان (٣) . مما يعنى صلة الود بينهما . ولم يجد الطالب ونمدى أمون بأساً فى أن يسمى مدرسه نب ماعت رع نخت فى بعض موضوعاته باسم التدليل « ريا » (٤) دلالة على قيام الألفة بينهما .

وكتب طالب آخر إلى معلمه (٥) : « يا هذا (؟) . لسوف تظل راسخاً ، والخير لديك يومياً ، جذلا سعيداً باستمرار ومحموداً مليون مرة . سينعقد لك الفرح والسرور وينبض بدنك صحة وتوهب المزيد من الشباب كل يوم ومامن بأس يعتريك ، (إلى أن) يأتى عام تذكر بطيباتك (فيه) ... » وقال « لن تهرم ولن تمرض ، وستكمل مائة عام وعشرة على سطح الأرض ، وأعضاؤك شديدة شأن ما يجازى به الشكور مثلك عندما يرضيه ربه . (وبعد ذلك) يستودعك رب الأرباب لدى أرباب جبل مانو (٦) وتخرج لك العطايا (أو طاقات الزهر ؟) فى بو صير ، والماء الطهور فى الجبانة ، وتنطلق روحك لتقوم بتجوالها حيث شاءت » . ولم تكن هذه الرسالة هى كل ما لدى صاحبها من وفاء لمعلمه وإنما هو قد آثر أن يفتتح كراسته بتعداد مناقب وألقاب معلمه ثم ختمها بتكرار بعض هذه المناقب والألقاب ثانية . وأشباه هذه الرسائل الوفية كثير ومن أطرفها تلك المقطوعة الشعرية التى استشهدنا بألفاظها الهيروغليفية فى حديثنا عن دور الشعر فى الدراسات الأدبية (ص٢٦٦) (٧) .

وتبقى المجموعة الثالثة من الموضوعات التهذيبية والتوجيهية ، وهى التى تجمع بين الوعد والوعيد وبين اللين والشدة . وأوضح ما يميزها أنها تسلك مسلك الإقناع ، سواء أكان إقناعاً بصواب رأى المعلم أم بسخف رأى التلميذ ، وأنها على ما فيها من تسفيه لرأى التلميذ لا تخلو مما يدل على اصطناع المعلم للصبر بحيث ينشئ لتلميذه الصفحات العديدة أملا فى أن يستبين منها ما يود أن يبصره به أو يوجهه إليه .

ومن ذلك أن قال قاجابو لتلميذه إننا (٨) : « مامعنى قولك : يقال إن الجندى أسعد من الكاتب ؟ تعال أحدثك عن أحوال الجندى .. » ثم استرسل فى ذكر ما عن له من مشقات الجندية متخيراً أقساها بطبيعة الحال . وكما بدأ باستنكار رأى تلميذه انتهى إلى ما يدل على اطمئنانه أنه قد بلغ من الإقناع غايته فختم موضوعه بقوله : « فيأيها الكاتب إننا عد إلى القول بسعادة الكاتب عن الجندى » .

---

(١) Lansing, 11, 1f. ; Anast. IV, 8, 7 f.

(٢) يترجمها أدولف إرمان : « (لقد نشأتنى) طفلا ، وعندما كنت بجوارك كنت تضرب ظهرى ... » وانظر B. BLACKMAN, T.E. PEET, in J.E.A. XI, 293 — وانظر النصوص Lit., 267.

(٣) O.D.M. 1106, 4-5

(٤) Pap. Lansing 12, 1 ; 13a6

(٥) Anast. III, 4,4 f.

(٦) see, A. ERMAN, Die Literatur, 270, Anm. 2.

(٧) Pap. Anast. IV, 3, 11 f., and see, Pap. Anast. III, 1, 1 f., Anast. IV, 3, 2 f. = Ost. GARDINER 28, Ost. Petrie 33

(٨) Anast. IV, 9, 4 f.

وقال معلم آخر : « تعال اشرح لك حالة المزارع تلك المهنة الشاقة »(١) ثم أخذ فى تفصيل ما يلاقيه المزارع فى حياته بما يملأ صفحتين من كراسة تلميذه لينتهى أخيراً إلى قوله : « فإذا كان (لك) عقل كن كاتباً . ولقد طمأنت نفسك عن (حال) المزارع ، فهل لم تدرك (بعد) (ما يجب أن) يعمل ؟ ، عسى أن تكون أدركته » .

وقال : « يحسن أن تتأمل بعينك شخصياً فالمهن جميعها ماثلة أمامك »(٢) ثم سلك مسلك خيتى بن دواوف مع ابنه فساق له من هذه المهن مهنة الغسال والفخار والحذاء ومربى الزهور (؟) والتاجر والملاح والنجار (؟) موضحاً له ما يعانيه أهلها لينتهى إلى قوله : « وراع أنى أعلمك (أو أهذبك) وأعمل على سلامة بدنك وحتى تتسلم لوحتك دون تعويق »(٣) وبعد أن أسهب فى ذكر ماينتظره إذا أصبح كاتباً، عقب بقوله : « وتعال أذكر لك متاعب الجندى » وأسهب فى هذه هى الأخرى حتى شغل بها من كراسة تلميذه أكثر من صفحتين .

وأخيراً ومهما يكن ما اتضح فى المجموعات الثلاث السابقة للرسائل التهذيبية من فوارق بين شدة معلمين وبين سماحة معلمين آخرين ، فإن طابع التأدب والتفرغ للدراسة والجد فيها ظل مما يستحب فى التلميذ المصرى . وقال فى ذلك من يدعى « إنحرمس » عن نفسه : « كنت طفلا خجولا ، استقريت بالمدرسة ، ولم أكن آخذ فيها أو أعطى (لا آخذ ولا أجيب) ، مراعياً (فحسب) ما أود أن أجده (أى ما أود أن أعرفه) »(٤) . ولو أن طابع الحياء والجد هذا لم يكن يحول فى الوقت نفسه دون أن يظهر التلميذ القادر فى مدرسته بالمظهر اللائق ، وذلك بحيث ينبهه أبوه حين ذهابه إليها بقوله : « ساو ملابسك واعتن (؟) بنعالك » (٥) .

---

(١) Lansing, 5,8 f.

(٢) Lansing, 4, 2 f. وانظر ملحق النصوص .

(٣) Ibid., 8, 7-10, 10 انظر ملحق النصوص

(٤) (H. KEES in AeZ. 73, 81 ; A.H. GARDINER, in J.E.A. XXIV, 124)

تراجع ص ١٧٣ ومراعاة التأدب والهدوء فى المدرسة قد لا يكون فيها ما يشذ به التلميذ المصرى عن غيره ، ولكن إيثار انصراف التلميذ إلى الدراسة وحدها يختلف عما أصبحت تدل عليه تسمية المدرسة لدى الإغريق Schoulé إذ يقال إن الأصل فى هذه التسمية يرجع إلى معنى الاستجمام والفراغ أكثر مما يعنى التفرغ للعمل ، وكذلك كان الأصل فى تسمية المدرسة الرومانية Ludus إذ تعنى اللعب والرياضة والتخلى أيضاً ، وذلك على الرغم من صور القسوة فى حياتها الفعلية التى استشهدنا بإشارة منها فى صفحة ٣٤٧ حاشية ٣ ، وذلك فى حين تعنى المدرسة لدى المصريين « مكان التعليم » أو مكان الهداية ، إلا إذا حملت كلمة « سبا » شيئاً من معانى العنف ، فيكون معنى المدرسة مكان التأديب أو ما يشبه ذلك ، والمعنى الأول أرجح .

(٥) Pap. Anast. V, 22,8 f.

ويراجع عن المعلمين والتلاميذ والمدارس وشئون التعليم فى العصور المتأخرة التى تلت العصور الفرعونية :

ابراهيم نصحى : التعليم فى عصر البطالمة .

NILSON, Die Hellenistische Schule, 85 f.

W.G. OTTO, Die biographischen Inschriften der aegyptischen Spâtzeit, Leiden, 1954

A. VOLTEN, « *An alphabetical Dictionary and Grammar in Demotic* », in Archiv. Oriental., 1953, 496 f.

الفصل الخامس عشر

ا — المراكز الثقافية الكبيرة

أشادت المصادر الإغريقية والمتون المصرية المتأخرة بمراكز ثقافية مصرية كبيرة ظلت مهبط أهل الفكر والمتطلعين إلى التعرف على أسرار الحضارة والعقائد ، فضلا عن إشادتها بمكتبات تضمنت نفائس المخطوطات والمعارف . وليس من شك فى أن مصر التى عاصرها الإغريق وصورتها المتون المتأخرة لم تكن فى حياتها الفكرية والحضارية غير امتداد متضائل لتراث بعيد جليل ، والبدء بالحديث عنها لا يبرره سوى الرغبة فى تعريف ماضيها الثقافى العام بمقاييس أحد الشعوب القديمة التى عرفتها ، ثم قلة المصادر الفرعونية الباقية التى تصور أطوار الثقافة العالية أو تجمعها فى مراكز متميزة . (١)

فقد ظلت مصر القديمة حتى وقتما آذن مجدها بأفول تعتبر لدى أغلب من وفدوا عليها أو كتبوا عنها من الإغريق مهد الرقى وكنز الحضارة ، وكان من ذلك أن ذكرت عنها الأوديسيا وهى من أقدم مصنفات الإغريق أنها بلد الأطباء أحكم أهل العالم ، (٢) ثم تواترت بعدها روايات مؤرخيهم تذكر أن حكمة مصر كانت الملهمة للمشرع سولون (٣) ، وللفيلسوف طاليس الذى تعلم من أسرار كهنتها ونقل عنهم الهندسة إلى مواطنيه الإغريق (٤) ، وبيتا جوراس الذى نصحه أستاذه طاليس بأن يتم دراسته مع الكهنة المصريين فقضى بمصر فيما يقال نحو ٢٢ عاماً يتعلم الفلك والهندسة فى معابدها (٥) ، وأفلاطون الذى قيل إنه استعان على نفقات رحلته إليها ببضاعة من الزيوت ، بغية أن يتعلم فيها الحكمة واللاهوت والعلوم (٦) ، وتلميذه يودكسوس الكنيدى الذى قضى حيناً بمصر يتعلم الفلك بها (٧) . وفيما تلا ذلك من عصور قال أحد المتصوفين الرومان على لسان أصحابه «إننا لنعلم أن الآلهة كانت ولا تزال تقطن هناك (فى مصر)» ،

---

(١) تراجع ص ٥ ، ٨ من المقدمة عن مرمى هذا الفصل .

(٢) Od. Ch. IV, 231-2 انظر أيضاً ماتذكره لوحة Bkhtn التى نسخت فى عصر البطالة عن تقدير أميرها للأطباء المصريين والحكمة المصرية .
(G. LEFEBVRE, Romans et Contes Egyptiens, Paris 1943, p. 221

(٣) Herodot, II, 177 ; Diodorus, 69.

(٤) Summary of Proclus

(٥) QUINTILIAN, Oratory, Book I, Chap. XII, 12 ; IAMBLICHUS, Life of Pythagoras.

(٦) W. SCHUBART, Die Greichen im Aegypten (Alten Orient, Heft 10, 1927) S;6-7

(٧) Diogène Laerce, Vies des philosophes, VII, 87.

وناقش غيره العلة فى أن من ولدوا فى مصر المقدسة كانوا دائما أكثر فطنة ممن يولدون خارجها (١) . وغير هذا وذاك كثيرون .

وظلت أوفر مراكز الثقافة والحكمة المصرية حظاً من الذكر والشهرة هى أونو (قرب عين شمس أو هليوبوليس الحالية) التى أطلقت المتون المصرية عليها اسم «أونو أفق السماء» (٢) ، و«أونو سماء مصر» (٣) واعتبروها مقر الآلهة المختار (٤) ، واعتبروا إقليمها موطن ميلاد كل معبود (٥) ، على حين اعتبر المتصوفون فى العالم الكلاسيكى مصر كلها «صورة السماء... ومعبد الكون بأسره ومقر الديانات» (٦) وذكر هيرودوت أن علماء هليوبوليس ظلوا أحكم أهل مصر (٧) ، وقيل ان المؤرخ مانيتون كاهنها الأكبر جمع تاريخه من سجلاتها (٨) ، وكان من حظ سترابون أن شاهد أطلال دور حكمائها ولو أن الفلاسفة والفلكيون منهم كان قد انقضى عهدهم فى أيامه بعد أن تخربت معاهدهم على حد قوله (٩) .

وقد لا يستبين الصدق كله فيما ذكره أولئك المؤرخون القدماء عن عين شمس فى ضوء المصادر المصرية المعروفة أولا تستبين طرق التعليم واكتساب الثقافة بها ، بيد أنه لا يصعب القول مع ذلك أن ما أسهمت به هذه المدينة فى الحضارة المصرية منذ أبعد عصورها يبرر إلى حد بعيد ما تناهى إلى العصور المتأخرة عن شهرتها وحكمة أهلها . فآثارها الحضارية ترجع فى أربع نواح ، وهى الفلك والدين والحكمة والطب (١٠) . وهذه النواحى الأربع يتناولها البحث التالى باعتبارها مظاهر حياة فكرية أو ثقافية نشطة أكثر مما يتناول طرق التعلم والتعليم فيها وذلك كما تقدم فى ضوء ما تسمح به المصادر المصرية المعروفة عنها حتى الآن . ففى عين شمس يرجح ابتكار التقويم الشمسى الذى تميزت به الحضارة المصرية عما سواها من الحضارات القديمة ، ويبدو أن عبادة الشمس فى حد ذاتها دعت كهان المدينة إلى التطلع إلى السماء والتدبر فى شئونها ، فظل كبارهم منذ أوائل الدولة القديمة على أقل تقدير (١١) يحتفظون بألقاب تربط بينهم وبين علوم السماء أو علم الفلك ، مثل كبير الرائين فى أونو (١٢) ، ورائى أونو الأكبر (١٣) (أو من يرى عظيم ؟ أونو) (١٤) وكبير

---

(١) (see, A.D. NOCK, *A new edition of the Hermetic Writings*, in J.E.A. XI, 127; J. KROLL, Die Lehre des Hermes Trismegistos, Descr. Totius mundi (ed. Lumbroso, Accad. dei Lincei 1898, p. 144 f.

(٢) AeZ, 71, 119. — انظر ملحق النصوص

(٣) انظر ملحق النصوص MAR., Dendarah, II, pl. 39c ; IV, pl. 75, 18.

(٤) Anc. Records, I, 504.

(٥) Pap. Petersburg, 1116 B, 57

(٦) *see*, ERMAN, Die Religion, 440.

(٧) HERODOT II (translated by J.E. Powell, Oxford 1949, p. 110)

(٨) Camb. Anc. Hist. VII, p. 260 ; TARN, Hellenestic Civilisation, 1930, p. 235-6

(٩) Strabo XVII, 29

(١٠) ويمكن أن تضاف إليها كذلك الهندسة التى عرف بها إيمحوتب من عصر الأسرة الثالثة .

(١١) Urk. I, 153, 10.

(١٢) انظر ملحق النصوص . Pap. Westcar, 9, 12.

(١٣) PETRIE, Medum, pl. 13.

(١٤) H. JUNKER, Die Gotterlehre von Memphis (in Abh. Berlin, 1940) S. 27 f.

رائي رع أتوم (١) ومن يرى سر السماء (٢) والقائم (على) سر مكنون السماء (٣) وكبير الرائين طاهر اليدين فى دار رع محبوب أتوم (٤) .

ولم يقتصر لقب كبير الرائين ومترادفاته على كبار كهنة الشمس فى عين شمس وحدها وإنما اتخذه كذلك كبار كهنة طيبة وأرمنت ، غير أنهم كانوا يربطون بينه وبين رع إله أونو فيقولون : « كبير رائي رع فى طيبة » (٥) وما شاكل ذلك من ألقاب . (وقد مرت بنا فى صفحة ١٨٩ صور أخرى من اختلاط معارف الفلك بمعارف الدين) .

وكفل لعين شمس شهرتها فى الفلسفة والدين ، قدم مذهبها فى نشأة الوجود ، ثم ارتباطها بعبادة إله الدولة رع . فقد تداخل مذهبها الذى اتخذ رع أتوم المكانة الرئيسية فيه فى أغلب فلسفات المصريين الدينية والأسطورية (٦) ، وأضحى موضعاً لتأويلات وشروح المجتهدين . وأوضح ما يعرف مما تناوله الشراح منه هو الفصل السابع عشر الذى احتفظت به بعض نسخ كتب الموتى .

فقد أخذ هذا الفصل بآراء من مذهب عين شمس ولقيت كل عبارة فيه شرحاً وتأويلا منذ عصور الدولة الوسطى على أقل تقدير حتى العصور المتأخرة . وحقاً قد لا يكون كل ما ترتب عليه من شروح وتأويلات من اجتهاد كهنة عين شمس وحدهم ، غير أنهم وهم أصحاب المذهب أقرب إلى أن يكون لهم الضلع الأكبر فيما كان يجد عليه من تفاسير وإضافات .

وقد تناولت هذه الشروح والتأويلات أرباب التاسوع الطبيعى وكنه الإله الخالق وأحوال الكون حين نشأته (٧) ، وذلك بما يرجح أنها لم تبتدع لعالم الموتى وحده وإنما كان لها شأنها كذلك فى المحيط الفلسفى والدنيوى . وكان يقوم الرأى فيها فى عصر ما ثم ينهض إزاءه قول غيره « كى جد » فى ذات العصر أو بعده ، وذلك بما يوحى بوجود نشاط فكرى لم يكن يلتزم الجمود إزاء القديم على الرغم من إكباره إياه .

وكان من ذلك أن ذكر المتن القديم عبارة تقول : « إنما أنا الاله العظيم الذى تواجد بنفسه » . . . فعقب شراح الدولة الوسطى على ذلك بقولهم : « إن هذا الاله العظيم هو نو » ، فى حين قال شراح الدولة الحديثة فى تفسيرهم له : « فمن هو الاله العظيم الذى تواجد بنفسه ؟ إنه الماء ، إنه نو أبو الأرباب ، وفى قول آخر إنه رع » .

وأغلب الظن أنه كان يجرى مجرى هذه التأويلات والشروح ما يماثلها فى بقية أسماء الآلهة وأساطيرها ومكانتها فى الدنيا والآخرة . وكان لكهنة عين شمس الضلع الأكبر فى هذا النشاط على الأرجح . أما أين كان يجرى تعليم هذه الآراء و النقاش فيها أفى أبهاء المعابد أم فى مدارس خاصة ، وفى حلقات أم بملازمة

---

(١) انظر ملحق النصوص . GOL. Onomasticon, 2.8

(٢) انظر ملحق النصوص . MAR., Mast., C. 18, p. 149. — أو : من يرى خفى السماء

(٣) انظر ملحق النصوص . A. WEIL, Die Veziere, S. 24.

(٤) Berlin, 7347, 49. انظر ملحق النصوص .

(٥) Pap. Lansing, 13b 3 ; Wb. I, 329, 7f.

(٦) من ذلك فكرة التاسوع وأسطورة هلاك البشرية ، والنزاع بين حور وبين ست ... الخ .
(see, KEES, op. cit. 300)

(٧) see, H. GRAPOW, Religiose Urkunden, 1915, 9f

طالب العلم لفقيه يأخذ عنه ، وهل كان فى دعوة الشراح إلى آرائهم وتجديداتهم وجه شبه مع أسلوب أخناتون فى تعليم آرائه ومذهبه حين كان يبكر بنفسه لتعليم أتباعه وتلاميذه (١) ، فهذا وذاك ما لم توضحه الوثائق المصرية المعروفة حتى الآن . ومع ذلك فهناك عدة فروض لابأس من ذكرها ، فقد رددت بعض النصوص المصرية ذكر بناية عتيقة فى عين شمس أطلقت عليها اسم « قصر النبيل » و « قصر الزعيم » (حوت ور ، وحوت سر) (٢) تلميحاً فيما يبدو إلى اعتبارها أثراً من آثار المقر الأسطورى للمعبود الأكبر رع حينما حكم مصر كلها من عاصمته أونو ، أو بمعنى أصح أثراً من آثار بلاط أتباعه الأوائل حينما حكموا مصر منها فى فترة من فترات فجر تاريخهم المصرى القديم(٣) . وربطت بعض الألقاب المصرية بين هذه البناية وبين بعض المعارف الدينية والثقافية ، فجمع لقب من الدولة القديمة بين كهانة سشات ربة الكتابة وبين المعرفة بأسرار قصر أونو الكبير (٤) ، وذكر رجل من عصر الأسرة الثامنة عشرة أنه كان كبير الرائين فى القصر نفسه (٥) ، ووصف نص دينى هذا القصر بأنه قصر كبير الكبراء (٦) ، واعتبرته نصوص أخرى للتاسوع الكبير ووصفته بأنه قصر النبيل العظيم (٧) ، وقال طالب عصر الرعامسة ونمدى أمون فى رسالة إلى معلمه نب ماعت رع نخت يمدحه « إنك كاهن سم المبجل فى معبد بتاح والضليع فى كافة الأسرار بقصر النبيل » (٨) ، ويغلب على الظن أن مثل هذه الأسرار كانت دينية الصبغة ولها صلتها بمذهب أونو وتاسوعها ، ولكن هل يدل التضلع فيها على أنها كانت تدرس وعلى أن بنايتها كانت من دور العلم والتعليم فعلا ؟ ذلك مالا يتيسر القطع فيه برأى شاف هو الآخر .

وعلى أية حال فقد زكى النشاط الفكرى لعلماء عين شمس نوع من التنافس فرضه عليهم الماضى السياسى والحضارى لمدينتهم بالنسبة إلى المراكز الثقافية المصرية الأخرى ، منذ أن أصبحت فيما يرجح واحدة من أقدم عواصم مصر المتحدة فى فجر تاريخها نتيجة لجهود زعماء الوجه البحرى القريب منها ، وهيأ ذلك لها أن تصبح ممثلة لحضارة الوجه البحرى وماضيه التليد تجاه حضارة الصعيد حتى بعد أن انتقلت أزمة الحكم والسياسة إلى أيدى الحكام الصعايدة منذ أيام الأسرة الأولى ، وبدت دلائل هذه المقابلة فى متون الأهرام فيما تبينه كل من الأستاذين جيمس هنرى برستد وأدولف إرمان ، من غلبة طابع عين شمس والوجه البحرى على بعض أورادها وغلبة طابع الصعيد على بعض أورادها الأخرى (٩) بل إن ذات هذه المتون نمت على أنه كان لعين شمس جهادها الدينى لتحتفظ بشخصيتها الفكرية المتميزة حتى إزاء الوجه البحرى الذى تزعمته ، وذلك مما يبدو فيها من تضارب بين القول بسيادة رع وبين القول بسيادة أوزير على عالم الآخرة . على أنه إذا كان

(١) Amarna, VI, pl. XV, 10 ; XXI, 27.

(٢) Pyr. 14, 215, 622, 957, 1451, 1614

(٣) See, G. MASPERO, The Dawn of Civilization (transl.), 136 ; GAUTHIER, Dict. Geogr. IV, 127-28 and Wb. IV, 189.

(٤) Cairo 1417.

(٥) AeZ, XLIV, 97

(٦) DARESSY, in Ann. Serv., XXII, 184.

(٧) O.D.M. 1211 rt 5 ; DARESSY, op. cit.

(٨) Pap. Lansing, 13 b, 2.

(٩) Compare : Pyr. 482 f. ; 196 f. ; 1107 f. ; with : 243 ; 403 f. ; 1485 f. ; 2034 f. *see also*, S. SCHOTT, *Spuren der Mythenbildung*, in AeZ., 1943, 2 f.

نشاط كهنة المدينة من أجل سيادة إلهم قد تكلل بالنجاح حين أصبحت عبادته هى العبادة الرسمية للدولة قبيل عصر الأسرة الخامسة أو حين اعتبرت المعبودات الأخرى صوراً منه وتداخل اسمه مع أسمائها فى أعقاب الدولة القديمة ، أو حينما تميزت لها أقوال مأثورة تعرف « بأقوال أونو » خلال الدولة الحديثة(١) . فقد توفر سبب آخر لتجدد نشاطها الفكرى وهو رغبتها فى الاحتفاظ بشهرة مذهبها فى نشأة الوجود أمام منافسة بقية أصحاب المذاهب الأخرى فى مدن ونو (قرب الأشمونين) ومنف وطيبة .

وجعلت بردية Westcar أونو موطناً للأسرار المقدسة منذ أيام الدولة القديمة — أو على الأقل منذ عهد كتابة قصص البردية — فذكرت أن خوفو جهد فى التعرف على كنه (؟) المقاصير الخفية فى هيكل تحوتى ليقلدها فى أفقه ، وأنه استفسر المواطن العالم جدى عنها فأخبره أن إجابة سؤاله (٢) توجد فى صندوق من ظران فى قاعة « اسمها قاعة الفحص (أو قاعة القوائم أو قاعة التصميمات) فى أونو » (٣) .

وقد لاتكون رواية هذا الحديث عن خوفو وجدى حقيقة واقعة ولكنها لا تخلو من دلالة على كل حال ، فقد رأى ماسبرو (٤) فيما جاءت به تفسيراً من كاتبها لخلو أفق خوفو (أى هرمه) من المتون التى تميزت بها أهرام نهاية عصر الأسرة الخامسة وعصر الأسرة السادسة ، أى أن خوفو كان لدى كاتب القصة يبحث عن أصول متون الأهرام بالذات . وكانت متون الأهرام أسراراً مقدسة قديمة الأصول من غير شك ، وتماثل ما كتبت به فى الأهرام المختلفة يوحى بأن بعض أصولها كانت مكتوبة ، وعلى هذا جعلها الكاتب محفوظة بصورها القديمة ، إن حقاً وإن تخيلا ، لدى أحق الآلهه بها وهو تحوتى كاتب رع ، وفى أحق مراكز الثقافة الدينية بها وهى أونو. وإذا كانت قاعة القوائم أو التصميمات هذه لها وجود فى عين شمس حقاً ، فإن نصوص الدولة الوسطى وعصر الانتقال الثانى والدولة الحديثة قد جعلت محتوياتها مما تتضمنه المكتبات (٥) وذلك مما يسمح باحتمال تبعية قاعة عين شمس تلك لدار كتب لمعبد الشمس مثلا ، وسيتضح مما يلى ص ٣٦٣ أنه كانت بمدينة عين شمس دور للكتب فعلا .

وصور الحكيم عنخ شاشنقى نصيب أونو فى تدريس الحكمة و فى التعليم المدنى ، حين تذكر ولده فقال لحارس سجنه « أود أن أكتب له وصية تهذيبية تؤخذ معه إلى أونو فيتثقف بمقتضاها » (٦) . ويبدو أنه طمع فى أن يعثر ولده على حكيم من حكماء المدينة يفسر له محتويات هذه الوصية بما تتضمنه من التعاليم التهذيبية ، بعد أن تقطعت أسباب الاتصال المباشر بينه وبينه ، وود فى الوقت نفسه أن يجعلها شفيعاً لولده عند حكماء المدينة حين يدركون منها أنه نجل حكيم نابه من زمرتهم .

وتعدى النشاط الفكرى والعلمى فى عين شمس أصول الفلك والدين وفلسفته وأسراره وتدريس

---

(١) انظر ملحق النصوص Pap. Berlin 3056, 8, 4 انظر أيضاً فصل معرفة أرواح أونو (.AeZ, LVII, 11 f)

(٢) Pap. Westcar, 7, 5 f. *See*, A.H. GARDINER, in J.E.A., XI, 2 f.

(٣) انظر ملحق النصوص . *See*, F.W. GREEN, in J.E.A. XVI, 33 f.

(٤) G. MASPERO, Les Contes Populaires de l'Egypte Ancienne, Paris, 1911, p. 33.

(٥) MAX. PIEPER, Die Grosse Inschrift des Konigs Neferhotep, 1.3 ; Louvre C, 12 ; ;MARIETTE, Abydos, II, 9 c.

(٦) Brit. Mus. Pap. 10508, IV, 9-10.

الحكمة وآداب السلوك، إلى الطب . وأوحى بدورها فى الطب قول كل من مؤلفى البرديتين الطبيتين إيبرس وهرست (فى الدولة القديمة أو الدولة الوسطى) ما استشهدنا به فى مناسبة سابقة ، وهو .

« لقد تخرجت من أونو مع كبراء القصر العالى (أو القصور العالية) أرباب الحماية وسادة الأبدية » (١) وعلى الرغم من انه ليس من سبيل إلى تعرف أكيد على كبراء القصر أو القصور أولئك وهل كانوا بشراً زاملهم المؤلفان فعلا أم آلهة اعتز كل منهما بزمالتهم الرمزية له فى تخصصه أو اعتز برعايتهم له فى دراسته ، فإنه يلحظ أن مؤلف بردية إيبرس قد جعل من مصادر برديته شخصيات من البشر والآلهة لهم صلتهم بالطب ولهم صلتهم بعين شمس فى الوقت نفسه — فذكر من البشر « كبير كهنة أونو خوى » (٢) وهذا يحتمل أنه كان شخصية واقعية ، إذ عرف من اتخذ اسمه فى عصر الأسرة السادسة وكان كبيراً لأطباء الوجهين ومتعمقاً فى الأسرار (٣) . ثم ذكر عدداً من الآلهة الكبرى ونسب إليهم العلم بالطب . فأتى بعقار عمله رع (٤) وآخر عمله شو (٥) وثالث عملته تفنوت (٦) ، ورابع عمله جب (٧) وخامس عملته نوت (٨) ، وسادس عملته إيسة (٩) ، فضلا عن عقار صادق وجد فى السجل (أو القوائم) بمعبد وننفر (١٠) . وكان المعبود حور يدعى بدوره الطبيب الكبير (أو كبير الأطباء) فى دار رع (١١) ، ولا يخلو كل ذلك من دلالة تربط الطب بعين شمس . ومن الباحثين من يحتمل أن ما أسبغته العصور المتأخرة على إيمحوتب حكيم عصر الأسرة الثالثة وكبير كهنة عين شمس من شهرة بالطب ، كان يعتمد على أساس ما من الواقع (١٢) . وليس من شك فى أن الأطباء كانوا متعلمين وإلا لما وضعت لهم الكتب ، وأنه كانت تفترض فيهم الدراسة الوافية وإلا لما نشأ بينهم التخصص منذ الدولة القديمة (١٣) ، وأن التفرقة بينهم وبين من سواهم من المشتغلين بالتطبيب كانت مفترضة ويدل عليها أن بردية إيبرس قد ميزت بين الطبيب وبين كاهن سخمت والراقى ، وجعلت العلم بوظائف القلب من سر الطبيب (سشتان سينو) (١٤) . وهكذا إذا تأكد تخرج الطبيب مؤلف بردية إيبرس من عين شمس وهو أميل إلى الصحة ، فلابد وأنه حضر فيها منهاجاً علمياً منظماً واصله بعد ذلك فى مدينة ساو (سايس) كما ذكر فى مقدمة برديته (١٥) . وإن يكن الربط بين هذا المنهاج وبين القصور العالية أو ما تقدم ذكره عن نصيب دور الحياة فى تعليم الطب ، وما وجد من لخاف طبية تعليمية (١٦) ، لا يسهل

(١) Pap. Ebers, 1, 1-2. Pap. Hearst, 6, 6. — وراجع ص ١٧٠

(٢) Pap. Ebers, 62, 4.

(٣) MR., Mast. D 12; SPIEGELBERG, in AeZ, LVIII, 152.

(٤) Pap. Ebers, 46, 10.

(٥) Ibid., 46, 16.

(٦) Ibid., 46, 19.

(٧) Ibid., 46, 22.

(٨) Ibid., 47, 2.

(٩) Ibid., 47, 5.

(١٠) Ibid., 75, 12.

(١١) *See*, SPIEGELBERG, in AeZ, LVII, 70.

(١٢) K. SETHE, Imhotep der Asklepios der Aegypter (Unters, II, 4)

J.H. BREASTED, Edwin Smith surgical Papyrus, 1930, 9 f.

(١٣) SPIEGERBELG, in AeZ, 53, 111; H. JUNKER, in AeZ, 63; 53 f.; also Kahun Papyri, pls. V-VII; Herodut II, 84.

(١٤) Ebers, 99, 1, BREASTED op. cit., 107 f انظر ملحق النصوص .

(١٥) Ibid., 1, 2. وراجع ص ١٧٠ ، ٢٢٣

(١٦) تراجع ص ٢٢٥

الإدلاء فيه برأى قاطع . وخلاصة الرأى فى عين شمس أنها وقد كانت تسهم بنصيب واف فى النواحى الفكرية والعلمية الأربع السابقة فضلا عما يحتمل أنها كانت تشارك فيه غيرها فيما عرفناه من مراحل التعليم الأولية والمتقدمة ودور الحياة ، كانت أهلا لما تخلف لها فى العصور المتأخرة من شهرة وبما كتبه الإغريق عنها وتخيلوه عنها من أهمية .

ولم تكن عين شمس وحدها هى الآخذة بناصية الدين والفلسفة والعلم فى مصر القديمة وإنما قامت معها — كما تقدم — مراكز فكرية أخرى أبرزها أبيدوس موطن الأسرار الأوزيرية(١) ، وونو صاحبة مذهب الثامون ومقر رب الحكمة تحوتى والتى كان المثقف يتمنى أن يصبح من أهلها (٢) ، وطيبة مقر أمون رب الدولة والخارج(٣) ، وساو أو سايس مدينة الطب ، فضلا عن مدينة منف التى كان فى قدمها وقدم مذهبها فى نشأة الوجود ومجاورتها لعين شمس ما هو كفيل بأن يثير التنافس الفكرى فيهما جميعاً ، وما يدعو إلى شىء من التعقيب على مكانتها الثقافية بعلما تقدم عن مكانة جارتها عين شمس .

فقد خرجت منف بمذهب فلسفى راق فى خلق الكون نافس مذهب أونو ، وجعل الخلق والحركة للكلمة التى تدبرها القلب وخرجت باللسان فجعلت لكل شىء قدره . وقد يرجع مذهبها ذاك إلى عهد إنشائها أى إلى عصر الأسرة الأولى(٤) أو يكون لاحقا لأواخر عصر بداية الأسرات (٥) ، على أن الراجح أن كهنتها ظلوا يعتزون بمذهبهم ويروجون له حتى خواتيم التاريخ المصرى القديم ، وذلك يزكيه أخذ العبادات الأخرى بعبارات هذا المذهب وأفكاره (٦) وتخليد الفرعون شباكا لمتونه على نصب من الجرانيت بعد قرون طويلة من تأليفه (٧) . ومن اللخاف التعليمية التى وجدت فى غرب طيبة من عصر الرعامسة ما يشهد بأن دعوة منف المذهبية لم يقف دونها أن ولت عنها الزعامة السياسية أو بعد مدينة طيبة عنها ، إذ قالت بداية درسها : « مقدمة فى الانشاد لقدرات بتاح (الكائن) جنوبى جداره ، ولتعريف الناس والجمهور (؟) مجد

(١) See SCHAEFER, Die Mysterien des Osiris in Abydos, Leipzig 1904; H. KEES, Religionsgesch, Lesebuch, Tubingen 1928, Nr. 21, 70.

(٢) Pap. Sall. I, 8, 2. — وكانت قرب الأشمونين الحالية .

(٣) وقد ذكر سترابون أن كهنتها ظلوا حتى أيامه يحتفظون بمعارف فلسفية وعلمية .(Strabo XVII, 46.

(٤) BREASTED, in AeZ, XXIX, 39; 54; K. SETHE, Dramatische Texte zu altaegyptischen Mysterienspieln, Leipzig, 1928, Teil I, 4 f.; 18; A. ERMAN, Ein Denkmal memphitischer Theologie, 916f.; H. FRANKFORT, Birth of Civilisation, 80 f.; Kingship and Gods, Ch. II.

(٥) H. JUNKER, Die Gotterlehre von Memphis, 1940 6 f.; Die politische Lehre von Memphis, 1941, 13 f.; S. SCHOTT, Mythe und Mythenbildung, 1945, 117, 119; J. SPIEGEL, Das Werden der Altage. Hochkultur, 1953, 273 f.

(٦) Pyr. 1146; A. ERMAN, Die Literatur, 369; Pap. Berlin 3048, 10, 9; Pap. Berlin 3055, 6, 9; Edfou I, 273, 16; Dendera I, 85, 7; III, 159, 7; see also, A.M. BLACKMAN and H.W. FAIRMAN, A group of Texts inscribed on the facade of the sanctuary in the temple of Horus at Edfou (Miscellanea Gregoriana, 1941, p. 397 f.), G I 9; G I 11; G II, 10, etc.

(٧) Brit. Mus. 797.

وقدرة الإله الجليل رأس التاسوع الرفيع ، الذى خلق نفسه بنفسه ، ... الخ »(١) وكان ذلك أشبه بدعاية أوتبشير لمذهب منف انرفيع . ومن ذات العصر أى من عصر الرعامسة وصف معلم أو تلميذ مدينة بر رمسيس فقال إن منشدات عظيمة النصر اللطيفات تخرجن من تثقيف جوت كابتاح (فى مدينة منف) (٢) ، وذلك مما يوحى بميزة خاصة كانت تصبغ تراتيل معابدها .

وعلى نحو ما ربطت عبادة الشمس بين كبير كهنة أونو وبين علم الفلك ، اتخذ كبير كهنة منف كفلا من العلم المنسوب إلى إلهه بتاح راعى الفنون ، ذلك الذى قال مذهبه عنه(٣) : « إنه أبدع كل عمل وكل فن » « وشكل للآلهة أجسادهم (أى تماثيلهم) من كل أنواع الأخشاب ومن كل حجر كريم ومن الطمى ومن كل ما ينمو فوق سطح البسيطة » ، فأصبح هو الآخر « أكبر من مارس كل فن » (٤) و « أكبر فنانى من هو جنوبى جداره (أى بتاح) » (٥) ، وذلك فضلا عن ما تميزت به مدينة منف ذاتها من زعامة فنية سادت عصور الدولة القديمة وتركت بصماتها على فنون الدولة الوسطى والعصور المتأخرة على وجه الخصوص.

ولا يخلو من دلالة أخيرا ، أن كهنة الربة سشات راعية الكتابة والحساب والعمارة والمعماريين كانوا من كبار المقيمين فى مدينة منف خلال عصور الدولة القديمة (٦) .

---

(١) انظر ملحق النصوص . O.D.M. 1088 — P.C. SMITHER, in J.E.A. XXV, p. 125.

(٢) Pap. Anast. III, 3. 7-8. — وراجع ص ١٨٩

(٣) Brit. Mus. 797, Col. 57.

(٤) *See*, K. SETHE, in AEZ, LV, 65 ; MURRAY, Index, XIX

(٥) Urk. I, 52 ; 85 ; Mar. Mast. p. 113, 123, etc

(٦) M. MURRAY, Index, pl. 30, Col. 1-2 ; K. SETHE, bei M. MURRAY, Saqqara, Mastabas, part II, p. 11 ; G.A. WAINWRIGHT, in J.E.A., 1940, p. 32.

وعن احتمال تربية أبناء الحيثيين فى الدولة الحديثة فيما بين منف وعين شمس — تراجع ص ٢٠٩ هامش ١ .

ب - دور الكتب والمخطوطات

« برمزات » — « برن سشو »

عرفت دور الكتب المصرية منذ القرن ٢٥ ق . م على أقل تقدير ، وإن كنا نود التقديم لها باعتبارين: أولهما أن تسمية « الكتب » فيها تسمية تجوزية بالنسبة للعصور المصرية القديمة التي لم تستخدم الكتاب ذا الدفتين ، وإنما عرفت مخطوطات البردى والجلود التي كانت تسمى بمترادفات عدة مثل : « عوتى ، عرت ، عرت زامع ، مزات ، مزدة ، سش ، راع سش ، شفدو ، وإلى حد ما : سبتى ، سنن ، سخرى ، سخرة ، تأو ، . . . » إلخ(١) ، وكانت تحفظ في جرار وصناديق ومشكاوات مناسبة ، فضلا عن بطاقات ولوحات من الخشب والعاج والأبنوس والشست واللخاف . . . إلخ(٢) .

أما الاعتبار الثاني فهو ألا نتوقع لهذه الدور شبها قريبا بمفاهيم دور الكتب الحالية من حيث السعة أو المحتويات أو التنسيق أو أعداد المترددين ، وإنما يكفي أن نتخيل أغلبها على هيئة « خزائن كتب » ، وحسبها على أية حال أنها مثلت نقطة بدء وأصبحت أساساً لما تلاها ، وأنها استطاعت أن تخدم جانبا من مطالب الثقافة عند أهلها .

وانتسب إلى دور الكتب المصرية في حدودها التي أسلفناها ، كتبة(٣) ، ومفتشون (٤) ، ومفتشو أختام (٥) ، ومديرو إدارة (٦) . وكان من رعاتها المقدسين الربة سشات « مقدمة دار الكتب المقدسة » (٧)

---

(١) Pyr. 491; Urk. I, 128, 5; 129, 13; DAVIES; Path-hetep, I, 15 No. 341; Pap. Sall. I. 3, 10; Pap. Anast. I, 8, 7; Pap Anast. V, 11, 1; 17, 5; Decrec of Horemheb, 13; ... etc.

وانظر أيضا ص ١٣٦ حاشية ٣

(٢) راجع عن اللخاف ص ١٥٣ – ١٥٤ حاشية ٦ ، وعن الألواح ص ١٧١ حاشية ٢

(٣) Urk. I, 228, 8; 229, 17-18; MURRAY, Index 38; L.D. 50 b; STEINDORFF, Das Grab des Ti, Taf. XXVIII; also, J. PIRENNE, Hist. desInst. et du Droit, t. I, p. 354, Nos. 78; 78 ter; 79 ter.

(Mastaba à Hildesheim, Pelzaeus Museum); H. JUNKER, Giza III, 10,142; ROEDER Die Mastaba des Uhemba, Abb. 10.

(٤) Urk. I, 47, 13; L.D. 46, 50 b; 89 c (?); Cairo Cat., 1316, 1353; Berlin, 7721; H. JUNKER, Giza VIII, 163-164.

(٥) Mar. Mast., D 11.

(٦) Ibid., D. 19.

(٧) انظر ملحق النصوص . Urk. I, 167, 245; CAPART, Memphis, pl. 124; also (Mar. Abydos I, 50 a 8; Berlin 7721; Karn (712); L.D. III, 21 d; Thilae (2706)

«وربة المخطوطات» ... إلخ (١) ؛ والمعبود تحوتى ذو المكانة «فى دار الكتب» (٢)...
والمعبود حور الذى قيل عنه «مقدم دار الكتب» وإنه «ولى الكتب والمخطط (أو المهندس) فى دار الكتب» (٣).

وكثيراً ما ذكرت دور الكتب المصرية بغير تحديد مكانى أو تخصيص ، وقليلا ما خصصت بأنها دار كتب الإله أو دار الكتب الإلهية أو دار الكتب المقدسة ، وذلك مما يدعو إلى افتراض صبغة مدنية للأولى ، أى التى ذكرت دون تخصيص ، وافتراض صبغة دينية للثانية ، التى كانت تنسب بصفتها المقدسة إلى القصور الفرعونية أحيانا (٤) .

وتعددت دور النوع الأول منذ أيام الدولة القديمة (٥) ، ووجدت لها إدارة تنظمها (٦) ، وكانت على الرغم من الصبغة المدنية أو الإدارية الغالبة عليها بحيث يمكن اعتبارها دورا للوثائق أو للأرشيف (٧) أكثر من الكتب الثقافية ، تتميز بوضع خاص عما سواها من إدارات الحكومة .

ويدعو إلى هذا الاحتمال أنه ذكرت إلى جانبها صراحة فى الدولة القديمة دور أخرى «للوثائق الملكية» و«للسجلات المختومة» (٨) وذلك مما يعنى تميزها عنهما .

ثم انتساب بعض المشرفين عليها إلى كهانة سشات ربة الكتابة وتخصيصهم معها أحيانا بحمل شارة من الشارات قليلة التصوير (٩) .

مع اتخاذ هذه الربة سشات لقبى الإشراف على دارى الكتب الدينية والدنيوية معا (١٠) .

ثم قيام بعض الأمناء عليها بالتعليم (تراجع لذلك ص ١٧٥–١٧٦) .

وأن من دور الكتب التى يرجح احتواؤها على كتب علمية وثقافية فى الدولة الحديثة والتى وصفت إحداها بأنها «خفية لاترى وقد استتر تاسوعها ونأى عن ...» ، قد سميت «دار الكتب» (١١) فحسب دون وصفها بالإلهية أو ما سواها .

وربما ارتبط بهذه الدور كذلك ما سمى فى الدولة القديمة : «برمزات رخ ؟ نيسو ؟» (١٢) وهو

---

(١) انظر ملحق النصوص . Mar. Abydos I, 50 a 8. Med. Habu 524);

(٢) Pap. Ch. Beatty IXvs. B 5, 8 ; 14, 14 ; Louvre A 117 – انظر النصوص

(٣) Pap. Leyden 347, 3, 2 f. ; Edfou, III, 340. انظر ملحق النصوص .

(٤) H. JUNKER, Giza VIII, 164 ; BLACKMAN, Meir, I, pl. IX. وانظر ملحق النصوص .

(٥) وجدت أكثر من دار منها فى قفط (Urk. I, 290, 8, 10)

(٦) Ibid., 290, 13 وعن لقب الازدواج لإدارتها MAR. Mast. D 19 ; AeZ, 36, 98.

(٧) Compare Wb. II, 187, 8 ; III, 479, 3 ; Bibliothek, Archiv.

(٨) Urk. I, 290, 12.

(٩) Berlin 7721 ; MARIETTE, Cat. d'Abydos 1329, 1334.

(١٠) Urk. I, 167, 6-7.

(١١) Pap. Anast. I, 11, 5.

(١٢) L.D. II, 46 ; Urk. I, 167 ; REISNER, Giza Necropolis, I, 502 ; LUTZ, Egyptian Tomb Steles, pl. I ; see also, JEQUIER, Le Mon. fun. de Pepi II, pl. 38, p. 38 ; HELCK Beamtentiteln, 70. انظر ملحق النصوص .

اسم غامض الكتابة ، وما سمى فى الدولة الحديثة باسم «مقر المخطوطات» (١) و«ديوان الكتب» (٢)

ويتسم طابع دور الكتب الإلهية أو المقدسة أو دور كتب الإله «برمزات نثر» بشيء من الوضوح عن طابع دور الكتب العادية السابقة ، ففضلا عما يؤكده اسمها من اتصاف كتبها بالقداسة ، يضاف كذلك :

١ — أن مدونة بالرمو الشهيرة سجلت أن الفرعون ساحورع «عمل آثاره للتاسوع فى دار الكتب المقدسة» (٣) . هذا وإن لم يكن من اليسير تحديد المقصود من هذه العبارة سواء أكان أقام آثارا فعلا فى هذه الدار ، أم سجل أخبارها فيها ، أم أضاف إليها كتبا تتعلق بمذهب التاسوع وأربابه .

٢ — أنه فضلا عن كتاب هذه الدار الذين اتخذوا لقب «كاتب دار الكتب المقدسة» (سش بر مزات نثر) (٤) فإن هناك احتمالا بالربط بينها كذلك وبين من اتخذوا وألقب «كاتب كتاب الاله» «كاتب الكتب المقدسة» (سش مزات نثر) (٥) خلال أيام الدولة القديمة على الأقل (حيث تقدم ارتباط حاملى نفس اللقب فى الدولة الحديثة بدور الحياة ص ٢٢٤) . وقد كان لهذا اللقب أهميته بحيث خلعته متون الاهرام على الملوك (٦) ، واتخذه الامراء (٧) والوزراء (٨) فضلا عن علية الأفراد ، وكان غالبا ما يقترن بلقب الكاهن المرتل الأعلى (٩) ، وأحيانا بلقب الكاهن المرتل (فحسب) (١٠) وذلك مما يعنى اعتبار كتب الكاهن المرتل (خرى حبت) (١١) من الكتب المقدسة (١٢) ، أو هو يعنى من ناحية أخرى اعتبار كتب الكاهن المرتل نموذجا لما كانت تشتمل عليه دور الكتب المقدسة ، وعلى هذا الأساس يمكن تفسير

---

(١) راجع ص ١٧٧ — وانظر ملحق النصوص.

(٢) BRUGSCH, Aeg., 219 ; AeZ, 1876, 1 f. ; SPIEGELBERG, Studien, 53 f. ; CAPART, Esquisse du droit, 33 f. ; Harris, 47, 8 ; 26, 9 ; Pap. Abott, 7, 16 ; Pap Léopold, II, 4, 3.

(٣) Urk. I, 245, 6.

(٤) Cairo 1316, L.D. II, 46 ; MAR. Mast. D 15. انظر ملحق النصوص .

(٥) See, H. JUNKER, Giza VIII, 164 ; L.D. II, 97 a ; Wb, II, 188. انظر ملحق النصوص.

(٦) Pyr. 267 b, 1146.

(٧) S. HASSAN, Excav. at Giza, IV, p. 13, 33 ; MAR. Mast. D 3 ; L.D. II, 12-14.

(٨) See, A. WEIL, Die Veziere, 3, 7, 8, 14, 25, 26, 27, 28, 30, 33. (A.R.) also, Nr. II (M.R.).

(٩) Urk. I 229, 18 ; Cairo 1307, 1422 ; also, QUIBELL, Excav. at Saqqara I, pl. XI JEQUIER, Tombeaux des Particuliers, p. 112 ; Les Monum..., de Pepi II, 1938, pl. 8.

(١٠) S. HASSAN, op. cit., II, p. 179 ; MAR. Mast. 280 ; Meruruka, I, pl. VI., JUNKER, Giza I, Abb. 59, S. 244 ; Ann. Serv. 1943, 208 ; Westcar Pap. 21, SETHE Imhotep, 17.

(١١) Wb. III, 61 ; BRUGSCH, Worterb, Suppl. 803 f. ; SETHE, in AeZ, LXX, 134 ; also Urk. I, 189, 10 ; 190, 13.
See, Boylan, Thot, 59, n. 2.

(١٢) See, J.E.A., XXIV, 165. ومن ألقاب أمير فى الأسرة الخامسة لقب «حرى تب سش مزات نثر» أى رئيس كتبة الكتاب المقدس أو كاتب الكتب المقدسة الأعلى مما يشير إلى وجود هيئة لكتابة هذه الكتب المقدسة لها كاتب أعلى أو رئيس أعلى (MAR. Mast., p. 178 f.).

قداسة كتبها بصبغتها الدينية العامة ، أو لمثل تسميتها فيما بعد بأرواح رع « باو رع » أو قدرات رع (١) ، وذلك لما فيها من قدرة واقية تحفظ حياة أصحابها فى الدنيا ، وقدرة خالقة تكفل استمرار حياتهم فى الآخرة وتحيل نقوش مقابرهم إلى حقائق معنوية كما تحيل نفع قرابينهم إلى العالم غير المنظور الذى سينتقلون إليه أو تخلقها لهم خلقا . وقد قدرت هذه القيم فعلا لكتب المكتبة بحيث أصبح يرتجى للمتوفى أن يكتمل له زاده « بجوار دار الكتب » (٢) . ولقب أمين المكتبة فى النصوص الديموطيقية بلقب « باحر (تب ؟) ن بر مزى » وهو لقب ربط الأستاذ جريفث بين جزئه الأول وبين لقب الكاهن المرتل » أو « حامل كتب الطقوس » (حر تب : خرى حبت تى) (٣)

٣ — أن من الأدعية الأخروية فى متون التوابيت ما كان يرجو للمتوفى أن يعامله الآلهة « وفق الكتابة التى وضعها تحوتى فى دار الكتب المقدسة » (٤)

ويبدو من هذه الأمثلة أن الصفة الغالبة على مخطوطات دور الكتب المقدسة هى الصفة الدينية ، وإن كان سيتضح إلى جانب ذلك من أمثلة أخرى تالية ان من هذه المخطوطات ما تعدى الصبغة الدينية الصرفة إلى أصول الفلك وقواعد الفنون ، وذلك مما يعنى أنه لم يكن ينقصها التنوع ، وإن شملت القداسة محتوياتها جميعها .

وقد تقدم ان من دور الكتب المقدسة ما نسب إلى القصور الفرعونية (٥) ، ويغلب انها كانت تضم صنوفاً من الموضوعات الدينية ، وبخاصة ما يتعلق منها بالتراتيل اليومية التى تؤدى للفراعنة وتراتيل أعيادهم وأعياد الآلهة التى يحبونها (٦) غير ان هناك ما يحتمل معه أن مكتبات القصور لم يكن ينقصها التنوع هى الأخرى وأنه كانت لها صلتها بالادب (٧) والفنون (٨) ، فضلا عن الكتب ذات الصبغة السحرية (٩) .

لم تكن دور الكتب (المقدسة) بمثابة دور لحفظ المخطوطات فحسب ، وانما كانت للاطلاع وللاستزادة من العلم كذلك . وثمة نصب من الدولة الوسطى يوضح لها هذا الدور الثقافى (١٠) ويروى متنه أن الفرعون نفر حوتب أحد فراعنة الأسرة ١٣ كان شغوفا بأن يرى كتابات أتوم (اله عين شمس) العتيقة ويبحث فيها ويتعرف منها على تكوين التاسوع وقرابينه وطهوره ، ... ، وأن يتعرف على الاله (اوزير) فى

---

(١) تراجع ص ٢٢٦

(٢) BERGMANN, Buch vom Durchwandeln der Ewigkeit, 11, 60-61. — وراجع ملحق النصوص .

(٣) F.Ll. GRIFFITH, in J.E.A., XXIV, p. 165

(٤) BLACKMAN, Meir, II, pl. IV, p. 16

(٥) ص ٣٦٠

(٦) H. JUNKER, Giza VIII, 164.

وعن لقب العارف بالكتابة السرية لدار الأقوال المقدسة (بالقصر) واحتمال صلته بمكتبة القصر .
(See, JUNKER, Giza VII, 236).

(٧) H.R. HALL, in J.E.A. XII, 30 f.; A. ERMAN, in AEZ 1889, 62.

(٨) See, H. JUNKER, Giza VIII, 164

(٩) Pap. Amherst I, 3.

(١٠) MAR., Abydos II, 28-30; J.H. BREASTED, Anc. Records, I, 755 f.; MAX PIEPER, Die grosse Inschrift des Koenigs Neferhotep, (MV Ae G. 32, 2), Leipzig, 1929.
أنظر ملحق النصوص لبعض عبارات هذا النصب .

صورته حتى يصوغ له تمثاله وفق ما كان عليه فى العهد القديم ، حينما صاغ الآلهة تماثيلهم فى مجمعهم ، وحتى تقام لهم الآثار على الارض ... . وقد اجابته معيته وفيهم الكتبة الحقيقيون والمطلعون على الاسرار جميعها : « فلتتفضل جلالتك الى دور الكتب لتطلع على الاقوال المقدسة ، فتقدم إلى المكتبة ونشر المخطوطات مع رفقته حتى عثر على مخطوطات دار (معبد) أوزير ... » فى حين لم يستطع كاتب من رفقته أن يجدها » ... وقال لرفقته بعد اطلاعه عليها «إنى أحيي أبى أوزير ... ،ولسوف أصوغه ، بدنه ، ووجهه وأصابعه، وفق ما اطلعت عليه فى (هذه) المخطوطات .... وهو بهيئة ملك الصعيد والدلتا حينما خرج من جوف نوت ... »

وفضلا عما يوحى به هذا المتن من اتخاذ دور الكتب «برومزات» للاطلاع (وإن كان النص قد بادل بين تسميتها برومزات وبروسشو أو بروسخو) ، فإنه يدل كذلك على :

١ – احتمال صلة بعض دور الكتب (المقدسة) بالمعابد، فكتابات أتوم التى اطلع الفرعون عليها فى دور الكتب أقرب إلى أن تكون فى ذات معبده بعين شمس ، وهذا الاحتمال يؤيده ما ذكره نص دينى عن دار كتب للالهين جب وأوزير فى عين شمس أيضا ، ثم ما عرف عن مكتبات معابد الدولة الحديثة والعصور المتأخرة (انظر لهذا أدناه والصفحة التالية) .

٢ – تزكية المكانة الثقافية الدينية لمدينة عين شمس ، وتزكية ما سبق احتماله عن وجود مكتبة تحوتى بها (ص ٣٥٥) . وذلك مع تقدير أن كتابات أتوم لم تتعلق به وحده وإنما كان فيها جانب خصص للإله أوزير وللتاسوع أيضا (١)

٣ – أن ما اطلع عليه نفر حوتب فى دور الكتب لم يكن دينيا خالصا ، وإنما كان فيه ما هو أقرب إلى كتب الفن بحيث يوضح جسد أوزير ووجهه وأصابعه ، إن لم يكن مما يتناول شرح متن يشبه متن المذهب المنفى الذى قال بأن بتاح «قد شكل أجساد الأرباب بما يرضى قلوبهم فتلبس الأرباب أجسادهم التى قدرها لهم من كل أنواع الاخشاب ومن كل حجر كريم ومن الطمى ومن كل ما ينمو فوق سطح الأرض » .

وزكت صلة مخطوطات دور الكتب بقواعد الفنون فضلا عن الدين نصوص أخرى كان منها نص تحدث عن تصوير ارباب التاسوع بمعبد رمسيس الثانى فى أبيدوس « فى هيئاتهم التى خلقها بتاح ووفقا لمخطوطات تحوتى عن أبدانهم فى السجل الكبير الموجود بدار الكتب »(٣) وروى نص آخر على لسان رمسيس الثانى معرفته بشئون المعبود حعبى رب النيل « الثابتة فى صالة المخطوطات المسجلة بدار الكتب » (٤)

ومن مكتبات معابد الدولة الحديثة أمكن ترسم مكان دار كتب لمعبد الرمسيوم فى قاعة ذات ثمانية أساطين تلى بهو الأعمدة (٥) كانت قد صورت فى سقفها مناظر فلكية وصور على جانبى مدخلها سشات «ربة الكتبة وراعية دار الكتب »وتحوتى رب المعرفة ومعهما رمسيس الثانى يحمل أدوات الكتابة ،

---

(١) يقارن ذلك مع وجود «كتب أتوم » فى مكتبة معبد خور إدفو فى العصور المتأخرة
(CHASSINAT, Edfou III, 338).

(٢) Brit. Mus. 797.
(٣) انظر ملحق النصوص .

(٤) L.D. III, 175 a, 7. وانظر ملحق النصوص

(٥) J.E.A. XXIV, 177.

كما ذكر فى نقوشها آلة السمع والبصر (١) والفطنة والنطق الخالق (٢). واستنتج كابار J.Capart (٣) من نص لرمسيس الثانى يتناول هداياه لهذا المعبد ، أن بابها كان موشى ، أو ذا تصاوير موشاة ، بالذهب والاحجار الكريمة تقديراً له . وما زالت الفجوات التى ثبتت فيها صفائح المعدن على مدخلها باقية فى بنائها حتى الآن . وهذه المكتبة وإن لم يكن قد بقى شيء من كتبها أو يذكر كتبها ، فإن ما كان قد صور فى سقفها من المناظر الفلكية يوحى بأنها كانت تتضمن مخطوطات فى ذات علم الفلك فضلا عن كتبها الدينية والطقسية الأخرى . وقد وصفها ديودور الصقلى وذكرها باسم « مصح الروح » . ونوهنا فى حديثنا عن بقايا دور العلم فى صفحة ١٤٥ بقاعة كشف عنها حديثا فى معبد الأقصر تحدثت نصوص واجهتها عن سعى رمسيس الثانى إن « قاعة الكتب حيث نشر مكتوبات دار الحياة وعرف منها خفايا السماء وكل أسرار الأرض » ؛ واحتملنا من ذلك أن تكون هذه القاعة خزانة كتب للمعبد رعاها الفرعون وأبناؤه وكانوا يخصونها بالزيارة ؛ وإن بدت فى حالتها الراهنة خاوية معتمة متواضعة .

وجاء ذكر دور كتب أخرى من ذات عصر الرعامسة فى نصوص معابد ابيدوس (٥) والسلسلة (٦) ، وذلك فضلا عما ذكرته برديات متأخرة عن متن نقل عن رق جلد كان بدار « كتب اوزير » فى أبيدوس منذ عهد أحد ملوك الدولة الوسطى (٧) ، وآخر وجد فى عهد أمنحوتب الثالث فى داركتب أوزير كذلك (٨) . ومن المحتمل ان فى احتفاظ كهنة منف حتى عهد الفرعون شاباكا بمتن مكتوب لمذهبهم عدت عليه الأرضة كما قالوا (٩) ، ما يوحى بأنه كان مدوناً على البردى أو على رق جلد بمكتبة معبدهم ، وربما أشبه ذلك أيضا احتفاظ كهنة جزيرة سهيل بأصول متن لوحة المجاعة فى مكتبتهم (؟) حتى عصر البطالمة حيث أعيد نقشه على الحجر (١٠).

واحتفظ معبد ادفو فى عصوره المتأخرة بقاعة صغيرة سميت باسم « دار الكتب » ، وكانت أشبه

---

(١) L.D. III, 167 ; see, J. CAPART, l'Exaltation du Livre, in Chr. d'Eg., 6946, p. 27.

(٢) BURTON, Exerpta hieroglyphica, pl. LVI-LVII

(٣) J. CAPART, op. cit., p. 27.

(٤) انظر ملحق النصوص .

(٥) ولكن دون تفصيل أو تعيين لمكانها . (MAR., Abydos, II, 2, 9 c).

(٦) L.D. III 175 a, 7.

(٧) S. BIRCH, On some leather rolls, in AEZ, IX, 104. ولو أن هذه الجملة قد تقرأ بقراءة أخرى وهى « نقل عن رق جلد من كتاب (فى) دار أوزير » — انظر ملحق النصوص .

(٨) Ibid., p. 117. — وانظر ملحق النصوص .

(٩) Brit. Mus., 797.

(١٠) See, SETHE, Imhotep, 103-5 ; Untersuchungen, II, 75 f.

يضاف إلى ذلك عن العصور المتأخرة أنه كثيراً ما ذكرت نصوص البطالمة الأوائل متسعاهم فى إعادة ما نهبه الفرس من كتب المعابدالمصرية AEZ, IX, 1 f. ; XXXII, 81 f. Urk. II, 14. . وما تذكره قصة ديموطيقية عن دار كتب فى معبد الأشمونين كانت بها مقصورة تتضمن كتبا للسحر F. L. GRIFFITH, Stories of the high priests..., 5, 11-13 ; see also, J.E.A., XXIV, 105).

بأرشيف للمخطوطات(١) واحتفظت نصوصها بسجل يمثل ما كانت تتضمنه مكتبات المعابد وتوج العتب العلوى لمدخلها بصورة لرمز السماء فى حجم كبير يشغل نحو نصف اتساع فتحة المدخل وظهر من تحته اثنان يرفعان بأيديهما لوحة الكاتب الى حيث تكاد تلامس السماء فى وضع يعبر عن فكرة الابدية لها . ثم اربعة آلهة آخرون صور اثنان منهم على كل جانب فى وضع يعبر عن فكرة التعبد أو التعظيم لهذه اللاوحة (لوحة ٧٣) وهؤلاء الاربعة كما عبرت عنهم الرموز التى كتبت فوق كل منهم هم من أتت بهم متون مكتبة الرمسيوم من قبل متفرقين : فرسمت الاذن فوق الاول من اليسار ، ورسمت العين فوق التالى له و كتب رمز « سيا »فوق الاول من اليمين وفوق التالى له صور رمز « حو » (٢)،وبهذا يرمزون على التوالى إلى آلهة السمع (٣) والبصر (٤) والفطنة والنطق الخالق(٥). فاللوحة فى مجملها إذن تشير إلى سمو العلم الذى تضمنته كتب المكتبة وكان سبيل خلوده لوحة الكاتب ، أو هى تجمع بمعنى آخر بين وسائل تحصيل العلم وهى : السمع والبصر والفكر والوحى ، أو هى تكنى مرة أخرى كما يعتقد كابار J. Capart (٦) عن أن اوحة الكاتب هى التى تتيح الدوام للمحة الخاطفة ، والصوت الطارئ على الأذن ، وما يمر به الإدراك فى مجراه المتدفق ، وما ينطق به اللسان فى كل أمر وتوجيه .

ويذكر ما تبقى من متون المكتبة انها كانت عامرة بقدرات رع « باورع » أى بالكتب (٧) وأنبها «صناديق عديدة ذات كتب (دونت) على الجلد» (٨) وقد سجلت أسماء بعض هذه الكتب ، فكان منها ما يتعلق بالمعبد وما يتضمنه ونظامه ، وقواعد نقش جدرانه ، وما يتعلق بتجلى حور رب المعبد وأعياده ، ثم كتب فلكية لمعرفة تعاقب (؟) الشمس والقمر ومسرى النجوم ، وأخرى سحرية لدفع العين الشريرة والتغلب على ست واتقاء التماسيح والزواحف وتهدئة (؟) سخمت ربة الغضب والنقمة ، فضلا عن رقى لحماية الفرعون والقوارب المقدسة والمدينة والدار والتاج والعرش والكتب ، كما كان منها ما يتناول التعريف بالقرابين (؟) الإلهية .

وهكذا تتضح غلبة الكتب الدينية والسحرية فى هذه المجموعة ، غير أنها لا تخلو مع ذلك من تنوع يشهد به ما ذكرته عن كتب الفلك والفن. وإذا كانت صناديقها عديدة حقا كما ذكر المتن(٩) لما كانت هذه المجموعة المدونة غير جزء ضئيل من محتويات المكتبة ، بل يحتمل أنها لم تكن أكثر من كتب الاستعمال اليومى(١٠). ولهذا الاحتمال ما يزكيه فى كثرة ما وضع المصريون من الكتب الدينية وفى تعدد المناسبات

---

(١) CHASSINAT, Edfou III, 339 f.

(٢) See, J. CAPART, op. cit., p. 26.

(٣) Wb. V, 388.

(٤) Wb. I, 108, 3 ; SETHE, Amun und die acht Urgotter von Hermopolis, 1929, S. 39, 74.

(٥) See, A.H. GARDINER, in Proc. S.B.A. XXXVIII, 43 f. ; 83 f.

(٦) J CAPART, op. cit., 26.

(٧) CHASSINAT, Edfou III, 339. انظر ملحق النصوص .

(٨) H. BRUGSCH, Bau und Maasse des Tempels von Edfou, in AEZ, IX, 34 ; see, E. OTTO, Buch-und Bibliothekswesen, (Aegyptologie, II Literatur), 224 ; S. SCHOTT, Bücher und Buechtitel (Aeg. II, Lit.) 229. انظر ملحق النصوص .

(٩) See, CHASSINAT, op. cit., 339 ; H. KEES, Kulturgeschichte, 282.

للعمل بها (١) . وما يذكره متن متأخر عن «مكتبة تضمنت ملايين الكتب الكبيرة» على حد قوله (٢) .

ووجدت قاعة أخرى مماثلة لمكتبة إدفو فى معبد فيلاى (٣) ، كما دونت قائمة بستة وثلاثين كتابا فى معبد الطود كان منها مايذكر «حركة الشمس والقمر ، وعام المعبد ورقى الأعوام . .» (٤) فى مكتبات المعابد المتأخرة اذن بعض ما يعوض ما عفى عليه كر الدهور من معالم مكتبات المعابد الفرعونية ، كما ان اتصاف محتوياتها بشيء من التنوع على الرغم من غلبة الصبغة الدينية والسحرية على معارف أصحابها فى عصور انشائها ، يمكن ان يتخذ دليلا على تنوع أوسع وأوضح كانت تتصف به مكتبات العصور الفرعونية عصور الازدهار الفكرى والثقافى . وفى تتويج مكتبة إدفو بما يمجد لوحة الكاتب والسمع والبصر والفطنة أو البصيرة ما يضيف اليها طابعا دنيويا ويصورها كأنما تستهدف علم الكاتب أو تستهدف العلم بمعناه الواسع على الرغم من وضعها الدينى الذى يفرضه عليها وجودها داخل المعبد . وأخيراً وعلى نحو مادل متن نفر حوتب من الدولة الوسطى على اتخاذ دور الكتب لاطلاع الملوك فضلا عن الكهنة على أقل تقدير ، دل متن من العصور المتأخرة على بقاء هذا المظهر الثقافى أو التثقيفى لها ، ففيه يدعو صاحبه «من تفقهوا (فى) متون دار الكتب وفسروا رموز قدرات رع (أى الكتب)» (٥) .

---

(١) انظر عن عنوان تسعة كتب تتلى فى اليوم الأول للإبحار بجثمان الفحل المقدس :
W. SPIEGELBERG, *Ein Bruchstück des Bestattungsrituals der Apisstiere*, in **AEZ**, LVI, 20 f.

وسبعة وسبعون كتابا تتلى عند إدانة الأفعوان عبب (Louvre 3248, B 16).

(٢) PLEYTE-ROSSI, Papyrus de Turin, pl. 18, 1.9 وذلك مع التجاوز عما فى هذا الوصف من مبالغة واضحة .

(٣) A.H. GARDINER, in J.E.A. XXIV, 177, No. 6

(٤) S. SCHOTT, op. cit., 226 and 171.

(٥) Louvre C 232. — وراجع ملحق النصوص .

وراجع أخيراً ما تذكره كتب الموتى من أن الفصل ١٣٠ منها وجد كتابه فى القاعة الكبرى لأحد ملوك الأسرة الأولى ، وأن الفصل ٦٤ وجد كتابه مكتوبا بلون أزرق تحت قدمى المعبود تحوتى فى الأشمونين ، ثم ما تذكره بردية برلين الطبية عن العثور على أحد مراجعها الطبية تحت قدمى المعبود انبو فى أوسيم .

خاتمة

تشكلت صورة التربية المصرية القديمة فيما تقدم من فصول هذا الكتاب من عدة عناصر وهى :

(ا) المتون والوثائق الشخصية والآداب : وقد نمت جميعها على أن الطفل كان مرغوباً فيه على وجه العموم ، بوحى من الظروف الاجتماعية والبيئية والمعتقدات الدينية فى بلده ، وأن التفرقة بين الابن والابنة لم يكن لها شأن كبير واضح ، وأن مظاهر التماسك والاستقرار العائلى وبساطة المعاملات كانت غالبة على ماعداها ، وأن وضع الأم فى الأسرة كفل لها تأثيراً مناسباً فى حياة طفلها ، وإن وجدت إلى جانبها المرضع فى الأوساط العليا والوسطى ، وأن مسئولية الأب فى تربية أبنائه كانت هى الاوضح فى سن الصبا ، وإن وجد الى جانبه المربى فى القصور الفرعونية على أقل تقدير ، وأن طاعته كانت مفروضة ومرعية إلى حد ملموس .

وكل ذلك مع تقدير بعض الفوارق المعتادة بين طائفة وأخرى وبين عصر وعصر .

(ب) مجموعات التماثيل ومناظر الحياة اليومية : وقد اتضح منها ما أكد الترابط العائلى فى أغلب الأحوال وما أكد سلطة الأب ، وما صور جوانب من تقبل العقلية المصرية لإتاحة عوامل المرح والرياضة للصغار وللصبية الناضجين . وذلك مع شيء من التحرز مرة أخرى من التسليم المطلق بعمومية النماذج المثالية التى أظهرتها بعض هذه المجموعات من التماثيل والمناظر المصورة .

(ج) التعاليم التربوية : وهذه تضمنت قواعد الاخلاق والسلوك وكانت الموجهة لما تبيناه من المصادر والعناصر السابقة ، وهى وإن صدرت جميعها عن نبع واحد ، وبوحى بيئتها ومطالبها ، إلا أنه كان ثمة ما يميز بين كل واحدة منها وأخرى ، وما يميز بين قديم منها وحديث ، وكان ثمة أخذ ورد فيها حتى بين الآباء وبين الأبناء انفسهم ، وذلك مما دفع عنها سمة التنطع والجمود .

ومن استعراض الاتجاهات التربوية المتعددة التى تضمنتها فصول هذا الكتاب يتضح مايمكن تلخيصه فى :

أن التربية المصرية القديمة قد سلكت فى مجملها مسلكا وسطا لما استهدفته من غايات ، فآثرت سبيلا وسطا بين الإشراف المطلق على الناشئ وبين إطلاق الحرية له . فلم تدعه بحيث تصبح تجاربه المحدودة وحدها هى الموجهة له ، وإنما اخذت بأنه من مولود يستطيع أن يتفقه الأمور من تلقاء نفسه (١) ، ووثقت بتجارب الأب وتوجيهاته ، وعمل الأب الحكيم فيها بدوره على إفادة النشء بمبررات نجاح الأسلاف ودعا الى الاقتداء بهم . ولكنها لم تجر على لسان الأب على الرغم

---

(١) Pap. Prisse, 41 and see : Pyr. 1701 b ; Urk. IV 1182, 17 ; Admonitions, 16, 1 ; Turin Statue of Harmhab, 3 ; NAVILLE, Todtb., 170, 14-15 ; B. GUNN, Syntax, 142, 145.

من ذلك مطلق الأمر والنهى دائما وإنما توخت أحيانا سبل الإقناع فيما دعت إليه وذلك عن طريق التعقيب المنطقى والاستشهاد بالمثل السائر واستخلاص العبرة من أحداث وقعت ومحاولة ربط النتيجة بالسبب مع الاستعانة بالوازع الدينى ، كما استحبت التفكير واستيحاء العقل فيما دعت اليه ، ودعت الناشئ إلى أن يقدر أن فضيلة ابن الرجل يعود نفعها عليه ، وأن الخلق الطيب يذكر به صاحبه(١) ، وأن الإرث (المادى) مجرد عارية (تنتقل من شخص الى آخر)(٢) ، وأن ما يعتز المرء بوراثته عن أبيه هو توجيهه إياه الى تحرى العدالة (٣) .

وحاولت أن تجمل له العوامل التى يمكن أن تعبر عن كيانه فقالت : «إن كيان الإنسان (من) أسرته ، و (فى) قدرته ، وعلى وجهه ، ثم هو من غير شك جزء فيه »(٤) .

وسلكت سبيلها وسطاً كذلك فيما بين المادية الخالصة وبين الروحية الخالصة ، فقامت توجيهاتها أساساً على خبرة الإنسان وتجاريبه كما تقدم ، وقام بوضعها أفراد جمعوا بين التفلسف والادب وبين الحياة العامة دون انقطاع لواحدة منها دون الاخرى ، ولكنهم جميعا كانوا يأخذون بالوازع الدينى ويؤمنون بإرادة مسيطرة موجهة تثيب وتعاقب .

واستهدفت التربية المصرية أن تضع الناشيء على الطريق السوى و سبيل الرب(٥) وسبيل الحياة (٦) فيجد فيه نحو « كل كمال » من أجل نفسه ومن أجل الناس « وحتى يصبح تصرفه بغير نقيصة فيه »(٧) وذلك فى ظل الرضا بما قدر له (٨) ، وفى حدود المطابقة مع مجتمعه ومع الاوضاع القدسية القائمة فيه والتى ارتضاها له الآلهة (٩). واستهدفت أن تجعله على تقى من ربه ، وان يكون على توافق بين نوازع نفسه وبين واجباته ، وبين أحاسيسه وتصرفاته ، وأن يكون على احساس بضرورة الحدب على الضعيف بحيث يطير اليه ايهبه المعونة . (١٠)

كان من أوضح أهداف التربية المصرية ان تكفل نجاح الناشئ فى مجتمعه وتكفل فى الوقت ذاته رضا المجتمع عنه . فيكون من نجاحه أن يندب للمهمات (١١) ، ويؤخذ بقوله ويستمع اليه(١٢) ، ويؤثره الرئيس بثنائه ونعمائه (١٣) ، ويصبح ذا منصب وجاه (١٤) . ويكون

---

(١) انظر ملحق النصوص . Pap. Prisse, 493.

(٢) Ibid., 492. (٣) Ibid., 98.

(٤) Brit. Mus. Pap. 10508, pl. 11-14.

(٥) Louvre Tablette 693, vs. 1 (see, Rev. d'Eg. I, p. 55)

(٦) G. POSENER, Les Richesses inconnues de la Littérature Egyptienne, in Rev. d'Eg. 1951, p. 42 ; 1955, 61 ; Pap. Brit. Mus. 10474, 7 – وانظر ملحق النصوص .

(٧) Pap. Prisse, 86-7. وانظر النصوص .

(٨) Ibid., 182, 184 ; Brit. Mus. Papyrus 10474, 9, 10-11

(٩) See, H. FRANKFORT, Ancient Egyptian Religion, New York, 1948, p. 62 f

(١٠) Pap. Ch. Beatty IV, vs., 2, 2 f (١١) Pap. Sall. II, 4, 6-7.

(١٢) See, Pap. Prisse, 47-8. (١٣) Ibid., 393 f. ; 399 f. ; 628 f.

(١٤) يتعلق بذلك ما اتجهت إليه توجيهات المعلمين لتلاميذهم إلى اختيار مهنة الكاتب إيثاراً للجاه والمنصب الرفيع

من رضا المجتمع عنه أن يرى فيه مثلا طيباً لأسرته (١) ، وأن يستبقي الصديق صداقته (٢) ، ولا يكون من الأتباع من يقول عنه: « ماله (وما الغاية) مما يفعله؟ »(٣) وذلك حتى تزكو سمعته الطيبة بغير أن يتكلم .. ويشيد الناس به من حيث لا يعلم (أو في غيابه) كما ذكر بتاح حوتب لولده، (٤). ثم ختمت بعبارة قالها عنخ شاشنقي لولده ويحتمل أن تعني معنى « فشل كريم خير من نصف نجاح » (٥)

وجعلت التربية المصرية سبيل سعادة الناشئ تمكنه من « الكتابة » أي التعلم ، وتعمدت أن ترغبه فيه بالخير الأقرب وهو الاشتراك في الهيئة الحاكمة ، وبخير أسمى وهو خلود ذكر ان يستطيع أن يؤلف كتابا يطالعه الناس ويلتمسون فيه «سحره» أي سحر بيانه وحكمته (٦) . وحضته إلى جانب ذلك على التواضع بعلمه وعدم الادعاء ، فقالت له على لسان عنخ شاشنقي « لا تقل أجدت الكتابة ما دمت لست كذلك ، ولا تقل إني متعلم ، واستمر في تحصيل المعرفة » (٧)

ذلك هو موجز اتجاهات التعاليم التربوية المكتوبة ، أو بمعنى أدق هو موجز لأسمى اتجاهاتها (٨) . ومن المؤكد أن هذه الاتجاهات كانت تصادف من يستجيب لها عن اقتناع وتجد من عقيدة البعث والحساب التي انفرد بها مجتمعها ما يصرف فريقاً من بنيها أو دارسيها الى تقبلها على أنها من سبل النجاة(٩). غير أن شأنها بعد ذلك لا يعدو بطبيعة الحال شأن غيرها من التعاليم الراقية إلهية كانت أم وضعية ، تصور السبيل السوى أمام الناس ثم يكون المقبلون على هذا السبيل على تفاوت فيما بينهم في كل جيل وفي كل طبقة أو جماعة .

بل إن من أصحاب التعاليم أنفسهم من كانت تهزهم متناقضات الحياة وتدعوهم الى الاعتراف أحيانا بأنه قد يكون للنجاح سبل أخرى ميسرة غير سبيل العلم والتعلم ، فقالوا « إذا عمل غبي بقلبه أصبح رجلا حكيما ... والحكيم هو من تفهم ما يمر عليه » وقالوا « إذا وهبوك العيش جزاء الغباء فاجعل التعليم إذن خصيمك »(١٠) كما كان منهم من دفعته تجارب الحياة إلى القول بأنه لا سبيل الى تقويم المعوج في هذه الحياة (راجع ص ٨٧) .

---

(١) Pap. Prisse, 621 f.; 629 f.

(٢) Ibid., 277 f.; (See, Bersheh II, pl. XXII, 17, p. 50).

(٣) انظر ملحق النصوص . Pap. Prisse, 274

(٤) Ibid., 240,242 وانظر ملحق النصوص .

(٥) Brit. Mus. Pap. 10508, XVIII, 5, GLANVILLE, op. cit., p. 75.

(٦) Pap. Ch. Beatty IV, vs., 2, 5-3, 10.

(٧) Brit. Mus. Pap. 10508, X, 2, VIII, 3.

(٨) يراجع نقد اتجاهها إلى توجيه مستقبل بنيها إلى المناصب الحكومية على أنها خير ما يبتغى في الحياة وحرصها في سبيل ذلك على أن تروضهم على مسالمة الرؤساء وطاعة المهيمنين . ص ٩٥

(٩) يقارن في هذين الأمرين : Pap. Prisse, 550-3; BERGMANN, Hierog. Inschriften, pl. VIII f.; Brit. Mus. 614, 7-8; 159, 11; Urk. IV, 919, 7; 994, 5; Turin Stela 156, 2; Rec. Tr. IV. 131.

(١٠) Brit. Mus. Pap. 10508, XIX, 8, 20, 25

(د) المصادر التعليمية :

وهذه أفصحت روحها عن أنه لم يكن من حائل قاطع يحول بين أبناء طبقة ما وبين التعلم ، وأن ما كان يؤثر فى مدى الإقبال على التعلم أو الاستمرار عليه هو الإمكانيات المادية والاتجاهات الأسرية فضلا عن مطالب العصر (١) . واتضح منها كذلك أن التعليم كان فرديا فى بعض أحواله وجماعيا فى أحوال أخرى ، وأن فترة التعليم كانت تبدأ مبكرة وتخضع فى بعض نواحيها لما يشبه المناهج المقررة ، وأن الثقافة المتنوعة كانت مستحبة ، وإن يكن التعليم الأدبى هو الغالب عليها . وأن ذلك التعليم الادبى فضلا عن تمسكه بالقديم الموروث كان يستفيد بإنتاج العصور التى يدرس فيها . واتضح منها أن العلاقة بين المعلم والتلميذ كان يفترض قيامها على الطاعة ، غير أن معاملة المعلم لتلميذه كانت تتوقف على شخصيته وكفايته ونظرته إلى عملية التعليم ، وذلك مما لا يفرق بينه وبين من سواه من المعلمين القدماء والحديثين فى شىء كثير . واتضح من المصادر التعليمية أخيرا أنه تميزت دون دور التعليم العادى معاهد خدمت جوانب خاصة من المعارف والعلوم وهى دور الحياة ، ودور لونت ثقافتها بلون متميز وهى قصور الفراعنة ، وذلك فضلا عما كانت تتضمنه المكتبات وتقصد من أجله المدن ذات الشهرات الثقافية الخاصة والمعابد الكبرى .

وإذ تقدم التنويه فى مقدمة هذا البحث بمنطقية القول بأثر بيئة كل مجتمع وظروفه الحضارية فى تشكيل مثله العليا وتوجيه اتجاهاته التربوية وتميز بعضها على بعض أحيانا ، فما من بأس إذن فى تعقيب أخير موجز عن الآثار المحتملة لطبيعة البيئة المصرية وظروفها الحضارية فى توجيه سبل التربية المصرية القديمة توجيهاً مباشراً أحياناً وتوجيهاً غير مباشر أحياناً أخرى .

فقد تميز من معاملة المصريين القدماء لبيئتهم مرحلتان طويلتان تركت كل منهما أثرها فى طرائق حياتهم وبالتالى فى توجيه غاياتهم التربوية التى طبع كل جيل أعقابه بها عن قصد حينا وعن غير قصد حينا آخر ، وهما مرحلة الصيد ومرحلة الزراعة ، وكانت أولاهما أقل تأثيرا من أخراهما فى تاريخ أهلها ولكنها لم تخل من أثر يذكر على أية حال .

فلقد عاش أوائل المصريين دهورا بعيدة يصعب تحديد مداها فى حياة الصيد ، وكانت حيوانات الصيد ومنها الكواسر مثل السباع والفيلة والضباع والفهود وربما الفيلة والخرتيت أيضا ، لاتزال تغشى حينذاك جوانب الوادى الفسيح ، كما كانت حيوانات النيل الكبيرة مثل أفراس النهر والتماسيح لاتزال تغشى حوافيه ، وبهذا أصبح كفاحهم فى دهورهم تلك كفاحاً من أجل توفير الأمن ومن أجل توفير الغذاء فى آن واحد . ولعل أوضح الآثار المحتملة لذلك الكفاح البعيد فى نفوس أصحابه هو ما طبع تصوراتهم به عما ينبغى أن تكون عليه الجرأة المثالية وقوة البدن فى مجتمعهم ، فضلا عن احتمال انعكاس أصدائه على هواياتهم الرياضية حتى بعد أن تجاوزوا عهود الصيد من أجل تحصيل الرزق وتوفير الأمان بأمد طويل . فلقد صور المصريون فى حياتهم تلك وفى أعقابها طرفاً مما تخيلوه عن مثالية الرجل الجلد الجرىء ، وجعلوا التمكن من الأسود وأفراس النهر بخاصة محوراً لما أرادوا التعبير به عن مثاليته ؛

---

(١) وذلك على خلاف ما أتت به الروايات المتأخرة عن استئثار رجال الدين بالعلم والتعليم .

فصوروا عدة مناظر يفصل الشخص الشجاع المثالي فيها بيديه المجردتين بين أسدين (١) ، وتخيلوا لبعض أربابهم هيئات الأسود ، ورمزوا إلى زعمائهم الكبار بصور الأسود الفاتكة والفحول شديدة المراس (٢) ، واستحبوا تصوير صيد السباع والحيوانات الصحراوية على مسطحات الرسم والنقش الصغيرة خلال عهود فجر تاريخهم القديم تفاخراً فيما بينهم وتسجيلا لذكريات كانوا يعتزون بترديد أخبارها . وجعلوا لمناضلة أفراس النهر والتماسيح حظا كذلك فيما تخيلوه عن بأس الشخص الجلد المتين ، وصوروا بعض فراعنتهم يصارع فرس النهر يداً بيد (٣) .

ولما تجاوز المصريون الأوائل حياة الصيد من أجل تحصيل الرزق ، استمرت أصداء الصيد تتردد في مخيلاتهم من حين إلى آخر ، فظلوا يستحبون فكرة الجمع بين بأس الأسد وبين سمو التفكير البشرى للتعبير عن مثالية حكامهم ، وعبروا عن هذه الفكرة في عدد كبير من المناظر وقطع النحت التي قلدوا بها هيئة بو الهول ورمزوا بها إلى فراعنتهم ، كما عبروا عنها بنعتهم أولئك الفراعنة بصفات الأسود والفحول (٤) ، وحفلت مناظر مقابر سراتهم بما يصور استمتاع أصحابها بصيد الفهود والضباع والأيائل والوعول وترويض بعضها ، ورددت متونهم التاريخية بالإعجاب أنباء شجاعات فذة أبداها بعض أمرائهم وملوكهم في صيد السباع والفيلة والثيران البرية خلال ممارستهم هواياتهم الرياضية داخل مصر وخارجها (٥) ، وظل صيد أفراس النهر وما دونها من حيوانات الماء يؤثره فريق من الهواة باستخدام الخطاطيف والحراب مباشرة (٦) ، تدليلا منهم على الجرأة وقوة الساعد .

(١) Louvre E. 11517 ; Mon. Piot. XXII, p. 1 f., pl. I, Fig. 16 ; J.E.A. V, pl. XXXII ; Hierakonpolis, I, pl. XVI, 2 ; II, pl LXXXV f. ; Naqada, pl. LI, 7 ; MeirII, 17 ; Thebian Tomb 93 ; SCHARFF, Fruhkulturen, 26-28.

(٢) Mon. Piot., op. cit., Fig. 6-7 ; 8-10 ; J.E.A. II, 93 f. ; Hierakonpolis, I, pl. XXIX ; B.I.F.A.O., 1933, pl. XIII ; CAPART, Le début..., Fig. 165-166 ; KEES, Das alte Aegypten, 5.

انظر أيضاً محمد أنور شكرى : أنوريس قصة الحضارة المصرية – مجلة كلية الآداب – جامعة القاهرة ١٩٤٧ – ص ١٠ + ٢٦ ، ... ، الصلايات في فجر التاريخ – ص ٢٩ – ٣٠

(٣) F. PETRIE, The royal tombs of the earliest dynasties II, pl. VII, 6 ; L. BORCHARDT, Die Annalen und die zeitliche Festlegung des alten Reiches der aegyptischen Geschichte, S. 36, Abb. 6 ; Badarian Civilization, pl. 54, 15.

(٤) See H. GRAPOW, Die bildichen Ausdruecke des Aegyptischen, 1924, 70 f.

(٥) A. ERMAN, Die Lit., 108 ; J.H. BREASTED, Anc. Records of Egypt, II, 813, 865 ; H. CARTER-A.C. MACE, The Tomb of Tut Ankh Amen, Vol. I, pl. LI ; Vol. II, pl. I, b ; WRESZ, Atlas II, 81, 92. ; F. PETRIE, Medum, pl. XVII, p. 25 ; PAGET and PIERIE, The tomb of Ptah-hetep, pl. XXXIII, p. 29.

(٦) De MORGAN, Recherches sur les origines I, 162, 33 ; PRISSE d'AVENNES, Hist. II, Fig. 6 ; G. WILKINSON, Manners and Customs, II, 129 ; A po pular account of the Anc. Egyptians, I, Fig. 253 ; JEQUIER, Le Temple de Pepy II ; W.S. SMITH, A history of sculpture and painting, p. 203.

على أنه مهما يكن من أثر عهود الصيد الطويلة البعيدة فى تخيلات المصريين عما ينبغى أن يكون عليه بأس الشخص الجلد المثالى ، فإن الأثر الأبقى فى تكوينهم الخلقى والوجدانى والسلوكى هو من غير شك للمرحلة المديدة التى أعقبتها ، وتلك هى مرحلة الزراعة . فقد استمر كفاح المصريين القدماء خلال هذه المرحلة ، ولكنه تحول إلى كفاح لتذليل الأرض لصالحهم وتهيئة المعيشة الآمنة الرتيبة عليها ، وتطلب ذلك الكفاح إيثار التجمع والتعاون دون التفرق والتنافر ، وتطلب وجوب مراعاة الفرد للحق والواجب إزاء من يجاورهم ويتعامل معهم ، واستوجب فى بعض صوره مزيداً من تكاتف الزوجين وأولادهما فى سبيل مواجهة مطالب المعيشة وفى سبيل توفير حياة أفضل ، وتطلب من أهله اصطناع الصبر حتى بلوغ أفضل النتائج فى العمل والتعامل وذلك فضلا عما تتطلبه حياة الزراعة ذاتها من طابع الهدوء والاستقرار وما توحى به الأرض لأهلها من الروح العملية فى الأخذ والعطاء حينما تنتج لهم بقدرما يبذلون فيها من جهد وعمل وأمل .

ولا يخلو من أهمية أن حياة الزراعة المصرية القديمة كانت فى حد ذاتها من دوافع سبق أصحابها إلى ابتكار الكتابة إن لم تكن من عوامل نضجها . فهى حين تطلبت من أهلها التقارب والتعاون تطلبت معهما تنظيما مستقراً كذلك ، وحينما استقر التنظيم فى يد الهيئة الحاكمة واتسع نطاقه ، وقد حدث ذلك فى عصور تاريخية مبكرة ، كان لا بد لنجاحه من تسجيل وإحصاء وتقسيم وتشريع وتخطيط ، سواء بالنسبة للأراضى ومشروعاتها ومحصولاتها وضرائبها ومعاملاتها ، أم بالنسبة للمرتبات العينية للمكلفين بالإشراف عليها ، وذلك مما لم يكن له سبيل غير سبيل الكتابة التى ابتدأت تخطيطية وتصويرية ومقطعية ثم تضمنت الحروف الهجائية ، وترتب على ذلك كله أن تهيأ السبيل أمام الجانب الثالث من جوانب التربية وهو جانب التعليم .

ولسنا نفترض تعميم الملامح الطيبة للحياة الزراعية القديمة على كل حالاتها ولا على كل العاملين فيها ، فما من شك فى أن كثرة أولئك العاملين كانوا مجرد أجراء يبذلون الكثير من الجهد ولايجنون غير القليل من الجزاء ولايخرجون من دنيا الزراعة تبعا لذلك إلا بما يطبعهم بطابع الرضا بالقليل والتسليم بالأمر الواقع فى أغلب الأحوال . وكان حظهم من الكفاف وضآلة الحال والمآل أحد العوامل الرئيسية التى جعلت التمسح بالوظيفة الحكومية يعتبر أملا وغاية وأماناً فى نظر معظم مواطنيهم أولئك الذين استحبوا لأبنائهم حياة التعلم طالما استطاعوا سبيلا إليها .

وتوفرت للمجتمع المصرى القديم قطاعاته الصناعية والفنية النشطة إلى جانب صبغته الزراعية الغالبة ، وهذه إذا اقتصرنا على خير ما فيها فإن أفضل ما توحى به آثارها الباقية هو ما تم عليه من انطباع نفوس أصحابها على تقدير الإجادة والدقة واصطناع الصبر والجلد حتى الوصول إلى أفضل إنتاج .

وليس خافياً أن طبيعة الحياة الزراعية الغالبة كانت مسئولة إلى حد ما عن بث الروح المحافظة التى اشتهر بها أهلها ، تلك الروح التى انعكست أصداؤها على تفكيرهم الدينى والتعليمى والفنى القديم ، ولكن حياة الزراعة لم تكن وحدها ذات الأثر فى بث هذه الروح ، وإنما تعاونت معها على تزكيتها عدة عوامل أثر كل منها فى الآخر وتأثر به فى الوقت ذاته ، ومن أهم هذه العوامل عامل الشعور الحسى والشعور المعنوى ، بل والشعور التلقائى أيضا ، برقى الحضارة المصرية فى جملتها رقيا باهراً جعل أصحابها يثقون ثقة مطلقة فى قدرتها على أن تثبت تفوقها وتحافظ عليه فى حاضرها ومستقبلها على نحو ما أثبتته

وحرصت عليه فى ماضيها ، وهو ذات الشعور الذى شجع أصحابه على أن يستمسكوا بثقافاتهم الخاصة ووسائل كتابتهم وتعبيراتهم أمام جيرانهم الأدنين والأبعدين ويفترضوا لأنفسهم قوة التأثير دائما دون التأثر ، ويشعروا بكفاية تلقائية لا يحسون معها بحاجة ملحة إلى تقليد الحضارات المحيطة بهم إلا بمقدار ضئيل على الرغم من اتساع صلاتهم بأصحابها . ثم عامل الأمن الدولى النسبى الطويل الذى نعمت مصر القديمة به فى أغلب عصورها الفرعونية ولم تجد معه من يجبرها قسراً على تغيير طرائق تفكيرها . وعامل وجود دين قديم مستقر وفى بمطالب أهله ولم يتعرض لتقلبات داخلية حادة ولم يتقبل تأثيرات خارجية صريحة إلا فى حدود ضيقة للغاية . وعامل استقرار نظم الحكم القديمة التى كانت لها ميزاتها ولها مساوئها ولكنها استطاعت أن تقنع أهلها باحترام أوضاع قدسية ارتضاها الأرباب للمجتمع وأمروا بالاستمرار عليها . وأخيراً عامل البيئة الطبيعية التى كانت ولا تزال رتيبة المظاهر واضحة المعالم ليس فيها من مظاهر التقلب الحادة ما يطبع أهلها بطابع التقلب والتمرد أو يدفعهم إلى تغيير العادات ووسائل الحياة فى يسر وسهولة .

فبوحى البيئة إذن ومظاهرها الطبيعية والاجتماعية وبوحى مطالب أهلها ، تشكل جانب غير قليل من طرائق التربية المصرية القديمة وغاياتها إزاء أوضاع الأسرة والجماعة وإزاء أخلاقيات الفرد وعلاقاته بمن يتعامل معهم وإزاء ما كان يصبو إليه من مستقبل يزكو فى مجتمعه ذى الأصول البعيدة والتقاليد الراسخة.

ملاحق البحث

- مختارات من النصوص الهيروغليفية .
- اللوحات .
- ثبت بالمصادر والمراجع .
- فهرس المفردات .
- فهرس الموضوعات :

صفحة	حاشية	
٦	١	
	٦	
	٧	
٧	١	
	٤	
١١	٢	
١٢	١	
	٢	
	٤	
	٥	(L I)
	٧	

صفحة	حاشية	
١٦	٥	sic
١٨	١	?
١٩	١	. . . (sic)
	٤	
٢٣	١	. . . (for ?)
	٢	. . . (?) (?)

من التعبيرات عن مراحل الطفولة والصبا فى الدولة القديمة :

٥ . . ., etc.

وزادت عليها فى الدولة الوسطى :

(?) . . ., etc.

وجدت عليها فى الدولة الحديثة :

(?)

وأضيفت عليها فى العصور المتأخرة :

. . . , etc. . .

صفحة	حاشية	
٢٤	٦	
٢٥	٧	
	٨	
	٩	
٢٦	١	
	٢	
	٣	
	٦	
	٧	
	٨	
	١٠	
	١١	
٢٨	١	
٢٩	١٤	
٣٠	٥	

صفحة	حاشية	
٣٢	٢	
٣٣	١	
		(?) (?)
		(?)
	٨	
	٩	
		Compare : Isis
	١٠	
	١١	
٣٤	٧	
٣٦	٣	(?)
	٤	
	٥	(sic ?)
	٦	
٣٧	١	(?) (?)
	٢	
٣٨	٣	

صفحة	حاشية	
٤٥	٤	
٦٣	٢	
٦٤	٢-٣	
٦٥	٩	
	١١	
٦٨	٥	
٧٠	٦	(var.)
٧٢	٨	
٧٣	٥	
	٦	
٧٥	١	
	٢	
	٣	
	٤	

صفحة	حاشية	
٧٥	٥	(sic) …
٧٦	٦	
	٧	
	٩	
٧٧	١	… …
٧٩	٥	
٨٠	٦	
٨١	١٠	

صفحة | حاشية

٨١ ١

٣

٤

٥ … (and variant)

٨٢ ١

٢ …

٥ …

٧ …

٨٣ ١ …

٩ …

صفحة	حاشية	
٨٤	٤	… (var. :) (var. :)
٨٥	١	… (sic.)

صفحة	حاشية	
٨٥	٥	
	٦	
٨٦	٢	
	٤	...
	٦	...
٨٧	٤	...
	٥	
٨٨	١	
	٢	(var.) (?) ...... (var.) ..., and variants.

صفحة	حاشية	
٨٨	٣	
٩٠	٢	(and variants)
٩١	١	
	٢	
	٣	
	٧	
	٨	
	١٠	(var.)
٩٢	٨	
	١٠	
٩٣	٢	
	٣	(and variants)

صفحة	حاشية	
٩٣	٥	
	٦	
	٧	
	٩	
	١٠	
٩٥	١	
	٢	
	٣	
	٦	
٩٦	٥	

صفحة	حاشية	
	٧	
	١٠	
٩٧	٣	
		(var.)
٩٨	٤	
١٠٢	٨	
	٩	
	١٠	
١٠٣	٣	(var.)

and See Wb. I, 23 ꜣṯ (Seit Pyr.)

ꜣtjt (Seit M.R.)

ꜣṯw (Seit M.R.)

But see also : ꜣṯw Giza V, 182

ꜣṯi Giza IX, 159

ꜣṯty Urk. I, 105, 17

صفحة	حاشية	
١٠٦	٨	— — (fem.)
١٠٧	٢	
	٣	
	٤	[?]
	٨	(and variants).
١٠٨	٢	
	٤	
	٥	(?)
١١٠	١	(and var.)
١١١	٧	(?) (?) (?) (var.) (?) . . .
	٨	. . . . . (?) (=)
١١٢	١	. . . . . .
١١٩	٤	
	٥	- - -
١٢٠	٢	(var.)
	٣	
	٤	[ ] . . .

صفحة	حاشية	
١٣٠	٦	— (and variants).
١٣١	٣	
١٣٢	١	
	٢	(and variants)
		and see
	٣	. . . . . .
١٣٤	٣	
	٤	
	٦	
١٣٥	٥	(?) sic (=) . . .
	٨	
١٣٧	٤	

صفحة	حاشية
١٣٩	٤
١٤٠	١
١٤٣	١
١٤٤	٣
١٤٨	٢
١٥٠	١
	٢
	٣
	٤
	٥

صفحة	حاشية	
١٥١	١	
	٣	
		(?)
١٥٣	٦	bld' — ⲃⲉⲗϫⲉ
١٥٦	٤	اقظر النص فى حاشية ٥ ص ٧٥
	٦	(?) (?) — وانظر ص ٢٨٩ حاشية ١
١٥٧	٥	— — — — — — — (see also)
١٦٠	١	
	٥	
	٨	
١٦١	١	?
	٣	
١٦٢	٢	
١٦٣	٢	... sic. (var.) sic (and variants).

صفحة	حاشية	
١٦٤	١	(var.) (var.) (and variants). (*compare:* Pap. Sall. II, 10, 2-3 and O.D.M. 1039)
	٢	(and variants). — — — — ʿt-sbꜣw (?) (Wb. IV, 85) — — ⲁⲛⲍⲏⲃⲉ – ⲁⲛⲍⲏⲃ
١٦٦	٤	.....
	٥	(?)
١٦٧	٣	(?) ...
	٥	انظر النص ص ٢٠٦ حاشية ٧
١٦٨	١	... – – ..., etc....
١٧٠	٢	sic

صفحة	حاشية	
١٧١	٣	(emend) … (emend) …
١٧٢	١	….. (sic ?) …

صفحة	حاشية	
١٧٢	٣	
١٧٣	٢	انظر النص ص ١٧٧ حاشيتى ٢ – ٣
	٥–٧	...
١٧٤	١	
١٧٧	٢–٤	[III] (Ost. Petrie) (see Ost. Turin 9743) ..... (and variants) (Ost. Turin 9743, 4 and variants)
١٨١	٤	
	٥	
١٨٢	٧	

صفحة	حاشية	
١٨٢	٨	
١٨٣	٣	… (sic ?)
١٨٦	١	(?) (and variants).
١٨٨	٤	
١٨٩	٢	…
	٣	(?) (?)
	٤	
١٩٠	٢	…
١٩٣	٢	(?)
	٣	
١٩٤	٢	(and variants).
١٩٥	٣	
	٨	
١٩٦	١	
	٣	…
١٩٧	٢	(and variants).
١٩٨	٢	
	٤	
	٦	

صفحة	حاشية	
١٩٩	٥	
	٦	
٢٠٠	٤	
	٦	...
	٧	?
٢٠١	٤-٢	
	٢	
	١٠-٦	? (......)
٢٠٢	١	(and variants).
	٢	(and variants).
	٣	? (and variants).
	٤	
	٥	= ⲕⲁⲡ-ⲕⲱⲡ-ϫⲉⲡ وقارن ص ٢٠٣ حاشية ٥
٢٠٣	٥	
٢٠٥	٣	
٢٠٦	٧	
٢٠٧	١	(?) (?) ... [*]
	٢	

صفحة	حاشية	
٢٠٧	٣	
	٤	
	٥	انظر ص ١٩٨ حاشية ٢
٢١٠	٢	
	٣	
٢١١	١	
٢١٢	١	
	٢	
	٦	
	٧	
٢١٤	٢	
	٥	
	٦	
٢١٩	١	وانظر أيضا ص ٢٢٢ حاشية ١
٢٢٠	٣-٧	

صفحة	حاشية	
٢٢٢	١	– – –
	٢	
٢٢٣	١	
	٤	
	٥	
٢٢٤	٥	
	٦	
	٨	..... – [* (?)] *and see*
٢٢٥	١	? .
	٨	
٢٢٦	٢	...
	٣	
	٤	.....
	٥	sic
٢٣٢	١	* (var. *) ...
٢٣٩	١	–
	٢–٤	– –

صفحة	حاشية	
٢٤٠	٢	(and variants).
٢٤٥	٣	
	٥	
٢٤٦	٤	(?) (?)
٢٥٢	٢	(?) ... (?) , etc.,... ... , etc.,...
٢٥٤	١	For example : ⲁⲯ ⲉⲯ ⲏⲯ ⲓⲯ ⲟⲯ ⲩⲯ ⲱⲯ , etc.,.. ⲃⲁ ⲃⲉ ⲃⲏ ⲃⲓ ⲃⲟ ⲃⲩ ⲃⲱ , etc.,..
	+١	
	٢	
	٣	

صفحة	حاشية	
٢٥٥	٤	
	٥	
	٦	
	٧	
	٨	
	٩	
	١٠	sic
	١١	
	١٢	
	١٣	
	١٤	
	١٦	→
	١٧	→
	١٨	→
	١٩	→
		→

صفحة	حاشية	
٢٥٦	١	… (var.)
٢٥٧	٢	, etc.… , etc.…
	٣	(??)
٢٥٨	٤	
	٥	[ ]
	٦	…
	٧	?
	٨	?
	٩	
٢٥٩	١	…
	٢	
	٣	
	٤	…
	٥	
	٦	
	٧	
	٩–١٢	— — — —

صفحة	حاشية	
٢٦٦	٣	(var.)
٢٦٧	١	. . .
	٢	. . .
٢٦٨	١	
	٢	. . . . . .
٢٦٩	٣	(var.) . . . وانظر بقية النص فى حاشية ٨ ص ٩٢
٢٧٠	١	. . . . . .
٢٧١	٢	. . .
٢٧٢	٢	. . .
٢٧٣	٣	(var.) (sic)
	٤	. . . (var.)
٢٧٧	٦	

صفحة	حاشية	
٢٧٧	٧	
	٨	
	٩	
٢٨٤	٧	بدلا عن Compare: Pap. Anast. V, 9, 4 with Pap. Koller, 3, 6
		بدلا عن Pap. Anast. V, 19, 12
		بدلا عن Pap. Anast. I, 1, 3 ; 25, 4 ; 25, 6
		بدلا عن Pap. Anast. V, 6, 2
٢٨٥	٣	
	٤	
	٥	(?) →
	٦	→
	٧	→
	٨	→
	٩	راجع النص فى ص ٢٩١ حاشية ٦
	+١٠	

صفحة	حاشية
٢٨٦	٤
٢٨٨	٣
٢٨٩	١
٢٩٠	٤
	٥
٢٩١	١
	٤
	٥

صفحة	حاشية	
٢٩١	٦–٧	
٢٩٣	١	
	٢	
	٤	
	٥	
	٦	sic
	١٠	(sic.)
٢٩٤	١	
	٣	(See also Pap. Lansing 5, 8)
	٤	
	٥	
	٦	
	٨	
٢٩٥	٤	

صفحة	حاشية	
٣٠٠	١	
٣٠٣	١	
٣٠٤	١	
٣٠٥	٦	
٣٠٦	٧	
	٨	sic
٣٠٧	٣	
٣٢٣	٦	تحذف Ost. Spiegelberg, 39 لقب للرسل ، وتضيف إلى ألقاب المرسل إليه لقب
٣٢٥	٢	
٣٢٨	٧	tr. … tr.
٣٣١		
	٤	→ ((?) var. = Wb. IV, 165, 11, 12)

صفحة	حاشية	
٣٣١	٥	→
		→ ...
٣٣٣	٧	...
	٨	... ...
٣٣٤	١	
	٢	... (?)
٣٣٩	٥	(var.)
٣٤٠	١	
	٢	
	٤	
	٥	
	٦	... sic sic
٣٤١	٣	(and variants) وراجع حواشى ٣-٥ ص ٣٤٢ أدناه
٣٤٢	١-٢	—
	٣-٥	— —
		— (?) ...
	٦	— —
	٧	— —
	٨	— — —
		—

صفحة	حاشية	
٣٤٢	٩	, ... etc.
	١٠	..., and variants.
	١١	..., and variants.
٣٤٣	١	... — ... See also, Wb. IV, 564 : Saugen, seit M. mit , auch mit
	٤	— — ..., etc.
٣٤٤	٢	
	٣	
	٤	
	٥	[ ] و راجع النص الآخر فى حاشية ٩ ص ٧٦
	٦	راجع النص فى صفحة ١٧٧
٣٤٥	١	— (?) — — — (?) , ..., etc.
	٢	—
	٣	
	٤	....

صفحة	حاشية	
٣٤٥	٥	..... (for)
	٨	
	٩	انظر النص فى حاشية ١٠ صفحة ٢٩٣
	١٠	
٣٤٦	٤	(sic) and compare : sic
	٦	..... (?)
	٨	..... sup.
٣٤٧	٥	
٣٤٨	١	
	٢	
	٣	..... (?) (for) .....

صفحة	حاشية	
٣٤٨	٥	[hieroglyphs] (?) [hieroglyphs]
٣٤٩	٢	. . . [hieroglyphs] (and variants) وقارن نصوص حاشية ٤ ص ٣٤٦.
٣٥٠	١	[hieroglyphs] (sic) [hieroglyphs] . . .
	٢	[hieroglyphs] . . .
	٣	[hieroglyphs] (var. [hieroglyphs]) [hieroglyphs] sup. [hieroglyphs] sup. [hieroglyphs]
٣٥٢	٢	[hieroglyphs]
	٣	[hieroglyphs]
	١٢	[hieroglyphs]
٣٥٣	٢	[hieroglyphs]
	٣	[hieroglyphs]
٣٥٤	٨	. . . [hieroglyphs]
٣٥٥	١	[hieroglyphs]
	٣	[hieroglyphs]

صفحة	حاشية	
٣٥٦	١٤	
٣٥٨	١	tr. tr. tr. ......
	٢	?
٣٥٩	العنوان	— — —
٣٦٠	١	— — — —
	٢	—
	٣	— —
	٤	— ..., etc.
		— ...
		See also :
	١٢	—
٣٦١	١–٢	— —

صفحة	حاشية	
٣٦١	٤	, . . . and variants.
	٥	
٣٦٢	٢	. . .
	١٠	. . .
		See also :
٣٦٣	٣	. . .
	٤	. . . sic . . .
٣٦٤	٤	(??) . . . . .
	٧	
	٨	(Nb-M3ʿt-Rʿ)
٣٦٥	٧	
	٩	. . .
٣٦٦	٥	. . .
٣٦٨	١	
	٣	See : [ ]

صفحة	حاشية	
٣٦٨	٥–٦	, etc.
	٧	
٣٦٩	٣	
	٤	



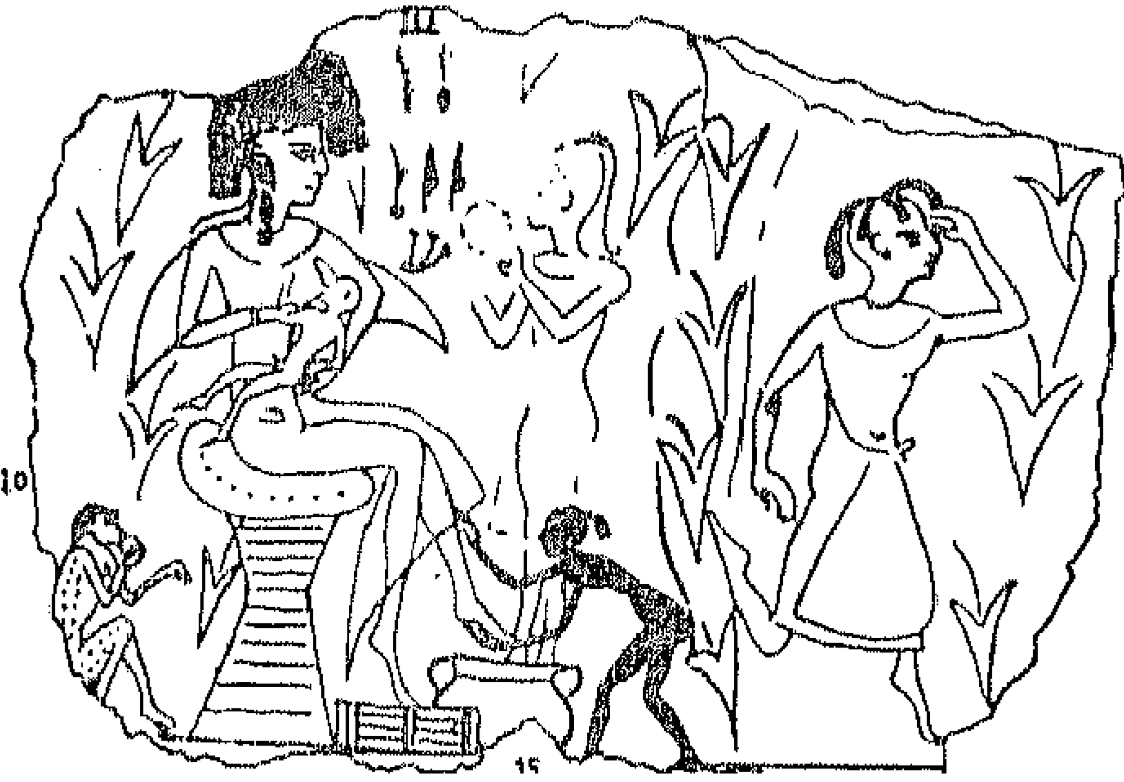
١ – من أوضاع الرضاعة بين أواسط المصريات



٢ – من أوضاع رضاعة الطفل حور ←
ذي الجديلة الرمزية

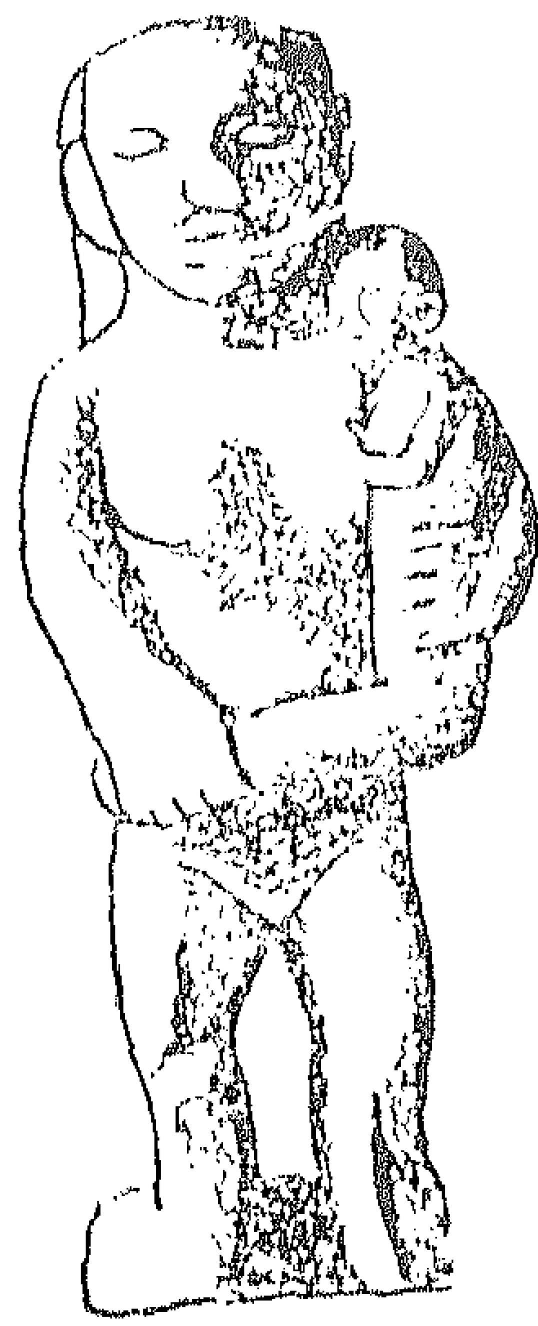


٣ – مصرية ترضع طفلها فى ظل شجيرات دارها ، وقد دثرته بدثار سميك يدل عليه طرفه العاوى الذى يكسو الرقبة والرأس ، وضمته إليها بشال عريض .

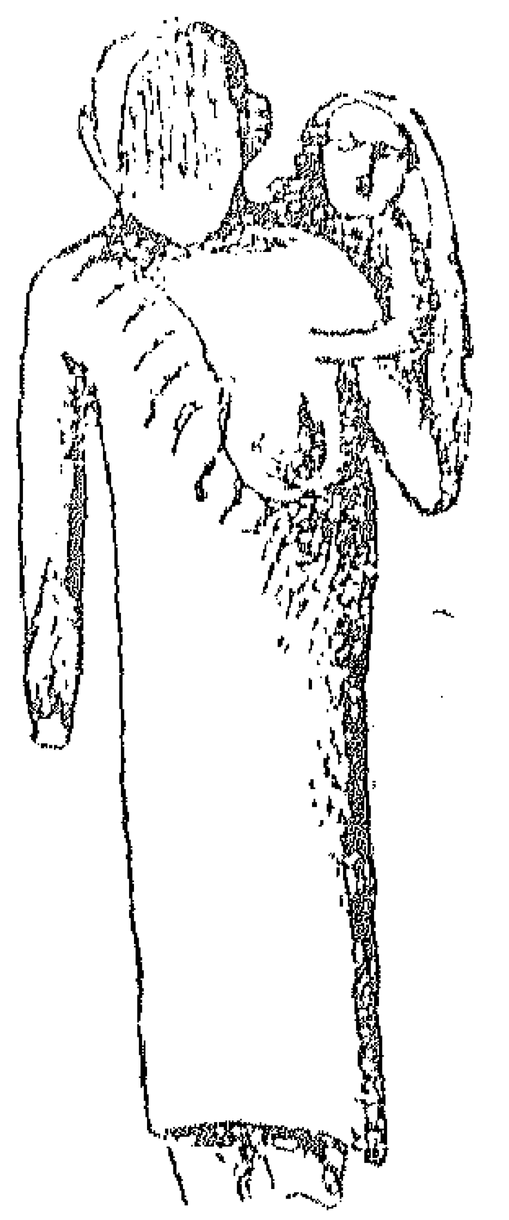


٤ – تصوير كروكى لمصرية ثرية ترضع طفلها ، ويقوم على خدمتها جارية تغسل لها ساقيها ، وأخرى تحمل مرآتها ، وخادم يسارع إلى تلبية رغباتها ، فضلا عن نسناس مدلل يقبع خلفها .









٥ — من أقدم نماذج حمل الأطفال في مصر القديمة

من النماذج القليلة لتصوير الأطفال المصريين بملابسهم (٦ — ٨ وانظر شكل ٤) :

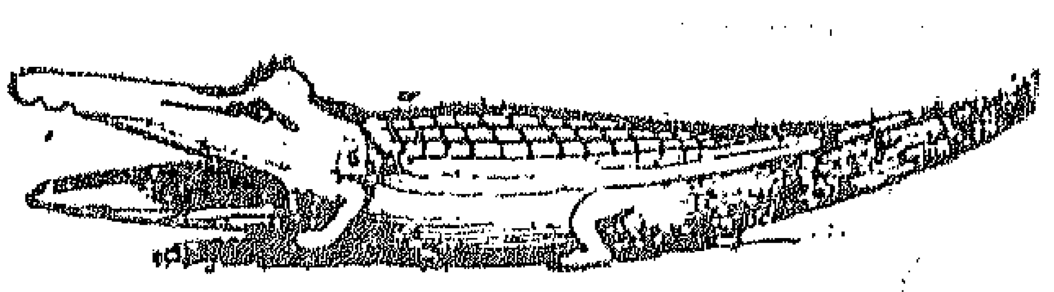
٧ — صغير على حجر أبيه بقميص وذؤابة خلفية ← يلهو بعصفوره .



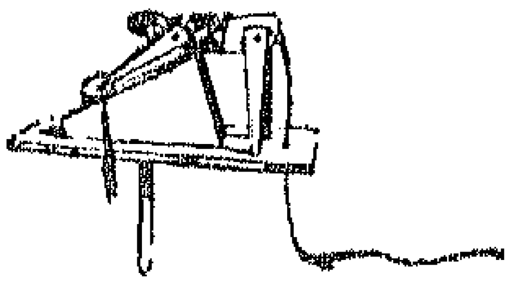


٦ — ابن مرروكا بملابسه وجديلته وطائره الأليف فوق محفة أمه .

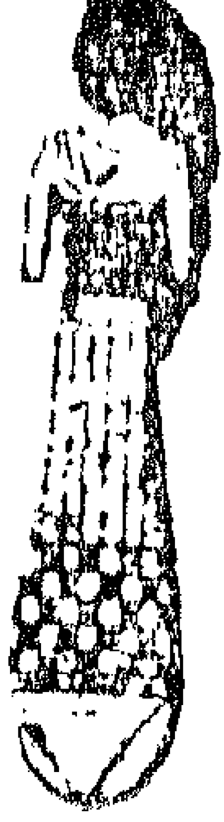
٨ — طفلة تحبو ، وأخوها (؟) يعتلي حجر أبيه (؟) بردائه .

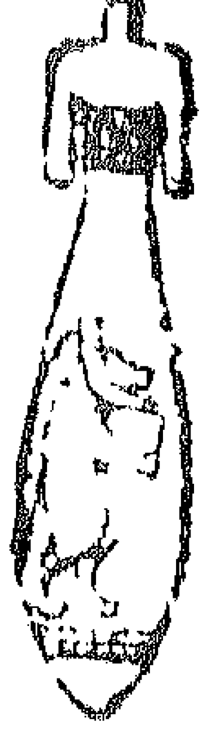


١٠ أ – تمساح خشبي بفم متحرك

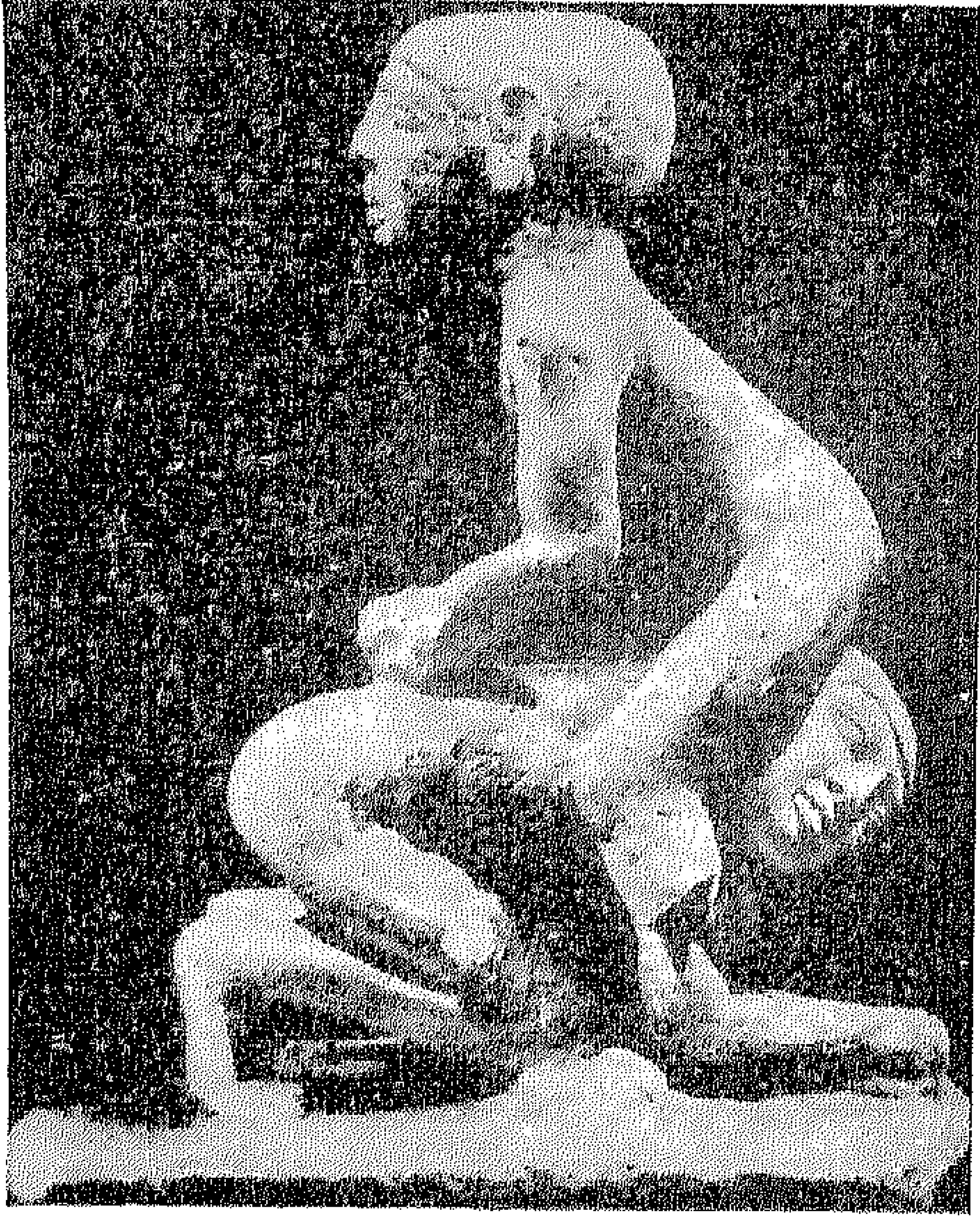


١٠ ب – لعبة متحركة تمثل رجلا يطحن الحب





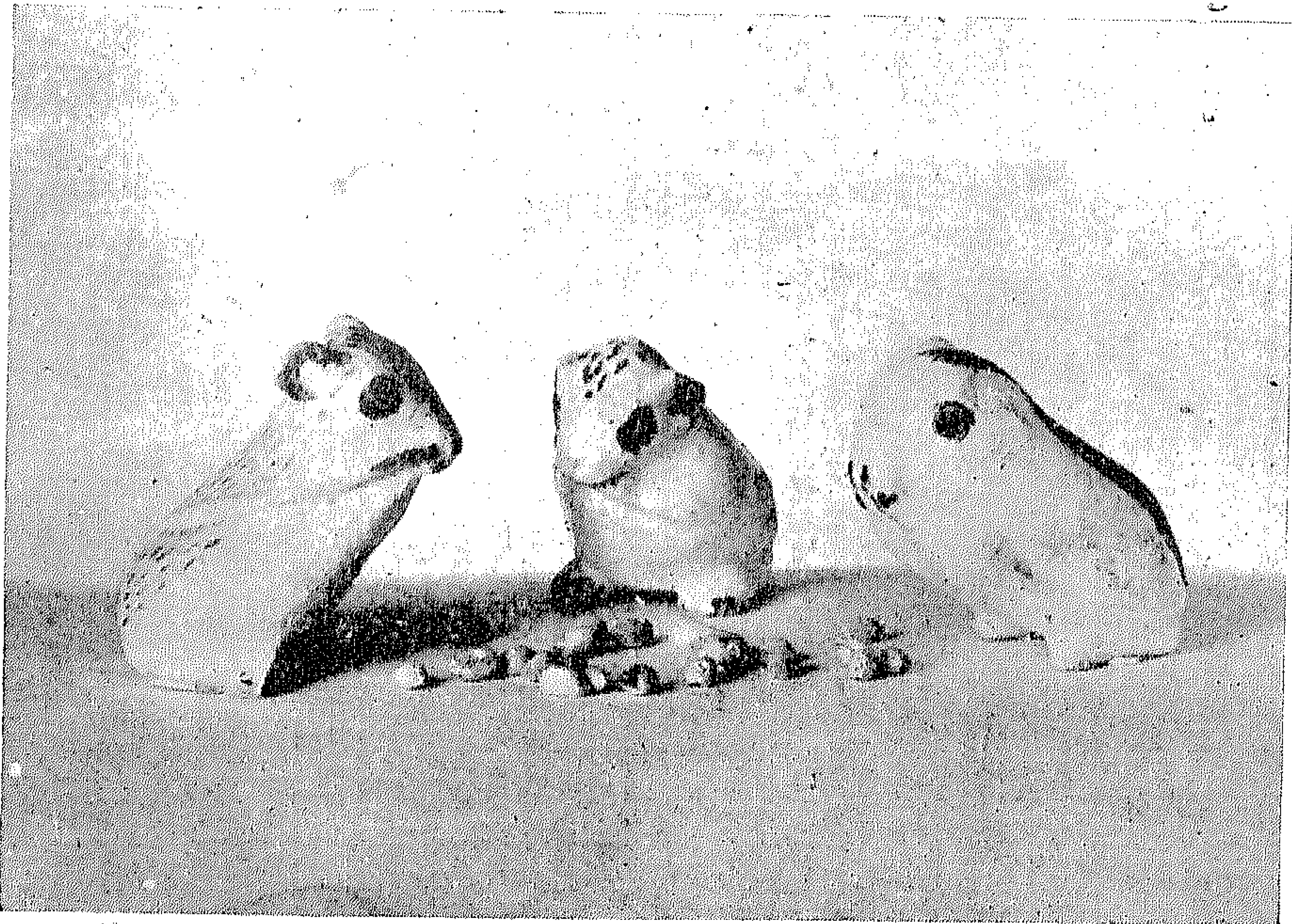
٩ – نموذجان لعرائس الأطفال



١٢ – من لهو الصغار

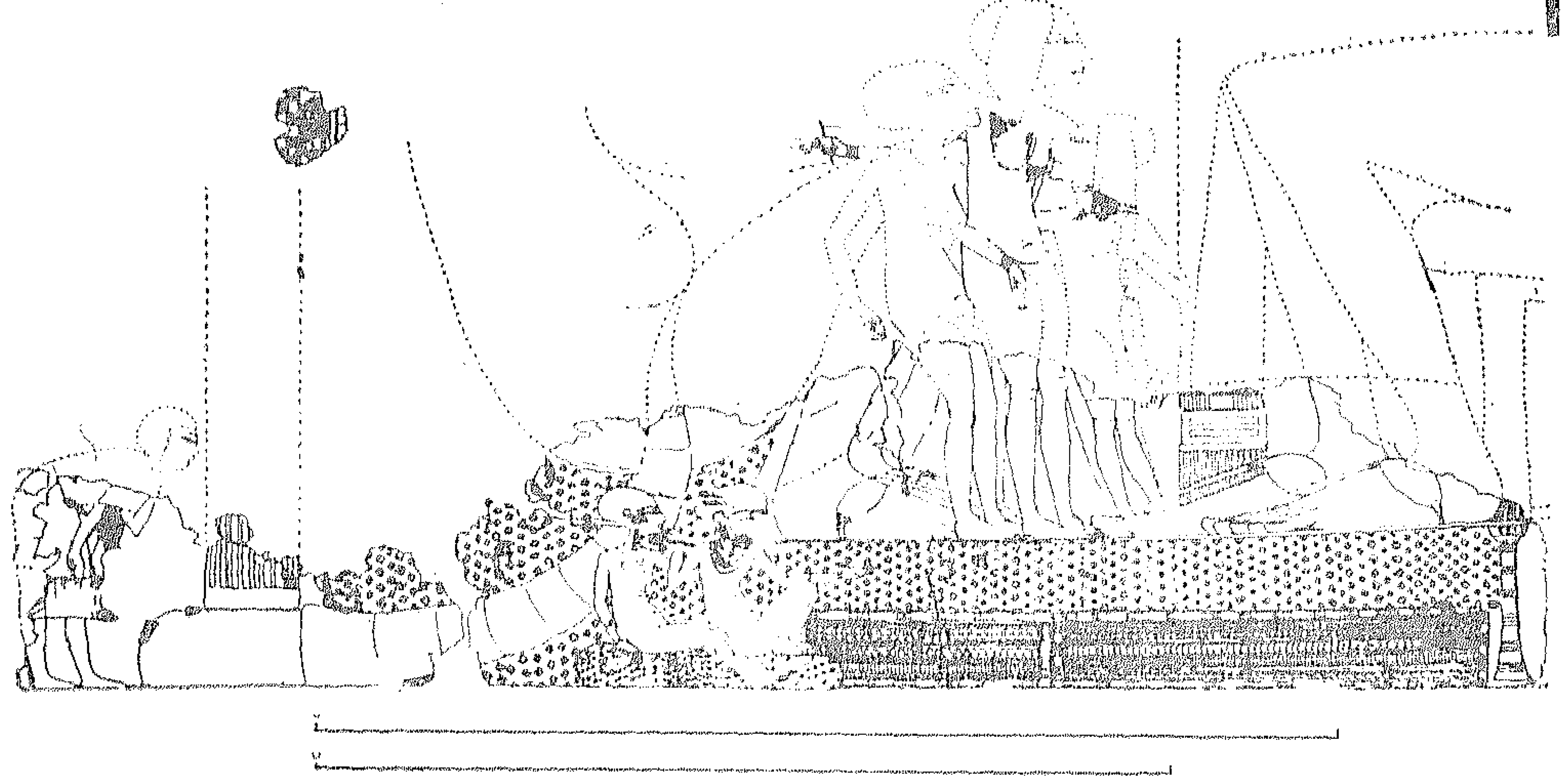


١١ – قزم من أربعة أقزام يؤلفون فرقة راقصة فى لعبة من لعب الأطفال .



١٣ – ثلاثة جرابيع من دمى الأطفال

١٤ ـ بنـات أخناتون يتعاطفن فى براءة وحنان .

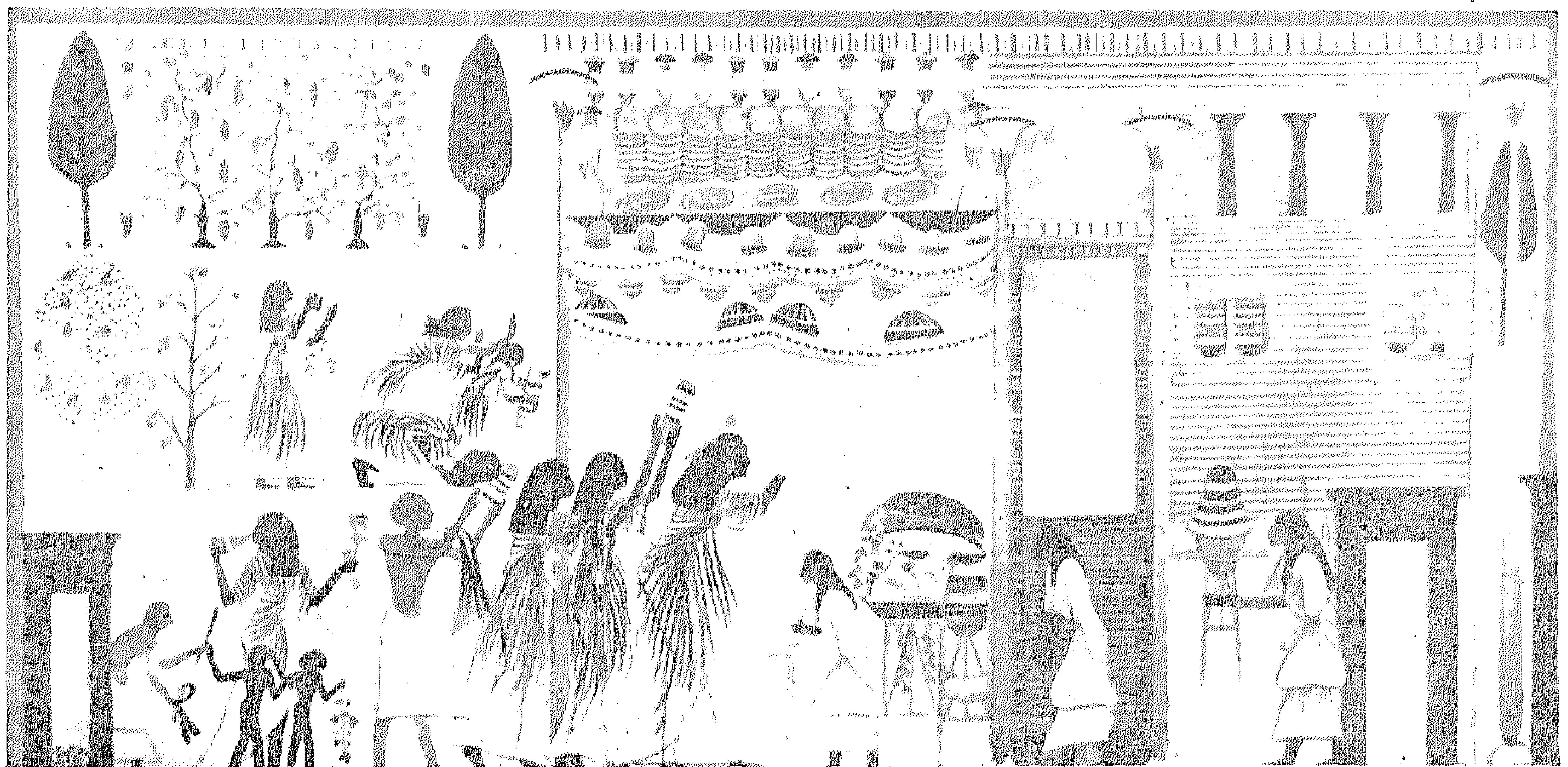




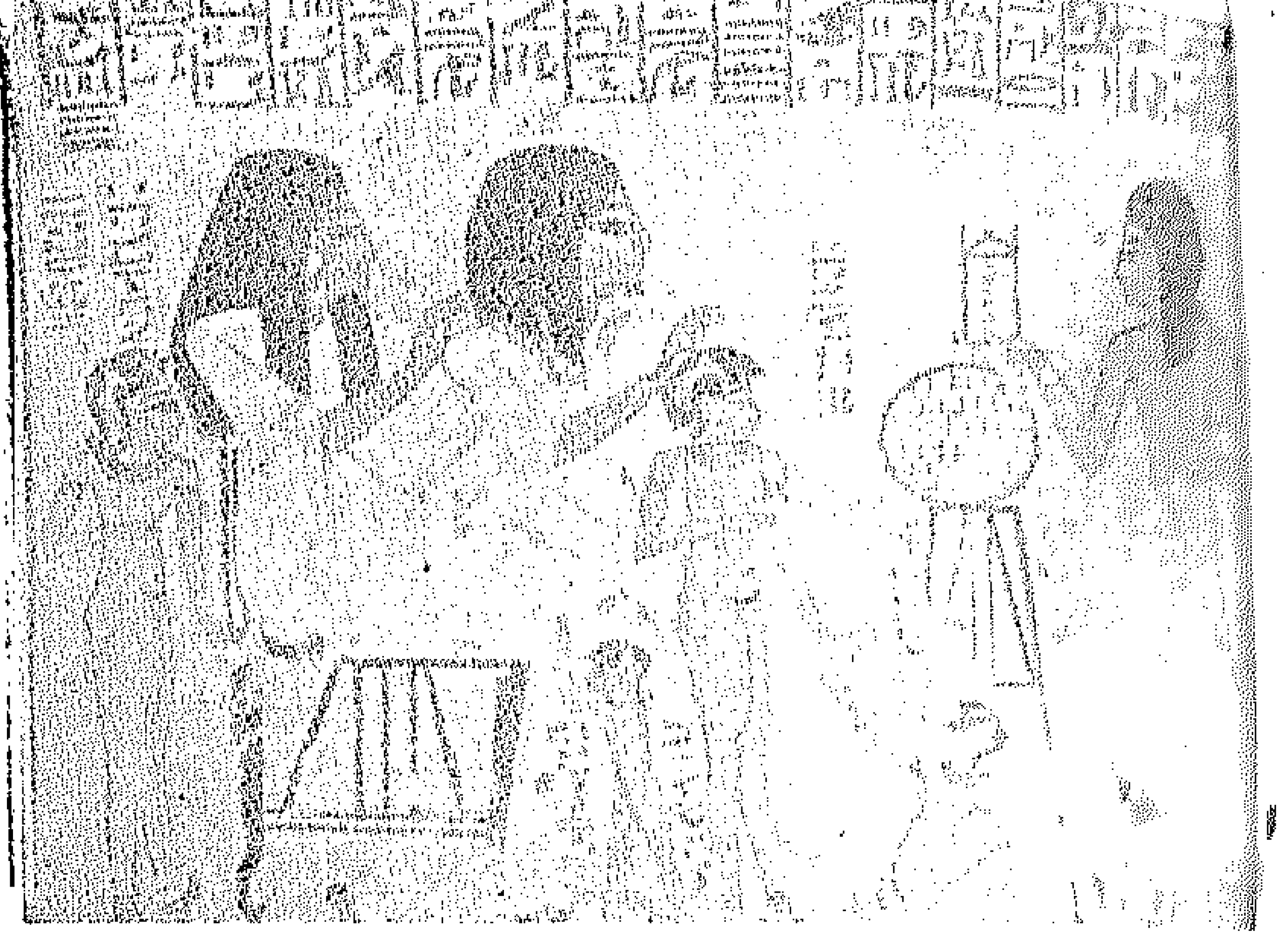
١٦ ـ جلسة أسرية سمحة بين أخناتون وزوجته وبناتهما المدللات



١٥ ـ من صور الترابط الأسرى



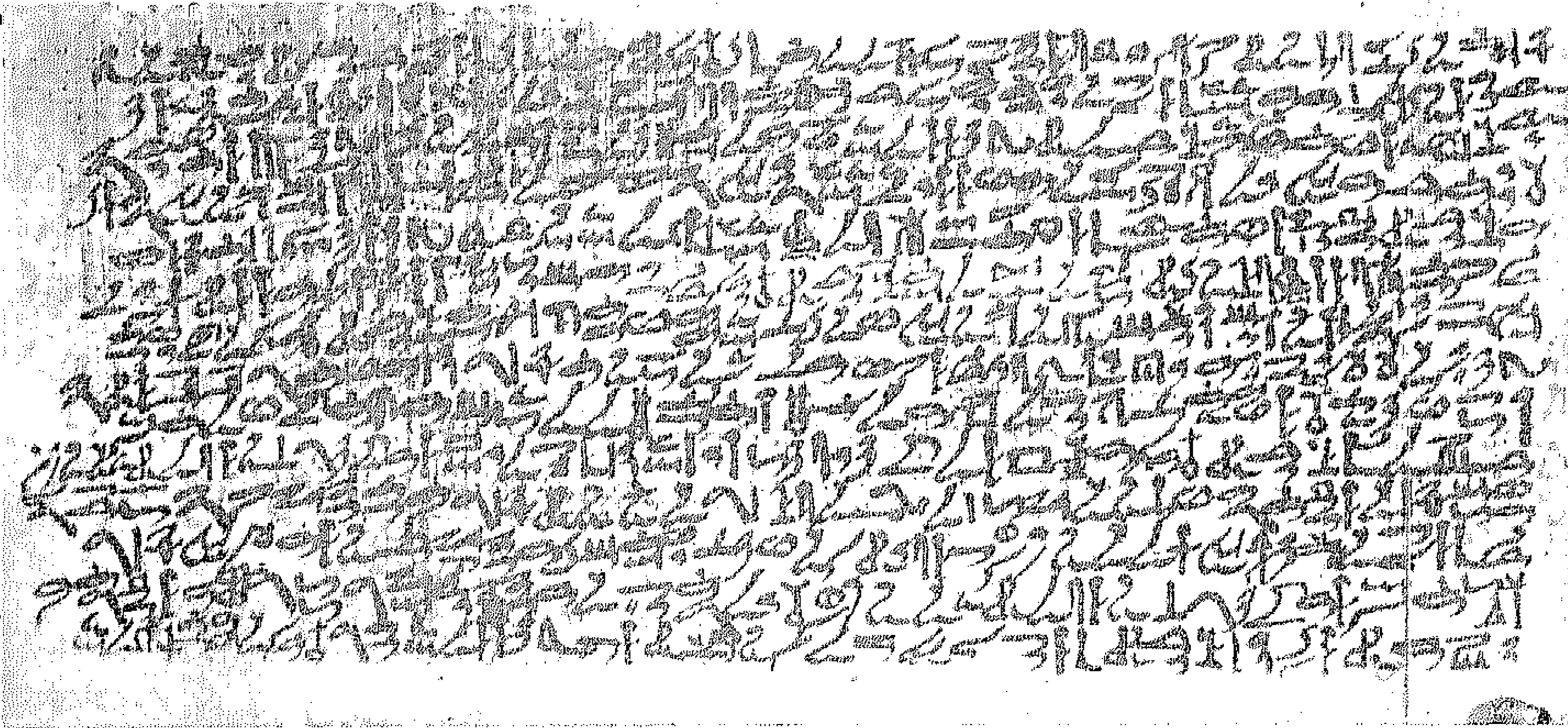
١٧ ـ مرح الصغار خلف الأمهات فى زيارة الصديقات



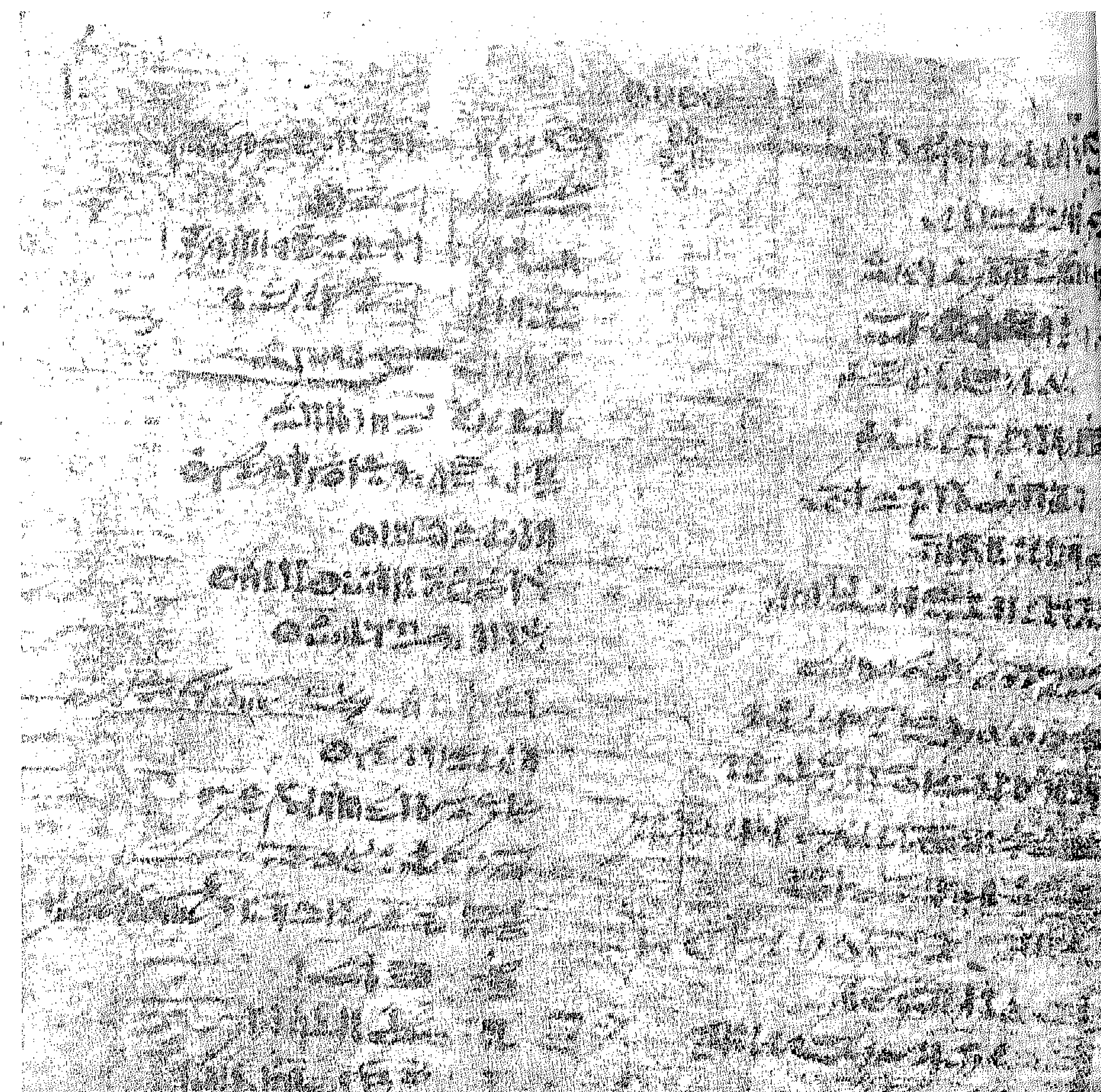
١٨ – وحدة متآلفة من زوج وزوجة وابن وأربعة أحفاد يلهون بأفراخ الطيور

←

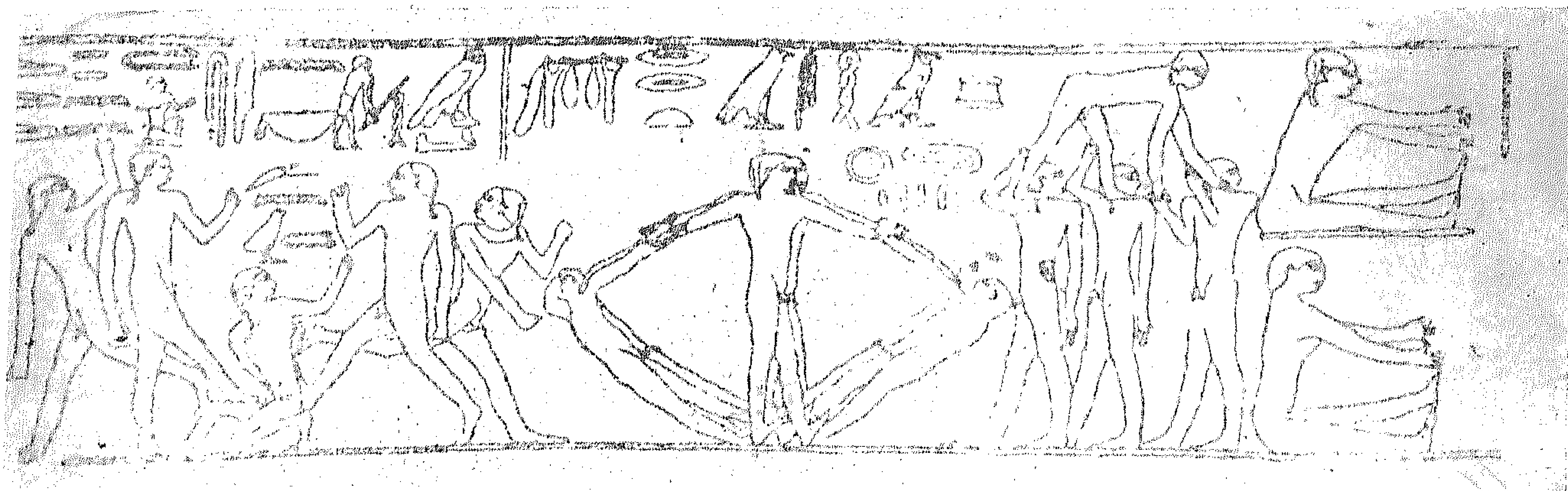
١٩ – سطور من تعاليم بتاح حوتب صورت في أولها مقابلة الحكيم لفرعونه واستئذانه إياه في إعداد ولده للحياة العامة ، وسجلت في آخرها طرفا من نصائحه إلى ولده في معاملة الخصوم الصحابيين أهل الجدل .



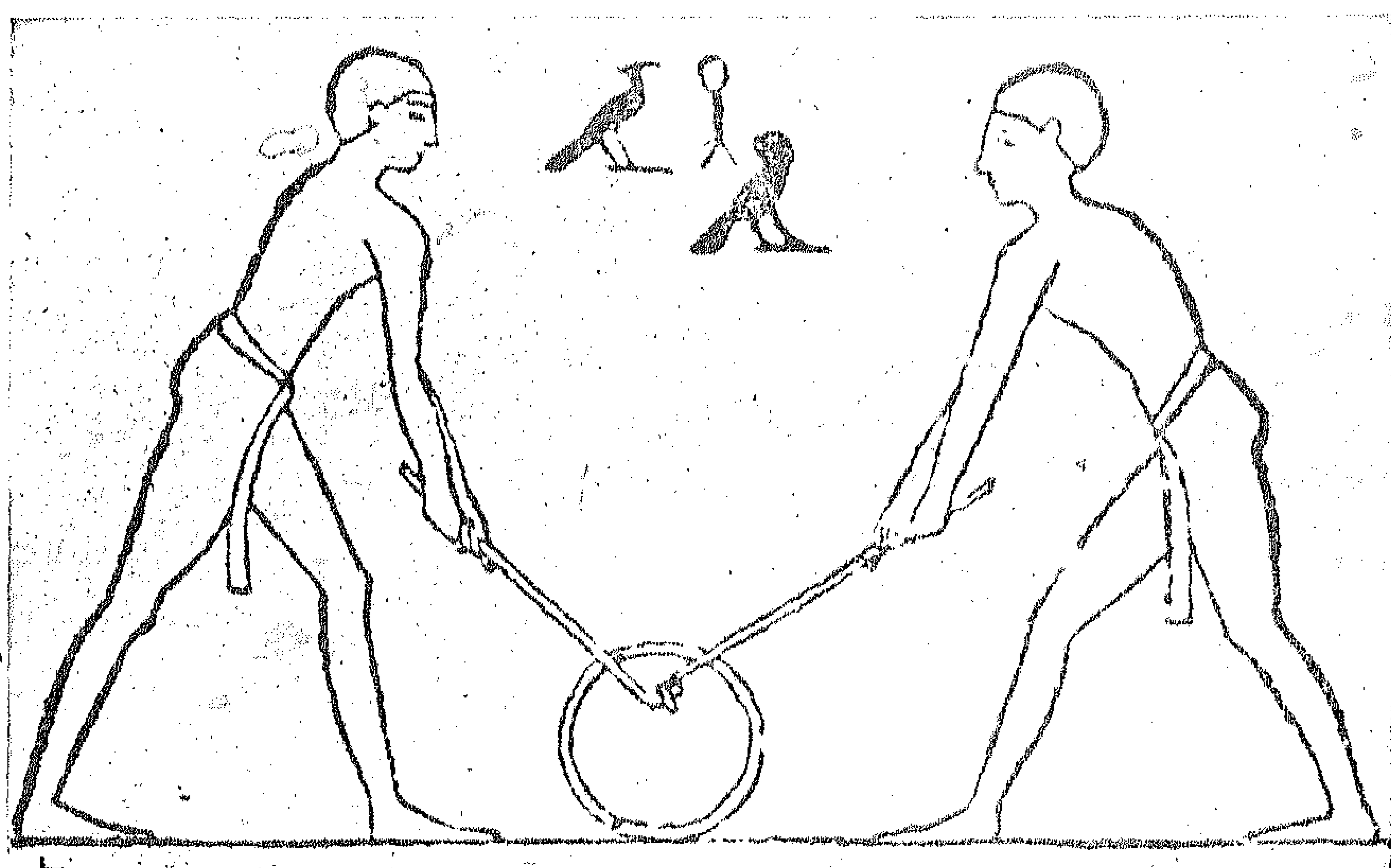
٢٠ – سطور من تعاليم كايرسو (؟) بدأت بنصيحة الحكيم لولده كايجمني بأن يؤثر العمل على الكلام ، وانتهت بأنه ترتب على طاعة أولاد الحكيم لتعاليمه أن بلغ أحدهم منصب الوزارة .



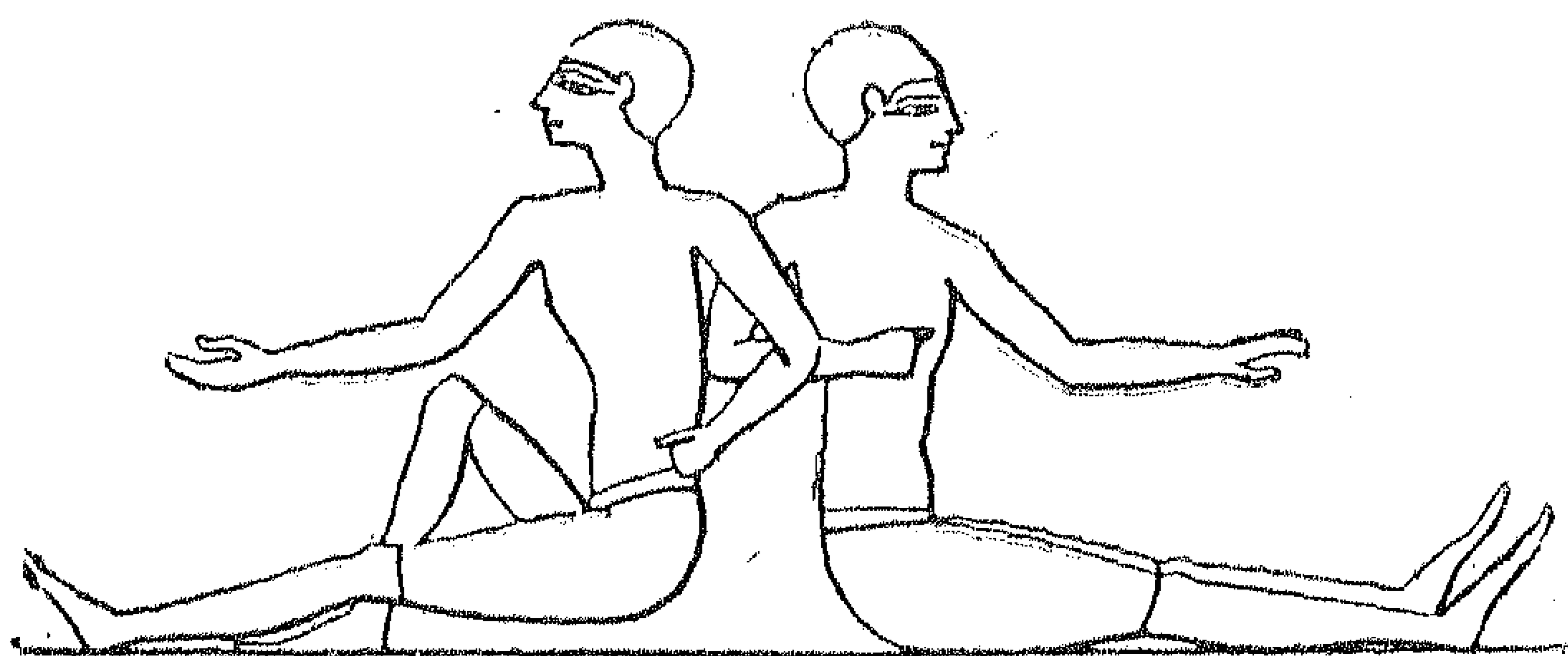
٢١ – مقدمة تعاليم أمنموبي ، يتحدث فيها صاحبها عن أغراضه منها ، وهي أن تكون هاديا لقارئها إلى السعادة ، ومرشداً إلى قواعد مخالطة الخلصاء والكبراء ، وتقاليد أهل البلاط ، ومعرفة الرد شفاهة وكتابة على كل من يحادثه ويراسله ، فضلا عن راحة ضميره وحسن سمعته بين الأقارب والأغراب .



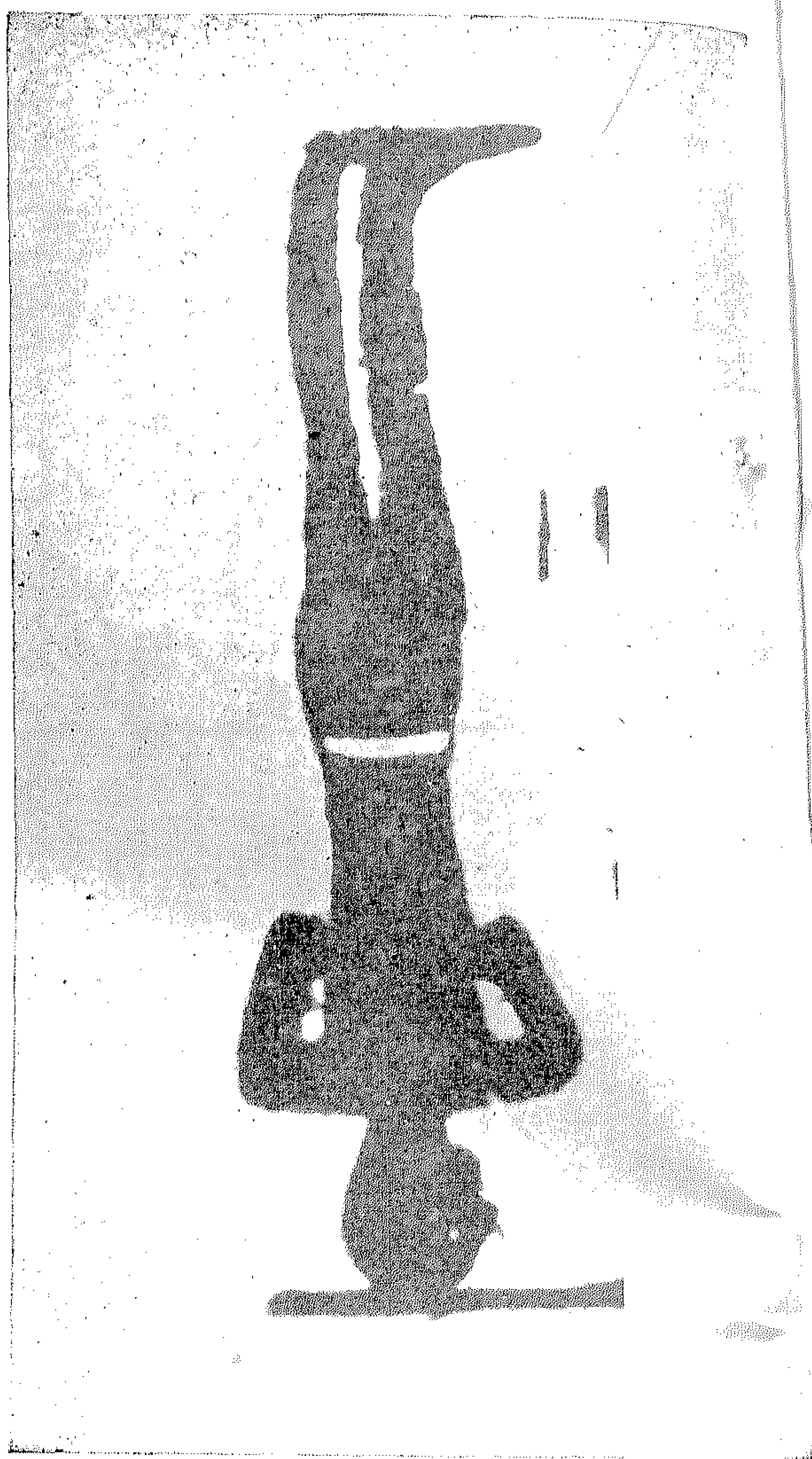
٢٢ ـ أربعة أنواع من ألعاب الصبية فى القرن الخامس والعشرين ق . م .



٢٣ ـ جذب الطوق



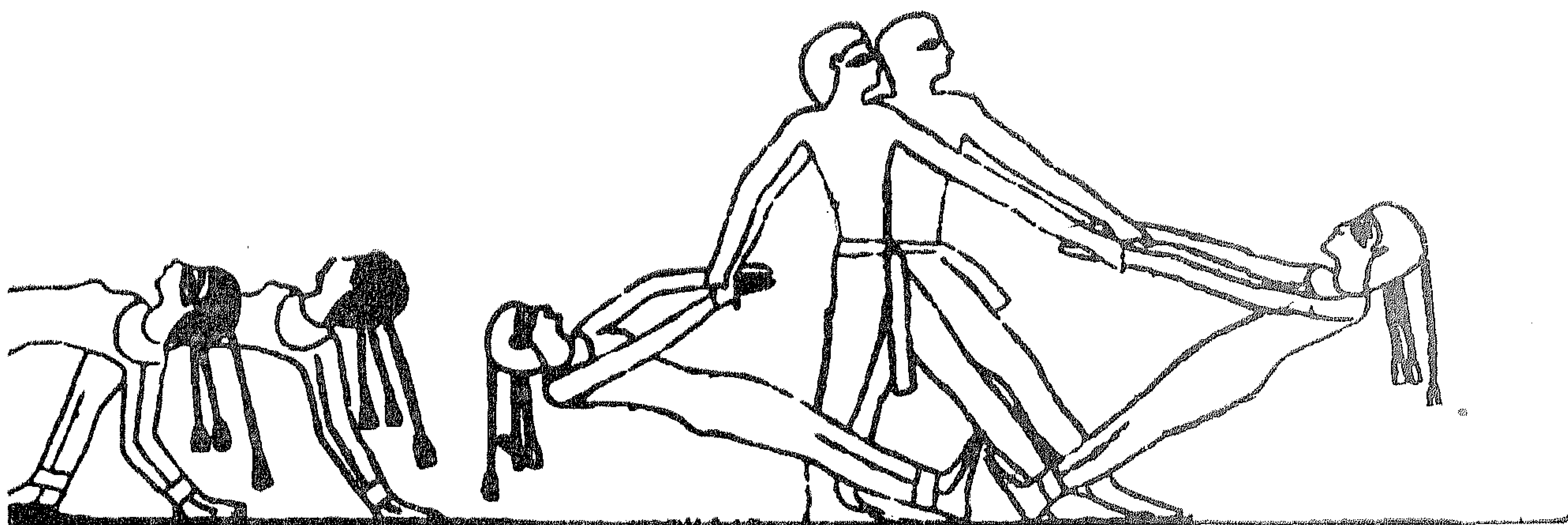
٢٤ ـ مباراة للوقوف دون ارتكاز على اليدين



٢٥ ـ انتصابة على الرأس (دون ارتكاز على اليدين)



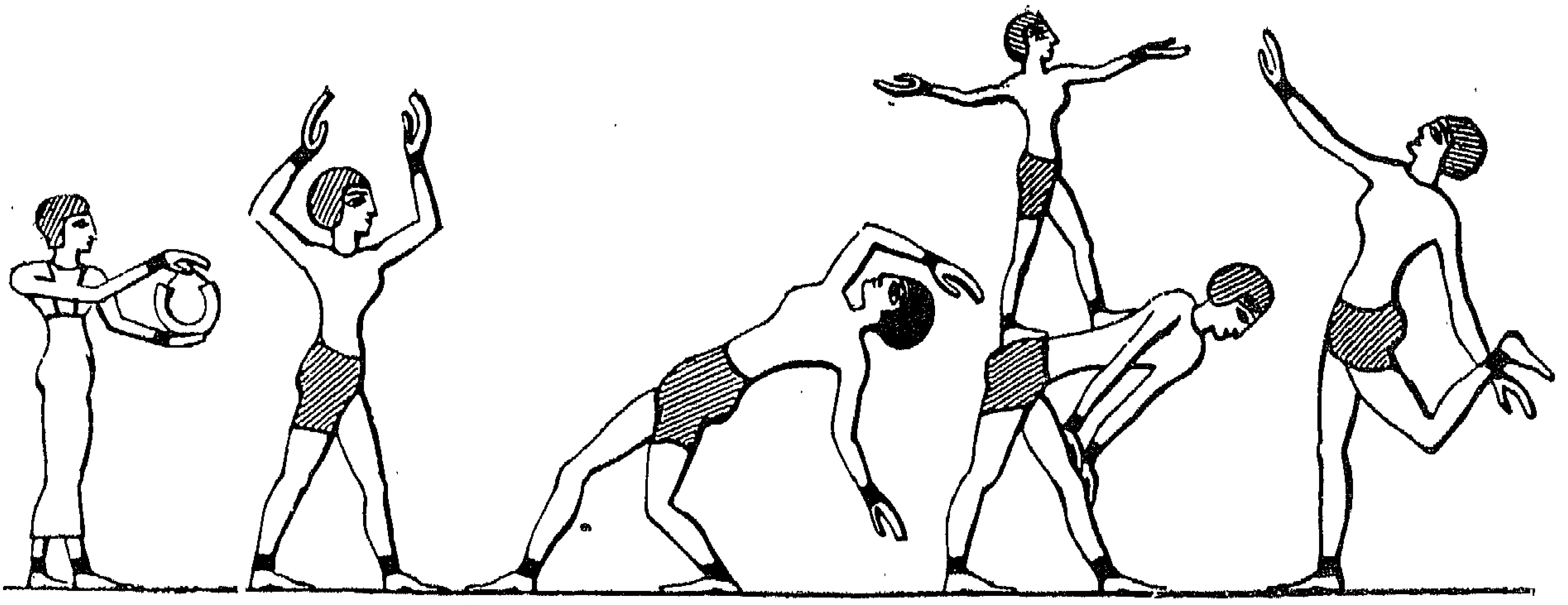
٢٦ ـ تمرين للف الجذع فى شدة



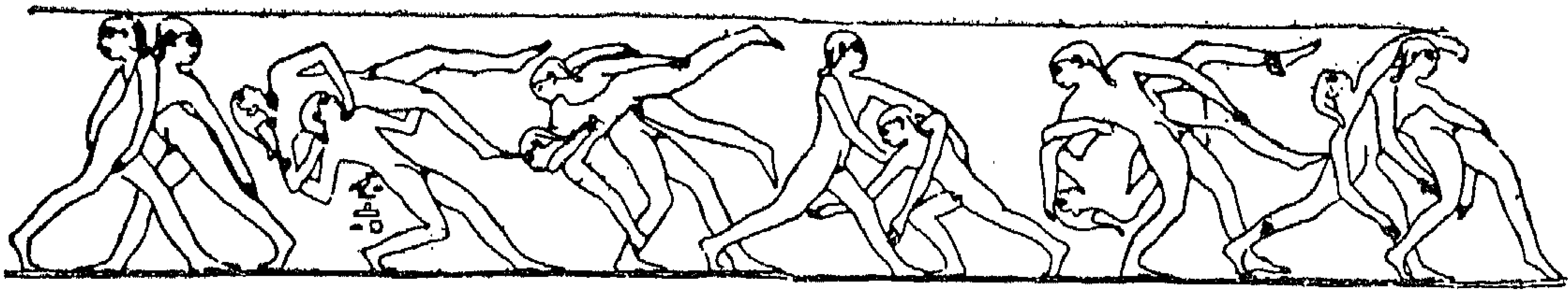
٢٧ ـ فتيان وفتيات فى حركات مشتركة



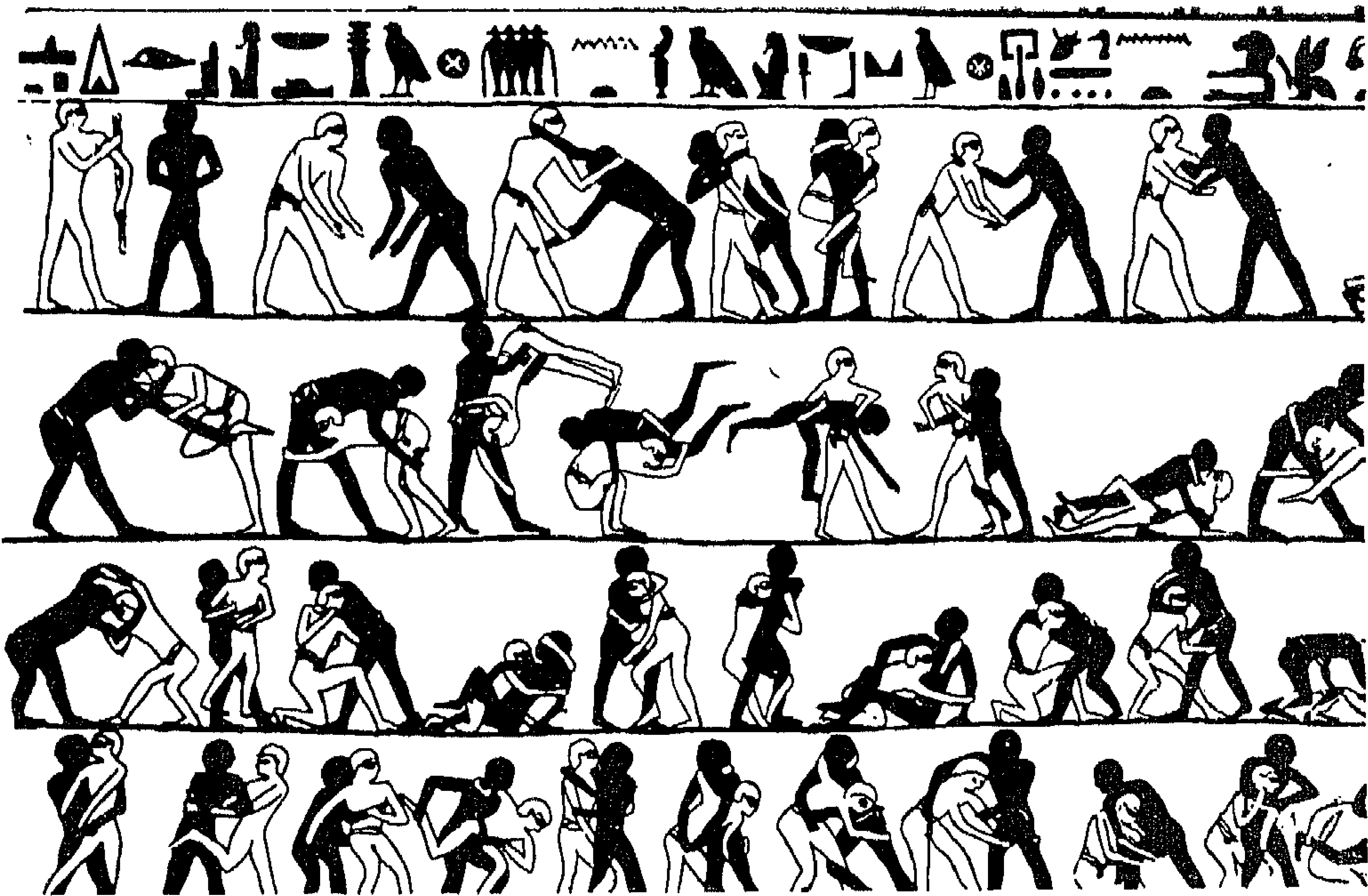
٢٨ ـ شريط متصل يصور أوضاع البنات فى لعب الكرة والرقص القوقيعى وألعاب الأكروبات



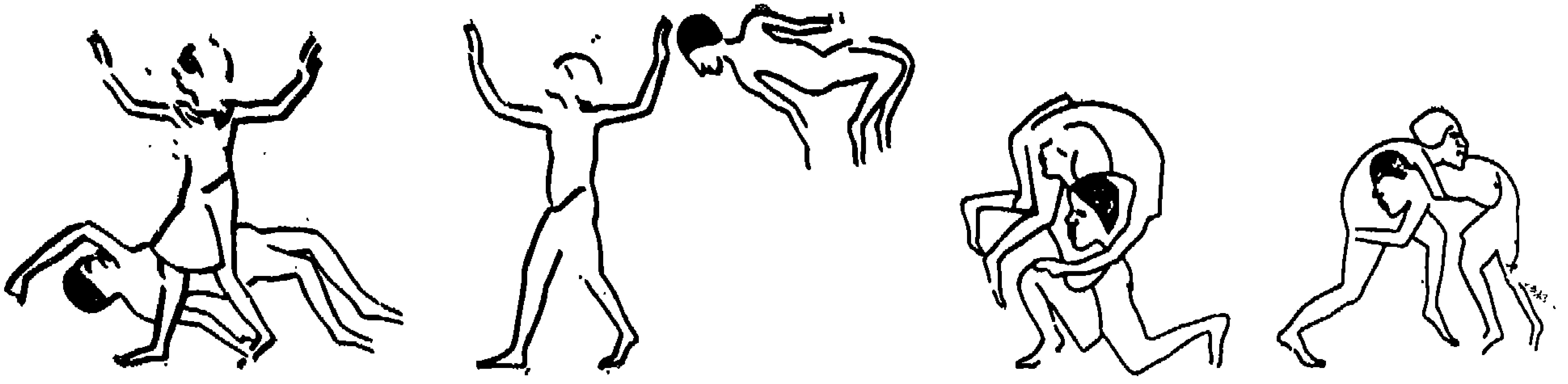
٢٩ — عرض رياضى مرح



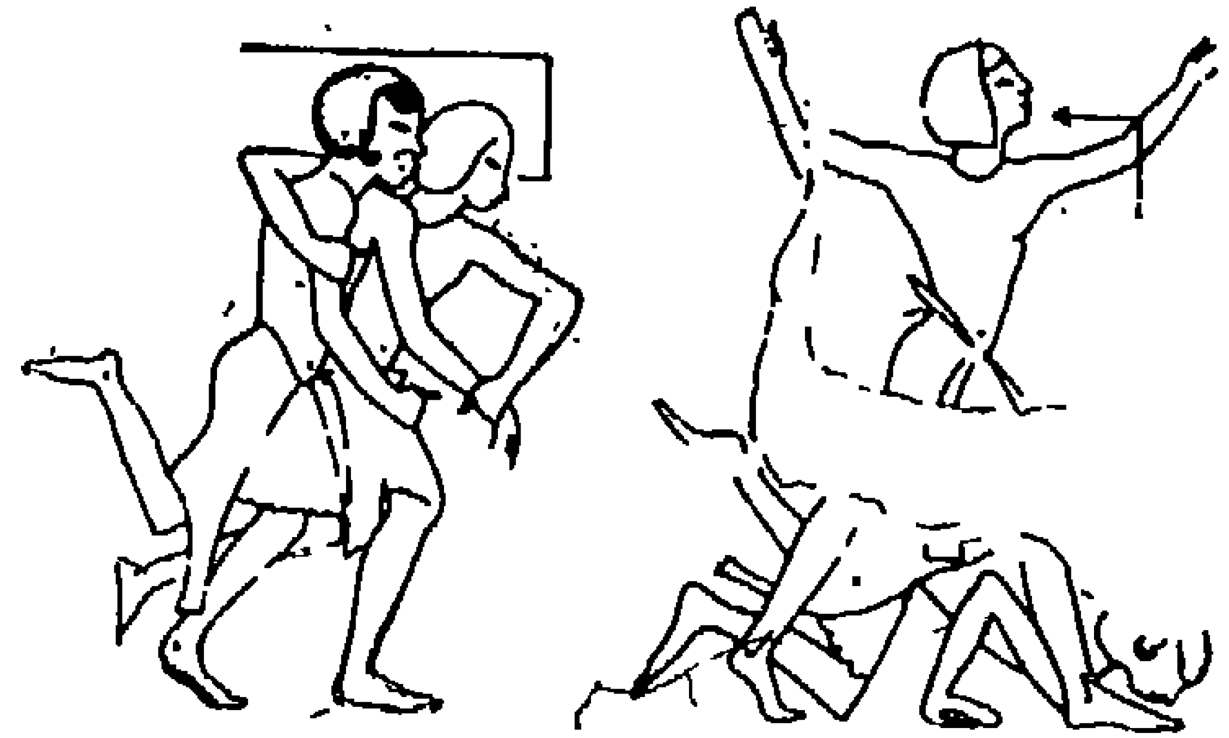
٣٠ — مصارعة الغلمان فى القرن الخامس والعشرين ق . م .



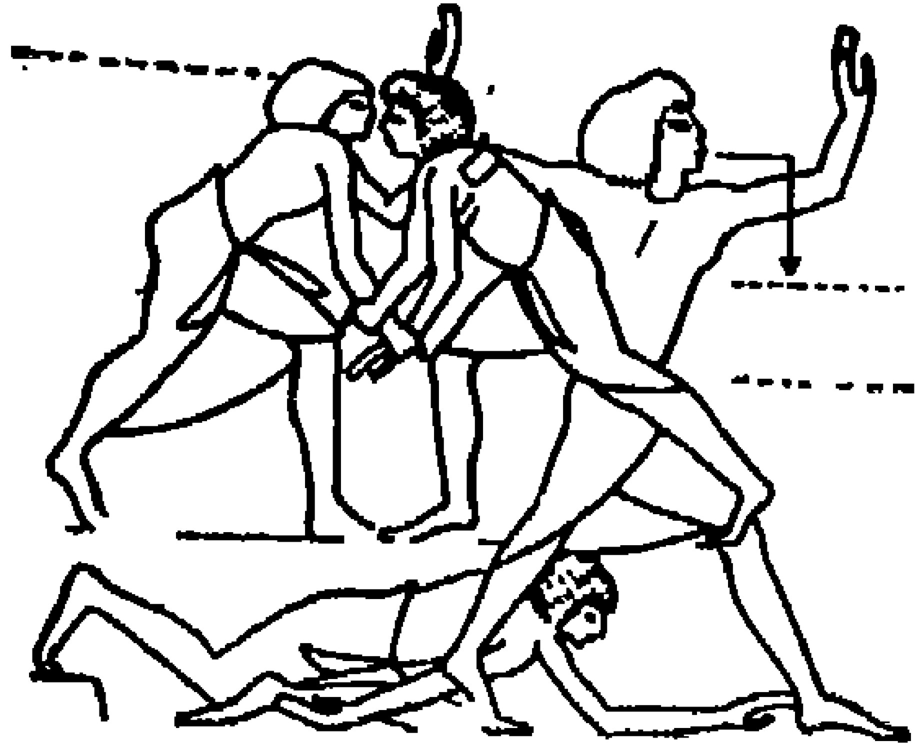
٣١ — أوضاع مختارة من مصارعة المحترفين فى الدولة الوسطى



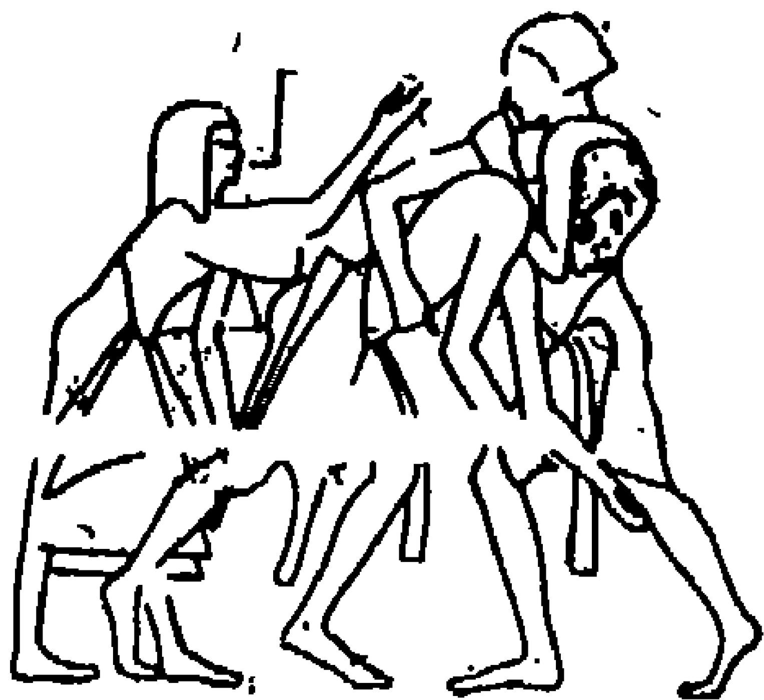
٣٢ – تصوير من الدولة الحديثة لجولتين من جولات المصارعة ، تمدد المغلوب فى أولهما على جنبه ، وتمدد فى الثانية على ظهره ، ورفع الظافر فى الحالتين ذراعيه رمزا على انتصاره



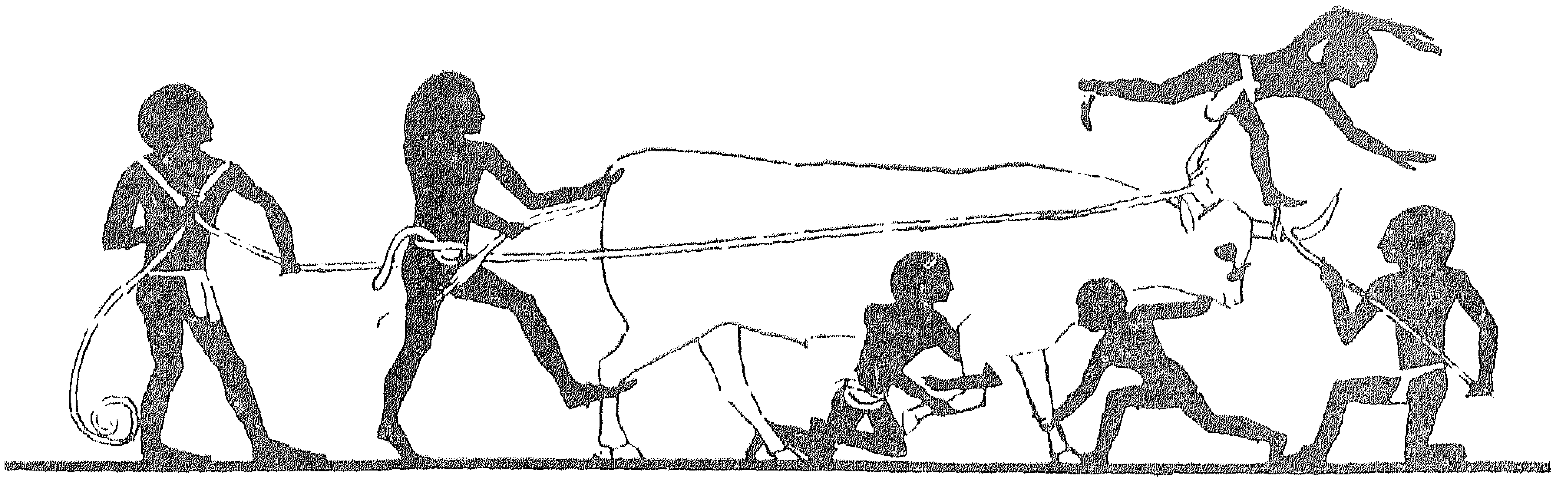
٣٣ – جولة ثالثة لامس المغلوب فيها الأرض بوجهه وركبتيه وكفه



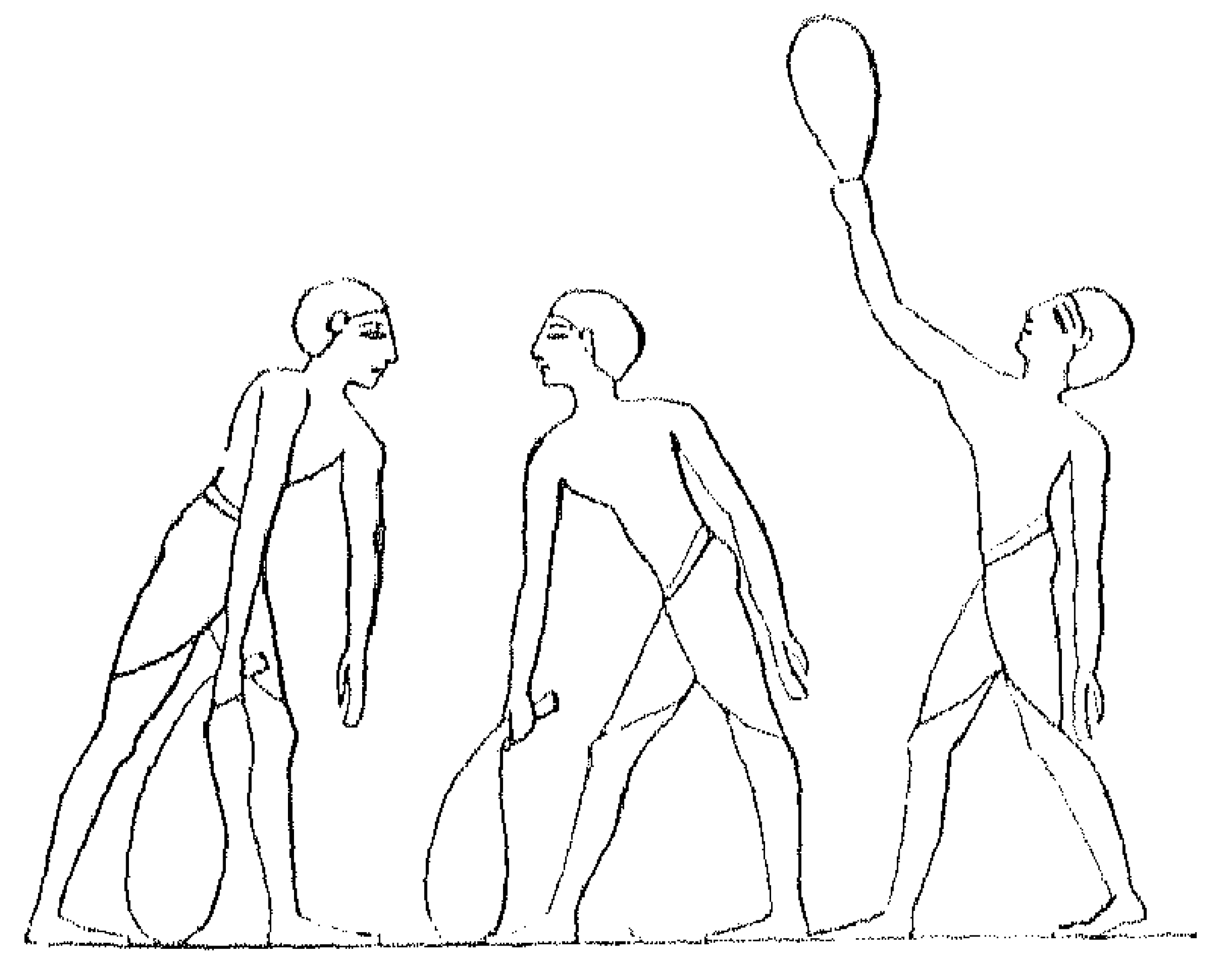
٣٤ – جولة رابعة لامس المغلوب فيها الأرض بركبتيه ويديه .



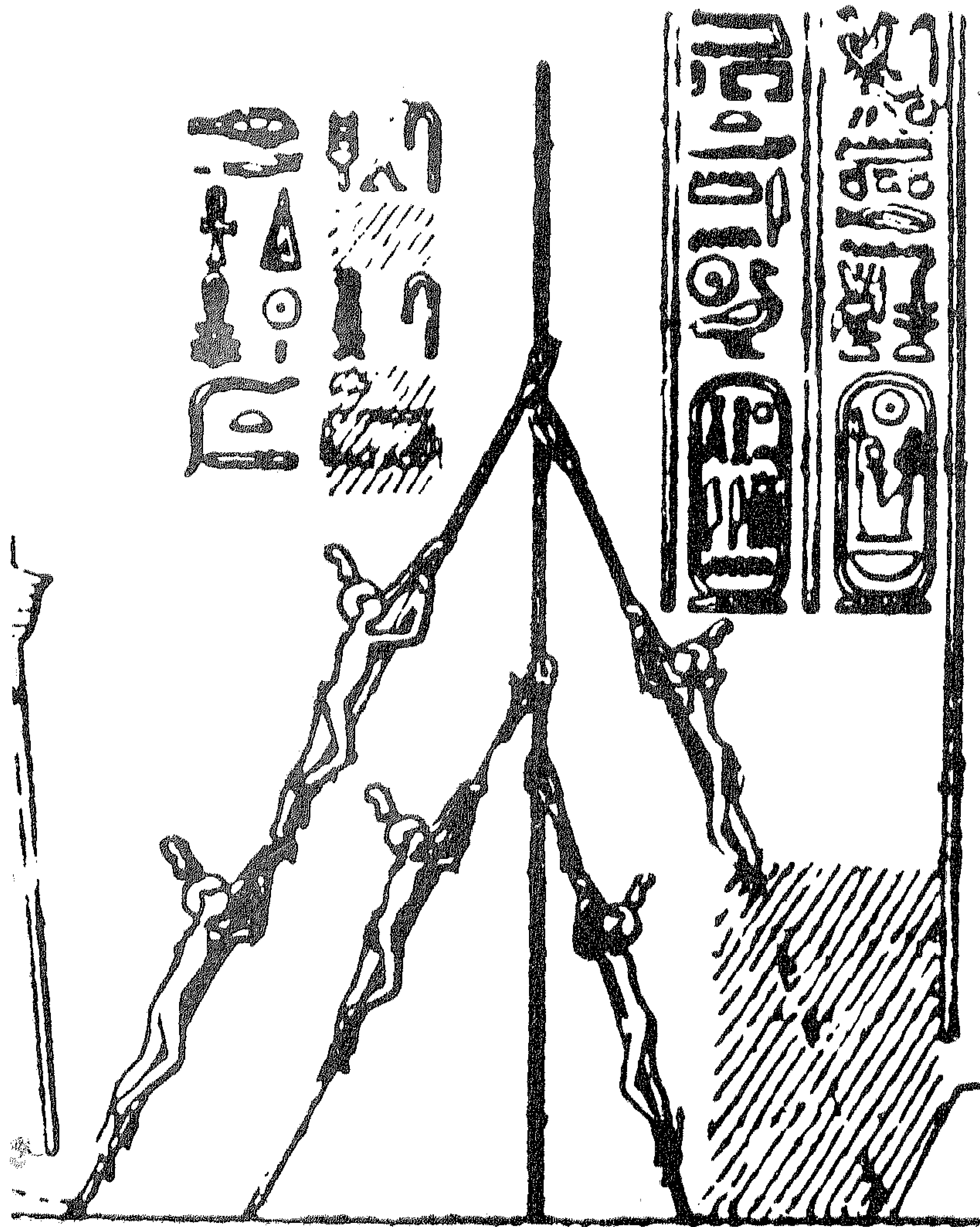
٣٥ – حكم متحيز يشجع لاعبا على خصمه



٣٦ — شاب جرىء يقفز على امتداد ظهر ثور ضخم بين ذيله وقرنيه



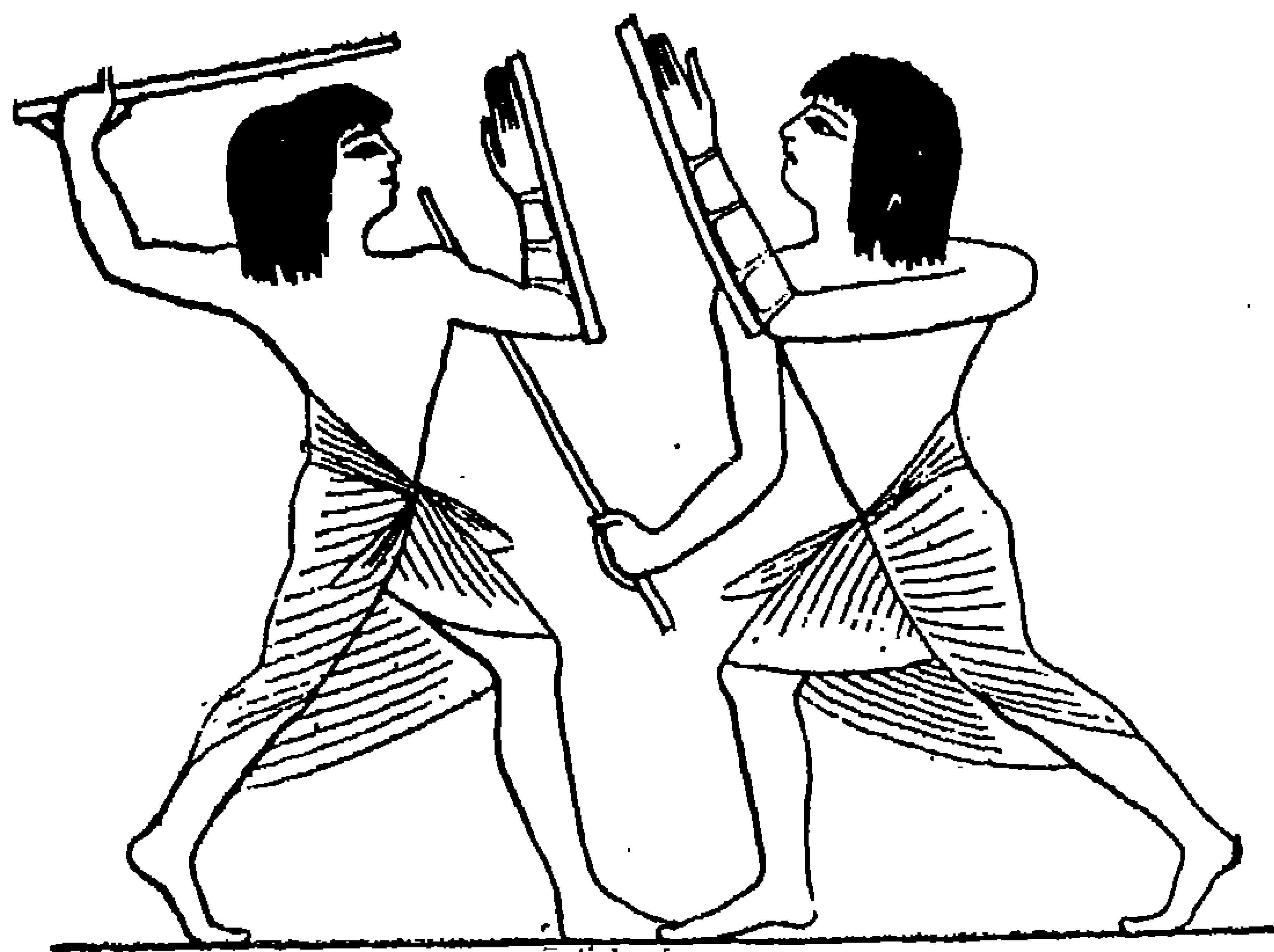
٣٧ — محاولة أولية لرفع الأثقال، يرفع اللاعب فيها غرارة رمل ثقيلة فى وضع رأسى بيد واحدة .



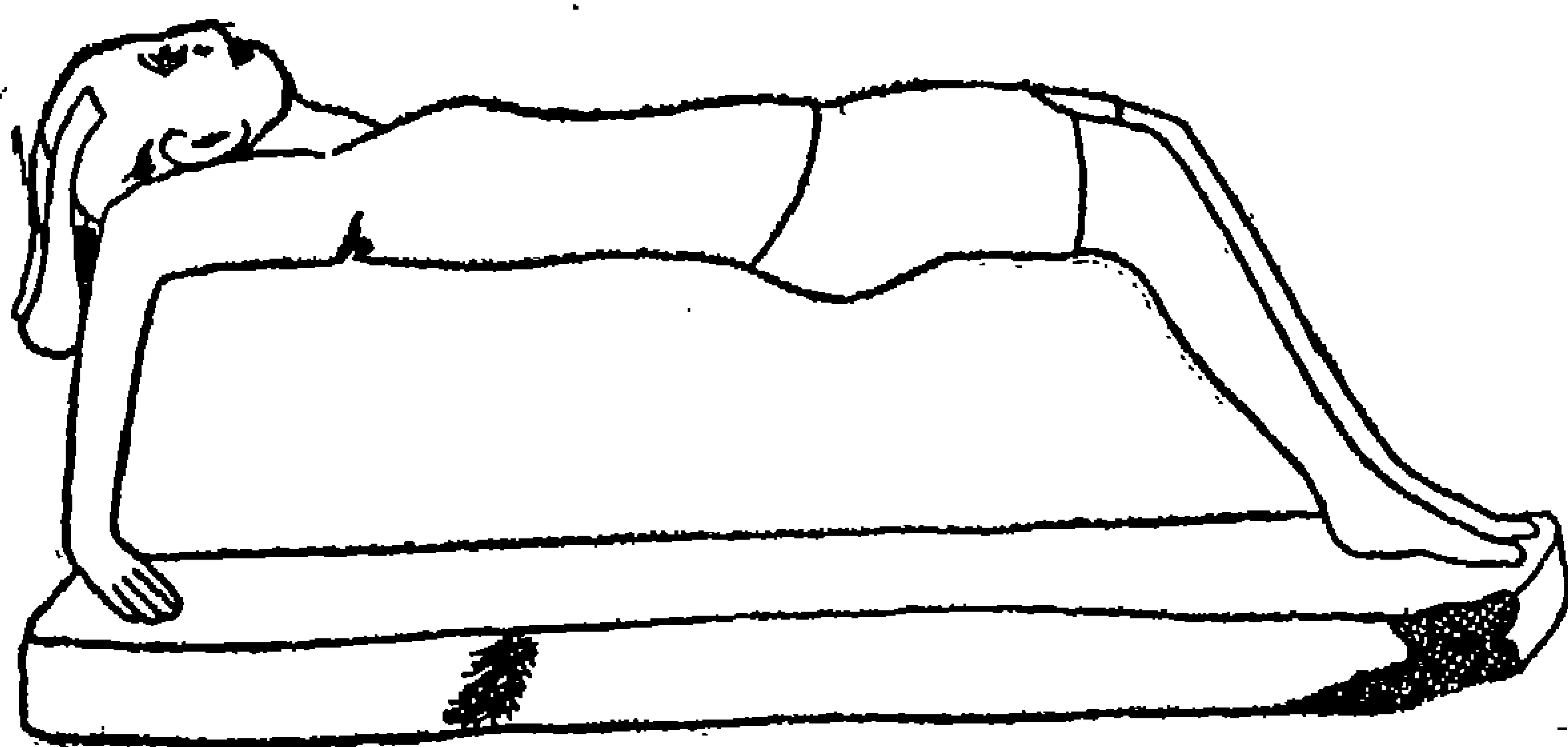
٣٩ — تمرين لتسلق صوار ملساء والانحدار عليها



٣٨ — من صور الملاكمة (؟)



٤٠ – من صور المبارزة بالعصا

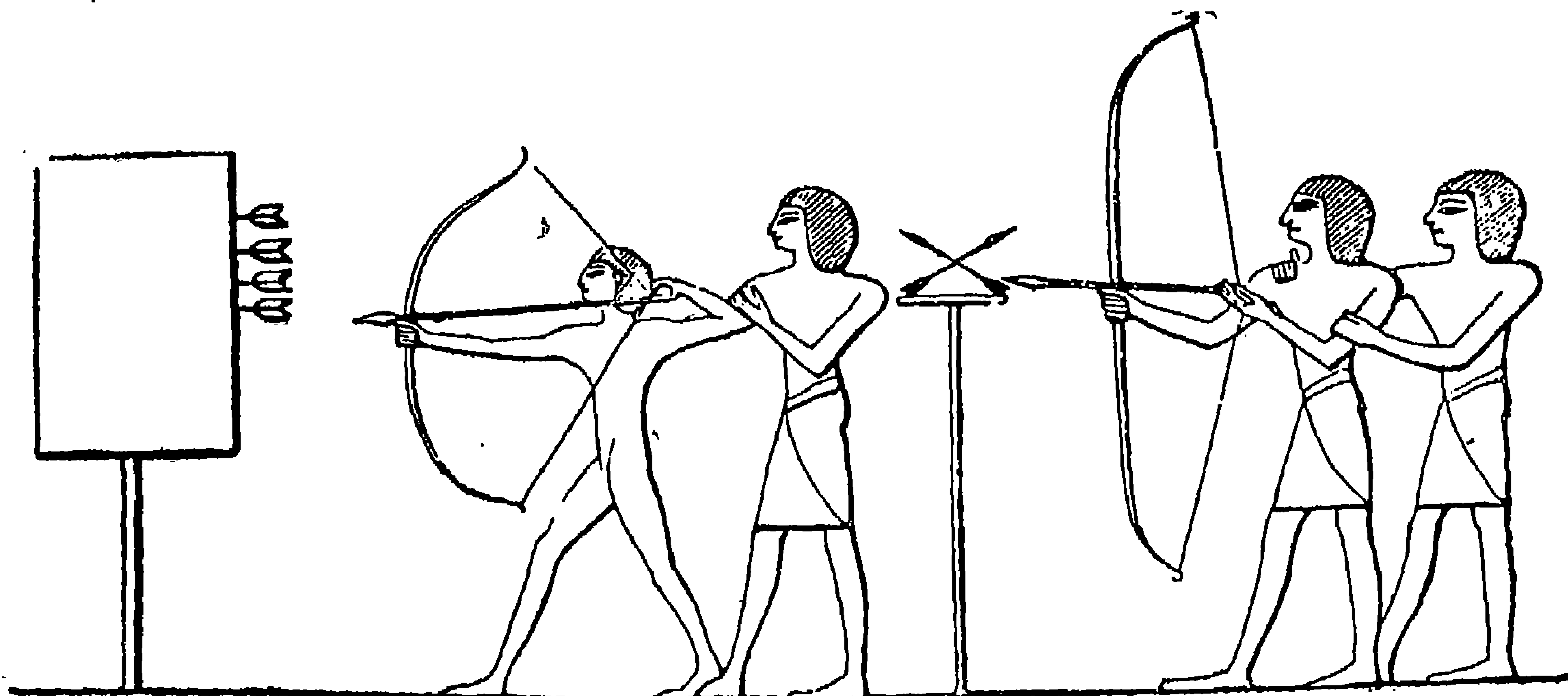


٤١ – تمرين للظهر والأطراف ومحاولة للإنثناء فى قوس كامل (تخطيط حديث لتمثال صغير قديم) .



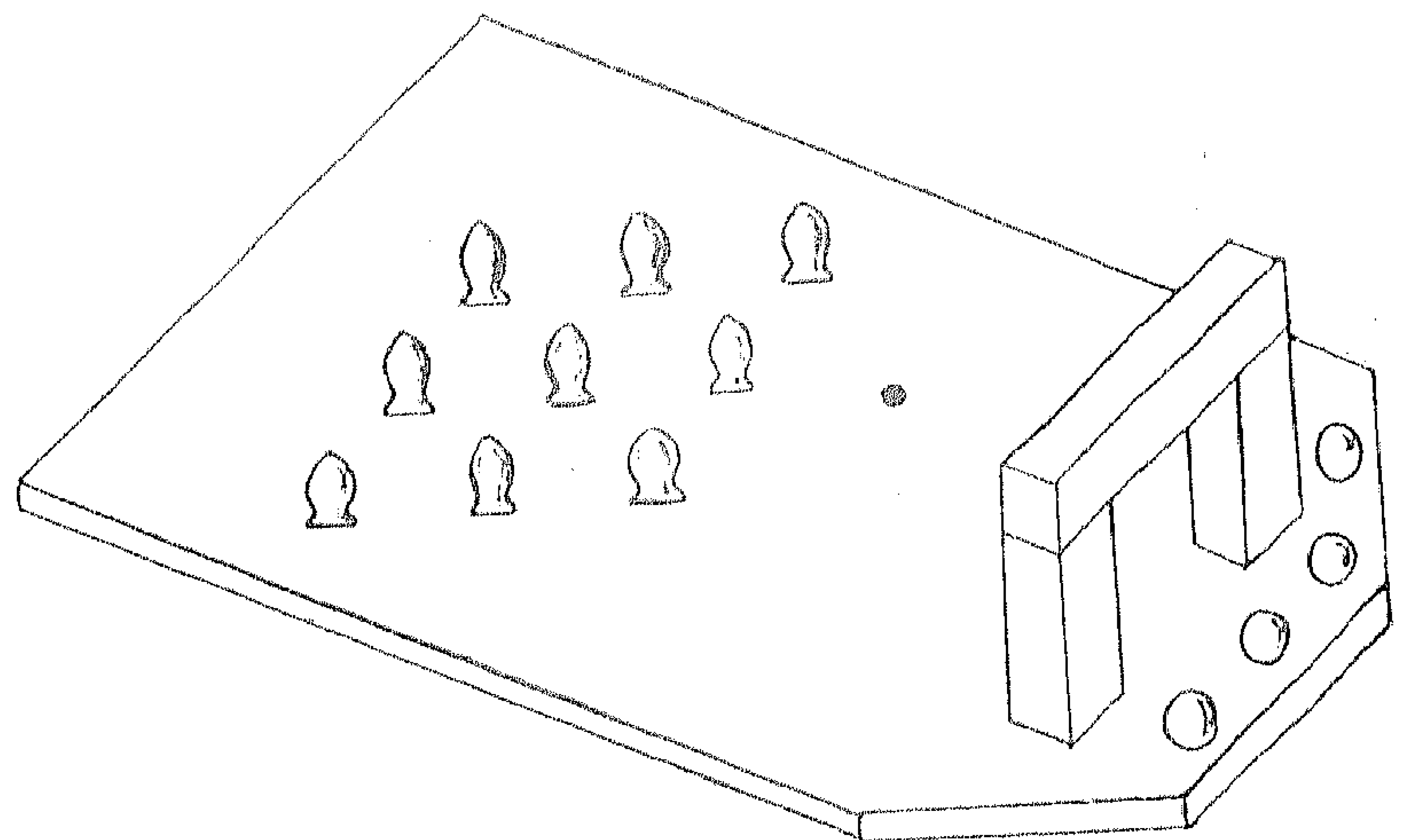
٤٢ – حركة جريئة من حركات الرياضة الراقصة

٤٣ – الصبى أمنحوتب يتلقى درسا فى الرماية
↓ (مع زميل ؟) ↓



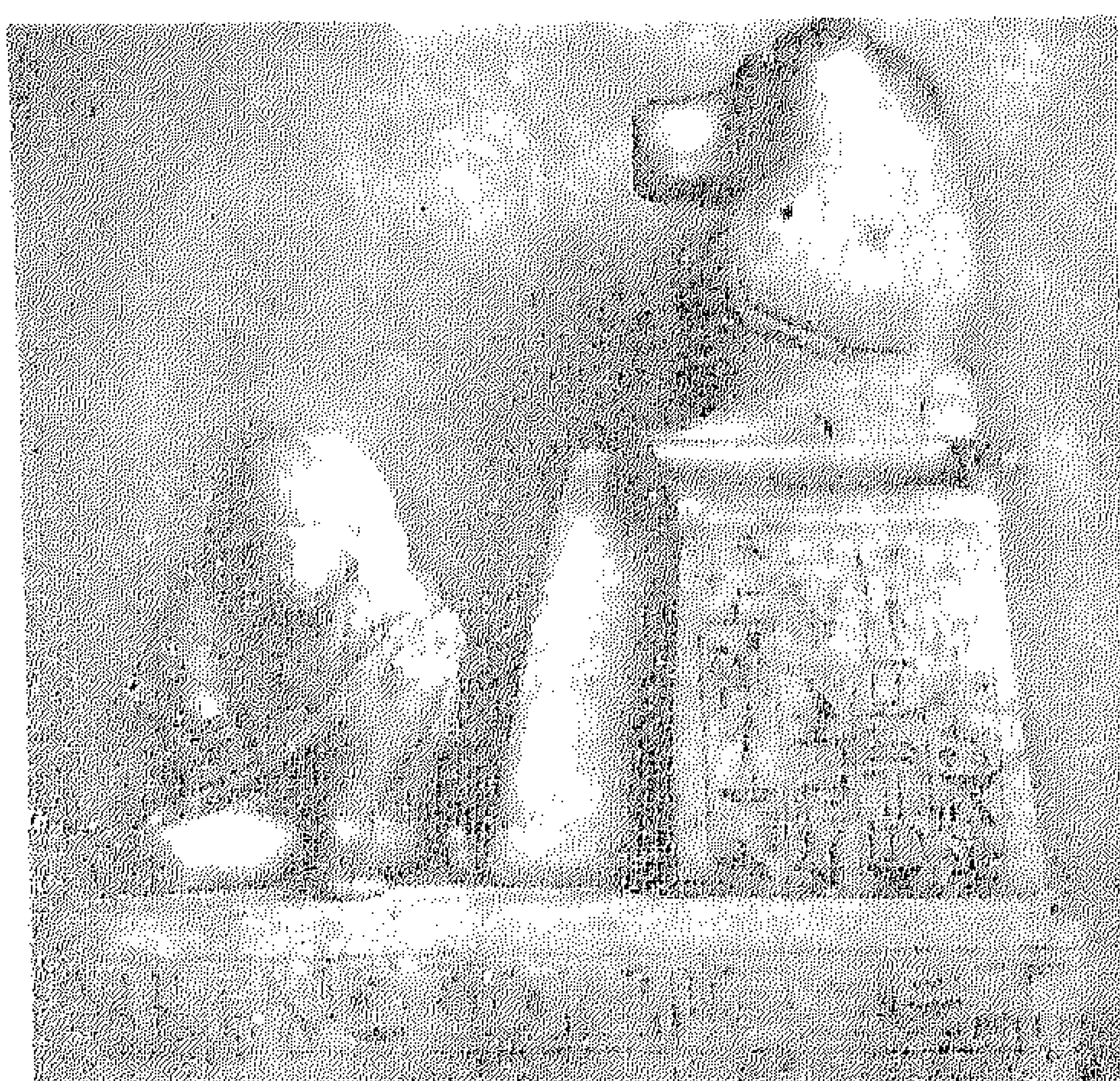


٤٤ — من صور رياضة الصيد (تمرين مبدئى لرسام)



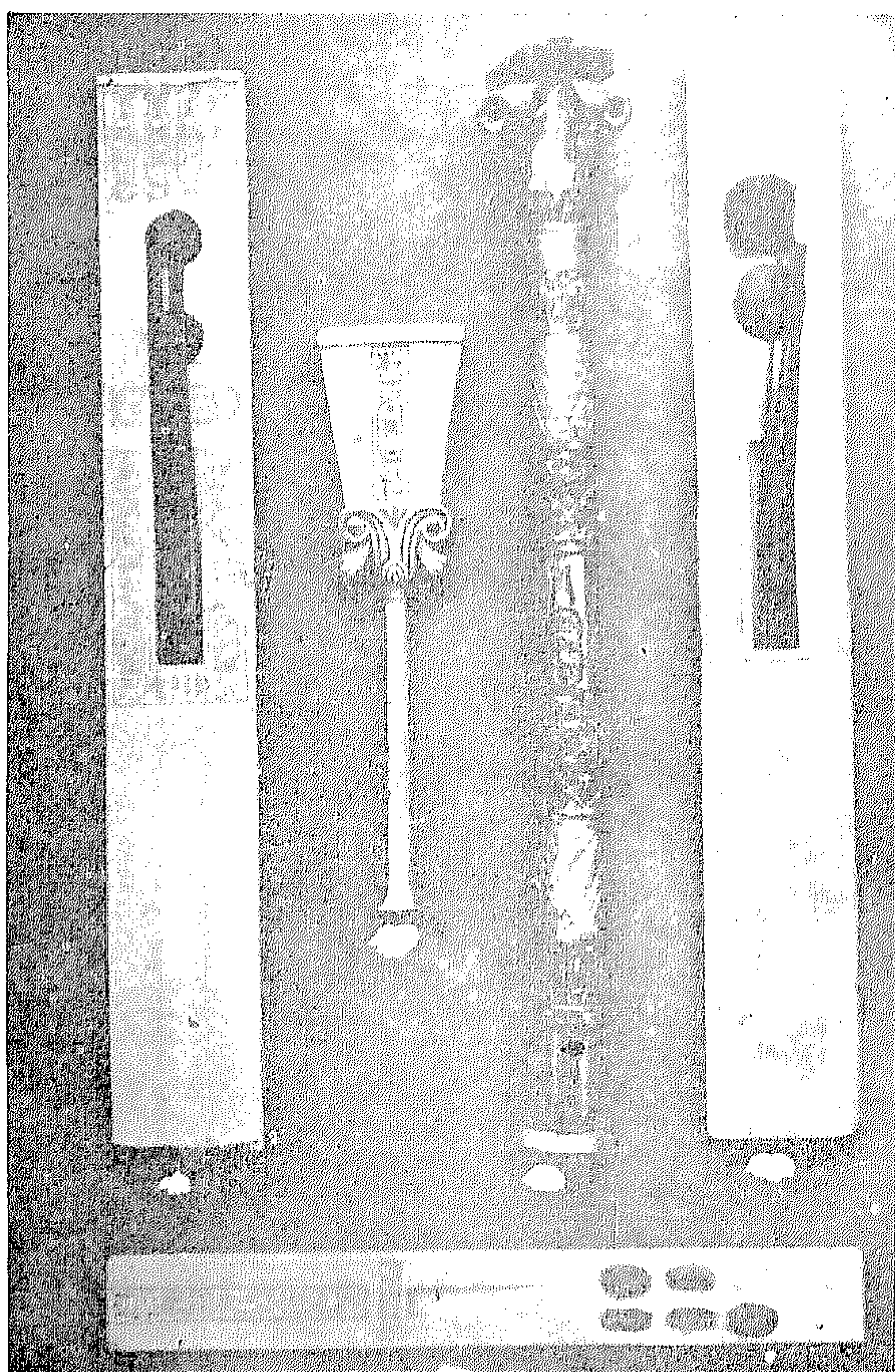
٤٥ — توزيع تخيلى لمفردات
لعبة مصرية قديمة





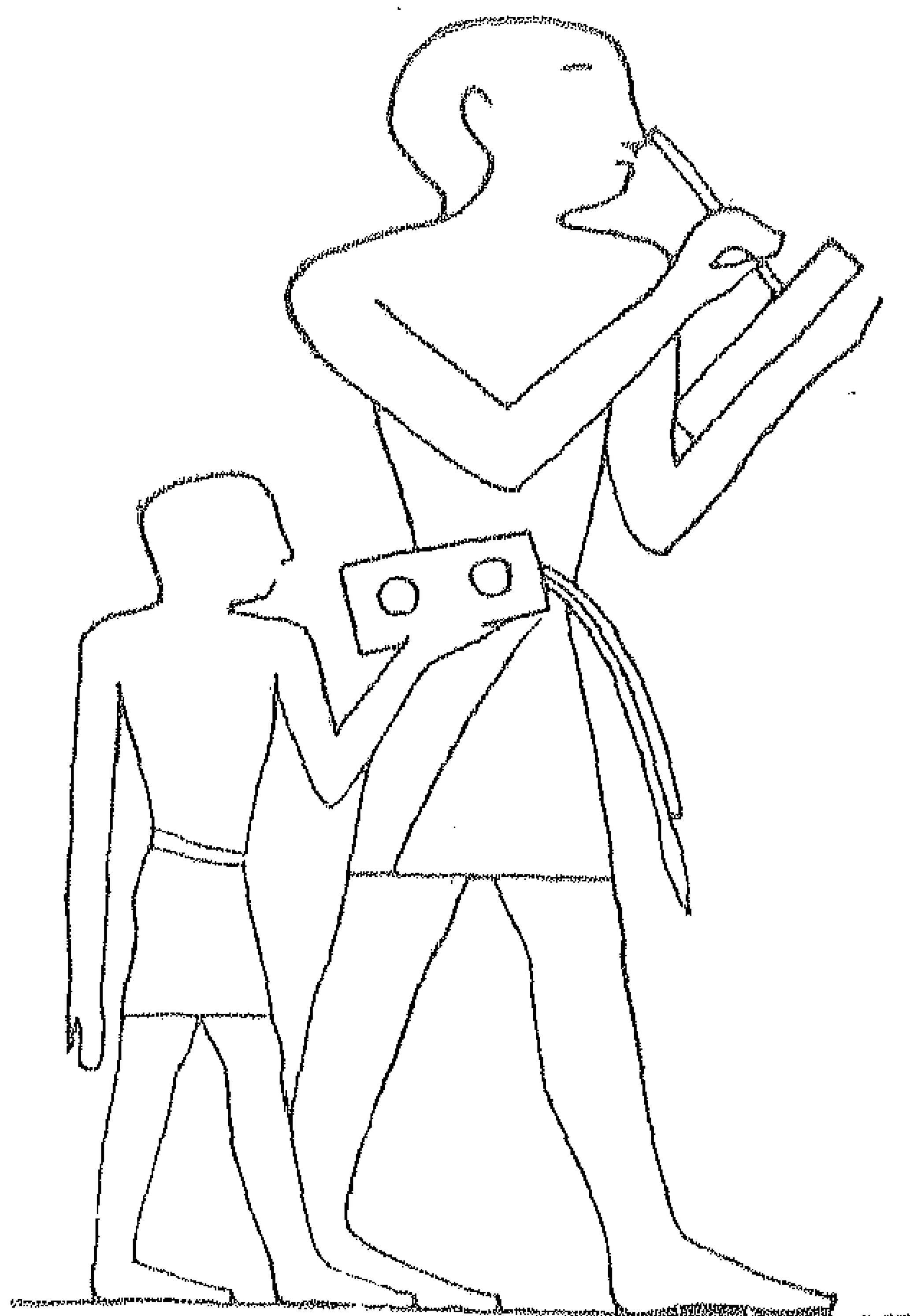
٤٦ — كاتبان تبركان بالكتابة والقراءة أمام تمثالين يرمزان

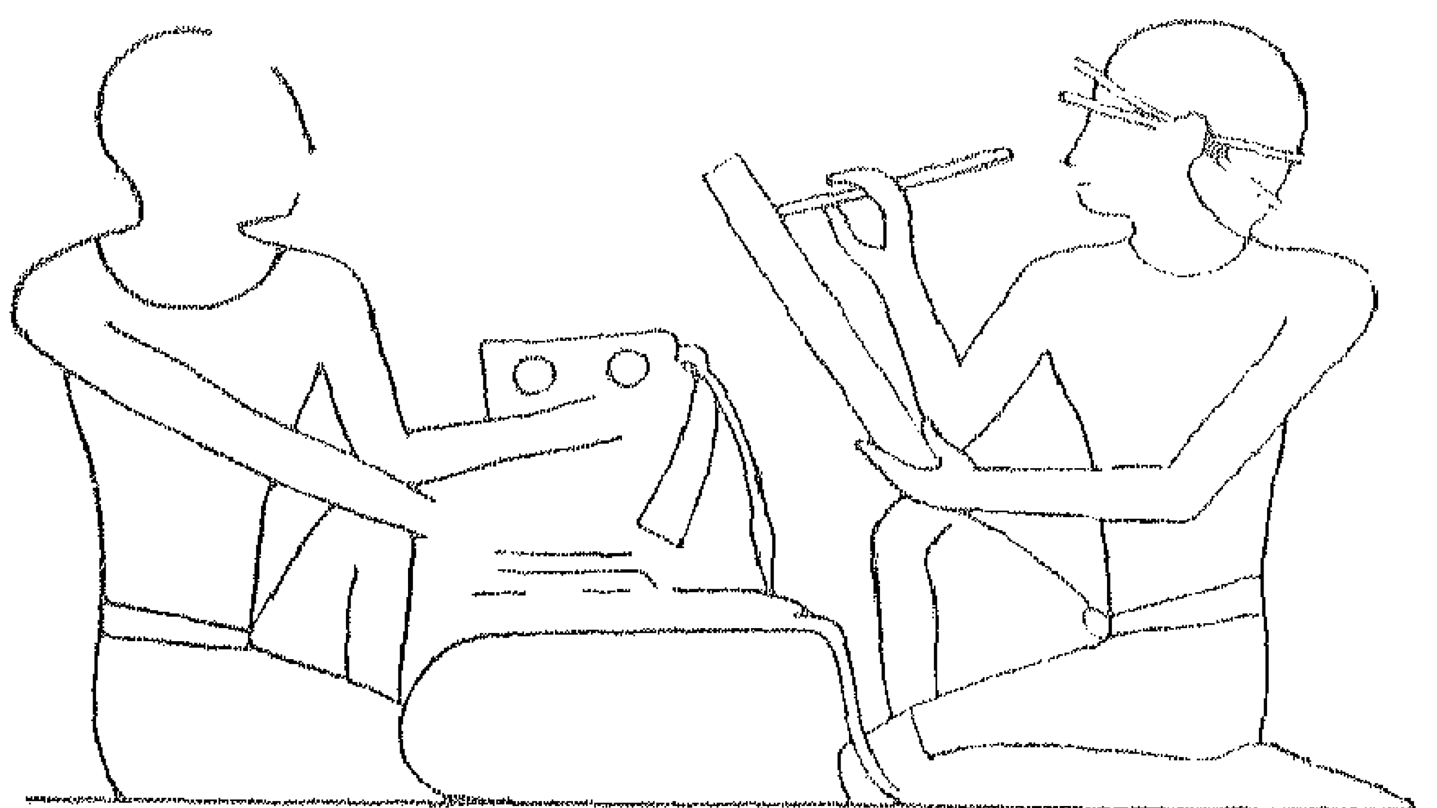
إلى تحوتى راعى الأدب



٤٧ — أدوات كتابة الشاب

توت عنخ أمون

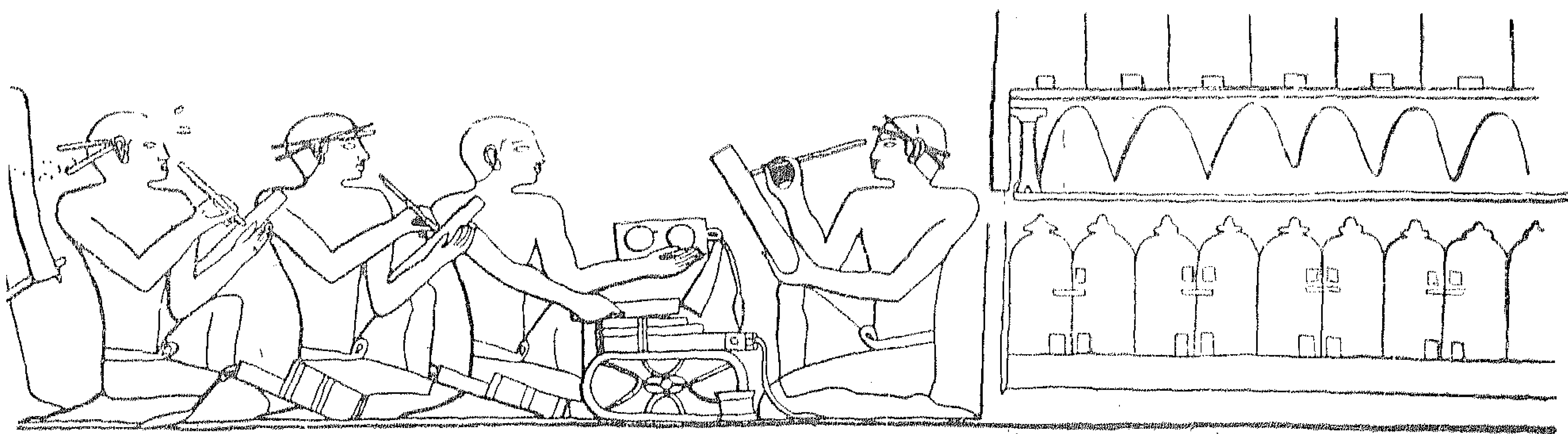




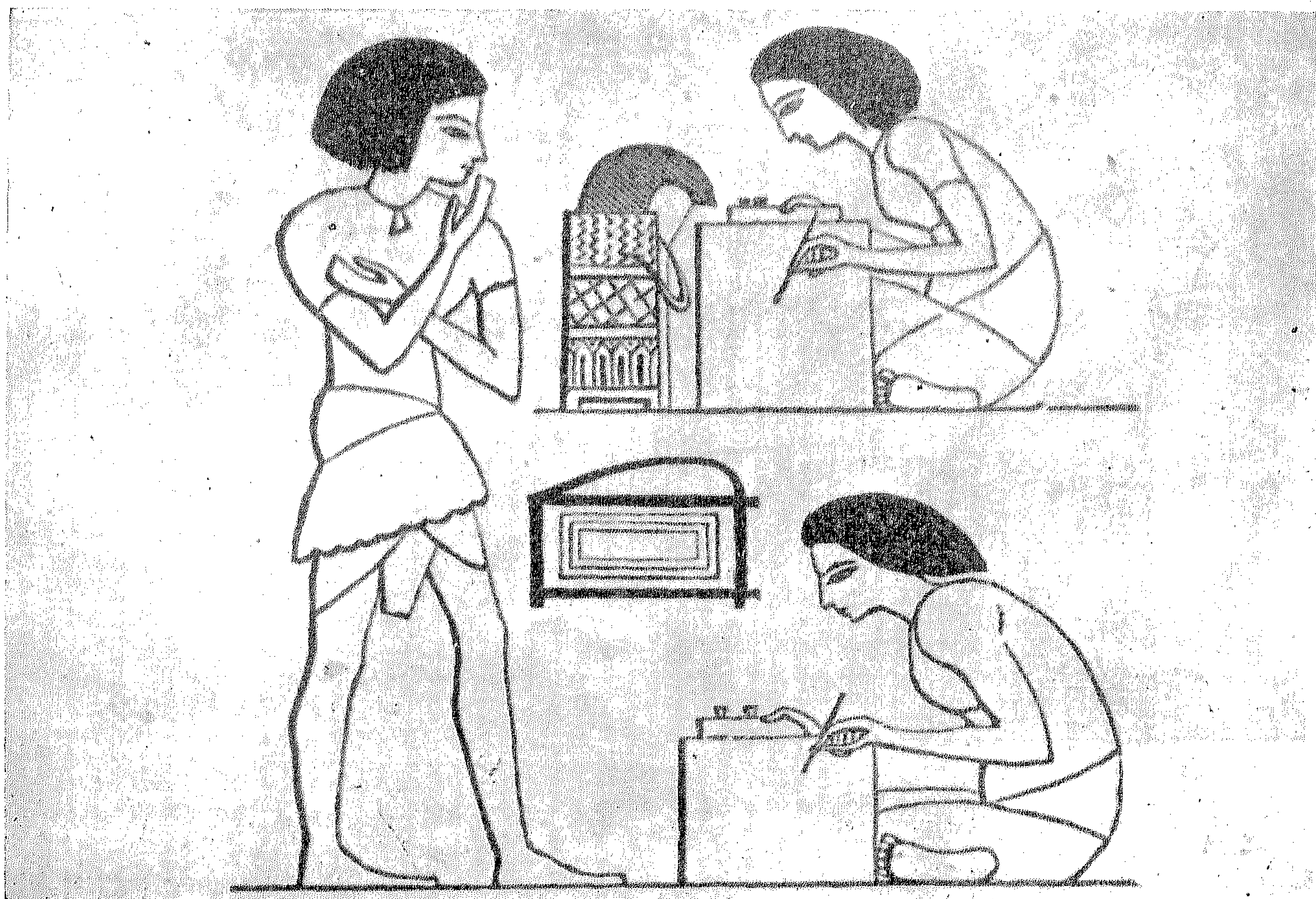
٤٨ ــ كاتب وتلميذه (صبيه)
يرفع لوحة مداده



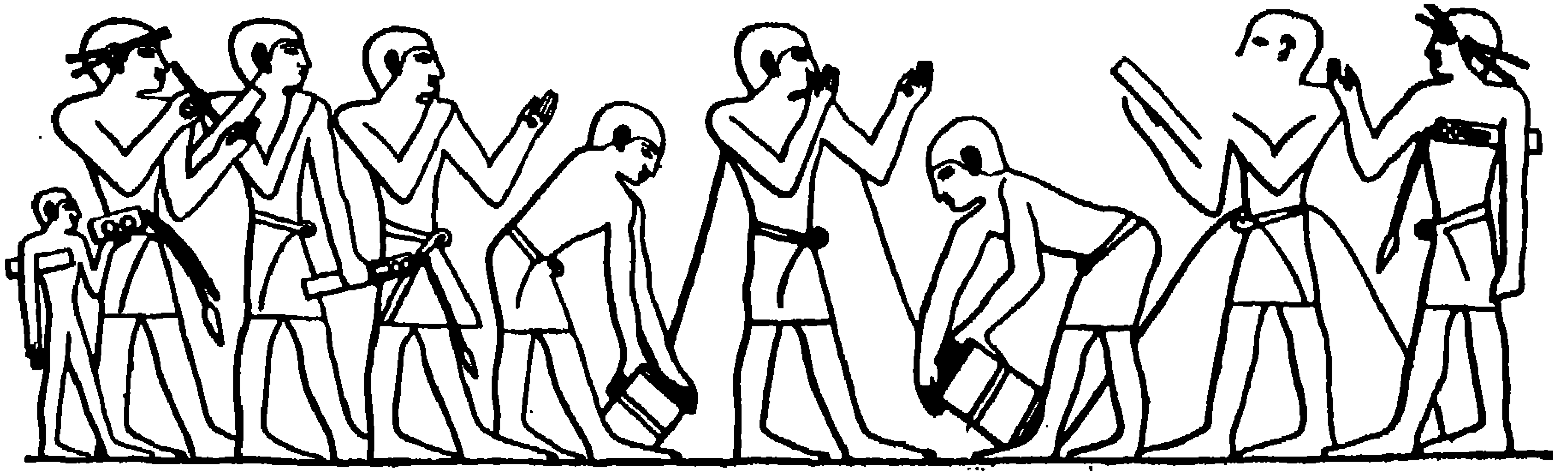
٤٩ ــ كاتب يتبعه تلميذ (صبي)
يحمل لوحة مداده



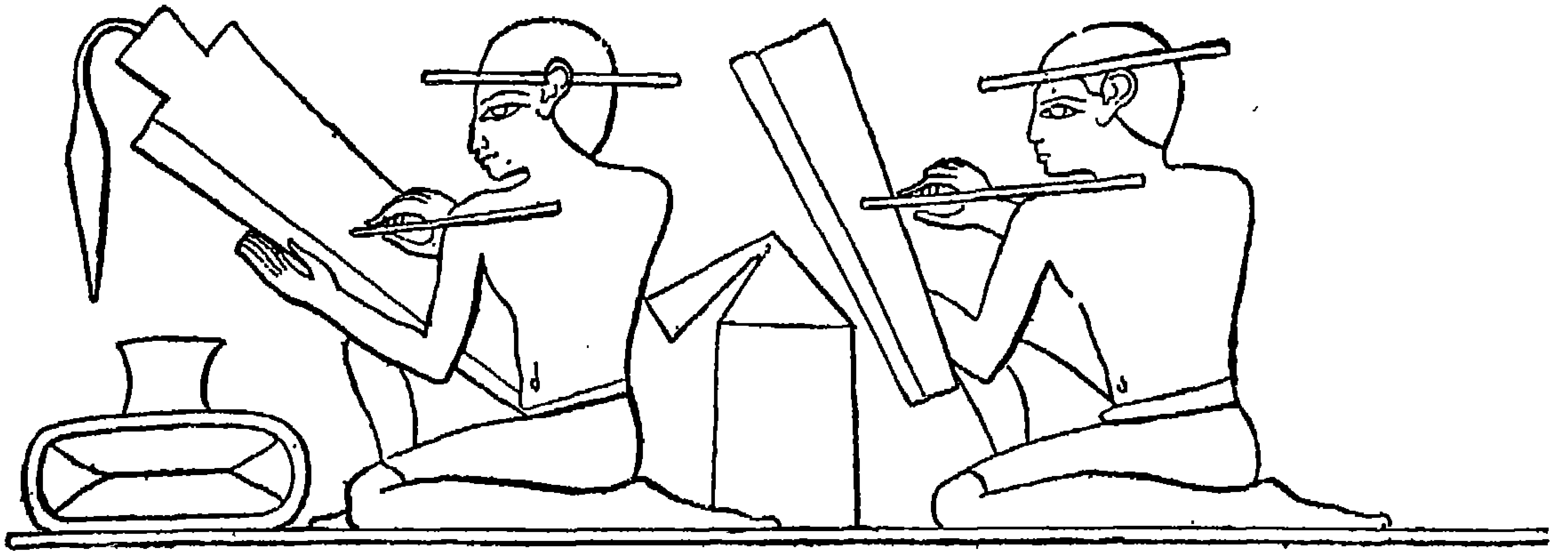
٥٠ ــ كتبة وتلميذهم المساعد



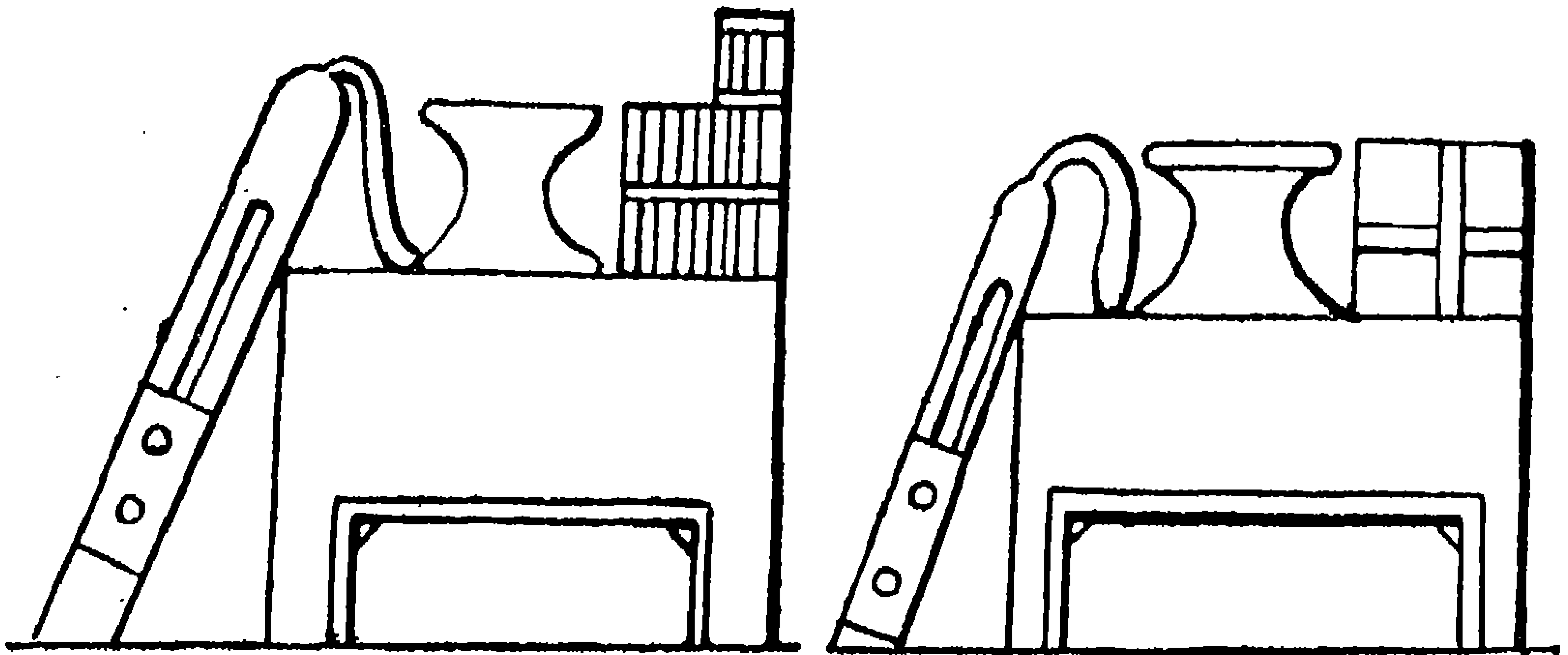
٥١ ــ معلم (أو رئيس ؟) يملي على مساعديه



٥٢ — كتبة محاسبون وتلميذهم المساعد



٥٣ — من صور الكتبة أمام أدواتهم



٥٤ — من مناضد الكتبة المنخفضة



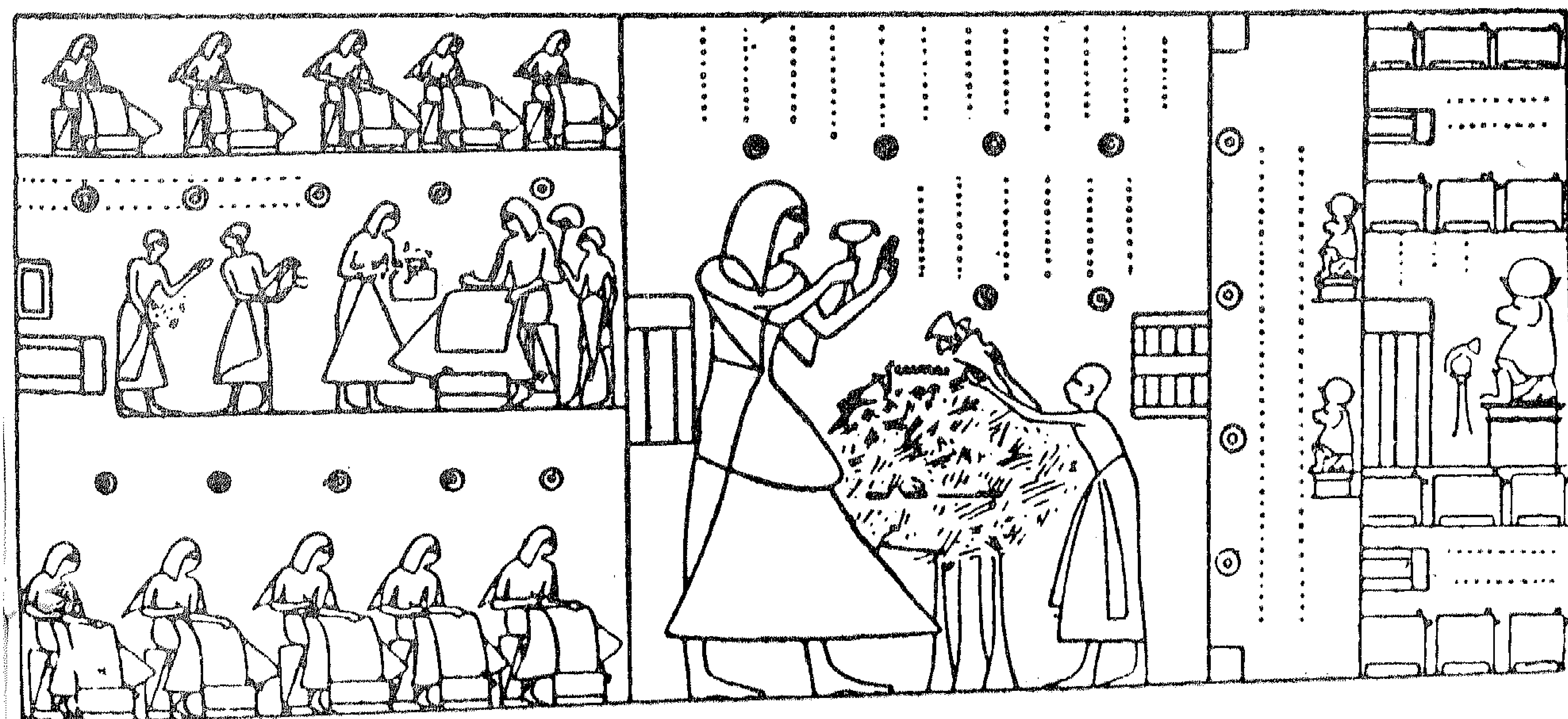
٥٥ ـ كاتب ناشيء متأنق فى عمله



٥٧ ـ كاتب فنان



٥٦ ـ الوضع التقليدى لتماثيل الكتبة



٥٨ ـ ديوان الكتبة ذوى المقاعد والمناضد

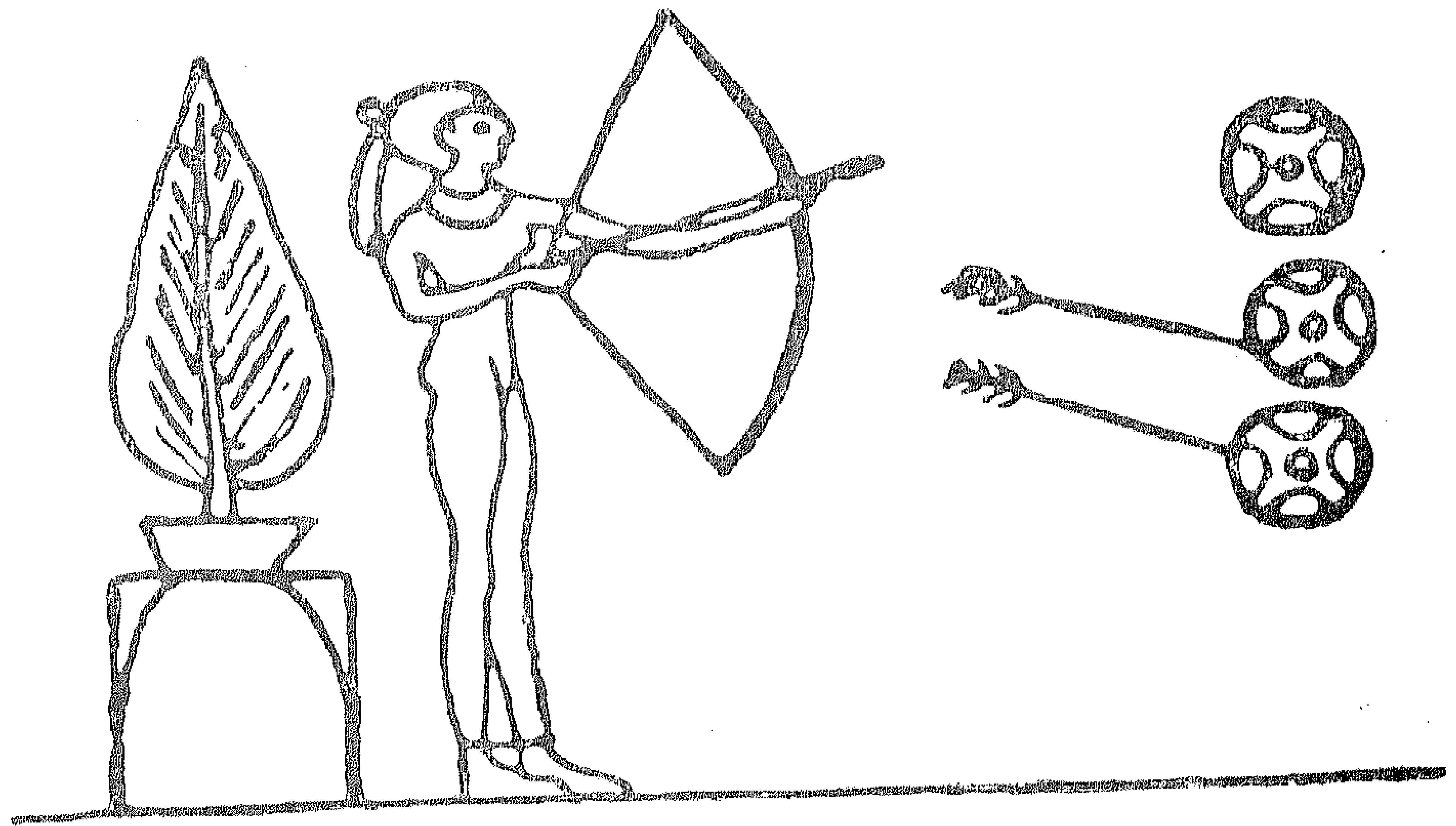


٥٩ ــ سيدة تمجد أدوات الكتابة ورموز الثقافة

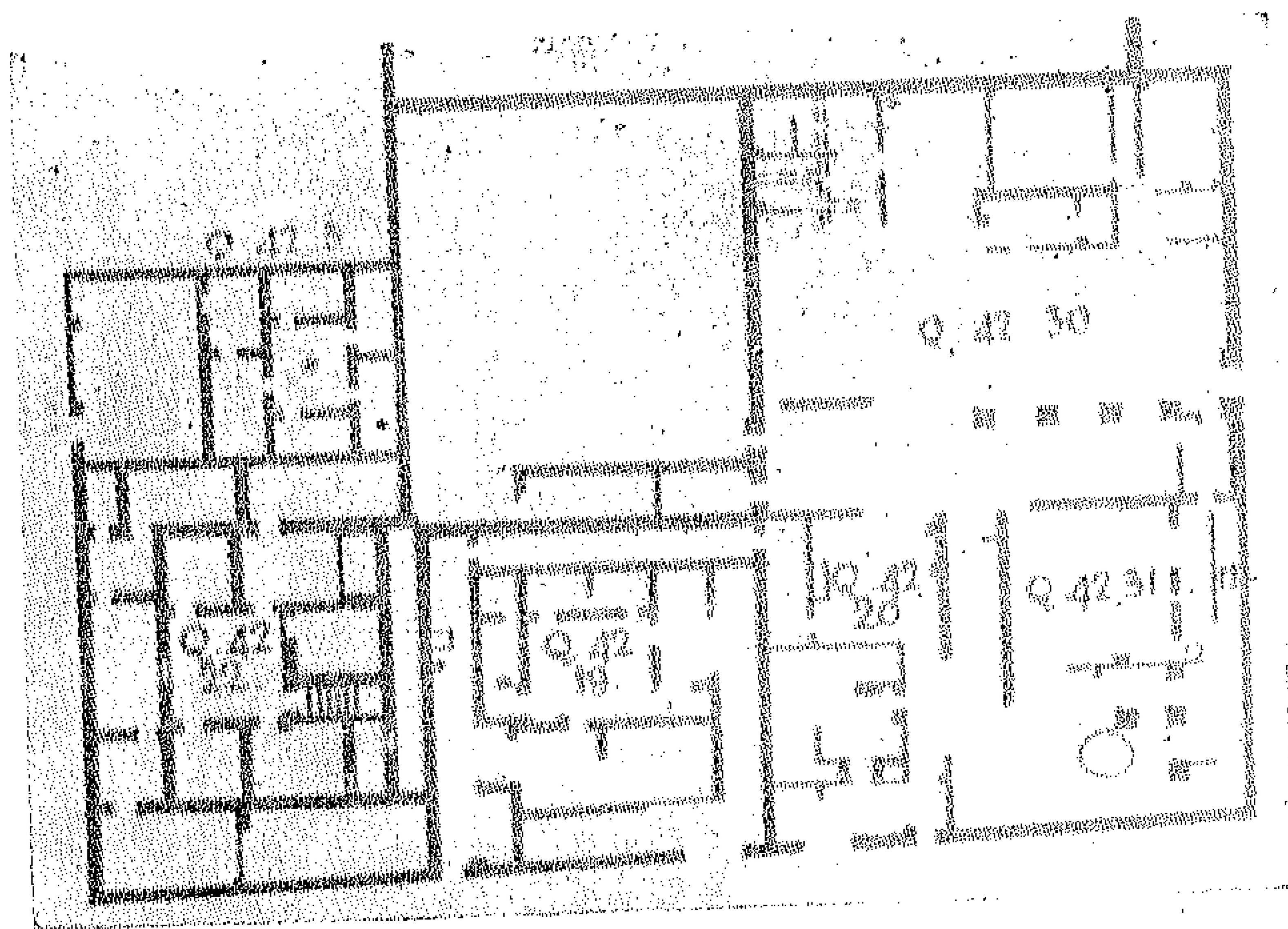
٦٠ ــ معهد صغير لتعليم الفتيات الرقص الرمزى (أو التوقيعى)



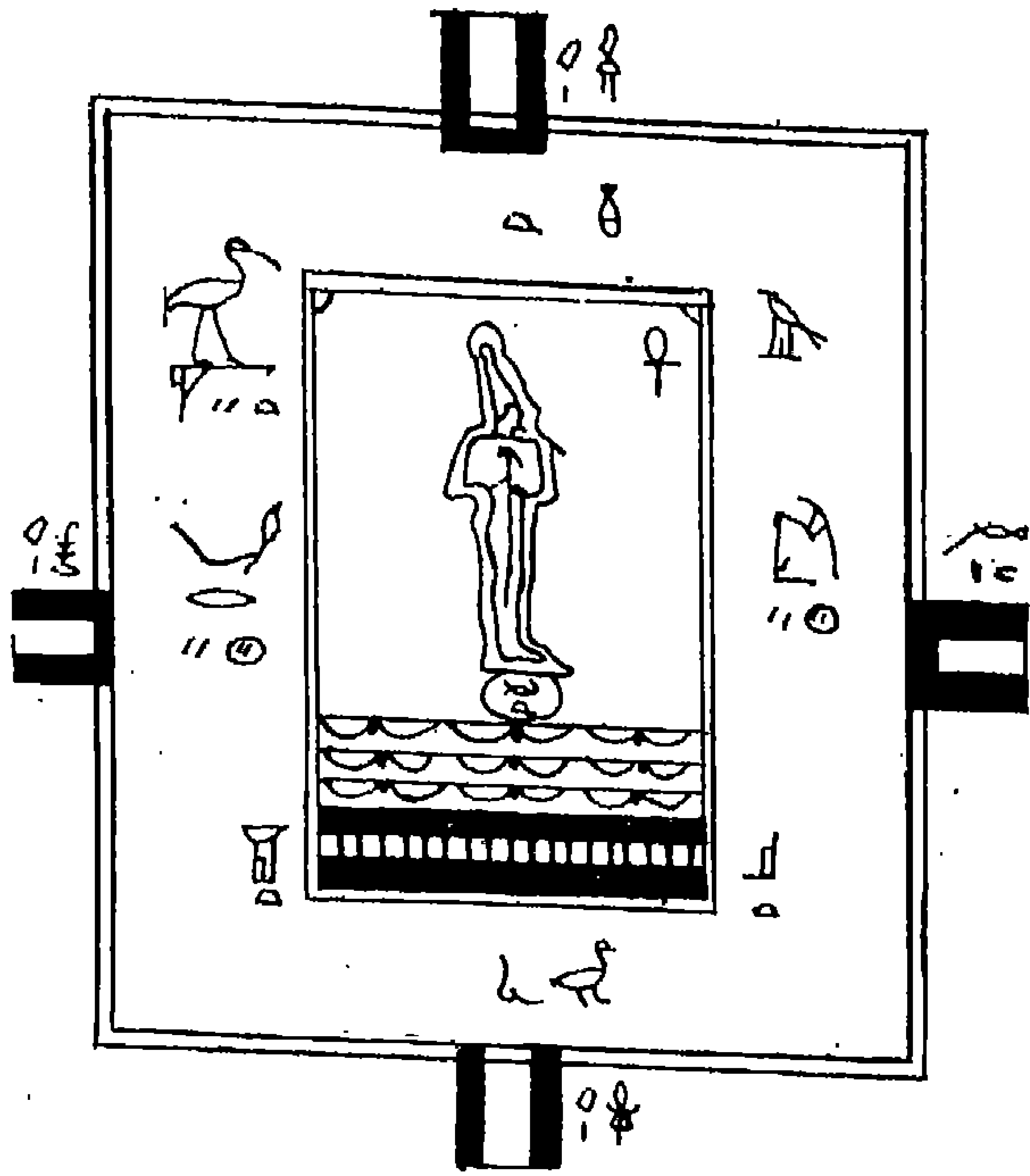
٦١ — فارسة مصرية (؟)



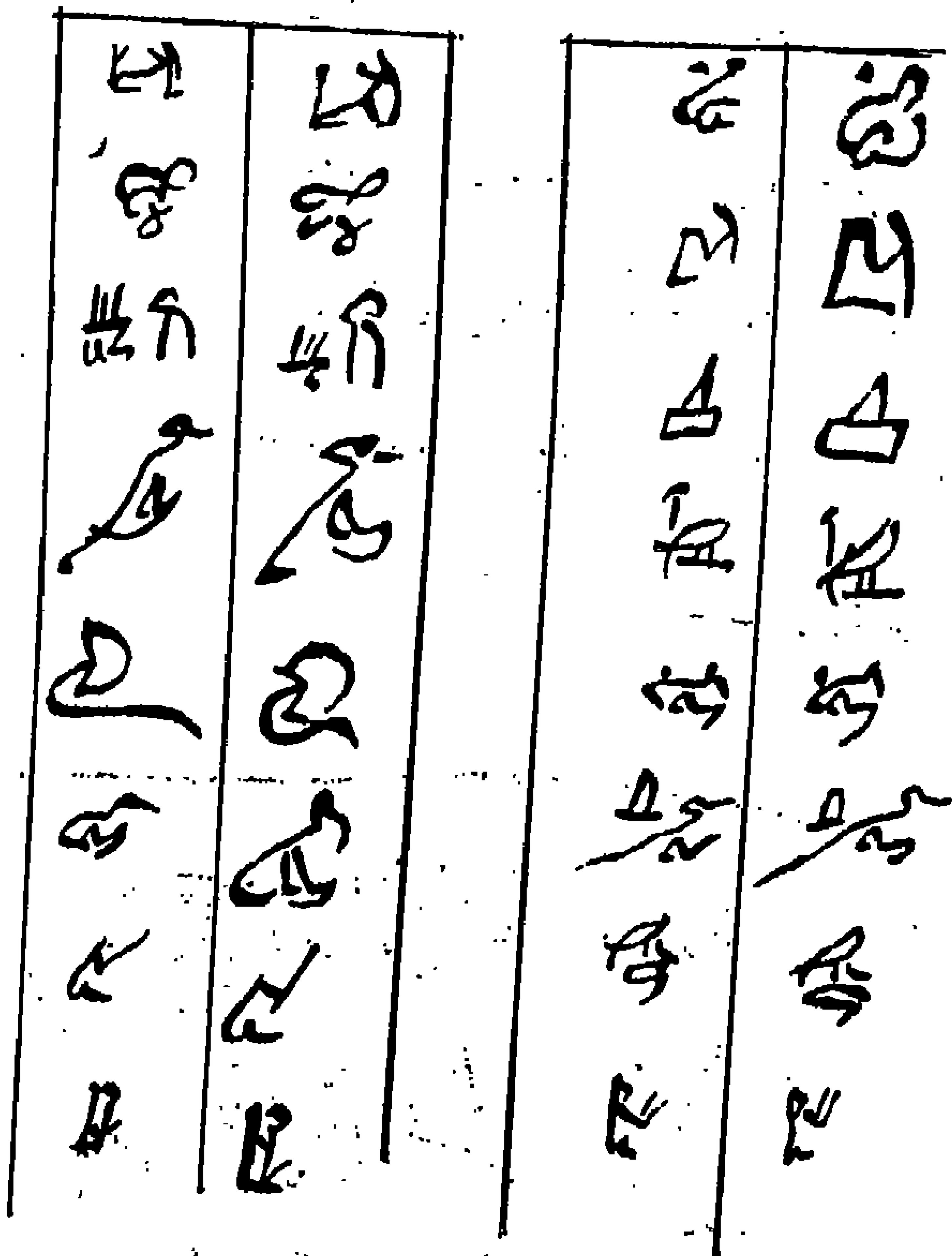
٦٢ — رامية السهام (؟)



٦٣ — تخطيط دار الحياة
فى مدينة أخيتاتون



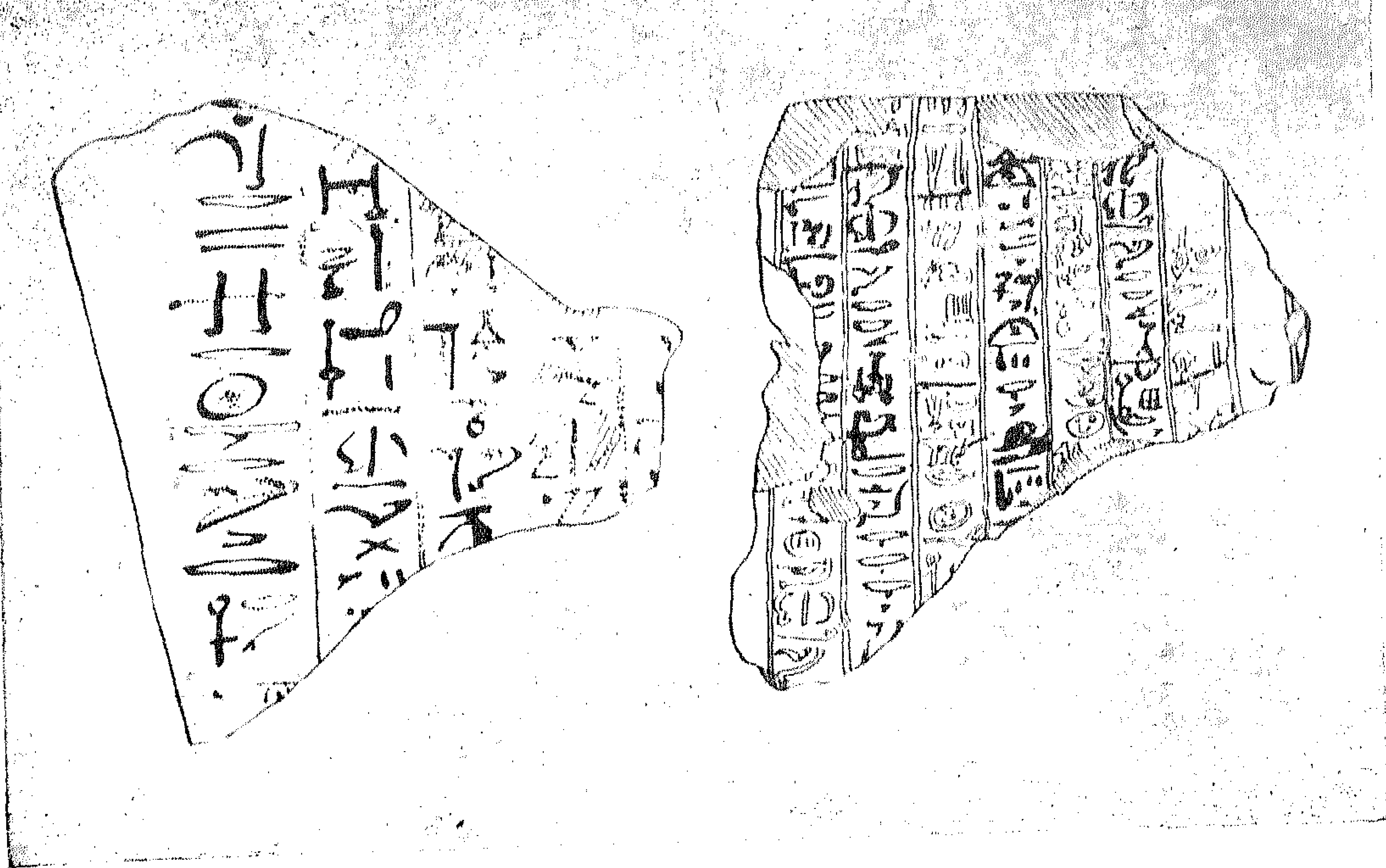
٦٤ – رسم تخيلى قديم لتصميم
دار حياة مثالية فى أبيدوس



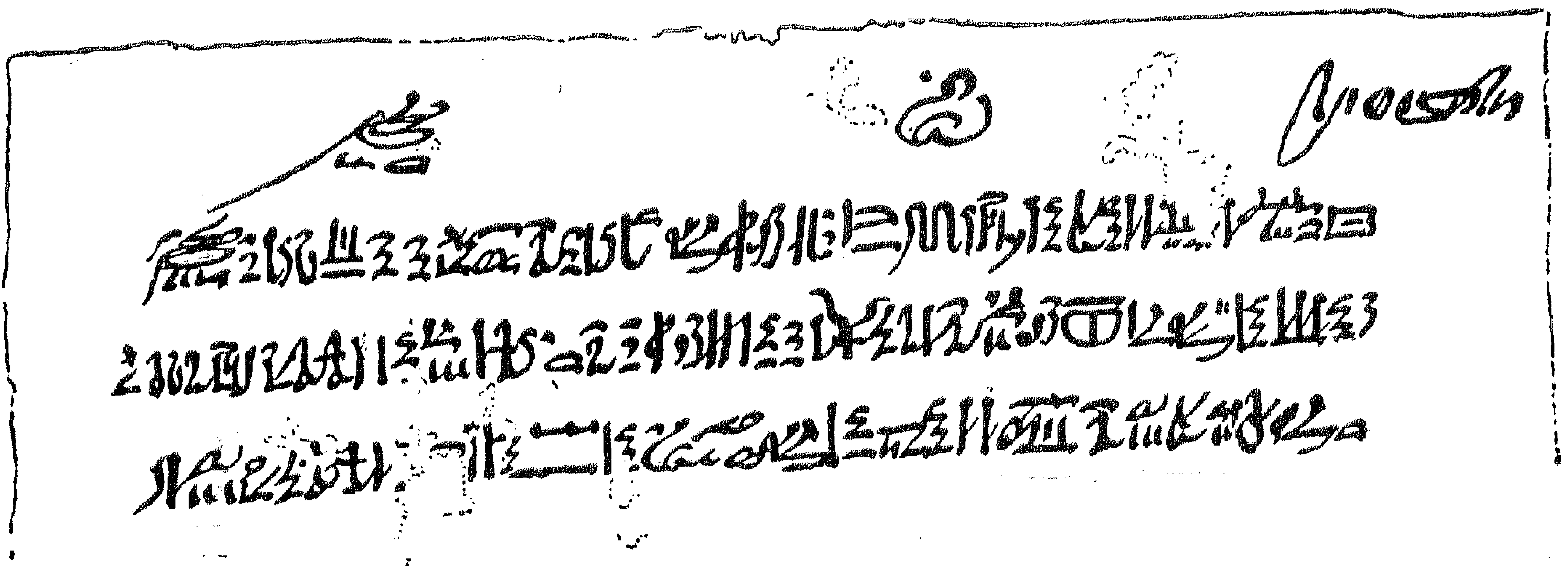
٦٦ – نماذج من أخطاء التلاميذ فى الخط (فى العمودين ٢ ، ٤)
وتصويبات المعلمين لها (فى العمودين ١ ، ٣ – من اليمين)
(عن الأستاذ أدولف إرمان)



٦٥ – درس أولى فى الخط كرر التلميذ فيه
عبارة طريفة تقول :
« أتى الفيضان من أجل أحبائه » .



٦٧ ـ تمارين خطية من عصر الرعامسة تقلد خصائص خطوط الدولة الوسطى .



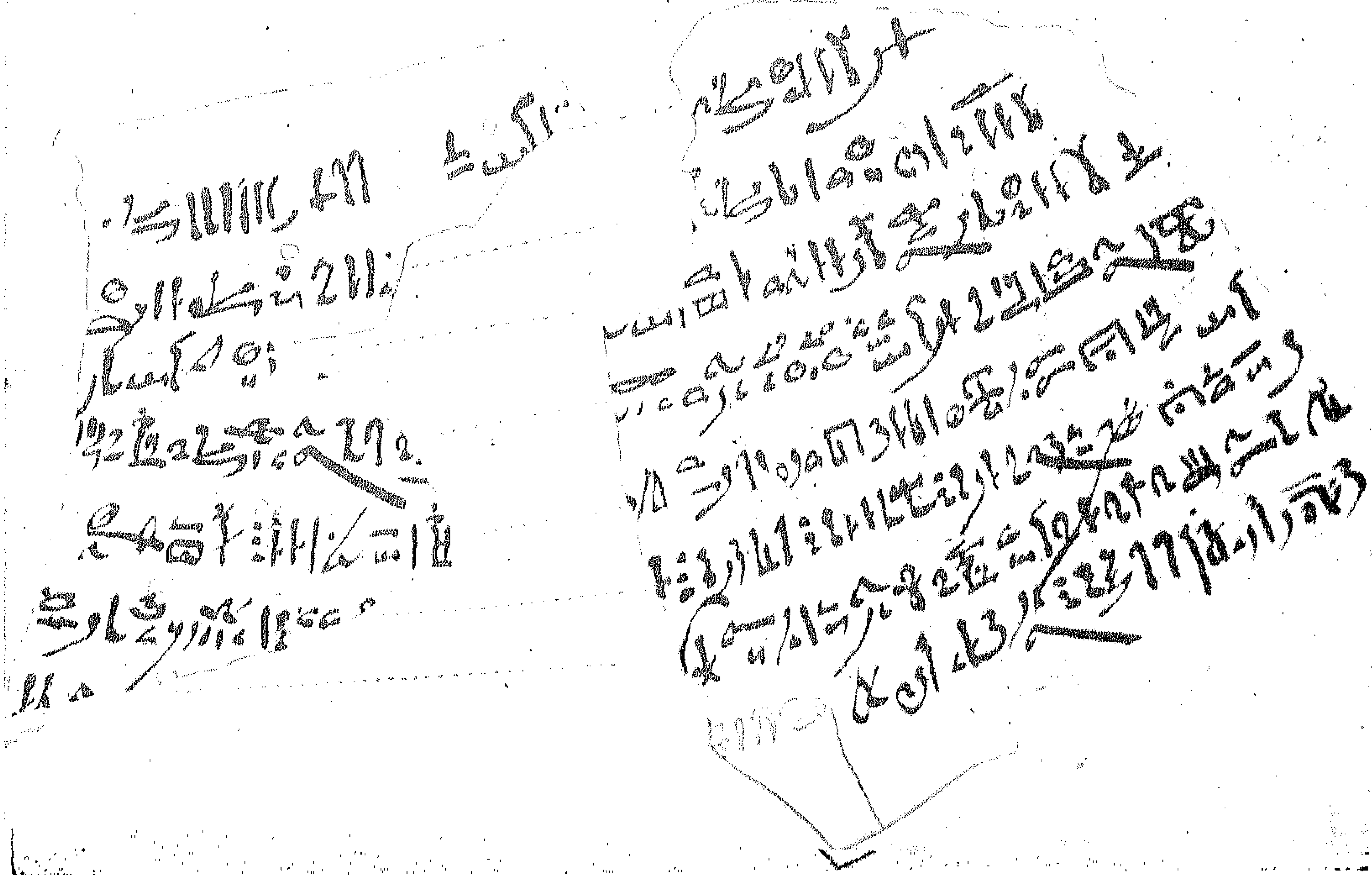
٦٨ ـ سطور وتصويباتها من كراسة طالب ناضج



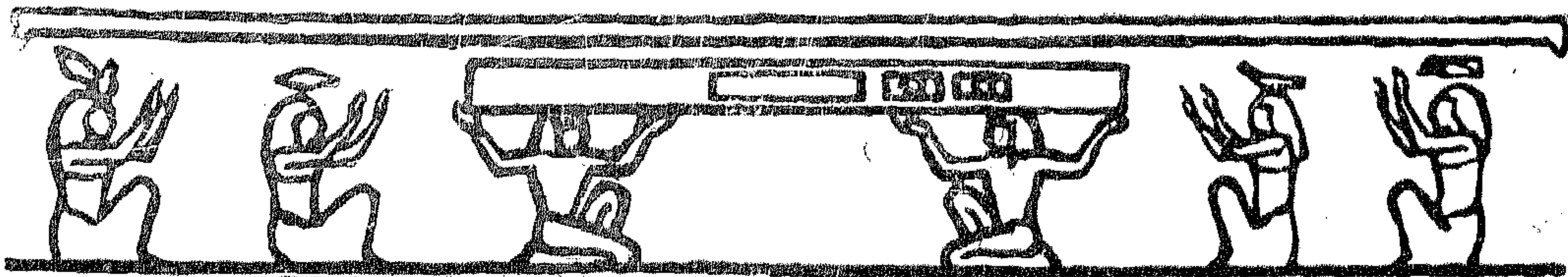
٦٩ ـ درس أولى فى الحساب لطفل صغير لكتابة التاريخ بالشهر والفصل واليوم ، وتسجيل بعض الأعداد الكبيرة بالخط الهيراطيقى .

٧٠ – ستة تمارين رياضية فى مساحات المستطيل والدائرة والمثلث والهرم الناقص وطريقة التقسيم المساحى ، مع الاستعانة فيها بأشكال توضيحية .

٧١ – تمرينان لاستخراج قاعدة المثلث وارتفاعه واستخراج حجم مثلث ناقص . وقد سجل التمرين الأول فى سطره الأخير رمز الجذر التربيعى ، وسجل التمرين الثانى رمز التربيع .



٧٢ — درس جغرافى يسأل شخص زميله فيه عن مدن حلب وقادش وسه‌يرا ، ويصف له جبال لبنان .



٧٣ — لوحة الكاتب يمجدها أرباب السمع والبصر والفطنة والنطق الخالق .

ثبت بالمصادر والمراجع

أولا - أهم ما أوجز ذكره من المصادر الأصيلة فى حواشى البحث :

Brit. Mus. Pap. 10474 : Fascimiles of Egyptian Hieratic Papyri in the British Museum, 2nd series, London, 1923, pls. I-XIV.
Translation : F.LL. GRIFFITH, «*The Teaching of Amenophis the son of Kanakht*», in J.E.A., XII, p. 191 f.

Daressy, Ostraca, : G. DARESSY, Ostraca (Cat. Gén. du Mus. du Caire) Le Caire, 1901.

Gol.Onom. : A.H. GARDINER, Ancient Egyptian Onomastica, Oxford, 1947, vol. III, pls. VII - XIII.

Kahun Pap. : F.LL. GRIFFITH, Hieratic Papyri from Kahun and Gurob, 2 vols. London, 1898.

Mar., Cat. d'Abyods : A. MARIETTE, Catalogue Général des Monuments d'Abydos, Paris. 1880.

Mar. Mast. : A. MARIETTE, Les Mastabas de l'ancien Empire, Paris 1889.

O.D.M. : G. POSENER, Catalogue des Ostraca hiératiques littéraires de Deir el Médineh, (Doc. de Fouilles de l'Inst. fr. d'Arch.) Le Caire 1934, 1936, 1938, 1951, 1952.

Ost. Gol. : G. MASPERO, Hymne au Nil, transcrit et publié, le Caire, 1912.

Ost. 7 de Leipzig : G. MASPERO, Les enseignements d'Amenemhait Ier, Le Caire, 1914, p. 19 f.

Pap. Anast. I. : A.H. GARDINER, Egyptian Hieratic Texts, series I, Literary Texts of the New Kingdom, Part I, Leipzig 1911.

Pap. Anast.II : A H. GARDINER, Late Egyptian Miscellanies, Bruxelles, 1937, pp. 12 - 19 (Text).

Pap Anast. III : Ibid., pp. 20-33 (Text).

Pap. Anast. IV : Ibid., pp. 34-55 (Text).

Pap. Anast. V : Ibid., pp. 56-71 (Text).

Pap. Anast. VI : Ibid., pp. 72-77 (Text).

Pap. Anast. VII : Text and Translation : pp. 1,7-4 : H. BRUNNER, Die Lehre des Cheti Sohnes des Duauf, Gluckstadt, 1944.
pp. 7,5f. : G. MASPERO, Hymne au Nil.

Pap. Bologna 1094 : A.H. GARDINER, op cit., pp. 1-11 (Text).

Pap. Boulaq IV : Text : E. Suys, La Sagesse d'Ani, Roma, 1935.
Translation : A. Volten, Studien zum Weisheitsbuch des Anii, Kobenhaven, 1937.

Pap. Brit. Mus. 10508 : S.R.K. Glanville, The Instructions of 'Onchsheshonqy (Catalogue of Demotic Papyri in the British Musuem, vol. II part. I) London, 1955.

Pap. Ch. Beatty II, IV, V : A.H. Gardiner, Hieratic Papyri in the British Museum, 3rd series, 2 vols, London 1935.

Pap. Koller : A.H. Gardiner, Late Eg. Miscel., pp. 116-120 (Text).

Pap. Lansing : Ibid., pp. 99-115 (Text).

A. Erman-H. O. Lange, Papyrus Lansing, ..., Copenhagen, 1925.
A.M. Blackman - T.E. Peet, «*Papyrus Lansing, a translation with notes*», in J.E.A. XI, 284 f.

Pap. Leiden 348 vs. : Gardiner, op. cit., pp. 132-136 (Text).

Pap. Petersburg 1116A rt. : W. Golenischeff, Les Papyri hiératiques Nos., 1115, 1116A et 1116 B, de l'Ermitage impérial à St. Pétersbourg, 1913 (Text).

Pap. Prisse : pp. 1-2 : (Text) : A.H. Gardiner, «*The Instruction addressed to Kagemni and his brethren*», in J.E.A. XXXII, pl. I, pp., 4-19. Ditto, Col. 1-647 : E. Devaud, Les Maximes de Ptahhotep, Fribourg, 1916; Z. Zaba, Les Maximes de Ptahhotep, Paris 1956.

Pap. Rainer 53 : A.H. Gardiner, Late Egyptian Miscellanies, pp. 137-138 (Text).

Pap. Sall. I : W. Budge, Egyptian Hieratic Papyri, pl. LIII f.

Pap. Sall. II : Text and Translation : pp. 1-3,8 : G. Maspero, Les enseignements d'Amenemhait Ier, Le Caire 1914.
pp. 3,9-11,5 : H. Brunner, op. cit.
pp. 11,6-14,11 : G. Maspero, Hymne au Nil.

Pap. Turin, A, B, C : A.H. Gardiner, op. cit. pp. 121-131.

ثانيا : المراجع

ABU-BAKR, A., Excavations at Giza, 1949-1950, Cairo, 1953.

AYRTON, E.-LOAT, W., Predynastic Cemetery at El-Mahasna, London, 1911.

BAILLET, J., Le regime pharaonique dans ses rapports avec l'évolution de la morale en Egypte, Paris, 1912-13.

BIRCH, S., «*On some leather rolls*», in Ae. Z., IX, S.104; S.107.

BLACKMAN, A.M., «*Notes on certain passages in various middle Egyptian texts*», in J.E.A., XVI, p. 63 f.

—«*Philological notes*», in J.E.A., XI, p. 210 f.

—«*Priest, Priesthood* (Egyptian)», in Hasting's Encycl., vol. X, 295 f.

—The rock tombs of Meir, 5 vols., London, 1914 f.

—«*The Stela of Nebipusenwosert*, (*Brit. Mus. 101*)» in J.E.A. XXI, p. 1 f., pl. I.

—and PEET, T.E., «*Papyrus Lansing, a translation with notes*», in J.E.A. XI, p. 284 f.

BLACKMAN, W.S., The Fellahins of Upper Egypt, London, 1927.

BOESER, P.A.A., Beschreibung der aegyptischen Sammlung des Niederlandischen, Reichsmuseums der Altertumer in Leiden, Bd. V.

BORCHARDT, L., *Der aegyptische Titel, «Vater des Gottes» als Beziechnung für «Vater oder Schwiegervater des Königs»* (König. Sech. Geset., Phil.-hist. Klasse, 1905, Bd. 57, S. 254 f.).

—Denkmaeler des Alten Reiches, Teil 1, Berlin 1937.

—«*Die Dienstgebaude des Auswartigen Amtes unter den Ramessiden*», in Ae. Z., XLIV , S. 59 f.

—Das Grabdenkmal des Königs Ne-user-re, Leipzig 1907 (Deut. Orient-Ges., Heft 7).

—Das Grabdenkmal des Königs Sahu-re, 3 Bande, Leipzig 1910-13 (Deut. Orient - Ges. Heft 14, 26).

—«*Ein Rechnungsbuch des Königlichen Hofes aus dem Ende des mittleren Reiches*», in Ae Z. 28, 65 f.

—Statuen und Statuetten von Königen und Privatleuten, Teil 1-5, (Cat. Gén. du Mus. du Caire) Berlin 1911-36.

BOURIANT, U., «*Tombeau de Harmhabi*» in Mem. Miss. arch. fr., t. V, p. 413 f.

BOYLAN, P., Thoth, the Hermes of Egypt, 1924.

Breasted, J.H., Ancient Records of Egypt, Chicago, 1906-7.

—The Dawn of Conscience, New York, 1934.

—Development of religion and thought in Ancient Egypt, New York, 1912.

—The Edwin Smith surgical papyrus, 2 vols. Chicago, 1930.

—A new chapter in the life of Thutmose III, (Unters. zur Gesch., Bd. 2, Heft 2, 1900).

Breasted, Jr. H., Egyptian Servant Statues, New-York, 1948.

Brugsch, H., Die Aegyptologie, Leipzig 1891.

—«*Bau und Masse des Temples von Edfu*», in Ae.Z. 1870, S. 153 f.

—Egypt under the Pharaohs, transl. by Brodrick, London 1891.

Brunner, H., Altaegyptische Erziehung, Wiesbaden, 1957.

—Die Lehre des Cheti, Sohnes des Duauf (Aeg. Forsch. Heft 13), Gluckstadt, 1944.

—Die Texte aus den Grabern der Herakleopolitenzeit von Siut (Aeg. Forsch., Heft 5), Gluckstadt, 1937.

—«*Die Weisheitsliteratur*», (Handbuch der Orientalistik Band I, Ab. 2, Literatur) Leiden 1952, 90 f.

Brunner - Traut, E., «*Aegyptische Tiermarchen*» in Ae. Z., 80, 1955, S. 12 f.

—«*Die Weisheitslehre des Djd. f Hr*», in Ae. Z., 76, 3f.

Brunton, G. - **Caton-Thompson**, The Badarian Civilization, London 1928.

Bruyère, B., Rapport sur les fouilles de Deir el Médineh, Le Caire 1937; 1953.

Bryan, C.P., The Papyrus Ebers, London, 1930.

Buck, A. de, «*L'idéal de Sagesse et de vie de la vieille Egypte*», reviewed in Chr. d'Eg. 1940, p. 182.

—«*The instruction of Amenemmes*» in Mem. Inst. fr. d'arch. t. 66, p. 847 f.

Budge, E.A.W., The Book of the Dead, London 1898 , 1910.

—Facsimiles of Egyptian Hieratic Papyri in the British Mus., 2nd. series., London 1923.

—From fetish to God in Ancient Egypt, London 1934.

—A guide to the third and fourth Egyptian rooms in the Brit. Mus., London 1904.

Caminos, R.A., Late Egyptian Miscellanies (Translation and Comments), Oxford 1954.

Capart, J., L'Art égyptien, étude et histoire, I, Brussel 1924.

—«*L'Exaltation du livre*», in Chr. d'Eg. 41, p. 25 f.

—«*Les grands maitres de la littérature égyptienne*», Bull. Acad. royale de Belgique, Classe des lettres,... 1935, t. 21, p. 289 f.

—«*Une liste d'amulettes*, in Ae.Z. 45, S. 14 f.

—Une rue de tombeaux à Saqquarah, 2 vols., Bruxelles 1907.

—«*Une Sagesse Egyptienne*», in Bull. Acad. royale de Belgique, 1942, p. 67 f.

CARNARVON, G.E.-H. CARTER, Five years' explorations at Thebes, London 1912.

CERNY, J., Paper and Books in Ancient Egypt, London 1952.

CHACE, B., The Rhind Mathematical Papyrus, New York 1931.

CHASSINAT, E.G., Le Mammisi d'Edfou, (Mem. Inst. fr. t. XVI) Le Caire 1910.

—Le temple de Dendara, t. 1-4, Le Caire, 1934 - 35

—Le temple d'Edfou, t. 1-10, Le Caire, 1897 - 1934.

CLÈRE, J.J., «*Three new ostraca of story of Sinuhe*», in J.E.A. 1939, vol. XXV, 16 f.

COONEY, J.D., Egyptian Art in the Brooklyn Mus. Coll., New York 1952.

—Egyptian Art in the collection of A. Gallatin, New York 1953.

COUYAT, J.—MONTET, P., Les inscriptions hiéroglyphiques et hiératiques du Ouâdi Hammamat, (Mem. Inst. fr. t. 34) Le Caire 1912.

CROMPTON, «*Two clay balls in the Manchester Mus.*», in J.E.A. III, p. 128.

DARESSY, G., «*La chapelle d'Uazmès*», in Ann. Serv. I, p. 97 f.

—«*Inscription hiératique d'un mastaba d'Abousir*», in Bull. Inst. Eg. 1895, p. 107 f.

—«*La nécropole des grands prêtres d'Heliopolis sous l'Ancien Empire*» in Ann. Serv. XVI, p. 18 f.

—Ostraca (Cat. Gén. du Mus. du Caire), Le Caire 1901.

—«*Quelques ostraca de Biban el Molouk*», in Ann. Serv. XXVII, p. 161 f.

—«*Rapport sur le Deblaisment des tombes* 6 *et* 9 *de Biban el Molouk*» in Ann. Serv. XVIII, 270 f.

—Statues des Divinités, 2 vols. (Cat. Gén. du Mus. du Caire), Le Caire 1905-6.

DAVIES, N. de G., «*Foreigners in the tomb of Amenemhab*» in J.E.A. 1934, vol. XX, p. 189 f.

—The Mastaba of Ptahhetep and Akhethetep at Saqquarah, 2 vols. London 1900-1.

—The rock tombs of El-Amarna, vols 1-6, London 1903-8.

—The rock tombs of Deir el Gebrawi, 2 vols, London 1902.

—The rock tombs of Sheikh Saïd. London 1901.

—The tomb of Antefoker, London, 1920.

—The tomb of Ken-Amun at Thebes, New-York 1930.

—(joint author) The tombs of Menkheperrasonb and others, London 1933.

—(joint author) The tomb of Nakht at Thebes, New York 1917.

—The tomb of Puyemrê at Thebes, 2 vols. New-York 1922-23.

—«*The town house in ancient Egypt*», in Metropolitan Museum Studies, 1929, vol. I p. 233 f.

DAVIES, N.M. de G., Ancient Egyptian Paintings, Chicago 1936.

DAWSON, W.R., «*The mouse in Egyptian and later medicine*» in J.E.A. X, p. 83 f.

—AND PEET, T.E., «*The so-called poem of the king's chariot*», in J.E A. XIX, p. 167 f.

DEVAUD, E., les Maximes de Ptahhotep d'après le Papyrus Prisse, Les Pap. 10371/10435 et 10509 du Brit. Mus. et la Tablette Carnarvon, Fribourg, Suisse 1916.

DRIOTON, ET., «*La Pédagogie au temps des Pharaons*», in Revue des Conférences Françaises en Orient, Mai 1949.

—ET LAUER, J.P., «*Une inscription de Khamouas sur la face sud de la pyramide d'Ounas à Saqquarah*» in Ann. Serv. 1937, p. 201 f.

—ET VANDIER, J., Les peuples de l'Orient méditerranéen, II, l'Egypte, Paris 1946, 1952.

DUNHAM, D., «*The Biographical Inscription of Nekhebu in Boston and Cairo*» in J.E.A. XXIV., p. 1 f.

DYROFF K. UND B. PORTNER, Aeg. Grabsteine und Denksteine aus suddentschen Sammlungen, 1904.

EBELL, B., «*Die aegyptischen Krankheitsnamen*», in Ae Z., Bd. 59, S. 55 f., 146 f.; Bd. 62, S. 13 f.

—The Papyrus Ebers, Compenhagen 1937.

EMERY, W.B., The Tomb of Hemaka (Excav. at Saqquarah), Cairo 1938.

ENGELBACH, R., A supplement to the topographical catalogue of the private tombs of Thebes (nos. 253-334), Cairo 1924.

ERMAN, A., Aegypten und aegyptisches Leben in Altertum, Tubingen 1885.

—Die aegyptischen Schülerhandschriften, Berlin 1925.

—«*Eine aegyptischen Schulubersetzung*», in Ae. Z., XXXII, 127.

—«*Aus dem Volksleben des neuen Reiches*», in Ae. Z. 42, S. 100 f.

—L'Egypte des Pharaons (traduction de H. Wild) Paris 1939.

—Gesprach eines Lebensmüden mit seiner Seele, Berlin 1896.

—Die Literatur der Aegypter, Leipzig 1923.

—Die Märchen des Papyrus Westcar, Berlin 1899.

—Die Religion der Aegypter, Berlin 1934.

—Zaubersprüche für Mutter und Kind, Berlin 1901.

—und H.O. LANGE, Eine aegyptische Schülhandschrift der 20 Dyn., Kobenhaven 1925.

—und H. RANKE, Aegypten und aegyptisches Leben in Altertum, Tubingen 1923.

FAKHRY, A., «*A report on the Inspectorate of Upper Egypt*» in Ann. Serv., 1946, p. 25 f.

FARINA, G., «*Varianti del Papiro Anastasi no.* I», in Rivista delgi studi orientali, Roma 1932, vol. 13, p. 313 f.

FIRTH, C.M.—B. GUNN, Teti pyramid cemeteries, 2 vols. Cairo 1926.

FOUCART, «*Egyptian Children*» in Hasting's Encycl., III,p. 532 f.

FRANKFORT, H., Ancient Egyptian Religion, New York 1948.

—The Birth of Civilization in the Near East, Indiana 1951.

—(Joint author) The Intellectual of Ancient Man, Chicago 1948.

GARDINER, A.H., The Admonitions of an Egyptian Sage, Leipzig 1909.

—«*Adoption extraordinary*» in J.E.A. 1940, p. 23 f.

—Ancient Egyptian Onomastica, 3 vols., Oxford 1947.

—«*The autobiography of Rekhmere*», in Ae. Z. 60, S. 62 f.

—«*The defeat of the Hyksos by Kamose, the Carnarvon tablet no.* 1» in J.E.A. III, p. 95 f.

—«*The earliest manuscripts of the instruction of Amenemmes I*» in Mem. Inst. fr. t.56, p. 479 f.

—Egyptian Hieratic Texts, series I, Leipzig 1911.

—«*The Harim at Miwer*» in J.N.E.S. 1953, 145 f.

—Hieratic Papyri in the Brit. Mus. 3rd series, Chester Beatty Gift, 2 vols. London 1935.

—«*The House of Life*» in J.E.A. XXIV, p. 157 f.

—«*The Instruction addressed to Kagemni and his brethren*» in J.E.A. XXXII, p. 71 f.

—Late Egyptian Miscellanies, Bruxelles 1937.

—«*The Mansion of life and the master of the king's largess*», in J.E.A. XXIV, p. 83 f.

—«*New literary works from ancient Egypt*» in J.E.A. I, p. 20-36; 100-106.

—«*A New Moralizing Text*», in Wiener Zeitschrift, 1957.

—Ramesside Administrative Documents, Oxford 1948.

—«*The secret chambers of the sanctuary of Thoth*», in J.E.A., XI p. 2 f.

—& H. THOMPSON; J.G. MILNE, Theban Ostraca , London 1913.

GARSTANG, Mahasna and Bêt Khallâf, London 1901.

—Tombs of the third Egyptian Dynasty at Raqaqnah and Bêt Khallâf, Westminster 1904.

GAUTHIER, H., Dictionnaire des noms géographiques contenus dans les textes hiéroglyphiques, t. 1-7, Le Caire 1925-31.

—«*Stèles trouvèes à Ouadi es-Sabouâ* (Nubie)» in Ann. Serv. XI, p. 77 f.

—«*Le titre imy-r khnwty et ses acceptions diverses*» in Bull., Inst. fr. 1918, p. 169 f.

GAYET, A., Musée du Louvre, Stèles de la XIIe dynastie, Paris 1889.

—Le temple de Louxor, (Mem. Miss. fr. t. XV) Paris 1894.

GLANVILLE, S.R.K., Daily life in Ancient Egypt, London 1930.

—The Instructions of 'Onchsheshonqy, (Brit. Mus. Pap. 10508), Catalogue of Demotic Papyri in the British Museum, vol. II, Part I, London 1955.

—«*The mathematical leather roll in the Brit. Mus.*» in J.E.A. XII, p. 232 f. (5 pls).

—«*A new duplicate of the Hood Papyrus*» in J.E.A. XII. 171 f.

—«*An unusual type of statuette*», in J.E.A. XVII, p. 98-9.

GOLENISCHEFF, W., Die Metternichstele, Leipzig 1877.

—Les Papyri hiératiques Nos. 1115, 1116A, 1116 B de l'Ermitage impérial à St.-Pétresbourg, 1913.

GRAPOW, H., Die bildlichen Ausdrücke des Aegyptischen, Leipzig 1924.

—Religioese Urkunden, I-III, Leipzig 1915.

—Wie die Alten Aegypter sich anredeten, Berlin 1960.

GRDSELOFF, B., «*A new Middle Kingdom letter from El-Lahun*», in J.E.A. XV, p. 61 f.

«*Notes sur deux monuments inédits de l'ancien Empire*» in Ann. Serv. 1942, p. 107 f.

GRIFFITH, F. LL., Hieratic Papyri from Kahun and Gurob, London 1898.

—The Inscriptions of Siût and Dêr Rifeh, London 1888-9.

—«*The Millingen papyrus*», in Ae.Z. 34, S.35 f.

—Stories of the High Priests of Memphis, Oxford 1900.

—«*The teaching of Amenophis the son of Kanakht*» in J.E.A. XII, 191 f.

—and W.F. PETRIE, Two hieroglyphic papyri from Tanis, London 1889.

GUNN, B., «*Notes on two Egyptian kings*» in J.E.A. XII, p. 250 f.

—«*The Religion of the poor in ancient Egypt*», in J.E.A., III, 81 f.

—«*A Six dynasty letter from Saqqara*», in Ann. Serv. 1925, p. 242 f.

—AND T.E.PEET, «*Four geometrical problems from Moscow mathematical papyrus*» in J.E.A., XV, p. 167 f.

HASSAN, S., Excavations at Giza, vols. I-VII, Oxford 1932, Cairo 1936-1953.

—The Great Sphinx and its Secrets, Cairo 1953 (Giza VIII).

HAYES, W.C. «*A much-copied letter of the early Middle Kingdom*», in J.N.E.S., 1948, p. 1 f.

—Ostraca and name-stones from the tomb of Sen-mût, New York 1942.

—The Scepter of Egypt, New York 1935.

HELCK, H. W., Der Einfluss der Militärführer in der 18 aegyptischen Dynastie, Leipzig 1939 (Unters z. Gesch., Bd. 14).

—«*Eine Stele des Vizekonigs Wsr. St. t.*», in J.N.E.S. 1955, p. 23 f.

—Untersuchungen zu den Beamtentiteln den aegyptischen Alten Reiches (Aeg. Forsch, Heft 18) 1954.

HERMAN, A., «*Das Buch Kmj. t und die Chemie*», in Ae.Z. 1954, S. 100.

—Das Kind und seine Hürterin (Mitt. des deutschen Inst. für aeg. Alt., Kairo 1939, Band 8, Heft 2, S. 171 f.

HORNBLOWER. G. «*Predynastic figures of women and their successors*», in J.E.A. XV, p. 29 f.

JEQUIER, G., Les frises d'objets des sarcophage du Moyen Empire, Le Caire 1921.

—Tombeaux des particuliers contemporains de Pepi II, Le Caire 1929.

JONCKLEERE, F., «*Prescriptions médicales sur ostraca hiératiques*» in Chr. d'Eg. 1954, p. 48 f.

JONES, W.H., «*Children as a curse*», in Hasting's Encycl., III, 539.

JUNKER, H., Giza I-XI, Wien 1929 f.

—Die Gotterlehre von Memphis, 1940.

—Die Politische Lehre von Memphis, 1941.

—«*Die Stele des Hofarztes Inj*» in AeZ., 63, S. 53 f.

KEES, H., Die aegyptische Literatur, Handbuch der Orientalistik, Band I, Ab. 2, Aegyptologie, Leiden 1952, S. 3f.

—Kulturgeschichte des alten Orients, Erster Abschnitt, Aegypten, Münichen 1933.

—Das Priestertum im aegyptischen Staat vom Neuen Reich bis zur Spatzeit (Problem Der Aegyptologie, Erster Band) Leiden 1953.

KLEBS, L., Die Reliefs und Malereien, I-III, Heidelberg 1914, 1921, 1934.

KUENTZ, Ch., «*Deux versions d'un panegyrique royal*» in Studies presented to Griffith, London 1932, p, 97 f.

—«*Duplicata d'un vocabulaire*» in Bull. Inst. fr. 1937, p. 181-182.

LACAU, P., «*Une Stele du roi Kamosis*», in Ann. Serv. 1939, p. 245 f.

—«*Textes religieux*» in Rec. de Trav. t. XXVI f.

LECLANT J., «*Le role du lait et de l'allaitement d'aprés les textes des Pyramides*», in J.N.E.S., X p. 123 f.

LEFEBURE, «*Sur différents mots et noms égyptiens*» in Proc. of Soc. of Bibl. Arch. XIII 447 f.

LEFEBVRE, G., Histoire des grands prêtres d'Amon de Karnak jusqu' à la XXI dyn., Paris 1929.

—Romans et Contes Egyptiens, Paris 1949.

LEGRAIN G., Statues et statuettes de rois et de particuliers, 3 vols., Le Caire 1906-14 (Cat. Gén. du Musée du Caire).

LEPSIUS, Denkmäler aus Aegypten und Aethiopien, Bd. I-IV

LEXA, F., La magie dans l'Egypte antique, Paris 1925.

—Le Papyrus Insinger, 1926.

LIEBLIEN J., Dictionnaire de Noms Hiéroglyphiques en Ordre Généalogique et Alphabétique. Publié d'aprés les monuments Egyptiens, Christiania 1871.

LINAGE, J de, «*L'acte d'établissement et le contrat de mariage d'un esclave sous Thoutmês III*» in Bull Inst. fr. XXXVII, p. 221 f.

LORET, V., «*Le Titre Ahems-n-kip*» in Proc. Soc. Bibl. Arch. XIV, p. 205 f.

LOUKIANOFF, G., «*Une petite figurine archaïque*» in Ancient Egypt, 1931, p. 42 f.

LUCAS, A., Ancient Egyptian materials and industries, 3rd ed. London 1948.

MARIETTE, A., Abydos, 2 vols., Paris 1869-80.

—Catalogue Général des Monuments d'Abydos, Paris 1880.

—Karnak, Leipzig 1875.

—Les Mastabas de l'ancien Empire, Paris 1889.

MARROW, H.I., Histoire de l'éducation dans l'Antiquité, Paris 1950.

MASPERO, G., L'archéologie égyptienne, Paris 1887.

—Les contes populaires de l'Egypte ancienne, 4 éd., Paris 1911.

—The Dawn of Civilization, (translated by M.L. Mc. Clure) London 1894.

—Les enseignements d'Amenemhait Ier., Le Caire 1914 (Bibl. d'Et., t. 6)

—Du genre épistolaire chez les Egyptiens de l'époque pharaonique, Paris 1872.

—Hymne au Nil, Le Caire 1912 (Bibl. d'étude, t. 5).

MATTA, G., Demotic Ostraca, Cairo 1945.

—"*Rights and duties of the eldest son...*", in the Bull. of the Faculty of Arts, University of Cairo, 1950, II, 113f,

MEYER, E., Histoire de l'Antiquité, traduit par A. Moret, Paris 1914.

MOELLER, G. Hieratische Palaeographie, Bd. 1-3, Leipzig 1909 f.

MONROE, P., Source book of the history of education for the Greek and Roman Period, New York 1906.

—A text book in the history of education, New York

MONTET, P., «*La croix ansée des anciens Egyptiens*» in Rev. arch. 1925, p. 101 f.

—Les scènes de la vie privée dans les tombeaux égyptiens de l'ancien Empire, Strassbourg 1925.

MORET, A., Catalogue du Musée Guimet, Paris 1909.

—«*L'education d'un prince royal égyptien de la IXe dynastie*» in Compte rendus de l'Acad. des inscrips. et belles-lettres, 1927, p. 267-279

—The Nile and Egyptian civilization, (translated) London 1927.

—«*Trois decrèts relatifs à une fondation pour une statue de Pepi II*» in Jour. Asiat. 1916, p. 232 f.

—and G. DAVEY, Dès Clans aux Empires, (L'Organisation Sociale chez les Primitifs et dans l'Orient Ancien), Paris 1926.

MORGAN, J., (AND OTHERS) Catalogue des monuments et inscriptions de l'Egypte Antique, Vienne 1894 (vol. 1)

MUELLER, W.M., Egyptological Researches, vols. I-II, Washington 1906,

MURRAY, M.A. - K.SETHE, Saqquara mastabas, vols. I-II, 1904, 1937.

MYER, I., An account (of the Religion, Wisdom, Philosophy, Ethics, Psychology, Manners, Proverbs, Sayings, Refinement) of the Ancient Egyptians, New York 1900.

NAVILLE, E., The festival-hall of Osorkon II in the great temple of Bubastis, London 1892.

—The temple of Deir el Bahari, 6 vols, (Egypt Explor. Fund), London 1895-1908.

NEEDLER, W., «*A thirty square draught board*», in J.E.A. 1953, p. 60 f.

NEUGEBAUER, O., Die Grundlagen der aegyptischen Bruchrechnung, Berlin 1926.

—«*Zur aegyptischen Bruchrechnung*» in Ae.Z. 64, 44 f.

NEWBERRY, P.E., Beni Hasan, vols. I-IV, London, 1893-1900.

—«*The sons of Tuthmosis IV*» in J.E.A. XIV, 82-f

—AND F.LL. GRIFFITH, El Bersheh, (2 vols.) London 1895.

NOBLECOURT, Ch. O., «*Concubines du Mort et Mères de Famille au Moyen Empire, à propos d'une supplique pour une naissance*», in Bull. Inst. fr. 1953, 17 f.

NOCK, A., «*A new edition of the Hermetic Writings*», in J.E. A. XI, 127.

OTTO, W.G., «*Buch-und Bibliothekswesen*», in Aegyptologie, Ab. II, Literatur (Handbuch der Orientalistik), Leiden 1952, S. 219 f.

PAGET R.—PIRIE, The tomb of Ptah-hetep, London 1898.

PEET, T.E., A comparative study of the literatures of Egypt, Palestine and Mesopotamia, London 1931.

—Great tomb robberies of twentieth Dynasty, Oxford 1930.

—Mathematics in Ancient Egypt, Manchester 1931.

—The Rhind mathematical papyrus, Liverpool 1923.

PENDLEBURY, J.D.S., The City of Achenaton, part III, London 1951.

—«*Excavations at Tell el Amarna*», Preliminary report for the season 1933-4, in J.E.A. XX, p. 129 f.

PETRIE, W.M.F., Abydos, I-III, London 1902-4.

—Amulets, London 1914.

—A History of Egypt, 3 vols., London 1894-1905.

—The Making of Egypt, London 1939.

—Medum, London 1892.

—«*The palace titles*», in Ancient Egypt 1924, p. 109 f.

—«*The rulers*» in Ancient Egypt 1925, 79 f.

—Social life in Ancient Egypt, London 1923.

—The wisdom of the Egyptians, London 1940.

—Illahun, Kahun and Gurob., London 1891.

—AND OTHERS, Lahun, London 1923.

—and QUIBELL., Naqada and Ballas, London 1895.

—and A.H. GARDINER, Tombs of the courtiers and Oxyrhynkhos, London 1925.

PIEHL, K., Inscriptions Hieroglyphiques recueillies en Europe et en Egypte, I III, Leipzig 1886-1903.

—«*Textes égyptiens inédits provenant du Musée de Boulaq*», Le Muséon 1887, p. 209 f.

PIEPER, MAX, Die grosse Inschrift des Königs Neferhotep in Abydos, (Vord.-aeg. Mitt. Bd 32. Heft 2) Leipzig 1929.

PIERRET, P., Recueil d'inscriptions inédites du Musée Egyptien du Louvre, (2vols) Paris 1874-78 .

PILLET, M., «*Les Scènes de Naissance et de Circoncision dans le temple NordEst de Mout à Karnak*», in Ann. Serv. 1954, 77 f.

PINCHES, T., *Children (Babylonian)*, in Hasting's Encycl. III, p. 52.

PIRENNE, J., Histoire des Institutions et du droit privé de l'Ancienne Egypte, t. I-III, Bruxelles 1932-1935.

—et STRACMANS, Le testament dans l'Ancien Empire Egyptien.

POLOTOSKY, H.J., Zu den Inschriften der 11 Dynastie, (Unters. z. Gesch., Elfter Band) Leipzig 1929.

POSENER, G., Catalogue des Ostraca hiératiques littéraires de Deir el Médineh, Le Caire 1934, 1936, 1938, 1951, 1952

—«*Le début de l'enseignement de Hardjedef*» in Rev. d'eg. 1952, p. 109 f.

—«*Une liste de noms propres étrangers sur deux ostraca hiératiques du nouvel empire*», in Syria 1937, p. 183 f.

—«*Les Richesses inconnues de la littérature égyptienne*» in Rev. d'eg. VI, 27 f; VII 71 f; VIII, 171 f.

—La première domination perse en Egypte, Le Caire 1936.

QUIBELL, T. E., Hierakonpolis, 2 vols, London, 1900-1902.

—The Ramesseum, London, 1898.

RANKE, H., Die aegyptischen Personennamen, Bd. I, Glückstadt, 1935.

—«*Les noms propres égyptiens*», in Chr. d'Eg. 1936, p. 293 f.

REICH, N., «*A Grammatical Exercise of an Egyptien schoolboy*», in J.E.A., X, p. 285 f.

REISNER, G., «*A scribe's tablet found by the Hearst expedition at Giza*» in Ae.Z., XLVIII, S. 113f.

SAUNERON, S., «*La tradition officielle relative à la* XVIII *dyn.*», in Chr. d'Eg. 1951, p. 46 f.

SCHARFF, A., Der Bericht über das Streitgespräch eines Lebensmüden mit seiner Seele, München 1937.

SCHIEPARELLI, E., Museo Archeologico di Firenze, Roma 1887.

SCHOTT., S., «*Astronomie und Mathematik*», Aegyptologie, Ab II, Literatur, 170 f.

—«*Bücher und Buchtitel*», Aegyptologie, Ab II, Literatur, S. 226 f.

SETHE, K., Die Achtung feindlicher Fürsten, Berlin 1926.

—Die altaegyptischen Pyramidentexte, Bd. 1-4, Leipzig 1908-22.

—Imhotep der Asklepios der Aegypter, (Unters. z. Gesch. Bd. 2, Heft 4) Leipzig 1902.

—*Der Mensch denkt, Gott lenkt» bei den alten Aegyptern*», in Gott. Nach., 1925, 141 f.

—«*Ein Prozessurteil aus dem Alten Reiches*», in Ae Z., 61 S. 67 f.

—Urkunden des alten Reichs, Leipzig 1933.

—Urkunden der 18 Dynastie, Leipzig 1905-9.

—Der Urspung des Alphabets, Berlin 1926.

—Von Zahlen und Zahlworten bei den Aegyptern, und was für andere Volker ... ..., Strassburg 1916.

SHOUKRY, M.A., Die Privatgrabstatue in alten Reich, Kairo 1951.

SIMPSON, D.C., «*The Hebrew book of Proverbs and the teaching of Amenophis*» in J.E.A. XII, p. 232 f.

SMITH, W.S., A history of Egyptian sculpture and painting in the Old Kingdom, London 1946.

SPENCE L., Myths and Legends of Ancient Egypt, London 1949.

SPIEGELBERG, W. «*Der böse Blick in altaegypten Glauben*» in Ae. Z., LIX S. 149 f.

—«*Der Bruckstück des Bestattungsrituals der Apisstiere*», in Ae. Z. LVI, S. 1 f.

—Hieratic ostraca and papyri found by J.E. Quibell in the Ramesseum, London 1898.

—Rechnungen aus der Zeit Setos I mit anderen Rechnungen des neuen Reiches, Strassburg, 1896.

STRUVE, W., Mathematischer Papyrus des Staatlichen Museums der schönen Künste in Moskau, Berlin 1930.

SUYS, E., La Sagesse d'Ani, Roma 1935.

THOMAS, W.R., «*Moscow Mathematical Papyrus, No. 14*» in J.E.A. XVII, 50 f.

TYLOR J —F.LL. GRIFFITH, The tomb of Paheri at El-Kab, London 1894.

VANDIER D'ABBADIE, J., «*Deux nouveaux ostraca figurès*», in Ann. Serv., XL, p. 467 f.

—Ostraca figurès de Deir el Medineh, Le Caire 1946.

VANDIER, J., La famine dans l'Egypte ancienne, Le Caire, 1936.

—La Religion Egyptienne, Paris 1941.

VOGEL, K. «*Die Algebra der Aegypter des mittleren Reiches*» in Archeion 1930, S. 126 f.

—Die Grundlagen der aegyptischen Arithmetik in ihren Zusammenhang mit der 2 Tabelle des Papyrus Rhind, München, 1929.

VOGELSANG, F., —A.H. GARDINER, Die Klagen des Bauern, Leipzig 1908.

VOLTEN, A., Studien zum Weisheitsbuch des Anii, Kobenhaven 1937.

WAINWRIGHT, G.A., «*Seshat and the Pharaon*» in J.E.A. 1940, p. 30 f.

WALLE, VAN DE, Le Mastaba de Neferirtnef, Bruxelles 1930.

—La Transmission des Textes littéraires Egyptiens, avec une annexe de G. POSENER, Bruxelles 1948.

WEIGALL, A. - A.H. GARDINER, Topographical Catalogue of the private tombs of Thebes, 1924.

WEIL, A., Die Veziere des Pharonenreiches, Strassburg 1908.

WEILL, R., La IIe et IIIe Dynasties, Paris 1908.

WILSON J., The Burden of Egypt, Chicago 1951.

—«*Ceremonial games of New Kingdom*» in J.E.A, XVII, p. 211 f.

—«*School writings of Middle Kingdom and Empire*» in Mem. Inst. fr. t. 66, p. 901 f.

WINLOCK, H.E., Excavations at Deir el Bahari, New York, 1942.

—The rise and fall of the Middle Kingdom, New York 1947.

—«*A Statue of Haremhab before his accession*», in J.E.A. X, p. 1 f.

WRESZINSKI, W., Atlas zur altaegyptischen Kulturgeschichte, Teil 1-3, Leipzig 1923-38.

—Der Grosse Medizinische Papyrus des Berliner Museums, Leipzig, 1909.

—Der Papyrus Ebers, Leipzig 1913.

ZABA, ZLYNEK, Les Maximes de Ptahhotep, Paris 1956.

فهرس بأهم المفردات

الكلمات المصرية القديمة

التي وردت بنصها في الكتاب (دون أسماء الأعلام)

(مع ملاحظة التجاوز عن الهاء المثلثة والجيم المعطشة)

الموضـــوعات

الكتاب الأول

التربية الأسرية والتعاليم التربوية

الكتاب الثانى

المعلمون ومجالات التعليم

الكتاب الثالث

طرق التعلم ومناهجه

تصويب

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٣	٩	جهد كبير	من جهد كبير
١٣	١٤	ابن سين	ابن ستين
٢٣			يرفع رقم الحاشية ١ من سطر ٤ إلى سطر ٣
٤٣	٢٢	فأمراض البطن	فالنزلات المعوية
٤٥	١٦	فلان بن فلانة	فلانا بن فلانة
٥١	٩	من تفصيل	مِن تفضيل
٥٦	١٨	J. CONEY	J. COONEY
٦٠	١٧	أن يكون ولد	أن يكون ولدا
	هامش ٧	Bebrawi	Gebrawi
٦٢	١	حصر	خصر
٦٦	٧	فكان منهما	فكان منها
٧٢	٤	يصحبة	يصحبه
٧٩	١٦	صاحبه	صاحبها
	٢٢	وحضر	وأحضر
	٢٣	وساه	وعساه
٨٤	١٩	لك نظرياتك	منك نظرياتك
٨٦	هامش ٤	BRESTED	BREASTED
٨٧	هامش ٢	ARMAN	ERMAN
٩٨	٢٠	بكتفى	يكتفى
١٠٠			يغير رقم الحاشية ٧ إلى ٦
١٠١	٦	الرضى	الرضا
١٠٢	٨	الصغا	الصغار
١١٢	١٠	وقذفها	وقذفهما

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
١٣٧			يضاف بعد السطر الثاني : ابنا حبيبا ، والتعاليم أهراما ، وقلم البوص ولدا ، وسطح الحجر زوجة ، وبهذا صار الكبير والصغير من أبنائهم والكاتب فى أولهم ، ثم لم يكتف المعلم بأن يعرض المبدأ وأهله على تلميذه ، وإنما رغبه فيه قائلا :
١٤٧	٧	عصر الدولة	عصور الدولة
١٤٨	١٠	(أى تلاميذه وكتبه)	(أى تلاميذه) وكتبه
١٤٩	٩	بوصوا	يوصوا
	١٩	زقاو	زفاو
١٥١	٩	الأسماء	الألقاب
١٦٥	١٣	ثم انصراف ثان	ثم انصرافا ثانيا
١٦٩	١	فى عهد الثالث	فى عهد أمنمحات الثالث
	٢	التى هى دعته	هى التى دعته
١٧١	١٤	بن دواوف	ابن دواوف
١٧٣	١٢	كلتى المدرستين	كلتا المدرستين
١٧٨	٦	. . .	كانوا من الشخصيات
١٨٤	١٢	. . .	المنتمى إلى خزانة الفرعون ــ والكاتب حورى
١٨٥	٣	مرضى	مرض
	٢٣	اإيك	إياك
١٩٦	١	فى سبات؟	فى سبات (؟)
	٥	تنى	تنى



صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٢٠٨	٢٣	لقنى	لقبى
٢١٠	١٨	أرسلو	أرساوا
	حاشية ٣	1064	164
٢٢١	٨	برعنح	برعنخ
		أدنون	إدنو ن
٢٢٢	٤	العارفون	العارفين
٢٣٩	٨	يبدون	يبدو أن
٢٥٧	١	إو. سن	إو. سن
٢٥٨	٨	ومجرور	ومجروراً
٢٦٧	١٩	رضى	رضا
٢٧٩	٢٠	المتعلم	التعلم
٢٨٧	٦	إسرافاكبير	إسرافا كبيراً
٢٩٢	١٧	الشفوية	الشفهية
٣٠١	٤	تساوى ٣	تساوى $\frac{٢}{٣}$
	٩	الباقى ٦	الباقى $\frac{١}{٦}$
٣٠٤	١٠	لم يجمعان	ثم يجمعان

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٣١٤	١٣	مخن	ونحن
٣٢٦	٤	لعمل المستقبل	لعمل المستقبل فى
	١٧	بالعرص	بالغرض
٣٣٠	١٥	صعودافى المرتفعات	صعود فى المرتفعات
٣٣٣	١٨	حفا	حفار
٣٥٢	٨	والفلكيون	والفلكيين
٣٥٧	٣	عنها	عنها وما
٣٦١	٨	وألقب « ... »	ولقب « ... » أو
٣٦٤	٨	وإن « قاعة الكتب	إلى « قاعة الكتب
٣٦٧	٢٢	بأنه من مولود	بأنه مامن مولود
٤٢١	٧	الصحابين	الصخابين
٤٢٣	شكل ٢٨	القوقيجى	التوقيجى
٤٣٦	شكل ٦٧		تعدل اللوحة فيصير أسفلها أعلاها
٤٣٩		Fascimiles	Facsimiles

الجمهورية العربية المتحدة
الثقافة والإرشاد القومى

المكتبة العربية

— ٤٥ —

التاريخ والحضارة (٣)

التأليف [٣٠]

القاهرة
١٣٨٦ هـ – ١٩٦٦ م

المكتبة العربية

تصدرها

الثقافة والإرشاد القومي

بفرعيها

المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر

"الدار القومية للطباعة والنشر – الدار المصرية للتأليف والترجمة"

